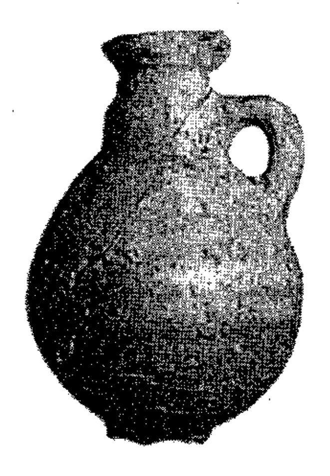
المملكة المغربية
جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس

ليكسوس
مستوطنة فينيقية
بالساحل الاطلنطي للمغرب



أ. د. محمد رضوان العزيفي



منشورات جامعة سيدي محمد بن عبد الله
سلسلة الرسائل والأطروحات الجامعية

الإهـــداء

إلى روح والدي ووالدتي

"وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا"

صدق الله العظيم

كـــلمة شكـــر

الكتاب في الاصل أطروحة جامعية لنيل دكتوراة الدولة في التاريخ، نوقشت بكلية الآداب والعلوم الانسانية سايس بفاس يوم الجمعة 10 يناير 2003، أمام لجنة مكونة من الاساتذة :

– الدكتور المصطفى مولاي رشيد من جامعة محمد الخامس بالرباط، رئيسا.
– الدكتور محمد التازي سعود من جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس، مشرفا ومقررا.
– الدكتور محمد حسين فنطر من جامعة تونس المنار، عضوا.
– الدكتور مصطفى أعشي من جامعة محمد الخامس بالرباط، عضوا.
– الدكتور علي واحدي من جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس، عضوا.

ونالت الاطروحة درجة حسن جدا.

وقد كتب لهذا العمل أن يجد طريقه الى النشر بفضل الالتفاتة الطيبة التي سنّها الرئيس السابق لجامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس الاستاذ الدكتور توفيق الوزاني الشهدي للتعريف بأعمال أساتذة هذه الجامعة، وبفضل المتابعة الطيبة التي سهر عليها الرئيس الحالي الاستاذ الدكتور السرغيني فارسي. وفي هذا الصدد لا يسعني إلا أن أتقدم بتشكراتي الجزيلة للسيد رئيس الجامعة السابق والسيد رئيس الجامعة الحالي، منوها باعتنائهما، ومعتزا بأن يكون هذا الكتاب واحدا من الاعمال التي سطرتها جامعة سيدي محمد بن عبد الله للنشر ضمن إصداراتها.

كما لاتفوتني الفرصة لأتقدم كذلك بكلمة شكر وعرفان لما أسداه عميد كلية الآداب والعلوم الانسانية سايس فاس الاستاذ الدكتور محمد مزين، من تشجيع وتحفيز ومساعدة خلال إنجاز هذا العمل.

كما أتقدم بجزيل الشكر وفائق الامتنان إلى أستاذي الجليل الدكتور محمد التازي سعود، الذي تفضل بالاشراف على هذا العمل، ووجهني وأنار مسعاي في هذا الحقل المعرفي الصعب لمدة تزيد عن عقدين من الزمن، منذ أن اقترح عليّ خوض غمار الاهتمام بدراسة الحقبة الفينيقية بالمغرب. فوجدت فيه المرشد العالم، والمعين الفاضل، والمقوم الصائب.

كما لايسعني إلا أن أشكر أعضاء لجنة المناقشة المحترمين الذين عانوا مشقة قراءة هذا العمل، والذين كان لهم الفضل في تقويم نواقصه بملاحظاتهم النيرة وتوجيهاتهم السديدة. فتقديري لإسهام الاستاذ الدكتور المصطفى مولاي رشيد والأستاذ الدكتور مصطفى أعشي والاستاذ الدكتور علي واحدي، والاستاذ الدكتور محمد حسين فنطر (مدير معهد الدراسات الفينيقية-البونيقية وآثار الليبيين بتونس والمشرف على كرسي بن علي لحوار الحضارات والاديان)، باعتباره واحدا من المتخصصين المرموقين على المستوى الدولي في مجال الدراسات الفينيقية والبونيقية.

وأخيرا، أتقدم بكامل عرفاني لأفراد أسرتي الصغيرة، وخصوصا لزوجتي، الذين تحملوا بصبر وأناة وأمل، ما سلبتهم من حضور ورعاية، طوال الاعوام التي استغرقها إنجاز هذا العمل. والله ولي التوفيق.

تصديـــــر

بقلم الدكتور محمد التازي سعود

يرتبط موقع ليكسوس الأثري ارتباطا خاصا بالتوسع الفينيقي بصفة عامة، وبالوجود الفينيقي بالمغرب بصفة خاصة. ومع ذلك، فإن هذا الارتباط يقابله فراغ بيبليوغرافي كبير، لانعدام أية دراسة منوغرافية متكاملة وجامعة لكل المعطيات المتوفرة حول الحقبة الفينيقية بالمركز.

لذا، جاء الكتاب الذي بين أيدينا ليضع مركز ليكسوس في موقعه المناسب ضمن الدراسات والابحاث الفينيقية المنجزة بشكل مطرد خلال السنوات العشر الأخيرة. ومن تمّ مكنتنا المعطيات المعرفية التي تم الكشف عنها في هذا العمل، من إبراز أن ليكسوس كانت لها مكانتها ضمن المنشآت الفينيقية الكثيرة التي بدأت تفرزها الحفائر الاركيولوجية يوما بعد يوم، وأن صفتها كمستوطنة فينيقية بالساحل الاطلنطي للمغرب لها مبرراتها. كما أن الدراسة التحليلية للمعطيات المصدرية والآثارية المرتبطة بليكسوس، أفضت إلى تسطير الخطوط العريضة لتاريخ ليكسوس خلال الحقبة الفينيقية، وبالتالي يسّرت السبيل لملء الفراغ الذي يعاني منه المغرب في تلك العهود الغابرة، وتقديم دراسة تعد الاولى من نوعها باللغة العربية في الحقل المعرفي موضوع الدراسة.

فالحضور القوي للمنتوج الخزفي الفينيقي بليكسوس، الذي ينم عن تأصل الوجود الفينيقي، جاء ليعيد النظر في مسألة الخزف المحلي بليكسوس. ذلك أن المستجدات التي حصلت في الاركيولوجيا الفينيقية، خصوصا بعد نتائج تنقيبات البعثة المغربية-الاسبانية في ليكسوس (حفائر 1995 و1999)، أضحت تبين أن الخزف المصنوع باليد أو المقولب (céramique modelée) لم يكن كله محليا، وأن جزءا مهما منه كان خزفا فينيقيا.

ولمعرفة الطابع الحقيقي لنموذج المنشأة الاستيطانية التي أسسها الفينيقيون بليكسوس، وبعد دراسة أنواع المنشآت الفينيقية فيما وراء البحار بارتباطٍ مع طبيعة التوسع الفينيقي، الذي كان يتطلب توسعا ترابيا وفلاحيا واستعماريا وتجاريا وديمغرافيا، أوضح الكتاب أن ليكسوس كانت تجمع بين عناصر مستوطنة الاستقرار والاستغلال الفلاحي والسمكي والغابوي، وعناصر "الامبوريوم" التجاري.

وقد تم إثبات الطابع الاستيطاني لليكسوس بعد الكشف عن مساكن الفينيقيين الاوائل، وتحديد رقعة المستوطنة التي بلغ اتساعها حوالي 12 هكتارا، واحتساب عدد سكانها الذي ناهز 2400 نسمة. كما بينت الدراسة أن مستوطنة ليكسوس كانت تخضع لمميزات المواقع التي كان يفضلها الفينيقيون للاستقرار ؛ أي بتشييدها في الجهة العليا لتل مرتفع محصّن مطل على بحيرة شاسعة تصلح لرسو المراكب. كما أن الطابع الاستيطاني لليكسوس تجسد في توفرها على مجال محلي غني من الناحية الفلاحية والسمكية والغابوية، موفرا الموارد الضرورية التي تحتاجها الساكنة الفينيقية في الاستهلاك والاستغلال.

أما العناصر التي تجعل من ليكسوس مستوطنة تجارية، فإنها تتجلى في الامكانيات الهامة التي كان يوفرها الموقع كميناء بحري ونهري وبحيري صالح للتنشيط الاقتصادي. وتعكسها كذلك مجموعة من الاشارات المصدرية التي توحي بتوفر ليكسوس على دائرة نفوذ تجاري بالساحل الاطلنطي للمغرب. كما أن تنصيص المصادر القديمة على حضور مؤسسة المعبد في ليكسوس، المتجسدة في معبد ملقارت، الذي يرمز الى المؤسسة المسؤولة في صور عن تنشيط تجارة أعالي البحار، يوحي بأن ليكسوس كانت واحدة من المستوطنات ذات البعد التجاري والاستراتيجي التي أسستها مدينة صور. كما يُفَسَّر البعد التجاري لليكسوس كذلك بموقعها الاستراتيجي في الطريق الملاحية والتجارية التي أراد الفينيقيون فتحها في اتجاه الجنوب بحثا عن الموارد التي كان يتوفر عليها المغرب القديم، لتقوم نيابة عن صور بمهمة تحديد الاسواق الجديدة والعمل على إعادة التوزيع. الامر الذي أهل ليكسوس لتمثل المركز الرئيسي لتنشيط التجارة الفينيقية بالساحل الاطلنطي للمغرب، كتجارة المعادن وتجارة العاج وغيرهما.

وفي مسألة التأسيس، واستنادا للدينامية الداخلية للتاريخ الفينيقي، التي لم تكن تسمح قبل القرن التاسع قبل الميلاد بحدوث ظاهرة التوسع بتبعاتها الاقتصادية والاجتماعية والديمغرافية، أبرز الكتاب أن تاريخ تشييد ليكسوس حدث في نهاية القرن التاسع قبل الميلاد أو بداية القرن الثامن قبل الميلاد، وليس في القرن الثاني عشر قبل الميلاد أو بداية الالف الاولى، كما كان يُعتقد من قبل. وعند تأسيسها، أبرز الكتاب أن ليكسوس نشأت منذ الوهلة الاولى كمستوطنة ثابتة شاسعة الاطراف، دون أن تعرف ظاهرة التدرج الوظيفي من مرحلة المحطة الى مرحلة المستوطنة التي مرّت منها العديد من المنشآت الفينيقية الاخرى. الامر الذي يجعل من ليكسوس واحدة من أقدم المستوطنات الفينيقية في الغرب، وأقدم منشأة فينيقية تُشيَّد على الساحل الاطلنطي للمغرب، حيث تم تشييدها بقرن من الزمن قبل ثاني منشأة فينيقية هامة تعرف لحد الآن، وهي المحطة الموسمية المشيدة بجزيرة الصويرة. وقد استمر وجود ليكسوس كمنشأة فينيقية إلى حين بداية أفول التوسعات البحرية الفينيقية نحو الغرب مع مطلع القرن السادس قبل الميلاد.

فما أطلعنا به هذا الكتاب من حقائق واستنتاجات، تجعلنا ندرك إذن أن العمل متراص متتابع النفس معتمد على أصول أدبية قديمة وعلى مستجدات أركيولوجية متعددة ومتنوعة، دالة على أن الكاتب قد اتصل بمنابع البحث والتنقيب، ولم يكتف بمجرد أقوال القدماء. وبهذا طلع بحثه بنتائج مهمة في تاريخ المغرب القديم.

هذا وإني لأهنئ ابني وصديقي محمد رضوان على جده وصبره وحسن قيامه بهذا الموضوع الذي كشف وحقق جانبا مهما من تاريخ هذا المغرب العزيز الذي يسرني أن أقدم هذا البحث فيه للعلماء به وللأدباء والمثقفين عموما.

حرر في فاس بتاريخ 17 يونيو 2009

الدكتور محمد التازي سعود

مقدمــة
المنهج والبيبليوغرافيا

يعد الفينيقيون من الشعوب السامية القديمة التي كانت تقطن الشريط الساحلي الذي يشمل حاليا كل لبنان وجزءا من سوريا وفلسطين[1]. وقد تميزت حضارة هذا الشعب بالتجارة البحرية، التي نشطتها وطورتها أهم المدن الفينيقية، مثل صور وصيدا وجبيل وأرواد[2]. غير أن مدينة صور تعد بدون منازع أهم هذه الحواضر وأغناها، والمبادرة الرئيسية في هذه التجارة. كما تعتبر المدينة المسؤولة دون غيرها عن التوسع الفينيقي نحو الحوض المتوسطي، والوصية عن نشأة المستوطنات الفينيقية في الغرب. وقد أوضحت الباحثة الاسبانية "ماريا اوخينيا أوبيت" (Maria Eugenia Aubet) هذه المسألة بشكل جلي في مؤلفها "صور والمستوطنات الفينيقية بالغرب" (Tiro y las colonias fenicias de Occidente)[3].

وأما الدراسات التي شملت تاريخ الفينيقيين وحضارتهم[4] منذ اهتمامات مستشرقي القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين[5]، فقد تميزت بتنوع في الانتماءات المعرفية[6]، وتباين في الاتجاهات الايديولوجية[7]، وبتعدد في اللغات التي كتبت بها، من لغة ألمانية وإيطالية وإسبانية وفرنسية وإنجليزية. غير أن الاطلاع على هذه الدراسات يعد ضروريا لكل مهتم بالتاريخ الفينيقي، لمعرفة المراحل التي قطعتها معالجة الظاهرة الفينيقية في

---

(1) وهي المنطقة التي كانت تنحصر قديما بين مركز "تل سوقاس" بسوريا شمالا، وبين "عكا" بفلسطين جنوبا.

(2) عصفور(محمد أبو المحاسن)، المدن الفينيقية، بيروت، دار النهضة العربية، 1981.

(3) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, Barcelona, Editorial Bellaterra, 1987 ; Idem, Ibid, Barcelona, 1994.

(4) من أهم المراجع التي قدمت صورة شاملة حول التاريخ الفينيقي وتاريخ توسعهم البحري، نذكر :
Moscati(S), L'épopée des Phéniciens, Paris, Fayard, 1971 ; H.Chihab(M) Parrot(A), et Moscati(S), Les Phéniciens, L'expansion phénicienne, Carthage, Paris, 1975 ; Baurain(C) et Bonnet(C), Les Phéniciens, Marins des trios continents, Paris, Armand Colin, 1992 ; Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, Barcelona, 1994 ; Harden(D), The Phoenicians on the West Coast of Africa, **Antiquity, XXII**, 1948 ; Whittaker(C.R), The Western Phoenicians : Colonisation and Assimilation, in **Proceedings of the Cambridge Philological Society 200** (1974) ; Bunnens(G), L'expansion phénicienne en Méditerranée (Essai d'interprétation fondé sur une analyse des traditions littéraires), Institut historique belge de Rome, t. XVII, 1979 ; Contenau(G), La civilisation phénicienne, Paris, Payot, 1926 ; Moscati(S) et Napoli(M), Phéniciens et Grecs en Méditerranée, Editions Atlas, Paris, 1978 ; Gras(M), Rouillard(P), Teixidor(J), L'univers phénicien, Paris, Arthaud, 1989 ; Dussaud(R), L'art phénicien du II^{e} millénaire, Paris, Librairie orientale Paul Geuthner, 1949.

(5) Movers(K), Die Phönizier, Berlin, 1849-1856 ; Beloch(K.J), Griechische Geschichte, Strasbourg, 1913 ; Berard(V), Les Phéniciens et l'Odyssée, 2 vol, Paris, 1902-1903.

(6) إذا كان معظم المهتمين بالقضية الفينيقية ينتمون الى المدرسة الاركيولوجية، فهناك من كان ينتمي الى المدرسة الفيلولوجية، الذين تعرفوا على الحضارة الفينيقية من خلال الكتاب المقدس أو من خلال الايستوريوغرافية الاغريقية-الرومانية. كما نضيف صنف الباحثين المنتمين الى المدرسة التاريخية.

(7) وقد تمثل ذلك بين متعاطف مع الدور الحضاري للفينيقيين (phénicomanie) وبين مستخف بهذا الدور (phénicophobie). انظر :
Gras(M), Rouillard(P), Teixidor(J), L'univers phénicien, Paris, Arthaud, 1989, p. 13.

الحوض المتوسطي، والاسهامات التي قدّمتها التقنيات الاركيولوجية في الكشف عن مخلفات الفينيقيين، من ساحل لبنان الى السواحل الاطلنطية للمغرب وإسبانيا والبرتغال[8]. والحالة هذه، أن الاركيولوجيا الفينيقية عرفت بعد السبعينات من القرن العشرين تطورا ملحوظا واهتماما متزايدا، تجسد في المؤتمرات الدولية التي أصبحت تنعقد بشكل شبه منتظم منذ المؤتمر الدولي الاول حول الدراسات الفينيقية والبونيقية المنعقد بروما سنة 1979[9]، والمؤتمر الثاني المنعقد في نفس المدينة سنة 1987[10]، والمؤتمر الثالث المنعقد في تونس سنة 1991[11]، والمؤتمر الرابع المنعقد في قادس سنة 1995[12]. وقد يسّرت هذه اللقاءات للمهتم بالتاريخ الفينيقي مادة علمية غنية ووافرة ومتنوعة، تقتضي الاطلاع عليها لمتابعة المستجدات التي تحصل بوتيرة سريعة في مجال الدراسات الفينيقية.

وإذا كانت السِّمة البيّنة لتاريخ الفينيقيين هو توسعهم البحري، فإن أهم نتيجة تمخضت عن هذا التوسع، تمثلت في ربط علاقات تجارية مع العديد من الشعوب المتوسطية، بما فيهم السكان القدامى للمغرب. ومن بين أهم الجهات المغربية التي اكتُشفت بها لحد الآن مخلفات الفينيقيين، والتي درستها في بحث خاص، نذكر منطقة فحص طنجة، التي كشفت النقاب عن حالة فريدة من نوعها حول طبيعة الوجود الفينيقي بالمغرب، ونوعية العلاقات التي جمعت السكان المحليين بالتجار الفينيقيين[13]. كما نذكر مدينة شالة، التي يعود الفضل في طرح مسألة جذورها الفينيقية الى "جان بوب" (Jean Boube)[14]، وجزيرة الصويرة، التي ارتبطت مخلفاتها الفينيقية "بأندري جودان" (A. Jodin)[15]. كما نضيف بعض الجهات التي كشفت مؤخرا عن آثار

---

(8) Mayet(F), Tavares Da Silva(C), Le site phénicien d'Abul (Portugal). Comptoir et sanctuaire, Paris, De Boccard, 2000.

(9) Atti del I Congresso Internazionale di Studi Fenici e Punici, Rome, 1983.

(10) Atti del II Congresso internazionale di Studi Fenici e Punici, Roma, 1991.

(11) Actes du IIIè congrès international des études phéniciennes et puniques (Tunis, 11 - 16 Novembre 1991), Institut national du patrimoine, volume I, Tunis, 1995.

وأشير بأنني شاركت في هذا الملتقى بمداخلة حول هوية مدافن ناحية طنجة خلال المرحلة الفينيقية، عنوانها :

El Azifi(M.R), Les nécropoles de la région de Tanger sont - elles phéniciennes ? Actes du **IIIè congrès international des études phéniciennes et puniques** op. cit, volume I, Tunis, 1995, p. 401-414.

(12) Actas del IV congreso internacional de Estudios fenicios y púnicos, Cádiz, 2000.

(13) العزيفي (محمد رضوان)، الفينيقيون بفحص طنجة وعلاقاتهم بالسكان "من خلال مقابر ناحية طنجة ومحتوياتها المؤرخة ما بين القرن السابع قبل الميلاد وأواسط القرن-السادس قبل الميلاد"، رسالة مرقونة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ القديم، يونيو 1988، مكتبة كلية الآداب/ظهر المهراز، فاس(جزآن). وانظر أيضا تقريرا حول الرسالة نفسها نشر بمجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، العدد الحادي عشر،1990، ص.195-210. كما نشر الى تقرير آخر معدل بعض الشيئ حول الموضوع نفسه في مجلة الدراسات الفينيقية البونية والآثار اللوبية (R.E.P.P.A.L)، العدد السادس، مركز الحضارة الفينيقية البونية وآثار اللوبيين، المعهد القومي للآثار والفنون، تونس، 1991، ص.1-18.

(14) Boube(J), Les origines phéniciennes de Sala de Maurétanie, **Bulletin archéologique du C.T.H.S, n° 17,** Année 1981, Fasc. B, 1984, p. 155-170.

(15) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, **Etudes et travaux d'archéologie marocaine,** vol.II, Tanger, 1966 ; Idem, Note préliminaire sur l'établissement pré-romain de Mogador, **B.A.M,** t. II, 1957.

وانظر كذلك :

العزيفي (محمد رضوان)، الفينيقيون في جزيرة الصويرة، أعمال الايام الدراسية حول "الصويرة الذاكرة وبصمات الحاضر" (26-27-28 اكتوبر 1990)، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية اكادير، سلسلة الندوات والايام الدراسية، رقم 3، 1994.

فينيقية[16]، من بينها منطقة "كشكوش" بوادي لاو، بفضل أعمال "يوسف بوكبوط" و"خورخي أونروبيا-بينطادو" (Jorge Onrubia-Pintado)[17]، ومنطقة "عزيب السلاوي" بناحية القصر الكبير[18]، ومنطقة سيدي ادريس بالقرب من الناظور[19].

غير أن ليكسوس، تعد بحق أهم مركز مغربي يرتبط في الايستوريوغرافيا القديمة والحديثة ارتباطا وثيقا بالتوسع الفينيقي بصفة عامة، وبالوجود الفينيقي بالمغرب بصفة خاصة. ومع ذلك، فإن هذا الارتباط يقابله فراغ بيبليوغرافي كبير، يتميز بانعدام وجود دراسة منوغرافية متكاملة وجامعة لكل المعطيات المتوفرة حول المرحلة الفينيقية بالمركز. ونظرا للتقدم الذي تم إنجازه خلال السنوات العشر الاخيرة في الدراسات والابحاث الفينيقية، خصوصا تلك التي همت ليكسوس نفسها[20]، فإن الفرصة أضحت سانحة أكثر من أي وقت مضى لوضع المركز في موقعه المناسب ضمن الدراسات الفينيقية، بعد التهميش الذي لحقه منذ حوالي أربعة عقود خلت. وفي هذا الصدد، يجدر التذكير بأن بداية الاهتمام الفعلي بمركز ليكسوس كموقع أثري انطلقت منذ المائدة المستديرة الوطنية حول ليكسوس، المنظمة بالعرائش عام 1988، والتي لم تنشر أعمالها، ومنذ الملتقى الدولي الأول حول نفس المركز المنظم بنفس المدينة عام 1989. وهو الملتقى الذي جمع لاول مرة أكبر عدد من المهتمين بالمرحلة الفينيقية بليكسوس، والذين قدموا مجموعة من الاسهامات الجديدة، وطرحوا مجموعة من القضايا والفرضيات حول هذه المرحلة[21]. من هذه المواضيع، نورد إسهام "جيهان ديزانج" (J.

---

[16] تقدم "كرمين أرانيكي" (C. Aranegui) فكرة حول تطور الاركيولوجية الفينيقية بالمغرب. انظر :

Aranegui(C), Presentación, Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, **Saguntum Extra 4**, 2001, p. 3.

[17] Bokbot(Y) et Onrubia-Pintado(J), Substrat autochtone et colonisation phénicienne au Maroc, dans : **L'Afrique du Nord antique et médiévale. VIè Colloque international sur l'histoire et l'archéologie de l'Afrique du Nord** (Pau, 1993), Productions et exportations africaines-Actualités archéologiques, Paris, 1995.

[18] نشرت المعلومات الاولى حول الكشف عن مقبرة فينيقية-بونيقية بمنطقة عزيب السلاوي، التي تبعد عن مدينة القصر الكبير بحوالي 55 كلمتر في الاتجاه الشمالي الغربي، في الجريدتين التاليتين :

- جريدة الشرق الاوسط ليوم الثلاثاء 8 يونيو 1999
- Le Matin du Lundi 7 juin 1999, p. 12

[19] انظر المقالة المنشورة في جريدة "الاتحاد الاشتراكي" ليوم الابعاء 3 أكتوبر 2001، ص. 16، تحت عنوان : **"اكتشاف أثري يفتح آفاقا جديدة للتواجد الفينيقي بالمغرب"**.

[20] عقب المؤتمر الدولي الاول حول ليكسوس المنعقد بمدينة العرائش عام 1989، أبدت البعثة الاركيولوجية المغربية-الاسبانية اهتماما كبيرا بالمرحلة الفينيقية بليكسوس، تجسد ابتداء من عام 1992 بقراءات جديدة للكسرات الخزفية الفينيقية التي اكتشفها "ميكيل طراديل" (M. Tarradell) والمحفوظة في المتحف الاركيولوجي بتطوان، وأيضا بالقيام بتنقيبات جديدة خلال عام 1995 في استبار الخروب، وخلال عام 1999 في استبار الخروب كذلك، وفي استبار "الزيتونة". انظر :

Belén(M), Escacena(J.L), López Roa(C), Rodero(A), Fenicios en el Atlántico. Excavaciones españolas en Lixus : Los conjuntos "C. Montalbán" y "cata basílica", **Homenaje a M. Fernández Miranda, Complutum extra 6, 1**, 1996, p. 339-357 ; Belèn(M), Escacena(J.L.), Rodero(A), López Roa(C), Materiales de época fenicia de las excavaciones de Tarradell conservados en el museo de Tetuón, op. cit ; **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4**, 2001.

[21] **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), Collection de l'Ecole française de Rome, n° 166, Palais Farnèse, 1992,

(Desanges) في الجانب الفيلولوجي المتعلق بالمصادر الادبية الاغريقية واللاتينية المتعلقة بليكسوس[22]، وإسهام "كرمين أرانيكي وآخرين" (C. Aranegui y otros) في الجانب الايستوريوغرافي المتعلق بحصيلة البحث الاركيولوجي الاسباني بليكسوس[23]. كما نورد كذلك فرضية "يوسف بوكبوط" و"خورخي أونروبيا-بينطادو" (Jorge Onrubia-Pintado) حول الكيان ما قبل-الفينيقي بليكسوس[24]، وإسهام كل من "ميشيل كرا" (M. Gras) و"هانس نييميير" (H. Niemeyer) و"فيرناندو لوبيز باردو" (Fernando Lopez Pardo) في مسألة تأسيس ليكسوس وعلاقته بمعبد ملقارت[25]. ومن المواضيع التي عرفت حضورا بارزا في هذا الملتقى، نشير الى موضوع الديانة الفينيقية بليكسوس، الذي تجلى من خلال مساهمة "أنّا ماريا فاسكيس أويس" (Ana Maria Vasquez Hoys) حول مكانة ليكسوس ضمن المجال الديني الفينيقي بالغرب[26]، ومساهمة "محمد فنطر" حول الديانة الفينيقية والبونيقية بليكسوس من خلال الشواهد الاركيولوجية والايبيغرافية[27]، ومساهمة "كورين بونيط" (C. Bonnet) حول معبودات ليكسوس[28]، ومساهمة "صيرجيو ريبيشيني" (Sergio Ribichini) حول هرقل في ليكسوس وحدائق الهيسبيريديس[29]. علاوة على ذلك، نضيف بعض الاسهامات الجديدة في مجال الخزف الفينيقي، مثل مساهمة محمد حبيبي حول الخزف ذي

(22) Desanges(J), Lixos dans les sources littéraires grecques et latines, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), op. cit, p. 1-6.

(23) Aranegui(C), Belén(M), Fernández Miranda(M), Hernández(E), La recherche archéologique éspagnole à Lixus : Bilan et perspectives, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), op. cit, p. 7-15.

(24) Bokbot(Y) et Onrubia-Pintado(J), La basse vallée de l'oued Loukkos à la fin des temps préhistoriques, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), op. cit, p. 17-26.

(25) Gras(M), La mémoire de Lixus -De la fondation de Lixus aux premiers rapports entre Grecs et Phéniciens en Afrique du Nord, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), op. cit, p. 27-44 ; Niemeyer(H.G), Lixus : Fondation de la première expansion phénicienne, vue de Carthage, op, cit, p. 45 - 57 ; Lopez Pardo(F), Reflexiones sobre el origen de Lixus y su Delubrum Herculis en el contexto de la empresa comercial fenicia, op. cit, p. 85-101.

(26) Vazquez Hoys(A.M), Lixus en el panorama religioso fenicio de occidente, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), op. cit, p. 103-113.

(27) Fantar(Mh), La religion phénicienne et punique de Lixus : témoignages de l'archéologie et de l'épigraphie, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), op. cit, p. 115-121.

(28) Bonnet(C), Les divinités de Lixus, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), op. cit, p. 123-129.

(29) Ribichini(S), Hercule à Lixus et le gardin des Hespérides, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), op. cit, p. 131-136.

البرنيق الاحمر بليكسوس[30]، ومقارنة "كيرطا ماس-ليندمان" (Gerta Maass- Lindemann) للخزف الفينيقي بليكسوس بمثيله المكتشف في إسبانيا[31].

غير أن هذه الاسهامات جميعها ظلت على شكل حصيلة لدراسات سابقة، أو قراءات جديدة لمعطيات معروفة من قبل، الى أن حلت سنة 2001، التي تعتبر طلعة خير بالنسبة للجانب الإيستوريوغرافي لليكسوس، بعد نشر نتائج الحفائر الجديدة التي أنجزتها البعثة الاركيولوجية المغربية-الاسبانية في المدينة. وقد توجت المجهودات المبذولة في هذه الحفائر التي شملت ليكسوس خلال عامي 1995 و1999، بإصدار باللغة الاسبانية تحت الادارة العلمية "لكرمين أرانيكي" (C. Aranegui)، ينعت لاول مرة ليكسوس بالمستوطنة الفينيقية (Lixus, colonia fenicia)[32]. وتضاف هذه النشرة لمآت النشرات الاخرى الصادرة باللغة الاسبانية التي شملت ليكسوس بشكل أو بآخر، والتي تُبيّن أنه لا مناص من معرفة هذه اللغة لدراسة تاريخ المغرب الخاضع سابقا للحماية الاسبانية.

من هنا، تشير المعطيات المتوفرة حاليا، الى أن ليكسوس كانت لها مكانتها ضمن المنشآت الفينيقية الكثيرة التي بدأت تفرزها الحفائر الاركيولوجية يوما بعد يوم. كما تمكّن المعلومات المتاحة، من تبرير أهمية الموضوع محل الدراسة، والاقدام على وضع الخطوط العريضة لتاريخ ليكسوس خلال المرحلة الفينيقية بدون أي ارتياب. وذلك بغية ملء الفراغ الذي يعاني منه المغرب في هذه الحقبة من تاريخه، وتقديم دراسة تعد الاولى من نوعها باللغة العربية. هذا بالرغم من أن البحث في العصر الفينيقي بليكسوس تعتريه صعوبة منهجية، لأن التنقيبات الاركيولوجية التي كشفت عن آثار فينيقية، تعد ضئيلة جدا قياسا باتساع رقعة المركز[33]. لذا فإن الغاية المنشودة من هذه الدراسة، لا تسعى الى عرض الصورة الكاملة التي كانت عليها ليكسوس في عهدها الاول، بقدر ما تهدف الى تقديم حصيلة ما توصل إليه البحث الاثري والتأويل المصدري المتعلق بهذه المرحلة بالذات.

وبعد أن كان الانطباع بأن الاحاطة بليكسوس كمستوطنة فينيقية لن تتطلب مجهودا مضنيا، تبيّن على العكس من ذلك أن المادة المصدرية المتوفرة، سواء المباشرة منها أو غير المباشرة، تفوق بكثير ما يمكن تصوره. وتجدر الاشارة في هذا الصدد الى أن دراسة ليكسوس تحتاج الى مقارنات عديدة مع غيرها من المنشآت الفينيقية، خصوصا تلك التي عرفتها إسبانيا. ومن تم فلا مناص من الاطلاع على الاعمال التي

---

(30) Habibi(M), La céramique à engobe rouge phénicien de Lixus, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), op. cit, p. 145-153.

(31) Maass-Lindemann(G), A comparison of the phoenician pottery of Lixus with the west phoenician pottery of Spain, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), op. cit, p. 175-180.

(32) **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4**, 2001.

(33) من الاكيد أن الإسهام في كتابة تاريخ ليكسوس لايمثل سوى قسطا ضئيلا عن التاريخ الحقيقي للمركز، إذا علمنا مثلا أن أطلال ليكسوس استعملت في تشييد ميناء العرائش، بنفس الشكل الذي مثلته أطلال وليلي في تشييد مدينة مكناس، وأن العديد من اللقى الاثرية أرسلت الى متحف اللوفر بفرنسا. انظر :

Aranegui(C), Tarradell-Font(N), Lixus colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Apuntes para una Historia de la investigación arqueolágica, op. cit, **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4**, 2001, p. 17.

نشرها المؤلفون الاسبان والالمان في هذا الباب[34]، والتي تم جمعها في مؤلّف من جزأين تحت عنوان Los Fenicios en la Peninsula ibérica، يعد من أهم ما يمكن الاستناد إليه في المقارنات التي تهم المرحلة الفينيقية بليكسوس[35]. من بين هذه المنشآت التي خلفت مواد أركيولوجية شبيهة بتلك التي تم العثور عليها في ليكسوس، نشير الى مركزي "صيرّو ديل فيار" (Cerro del Villar)[36]، و"شوريّراس" (Chorreras)[37]، اللذيْن ارتبطا باسم عالمة الآثار "ماريا إوخينيا أوبيت" (Maria Eugenia Aubet). كما نشير الى مركز "إيل مورّو دي ميسكيتيا" (El Morro de Mezquitilla)، الذي ارتبط بعالم الآثار الالماني "هيرمانفريد شوبارت" (H. Schubart)[38]، ومركز "لوس طوسكانوس" (Los Toscanos)، الذي ارتبط بعالم الآثار الالماني "هانس نييميير" (H. Niemeyer)[39]. ناهيك عن مركز "ألمونييكار" (Almuñécar)، الذي ارتبط منذ الستينات من القرن العشرين باسم "بيسير كاطالان" (M. Pellicer Catalan)[40]، ومنذ الثمانينات باسم "مولينا فاخاردو" (F. Molina Fajardo)[41]. كما ننكّر بالدور الذي لعبه مركز "كاستيبو دي دونيا بلانكا"

---

(34) نشير في هذا الصدد أن علماء الآثار الالمان كانوا من الرواد الاوائل الذين يعود إليهم الفضل في تحريك ملف الوجود الفينيقي بإسبانيا. وفي هذا الباب نذكر بالدور الطلائعي الذي لعبه "المعهد الالماني بمدريد"، الذي ارتبط بمجموعة من الباحثين الالمان نذكر منهم "هيرمانفريد شوبارت" (H. Schubart)، و"هانس نييميير" (H. Niemeyer)، و"كيرطا ماس-ليندمان" (Gerta Maass-Lindemann).

(35) Aubet(M.E) y Del Olmo Lete(G), **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, Sabadell, Editorial Ausa, 1986.

(36) Aubet(M.E), Notas sobre las colonias del sur de España y su foncíon en el marco territorial : El ejemplo del Cerro del Villar (Malaga), **Atti del II Congresso internazionale di studiu Fenici e Punici, Roma 1987**, Vol. II, Roma, 1991, p. 617-626 ; Aubet(Ma. E), Cerro del Villar-I. El asentamiento fenicio en la desembocadura del rıo Guadalhorce y su interacción con el hinterland, Sevilla, 1999.

(37) Aubet(Ma. E), Maass-Lindemann(G), Schubart(H), Chorreras, un establecimiento fenicio al E. de la desembocadura del Algorrobo, **Noticiario Arqueologico Hispánico 6**, 1979 ; Aubet(Ma. E), Excavaciones en Las Chorreras (Mezquetilla, Málaga), **Pyrenae 10**, 1974.

(38) Schubart(H), El Asentamiento fenicio del s. VIII a. C. en El Morro de Mezquitilla (Algarrobo, Malaga), dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, op. cit ; Idem, Morro de Mezquitilla, Informe preliminar sobre la campaña de excavaciones 1976, **Noticiario Arqueologico Hispánico 6**, 1979 ; Idem, Excavaciones en El Morro de Mezquitilla, 1976, dans **Ampurias 38-40**, Barcelona, 1976-1978, p. 559 - 566 ; Idem, Morro de Mezquitilla. Informe preliminar sobre la campaña de excavaciones de 1981 en El Morro de Mezquitilla cerca de la desembocadura del río Algarrobo, **Noticiario arqueolágico Hispánico**, n° 19, 1984, p. 87-101.

(39) Niemeyer(H), El yacimiento fenicio de Toscanos. Urbanistica y función, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, t. I, Sabadell, Editorial Ausa, 1986 ; Niemeyer(H.G) - Schubart(H), Toscanos, Die altpunische Factorei an der Mündung des Rio de Velez (Madrider Forschungen 6, I), Berlin, 1969 ; Niemeyer(H.G) y Schubart(H), La factoria palopúnica de Toscanos, **Tartessos, V Symposium de prhistoria peninsular**, (Jerez, 1968) ; Niemeyer(H.G) y Schubart(H), Toscanos, Berlin, 1969.

(40) Pellicer Catalán(M), Sexi fenicia y púnica, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, Sabadell, Editorial Ausa, 1986, p. 85-107 ; Idem, Excavaciones en la necropolis punica "Laurita" del Cerro de San Cristobal (Almuñécar, Granada), Excavaciones Arqueologicas en España (Madrid, 1962).

(41) Molina Fajardo(F) y Otros, Almuñécar. Arqueología e Historia, Granada, 1983 ; Molina Fajardo(F), Almuñécar a la luz de los nuevos hallazgos fenicios, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, vol. I, Sabadell, Editorial Ausa, 1986.

المرتبط بالباحث الاسباني "دييكو رويز ماطا" (Diego Ruiz Mata)– – (Castillo de Dona Blanca)
في توثيق العديد من المواد الخزفية الفينيقية المكتشفة بليكسوس[42].

وبالطبع، علاوة على الكم الهائل من هذه الاصدارات، لاينكر منكر أن كل مهتم بدراسة المرحلة الفينيقية بليكسوس، يتوجب عليه الاطلاع على ما أورده "ميكيل طراديل" (MiguelTarradell) في مؤلفه الشهير "المغرب البونيقي" (Marruecos púnico)[43]، و"ميشيل بونسيك" (Michell Ponsich) في كتابه "ليكسوس حي المعابد" (Lixus, Le quartier des temples)[44]. غير أن المستجدات التي حصلت في الدراسات الفينيقية، كانت تتطلب وضع استنتاجات المؤلِّفيْن الاسباني والفرنسي في إطارها الصحيح، خصوصا بعد نشر أعمال الحفائر الجديدة التي تمت في استبار الخروب واستبار الزيتونة بليكسوس. الامر الذي أضحى يوفر مادة علمية كافية لدراسة موضوع « **ليكسوس، مستوطنة فينيقية بالساحل الاطلنطي للمغرب** »، ويمكّن من الاستشهادات المطلوبة والمقارنات اللازمة التي يتطلبها المنهج العلمي المتبع في الاستقراء التاريخي. فما هي مراحل البحث التي تم تسطيرها في هذا الموضوع؟

من خلال دراسة عميقة للمصادر القديمة، بالتمييز بين المصادر البونيقية الاصل (رحلة حنون)، والمصادر الاغريقية (هيكاتيوس الميليتي–الرحلة المنسوبة الى سكيلاكس–رحلة بولبيبوس–استرابون)، والمصادر اللاتينية (بلينيوس)، يبدو أن ليكسوس مثلت أهم منشأة قديمة بالمغرب تتميز بحضور واضح في ذاكرة المؤلفين القدامى. ولا يمكن تبرير ذلك إلا بأهمية ماضيها العريق، ومكانتها الاستراتيجية والاقتصادية كمنشأة فينيقية على الساحل الاطلنطي للمغرب. وفي هذا الباب توفرتُ على الاستشهادات والاستدلالات التي أراها كافية لتخصيص الجزء الاول من هذا العمل للبحث عن الجذور الفينيقية لليكسوس من خلال هذه المصادر. هذا مع الاخذ بعين الاعتبار أن المعلومات الواردة لدى جل المصادر المعتمدة لدراسة الوجود الفينيقي بالمغرب أمثال هيرودوت وحنون و"سكيلاكس" (Scylax) وغيرهم، تخضع لتأويل المؤلفين المحدثين. وهذا التأويل تتحكم فيه طبعا مجموعة من الاعتبارات، قد تكون إديولوجية أحيانا وإيستوغرافية أحيانا أخرى. كما تخضع هذه الاعتبارات للتطور المعرفي المرتبط بالموضوع المراد تفسيره، سواء تعلق الامر بالمجال المصدري أو الاكيولوجي، ولنوعية الاتجاه والتكوين الذي يميز كل مؤلف على حدة[45].

---

(42) Ruiz Mata(D), Las ceramicas fenicias del Castillo de Doña Blanca, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, Sabadell, Editorial Ausa, 1986 ; Ruiz Mata(D), Pérez(C), El poblado fenicio del Castillo de Doña Blanca, Puerto de Santa María (Cádiz), Puerto de Santa María, 1995 ; Ruiz Mata(D), La fundación de Gadir y el Castillo de Doña Blanca : contrastación textual y arqueológica, **Complutum 10**, p. 279-317.

(43) Tarradell(M), Marruecos púnico, Publicaciones de la Facultad de Letras (Universidad de Rabat) Instituto Mulay El Hasan, Editorial Cremades, Tetùan, 1960.

(44) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, **Etudes et Travaux d'Archéologie marocaine**, t. IX, Rabat, 1981.

(45) في تحديد موقع جزيرة قرنة عند "سكيلاكس" (Scylax) مثلا، يُلمس في التأويل الذي يعتمده "جيهان ديزانج" (J.Desanges)، اتجاه المتخصص الفيلولوجي، الذي يبرز البعد المجازي والميثولوجي للنص. فالاشارة الى الوحل والطحالب التي حالت دون متابعة الرحلة، ترمز لدى هذا المؤلف الى النهاية المعرفية للمناطق التي تعرّف عليها الفكر الاغريقي إذاك. بينما نجد أن "روني روبيفا" (R.Rebuffat) كان براكماتيا لما استنتج من نفس الاشارة، أن الامر يتعلق نصا بالوحل والطحالب التي تميز بيئة النهر أو المستنقع، وأن تعذر متابعة الرحلة يعود بالفعل الى وجود قلة في عمق النهر. انظر :

Desanges(J), Recherches sur l'activité des Méditérranéens aux confins de l'Afrique, Ecole française de Rome, Palais Farnèse, 1978, p. 116 ; Rebuffat(R), Recherches sur le bassin du Sebou II : Le périple d'Hannon, **B.A.M**, t. XVI, 1985-1986, p. 257-284.

أما فيما يتعلق بدراسة مخلفات الفينيقيين بليكسوس التي تم تسطيرها في الجزء الثاني من هذا العمل، وبعد القيام بمسح أولي لهذه المخلفات استنادا لنتائج الحفريات التي قام بها "ميكيل طراديل" و"ميشيل بونسيك"، اتّضح أن هذه المخلفات تحتاج الى التصنيف والى تحديد أنواعها وأشكالها وإعادة التأريخ لها، نظرا لتغيّب ذلك في إصدارات المؤلّفيْن السالفين.

صحيح أن الفضل يعود الى "ميكيل طراديل" في الكشف عن القسط الاوفر من المخلفات الفينيقية بليكسوس، المتمثلة بالخصوص في المنتوج الخزفي. لكن إصداراته العديدة التي نشرها حول المركز(46)، كانت تفتقر في عهده الى المقارنات اللازمة، والتحقيبات الدقيقة، بحكم ضآلة الابحاث الفينيقية التي كانت تُنجز إذاك في الساحة المتوسطية. كما أن منشوراته كان يعوزها التوثيق اللازم الذي تتميز به النشرات الآثارية الحالية، من وضع رسوم للمقاطع، وتحديد أشكال المواد المكتشفة وصورها، وإقامة بيانات إحصائية وجداول مفصلة. ومن ثم فإن قيمة اكتشافات "طراديل" لم تبرز إلا مع تطور الدراسات الفينيقية منذ السبعينات من القرن العشرين، وخصوصا منذ دراسة مواد ليكسوس المحفوظة في المتحف الاركيولوجي بتطوان منذ التسعينات من القرن العشرين على يد "ماريا بيلين وآخرون" (47). الامر الذي مكّن من وضع المخلفات الفينيقية بليكسوس في وضعها الصحيح، واعتبارها بالتالي من أهم وأقدم ما خلّفه المنتوج الفينيقي وخصوصا الخزفي منه، وبالتالي مضاهاته لأهم المخلفات الاخرى المكتشفة في أقدم المستوطنات الفينيقية، وخصوصا الاسبانية منها.

هذه المؤاخذات التي تُسجّل على "ميكيل طراديل"، لم يفلت منها كذلك "ميشيل بونسيك"، إذ يلاحظ عليه أنه لم يكن دقيقا في عرض المعثورات الفينيقية التي اكتشفها بدوره في ليكسوس. ففي مؤلفه "ليكسوس حي المعابد" Lixus, Le quartier des temples(48)، حيث تمت الاشارة الى كمية كبيرة من المعثورات الفينيقية، نلاحظ أن المؤلف وكأنه كان يتحاشى إعطاء التفاصيل حول مكتشفاته، إذ لم يبين أشكالها أحيانا، ولم يعط رسوما عن استباراته المتعددة التي قام بها في حي المعابد، ولم يقم بتصنيف دقيق لهذه المكتشفات. ويكفي

---

(46) من أهم الاصدارات التي نشرها "ميكيل طراديل" (M. Tarradell)، والتي تفيد بشكل أو بآخر حول المرحلة الفينيقية بليكسوس الى جانب مؤلفه Marruecos púnico، نذكر ما يلي :

Tarradell(M), El periplo de Hannon y los Lixitas, Mauritaña, 1950 ; Idem, Excavaciones en Lixus, FA, 7, 1952 ; Idem, Guía arqueológica del Marruecos español, Tétuan, 1953 ; Idem, Las excavaciones de Lixus y su aporatación a la cronología de los inícios de la expansión fenicio-púnia en occidente, "Crónica del IV Congreso internacional de ciencias prehistoricas y protohistoricas" (Madrid, 1954)", Zaragoza, 1956 ; Idem, Lixus. Historia de la ciudad. Guia de las ruinas y de la seccion de lixus del museo arqueologico de Tetuan, Tetuan, 1959 ; Idem, Notas acerca de la primera época de los Fenicios en Marruecos, **Tamuda, t. VI,** Simestre 1, Tetuan, 1958 ; Idem, Nuevos datos sobre la ceramica pre - romana de barniz rojo, **Hespéris-Tamuda, Vol. II,** Fasc. II, 1960.

(47) Belèn(M), Escacena(J.L), López Roa(C), Rodero(A), Fenicios en el Atlantico. Excavaciones españolas en Lixus : Los conjuntos "C. Montalban" y "cata basilica", **Homenaje a M. Fernandez Miranda, Complutum extra 6, 1,** 1996, p. 339-357 ; Belèn(M), Escacena(J.L.), Rodero(A), López Roa(C), Materiales de época fenicia de las excavaciones de Tarradell conservados en el museo de Tetuan, **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4,** 2001, p. 83-105.

(48) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, **Etudes et Travaux d'Archéologie marocaine**, t. IX, Rabat, 1981.

مقارنة إصدار "بونسيك" بما نشره مثلا "أندري جودان" (A.Jodin) حول جزيرة الصويرة[49] ليتبيّن الفرق، رغم محدودية أهمية المركز قياسا بليكسوس. فكان "جودان" مثلا يقوم بتصنيف دقيق لمعثوراته الخزفية، ولا يتهاون في العمل على تصويرها ورسمها والقيام بمقارنات مطولة حول المعثور، مما مكّن فيما بعد من إمكانية مقارنة خزف موكادور بما تم الكشف عنه في مراكز أخرى[50]. والحالة هذه، أن توفر مثل هذه الامكانية في القيام بالمقارنات المطلوبة، كان متعذرا في ليكسوس، أو منعدما أحيانا، خصوصا وأن "بونسيك" لم يقم بنشر أي مقطع استراتيغرافي يوضح فيه المعثور عند اكتشافه. وبذلك سلك الباحث الفرنسي من هذه الزاوية نفس الخط الذي سلكه قبله زميله "ميكيل طراديل"[51]. وقد انتبهت عالمة الآثار الالمانية "كيرطا ماس- ليندمان" الى هذا الواقع عند دراستها للخزف الفينيقي المكتشف في إسبانيا، ملاحظة مثلا في شأن الصحون ذات البرنيق الاحمر التي عرفتها ليكسوس، أنه لم يُنشَر منها سوى القليل، رغم الأعداد الكثيرة التي عثر عليها كل من "طراديل" و"بونسيك"[52]. وهذا ما أكد عليه حرفيا "ميشيل بونسيك" (M. Ponsich) عندما أورد ما يلي خلال تقديمه للمخلفات الفينيقية التي اكتشفها في ردم خزان معبد F : « ***نظرا لظروف نشرتنا، فإننا سوف لن نقدم سوى مجموعة مختارة لكل نوع من الانواع الخزفية*** »[53].

ووعيا بهذه المعوقات والصعوبات، وتبعا لنفس النهج الذي سلكه بعض الباحثين في إعادة دراسة بعض النماذج من الخزف الفينيقي المكـتشف بليكسوس، أمثال "كيرطا ماس- ليندمان" (G. Maass-Lindemann)[54]، ومحمد حبيبي[55]، و"ماريا بيلين وآخرون"[56]، حاولت أن أقوم بتصنيف دقيق لجميع الآثار الفينيقية المكتشفة في ليكسوس لحد الآن، وخصوصا الخزفية منها. ومن المعلوم في هذا الصدد أن العقبة الرئيسية التي تعترض الباحث عند دراسة الخزف الفينيقي عموما، وخزف ليكسوس خصوصا، هو انعدام مصنَّف جامع لانواع هذا الخزف وأشكاله[57]. وقد تطلب ذلك، علاوة على تقديم فصل حول تاريخ الاركيولوجيا الفينيقية بليكسوس، دراسة كل نوع على حدة من هذه المخلفات. فبعد دراسة الاصناف الخزفية، المتمثلة في الخزف الفينيقي ذي البرنيق الاحمر (الاباريق ذات القرص-الصحون-القناديل-الجفنات)،

---

(49) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit.

(50) من هذه المقارنات، نشير الى تلك التي قام بها "دييكو رويز ماطا" (Diego Ruiz Mata) في شأن التشابه الكبير بين الخزف الفينيقي المكتشف في موكادور وبين نفس الخزف الذي عثر عليه في مركز "كاستييو دي دونيا بلانكا" (Castillo de Doña Blanca). انظر :

Ruiz Mata(D), Las ceramicas fenicias del Castillo de Doña Blanca, op. cit.

(51) ومع ذلك، يمكن اعتبار أن المعلومات التي أفاد بها "ميشيل بونسيك" (M.Ponsich) حول الآثار الفينيقية بليكسوس، وخصوصا فيما يتعلق بعدد المعثورات الخزفية أو بعدد الرسوم واللوحات، كانت أوفر وأهم ممّا قدمه "ميكيل طراديل" (M. Tarradell).

(52) Maass-Lindemann (G), Vasos fenicios de los siglos VIII-VI en España. Su procedencia y posición dentro del mundo fenicio occidental, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, t. I, op. cit, p. 232.

(53) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 70.

في الواقع، تتطلب هذه الوضعية إعادة دراسة جميع الكسرات الخزفية الفينيقية التي تم إيداعها في مخازن المتاحف الموجودة في الرباط وطنجة وتطوان والعرائش، باستخراج جميع الكسرات وتصويرها وإعادة تصنيفها.

(54) Maass-Lindemann(G), A comparison of the phoenician pottery of Lixus with the west phoenician pottery of Spain, op. cit.

(55) Habibi(M), La céramique à engobe rouge phénicien de Lixus, op. cit.

(56) Belèn(M), Escacena(J.L), López Roa(C), Rodero(A), Fenicios en el Atlantico. Excavaciones españolas en Lixus : Los conjuntos "C. Montalbán" y "cata basílica", op. cit ; Idem, Materiales de época fenicia de las excavaciones de Tarradell conservados en el museo de Tetuán, op. cit.

(57) Gómez Bellard(C), **Céramique**, Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique, Brepols, 1992, p. 98.

والخزف المصبوغ، والخزف غير اللامع (الامفورات-الثلاثيات الارجل-قارورات العطر)، عملت على التعريف بالمخلفات غير الخزفية، كالمباني الفينيقية، والكتابات، وبعض مواد التجارة الفينيقية. وقد سلكتُ في دراسة هذه المخلفات المنهج المقارَن، والدراسة المرفلوجية المدعومة بالرسوم واللوحات، بغية وضع كل مادة في إطارها الكرونولوجي الصحيح. كما آثرت أن تتوج هذه الدراسة بوضع جداول تصنيفية لهذه المخلفات، تعد عصارة ما تم إنجازه في هذا العمل.

بعد ذلك، مكنتني دراسة المعطيات المصدرية والاركيولوجية من الخروج باستنتاجات تاريخية حول المرحلة الفينيقية بليكسوس في الجزء الثالث والاخير من هذا العمل. وهو الجزء الذي يعتبر الخلاصة المنشودة من هذه الدراسة، التي تحاول الاجابة عن مجموعة من التساؤلات تطرح نفسها في كل بحث منوغرافي، والتي تتمحور حول أربع قضايا كبرى :

القضية الاولى تتعلق بالهوية الحقيقية لليكسوس. ذلك أن الفرضيات العديدة التي طرحت منذ مدة حول مسألة ليكسوس المحلية، تقتضي دراسة هذه الاشكالية من جديد على ضوء مستجدات الابحاث الاركيولوجية، وخصوصا على ضوء الاسهامات الحديثة في موضوع الخزف المصنوع باليد. فقد أضحى هذا الخزف يعطي الكثير من المصداقية لرأي عالم الآثار الالماني "هيرمانفريد شوبارت" (H. Schubart)، الذي كان يعتبر أن جزءا مهما منه كان خزفا فينيقيا[58]. ولاشك أن هذا المعطى الجديد من شأنه الرد على الفرضيات القائلة بالكيان ماقبل-الفينيقي في ليكسوس، بحيث يتبين أن ليكسوس بزغت منذ تأسيسها منشأةً فينيقية بكل ما في الكلمة من معنى.

ولمعرفة هل كانت هذه المنشأة مستوطنة للاستقرار السكاني أو مستوطنة تجارية (أمبوريوم) أو محطة مؤقتة، يتوجب وضع ليكسوس في إطارها الفينيقي، والبحث عن مسببات وجودها انطلاقا من ميكانزمات التوسع الفينيقي ومساره. ولا يمكن أن يتأتى ذلك سوى من خلال دراسة طبيعة المنشآت التي أسسها الفينيقيون فيما وراء البحار، والتمييز بين النماذج المختلفة لهذه المنشآت، بغية الالمام بالبعد المؤسساتي والاستراتيجي لليكسوس، سواء في علاقتها مع صور "مدينتها الام" أو مع "توأمتها" قادس.

أما القضية الثانية التي تفرض نفسها عند محاولة كتابة تاريخ ليكسوس خلال المرحلة الفينيقية، فإنها تتعلق بالمجال الذي وجدت فيه ليكسوس وتعاملت معه، والذي كان من وراء تشييدها في تلك الجهة المعينة من الساحل الاطلنطي للمغرب. فكل متأمل لموقع ليكسوس فوق ربوة مرتفعة تشرف على مصب واد اللكوس، تتبادر الى ذهنه مجموعة من التساؤلات الموضوعية المتعلقة بطوبوغرافية المكان، نذكر من بينها : كيف كانت السفن الفينيقية تصل الى قدم ربوة تشمّيس ؟ هل كانت تقطع منعطفات النهر الحالية، أم كان الجزء الاسفل من الحوض على شكل تلك البحيرة الكبيرة الواردة في المصادر العربية للقرون الوسطى تحت اسم "أمسنا"[59] ؟ أين كان الموقع الفينيقي لليكسوس : هل عند ضفة الحوض المائي، أم في أعلى التل ؟

كما أن اختيار الفينيقيين لموقع ليكسوس لتشييد مستوطنة دائمة للاستقرار لا يمكن أن يتأتى إلا إذا توفرت مجموعة من الموارد المحلية للاستغلال الاقتصادي، سواء للاستهلاك المحلي الذي تتطلبه الجالية الفينيقية المستقرة، من موارد فلاحية وحيوانية وسمكية وغابوية، أو للتنشيط التجاري. وفي هذا الباب، تجد القضية

---

(58) Schubart(H), El Asentamiento fenicio del s. VIII a. C. en El Morro de Mezquitilla (Algarrobo, Malaga), dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, op. cit, p. 74-78.

(59) وردت هذه التسمية لدى "كتاب الاستبصار" ولدى الحميري. انظر :
كتاب الاستبصار في عجائب الامصار (مجهول)، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، الدار البيضاء، دار النشر المغربية، 1985، ص. 140 ؛ الحميري (محمد بن عبد المنعم)، الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق إحسان عباس، بيروت، مكتبة لبنان، 1984، ص. 141.

الثالثة المتعلقة بالاقتصاد مكانا لها ضمن التساؤلات التي يمكن طرحها. فهل تمكنت ليكسوس بحكم موقعها الاستراتيجي في الطريق الفينيقية لاكتشاف الجنوب من فتح سوق تجارية بالساحل الاطلنطي للمغرب، وتكريس البعد "الامبوريكي" لهذه المستوطنة ؟ إذا صح ذلك، فما هي المجالات المحتملة لتجارة ليكسوس، نظرا للامكانيات المعدنية والفلاحية والحيوانية التي كان يزخر بها المغرب القديم[60] ؟ ومن المعلوم في هذا الصدد، أن المصادر القديمة التي أوردت معلومات تخص الساحل الاطلنطي، تحدثت عن تجارة المعادن[61] وتجارة العاج والخمور والجلود[62].

وترتبط القضية الرابعة التي تفرض نفسها في هذه الدراسة، بالتساؤل حول تاريخ تأسيس ليكسوس، وارتباط هذا التأسيس بتشييد معبد ملقارت الذي أوردته المصادر القديمة على صيغة هيرقليس أو هرقل. فمن الامور التي اختلف في شأنها الباحثون، نخص بالذكر مسألة التأسيس، بين من يجعلها في القرن الثاني عشر قبل الميلاد، استنادا لما ورد في المصادر القديمة في موضوع تشييد أقدم المستوطنات الفينيقية بالغرب، وبين من يحددها في القرن الثامن قبل الميلاد اعتمادا على المعطيات الاركيولوجية المتوفرة، سواء في ليكسوس نفسها أو في سائر المنشآت الفينيقية. كما أثار ارتباط تأسيس ليكسوس بمعبد ملقارت نقاشا مستفيضا بين المحدثين، سواء فيما يتعلق بوجود المعبد أو عدمه بين التأكيد المصدري والاستنتاج الاركيولوجي، أو بموقعه المفترض إن داخل ليكسوس أو خارجها، أو بهوية هرقليس-ملقارت، أو بالمكانة الحقيقية لمعبد ملقارت في عملية توسع الفينيقيين وتشييد منشآتهم.

وقد ساهم المؤلّف الجديد الذي صدر حول ليكسوس عام 2001[63]، في الاجابة عن بعض هذه التساؤلات، وفي تدعيم الجزء الثالث من الاطروحة بمعطيات جديدة، بفضل توظيف مجموعة من العلوم الحديثة التي أصبحت تُعتمد لدراسة المجتمعات القديمة في علاقاتها بالمجال[64]. من هذه العلوم، نذكر علم "الكاربولوجيا" (carpologie) الذي تم اعتماده للاطلاع على الموارد الفلاحية التي تم استغلالها خلال المرحلة الفينيقية بليكسوس، وعلم الاركيولوجيا-الحيوانية (archéozoologie) للالمام بالموارد الحيوانية. كما تم توظيف علم الاسماك (Ichtyologie) وعلم الرّخويات (Malacologie) للتعرف على الموارد البحرية، وعلم "الأنطراكولوجيا" (anthracologie) للاحاطة بالموارد الغابوية. علاوة على ذلك، نستحضر بعض المستجدات الاخرى الواردة في هذا المؤلَّف، نذكر منها إسهام الباحث "كارمونا كونزاليس" (P.Carmona González) في دراسة وضعية مصب واد اللكوس خلال العصر الفينيقي[65]، وإسهام كل من "إيخناسيو باسكوال" (I. Pascual) و"خوصي لويس دي مادريا" (I. Pascual, J.L De Madaria) في الهندسة

---

[60] Besnier(M), Géographie ancienne du Maroc, Archives marocaines, t. I, n° III, Paris, 1904 ; Idem, La géographie économique du Maroc dans l'Antiquité, Archives marocaines, 1906.

[61] Hérodote, Histoire, IV, 196.

[62] Périple de Scylax, 112, ap. Desanges(J), Recherches sur l'activité des Méditerranéens aux confins de l'Afrique, op. cit, p. 412.

[63] Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, op. cit.

[64] Grau Almero(I.E), Pérez Jordá(G), Iborra Eres(Mª.P), Rodrigo García(Mª.J), Rodriguez Santana(C.G), Carrasco Porras(V.Mª.S), Gestión de Recursos y economía, op. cit, p. 191-230.

[65] Carmona González(P), El estuario del Oued Loukkos y la evolución reciente del litoral de Lixus (Marruecos), **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4**, 2001, p. 9-13.

المعمارية الفينيقية [66]. كما نذكر كذلك بالدراسة التي شملت المواد الفينيقية المكتشفة من لدن "ميكيل طراديل" (Miguell Tarradell)، والمحفوظة في المتحف الاركيولوجي بمدينة تطوان [67]. وبذلك يمكن اعتبار أن المادة العلمية التي كانت تنقص دراسة ليكسوس كمستوطنة فينيقية بالساحل الاطلنطي للمغرب، أضحت تستوفي المقتضيات المنهجية التي تتطلبها المحاولة التي ننوي من خلالها كتابة مرحلة من المراحل الغامضة لتاريخ المغرب القديم.

---

(66) Pascual(I), De Madaria(J.L), La Arquitectura, **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4**, 2001, p. 46, pl. 1.

(67) Belèn(M), Escacena(J.L.), Rodero(A), López Roa(C), Materiales de época fenicia de las excavaciones de Tarradell conservados en el museo de Tetuán, op. cit, p. 83 ss.

الجزء الأول

الجذور الفينيقية لليكسوس من خلال المصادر القديمة

مقدمة

إن البحث الاركيولوجي الذي شمل ليكسوس منذ أواسط القرن التاسع عشر، والذي كشف عن مدينة تعاقبت فيها معظم الحضارات التي مر بها المغرب منذ العهد الفينيقي إلى العصر الوسيط الإسلامي[1]، عمل على تحفيز الايستوريوغرافيا الحديثة للنبش في النصوص الادبية القديمة الاغريقية – اللاتينية وفي المصادر العربية، لمحاولة وضع المركز في إطاره التاريخي الصحيح. غير أن هذا التاريخ، مازال يكتنفه الكثير من الغموض، سواء فيما يخص المرحلة الفينيقية، أو المراحل المتأخرة قبل دخول الاسلام وبعده. وإذا كان هذا الغموض يشمل كذلك المراكز الاخرى التي عرفها المغرب القديم، فإن بعض هذه المراكز مثل جزيرة موكادور ومدافن ناحية طنجة، وخصوصا وليلي وسلا وبناصا، قد حظيت باهتمام المسؤولين عن الآثار بالمغرب بشكل أوفر مما شمل ليكسوس، بالرغم من شساعة المركز والظروف الملائمة للتنقيب فيه. هذا مع العلم أن الاشارات المصدرية حول تلك المراكز كانت أقل بكثير مما وصلنا عن ليكسوس.

غير أن الاشارات الواردة حول ليكسوس في المصادر الادبية القديمة، ليست بالقدر الوافر الذي يخطر على البال، كما يلاحظ ذلك "جيهان ديزانج" (Jehan Desanges)[2]، اعتبارا لقدم المدينة وصيتها. ومن المعلوم أن ليكسوس اشتهرت باعتبارها إحدى المنشآت الفينيقية الاولى بالمتوسط الغربي[3]، وبالامتياز الذي حظيت به عندما تم تحويلها الى مستعمرة رومانية ابتداء من عهد الامبراطور الروماني "كلاوديوس"[4].

أما فيما يخص حصة الاشارات المتعلقة بالمرحلة الفينيقية بليكسوس، وهو الموضوع الذي يهمنا، أو بالاحرى حصة الاشارات التي تشهد على وجود المركز كمنشأة فينيقية، فإنها تعتبر إشارات نادرة. ومع ذلك، فإن الابحاث المتوفرة حاليا في مجال الدراسات الفينيقية، والصبغة الاستيطانية التي أضحت تتأكد يوما بعد يوم لظاهرة التوسع الفينيقي[5]، تحثان على إمكانية القيام بقراءة جديدة في هذه النصوص. وذلك حتى نتمكن من إقامة مقاربة لواقع ليكسوس في سياق عملية التوسع الفينيقي، كمركز له مكانته بالساحل الاطلنطي للمغرب.

ومع أن حصة الاسطورة والخيال كانت واردة في إشارات المؤلفين القدامى التي استحضرت ماضي ليكسوس السابق لعصر الرومان، فإنها مع ذلك تعتبر في نفس أهمية حصة الحقيقة التاريخية[6]. فجميع المعطيات التي وصلتنا عن المدينة وعن النهر تستحق إثارة اهتمامنا، رغم أن الكثير من هذه المعطيات لا يمكن تفسيرها بشكل صحيح، إلا إذا تم دمجها في تنظيم المجال المتغير، الذي يعكس حسب "جيهان ديزانج"

---

(1) حول البقايا الاسلامية في ليكسوس، انظر :
Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, **Etudes et Travaux d'Archéologie marocaine**, t. IX, Rabat, 1981,p. 123-127 ; Aranegui(C), (Editora cientifica), **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico- mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4**, 2001, Cap. IX, p. 113-134.

(2) Desanges(J), Lixos dans les sources littéraires grecques et latines, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), Collection de l'Ecole française de Rome, **n°** 166, Palais Farnèse, 1992, p. 1.

(3) Bunnens(G), L'expansion phénicienne en Méditerranée (Essai d'interprétation fondé sur une analyse des traditions littéraires), Institut historique belge de Rome, t. XVII, 1979, p. 376-377.

(4) Pline, Histoire Naturelle, V, 2.

(5) تميزت ظاهرة الاستيطان الفينيقي بتأسيس مستوطنات تم تصميمها لتوزيع دوائر نفوذ تابعة لها، وفقا لتقسيم فينيقي دقيق لاستغلال المجال بالبحر الابيض المتوسط والمحيط الاطلنطي.

(6) Desanges(J), Lixos dans les sources littéraires grecques et latines, op. cit, p. 6.

(Jehan Desanges)[7] التقلبات والتشككات المرتبطة بالمعرفة في حواشي العالم المأهول، كما كان يتصوره القدامى.

ولا يمكن فهم هذه النصوص، ولا تقييم الدور الذي لعبته ليكسوس على الساحل الاطلنطي للمغرب، إلا إذا استحضرنا جميع الاشارات المصدرية التي تبين المكانة التي حظي بها نفس الساحل بالنسبة للوجود الفينيقي بالمغرب، مقارنة بما كان عليه الحال في الواجهة المتوسطية. وحيث أن الحفريات الاركيولوجية استطاعت أن تكشف عن مجموعة من المراكز الفينيقية مثل موكادور وسلا دون أن يكون لها أي ذكر في النصوص القديمة، فإن ليكسوس تعتبر في رأينا أهم هذه المراكز. فمن جهة، كان حضورها واردا في المصادر القديمة كمنشأة فينيقية بشكل أوفر من المراكز الاخرى، ومن جهة ثانية أثبت البحث الآثاري بها ــ رغم محدوديته ــ عن جميع العناصر الاركيولوجية الحاضرة في معظم المستوطنات التي أسسها الفينيقيون، سواء بالحوض المتوسطي أو بالسواحل الاطلنطية.

فكيف تجلت ليكسوس ولاح محيطها خلال المرحلة الفينيقية بالمغرب من خلال المصادر القديمة، بالتمييز بين المصادر البونيقية الاصل منها، وبين الاغريقية، وبين اللاتينية ؟

---

(7) Idem, Ibid, p. 6.

الفصل الاول
المصادر البونيقـية الأصل
رحـلة حـنون

احتفظت لنا الايستوريوغرافيا القديمة تحت اسم "رحلة حنون" (Périple d'Hannon) بترجمة إغريقية لنص بونيقي مندثر، على شكل رواية مختصرة حول رحلة استكشافية لقرطاجة فيما وراء عمودي هرقليس[1] تعود أحداثها الى القرن الخامس قبل الميلاد[2]. وسوف لن نقوم في هذا البحث بتحليل المعلومات الجغرافية والملاحية التي يفيدنا بها هذا النص برمته، ولا بالغوص في التأويلات الطوبونيمية واللغوية[3] التي يمكن الخروج بها لتحديد الأماكن الواردة فيه، بقدر ما سنركز دراستنا حول مسألة عدم إشارة النص الى ليكسوس، في الوقت الذي تم استحضار مجموعة من المستوطنات الفينيقية القديمة التي جاء حنون لاحيائها.

وبالفعل، من الملاحظ أن رحلة حنون لم تشر نصا الى مدينة ليكسوس، بل اقتصرت على ذكر نهر "ليكسوس" و"الليكسيين"، الذين تم وصفهم **"بالرجال الرحل"** الذين كانوا يرعون ماشيتهم على ضفاف النهر، انطلاقا من فهم قديم للنص تبناه العديد من المؤلفين المحدثين منذ مدة. من بين هؤلاء نخص بالذكر "جيهان ديزانج" (Jehan Desanges)، الذي كان متشبثا بهذا التصور عند طرحه للمسألة من جديد خلال الملتقى الدولي المنعقد حول ليكسوس بمدينة العرائش[4]. وقد استند في ذلك الى كون النص كان يقدم الليكسيين ضمن

---

(1) هناك من المؤلفين من كان يعتبر أن الهدف من رحلة حنون هو تنظيم استغلال الثروات السمكية التي كان يزخر بها الساحل الاطلنطي للمغرب والعمل على تصنيعها، وفق نفس الخطة التي وضعتها قرطاجة من وراء رحلة "حامي القرت" (Himilkon) في استغلال قصدير "جزر القصدير" (Cassitérides). انظر :

Garcia y Bellido(A), Fenicios y Carthagineses en occidente, Madrid, 1942, p. 185.

ويرى "ستيفان كسيل" (S. Gsell) في مقالته حول "الاستغلالات المنجمية القديمة في شمال إفريقيا" أنه من المحتمل أن تكون المستوطنات البحرية التي أسسها حنون، بمثابة موانئ لتصدير مناجم الجنوب المغربي. انظر :

Gsell(S), Vieilles exploitations minières dans l'Afrique du Nord, **Hespéris**, t. VIII, 1er trimestre, 1928, p. 3.

(2) يتحدد تاريخ الرحلة على العموم ما بين 500 قبل الميلاد و480 قبل الميلاد (المصطفى (مولاي رشيد)، حانون والمغرب، **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط**، العدد 10، 1984، ص. 11). أما تاريخ كتابة النص الاغريقي، فهو يتأرجح حسب المهتمين ما بين القرن الاول قبل الميلاد كحد أدنى، وبين القرن الخامس قبل الميلاد كحد أقصى. انظر :

Jacob(C), Géographie et ethnographie en Grèce ancienne, Paris, Armand Colin, 1991, p. 76.

غير أن "جيهان ديزانج" (Desanges(J يعتقد أن نص الرحلة لم يتم تأليفه قبل العصر الهيلينيستي. انظر :

Desanges(J), Lixos dans les sources littéraires grecques et latines, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), Collection de l'Ecole française de Rome, n° 166, Palais Farnèse, 1992, p. 3.

(3) حول الجانب اللغوي في رحلة حنون انظر :

Marcy(G), Notes linguistiques autour du périple d'Hannon, **Hespéris**, t.XX, fasc. I-II, 1935.

(4) Desanges(J), Lixos dans les sources littéraires grecques et latines, op. cit, p. 3.

الاقوام المحلية التي كانت تقطن المغرب القديم، مثل *الاثيوبيين الذين لا يرحبون بالغريب*"، و "*الطروكلوديت*" (Troglodytes) السريعي الجري[5].

غير أن عدم إشارة حنون الى مدينة ليكسوس، لا يعني أنها لم تكن موجودة. كما أن الاوصاف المرتبطة بالليكسيين، كما يقدمها النص، تعتبر بعيدة كل البعد عن خصائص الرحل. من هنا، كان من الضروري استحضار جميع فقرات ومقتطفات الرحلة المرتبطة بشكل أو بآخر بليكسوس، سواء عبر نهرها أو سكانها، أو عبر الاشارة الى مثيلاتها من المنشآت الفينيقية القديمة التي جاء "حنون" لإحيائها.

وفيما يلي الترجمة العربية لهذه الفقرات، نقلا عن ترجمة "جيهان ديزانج" (Jehan Desanges)[6] لمخطوط "هايدلبرغ" (Heidelberg) المكتوب باللغة الاغريقية[7]، مع إضافة بعض المقتطفات الاخرى، بغية وضع ليكسوس وسكانها في السياق العـــام للرحلة :

***1)* بدا مفيدا للقرطاجيين أن يبحر حنون خارج عمودي هرقليس وأن يأسس مدنا يقطنها الليبيون – الفينيقيون. فأبحر إذا مصاحبا معه ستين سفينة خمسينية المجاذيف، وحشدا من الرجال والنساء يقارب عددهم ثلاثين ألفا، وعددا من المؤن وكل ما يلزم من الامتعة.**

***2)* وبعد أن أبحرنا في عرض الاعمدة، وسافرنا بحرا بعد ذلك لمدة يومين، أسسنا مدينة سميناها "تيمياتيريون"، يوجد خلفها سهل كبير.**

***3)* بعد ذلك، وبعد أن توجهنا بحرا نحو الغرب، وصلنا الى سولوييس، وهو رأس بليبيا مكسو بالاشجار.**

***4)* وبعد أن أقمنا هناك معبدا لبوسيدون، أبحرنا في اتجاه مخالف صوب الشرق خلال نصف يوم، الى أن ولجنا بحيرة غير بعيدة عن البحر مكسوة بقصب كثير وطويل ؛ وكانت توجد هناك أعداد من الفيلة ومن الحيوانات المتوحشة الاخرى ترعى بأعداد كبيرة.**

***5)* وبعد أن تجاوزنا هذه البحيرة وأبحرنا لمدة يوم واحد، أسسنا (أحيـــينا) على البحر مدنا استيطانية تدعى الجدار القاري وكوطي وأكرا وميليطا وأرمبس.**

***6)* وبعد أن أقلعنا من هناك، وصلنا الى النهر الكبير ليكسوس، الذي ينساب من ليبيا. وعلى ضفافيه يقوم عدد من الرعاة وهم الليكسيون برعي مواشيهم. وقد مكثنا بعد الوقت مع هؤلاء الاقوام الذين صاروا من أصحابنا.**

***7)* ويقطن فوقهم الاثيوبيون الذين لا يرحبون بالغريب، على أرض مملوءة بالحيوانات المتوحشة، تقطعها جبال كبيرة، ينبع منها حسب ما يحكي الليكسوس. ويقال أيضا أن حول هذه الجبال يعيش أناس شكلهم مغاير، وهم الطروكلوديت ؛ ويزعم الليكسيون أنهم أسرع من الخيل في الجري.**

---

(5) ولترجيح هذا الرأي، استند "جيهان ديزانج" (Jehan Desanges) الى "هيرودوت" (Hérodote, IV, 174)، الذي تحدث كذلك عن شعب بشمال إفريقيا مجاور للنازامونيين (Nasamons) يدعى "الكامفازانت" (Gamphasantes)، كان يعيش مثل الاثيوبيين في أرض مليئة بالحيوانات المتوحشة، وكان يفر عند رأية البشر. انطلاقا من ذلك، استنتج "ديزانج" (Desanges) إمكانية القيام بمقاربة بين الكامفازانتيين والاثيوبيين وبين النازامونيين والليكسيين، اللذّين كانا يعيشان "تحتهم"، أي عند ساحل البحر بالشريط الساحلي المقابل لشريط الوحوش الضارة الموجود داخل الاراضي. انظر :

Desanges(J), Lixos dans les sources littéraires grecques et latines, op. cit, p. 3.

(6) قمت بهذه الترجمة مع بعض التصرف الذي يقتضيه الاسلوب العربي. انظر :

Desanges(J), Recherches sur l'activité des Méditérranéens aux confins de l'Afrique, op. cit, p. 392-396.

(7) وهو مخطوط يؤرخ بالقرن العاشر الميلادي، ويوجد محفوظا حاليا بمدينة "هايدلبرغ" الالمانية.

كانت تضم ثلاث جزر، ما هي في الواقع سوى إشارة الى المرجات الكبرى القليلة العمق التي ما زالت تتكون الى يومنا هذا في حوض سبو خلال السنوات المطيرة.

على ضوء ذلك، وانطلاقا من قراءة جديدة لنص الرحلة برمتها، واعتمادا على المعطيات الاركيولوجية المتوفرة حاليا، يمكن استنتاج أن النظريات التي كانت "تقود" حنون الى أعماق إفريقيا المدارية[14] أو الى جنوب الصحراء المغربية[15]، أصبحت نظريات متجاوزة. وهذا يجعلنا نعتقد أن معظم المراحل الملاحية للرحلة كانت تجري على خشبة الساحل الاطلنطي للمغرب عموما، وعلى جزئه الشمالي خصوصا[16]. ويمكن إسناد ذلك الى عنصر أغفلته الايستوريوغرافيا الحديثة، وهو ولوج مراكب حنون، والمراكب الفينيقية من قبل، الى مصبات الانهار الواسعة والبحيرات الساحلية الكبرى والمرجات النهرية العديدة التي كان يتوفر عليها شمال غرب المغرب ما بين رأس سبارتيل ووادي أبي رقراق[17]. ولا ريب أن هذا العامل هو الذي جعل حنون يعرج اتجاهه نحو الشرق عند إبحاره من شمال الساحل الاطلنطي المغربي الى جنوبه، ثم يعود من جديد الى المصب، بعد وصوله الى مؤخرة البحيرات و أواسط الانهار وربما أعاليها.

وكان لا بد من التذكير بهذه الحقائق المرتبطة بالمحيط المجاور لمنطقة ليكسوس، حتى نتمكن من إدراك مسألة عدم إشارة النص الى ليكسوس. وهذا أمر يدعو حقا الى الاستغراب، في الوقت الذي ذكر فيه حنون في الفقرة الخامسة من الرحلة، أنه قام بإحياء مجموعة من المستوطنات الفينيقية القديمة، أو من التجمعات السكانية المحلية التي كانت تتعامل مع الفينيقيين من قبل. فكيف يعقل أن يشير حنون الى خمسة من هذه المراكز دون أن يترك أي ذكر لليكسوس، التي تعتبر أهم منشأة فينيقية بالساحل الاطلنطي للمغرب وأقدمها ؟

I – إحياء حنون للمستوطنات الفينيقية على الساحل الاطلنطي :

بالفعل، يتضمن نص رحلة حنون إشارات توحي بوجود عدد من المستوطنات الفينيقية بشمال ليكسوس، أو مجموعة من المراكز المحلية التي اتجر معها الفينيقيون، كما أكدت على ذلك الابحاث الاركيولوجية

---

(14) يشير "ميكيل طراديل" (M: Tarradell) في مقالته "رحلة حنون والليكسيون" أن "حنون" وصل الى سواحل غينيا وسييرا ليوني. انظر :

Tarradell(M), El periplo de Hannon y los Lixitas, **Mauritaña**, 1950, p. 56.

بل يرى "كاركوبينو" أن حنون وصل الى وادي الذهب والسينيغال والكابون والكاميرون وخليج غينيا. انظر:

Carcopino(J), Le Maroc antique, op. cit, p. 152-155.

(15) انطلاقا من الاعتقاد السائد الذي كان يحدد جزيرة "قرنة" في وادي الذهب بالصحراء المغربية، ونظرا لتعذر المساحلة لولوج هذه الجزيرة بعد اجتياز رأس بوجدور، اعتبر بعض المؤلفين أن حنون عرج طريقه نحو جزر الكناري كمحطة ضرورية لبلوغ وادي الذهب. انظر :

De Jauregui(J.J), Las islas Canarias y la carrera de oro y la purpura en el periplo de Hannon, **I congreso arqueologico del Marruecos español,** (Tetuán, 22-26 junio 1953), Tetuán 1954, p.271-276.

(16) ومع ذلك، فإن "روني روبيفا" (René Rebuffat) في مقالته "أبحاث حول حوض سبو II : رحلة حنون"، يلمح الى أن الفقرات السادسة الاخيرة من الرحلة تتضمن أيضا حقائق عن الساحل الاطلنطي المغربي الجنوبي. ذلك أنه من الممكن أن نستشف من هذه الفقرات أيضا معلومات حول الاطلس الكبير الساحلي من رأس حديد الى رأس غير، الذي يوصف في الفقرة الثانية عشرة بأن جباله كانت مرتفعة ومكسوة بغابات طيبة الرائحة ومختلفة الالوان (غابات العرعار). انظر :

Rebuffat(R), Recherches sur le bassin du Sebou II : Le périple d'Hannon, op. cit, p. 266.

كما أن موقع "الخليج المترامي الاطراف الذي يوجد أمامه سهل من جهة البر" (الفقرة الثالثة عشرة) الذي لقيه حنون بعد عبوره بحرا لهذه الجبال يمكن تحديده في خليج أكادير وفي سهل سوس (Idem, Ibid, p. 266)، أو في سهل الشاوية-دكالة حسب "أنطونيو بلاسكيس" (Blazquez(A), Las costas de Marruecos en la antigüedad, op. cit, p. 485).

(17) سنعود الى هذه النقطة عند الحديث عن اختيار موقع ليكسوس وعلاقته بمصب واد اللوكوس، الذي كان خلال العصر الفينيقي على شكل بحيرة كبيرة أو ذراع بحرية واسعة. وعلى العموم، فإن معظم المراكز الفينيقية ومجمل المخلفات الاركيولوجية الفينيقية التي تم الكشف عنها لحد الساعة بالمغرب، توجد على ضفاف الانهار أو مصباتها أو على ضفاف البحيرات الكبرى. من هذه المنشآت، نذكر على سبيل الحصر مركز ليكسوس الموجود على الضفة اليمنى لواد اللكوس، ومركز شالة على الضفة اليسرى لواد أبي رقراق، والمقابر الفينيقية والمحلية بناحية طنجة التي شيدت على ضفاف البحيرات الكبرى التي كونها كل من واد بوخالف وواد المهرهر وواد الحشف.

بفحص طنجة[18]. هذا إذا اعتمدنا طبعا على الرأي الذي يرى أن النص لم يستعمل كلمة "أسسنا" χτιξειυ سوى عند حديثه عن "تيمياتيريون"، في حين كانت العبارة المستعملة في شأن المراكز الاخرى هي χατοιχιξειυ التي تعني استغلال[19]. وحسب هذا التفسير يفيدنا النص بأن حنون قام "بإحياء" أو "تجديد" مستوطنات فينيقية قديمة كانت موجودة في المغرب من قبل[20]. فهل لدينا بعض القرائن التي تفيد بأن "الجدار القاري" (Karikon Teikos) و"كوطي" (Gutté) و"أكرا" (Akra) و"ميليطا" (Melitta) و"أرمبيس" (Arambys) كانت موجودة قبل مجيء حنون ؟

رغم أننا لا نستطيع تحديد مواقع هذه المراكز بدقة[21]، إلا أن الغالب على الظن أنها كانت في شريط ضيق بجهة ما بين رأس سبارتيل وليكسوس، إما على ضفاف البحيرات الكبرى التي يكونها واد بوخالف وواد المهرهر وواد الحشف[22] أو على ساحل البحر كما يشير حنون الى ذلك نصا[23]. وفي هذا الصدد، يذكر "ميشيل بونسيك" (M. Ponsich) أن مركز الاقواس، الذي اشتهر بأفران فخاره المؤرخة منذ القرن الخامس قبل الميلاد، كان واحدا من بين مراكز حنون الخمسة[24].

وأي ما كان موقع هذه المراكز[25]، فلا شك أن المعلومات الواردة في الفقرة الخامسة من الرحلة تتناسق مع بعض المعطيات الاركيولوجية والمصدرية المتوفرة حول المنطقة. فمن جهة، تعتبر منطقة أقصى شمال غرب المغرب المنطقة الوحيدة التي احتفظت لنا في المغرب كله بآثار أركيولوجية واضحة حول اتصال الشعبين الفينيقي والمحلي. فقد انفردت جهة فحص طنجة باحتوائها على مجموعة من المدافن تؤرخ بمرحلة

---

(18) العزيفي (محمد رضوان)، الفينيقيون بفحص طنجة وعلاقاتهم بالسكان "من خلال مقابر ناحية طنجة ومحتوياتها المؤرخة ما بين القرن السابع قبل الميلاد وأواسط القرن السادس قبل الميلاد"، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية بفاس، العدد 11، 1990، ص. 195-210 ؛ نفسه، مجلة الدراسات الفينيقية البونية والآثار اللوبية (**R.E.P.P.A.L**)، العدد 6، مركز دراسة الحضارة الفينيقية البونية وآثار اللوبيين، المعهد القومي للآثار والفنون، تونس، 1991، ص. 1-18.

(19) Rousseaux(M), Hannon au Maroc, op. cit, p. 195.

(20) Carcopino(J), Le Maroc antique, op. cit, p. 83 et 95 ; Garcia y Bellido(A), Fenicios y Carthagineses en occidente, op. cit, p. 188 ; Gsell(S), Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord, op. cit, t. I, p. 483 ; Jodin(A), l'archéologie phénicienne au Maroc : Ses problèmes et ses résultats, **Hespéris-Tamuda**, Vol. V, Fasc. II, 1966, p. 10.

(21) يذكر "بيير سانتاس" (Pierre Cintas) بأن لا أمل في العثور يوما ما على المراكز التي أسسها حنون. انظر :
Cintas(P), Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc, Paris, Arts et métiers graphiques, 1954, p. 87.

(22) يمكن فهم ذلك من حنون نفسه عندما يذكر في الفقرة الرابعة من رحلته أنه أبحر في اتجاه مخالف صوب الشرق بعد عبوره لرأس سبارتيل. ومن المرجح إذن أنه توغل داخل هذه البحيرات، وزار المراكز الفينيقية والتجمعات المحلية التي كانت موجودة على ضفافها، كما أكدت على ذلك مقابر هذه المنشآت التي كانت محتوياتها تضم مواد تجارية فينيقية وليس قرطاجية. وفي هذا الصدد يحدد "أنطونيو بلاسكيس" (A. Blazquez) مراكز حنون الخمسة على ضفاف أودية المهرهر والحشف والحلو وواد الكبير والخروب. انظر :
Blazquez(A), Las costas de Marruecos en la antigüedad, op. cit, p. 414-415

(23) انظر المواقع المحتملة لهذه المراكز البحرية في خريطة "روبيفا" :
Rebuffat(R), Recherches sur le bassin du Sebou II : Le périple d'Hannon, op. cit, p. 279.

(24) Ponsich(M), Kouass, port antique et carrefour des voies de la Tingitane, **B.A.M**, t. VII, 1967, p. 404.

(25) هناك من يحدد مراكز حنون الخمسة في حوض سوس بين جبال الاطلس الكبير وواد النون، حيث غنى المنطقة في المجال الفلاحي والمنجمي (Besnier(M), Géographie ancienne du Maroc, op. cit, p. 344). بينما يحددها "جيروم كاركوبينو" في مناطق مختلفة، حيث يحدد "الجدار القاري" (Karikon Teikos) في آسفي، و"أكرا" (Akra) في الجديدة، و"أرمبيس" (Arambys) في سلا، ثم "ميليطا" (Melitta) و"كوطي" (Gutté) جنوب رأس سبارتيل. انظر: Carcopino(J), Le Maroc antique, op. cit, p. 101-104.

تمتد من بداية القرن السابع قبل الميلاد، إلى أواسط القرن السادس قبل الميلاد[26]. هذه المدافن كانت تضم قبورا فينيقية محضة، و أعدادا كبيرة من القبور المحلية التي كانت تجاورها، احتوت في معظمها على كمية كبيرة من المستوردات الفينيقية، كالحلي وبيض النعام والخزف الفينيقي والاغريقي[27]. وفي هذا الصدد يذكر "ميشيل بونسيك" (M. Ponsich) أنه اكتشف مجموعة من المقبرات الصغيرة المحتوية على مواد التجارة الفينيقية المتاخمة لبحيرة بوخالف، على بعد مسافة نصف يوم من العبور شرقا حسب تعبير حنون نفسه[28]. هذه المقبرات توجد في "بلاد الشريف" و"مزرعة دوبوا" (Dubois) و"سانية الشلبات" و"عين العسل" و"مصمودة"[29].

ومن جهة ثانية تفيدنا بعض أسماء هذه المراكز أنها كانت موجودة قبل حنون، أو أن لها أصولا فينيقية. من هذه المراكز نذكر "ميليطا" (Melitta) التي يتشابه اسمها مع مدينة "ميليسا" (Melissa) التي أشار "هيكاتيوس الميليتي" (Hécatée de Milet) الى وجودها بالمغرب في القرن السادس قبل الميلاد[30]، و"كوطي" (Gutté) التي لاريب أن لها علاقة مع مدينة "كوطا" المجاورة لمنطقة رأس أشقار الغنية بالمخلفات الاركيولوجية الفينيقية[31]. ومما يدل على قدم هذين المركزين أننا نفهم من خلال ذكرهما من طرف المؤرخ الروماني "بلينيوس" (Pline) في القرن الاول الميلادي، أنهما أصبحا مهجورين في عصره[32].

---

(26) El Azifi(M.R), Les nécropoles de la région de Tanger sont - elles phéniciennes ? Actes du **IIIè congrès international des études phéniciennes et puniques** (Tunis, 11 - 16 Novembre 1991), Institut national du patrimoine, volume I, Tunis, 1995, p. 401-414

(27) العزيفي (محمد رضوان)، السلع المتبادلة بين الفينيقيين والمغاربة القدماء، كأقدم نموذج عن علاقات المغرب التجارية مع العالم المتوسطي، أعمال ندوة "**التجارة في علاقاتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب**" المنظمة بكلية الآداب عين الشق بالدار البيضاء ما بين 21 و23 فبراير 1989، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، عين الشق، الدار البيضاء، 1992، الجزء الثاني، ص. 207-236.

(28) Ponsich(M), Recherches archéologiques à Tanger et dans sa région, op. cit, p. 76.

(29) العزيفي (محمد رضوان)، هل مدافن ناحية طنجة فينيقية الاصل ؟ قراءة جديدة للابحاث الاركيولوجية الفرنسية بالمغرب، **المصباحية**، مجلة تصدرها كلية الآداب والعلوم الانسانية سايس-فاس، سلسلة العلوم الانسانية، العدد الثاني، 1996، رسم رقم 3.

(30) Hécatée de Milet. ap. Roget(R), Le Maroc chez les auteurs anciens, Paris, Les Belles Lettres, 1924, p.16.

(31) من أهم المخلفات الاركيولوجية التي تم العثور عليها في ناحية رأس أشقار نذكر القبر الفينيقي من نوع "القبور المبنية" (Tombeaux bâttis) الذي اكتشفه الاب "كوهلير" (Koehler) عام 1923 (Koehler(H), Une tombe punique au cap Spartel (Maroc), Revue des musées, fouilles et découvertes archéologiques, n° 25, 1930). وانطلاقا من الهندسة المعمارية التي اتبعت في تشييد القبر، واعتمادا على الادوات الجنائزية المكتشفة بداخله، المتألفة أساسا من حلي فينيقية عرفت رواجا خلال القرن السابع قبل الميلاد، يتبين أنه كان من عمل فينيقيين لم يقدموا الى المنطقة للقيام بالتجارة فقط، بل لدفن موتاهم أيضا. من هنا يبدو أن رأس أشقار كان يمثل أول نقطة نزل فيها الفينيقيون بعد اجتيازهم لرأس سبارتيل، نظرا لتوفره على الظروف التي كان يفضلها الفينيقيون لرسوهم، حيث النهر (واد الزيتون)، والشاطئ الرملي ومنحدراته المشمسة، علاوة على توفر طبيعة صخرية لحفر القبور. كما أن تشييد هذه الانواع من المدافن، التي تتطلب مجهودا كبيرا في نحت الحجارة وترميمها، يدل على أنه لم يكن من عمل مجموعة من تجار قاموا فقط بزيارة سريعة للمكان حسب "طراديل" (Tarradell)، بل شكل محطة أو كان من صنع فينيقيين وجدوا بالمنطقة منذ وقت طويل ومارسوا التجارة مع المحليين قبل مجيء حنون (Tarradell(M), Marruecos púnico, Publicaciones de la Facultad de Letras (Universidad de Rabat) Instituto Mulay El Hasan, Editorial Cremades, Tetùan, 1960, p. 223). بمعنى أنهم كانوا مستقرين هناك في تجمع سكاني اندثر ولم يبق منه سوى جزء من مقبرته. ويعتقد "كوهلر" (Idem, Ibid) أن هذا التجمع كان على ربما ميناء صغير، وأن له ارتباطا بإحدى المدن القديمة المذكورة عند المؤلفين القدامى وهي "طريكس" (Trix) أو"لانكس" (Lynx) أو"كوطا" (Cotta). انظر :
العزيفي (محمد رضوان)، هل مدافن ناحية طنجة فينيقية الاصل ؟ قراءة جديدة للابحاث الاركيولوجية الفرنسية بالمغرب، المرجع السابق، ص. 15-16 ؛ نفسه، الفينيقيون بفحص طنجة وعلاقاتهم بالسكان "من خلال مقابر ناحية طنجة ومحتوياتها المؤرخة ما بين القرن السابع قبل الميلاد وأواسط القرن السادس قبل الميلاد"، رسالة مرقونة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ القديم، يونيو 1988، مكتبة كلية الآداب بفاس، الجزء الثاني، ص.8-9.

وهكذا نلاحظ كيف أن رحلة حنون تعتبر من الوثائق المصدرية النادرة التي تفيدنا في التعرف على حالة المغرب قبل قدوم القرطاجيين، أي خلال العصر الفينيقي[33]. غير أن السؤال الذي يظل عالقا منذ اهتمام المحدثين برحلة حنون، هو لماذا لم تشر الرحلة نصا الى مدينة ليكسوس، بالرغم من اعتبارها أهم مستوطنة فينيقية على ساحل المحيط، واقتصارها على ذكر الليكسيين. فهل يعني هذا أن هناك إخفاءً متعمدا لحقيقة وجود هذه المستوطنة المهمة ؟ أم أن الامر يعود الى طبيعة النص الذي اعتمد على التحليل الاثنوغرافي للشعوب وليس على التحليل الطوبوغرافي؟

II – ليكسوس الفينيقية والليكسيون الفينيقيون :

إذا اعتبرنا أن النص قد ذكر حرفيا واد ليكسوس –الذي لا ينبغي بأية حال من الاحوال أن نحدده في جنوب المغرب[34]–، وأنه تحدث عن مجموعة بشرية بإسم لا يختلف عن النهر و لا عن المدينة، وأن هذه المجموعة لها من المعرفة الملاحية واللغوية والاثنوغرافية الكافية بالساحل الاطلنطي المغربي، فإن ذلك يرجح وجود مستوطنة ليكسوس الفينيقية قبل حدوث الرحلة وخلالها[35].

فإذا كانت ليكسوس تعتبر واحدة من أقدم المستوطنات الفينيقية في الغرب المتوسطي، فكيف يعقل أن لا يلقى حنون عند ضفافيها سوى مجموعة من الرحالة أو الرعاة ؟[36]. من هذا المنطلق حاول "روني ربيفا" (René rebuffat) أن يبرز أن المقصود بالليكسيين في النص إنما هم السكان الفينيقيون لمستوطنة ليكسوس الذين كانوا يرعون أغنامهم عند رسو حنون بالقرب من مدينتهم[37]. وقد استند في ذلك على كون حنون رافق معه مجموعة من المترجمين من بين هؤلاء، للاعتماد على تجربتهم في التعرف على المناطق الساحلية

علاوة على هذا القبر عرفت منطقة رأس أشقار مقبرة محلية كبرى تضم مائة وسبعة مدفن اكتشفها "ميشيل بونسيك" (M. Ponsich) عام 1965، كانت تحتوي على مواد فينيقية معاصرة للمواد المكتشفة في المدفن السالف الذكر. وكان موقع هذه المقبرة شمال غرب دوار جبيلة فوق ربوة تطل على الشاطئ الممتد عند قدم رأس أشقار. كما أنها لم تكن تبعد عن مصانع الكاروم (Garum) بمدينة "كوطا" المجاورة سوى بحوالي ست مائة متر، مما حدا بمكتشفها، علاوة على "جيهان ديزانج" (J. Desanges)، الى اعتبارها تعود الى التجمع السكني الذي زاره حنون وذكره باسم "كوطي" (Gutté). انظر :

Ponsich(M), Recherches archéologiques à Tanger et dans sa région op. cit, p. 74 ; Desanges(J), Recherches sur l'activité des Méditérranéens aux confins de l'Afrique, op. cit, p. 111-112.

(32) Pline, Histoire Naturelle, 2 ; ap. Roget(R), Le Maroc chez les auteurs anciens, op. cit, p. 29.

(33) انظر المحاولة التي قمت بها في هذا الصدد :

العزيفي (محمد رضوان)، الفينيقيون بالساحل الاطلنطي للمغرب من خلال رحلة حنون، **المصباحية**، مجلة تصدرها كلية الآداب والعلوم الانسانية سايس–فاس، سلسلة العلوم الانسانية، العدد الرابع، 2000، ص. 1–25.

(34) هناك من حدد موقع واد ليكسوس في الجنوب المغربي، حيث تم ربطه بواد درعة. انظر :

Gsell(S), Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord,op. cit, t. I, p. 485 ; Marcy(G), Notes linguistiques autour du périple d'Hannon, **Hespéris**, t.XX, fasc. I-II, 1935, p. 60.

غير أن تحديد واد ليكسوس في شمال المغرب أضحى حاليا أمرا لا يقبل الجدال، لاعتبارات نذكر منها أن النهر ما زال يعرف لحد اليوم بنفس الاسم، وأن مدينة ليكسوس عرفت باسم لا يختلف عن هذا النهر. كما أننا لا نتوفر مصدريا على ما يثبت وجود نهر بجنوب المغرب يحمل اسما مشابها لواد ليكسوس، في حين تتعدد إشارات المؤلفين القدامى حول واد ليكسوس، والتي تتوافق أوصافها مع واد اللوكوس الحالي. انظر:

Periple de Scylax, 112 ; Pomponios Méla, III, 10 ; Pline, Histoire Naturelle, V, 4, 9.

(35) كان بعض المؤلفين يعتقدون أن عدم ذكر حنون لليكسوس، معناه أنها لم تكن قد تأسست بعد.

(36) وهي الملاحظة التي انتبه إليها "ميكيل طراديل" في مقالته :

Tarradell(M), El periplo de Hannon y los Lixitas, op. cit, p. 56.

(37) Rebuffat(R), Les nomades de Lixus, **Bulletin archéologique du comité des travaux historiques et scientifiques,** n° 18, 1988. p. 77-85.

للواجهة الإطلنطية للمغرب. وهذا يفرض جدلا أن المترجمين الليكسيين كانوا يعرفون اللغة الفينيقية التي يتكلم بها حنون[38]، الى جانب فهمهم لبعض لهجات الاهالي[39]. وهذا أمر لم ينتبه إليه معظم المؤلفين، لانهم كانوا يعتبرون الليكسيين من السكان المحليين وليسوا حفدة الفينيقيين، انطلاقا من التأويل المتداول الذي كان ينعت الليكسيين بالرحل[40]، مما حدا ببعضهم مثل "ستيفان كسيل" (S.Gsell) الى التساؤل حول طريقة استيعابهم للغة حنون[41].

وإذا كان حنون قد مكث بعض الوقت مع هؤلاء[42]، سواء في ليكسوس نفسها أو بالقرب منها، فلأنه كان يعلم مسبقا بوجود مستوطنة فينيقية على ضفاف اللكوس. وهذا ما حدا به الى اختيارها دون غيرها من المستوطنات الأخرى، للنزول بها أو بقربها والتفاوض مع سكانها لتهيئ الخطة التي جاء من أجلها القرطاجيون، بالاعتماد على التجربة الملاحية والاثنوغرافية والطوبونيمية لسكانها الفينيقيين[43]. وهذا ما يتبين فعلا من خلال النص، حيث كانت توصف جميع الاماكن المذكورة في الرحلة باعتبارها أماكن معروفة من لدن الليكسيين، مما يدل على أنها كانت موجودة قبل قدوم حنون. فالليكسيون هم اللذين أخبروا حنون أن الخليج الكبير الذي وصل إليه بعد خمسة أيام من الابحار يدعى "قرن الغرب"[44]. وهم اللذين أعلموه بأن

---

(38) لو فرضنا أن اللغة البونيقية عرفت بعض التأثيرات المحلية منذ تأسيس قرطاجة، فإن اللغة الفينيقية التي كان يتكلم بها سكان ليكسوس، والتي لا ريب أنها عرفت نفس التأثيرات، لم تكن لتختلف كثيرا عن البونيقية حتى لا تفهم من طرف حنون والليكسيين. انظر :
Rebuffat(R), Les nomades de Lixus, op. cit, p. 78.

(39) لا نتفق مع "جيروم كاركوبينو" (Carcopino(J), Le Maroc antique, op. cit, p. 110) الذي يرى أن الليكسيين قدموا لحنون متخصصين في لهجات مناطق إفريقيا السوداء، والذين كانوا قد أقاموا هناك علاقات مع الاهالي بفضل تجارة الذهب. والواقع أننا نستشف من خلال الفقرة الحادية عشرة من النص أن المترجمين الليكسيين لم يكونوا يفهمون سوى لهجة السكان المحليين لشمال غرب المغرب، إذ يذكر حنون أنهم لم يكونوا يستوعبون اللهجات المحلية التي كانت تتكلم بها شعوب الساحل الاطلنطي القاطنة جنوب جزيرة قرنة الموجودة حسب "روبيفا" عند مصب وادي سبو. وهي الظاهرة التي ما زال يعرفها المغرب الى يومنا هذا، حيث أن اللهجة الريفية للمناطق الشمالية تختلف عن لهجة جبال الاطلس وعن لهجة منطقة سوس. بل يوجد أحيانا اختلاف في اللهجات داخل المنطقة نفسها، كما هو الحال في إقليم الريف، حيث نجد مثلا اختلافا بين لهجة سكان الناظور (الورياغلية) وبين لهجة سكان الحسيمة (الريفية).

(40) حول العناصر التي يمكن الاستدلال بها لاعتبار أن مترجمي حنون إنما هم السكان الفينيقيون لليكسوس، انظر :
Desanges(J), Des interprètes chez les "Gorilles" : Réflexions sur un artifice dans le périple d'Hannon, **Atti del I Congresso Internazionale di Studi Fenici e Punici**, Rome, 1983, p. 267-270.

(41) لحل هذه الاشكالية اقترح "ستيفان كسيل" حلين إثنين : (Gsell(S), Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord,op. cit, t. I, p. 318) إما أن الليكسيين كانوا يتكلمون لغة ليبية يفهمها بعض مرافقي حنون، وإما أن الليكسيين كانوا يعرفون اللغة البونيقية. غير أنه من المنطقي أن نقر بأن الطرفين كانا يتكلمان لغة واحدة، من أن نعتقد بوجود تشابه بين اللهجة الليبية بتونس التي ربما كان يفهمها حنون أو بعض مرافقيه، وبين اللهجة الليبية التي كان يتكلم بها الليكسيون بالمغرب. وهذا أمر مستبعد، كما يتبين من الرحلة نفسها، لان الليكسيين لم يكونوا يعرفون حتى بعض لهجات الساحل الاطلنطي للمغرب القريب منهم.

(42) الفقرة السادسة من نص الرحلة.

(43) العزيفي (محمد رضوان)، مستوطنة ليكسوس الفينيقية في الكتابات القديمة والحديثة "محاولة لرد الاعتبار"، **المصباحية**، مجلة تصدرها كلية الآداب والعلوم الانسانية سايس-فاس، سلسلة العلوم الانسانية، العدد الاول، 1995، ص. 33-34.

(44) انطلاقا من نفس المعايير الجيومورفلوجية والمناخية والاثنوغرافية التي اعتمدها "روبيفا" لاعتبار أن الفقرات رقم 8 و9 و10 من الرحلة تجد أرضيتها في حوض سبو (Rebuffat(R), Recherches sur le bassin du Sebou II : Le périple d'Hannon, op. cit)، ليس من المستبعد أن نسقط المعايير نفسها على الفقرات رقم 13 و14 و15 و16 و17 و18 لاعتبار أن النص يتحدث عن إبحار حنون في إحدى الاحواض النهرية أو الخلجان البحرية التي كان يتوفر عليها المغرب القديم. ألا يمكن تحديد "الخليج المترامي الاطراف والسهل الموجود أمامه" (الفقرة الثالثة عشرة) في خليج أكادير وسهل سوس-ماسة ؟ ألا يمكن أن نعتبر أن الابحار الذي سلكه حنون "نحو الامام بمحاذاة البر" حيث وصل الى خليج "قرن الغرب" (الفقرة الرابعة عشرة)، إنما هي إشارة ملاحية الى التوغل في إحدى الخلجان أو مصبات الانهار، بنفس الطريقة التي سلكتها المراكب القرطاجية عندما توجه حنون شرقا مبحرا في حوض سبو ؟ إنها إشارات تدفعنا الى المزيد من البحث والتقصي للتأكد من إمكانية إسقاط بعض مشاهد الرحلة على مناطق أخرى من المغرب لا تختلف عن البيئة التي كان عليها سهل الغرب.

الحيوانات المتوحشة التي تم إلقاء القبض عليها من طرف رجاله تدعى "الغوريلات"[45]. كما أنهم لا ريب دلوا القرطاجيين عن اسم نهر "كريطيس"[46]، وأخبروهم بأن الجبل الكبير الذي تحدث عنه حنون في الفقرة السادسة عشرة يدعى "ركن الآلهة"[47]، وأن الخليج الوارد في الفقرة السابعة عشرة يدعى "قرن الجنوب".

وهكذا يتبين أن الليكسيين قد زاروا مسبقا جميع المناطق التي ولجها حنون، كما يلاحظ ذلك "ستيفان كسيل" (S. Gsell)، رغم أنه كان يحدد واد ليكسوس في واد درعة[48]. واعتبارا لكون رحلة حنون كانت رحلة ملاحية، فهذا يعني إما أن الليكسيين سبقوا حنون الى التعرف عن هذه الاماكن عبر البحر، أو أن المعلومات التي كانوا يتوفرون عليها وصلتهم عبر أسلافهم من سكان ليكسوس. فنص الرحلة لم يقدم لنا الليكسيين بمثابة مترجمين فقط، بل قدمهم على شكل بحارة ومرشدين أيضا. وإذا كانوا قد دأبوا على تعلم لغة ثانية الى جانب لغتهم الاصلية، وتمكنوا من تجميع المعلومات الكافية حول السواحل الاطلنطية للمغرب، فإن هؤلاء البحارة فعلوا ذلك لأغراض تجارية، وليس فقط لأغراض استكشافية. وبذلك لم يكن الليكسيون قد حافظوا على لغتهم الفينيقية الاصلية فحسب، بل حافظوا كذلك على التقاليد البحرية الفينيقية، وذلك بالقيام بالابحار عبر الساحل المغربي بواسطة مراكبهم الخاصة قبل قدوم حنون. ولتمكنهم من ذلك، لابد من إلمامهم بلهجات الشعوب التي كانوا يتعاملون معها، وتوفرهم على أسطول ملاحي بما يلزمه من طاقم ومعدات، وعلى توفرهم على ميناء للمدينة تحتمي فيه سفنهم[49]، و"تمكث" فيه مراكب الضيوف.

ويبدو أن الصورة التي تشكلت حول الليكسيين لدى المهتمين برحلة حنون بكونهم كانوا رحلا، تعود بالاساس الى فهم خاطئ لكلمة νομαδεσ، التي لا تعني بالضرورة ممارسة الترحال، بل تفسر بالقيام بالرعي[50]. والرعي لا يعني بالضرورة الترحال، إذ من الممكن لساكنة مستقرة في حاضرة ما أن تقوم برعي ماشيتها، ثم تعود عشية الى محل إقامتها، خصوصا أن مصب وادي اللكوس يتوفر على جميع الظروف المساعدة على القيام برعي الماشية، حيث السهل الواسع المنخفض الوافر العشب. كما تعزى هذه

هذا مع العلم أن عددا من السيناريوهات التي رأيناها في حوض سبو تتكرر في الفقرات الاخيرة من الرحلة، مثل البحيرات الكبرى التي تتوسطها الجزر (قرن الغرب – قرن الجنوب)، والجبال المرتفعة (جبال الاطلس)، والحيوانات المتوحشة (الغوريلات)، والغابات. وهذا يبرهن أن البيئة التي يتحدث عنها النص لا تختلف كثيرا عن بيئة الاحواض المائية الكبرى المطيرة، أو الخلجان البحرية الواسعة التي كان يعرفها المغرب القديم. ومما يمكن الاستناد إليه لتزكية هذا الرأي، أن بعض المشاهد الاثنوغرافية التي وصفها حنون في الفقرات الاخيرة من رحلته يمكن تطبيقها على أهالي المغرب القديم. فالاشارات المتعددة للنيران المشتعلة التي كانت تسترعي انتباه بحارة حنون، لا تعدو أن تكون علامات عن إشعالها ليلا بالقرب من الخيام من طرف ساكنة مستقرة في الدواوير العديدة التي كانت تعرفها المناطق السواحل المغربية، والتي كانت تستهوي الاهاجيج والرقصات الليلية بالنفخ في المزامير والدق في الطبول والصنوج. وهذا ما أشار إليه "بومبونيوس ميلا" (Pomponius Méla, III, 93-95) عند وصفه للسهول الواسعة المترامية الاطراف التي كانت تشتمل عليها موريطانيا.

انظر الترجمة الكاملة لرحلة حنون عند :

العزيفي (محمد رضوان)، الفينيقيون بالساحل الاطلنطي للمغرب من خلال رحلة حنون، المرجع السابق، ص. 2-5.

(45) الفقرة الثامنة عشرة.

(46) الفقرة التاسعة.

(47) يمكن تحديد موقع هذا الجبل في إحدى مرتفعات الأطلس الكبير المطلة على حوض سوس، إذا اعتمدنا على النظرية التي ترى أن مراحل الابحار القرطاجي الواردة في الفقرات الأخيرة من النص (من فقرة 14 الى فقرة 18) يمكن أن تشمل خليجا بحريا كان يتوغل داخل منطقة سوس– ماسة.

(48) Gsell(S), Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord, op. cit, t. I, p. 508.

(49) الغالب على الظن أن الميناء الفينيقي لمدينة ليكسوس لم يكن يشمل سوى الرصيف الطبيعي للضفة اليمنى لواد اللكوس المحادية لمعمل "الكاروم" (Garum) الذي يبدو للعيان على يسار الطريق العرائش–طنجة.

(50) مما كان يحدو بالمهتمين برحلة حنون الى إسقاط نشاط الترحال على الليكسيين، هو أنهم كانوا يحددون نهر ليكسوس جنوب إقليم سوس. انظر :

Rebuffat(R), Les nomades de Lixus, op. cit, p. 82.

الصورة أيضا الى التأويلات التي كانت تعتبر أن إبحار حنون لمدة يومين "بمحاذاة الصحراء" حدث في الصحراء المغربية، في حين أن الترجمة الحرفية لكلمة صحراء الواردة في النص هي "الوحدة" أو "الخلاء"[51]، وبالتالي فإن هذا المجال الخالي في مجمله من الغطاء النباتي، والذي يبلغ طوله حوالي مائة كيلومتر، يتحدد ما بين واد اللكوس وواد سبو[52]). كما يرجع الاعتقاد الخاطئ الذي كان يقرن الليكسيين بالرحل الى تحديد واد ليكسوس في واد درعة[53]، وتحديد رأس "سولوييس" في رأس "كانتان". وبالرغم من توطين "جيروم كاركوبينو" (Jérome Carcopino) لواد ليكسوس في واد اللكوس الحالي، فإنه اعتقد أن الترجمة الاغريقية لرحلة حنون مزجت بين كلمة νομαδεσ والنوميديين، وبالتالي اعتبر أن الليكسيين إنما هم السكان المحليون الرعاة الذين كانوا خاضعين لسكان ليكسوس الفينيقيين[54].

من هنا يظهر أن الليكسيين لم يكونوا رحلا بالمعنى الاثنوغرافي للكلمة، بل عبارة عن مجموعة من سكان ليكسوس الذين لقيهم حنون صدفة يرعون ماشيتهم على ضفاف النهر المحادي لمدينتهم. وهذا يعني ضمنيا أن مستوطنة ليكسوس الفينيقية كانت موجودة قبل قدومه[55]، وأن عدم ذكر اسمها في النص، يعزى الى اهتمام الرحلة بالخصوصيات الاثنوغرافية للمجموعات البشرية على حساب الجانب الطوبوغرافي[56]، إذ يدل عدم اهتمام حنون بتحديد مواقع المستوطنات الفينيقية القديمة التي جاء لإحيائها، على أنها تعتبر ضمنيا معروفة بالنسبة إليه.

وهكذا تفيدنا الاشارات المتعددة حول الليكسيين في أخذ فكرة عن المغرب الفينيقي السابق للقرن الخامس قبل الميلاد. فهي توحي لنا بوجود مستوطنة فينيقية تحظى بدراية لا بأس بها بالساحل الاطلنطي المغربي، بفضل سكانها الذين ورثوا من أجدادهم الفينيقيين المؤهلات الملاحية والتجارية الضرورية. كما تلمح الى أن مجال إبحار الفينيقين كان يتعدى جزيرة موكادور ليصل ربما في حده الاقصى الى حوض سوس، مما يرجح أن الفينيقيين أعدوا ليكسوس لتكون لها دائرة نفوذ اقتصادي بالساحل الاطلنطي المغربي، بنفس المعنى الذي كان لمستوطنة قادس بالساحل الاطلنطي الايبيري[57].

---

(51) من المعروف أن الساحل الممتد بين العرائش ومصب واد سبو يتكون في معظمه من كثبان رملية، توجد شمال وجنوب مولاي بوسلهام. ولاريب أنها كانت تبدو بالنسبة لمراكب حنون من جهة البحر على شكل صحراء خالية من السكان. وقد انتبه "أنطونيو بلاسكيس" (A. Blazquez) الى هذه الملاحظة منذ عام 1921، حيث أشار في مقالته "السواحل المغربية خلال العصر القديم" أن الساحل الذي صادفه حنون مباشرة بعد اصطحابه لليكسوسيين يتكون من كثبان قاحلة غير مأهولة بالسكان، على شكل حزام يبلغ طوله حوالي 35 كلم وعرضه حوالي كيلوميترين اثنين. وفيما يتعلق بالمدة التي قطعها حنون خلال يومين لاجتياز هذا الساحل، يرى نفس المؤلف أنها تساوي تقريبا نفس المدة التي استغرقها حنون لقطع مضيق جبل طارق. انظر :

Blazquez(A), Las costas de Marruecos en la antigüedad, op. cit, p. 416.

(52) Rebuffat(R), Recherches sur le bassin du Sebou II : Le périple d'Hannon, op. cit, p. 86.

(53) Gsell(S), Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord,op. cit, t. I, p. 508.

(54) Carcopino(J), Le Maroc antique, op. cit, p. 89.

(55) Tarradell(M), El periplo de Hannon y los Lixitas, op. cit, p. 56 ; Carcopino(J), Le Maroc antique, op. cit, p89.

(56) Rebuffat(R), Les nomades de Lixus, op. cit, p. 83.

(57) لا يمكن تفسير هيمنة الفينيقيين على مضيق جبل طارق وإبحارهم في الساحل الأطلنطي المغربي كما في الساحل الأطلنطي الإسباني لتأسيس أقدم المحطات الفينيقية، وهما ليكسوس وقادش، على بعد مسافة واحدة من أعمدة هرقل، إلا بتحديد مسار جيوسياسي موحد للساحلين معا. بمعنى أن الأهمية الاقتصادية والاستراتيجية للساحل الأطلنطي المغربي كانت بالنسبة للوجود الفينيقي بأقصى الغرب في نفس مستوى أهمية الساحل الأطلنطي الإيبيري.انظر:العزيفي محمد رضوان،مستوطنة ليكسوس الفنيقية في الكتابات القديمة والحديثة"محاولات لرد الاعتبار" ، المرجع السابق، ص. 30.

الفصل الثاني
المصادر الاغريقية

I ـــ هيكاتيوس الميليتي (Hécatée de Milet):

إن أقدم إشارة تتعلق بليكسوس في المصادر الاغريقية لا تخص المدينة، بل ربما النهر الذي يحمل نفس الاسم. وقد وردت عند المؤرخ والجغرافي الاغريقي "هيكاتيوس الميليتي" (Hécatée de Milet) الذي عاش خلال القرن السادس قبل الميلاد، عندما أشار في "وصفه لآسيا"[1] الى وجود بحيرة تدعى "دوريزا" (Douriza)، بالقرب من نهر يدعى "ليدزا" (Lidza). يورد "هيكاتيوس الميليتي" نقلا عن ترجمة "جيهان ديزانج" (Jehan Desanges) للمصادر الادبية القديمة حول ليكسوس، ما يلي[2] :

« دوريزا، بحيرة بالقرب من نهر ليدزا ».

ومن الارجح أن المقصود بالنهر هو واد ليكسوس، إذا علمنا أن المؤرخ الاغريقي "الاسكندر بوليهسطور" (Alexandre Polyhistor)[3] أطلق على المدينة اسم "ليكسا" (Lixa)[4]. أما فيما يتعلق باسم البحيرة، فمن المحتمل أنه يرتبط باسم "دوريس" (Duris)، الذي كان يطلقه المحليون على جبل الاطلس حسب "استرابون" (Strabon)[5]، أو يرتبط بنهر "ديريس" (Dyris) الذي ينحدر من الاطلس الشمالي حسب "فيتروفيوس" (Vitruve)[6]. والغالب على الظن أن الاشارة الى بحيرة بالقرب من نهر "ليدزا" (Lidza)، تعد أقدم دليل يفسر أن المجرى الاسفل لواد اللكوس لم يكن قد ترسب بعد خلال العصور القديمة، ويرجح أن ليكسوس كانت خلال المرحلة الفينيقية تطل على بحيرة كبيرة أو ذراع بحرية. وبذلك لا نعتقد أن الامر يتعلق بمرجة "رأس الدورة" التي تبعد عن نهر ليكسوس بحوالي خمسين كيلومترا جنوبا، كما يرجح ذلك "جيهان ديزانج"[7].

وإذا تم الاقرار بربط إشارة "هيكاتيوس الميليتي" بنهر اللكوس، فمن الممكن اعتماد ترجمة مختلفة عن المعتادة لإشارة في نفس الموضوع وردت لدى "بومبونيوس ميلا" (Pomponius Méla)[8]. فعوض ترجمة « *ليكسوس بالقرب من نهر ليكسو* » (*Lixo flumini Lixus proxima*)، يقترح "ديزانج"[9]

---

(1) تحت عنوان "آسيا"، كان "هيكاتيوس الميليتي" (Hécatée de Milet) يدمج جميع المعلومات التي جمعها حول "ليبيا"، التي كانت تعتبر بمثابة ملحق على شكل شبه جزيرة للقارة الآسيوية.

(2) Desanges(J), Sources littéraires antiques sur Lixos, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), Collection de l'Ecole française de Rome, n° 166, Palais Farnèse, 1992, p. 405.

(3) مؤرخ إغريقي من مدينة ميليتوس بآسيا الصغرى. كتب "ليبياته" في حوالي سنة 70 قبل الميلاد.

(4) Alexandre Polyhistor, ap. St. de Byzance, in, Roget(R), Le Maroc chez les auteurs anciens, Paris, Les Belles Lettres, 1924, p. 21.

(5) Strabon, XVII, 3, 2.

(6) Vitruve, VIII, 2, 6.

(7) Desanges(J), Recherches sur l'activité des Méditerranéens aux confins de l'Afrique, op. cit, p. 114.

(8) Pomponios Mela, III, 107.

(9) Desanges(J), Lixos dans les sources littéraires grecques et latines, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), Collection de l'Ecole française de Rome, n° 166, Palais Farnèse, 1992, p. 3.

الترجمة التالية : « *ليكسوس بالقرب من نهر سجّيلي*». وبذلك يكون هذا التعبير يعني ضمنيا أن النهر يحمل اسم المدينة، بحكم مجانسة اسم النهر لاسم المدينة. وفي هذا المضمار جدير بالتذكير أن "بلينيوس" (Pline) نفسه، بعد أن أشار إلى مدينة ليكسوس، استحضر مصب النهر دون أن يسميه « ***تتوغل مياه البحر في المصب النهري*** »[10]. وهذا يعني أن مدينة ليكسوس اقترنت بنهر اللكوس على مر العصور، وأن النهر اقترن بالمدينة، مما يوحي بأن إشارة "هيكاتيوس الميليتي" الى نهر "ليدزا" يمكن تأويلها حسب "ديزانج"[11] بوجود ضمني لمدينة ليكسوس منذ عصر المؤرخ والجغرافي الاغريقي، أي منذ القرن السادس قبل الميلاد.

ودائما في مؤلفه "وصف الارض"، يشير "هيكاتيوس الميليتي" الى ثلاثة مواقع قديمة كان يعرفها أقصى شمال غرب المغرب، اعتبرت منشآت فينيقية أو ذات تأثير فينيقي[12]، وهي "طرينكي" (Thrinké) و"طنجي" (Thingé) و "ميليسا" (Melissa)[13]. يورد "هيكاتيوس الميليتي" نقلا عن ترجمة "رايمون روجي" (R. Roget)[14] ما يلي :

« ***طرينكي***[Thrinké]، *مدينة بالقرب من الاعمدة* ».

« ***طينجي*** [Thingé]، *مدينة بليبيا* ».

« ***ميليسا*** [Mélissa]، *مدينة الليبيين* ».

ولم يكن بودنا استحضار هذه المراكز التي لا ريب أنها كانت موجودة على الأقل في عصر "هيكاتيوس الميليتي"، أي خلال القرن السادس قبل الميلاد، لولا ما ساقه بعض المؤلفين المحدثين في شأن مركز "طرينكي" (Thrinké)، الذي تم تحديد موقعه من لدن "موريس بيسنيي" (M. Besnier) في مدينة ليكسوس الفينيقية الاصل[15]. غير أن "ستيفان كسيل" (S. Gsell)، في مقالته حول "المعارف الاغريقية حول السواحل الافريقية للمحيط"، يقرن "طرينكي" (Thrinké) أو "طريكي" (Thrigké) بالمدينة الصغيرة التي يحددها "استرابون"[16] بالقرب من « ***الرأس الذي يدعى كوطيس*** » (رأس سبارتيل). وهي المدينة التي أطلق عليها الجغرافي "أرطيميدور" (Artémidore) اسم "ليكس" (Lygx)، منتقدا "إيراطوسطين"

---

(10) Pline, Histoire Naturelle, V, 3.

(11) Desanges(J), Lixos dans les sources littéraires grecques et latines, op. cit, p. 3.

(12) Carcopino(J), Le Maroc antique, Paris, Gallimard, 1943 , p. 25.

ويعتبر "ميشيل بونسيك" (M. Ponsich) أن المراكز الثلاثة التي أوردها "هيكاتيوس" (Hécatée) تمثل بقايا مستوطنات فينيقية كانت موجودة فيما سبق بالمغرب. انظر :

Ponsich(M), Fouilles puniques et romaines à Lixus, **Hespéris Tamuda,** Vol. VII, 1966, p. 17.

(13) يحدد "كاركوبينو" (Carcopino) هذا الموقع -الذي يعني اسمه بالاغريقية النحلة- على ساحل المحيط بالقرب من مدينة "كوطا" (Cotta)، اعتمادا على مقتطف من "بلينيوس" (Pline) ورد فيه : " ***إن أول رأس يوجد على المحيط يدعى "أمبيلوسيا"(Ampelusia) من طرف الاغريق. وهناك، ما بعد أعمدة هرقل، كانت توجد قديما ميليسا وكوطي*** "(Pline, V, 2). انظر :

Carcopino(J), Le Maroc antique, op. cit, p. 103.

ونحن لا نستبعد أن يكون موقع "ميليسا" في شبه الجزيرة الطنجية، إذا علمنا بوجود قرية بالمنطقة اسمها "ملوسة" تبعد عن مدينة طنجة بحوالي 14 كلم. هذا مع العلم أن هناك من يوطد هذا الموقع في حوض سوس-ماسة، الذي لا يختلف اسمه كثيرا عن "ميليطا" (Mélitta)، المستوطنة الرابعة التي أسسها حنون. انظر :

Besnier(M), Géographie ancienne du Maroc, Archives marocaines, t. I, n° III, Paris, 1904, p. 344.

(14) Hécatée de Milet, ap. Roget(R), Le Maroc chez les auteurs anciens, Paris, Les Belles Lettres, 1924, p.16.

(15) يذكر "هيكاتيوس" (Hécatée) بأن هذه المدينة كانت بالقرب من أعمدة هرقليس. وقد استند "بيسنيي" (Besnier) لترجيح رأيه على أن "استرابون" (Strabon) أطلق على مدينة ليكسوس اسم "طرينكس" (Trinx). انظر :

Besnier(M), Géographie ancienne du Maroc, op. cit, p. 303.

(16) Strabon, XVII, 3, 2.

(Eratosthène) في شأنها، لأنه كان يحدد موقعها في مكان مدينة ليكسوس الموجودة أكثر جنوبا[17]. ويعتقد "كسيل" أن القبر الفينيقي الذي اكتشفه "كوهلير" في ناحية رأس أشقار عام 1923 يمكن اعتباره أحد مدافن مقبرة مدينة "طرينكي" (Thrinké) الواردة لدى "هيكاتيوس الميليتي"[18].

II – الرحلة المنسوبة الى سكيلاكس (Scylax) :

إن نص الرحلة الذي وصلنا تحت إسم "رحلة سكيلاكس" (Périple de Scylax)، يوجد محفوظا في مخطوط أصلي يورخ بالقرن الثالث عشر الميلادي[19]. وهو على شكل وصف لسواحل البحر الابيض المتوسط والبحر الاسود، وأيضا الساحل الاطلنطي المغربي من عمودي هرقليس الى جزيرة قرنة (Cerné)[20]. ويبدو أن "سكيلاكس" الذي نسبت إليه الرحلة، لاعلاقة له بمؤلف إغريقي يدعى "سكيلاكس الكارياندي"[21] (Scylax de Caryanda) عاش في القرن السادس قبل الميلاد[22]، ولا بمؤلف آخر يدعى "سكيلاكس الهاليكارناسي" (Scylax d'Halicarnasse) عاصر "بوليبيوس" (Polybe)، وكان رياضيا وعالم فلك[23].

وعلى العموم، اعتبر العديد من المؤلفين[24] أن تاريخ تدوين النص يرجع الى عصر فيليب المقدوني، أي الى أواسط القرن الرابع قبل الميلاد. غير أن بعض الاوصاف السابقة لهذه الحقبة الواردة في الرحلة، خصوصا فيما يتعلق بالساحل الاطلنطي للمغرب، تجعلنا نعتقد بمعية العديد من المحدثين، وعلى رأسهم "جيهان ديزانج" (Jehan Desanges)[25]، أن الرحلة كانت بمثابة انتحالات مختصرة لمصادر قديمة. وبذلك يمكن اعتبار أن المعلومات التي أوردها "سكيلاكس" حول السواحل المغربية هي معلومات سابقة لنهاية القرن السادس قبل الميلاد، وأنها اعتمدت لا ريب على مصادر منبعها الملاحون الفينيقيون[26] الذين كانوا على علم

---

(17) Strabon, XVII, 3, 8.

(18) Gsell(S), Connaissances géographiques des Grecs sur les côtes africaines de l'océan, **Mémorial Henri Basset**, t. I, 1928, p. 295-296.

(19) Desanges(J), Recherches sur l'activité des Méditérranéens aux confins de l'Afrique, op. cit, p. 88.

(20) Besnier(M), Géographie ancienne du Maroc, op. cit, p. 306.

(21) نسبة الى مدينة "كارياندا" (Caryanda) في إقليم "كاريا" ببلاد الاغريق.

(22) عرف "سكيلاكس" (Scylax) من لدن العديد من المؤلفين القدامى نذكر منهم "أرسطو" (Aristote) و"استرابون" (Strabon) و"أفيينوس" (Avienus)، وبالخصوص "هيرودوت" (Hérodote)، الذي ذكر أن الملك الفارسي "داريوس" (Darius) (522-486 ق.م) كلف "سكيلاكس" باكتشاف حوض الهندوس والخليج العربي (Hérodote, IV, 44). وهو الحدث الذي وقع حوالي عام 520 قبل الميلاد، اعتمادا على كون "داريوس" أخضع السند حوالي عام 518 قبل الميلاد. وهذا يعني أن سكيلاكس كان ملاحا وجغرافيا إغريقيا مشهورا معاصرا لعصر داريوس.

(23) Desanges(J), Recherches sur l'activité des Méditérranéens aux confins de l'Afrique, op. cit, p. 90.

(24) يرى "موريس بيسنيي" (M. Besnier) أن رحلة "سكيلاكس" تم تدوينها حوالي عام 335 قبل الميلاد (Besnier(M), Géographie ancienne du Maroc, op. cit, p. 306). ويتبعه في ذلك "ريمون روجي" الذي اعتبر أن الرحلة حررت في أواسط القرن الرابع قبل الميلاد (Roget(R), Le Maroc chez les auteurs anciens, op. cit, p. 11.)، وأيضا "ستيفان كسيل" الذي يعتبر الرحلة منسوبة خطئا لسكيلاكس (Gsell(S), Connaissances géographiques des Grecs sur les côtes africaines de l'océan, op. cit, p. 303).

(25) Baschmakoff(A), La synthèse des périples antiques, Paris, 1948, p. 22-29 ; Peretti(A), Il Periplo di Scilace, Pise, 1979, p. 453-484.

(26) يعتبر "جيهان ديزانج" أن سكيلاكس اعتمد على مصادر بونيقية أو قادشية في وصفه للساحل الاطلنطي المغربي (Desanges(J), Recherches sur l'activité des Méditérranéens aux confins de l'Afrique, op. cit, p. 96). غير أن ضعف الوجود القرطاجي بالمغرب حسب ما أفرزته المعطيات الاركيولوجية المتوفرة لدينا، وارتباط الساحل الاطلنطي المغربي بالفينيقيين أكثر من

دون غيرهم بحالة هذه السواحل الموجودة بالخصوص فيما وراء عمودي هرقليس[27]. وبذلك تعد رحلة "سكيلاكس" من أهم المصادر القديمة التي يمكن اعتمادها في كتابة المرحلة الفينيقية بالمغرب، وأوضح وثيقة وأغزرها بالمعلومات حول هذه المرحلة. فعلاوة على وصف "سكيلاكس" إسوة بحنون لأهم المعالم الجغرافية التي كان الفينيقيون يعرفونها من رؤوس بحرية وجزر وخلجان وبحيرات وأنهار وتجمعات سكانية محلية وفينيقية، عمل المؤلف الاغريقي على الاحاطة بطبيعة العلاقة التي كانت تجمع الفينيقيين بإحدى التجمعات المحلية للمغرب القديم الواردة في النص على شكل جزيرة قرنة[28].

أما فيما يتعلق بليكسوس ونهرها، وهو الموضوع الذي يهمنا في الرحلة، فإنهما كانا حاضرين بشكل واضح في النص، حيث ورد في هذا الشأن ما يلي[29]:

« بعد الأنيليس، يوجد نهر كبير آخر يدعى ليكسوس، ومدينة للفينيقيين وهي ليكسوس، ثم مدينة أخرى يقطنها الليبيون توجد بعد هذا النهر، وميناء. وبعد نهر ليكسوس، يوجد نهر كرابيس (كراطيس ؟) ثم ميناء ومدينة الفينيقيين تدعى توميانيريا [...] ».

« ... وبعد رأس سولوييس يوجد نهر يدعى كسيون. حول هذا النهر يقطن الايثيوبيون المقدسون (؟). في هذه المنطقة، توجد جزيرة تدعى قرنة [...] ».

من خلال هذه المقتطفات، يلاحظ أن "سكيلاكس" يعد أقدم مؤلف يشير لفظا الى مدينة ليكسوس. بل إن النص يشير بالحرف الى أنها "**مدينة للفينيقيين**"[30]، مما يعني أنها كانت إذاك مؤسسة تابعة لفينيقيي الشرق وليس للقرطاجيين، كما يلاحظ "ميشيل بونسيك"(M.Ponsich)[31]. وهذه معلومة تفيدنا مرة أخرى في كون السياق العام للاوصاف التي أوردها "سكيلاكس" حول الساحل الاطلنطي للمغرب، كان سياقا سابقا

ارتباطهم بالبونيقيين، يجعلنا نتحفظ في شأن فكرة "ديزانج". وأما تعرف فينيقيي قادش على هذه السواحل فهو أمر وارد، وسوف نناقشه عند الحديث عن العلاقة التي جمعت قادس بليكسوس في الفصل الثاني عشر.

كما يعتبر "موريس بيسنيي" (Besnier(M), Géographie ancienne du Maroc, op. cit, p. 306) أن سكيلاكس انتحل معلوماته المتعلقة بالساحل الاطلنطي المغربي من رحلة "أوتيمينيس المرسالي" (Euthyménès de Marseille) التي يؤرخها بالنصف الاول من القرن الرابع قبل الميلاد، أو بالقرن السادس قبل الميلاد حسب "كسيل" (Gsell(S), Connaissances géographiques des Grecs sur les côtes africaines de l'océan, op. cit, p. 297-300). غير أن هذه الرحلة المفترضة، التي اعتقدها البعض أنها وصلت حتى حدود نهر السينيغال، ينقدها "جيهان ديزانج" (J. Desanges) اعتمادا على الدراسات الملاحية التي أضحت تثبت أن الابحار القديم لم يكن يتعدى الصحراء المغربية. انظر :

Desanges(J), Recherches sur l'activité des Méditerranéens aux confins de l'Afrique, op. cit, p. 17-27.

(27) ليس بالضرورة أن يكون سكيلاكس قد تعرف شخصيا على السواحل المغربية الواردة في رحلته. وهو التساءل الذي طرحه "جيهان ديزانج"، معتبرا أن ما ورد عند "أفيينوس" (Avienus) في شأن وصف سكيلاكس لأعمدة هرقليس (Ora maritima, 372-374)، لا يعني أن الجغرافي الاغريقي قد تابع رحلته ما وراء هذه الاعمدة الى حدود جزيرة قرنة. انظر :

Desanges(J), Recherches sur l'activité des Méditérranéens aux confins de l'Afrique, op. cit, p. 89.

(28) تعتبر رحلة سكيلاكس الوثيقة المعاصرة الوحيدة التي يمكن الاستناد إليها حول القضايا المتعلقة بالملاحة الفينيقية على الساحل الاطلنطي المغربي، وبتحديد السلع المتبادلة بين الفينيقيين وسكان هذا الساحل. كما تعتبر أوضح وثيقة وأشملها لدراسة حالة السكان القدامى عند اتصالهم بالفينيقيين، من حيث عاداتهم وأوصافهم الفيزيولوجية وأوضاعهم السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية.

(29) Périple de Scylax, 112 ; ap. Desanges(J), Recherches sur l'activité des Méditérranéens aux confins de l'Afrique, op. cit, p. 414.

(30) Gsell(S), Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord,op. cit, t.II, p. 172.

(31) Ponsich(M), Fouilles puniques et romaines à Lixus, op. cit, p. 17.

للعصر القرطاجي[32]. وهذا يعني ضمنيا أن ليكسوس كانت إذاك في ملك الفينيقيين، أي أنها كانت على شكل مستوطنة فينيقية معروفة في عهد "سكيلاكس".

ولعله أن الامر يتعلق بمدينتين توأمين كما يرى "جيهان ديزانج" (JehanDesanges)[33]، أولاهما فينيقية خاصة بالسكان الفينيقيين، والثانية "**يقطنها الليبيون**" توجد ما بعد نهر "ليكسوس"[34]. وحيث أن المصدر يحدد المدينة المحلية بالنسبة "**لكل مبحر فيما وراء عمودي هرقليس**"، فمما لا شك فيه أن موقعها كان على الضفة اليسرى للنهر بالقرب من المصب، أو على الاقل مباشرة جنوب المدينة الفينيقية[35]. ويرجح كل من الرحالة الالماني "هينريخ بارت" (Heinrich Barth)[36]، والديبلوماسي الفرنسي "شارل تيسوت" (Ch.Tissot)[37]، أن هذه المدينة كانت توجد في الموقع الحالي لمدينة العرائش. وذلك استنادا لكون الاراضي الخصبة لمنطقة العرائش عملت دون شك على جلب ساكنة للاستقرار بالمنطقة منذ القدم. كما أن الرأس البحري الذي شيدت فوقه المدينة يمثل ملجأ طبيعيا يحمي المكان من الرياح الغربية والشمالية الغربية المريعة، ويشكل ربما ذلك الميناء الذي خص به "سكيلاكس" المدينة المجهولة الاسم التي كانت تقابل مدينة ليكسوس الفينيقية.

---

(32) لا ريب أن مصادر "سكيلاكس" (Scylax) في وصف الساحل الاطلنطي للمغرب كانت مصادر فينيقية قديمة، نظرا لعلم البحارة الفينيقيين بطوبوغرافية هذا الساحل، خصوصا الممتد منه من رأس سبارتيل الى حوض سبو. وكان من الطبيعي أن تعمل البحرية الفينيقية باستكشاف هذا الساحل والتعرف عليه، وتسجيل أوصافه، وأن تتوفر لهذه البحرية صورة مكتملة حول الشعوب المجاورة لهذا الساحل، وحول التجمعات السكانية المحيطة بشطآنه وبحيراته ومصبات أنهاره، وحول إمكانياته الاقتصادية. وذلك حتى تتمكن الآلة التجارية الفينيقية من إقامة مبادلات منتظمة مع أهالي هذا الساحل، وضمان سوق مربحة لترويج سلعتها بأمان. وهذا ما يمكن استنتاجه من النص نفسه، عندما قرن هذا الساحل بالفينيقيين وليس بالقرطاجيين، عكس ما كان عليه الامر بالنسبة للساحل المتوسطي الى حدود أعمدة هرقليس، حيث كانت جميع المدن والمحطات "***كلها في ملك القرطاجيين***" حسب تعبير سكيلاكس نفسه. والغالب على الظن أن المعلومات التي أوردها "سكيلاكس" حول المنطقة الممتدة من خليج السرت الى أعمدة هرقليس، والتي يعتبر المؤلف أراضيها تابعة لنفوذ قرطاجة، كانت معلومات منبعها المصادر البونيقية. وهي حالة تعكس الوضعية الجيوسياسية للحوض المتوسطي، عندما كانت قرطاجة تعمل على ترسيخ ما يسمى بإمبراطوريتها البحرية. وأما المعلومات المتعلقة بما وراء أعمدة هرقليس، فإن المصادر المعتمدة فيها هي مصادر فينيقية أو قادسية أو ليكسوسية (Desanges(J), Recherches sur l'activité des Méditerranéens aux confins de l'Afrique, op. cit, p. 116.)، لأن هذا النطاق كان تابعا دائما لنفوذ الفينيقيين. كما أن الوجود القرطاجي في الساحل المغربي عموما، وفي واجهته الاطلنطية خصوصا يعتريه غموض كبير، بالرغم من توفر وثيقة رحلة حنون، التي لا ينبغي اعتبارها بمثابة استيطان تاريخي لقرطاجة بهذا الساحل. وهذا ما لمح إليه منذ القدم المؤرخ الروماني "بلينيوس" عندما صرح قائلا (Pline, Histoire Naturelle, V, 8) : << ***وقد أورد أغلبية الكتاب الاغريق واللاتان، معضدين بشهادته، من بين ما أوردوه من الخرافات، أنه***(أي حنون) ***أسس هناك مدنا عديدة : لكنها لم تخلف أية ذاكرة ولا أثر*** >>. ولحد الساعة، فإن الاستكشافات الاركيولوجية تتوافق مع ما أورده "بلينيوس"، حيث لم يعثر ببلاد المغرب على أي دليل مادي ملموس ينم عن توسع قرطاجي شبيه بالتوسع الذي قام به الفينيقيون من قبل.

(33) Desanges(J), Lixos dans les sources littéraires grecques et latines, op. cit, p. 4.

(34) يرجح "جيهان ديزانج" (Jehan Desanges) أن الاشارة الى وجود تجمعين سكنيين اثنين بليكسوس، قد دونت على الاقل خلال القرن الخامس قبل الميلاد، إن لم يكن قبل ذلك بكثير. انظر :

Desanges(J), Lixos dans les sources littéraires grecques et latines, op. cit, p. 4.

(35) ألا يمكن أن نستشف من هذه الاشارة أن ليكسوس كانت تتألف من مدينتين اثنتين يفصل بينهما النهر، أولاهما محلية والثانية فينيقية، وبالتالي كانت تمثل إحدى المدن "الليبية–الفينيقية" التي أشارت اليها المصادر القديمة ؟

(36) Barth(H), Wanderungen durch die Küstenländ des Mittelmeeres, ausgefürt in den Jabren 1845, 1846 und 1847, I, p. 21.

(37) Tissot(Ch), Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie tingitane, Mémoires des savants étrangers, 1ère série, t. IX, Paris, 1878, p. 221.

وكيفما كان الحال، فإن "جيهان ديزانج"[38] حاول البحث عن مكان لهذه المدينة في الإيستوريوغرافيا القديمة، مرجحا أن تكون مدينة "طرينكا" (Trinka) الواردة عند "استرابون" (Strabon)[39]، أو "طرينكي" (Thrinké) الواردة عند "هيكاتيوس الميليتي" كما سلف ذكره.

غير أن ما يدعو للاستغراب حول ما أورده "سكيلاكس" في شأن هذه المدينة[40]، أنها كانت تتوفر على ميناء، في حين من المنطقي أن يكون الميناء مرتبطا بالمدينة الفينيقية، أي بليكسوس، علما بأن النشاط البحري للفينيقيين كان أهم بكثير من نشاط الليبيين. اللهم إذا كان المقصود بالميناء في النص ميناء ليكسوس نفسه، الذي –دون أن يكون بالضرورة عند ضفة المستوطنة الفينيقية– لعله كان موجودا في مكان ما بمصب النهر، أو كان في نفس مكان الميناء الحالي لمدينة العرائش.

ولم يقتصر "سكيلاكس" على استحضار ليكسوس وحدها باعتبارها مدينة فينيقية، بل أشار الى مدينة فينيقية ثانية تحت اسم "توميانيريا"(Thumiatêria)[41]، التي نفهم من خلال سياق النص أنها كانت في حوض الغرب،إذا تأكد أن نهر "كرابيس" (Krabis) الوارد في النص هو واد سبو. وهذا يرجح مرة أخرى أن السياق العام للنص إنما يخص مرحلة كان خلالها الفينيقيون قد انتشروا بشكل واسع في الجزء الشمالي للساحل الاطلنطي للمغرب، وأسسوا مجموعة من المستوطنات والمراكز التي كانوا مستقرين بها.

أين كانت توجد هذه المدينة ؟ رغم أن العديد من المؤلفين قرنوا هذا الموقع بالمركز الذي يحمل نفس الاسم في رحلة حنون[42]، إلا أن الغالب على الظن أن الامر يتعلق باسم محرف أو مقروء بشكل خاطئ، مما حدا "بروني روبيفا" (R.Rebuffat) الى اعتبار أن المقصود بتوميانيريا هو مركز "تاموسيدا"(Thamusida)[43]. فهل لدينا قرائن كافية لتأكيد أن هذا المركز كان يضم مستوطنة فينيقية معاصرة لليكسوس ؟

في الواقع، لم يتم الكشف عن مستويات استراتيغرافية فينيقية في "تاموسيدا"، رغم الاستبارات التي قام بها "أرماند لوكي" (Armand Luquet) في عين المكان منذ عام 1933، تحت إشراف "أرماند رولمان" (Armand Ruhlmann)[44]. غير أن العثور على نقود تعود الى العصر البونيقي–الحديث، وعلى تميمة على شكل خميسة مصنوعة من العظم مشابهة للنماذج القرطاجية التي وجدت في قبور القرنين الرابع قبل

---

(38) Desanges(J), Recherches sur l'activité des Méditérranéens aux confins de l'Afrique, op. cit, p. 113.

(39) Strabon, XVII, 3, 2.

(40) ألا يمكن الاعتقاد بأن الامر يتعلق بنواة حضرية قديمة عرفها المكان الحالي لمدينة العرائش ؟ إنه تسؤال جدير بالطرح، رغم أننا لا نتوفر على أي دليل مادي يؤكد ذلك.

(41) يذكر "موريس بيسنيي" أن كلمة "تومياتيريون" (Thumiatêria) التي تعني المبخرة، ما هي في الواقع سوى الترجمة الاغريقية لاسم (Kither) الفينيقي. انظر :

Besnier(M), Géographie ancienne du Maroc, op. cit, p. 338.

(42) يورد حنون في الفقرة الثانية من رحلته ما يلي :

<< ***أسسنا مدينة سميناها "تيمياتيريون"، يوجد خلفها سهل كبير*** >>

(43) Rebuffat(R), Recherches sur le bassin du Sebou II : Le périple d'Hannon, op. cit, p. 269, note n° 39.

غير أن "جيهان ديزانج" يرى أن مركز "توميانيريا" (Thumiatêria) عند سكيلاكس كان يوجد في الموقع الحالي لمدينة المهدية، التي مع ذلك لم تخلف أي أثر قديم معروف (Desanges(J), Recherches sur l'activité des Méditérranéens aux confins de l'Afrique, op. cit, p. 114). وهذا ما يؤكد عليه "أرماند لوكي"(A. Luquet)، عندما لم يعثر على أي أثر يعود الى الحقبة البونيقية ولا الرومانية، من جرّاء الاستكشافات التي قام بها داخل قصبة المهدية وفي ضواحيها. انظر :

Luquet(A), Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc : Le Maroc punique, **B.A.M**, t. IX, 1973 - 1975, p. 261.

(44) Luquet(A), Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc : Le Maroc punique, op. cit, p. 259.

الميلاد والثالث منه[45]، يجعلنا نعتقد بقدم المركز. كما أن الكشف عن شقفات من الخزف المصبوغ في "تاموسيدا" يدل على حدوث علاقات تجارية مع مركز "بناصا" (Banasa) القريب، الذي كان من مراكز حوض سبو التي أنتجت هذا النوع من الخزف بتأثير فينيقي واضح. وهذا ما حدا بعالم الآثار "أرماند لوكي" الى اعتبار أن الفينيقيين الذين أدخلوا منتوجاتهم الى مركز "بناصا" منذ القرن السابع قبل الميلاد، الذي يوجد على بعد حوالي خمسين كيلوميترا من تاموسيدا سيرا نحو عالية سبو، كانوا يرسون في ميناء تاموسيدا الفينيقي أو المحلي الذي يبعد حاليا عن مصب النهر بحوالي 35 كلم[46].

إن الغاية من استحضار هذه المعلومات حول المركز الفينيقي الثاني الذي أورده "سكيلاكس"، هو إبراز أن السياق العام الذي تمت فيه الاشارة الى ليكسوس، سياق يؤكد حضور الفينيقيين بالمحيط القريب من ليكسوس. فعلاوة على كون ليكسوس وصفت كمدينة للفينيقيين الى جانب "تومياتيريا"، فإن التجار الذين أبرموا علاقات تجارية مع أهالي جزيرة قرنة، -التي كانت موجودة بمنطقة غير بعيدة عن جهة ليكسوس[47]- كانوا تجارا فينيقيين، وسفنهم كانت سفنا فينيقية من نوع السفن المكورة المعروفة باسم "كاولوس" (Gaulos) بالاغريقية. بل حتى السلع المتبادلة مع المحليين كانت من نوع السلع الفينيقية التي شاع ترويجها على الاقل خلال القرن السابع قبل الميلاد، وليس بعده.

هذا فيما يتعلق بمدينة ليكسوس الفينيقية. أما فيما يخص واد اللكوس، فإذا اعتبرنا أن "رأس سولوييس" (Soloeis) الوارد في النص هو رأس سبارتيل، فمما لا شك فيه أن "سكيلاكس" قد ذكر واد ليكسوس مرتين اثنتين باسمين مختلفين. المرة الاولى ورد فيها على صيغته المعروفة "ليكسوس" (Lixos)، بينما ورد في المرة الثانية تحت اسم واد "كسيون" (Xion)[48]، الذي لم يكن ينقصه سوى المقطع اللفظي الاول حسب "أنطونيو بلاسكيس" (A.Blazquez)[49] ليصبح "ليكسيون" (Lixion) القريب النطق من "ليكسوس" (Lixos). وهذا يدل على أن محرر نص الرحلة كان يعتمد في ذات الوقت على مصادر مختلفة ومتباينة.

---

(45) Idem, Ibid, p. 259.

(46) Idem, Ibid, p. 259.

غير أن "سيلفي جيرارد" (S. Girard) ترى أن التأثيرات الفينيقية الواضحة في "بناصا" (Banasa)، خصوصا في مجال صناعة الفخار لا تعني أن المركز كان من تأسيس الفينيقيين، بل ترجح أن يكون عبارة عن تجمع محلي لايتعدى تاريخه القرن الرابع قبل الميلاد. انظر :

Girard(S), L'alluvionnement du Sebou et le premier Banasa, **Bulletin archéologique du C.T.H.S**, n° 17, Année 1981, Fasc. B, 1984, p. 152 ; Girard(S), Banasa préromaine, un état de la question, **Antiquités africaines**, t. 20, 1984, p. 92.

(47) يورد "سكيلاكس" (Scylax) (Périple de Scylax, 112) ما يلي : « ***بعد رأس سولوييس يوجد نهر يدعى كسيون. حول هذا النهر يقطن الايثيوبيون المقدسون (؟). في هذه المنطقة، توجد جزيرة تدعى قرنة*** ».

من خلال هذا الكلام، واعتمادا على الرأي الذي يرى أن المقصود بنهر "كسيون" (Xion) هو نهر اللكوس كما سنرى، فإن جزيرة قرنة كانت على ما يبدو قريبة من مدينة ليكسوس أو في جهة غير بعيدة عن حوض اللكوس. بل يعتبر "فرانسوا فيلار" (F. Villard) أن "سكيلاكس" إنما حدد في قرنة علاقات تجارية كانت تحدث في الواقع في ليكسوس (Villard(F), Céramique grecque du Maroc, op. cit, p. 22). وحيث أنه يفهم ضمنيا من النص أن "الاثيوبيين المقدسين" لم يكونوا منتشرين مباشرة على ساحل البحر، بل على ضفاف الانهار، فهذا يعني أن جزيرة قرنة كانت جزيرة نهرية أو بحيرية، أي أنها كانت موجودة داخل الاراضي حسب "بلاسكيس" (Blazquez). انظر :

Blazquez(A), Las costas de Marruecos en la antigüedad, op. cit, p. 492.

(48) غير أن "جيهان ديزانج" (J. Desanges)، يعتبر أن واد "كسيون" (Xion) هو واد القصب، الذي يصب بالقرب من مدينة الصويرة، لكونه يحدد موقع جزيرة قرنة عند سكيلاكس في جزيرة موكادور. انظر :

Desanges(J), Recherches sur l'activité des Méditérranéens aux confins de l'Afrique, op. cit, p. 118.

(49) Blazquez(A), Las costas de Marruecos en la antigüedad, op. cit, p. 491.

III ـ رحلة "بوليبيوس" (Polybe) :

إن الرحلة التي قام بها المؤرخ الاغريقي "بوليبيوس" (200 ق.م–120 ق.م) للساحل الاطلنطي المغربي بأمر من القائد الروماني "سيبيون" (Scipion Emilien) (185 ق.م–129 ق.م) خلال ربيع أو صيف 147 ق.م، والتي حدثت بمجرد إقامة الحصار على قرطاجة، كان الغرض منها التعرف على المناطق البعيدة التي كانت لها علاقة ما بالعاصمة البونيقية[50].

ولاريب أن هذه الرحلة، الواردة عند "بلينيوس" (Pine) في الفقرتين التاسعة والعاشرة من كتابه الخامس، تعتبر أول محاولة رومانية لاستكشاف الساحل الغربي لشمال افريقيا، وتحريره من الاحتكار المعرفي الفينيقي–البونيقي، تمهيدا لرومنته فيما بعد. فجاءت الرحلة بأوصاف للمعالم الجغرافية البارزة للساحل الاطلنطي للمغرب، من موانئ وأنهار كبرى ورؤوس بحرية وخلجان وجبال، علاوة على مجموعة من أسماء القبائل والشعوب.

وفيما يتعلق بليكسوس، فأول ما يثير انتباهنا أنها كانت حاضرة بشكل متميز في رحلة "بوليبيوس"، نظرا للاستناد إليها دون غيرها من المراكز الاخرى كمنطلق لتحديد مواقع مجموعة من المعالم بالساحل الاطلنطي للمغرب. وفيما يلي الترجمة العربية للمقتطفات المتعلقة بليكسوس في هذه الرحلة، كما هي واردة في ترجمة "جيهان ديزانج"(J.Desanges)[51] :

V, 9 : ***عندما كان سيبيو إيميليانو يمارس القيادة في إفريقيا، نفذ بوليبيوس المؤرخ رحلة بمعية أسطول سلمه إليه هذا الاخير لاكتشاف محيط هذه القارة. وقد روى أنه ابتداء من الاطلس في اتجاه الغرب تمتد أدغال مملوءة بحيوانات متوحشة توفرها إفريقيا الى نهر أناطيس [...]، من أناطيس الى ليكسوس، هناك 205 ميل حسب أكريبا ؛ وتوجد ليكسوس على بعد مائة واثنى عشرة ميل من مضيق كادي ؛ ابتداء من هناك*** (أي من ليكسوس)، ***يوجد الخليج الذي يدعى ساكيكي، ومدينة فوق رأس موليلاشا، ونهري سوبويا وسَلاَت، وميناء روتوبيس على بعد مائتين وأربع وعشرين ميل من ليكسوس ؛ انطلاقا من هناك، يوجد رأس الشمس، وميناء ريسادير [...]***

من خلال هذه الفقرة، ورغم أن النص لم يشر لفظا الى الماضي الفينيقي لليكسوس، يتبين أن ليكسوس كانت حاضرة في الرحلة أكثر من غيرها من المراكز الاخرى، مما يمكن تفسيره بكونها كانت تمثل أهم مركز عرفه الساحل الاطلنطي للمغرب خلال قيام "بوليبيوس" برحلته. وهذا يوحي بأن المكانة التي تمتعت بها ليكسوس خلال العصر الفينيقي، سوف تستمر خلال العصر البونيقي، مسايرة لنفس الدور الذي نهجته في تنظيم التجارة والملاحة على الساحل الاطلنطي، في غياب نفوذ واضح للقرطاجيين بالمغرب.

فخلال هذه الرحلة الاستكشافية التي تمكن خلالها المؤرخ الاغريقي من الوصول على الاقل الى واد درعة، وربما الى رأس "جوبي" بالصحراء المغربية[52]، تم الاعتماد على ليكسوس كمنطلق لتحديد المسافة الفاصلة بينها وبين نهر أم الربيع الوارد تحت اسم "أناطيس" (Anatis)[53]، وبينها وبين مضيق جبل طارق[54]، وبينها وبين ميناء "روتوبيس" (Rutubis) الموجود في مدينة الجديدة أو في ناحيتها[55]. وهذا

---

(50) Carcopino(J), Le Maroc antique, op. cit, p. 159.

(51) Desanges(J), Recherches sur l'activité des Méditérranéens aux confins de l'Afrique, op. cit, p. 416.

(52) Idem, Ibid, p. 146-147.

(53) تحددت المسافة الفاصلة بين ليكسوس ونهر "أناطيس" (Anatis) بمائتي وخمسة أميال. وهو ما يعادل حوالي 300 كلم، مما يجعلنا نتيقن بأن النهر المقصود إنما هو واد أم الربيع (Pline, Histoire naturelle, V, 9).

(54) ورد مضيق جبل طارق في النص على صيغة "مضيق قادس" (*Gaditano freto*)، وتحددت المسافة بينه وبين ليكسوس في 112 ميل، أي ما يعادل 165 كلم (Pline, Histoire naturelle, V, 9). وفي هذا الصدد، يعتبر "جيهان ديزانج" (Jehan Desanges) أن "بوليبيوس" لم

يوحي بأن ليكسوس كانت على علم ومعرفة بمختلف الانهار والمواقع الجغرافية والمراكز التي حواها الساحل المغربي، وأن السفن الليكسية كانت تبحر باستمرار الى هذه المناطق على مر العصور، مما مكنها من تحديد المسافات الدقيقة التي تفصلها عن هذه المواقع. وإذا كان حنون قد اعتمد على تجربة ليكسوس لاستكشاف الساحل الاطلنطي المغربي باصطحابه لمجموعة من المرشدين الليكسيين، فمن القياس أن يكون المؤرخ "بوليبيوس" قد اعتمد كذلك على ربابنة هذه المدينة لمرافقته في رحلته[56].

ومما ينم عن ذلك، ويرجح أن تكون ليكسوس قد توفرت على دائرة تابعة لنفوذها بالساحل الاطلنطي للمغرب منذ عصور قديمة، أن "بوليبيوس" أشار الى خليج يدعى "خليج ساكيكي" (Sinum Sagigi)، يوجد مباشرة جنوب ليكسوس. ومن المرجح أنه نفس الخليج الذي أطلق عليه "استرابون" (Strabon) اسم "خليج الوكالات التجارية"[57]، أي خليج محطات التجارة الفينيقية. ويرى "شارل تيسوت" (Ch. Tissot) أن "بوليبيوس" (Polybe) احتفظ لنا بالتسمية الفينيقية لهذا الخليج، اعتبارا لكون مصطلح "ساكوت" (Sagout) مشتق من الكلمة الفينيقية "سقروت" (Sakharout) التي تعني الوكالات التجارية[58]. فهل يمكن ربط هذه الكلمة بالمصدر "قرّ" في اللغة العربية وفي اللغات السامية القديمة الذي يعني الاستقرار بالمكان، والذي له علاقة بكلمة "قاروم" (Kàrum)[59] ؟ والقاروم مدلول آشوري كان يقصد به المقاطعات الموجودة خارج المدن الكبرى، والتي كانت وظيفتها الاساسية هي القيام بالمعاملات التجارية. أي أنها كانت تقوم بدور الميناء التجاري أوالمحطة أو السوق أو مكان التجارة الذي يلجه التاجر أو "التمقاروم"[60].

أما مكان خليج الوكالات التجارية الفينيقية، فقد حدد "بوليبيوس" نقطة انطلاقه ابتداء من مدينة ليكسوس، مستدلا بذلك على النطاق التجاري الجنوبي الذي كان مجالا لنفوذ المستوطنة الصورية ونشاطها. وإذا كانت الحفائر الاركيولوجية قد أفرزت العديد من المعثورات الأثرية شمال ليكسوس، فإن استحضار "بوليبيوس" لمجموعة من أسماء الأماكن ذات الاشتقاقات اللغوية الفينيقية التي كانت مواقعها جنوب ليكسوس، يجعلنا نعتقد بحقيقة وجود خليج أو ساحل نشطت به التجارة الفينيقية ما بين ليكسوس وجزيرة موكادور[61].

يكن مبالغا في هذا التحديد إذا اعتبرنا طبعا أن المسافة المقترحة كانت تستند الى مدة الابحار، والتي كانت تستغرق في هذه الحالة يومين كاملين لقطع مسافة 130 كلم الفاصلة بين ليكسوس وسبتة. ومن المعلوم أن تحديد أيام الابحار التي كانت تقطعها المراكب خلال العصر القديم كان يرتبط بعدة متغيرات. انظر :

Desanges(J), Lixos dans les sources littéraires grecques et latines, op. cit, p. 2.

(55) ما بين ليكسوس وميناء "روتوبيس" يعد النص 224 ميل، أي ما يعادل 331 كلم، مما يجعلنا نحدد موقع هذا الميناء في الجديدة وناحيتها، إما في "رأس البريجة" أو في تيط.

(56) Carcopino(J), Le Maroc antique, op. cit, p. 160.

(57) Strabon, XVII, 3, 2.

(58) Tissot(Ch), Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie tingitane, op. cit, p. 230.
غير أن هناك من يرى أن كلمة "ساكيكي" (Sagigi) تعتبر تحريفا لكلمة "ساريكي" (Sarigi) السامية، التي تعني نوعا من الكروم. انظر :
Roget(R), Index de topographie antique du Maroc, Publications du Service des Antiquitées du Maroc, fascicule 4, Paris, 1938, p. 73 ; Gsell(S), Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord,op. cit, t.II, p. 175.

(59) في العربية قرّ في مكان يعني استقر به. وهو نفس المعنى الوارد في كلمة رسا التي تعني ثبت أو استقر أو توقف. وهو الفعل الذي يشتق منه مصدر مرسى الذي يعني الميناء.

(60) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, Barcelona, Editorial Bellaterra, 1987, p. 86-87.

(61) يرى كل من "موريس بيسنيي" و"شارل تيسوت" أن "خليج المحطات" ينتهي عند "رأس مازاغان". انظر : Besnier(M), Géographie ancienne du Maroc, op. cit, p. 338 ; Tissot(Ch), Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie tingitane, op. cit, p. 230.

من هذه المواقع ذات الاصول الفينيقية الواردة في رحلة بولييبوس نذكر : ميناء "روتوبيس" (Rutubis) [62] و"رأس الشمس" [63] وميناء "ريسادير" (Rhysaddir) [64].

IV – "استرابون" (Strabon) :

كما هو الشأن بالنسبة لرحلة "بولييبوس" ، يلاحظ أن الاشارة الى ليكسوس كمنشأة فينيقية لم ترد نصا في كتاب "الجغرافيا" الذي ألفه المؤرخ والجغرافي الاغريقي "استرابون" في القرن الاول للميلاد (58 ق.م– ما بين 21 و25 م). ومع ذلك فإن المقتطفات التي تعرضت بشكل أو بآخر الى ليكسوس في الجزء السابع عشر المتعلق "بوصف موروسيا" [65] ، كانت تحمل في طياتها ما ينم عن الماضي الفينيقي لهذه المدينة، سواء بالتركيز على مسألة تناظرها مع توأمتها الفينيقية قادس، أو باستحضار نفوذها على خليج الوكالات التجارية الفينيقية بالساحل الاطلنطي للمغرب، أو بالاشارة الى معبد ملقارت الذي كان يرمز الى وجودها.

1) ليكسوس وقادس :

عندما أراد "استرابون" أن يحدد موقع ليكسوس وأن يدقق فيه، فإنه أعد قياساته الحسابية بالنسبة لمدينة قادس، حيث أورد ما يلي، حسب ترجمة "جيهان ديزانج(Jehan Desanges) للمصادر الادبية القديمة حول ليكسوس [66] :

« بالقرب من ذلك [67] ، توجد أيضا مدينة صغيرة تطل على البحر، يطلق عليها البربر طرينكس، غير أن أرطيميدور كان يطلق عليها اسم لانكس وإيراطوسطين إسم ليكسوس؛ وهي توجد في الطرف المقابل للمضيق بالنسبة لقادس، والتي تبعد عنها بمسافة بحرية تبلغ ثمان مئة غَلْوَة، في مثل المسافة الكبيرة التي تفصل كل واحدة من هاتين المدينتين من مضيق الاعمدة ».

من خلال هذه الفقرة، نلاحظ أن "استرابون" ، استنادا الى الجغرافي وعالم الرياضيات "إيراطوسطين" (Eratosthène) الذي عاش في غضون النصف الثاني من القرن الثالث قبل الميلاد، حدد موقع مدينة ليكسوس في الطرف الغربي من "موروزيا" (Maurosia)، أي موريطانيا عند الرومان. بل إنه أراد أن

---

[62] لا ريب أن كلمة "روتوبيس" (Rutubis) تعني "رأس بس"،أي رأس الاله المصري "بس" الذي عرف انتشارا كبيرا بين الفينيقيين، كما تشهد على ذلك التمائم والخنافس الفينيقية–البونيقية الكثيرة التي مثلت هذا المعبود، خصوصا ما بين القرنين السابع والرابع قبل الميلاد (Hermary(A), **Bès**, Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique, Brepols, 1992, p. 69). وتعد أسماء الاماكن الفينيقية التي تحمل اسم "رأس" مثل "رأس ملقارت" ضمن المجموعة الرابعة من تقسيم "موريس زنيسير" (Maurice Sznycer) للطوبونيميا الفينيقية بالحوض المتوسطي الغربي. ومن أسماء هذه المجموعات نذكر المواقع التي تحمل اسم "قرط" مثل "قرط حدشت"، والتي تحمل اسم "مقام" مثل "مقام شمس". انظر :

Sznycer(M), Toponymes phéniciens en Méditerranée occidentale, Leyde, 1977, p. 171-174.

[63] الغالب على الظن أن الكلمة الموالية لرأس لا يجدر ترجمتها بكلمة "الشمش" كدلالة عن النجم، بل بكلمة "شَمَش" كدلالة عن المعبود الفينيقي المعروف بهذه التسمية، حيث يصبح معنى الكلمتين "رأس الاله شمش". ومما يرجح ذلك أن مجموعة من أسماء الاماكن الفينيقية كانت تتألف من "رأس" كمدلول جغرافي، ومن المعبود الفينيقي الحامي للمكان، نذكر منها "رأس ملقارت".

[64] أي "الرأس القادر" أو "الرأس العالي". انظر :

Movers(K), Die Phönizier, t. II, Berlin, 1849-1856 ; ap. Besnier(M), Géographie ancienne du Maroc, op. cit, p. 326.

[65] أطلق "استرابون" (Strabon) على منطقة المغرب الاقصى اسم "موروسيا" (Maurusie)، أي بلاد المور. ولا ريب أن هذه التسمية مشتقة من الكلمة السامية "عمورو" التي كانت تعني الغرب بالنسبة لحضارات بلاد الرافدين، أو البلدان الغربية.

[66] Strabon, XVII, 3, 2 ; ap. Desanges(J), Sources littéraires antiques sur Lixos, op. cit, p. 406.

[67] أي في ناحية أقصى شمال غرب المغرب، كما نفهم ذلك من خلال كلام "استرابون" (Strabon) نفسه الذي أورد فيه :

« عندما نجتاز مضيق أعمدة هرقليس، وعندما تكون ليبيا على يسارنا، نجد جبلا يسميه الاغريق أطلس والبربر ديريس. هناك يتقدم رأس بحري باعتباره أبعد نقطة غربية في موريطانيا يدعى كوطيس ». انظر :

Strabon, XVII, 3, 2 ; ap. Roget(R), Le Maroc chez les auteurs anciens, op. cit, p. 22.

يكون أكثر دقة لما حدد المسافة التي تجمع ليكسوس بنظيرتها قادس في ثمان مائة غَلْوَة (stades)، أي ما يعادل 148 كلم. كما أورد أن المدينتين تبعدان عن عمودي هرقليس بنفس المسافة.

وهنا يجدر بنا أن نتساءل عن السر في الاقتصار على مدينة من إسبانيا وهي قادس كمنطلق لتحديد موقع مدينة ليكسوس، خصوصا إذا علمنا أن المسافة الفاصلة بين ليكسوس وقادس تبعا لخط بحري مستقيم تعادل بالضبط 148 كلم. وإذا علمنا أيضا أن مسافة الابحار صوب كل من ليكسوس وقادس، انطلاقا من وسط مضيق جبل طارق المقابل لجبل "آشو" المعروف بعمود "أبيلا" ولجبل طارق المعروف بعمود "كالبي"، تبلغ كذلك 148 كلم.[68]

هذه الدقة في المسافات الواردة لدى "استرابون" ، في رسم مثلث متساوي الاضلاع يجمع بين المدخل الشرقي لمضيق جبل طارق وبين كل من ليكسوس وقادس، لا يمكن تفسيرها إلا بوجود ارتباط متين كان يقترن بالمدينتين في ذاكرة المصادر الادبية القديمة. وذلك بحكم الدور المهم الذي لعبته كل من ليكسوس وقادس في عملية التوسع الفينيقي. فالاقتصار على قادس دون "طنجيس" مثلا التي كانت أقرب الى ليكسوس لتحديد موقعها، يعزى حسب "جيهان ديزانج"[69] الى المكانة التي حظيت بها ليكسوس في الايستوريوغرافيا الكلاسيكية بحكم دورها في عملية التوسع الفينيقي نحو الغرب، مما أدى الى تنحية طنجة الى مرتبة أدنى. كما أن القياسات الحسابية الدقيقة والصحيحة التي أوردها "استرابون" في شأن ليكسوس وقادس، تعكس بدورها الروابط التي كانت تجمع المستوطنتين الفينيقيتين في التصور الهندسي للحواشي الغربية للعالم المأهول.

هذه الروابط تتجلى في مجال آخر لدى "استرابون" (Strabon) نفسه في رواية ورد فيها أن بحارة قادس الاكثر فقرا كانوا يردون باستمرار على مشارف نهر ليكسوس لصيد السمك بواسطة مراكب صغيرة جآجئها على شكل رأس الفرس. كما أورد أن بعض هؤلاء كانوا أحيانا يتجاوزون مجازفة هذه النواحي التي كانت مألوفة لديهم، دون أن يعودوا.

يورد "استرابون" نقلا عن ترجمة "جيهان ديزانج" للمصادر الادبية القديمة حول ليكسوس، ما يلي[70]:

« ***في هذه المدينة*** [قادس] ***بالفعل، بينما يجهز الاغنياء سفنا كبيرة للابحار، يقوم الفقراء باستئجار مراكب صغيرة تحمل اسم "الخيول" بسبب الصور المنحوتة على جآجئها، يستخدمونها للذهاب لصيد السمك الى حدود نهر ليكسوس بموروزيا. بل هناك بعض مجهزي السفن الذين تم التعرف على مراكبهم من خلال هذه الصور من لم يعد بعد تجاوزه نهر ليكسوس***».

وتفيدنا هذه الرواية التي أوردها "استرابون" نقلا عن الرحالة الاغريقي "بوسيدونيوس" (Poseidonios) الذي عاش في القرن الثاني قبل الميلاد، في أمرين اثنين يخصان ليكسوس. الامر الاول يتعلق بمسألة الثروة السمكية التي حظيت بها ليكسوس ومجالها البحري والنهري على مر العصور، والتي لاريب أنها كانت من بين العوامل التي حثت التجار الفينيقيين على اختيار الموقع. ولا شك أن هذه الثروة قد استغلت منذ قدوم الفينيقيين الى المنطقة، مما سيمكنهم من تحضير الطريق المؤدية فيما بعد الى الصناعات الشهيرة المتفرعة عن الصيد التي اشتهرت بها ليكسوس خلال العصور اللاحقة، وهي السمك المملح و"الكاروم" (Garum) والمصبرات السمكية.

---

[68] توصلت الى هذه الاستنتاجات بالاعتماد على برنامج تحديد المسافات الآلية المتوفر في "أطلس العالم الالكتروني" الذي تنتجه شركة "مايكروسوفت" للبرامج المعلوماتية.

[69] Desanges(J), Lixos dans les sources littéraires grecques et latines, op. cit, p. 5.

[70] Strabon, II, 3, 4, d'après Poseidonios, ap. Desanges(J), Sources littéraires antiques sur Lixos, op. cit, p. 406.

أما الامر الثاني الذي تفيدنا به رواية "سترابون"، فهو يخص مسألة السفن الفينيقية، حيث نستشف من النص أن قادس كانت تتوفر على دور لبناء السفن. وأن هذه الدور كانت ماتزال تنتج بعض النماذج الفينيقية الاصيلة التي تم التعرف على شكلها في الشرق الاوسط القديم بفضل التكسيات البرونزية لبوابات مدينة "بلوات" بالعراق[71]. في هذه التكسيات التي تؤرخ بالقرن التاسع قبل الميلاد، تم نقش مراكب نقل صغيرة فينيقية يمتطيها مجذف واحد أو مجذفين، ذات مقدمة ومؤخرة مكورتين وجؤجؤ على شكل رأس حصان. كما كانت شبيهة بالمراكب الفينيقية المنحوتة على إحدى النقوش البارزة المكتشفة بقصر "سرجون الثاني" بمدينة "خرصاباد" (Khorsabad)، المؤرخة بالقرن الثامن قبل الميلاد[72] (انظر لوحة I). ومن المرجح أن هذا النوع من المراكب الفينيقية كان مصدر الاسطورة الواردة لدى "بلينيوس الشيخ"[73] التي تعتبر أن "هيبوس" (Hippos) الصوري هو مكتشف مراكب النقل.

وفي هذا الصدد، وحيث أن ساحل ليكسوس كان يزخر بالثروات السمكية لدرجة تجعل بعض الأقوام البعيدة تتوافد عليه للاستفادة من خيراته، فإن السؤال الذي يطرح نفسه هو هل كان سكان ليكسوس يتوفرون على تجربة في صناعة السفن وتجهيزها للابحار، سواء للتجارة أو الصيد، إسوة بما كان عيه الحال في قادس. في الواقع، لا نتوفر على أي دليل مادي يثبت ذلك، لكن العدد الكبير من المشاهد المرتبطة بالبحر الواردة في النقود التي تم سكها في ليكسوس خلال العصر الموريطاني، علاوة على التجربة الملاحية لسكان ليكسوس الفينيقيين التي استطاع "روني ريبيفا" (René rebuffat) أن يبرزها بشكل ذكي من خلال رحلة حنون[74]، توحي بأن مركز ليكسوس كان خلال العصر الفينيقي، يتمتع بجميع المؤهلات الملاحية الفينيقية، من توفر على ميناء وربما على مراكب خاصة. ذلك أن "الليكسيين" الذين تمت الاشارة إليهم في الرحلة، لم ينعتوا بأوصاف الرعاة الرحل، بل تم تقديمهم على شكل بحارة مرشدين للسفن القرطاجية. وهذا يعني أنهم تمكنوا من تجميع المعلومات الملاحية والجغرافية الكافية حول الساحل الاطلنطي للمغرب، التي لا يمكن اكتسابها إلا بفضل توفرهم على أسطول ملاحي بكل ما يلزم من طاقم ومعدات، وعلى توفرهم على ميناء للمدينة تحتمي فيه سفنهم، وربما تصنع فيه.

2) ليكسوس و"خليج الوكالات التجارية الفنيقية":

بعد ذلك، يقدم لنا "سترابون" (Strabon) مدينة ليكسوس، ضمن سياق يجعل منها رائدة المنشآت الفينيقية على الواجهة الاطلنطية للمغرب. فتحديد خليج يضم مجموعة من المحطات التجارية الفينيقية انطلاقا من ليكسوس دون غيرها من المراكز، يعني ضمنيا أنها كانت تراقب النشاط الاقتصادي لهذا الخليج وتتحكم فيه. وهو الخليج الذي ورد في النص تحت اسم "خليج الوكالات التجارية" (εμποριкоσ кολποσ)، وكان على شكل خليج بحري أو ربما بحيري. وإن كنا لا ننكر للجغرافي الاغريقي إشارته الى وجود منشآت تجارية فينيقية بالمغرب، غير أن ما يتعذر تأكيده هو تحديد مكان الخليج الذي حوى هذه المنشآت. فبينما يجعل "موريس بيسنيي" (M. Besnier) هذا الخليج ما بين واد اللكوس وواد أم الربيع[75]، ويمدده "شارل تيسوت" (Ch. Tissot) الى رأس "مازاغان"[76]، نلاحظ أن "جيهان ديزانج" (J. Desanges) يقتصر على تحديده جنوب مولاي بوسلهام في المرجات الكبيرة التي كانت توجد شمال وجنوب واد سبو، بما فيها "المرجة

---

(71) تبعد مدينة بلوات عن مدينة الموصل في اتجاه الجنوب الشرقي بحوالي 27 كلم.

(72) عكاشة (ثروت)، الفن العراقي القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1972، لوحة رقم 472.

(73) Pline, Histoire Naturelle, V, 206.

(74) Rebuffat(R), Les nomades de Lixus, op. cit, p. 77-85.

(75) Besnier(M), La géographie économique du Maroc dans l'Antiquité, Archives marocaines, 1906, p. 277.

(76) Tissot(Ch), Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie tingitane, op. cit, p. 230.

الزرقاء"[77]. غير أن فرضية "ميشيل كرا" (M. Gras)، التي ترى أن هذا الخليج يمتد من رأس اسبارتيل الى مصب نهر سبو[78]، تعد أقرب الفرضيات تناسقا مع سياق النص. وبذلك يبرر هذا التأويل في نظرنا الوجود المنطقي لليكسوس في موسطة خليج الوكالات التجارية التي كانت تابعة لنفوذها.

كما أن التذكير بالعدد الكبير لهذه المنشآت، انطلاقا من رواية أشاعها "إيراطوسطين" (Eratosthène)، والتنصيص على أصولها الصورية، واندثارها عن آخرها، يوحي بأن ليكسوس، التي استطاعت لوحدها أن تفلت من الخراب الذي لحق بالمراكز الاخرى، كانت تعرف نوعا من السيادة والنفوذ على سائر المنشآت الفينيقية التي كان يعرفها الساحل الاطلنطي للمغرب[79]. هذه المعلومات نستشفها من الفقرات التالية :

« يمتد جنوب ليكسوس و كوطييس خليج يدعى خليج الوكالات التجارية[80]، يتوفر على منشآت لتجار فينيقيين »[81].

« وتشبهها، الخرافة التي تحكي أن الخلجان التي توجد بعد خليج المحطات كانت بها في الماضي منشآت صورية أصبحت الآن مهجورة ؛ وقد خرب الفاروزيون والنيكريتيون أكثر من ثلاث مائة مدينة عن آخرها »[82].

« ...ينقد أرطيميدور ايراطوسطين ...؛ ولأنه يدعي بأن مدنا فينيقية كثيرة كانت موجودة في الماضي وتم تخريبها عن آخرها، بينما لا يمكن أن نجد أي أثر عنها... »[83].

من خلال هذه الفقرات، ورغم أن "استرابون" يتمسك بالطابع الخرافي لبعض معلوماته، والتي يعود صداها الى العهود السابقة لعصره، كالحكاية التي كانت تتحدث عن تخريب "الفاروزيين" و"النيكريتيين"[84] لأكثر من ثلاث مائة "مدينة" أسسها فينيقيو صور[85]، فإن ما يمكن تسجيله أن مسألة ارتباط هذه المنشآت

---

(77) Desanges(J), Recherches sur l'activité des Méditerranéens aux confins de l'Afrique, op. cit, p. 134.

(78) Gras(M), La mémoire de Lixus -De la fondation de Lixus aux premiers rapports entre Grecs et Phéniciens en Afrique du Nord-, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), Collection de l'Ecole française de Rome, n° 166, Palais Farnèse, 1992, p. 28.

(79) Desanges(J), Lixos dans les sources littéraires grecques et latines, op. cit, p. 6.

(80) آثرت أن أترجم كلمة "إمبوريكوس" (εμποριχοσ) بالوكالات التجارية، عوض محطات تجارية. وذلك استنادا لكون المدلول التاريخي والحضاري لمصطلح "أمبوريوم" (Emporium) سواء لدى الاغريق أو الرومان، هو نفس المدلول الذي عرفته الحضارات الشرقية القديمة، والذي اتخذ شكله الاوضح ببلاد ما بين النهرين في مصطلح "قاروم" (Kàrum)، الذي يقصد به تلك المقاطعات التي وجدت خارج المدن الكبرى، والتي كانت وظيفتها القيام بالمعاملات التجارية. انظر :

Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 86.

(81) Strabon, XVII, 3, 2 ; ap. Desanges(J), Sources littéraires antiques sur Lixos, op. cit, p. 406.

(82) Strabon, XVII, 3, 3 ; ap. Roget(R), Le Maroc chez les auteurs anciens, op. cit, p. 23.

(83) Strabon, XVII, 3, 8 ; ap. Roget(R), Le Maroc chez les auteurs anciens, op. cit, p. 26.

(84) استنادا الى كون هذين الشعبين كانا يوجدان على بعد ثلاثين يوما مشيا من "لانكس" حسب ما أورده "استرابون" (Strabon)، وهي المسافة التي تعادل حوالي 900 كلم حسب "ديزانج" (Desanges(J), Recherches sur l'activité des Méditerranéens aux confins de l'Afrique, op. cit, p. 113, note n° 191)، فإن توطينهما يمكن تحديده جنوب الاطلس الصغير. ويبدو أنهما مثلا نوعا من الامتزاج بين الجيتوليين والايثيوبيين. انظر :

Desanges(J), Catalogue des tribus africaines de l'antiquité classique à l'ouest du Nil (Publ. de la sect. d'Hist. de l'Univ. de Dacar, 4), Dacar, 1962, p. 15-16.

(85) لا مجال لتصديق أن الساحل الاطلنطي المغربي كان يتوفر على ثلاث مائة مستوطنة فينيقية، كما يلاحظ ذلك "ستيفان كسيل" (Gsell(S), Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord,op. cit, t. I, p. 364). ويمكن الاستشهاد على ذلك بكون الساحل الاسباني، الممتد من

بمدينة صور، حسب ما ورد نصا عند "استرابون" ، مسألة يجدر أخذها بمأخذ الجد. فقد أضحى يتبين يوما بعد يوم أن الانتماء الصوري للمنتوج الفينيقي الذي تم العثور عليه سواء في ليكسوس، أو في المقابر المحلية المجاورة لبحيرة تهدارت، أو في جزيرة موكادور، أو في شالة، أمر وارد[86] . غير أننا نستبعد أن تقوم شعوب من أقصى جنوب المغرب بمهاجمة المحطات الفينيقية المفترضة[87] ، ونشاطر رأي "استرابون" في العدد المبالغ فيه لهذه المحطات. مع أن بعض هذه المنشآت أصبحت تأكدها الحفريات، ولا نعلم ما سيفاجئنا به الغد القريب أو البعيد من جديد في هذا الباب.

3) ليكسوس ومذبح هرقليس ــ ملقارت :

إذا كان حضور ليكسوس يستشف ضمنيا من ذكر خليج الوكالات التجارية الفينيقية، فإن "استرابون" يشير في الفقرة الموالية، أن هذا الخليج كان يتوفر في الماضي على ذراع بحرية يقابلها مذبح لهرقليس. يورد المؤلف الاغريقي في هذا الصدد[88] :

« ... ***يحكى أن خليج الوكالات التجارية يتوفر على تجويف يلجه البحر عند المد على مسافة طولها سبع غلوات ؛ وأمام هذا التجويف، تمتد أرض منخفضة ومتماسكة، يعلوها منبح لهرقليس لا تغمره المياه أبدا. وهذه حقا، في رأيي، إحدى الحكايات التي كنت أتحدث عنها*** ».

وأول ما تجدر الاشارة إليه من خلال هذه الفقرة، أن "استرابون" أورد هذا الخبر حسب ما سمعه، أو ما تعرف عليه استنادا الى مصادر قديمة، وأنه ألح على الطابع الخرافي لهذه المعلومة، مما يعني أن روايته تعود الى عهود ساحقة. فهل ما أورده "استرابون" في هذا الباب تضفى عليه المصداقية أم تعتريه المبالغة ؟ وإذا كانت مصادره صحيحة، فأين يمكن تحديد موقع هذه الذراع البحرية التي كان يلجها البحر عند المد على مسافة طولها سبع غلوات، أي ما يعادل حوالي 1200م ؟

لمحاولة الاجابة على ذلك، سنستأنس بنص ذكره "كتاب الاستبصار" المنسوب لمجهول عاش خلال القرن الثاني عشر الميلادي، يصف فيه مصب واد اللكوس القريب من مدينة تشمس، أي ليكسوس. في هذا النص يرد ما يلي[89] :

« ***بقربها*** (تشمس) ***بحيرة كبيرة تسمى أمسنا، يصب فيها البحر أعوام، وتصب هي في البحر أعوام، وينقطع البحر عنها، فتظهر فيها جزائر بينها غدران يتصيد فيها أنواع السمك. وبين البحر والبحيرة مسجد مقصود يسكن حوله النساك وأهل الخيرة، وأمرهم مشهور بتلك الجهات معروف*** ».

فمن خلال مقارنة بين النصين، نلاحظ عدة أوجه شبه بين الاوصاف المذكورة في الحالتين، حيث الذراع البحرية أو التجويف أو البحيرة البحرية، وحيث المد، وحيث الجزر، وحيث مكان التعبد. هذه الاوصاف لا نجدها في أية جهة بخليج الوكالات التجارية الفينيقية الوارد لدى "استرابون" سوى في المصب البحيري لواد ليكسوس. ومما يرجح ذلك أن ظاهرة مياه البحر التي تتوغل داخل المصب دون غمر بعض

"المرية" الى "مالقة"، الذي عرف " ***حشدا من الفينيقيين*** " حسب "أفيينوس" (Avienus, Ora Maritima, v. 440 et 459-460)، لم تكشف الحفائر التي تمت به بشكل كثيف سوى عن بضعة تجمعات فينيقية، كانت على العموم أكبر بكثير مما تم العثور عليه في المغرب.

[86] ومع ذلك، فمن الممكن جدا أن يكون فينيقيو صور قد وصلوا الى المغرب بعد رسوهم بقادش، التي تعتبر نفسها من أهم المستوطنات التي أسستها صور في أقصى الغرب.

[87] لم تكن في مقدرة القبائل الجنوبية للمغرب مهاجمة المحطات الفينيقية، لكون معظم هذه المحطات، علاوة على التجمعات المحلية التي أقام الفينيقيون علاقات تجارية معها، كانت توجد في شمال المغرب، باستثناء جزيرة موكادور، التي مع ذلك لم تخلف أي أثر أركيولوجي ينم عن تخريب تعرضت له خلال المرحلة الفينيقية.

[88] Strabon, XVII, 3, 3 ; ap. Roget(R), Le Maroc chez les auteurs anciens, op. cit, p. 23.

[89] كتاب الاستبصار في عجائب الامصار (مجهول)، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، الدار البيضاء، دار النشر المغربية، 1985، ص. 140.

الجهات رغم انخفاضها، والتي كانت بمثابة معجزة لدى المؤلفين القدامى[90]، نجدها حاضرة كذلك عند "بلينيوس" (Pline)[91]. هذا مع العلم أن الاشارة نصا الى وجود نفس المذبح بالقرب من ليكسوس، نجدها واردة لدى نفس المؤلف كما سنرى ذلك لاحقا. غير أن التساؤل المنطقي الذي يتبادر الى الذهن، هو لماذا لم يشر النص الاغريقي في هذه الحالة الى مدينة ليكسوس، واكتفى بالاشارة الى مذبح لهرقليس يتصدر المكان.

لمعرفة ذلك يتعين علينا التذكير أولا بأن الابستوريوغرافيا الاغريقية-اللاتينية، سواء في حالة ليكسوس أو قادس أو غيرهما من الحالات، كانت دائما تورد "هرقليس" الاغريقي أو "هرقل" اللاتيني كناية بالاله الفينيقي "ملقارت" (Melqart)، أهم آلهة مدينة صور. وحيث أن المعبد الفينيقي كان أحيانا يسبق تشييد المستوطنة، وأن الاقتصار على ذكر المعبد كان ينم أحيانا عن وجود هذه المستوطنة[92]، فمن المرجح أن الاشارة الى هذا المذبح حسب ما توصل به "استرابون" (Strabon) من حكايات قديمة، يرمز الى وجود ليكسوس خلال الاحقاب السالفة لعصره، ويعد علامة لقدوم الفينيقيين الى المكان. وهذه الاحقاب تعود بدون شك الى عصر تأسيس الفينيقيين لأول مستوطنة لهم أو أول معبد لهم بالجزء الاسفل من وادي اللكوس.

ومما لاشك فيه أن هذا المذبح، الذي كشفت بعض نقود ليكسوس المؤرخة بالعصر الموريطاني عن شكله[93]، واستنادا الى الاوصاف التي قدمها عنه "استرابون" من كونه كان يعلو التجويف المائي الذي يلجه البحر عند المد، كان موقعه إما في جزيرة "رقادة"، التي كانت في موسطة مصب وادي اللكوس، وإما في ربوة ليكسوس نفسها، التي كانت في الماضي على شكل شبه جزيرة يحيط بها الخليج الواسع الذي كان موجودا في المصب الحالي لواد اللكوس.

كما أن التنصيص على أن المذبح كان لهرقليس أي لملقارت، ونظرا لارتباط هذا الاله بمدينة صور دون غيرها من المدن الفينيقية بالشرق، وبحكم الدور الاقتصادي الذي لعبه معبد ملقارت بصور في عملية التوسع الفينيقي، فهذا يعني ضمنيا أن ليكسوس كانت مستوطنة من تأسيس مدينة صور. وهذا ينسجم تماما مع ما أورده "استرابون" سالفا في كون المنشآت الفينيقية التي كانت توجد بالساحل الاطلنطي للمغرب، كانت من تأسيس مدينة صور. كما يفسر من جهة أخرى لماذا كانت جل المستوطنات القديمة لصور مرتبطة بمعبد ملقارت[94]. من هنا يبدو جليا أن تشييد الفينيقيين لمذبح ملقارت بليكسوس خلال قدومهم لاول مرة الى الساحل الاطلنطي المغربي، يدخل ضمن نفس السياسة التي نهجتها صور ومعبدها في التوسع التجاري الفينيقي. ذلك لان صورة ملقارت كانت مرتبطة بالمصالح الاقتصادية والسياسية لصور، مما جعله يتحول الى

---

(90) Ribichini(S), Hercule à Lixus et le gardin des Hespérides, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'École française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), Collection de l'Ecole française de Rome, n° 166, Palais Farnèse, 1992, p. 131.

(91) تعتبر "رايموند روجي" (Raymonde Roget) أن إشارة "استرابون" للجزيرة التي لا تغمرها المياه، والتي كانت مكانا لمذبح هرقليس، تنطبق على ناحية ليكسوس. انظر :

Roget(R), Index de topographie antique du Maroc, op. cit, p. 48.

(92) إن سبق تأسيس المعبد لتأسيس المستوطنة يعتبر أمرا معتادا في التوسع الفينيقي، حيث تشير المصادر القديمة في العديد من الحالات الى تأسيس المعبد بدون توفر أية بنية مشيدة للمستوطنة. وفي هذا الصدد، نشير الى أن الحفائر الاركيولوجية التي تمت في جزيرة موكادور كشفت عن وجود عمود أو "بيت إيل" كرمز لمكان التعبد بدون توفر المحطة التجارية الفينيقية على أية بنية معمارية تذكر.

(93) بلغ مجموع نقود ليكسوس التي نقشت بها هذه المعابد ثلاثة نقود. انظر :

Marion(J), Les monnaies de Shemesh et des villes autonomes de Maurétanie tingitane au musée L.Chatelain à Rabat, op. cit , p. 114.

(94) يتجسد هذا الاتباط بشكل واضح في قرطاجة، حيث ارتبطت أسطورة تأسيس المدينة بملقارت، وأيضا في قادر حيث كان تشييد المعبد سابقا لتأسيس المدينة، وأيضا في أوتيكا. ومن المعلوم أن هذه المستوطنات، الى جانب ليكسوس تعد من أقدم المنشآت التي أسسها الفينيقيون خلال توسعهم البحري.

الإلاه الضامن لمشاريعها البحرية. أضف الى ذلك أن السياق الذي قدم فيه "استرابون" وصف مذبح ملقارت بليكسوس، سياق يجعل من المعبد معلمة بارزة في المنطقة المحيطة به، محصنة عن كل أذى محنق بها. فمياه الفيضانات والمد التي تتعرض لها منطقة ليكسوس، "**لاتغمره أبدا**" حسب تعبير "استرابون" نفسه. وهذا يوحي بأنه شيد هناك في نقطة تم اختيارها ليظل الى الابد، مما يعني أن صورة المعبد كانت في ذاكرة مشيديه الفينيقيين أهم وأقدس من صورة المستوطنة، مما يفسر عدم الاشارة إليها. ومن المحتمل أن المستوطنات الاولى التي شيدتها مدينة صور مثل كادر أو ليكسوس، كانت في بدايتها عبارة عن معابد صرفة تسيرها مجموعة كهنوتية مرتبطة مباشرة بمصالح المدينة الام في الشرق.

هكذا نلاحظ كيف يفيدنا "استرابون" في أخذ فكرة عن ماضي ليكسوس الفينيقي، باعتبارها رائدة الوكالات التجارية الفينيقية التي أسستها مدينة صور على الساحل الاطلنطي للمغرب. وكيف أنها، بحكم ما ورد في شأن القياسات الدقيقة التي كانت تفصلها عن توأمتها قادس، تعتبر واحدة من أهم وأقدم المستوطنات التي شيدتها نفس المدينة. وكيف أن الاقتصار على ذكر مذبح ملقارت يوحي بوجودها، أو يجعلها تمتزج مع مؤسسة معبد نفس المدينة.

الفصل الثالث

المصادر اللاتينية (بلينيوس)

خصص المؤرخ وعالم الطبيعة الروماني "بلينيوس" (Pline) (23 م — 79 م) في مستهل كتابه الخامس من موسوعته الشهيرة "التاريخ الطبيعي"، حيزا هاما للسواحل المغربية، كما يتجلى ذلك من خلال عنوان مبحثه "موريطانيا الطنجية". وقد كانت تحت تصرفه العديد من المؤلفات والوثائق القديمة التي اعتمدها في الفقرات المتراوحة ما بين الفقرة الثانية والثامنة عشرة[1]. وكانت المعلومات التي شملت الساحل الاطلنطي أكثر وفرة وإسهابا من غيرها من مناطق المغرب القديم، مما يعني أن الايستوريوغرافيا اللاتينية كانت ما تزال في مرحلة الاعتماد على المصادر القديمة ذات الاصول الفينيقية-البونيقية التي كانت على معرفة بهذا الساحل، نظرا لتمركز الوجود الفينيقي هناك[2]. وهذا ما يوحي به "بلينيوس" نفسه عند إحالته على مصدر فينيقي الاصل في الفقرتين 37 و38 من كتابه السابع والثلاثين. فعند تحدثه عن بحيرة "كيفيسياس" (lacum Cephisiada) الموجودة بالقرب من المحيط الاطلنطي، والتي كانت تتوفر على العنبر حسب المصدر المحال عليه، لم تفته الفرصة لينص على أن هذه المعلومة منسوبة لشخص يدعى "أساروباس" (Asarubas)[3]. ومن البين أن هذا الاسم إنما هو تحريف لاسم قرطاجي معروف وهو "صدر بعل"، اعتبره البعض أحد المغاربة ذوي الاصول الفينيقية المعاصرين "لبلينيوس.

وبما أن ليكسوس كانت أهم مدينة على الساحل الاطلنطي للمغرب، والوريثة الحية للثقافة والتجارة الفينيقيتين بهذا الساحل، فلا ريب أنها مثلت إحدى منابع المعلومات التي اعتمد عليها "بلينيوس"، الى جانب توأمتها قادس[4]. وهذا ما يفسر حضورها بشكل متميز في "وصفه لموريطانيا الطنجية"، بنفس الشكل الذي تم استحضارها عند "بوليبيوس" (Polybe) و"استرابون" (Strabon). بل لعل المعطيات التي أوردها "بلينيوس" تعد أوفر معطيات وردت في الايستوريوغرافيا القديمة حول هذه المدينة وحول مجالها. فهل نستطيع أن نستشف من خلال المقتطفات الواردة حول ليكسوس بعض ملامح ماضيها الغابر ؟

يورد "بلينيوس" ما يلي في هذا الشأن، اعتمادا على ترجمة "جيهان ديزانج" (J.Desanges)، للمصادر الادبية القديمة حول ليكسوس[5] :

« على بعد 32 ميل من تلك [زيليل] توجد ليكسوس، التي حولها كلاوديوس قيصر الى مستعمرة والتي كانت موضوعا بالنسبة للكتاب القدامى لحكايات خرافية : هناك تم تحديد مكان القصر الملكي لأنطي،

---

(1) نستثني من هذه الفقرات الفقرة التاسعة والعاشرة التي تهم رحلة "بوليبيوس" (Polybe) السالفة الذكر.

(2) ليس بالضرورة أن تكون جميع الوثائق التي اعتمدها المؤلفون القدامى وثائق مكتوبة. فالرواية الشفوية كانت تعتبر أحيانا مصدرا قيما لذاكرة الشعوب، كما نفهم ذلك من خلال المؤلفين الرحالة الذين وفدوا على البلدان التي حكوا عنها، نذكر من بينهم "هيرودوت" على الخصوص، الذي كان ينص في العديد من أخباره على أنه سمع بها في عين المكان.

(3) يورد "بلينيوس" (Pline) ما يلي : ***« إن "أساروباس" (Asarubas) الذي كتب مؤخرا حول هذا الموضوع، والذي مازال على قيد الحياة، أورد أن بالقرب من البحر الاطلنطي توجد بحيرة كيفيسياس، التي تدعى من لدن الموريين إليكتروم. هذه البحيرة، يقول "أساروباس"، عندما تسخن بفعل الشمس، تمكن من طفو العنبر الذي يوفره غرينها... »***. انظر :
Pline, Histoire Naturelle, XXXVII, 37-38 ; ap. Roget(R), Le Maroc chez les auteurs anciens, op. cit, p. 35.

(4) Desanges(J), Lixos dans les sources littéraires grecques et latines, op. cit, p. 6.

(5) Pline, Histoire Naturelle, V, 2-4 ; ap. Desanges(J), Sources littéraires antiques sur Lixos, op. cit, p. 407.

وصراعه مع هرقل ومكان حدائق الهيسبيريديس. وفي الحقيقة، تتوغل مياه البحر في المصب النهري مكونة منعطفا متعرجا، الذي نفسر به حاليا التنين الذي كان يقوم بالحراسة. ويحتوي هذا المصب على جزيرة التي وسط منطقة أكثر ارتفاعا بشكل ملموس، تظل وحدها في مأمن عن غمر المد[6]. في الجزيرة ينتصب مذبح لهرقل ولا شيء يُذكّر بتاريخ الغابة الصغيرة الشهيرة ذات التفافيح الذهبية سوى الزياتين البرية. بالتأكيد سنندهش أقل من القصص الخيالية الهائلة لإغريقيا حول هذه المواضيع وحول نهر ليكسوس، إذا خطر ببالنا أن كتابنا، رووا مؤخرا في الموضوع نفسه بعض الحكايات تكاد تكون أقل غرابة : فمدينة ليكسوس كانت قوية جدا وأكبر من قرطاجة الكبيرة ؛ بالاضافة الى ذلك كانت توجد قبالة قرطاجة وعلى بعد مسافة تكاد تكون مستحيلة التقدير من طينجي، علاوة على حكايات أخرى تعجل كورنيليوس نيبوس بتصديقها ».

وفي فقرة أخرى يورد "بلينيوس"[7] المعلومات التالية حول ليكسوس :

« نتوفر على نوع من الخبازى الشجرانية بموريطانيا، في المصب النهري الذي توجد به مدينة ليكسوس، حيث كانت حسب ما يحكى حدائق الهيسبيريديس، على بعد مائتي قدم من المحيط، بالقرب من معبد هرقل يعتبر أقدم من معبد قادس ».

من خلال هذه المقتطفات، يتبين الحيز المهم الذي خصصه "بلينيوس" (Pline) لمدينة ليكسوس، سواء باعتبارها حاضرة ذات ماض قديم ومزدهر[8]، أو بالاستناد اليها كنقطة للاستدلال في تحديد المسافات الفاصلة بينها وبين بعض المراكز وبعض المعالم الجغرافية الاخرى[9]. كما قدم لنا المؤرخ الروماني بعض الاوصاف المتعلقة بالمجال الجغرافي المحيط بليكسوس. فأعطانا فكرة عن موقعها الموجود في مصب نهر اللكوس[10]،

---

(6) اعتمدت هذه الترجمة التي يقتضيها الاسلوب العربي، عوض الترجمة الحرفية : "لا تُفَوِّتُ الفرصة لتنجو وحدها من غمر المد" الواردة في ترجمة "جيهان ديزانج".

(7) Pline, Histoire Naturelle, XIX, 63 ; ap. Desanges(J), Sources littéraires antiques sur Lixos, op. cit, p. 407 ; Roget(R), Le Maroc chez les auteurs anciens, op. cit, p. 35.

(8) يتبين ذلك من خلال إشارة "بلينيوس" القائلة بأن ليكسوس كانت [أي في الماضي] قوية، بمعنى مزدهرة اقتصاديا، وأن رقعتها كانت كبيرة تضاهي رقعة قرطاجة. انظر :

Pline, Histoire Naturelle, XIX, 63.

(9) وكانت المسافات المعتمدة تارة تعتريها بعض الاخطاء في التحديد، وتارة أخرى كانت مضبوطة بدقة. من هذه الاخطاء نخص بالذكر ما أورده "بلينيوس" (Pline) فيما يتعلق بالمسافة التي كانت تجمع بين ليكسوس وبناصا، حيث حددها في 75 ميل، أي ما يفوق 110 كلم (Pline, Histoire Naturelle, V, 5). غير أن المسافة الصحيحة بين المركزين لا تتعدى 65 كلم على خط مستقيم. أما حول المسافات المضبوطة التي أوردها "بلينيوس"، فنشير الى أنه حدد بحق موقع ليكسوس على بعد حوالي 48 كلم من مركز "زيليل" (Pline, Histoire Naturelle, V, 2)، وعلى بعد 148 كلم من مدينة سلا (Pline, Histoire Naturelle, V, 5)، و74 كلم من واد سبو (Pline, Histoire Naturelle, V, 5)، إذا كان الامر يتعلق بمجرى النهر بمحاذاة مدينة بناصا.

وفيما يتعلق بالمسافة الفاصلة بين "ليكسوس" و"زيليل" الواردة في النص الذي اعتمدناه، والتي تم تحديدها في اثنين وثلاثين ميل ، وحيث أنه أضحى من المتأكد أن موقع "زيليل" يتحدد في قرية "الدشر الجديد"، فإن تقدير "بلينيوس" لا يفوق المسافة التي تفصل المدينتين على خط مستقيم سوى بثمان كيلومترات فقط. واعتبارا لتبديلات الاتجاه التي تفرضها الحواجز الطبيعية، يلاحظ "موريس أوزونا" (M. Euzennat) أن مسافة 32 ميل التي أوردها "بلينيوس" تعتبر قابلة للتصديق، بل دقيقة للغاية. انظر :

Euzennat(M), Remarques sur la description de La Maurétanie Tingitane dans Pline, Histoire Naturelle, V, 2-18, **Antiquités africaines**, t. XXV, 1989, p. 97-98.

(10) نذكر في هذا الصدد أن مصب واد اللكوس، المتميز باتساعه وشكله البحيري، كان حاضرا بشكل أو بآخر في العديد من المصادر الادبية، سواء الاغريقية-اللاتينية، أو المصادر العربية للقرون الوسطى. الامر الذي يزكي فرضية البعد الاستراتيجي والتجاري الذي كان من وراء تشييد ليكسوس على يد الفينيقيين.

وصورة عن الحالة التي كان عليها هذا المصب، المتميز إذاك بكثرة المنعرجات وبغمر بحري عند المد[11]، لدرجة أنه يبدو للملاح المبحر فيه على شكل بحيرة[12]. كما أشار الى الجزيرة التي كان يوجد بهـا مـذبح هرقل-ملقارت، والتي كانت توجد في جهة ما من الحوض الاسفل للنهر، إن لم يكن المقصود بهـا ربـوة ليكسوس نفسها. بل تحدث حتى عن البيئة الغابوية لمحيط ليكسوس، عندما استحضر الزيتـون البـري[13]، والخبازى الشجرانية[14].

وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على أن ليكسوس كانت تعتبر في عهد "بلينيوس" أهم حاضرة في المغرب القديم، وأن حضورها المتميز في سجلات الايستوريوغرافيا القديمة مقارنة بمثيلاتها مـن المراكـز المغربية الاخرى، يعزى الى ماضيها المتميز والعريق. ونظرا لغزارة وتنوع المصادر التي أشـارت إلـى ليكسوس، لم يُقصِّر "بلينيوس" في الاحالة على مورد الوثائق التي اعتمدها، مميزا بين المصادر الاغريقيـة، التي امتزجت فيها الحقيقة بالاسطورة[15]، وبين ما كتبه المؤلفون اللاتانيون في الموضوع نفسه، والتي كانت أكثر موضوعية من الاولى وأقل غرابة منها[16].

وبذلك يسلط "بلينيوس" الاضواء على ثلاثة مواضيع رئيسة تتعلق بالماضي القديم لليكسوس : فهـي مدينة تحظى بماضٍ ميثولوجي، ومدينة تتوفر على منشآت فينيقية قديمة، ومدينة كانت كبيرة فـي عـصره ومهمة في الماضي لدرجة يمكن مقارنتها بقرطاجة.

I – الماضي الميثولوجي لليكسوس في المصادر الاغريقية والبحث عن الجذور الفينيقية :

من المعلوم أن جل العواصم الكبرى ذات الجذور القديمة ترتبط بها رواية للتأسيس، يتم نشجها عموما في عصور لاحقة لعصر التشييد الفعلي، تتداخل فيها الآلهة بالبشر وتمتزج بها الحقيقة بالخيال. ومن أمثلة ذلك ارتباط مدينة قرطاجة بأسطورة تأسيس قامت بالادوار الرئيسية فيها البطلة عليشة، وارتباط مدينـة قـادس الفينيقية كذلك برواية تأسيس تمركز محورها حول الدور الاساسي الذي كان لمعبد ملقارت في عملية التوسع الفينيقي. وإذا كانت ليكسوس تفتقر إلى رواية مطولة شبيهة بما حيك حول نظيرتيها الفينيقيتين، كتلـك التـي أوردها "جوستينيوس" (Justin)[17] حول تأسيس قرطاجة، أو "استرابون" (Strabon)[18] حـول تأسـيس قادس، فإنها في مقابل ذلك كانت مسرحا لمجموعة من الحكايات الميثولوجية، التي توحي بأن المدينة حظيت

---

(11) Pline, Histoire Naturelle, V, 3.

(12) Pline, Histoire Naturelle, XIX, 63.

(13) Pline, Histoire Naturelle, V, 4.

(14) Pline, Histoire Naturelle, XIX, 63.

(15) نقل "بلينيوس" (Pline) عن الذاكرة الميثولوجية الاغريقية مجموعة من المواضيع الاسطورية جعلت ليكسوس وناحيتها مجالا خصبا لتحديد أحداثها. من هذه الاساطير –التي لا ريب أن مصدر بعضها كان مما رواه التجار الفينيقيون حول ارتياداتهم بأقصى الغرب– نذكر : صراع هرقليس مع أنطيوس، وحديقة الهيسبيريديس، والتنين الحارس للحديقة، والتفاح الذهبي، وقصر أنطيوس. انظر :
Arques(A), Huellas de la historia fabulosa en la Libia mauritana, **Alta comisaria de España en Marruecos,** Tetuán, 1950.

(16) وذلك حسب تعبير "بلينيوس" نفسه (Pline, Histoire Naturelle, V, 2-4). والملاحظ في هذا الصدد أن المصادر اللاتينية التي اعتمدها المؤلف الروماني حول ليكسوس كانت أكثر موضوعية من المصادر الاغريقية، حيث كانت تعكس الانطباع الذي كان يراود الفكر التاريخي والجغرافي الروماني حول المدينة التي ستصبح تابعة لفلك الامبراطورية الرومانية بمرتبة المستعمرة. فهي مدينة لها ماض قديم وعريق، يمكن مقارنته بإحدى كبريات العواصم المعروفة بين الرومان وهي قرطاجة.

(17) Justin, XVIII, 4-6.

(18) Strabon, III, 5, 5.

بماض سحيق، وبأنها مثلت منذ القدم المرفأ الاخير بالنسبة لمعظم البحارة المتجهين نحو الساحل الاطلنطي للمغرب[19].

وبالفعل فالملاحظ أن أول وصف يدلي به المؤرخ الروماني حول ليكسوس كان وصفا ينم عن قدم المدينة وعراقتها، عندما صرح بأنها " ***كانت بالنسبة للاقدمين موضوعا لخرافات عجيبة***"[20]. بل يضيف أن القصص التي رواها المؤلفون الاغريق حول ليكسوس وناحيتها كانت كثيرة جدا، مما يعني أن "بلينيوس" (Pline) لم يورد سوى القليل منها. وهذا يعني أن مجموعة الاساطير التي رويت حول ليكسوس، والتي تناقلتها ذاكرة الاجيال من مصادر قديمة، تعكس أن هذه المدينة كانت معروفة منذ عهود سحيقة[21]، وأن وجودها كمستوطنة أسسها الفينيقيون، حسب ما ورد في مصادر أخرى كما ذكرنا، أمر نستشفه أيضا من كلام "بلينيوس"[22]. فأين يبرز قدم المدينة من خلال هذه الاساطير ؟ وهل يمكن أن نستشف من هذه الاساطير ما يفيدنا في تسليط بعض الاضواء على ماضي ليكسوس الفينيقي؟

1) هرقل في ليكسوس وتجسيد عبادة ملقارت :

حسب فرضية الباحثة البلجيكية "كوليط بونيط" (C.Bonnet) التي أنجزت عملا ضخما حول الاله الفينيقي ملقارت، فإن حضور هرقل بليكسوس يعتبر في الواقع تبديلا لعبادة ملقارت المتجدرة في المكان، بأسطورة هرقليس[23]. وبالفعل، فحسب "بلينيوس نفسه، كان معبد هرقل بليكسوس أقدم من معبد هرقل بقادس، مما يرجح أن البطل الاغريقي جاء لمنافسة الاله الفينيقي في مجاله الخاص والامتزاج به. وحيث أن ليكسوس كانت توصف نصا منذ "سكيلاكس" (Scylax) بمدينة فينيقية حقيقية، فإن مسألة تطابق هرقل الوارد لدى "بلينيوس" بملقارت مسألة لا غبار عليها، كما يؤكد على ذلك الباحث الايطالي "صيرجيو ريبيشيني" (Sergio Ribichini)، المتخصص في المعتقدات السامية القديمة[24]. ونحن لا نستغرب من ذلك، لان أسطورة أعمال هرقليس في أقصى الغرب، التي تم نسجها في المدرسة الآثينية خلال القرن الرابع قبل الميلاد، ماهي في الواقع سوى تجسيد "لملقارت" (Melqart) إلاه صور، الذي يرمز هو ومعبده وعمودا معبده الشهيران الى الاسفار الفينيقية البحرية القديمة نحو المحيط الاطلنطي[25].

2) أنطيوس يصارع هرقل :

إذا كان حضور هرقل بليكسوس يوحي بوجود ملقارت، فإننا نفهم ضمنيا من خلال "بلينيوس" أن هذا الوجود كان قديما، وأنه حدث منذ صراع هرقل مع "أنطيوس" (Antée) والقضاء عليه. وحيث أن شخصية "أنطيوس" تعتبر شخصية محلية، فإن الصراع بين البطلين الذي انتهى بانتصار البطل الاجنبي على المحلي، يرمز في اعتقادي الى بداية تغلغل الثقافة الفينيقية بين المحليين بعد استكمال الفينيقيين لتوسعهم، وينم عن أهمية

---

(19) Desanges(J), Lixos dans les sources littéraires grecques et latines, op. cit, p. 3.

(20) Pline, Histoire Naturelle, V, 3.

(21) Cintas(P), Manuel d'Archéologie punique, t. I : Histoire et Archéologie comparée -Chronologie des temps archaïques de Carthage et des villes phéniciennes de l'Ouest-, Paris, Picard, 1970, p. 246.

(22) حول المصادر القديمة التي تؤكد على وجود ليكسوس كمستوطنة فينيقية، انظر :
العزيفي (محمد رضوان)، مستوطنة ليكسوس الفينيقية في الكتابات القديمة والحديثة "محاولة لرد الاعتبار"، المرجع السابق.

(23) Bonnet(C), Melqart. Cultes et mythes de l'Héraclès tyrien en Méditerranée, Leuven, 1988, p. 198-201.

(24) Ribichini(S), Hercule à Lixus et le gardin des Hespérides, op. cit, p. 132.
ومع ذلك يعتبر "ريبيشيني" (Ribichini) أنه الى جانب إبراز العلاقة بين ملقارت وهرقليس، فإن أسطورة هرقل الذي قدم حتى ليكسوس لزيارة حديقة "الهيسبيريديس"، تدعو لقراءتها من جديد في إطار الميثولوجية الكلاسيكية (Idem, Ibid, p. 132).

(25) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p.178-179

عبادة ملقارت في المنطقة، كما يلاحظ ذلك بحق الباحث الفرنسي "كابرييل كامبس" (G.Camps)[26]. فكيف نسجت خيوط قصة هذا الصراع في الميثولوجيا الاغريقية؟

يورد "بومبونيوس ميلا" (Pomponius Méla)[27] أن "أنطيوس"[28] كان حسب ما يحكى ملكا على موريطانيا. وقد صورته الاسطورة الاغريقية[29] على شكل أحد العمالقة الطوال، الذي كانت من عادته التصدي للاجانب وقتلهم. ولم يُخلّصهم من بطشه سوى هيرقليس شأنه شأن العديد من الاشرار والوحوش، حيث قضى عليه في صراع جسدي وتزوج بعقيلته طينجي. وهذا يعني أن شخصية "أنطيوس" تعتبر شخصية محلية، وأن أرضية الاسطورة كانت تتحدد ما بين طنجة وليكسوس. ومن غريب الصدف أن ذاكرة هذا الصراع بقيت حية في ليكسوس نفسها، كما يشهد على ذلك اكتشاف مجموعة من التماثيل البرونزية الصغيرة بالمدينة، كان من بينها تمثال يجسد هرقل في صراعه مع أنطيوس (انظر لوحة II)[30].

وإذا كانت الاسطورة تذكر أن "أنطيوس" كان مدفونا في ناحية طنجة في قبر كبير الحجم يسع لدفن جثته التي يبلغ طولها ستين ذراعا، أي ما يعادل 27 متر، فإن "بلينيوس" يشير الى أن القصر الملكي لأنطيوس كان في ليكسوس. بل يشير "استرابون" (Strabon) نقلا عن المؤرخ الروماني "كابينيوس" (Gabinius)، أن ضريح أنطيوس كان يوجد في ناحية "لينكس"[31]. وهذا يعني حسب "موريس بيسنيي" (M.Besnier) أن ليكسوس كانت عاصمة أنطيوس[32]، رغم أن الابحاث الاركيولوجية التي شملت ليكسوس لم تكشف لحد الآن عن أي قصر لملك محلي قديم. كما أن وجود مدفن "مزورة" الشهير[33]، الذي يبعد عن المدينة بحوالي ثلاثين كلمترا على خط مستقيم بالقرب من مدشر "الشواهد"، دفع بالعديد من المهتمين الى اعتباره منبعا لاستلهام أسطورة قبر أنطيوس[34]. وهي أسطورة مرتبطة بشخصية ما قبيل-تاريخية كانت ذات أهمية في المنطقة، وتحظى بتقدير وتقديس بين السكان، مما يجعلنا نرجح أنها كانت تمثل أحد الملوك المحليين، كما يرى الشاعر الاغريقي "بيندار" (Pindare)[35]، أو أحد رؤساء القبائل.

ونحن لا نستغرب من أن تظل ذاكرة المدفن حية بين الاهالي، خصوصا وأنه كان من نوع الجثوات على شكل "كرومليك" (Cromlech) الفريدة من نوعها في شمال إفريقيا، خصوصا فيما يتعلق بأحجام دائرة

---

(26) Camps(G), **Antée**, Encyclopédie berbère, t. V, Aix-En-Provence, 1988, p. 708.

(27) يورد "بومبونيوس ميلا" ما يلي : « *ويقال إن أنطيوس كان ملكا على هذه البلاد* [موريطانيا]. *وكدليل على هذه الاسطورة يشير الاهالي الى تل قليل الارتفاع يشبه في شكله رجلا مستلقيا يعتبرونه ضريح أنطيوس. ويزعم هؤلاء أنه إذا هم حفروا في بعض الاماكن من التل، فإن الامطار تسقط بلا انقطاع حتى تمتلئ الحفر* ». انظر :

Pomponios Méla, III, 15 ; ap. Roget(R), Le Maroc chez les auteurs anciens, op. cit, p. 27-29.

(28) يرجح "كابرييل كامبس" (G. Camps) أن يكون اسم "أنطيوس" (Antée) من أصل مصري، نظرا لوجود معبود في الديانة المصرية يعرف باسم "أنطي ويو". انظر :

Camps(G), **Antée**, Encyclopédie berbère, op. cit, p. 708.

(29) Idem, Ibid, p. 708.

(30) Tarradell(M), Lixus. Historia de la ciudad. Guia de las ruinas y de la seccion de lixus del museo arqueologico de Tetuán, Tetuán, 1959, Idem, Guía arqueológica del Marruecos español, Tétuan, 1953, pl. n° 6, p. 74, pl. 25.

(31) Strabon, XVII, 3, 2-8.

(32) Besnier(M), Géographie ancienne du Maroc, op. cit, p. 236.

(33) Ponsich(M), Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc : Région de Lixus, **B.A.M**, t. VI, 1966, p. 414-417, pl. XVII, p. 415.

(34) Camps(G), **Antée**, Encyclopédie berbère, op. cit, p. 710.

(35) Pindare, Pythique, IX, 105 et suiv ; ap. Carcopino(J), Le Maroc antique, op. cit, p. 67.

ومما يرجح أن أسطورة "أنطيوس" كانت أسطورة قديمة، أن الشاعر "بيندار" عاش ما بين سنة 518 ق.م و 438 ق.م.

الدولمن التي يبلغ قطرها 56 متر، مما جعلها منبعا لنسج أسطورة دفين عملاق تتوافق جثته مع أحجام القبر.
ولا ريب أن ذاكرة قبر كبير الحجم بقيت حية بين السكان المحليين منذ القدم، كما نستشف ذلك مما أورده المؤلف الاغريقي "بلوتاركوس" (Plutarque)[36]. فحسب روايته، قام القائد الروماني "سيرطوريوس" (Sertorius) خلال مقامه المؤقت بمدينة طنجة[37]، بزيارة لقبر أنطيوس، حيث عمل على نبش القبر والتأكد من أحجامه الكبيرة، بعد أن كان يشك في الامر[38]. والغالب على الظن أن تعرّف القائد الروماني على هذا القبر، الذي لم يكن يبعد عن مدينة طنجة سوى بحوالي 45 كلم، كان بفضل سكان المنطقة، الذين سيمثلون دعامة أساسية للجيش الذي سيواصل به محاربة أعدائه، أملا في السيطرة على روما.
وهكذا نلاحظ كيف أن ضريح مزورة كحقيقة مثبوتة أركيولوجيا كان منطلقا لنسج أسطورة الدفين، الذي لا يمكن أن يكون إلا في مستوى الاحجام الكبيرة للقبر، والذي تبلور على شكل عملاق وهو "أنطيوس". فهل يمكن من باب القياس، أن نعتبر أن الاساطير الاخرى التي حدد "بلينيوس" مسرحها في ليكسوس، كانت بمثابة تعبير عن حقائق مرتبطة بالمدينة وناحيتها، من حيث مكانتها وامتداد رقعتها في العصور الغابرة.
فعن ماذا تنم أسطورة حدائق الهيسبيريديس وما يرتبط بها من تنين، وتفاح ذهبي، ومعبد، وجزيرة ؟

3) حدائق الهيسبيريديس في ليكسوس :

عندما ذكر "بلينيوس" (Pline) أن القصر الملكي لأنطيوس كان يوجد في ليكسوس، وأن صراع هرقل مع أنطيوس حدث في نفس المدينة، فإنه أورد في الصدد نفسه أن تحديد مكان حدائق الهيسبيريديس كان كذلك في ليكسوس. فماذا تعني هذه الحدائق في الميثولوجية الاغريقية-اللاتينية ؟ وماهي علاقتها بليكسوس وبهرقل وبجذورهما الفينيقية ؟ وما هي الرموز التي تتضمنها ؟

أ- الرموز الميثولوجية وجذورها الشرقية :

حسب الميثولوجية الاغريقية، يقصد بالهيسبيريديس ثلاث حوريات عذارى[39] ذوي الصوت الناعم، كانت مهمتهن حراسة الحديقة التي تنبت فيها التفافيح الذهبية المانحة للخلود[40]، التي قدمتها الربة "الارض" هدية الى "هيرا" (Héra) بمناسبة زواجها من "زيوس" (Zeus). وكانت الحوريات يعشن بعيدا في الغرب عند قدم جبل الاطلس، ويقمن بحراسة الحديقة بمساعدة التنين "لادون" (Ladôn) في مكان يتحدد عموما في حدود الليل، في غرب مُضيءٍ، متعذر البلوغ بالنسبة للفاني، مما يجعل من الحديقة مكانا خاصا بالآلهة، وموضعا مقدسا مجهول الطريق[41]. وبأمر من الملك "إيريستي" (Erysthée)، استطاع هيرقليس، بعد قتل التنين، أن يستحوذ على التفافيح، التي عادت رغم ذلك الى مكانها الاصلي بمجرد أن سقطت في يد الربة أثينا[42].

---

(36) كاتب إغريقي ولد في مدينة "شيروني" (Chéronée) باليونان في أواسط القرن الاول الميلادي، وتوفي بها حوالي عام 125 ميلادية.

(37) يبدو أن مقام "سيرطوريوس" (Sertorius) بمدينة طنجة حدث في حدود سنة 83 قبل الميلاد هروبا من جيوش عدوه "سيلا" (Sylla) إبان الحروب الاهلية التي نشبت بين القادة العسكريين الرومان في نهاية عصر الجمهورية. ومن المفترض أن قدوم القائد الروماني الى طنجة كان من إسبانيا، اعتبارا لكون "سيرطوريوس" (Sertorius) أسس شبه دولة مستقلة بهذا البلد.

(38) Plutarque, Sertorius, IX.

(39) وهن "أيكلي" (Aeglé) و"إيريتي" (Erythie) و"هيسبيريا" (Hespéria)، التي اشتق اسم الحديقة من اسمها.

(40) هناك من يعتبر أن التفاح الذهبي يرمز الى فاكهة الليمون (Ribichini(S), Hercule à Lixus et le gardin des Hespérides, op. cit, p. 132).

(41) Ribichini(S), Hercule à Lixus et le gardin des Hespérides, op. cit, p. 132-134.

(42) **Hespérides**, Encyclopédie Universalis électronique, version 1995 ; Schmidt(J), **Hespérides**, Dictionnaire de la mythologie grecque et romaine, Larousse, 1984, p. 155.

انطلاقا من هذه الخرافات الواردة بشكل أو بآخر في الفكر الميثولوجي الكلاسيكي، اعتبر "صيرجيو ريبيشيني" (Sergio Ribichini) في مقالته "هرقل في ليكسوس وحديقة الهيسبيريديس" أن هذه الأسطورة تتضمن ثلاثة رموز رئيسية[43]. فالحديقة العجيبة هي بمثابة رمز ميثولوجي للخصوبة الاصلية، شبيه بقصص أخرى قديمة توجد في الميثولوجيا السومرية-الاكادية وفي التوراة، مما يجعلنا نعتقد أن الموضوع الاغريقي كان مقتبسا من الفكر الاسطوري الشرقي، الذي تعرَّف عليه الاغريق عن طريق الفينيقيين[44]. من هذه القصص نذكر : بلاد دلمون الاسطورية، وحديقة الإلهة "إنانا" (Inanna)[45]، وغابة العملاق "خُمْبَابَا" (Khumbaba)، وجنة عدن في سفر التكوين. في هذه القصص نجد بعض المواضيع المشتركة بينها وبين أسطورة حديقة الهيسبيريديس، مثل شجرة الحياة، والوحوش الحارسة، والخلود المفقود.

أما الرمز الثاني الحاضر في أسطورة حديقة الهيسبيريديس، فيتعلق بالصراع بين الحياة والموت، وبين خلود الآلهة وفناء البشر. وهو الصراع الذي يتجسد في قتل هرقل للتنين، والذي نجده كذلك في العديد من الاساطير الشرقية، نذكر منها قصة قتل "كلكمش" للعملاق خمبابا حارس غابة الارز[46]. ويرمز الموضوع الثالث المتعلق بقدوم هرقليس لقطف التفاح الذهبي، الى نهاية أعماله الاثنى عشر، مما يعني حسب "صيرجيو ريبيشيني"[47] أن طريق إفريقيا أصبحت مفتوحة، وأن اتجاه الغرب أصبح جاهزا لاستقبال الاستعمار الاغريقي. غير أن ملاحظة انعدام الوجود الاغريقي بالمغرب القديم، وارتباط ساحله بالتوسع الفينيقي، وتطابق هرقليس في ليكسوس بالاله الفينيقي ملقارت، توحي بأن تحديد حديقة الهيسبيريديس في ليكسوس[48]، التي لم ترتبط بأي شكل من الاشكال بالاستيطان الاغريقي، يتناسب في الواقع مع المراحل التي مرت منها عملية التوسع الفينيقي في الغرب. وبذلك ترمز الاسطورة برمتها الى نهاية المحيط الاطلنطي، كما ترى الباحثة الاسبانية "ماريا إوخينيا أوبيت" (Maria Eugenia Aubet)[49]، أي الى الحد الاقصى للاسفار الفينيقية. كما ترمز قصة قطف التفافيح الى بداية استغلال الفينيقيين للخيرات الوافرة التي كانت تنعم بها السواحل الاطلنطية.

---

(43) Ribichini(S), Hercule à Lixus et le gardin des Hespérides, op. cit, p. 134-135.

(44) من المعلوم أن الفينيقيين لعبوا دورا أساسيا بفضل توسعهم البحري في نقل مجموعة من المظاهر الحضارية للشرق القديم الى الشعوب المتوسطية ومن بينهم الاغريق. فعلاوة على اقتباس الاغريق للابجدية الفينيقية، فقد تعرفوا بفضلهم على الفكر الميثولوجي الشرقي وتأثروا به في تصورهم الديني. وكمثال على ذلك اقتباس الفكر الديني الاغريقي لنظرية التكوين الفينيقية، التي استنبطت بدورها معظم رموزها الميثولوجية من الفكر الديني الكنعاني بصفة خاصة ومن الفكر الديني السامي بصفة عامة. انظر :
الحوراني(يوسف)، نظرية التكوين الفينيقية وآثارها في حضارة الاغريق، بيروت، دار النهار للنشر، 1980.

(45) وهي إلهة الخصب والعشق لدى السومريين والربة الحامية لمدينة "نيبور" (Nippur). وهي التي ستتحول الى الربة "عشتار" لدى البابليين و"عشتروت" لدى الكنعانيين والفينيقيين.

(46) إذا كانت الحديقة العجيبة في جميع الميثولوجيات تمثل الصورة المثالية للحياة، والتي يرمز إليها غنى وخصب مروجها، فإنها في ذات الوقت تمثل المكان الذي تحضر فيه الموت، والذي ترمز إليه الغابة المتوحشة. انظر:
Ribichini(S), Hercule à Lixus et le gardin des Hespérides, op. cit, p. 134.

(47) Ribichini(S), Hercule à Lixus et le gardin des Hespérides, op. cit, p. 135.

(48) بعد أن كان تحديد مكان حديقة "الهيسبيريديس" يتم في ناحية "قوريناي" بليبيا حسب "سكيلاكس" (Scylax) (ap. Desanges(J), Recherches sur l'activité des Méditerranéens aux confins de l'Afrique, op. cit, p. 99)، وهو التحديد الذي لم يدم طويلا، نلاحظ أن جل المصادر القديمة كانت تتفق على تحديد هذا المكان في أقصى الغرب. ويعزى ذلك الى اقتران هرقليس بملقارت، والى الشهرة التي تمتعت بها المناطق الاطلنطية كأمكنة يشوبها الغموض والاسرار الخفية، وتتكلها الثروات المتنوعة الوافرة. وبعد "بلينيوس"، والى حدود نهاية العصور القديمة، لم يعد تحديد مكان الحديقة العجيبة ذات التفافيح الذهبية ينفصل عن المغرب الاطلنطي وعن ليكسوس. انظر :
Ribichini(S), Hercule à Lixus et le gardin des Hespérides, op. cit, p. 135-136.

(49) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 178.

ب ـ التنين الحارس للحديقة وتخويف الفينيقيين للاجانب :

أورد "بلينيوس" أن قصة التنين الذي كان يقوم بحراسة التفافيح الذهبية في حديقة الهيسبيريديس، والتي كانت تصدقها ذاكرة الشعوب السابقة لعصره، تُفسَّر بمنعطفات نهر اللكوس الكثيرة التعرج. فكيف تصور الاغريق شكل هذا التنين، لدرجة جعلتهم يشبهونه بمنعطفات نهر اللكوس ؟ والى ماذا يمكن أن يرمز التنين ؟

لمحاولة الاجابة عن ذلك، سنعتمد على مشهد تصويري تم رسمه على إناء خزفي إغريقي يؤرخ بالقرن الرابع قبل الميلاد يوجد حاليا في المتحف البريطاني بلندن، يبين صراع هرقليس مع الاله النهري "أكيلووس" (Achéloos) (انظر لوحة III). في هذا المشهد، وبتأملنا لشكل الاله، نلاحظ أن منظره كان عبارة عن تنين ذي رأس بشري وقرن طويل، وجسد مكسو بحراشف السمك، وملتو مثل منعطفات النهر[50]. ومن غريب الصدف أن الطيات المؤلفة لجسم الاله–التنين كانت في شكلها واتجاهها وطريقة تعرجها تشبه بشكل كبير منعطفات نهر اللكوس في مجراه الاسفل. وهذا يجعلنا نعتقد أن شكل تنين ليكسوس، كما صورته الذاكرة الاسطورية الاغريقية، لم يكن يختلف كثيرا عن صورة "أكيلووس" الواردة في الإناء الاغريقي، علما أن "لادون" (Ladôn)، التنين الحارس لحديقة الهيسبيريديس كان يعتبر كذلك إلهً نهريا[51].

ولا ريب أن تشبيه منعطفات نهر اللكوس بطيات التنين لا يمكن ملاحظته سوى من أعلى جهة تطل على النهر، والتي تمثلها الربوة التي شيدت فوقها ليكسوس. هذا التشبيه كان مصدر استلهام فكرة التنين الحارس لحديقة الهيسبيريديس، خصوصا خلال الايام المُضبّة، التي تعرفها باستمرار منطقة المصب. وهي الفكرة التي كانت من وحي الفينيقيين الذين مكثوا دون غيرهم لمدة طويلة يتأملون محيط منشأتهم التي شيدوها فوق ربوة تشميس، والتي كان الغرض منها التحسيس بالخوف والترهيب لكل من طاوعته نفسه أن يقترب من تلك الحدائق. وإذا صح هذا التأويل، فلا شك أنها حيلة من الحيل التي استعملها الفينيقيون لتصل إلى منافسيهم الأقوياء على ثروات الغرب وهم الإغريق، خصوصا وأن هذه الأساطير وصلتنا عن طريقهم أو عن طريق الرومان. ولاريب أن هذه الاساطير كانت حسب "جيهان ديزانج" (Jehan Desanges)[52] بمثابة تعبير عن الذعر الذي كان يراود البحارة الذين يجرءون على ركب المحيط الاطلنطي، والتي تمت إشاعتها من لدن الفينيقيين لوهن عزم الاعداء.

ولم تكن فكرة الترهيب من منطقة ليكسوس الوحيدة من نوعها التي راودت ذاكرة البحارة القداى، بل نجد خرافة أخرى من نفس النوع تم تداولها بينهم. فقد أورد "بلينيوس"[53] استنادا الى المؤلف الروماني "طريبيوس نيجير" (Trébius Niger)، أنه غير بعيد عن نهر ليكسوس، كانت توجد أسماك مجنحة تدعى *lolligines* تنقض من خارج الماء بأعداد كثيرة وتستطيع إغراق السفن[54].

إلا أن سر هذه الاساطير والخرافات سرعان ما تفشى في الحقب اللاحقة، كما نفهم ذلك على لسان "بلينيوس" نفسه، الذي سيؤكد مثلا أن المنعطفات التي يكونها النهر بالقرب من المدينة هي المعنية بالتنين

---

(50) Schmidt(J), Dictionnaire de la mythologie grecque et romaine, op. cit, fig. p. 15.

(51) Schmidt(J), **Ladon,** Dictionnaire de la mythologie grecque et romaine, op. cit, fig. p. 178.

(52) Desanges(J), Lixos dans les sources littéraires grecques et latines, op. cit, p. 6.

(53) Pline, Histoire Naturelle, XXXII, 15.

(54) وحيث أن "طريبيوس نيجير" (Trébius Niger) كان قد قام بزيارة الى منطقة "بيتيكا" باسبانيا، فإن "جيهان ديزانج" (Jehan Desanges) يرى أن سكان قادس هم الذين قاموا بإشاعة نبأ المخاطر المحدقة بالابحار في نواحي ليكسوس. انظر :

Desanges(J), Lixos dans les sources littéraires grecques et latines, op. cit, p. 6.

الحارس لحدائق "الهسبيريديس". كما سيصرح بأن حدائق التفاح الذهبي المزعومة، لم تبق منها سوى أشجار من الزيتون البري[55].

ولعل تصريح "بلينيوس" هذا يعكس نجاح الفينيقيين خلال العصرين الفينيقي والبونيقي في إيهام الاغريق وغيرهم من الشعوب الأخرى بحقيقة وجود تنين يحرس الحديقة العجيبة بليكسوس. وهذا يعني أن الفينيقيين أخفوا بدهاء شيئا مهما كان مرتبطا بليكسوس وبمحيطها وبموقعها الاستراتيجي كبوابة للتوسع الفينيقي بالساحل الاطلنطي المغربي، التي تنزل فيها سلع التجارة الفينيقية الآتية من الشرق ومن شتى جهات المغرب القديم. وفي هذا الصدد، يرى "جيروم كاركوبينو" أن حدائق "الهيسبيريديس" التي كان موطنها في ليكسوس على شكل أشجار تنبت التفاح الذهبي، تمثل رمزا لأماكن مستودعات تخزين الذهب بالمدينة[56]. غير أن "ميشيل بونسيك"[57]، وبعد الكشف عن مجموعة من المراكز الفلاحية القديمة بالهضبة الموجودة شمال ليكسوس، وبالسهول المرتبطة بواد سيدي عبد الرحيم وواد السواحل وواد الدالية، والتي تم العثور بها عن بقايا استغلال فلاحي كثيف، اعتبر أن الحديقة الواردة في أسطورة الهيسبيريديس، تجد تفسيرا لها في الحديقة الغناء التي اكتشفها، والتي كانت بمثابة مخزن شهير للمنتوجات الفلاحية[58].

وكيف ما كان نصيب الحقيقة من أسطورة الهيسبيريديس، فإن ارتباطها بمنطقة ليكسوس أمر وارد، كما نفهم ذلك من خلال المؤلف "يوليوس هونوريوس" (Julius Honorius)[59]، الذي أطلق على واد اللكوس اسم "**نهر هيسبيريديس**" (fluviusHesperides)[60]، مما يعني أن صدى غنى منطقة اللكوس وصل مداه الى الفكر الاغريقي–الروماني منذ القدم.

وقد حاول "بلينيوس" أن يعين المكان الذي كانت توجد به الحديقة في منطقة ليكسوس، فحدده في جزيرة كانت توجد عند مصب اللكوس في عصره، تميزت بوجودها في مأمن عن غمر المد، وباحتضانها لمذبح قديم للاله ملقارت. فهل كانت منطقة الجزء الاسفل لحوض اللكوس تتوفر فعلا على جزيرة في عهد بلينيوس يوجد بها مذبح أو معبد ذو أصل فينيقي ؟

II – مصب وادي اللكوس في عصر "بلينيوس" والمنشآت ذات الجذور الفينيقية :

من الظواهر الجغرافية التي ما زالت تلاحظ الى يومنا هذا عند مصب اللكوس بالنسبة للمسافر القادم من مدينة طنجة، خصوصا عند اجتيازه للقنطرة العابرة للنهر، نذكر ظاهرة المد والجزر الكبيرة التي تعرفها المنطقة. هذه الظاهرة، التي تحول الجزء الاسفل من حوض اللكوس الى بحيرة شاسعة، خصوصا خلال الايام المطيرة التي يبلغ فيها صبيب النهر مداه، قد أثارت بدون شك انتباه القدامى منذ مدة، لدرجة جعلتهم يسجلونها في ذاكرتهم. هذا لا يعني قطعا أن مصبات أخرى لم تعرف ظاهرة مماثلة[61]، لكن وجود ليكسوس

---

(55) Pline, Histoire Naturelle, V, 4.

(56) Carcopino(J), Le Maroc antique, op. cit, p. 163.

(57) Ponsich(M), Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc : Région de Lixus, op. cit, p. 390.

(58) يمكن أن نعتبر في هذا الصدد أن هذه المنطقة كانت تمثل إحدى مخازن الغلال التي اشتهر بها المغرب القديم خلال العصر الروماني، والتي أشار إليها "جيروم كاركوبينو" (J. Carcopino)، أو جزءا من تلك الحديقة الكبيرة التي أوردها "هانري باسي" (H. Basset). انظر :
Carcopino(J), Le Maroc antique, op. cit, p. 40 ; Basset(H), **Revue Afriquaine**, 1921, p. 349.

(59) مؤلف روماني عاش في القرن الرابع للميلاد.

(60) Besnier(M), Géographie ancienne du Maroc, op. cit, p. 335.

(61) من المعلوم أن المد البحري الذي تعرفه مصبات واد تهدارت وواد المهرهر وواد الحشف وواد بوقدو، خصوصا عند تهاطل الامطار الغزيرة على منطقة طنجة، يؤدي إلى تكوين بحيرة كبرى يمكن مشاهدتها على الخريطة الطوبوغرافية للمنزلة. وقد أشار الباحث الاسباني

في هذه المنطقة كمنشأة شيدت منذ العصر الفينيقي، مكن من الاحتفاظ بذكر "**غمر المـــد**"[62] بـــين البحـــارة الوافدين بكثرة على المنطقة أكثر من غيرها من الجهات الساحلية للمغرب القديم. ولاشك أن الفضل يعود الى البحارة والتجار الفينيقيين الذين نقلوا خبر ظاهرة المد البحري الكبير الى غيرهم من الشعوب، فوصلت الـــى القرطاجيين والاغريق والرومان. بل حتى المصادر العربية للقرون الوسطى لم تفتها ملاحظة ظاهرة المـــد والجزر الكبيرة التي تميز بها مصب نهر اللكوس، مثل "كتاب الاستبصار"[63]، و"الـــروض المعطـــار"[64]، وذلك إما معاينة أو نقلا عن المصادر القديمة. وإذا كان "استرابون" (Strabon) قد أعطانا فكرة عـــن نفـــس المصب الذي تلجه مياه المد دون أن تغمر بعض جهاته رغم انخفاضها[65]، فإن "بلينيوس"، علاوة على تقديمه لنفس الوصف تقريبا، يضيف أن مصب اللكوس كان يعرف منعطفات كثيرة. إلا أن الجديد فـــي وصـــف "بلينيوس" هو الاشارة الى وجود جزيرة في هذا المصب كان ينتصب بها في عصره مذبح لملقارت. وهي الجزيرة التي نفهم من خلاله أنها كانت في الماضي مكانا لتوطين حديقة الهيسبيريديس. فهل فعلا كان مصب اللكوس يضم خلال القرن الاول للميلاد جزيرة ما ؟ وإذا كان ذلك صحيحا، فأين كانت توجد ؟ هذا مع العلم أن الحوض الاسفل للوادي لا يضم في الوقت الراهن أية جزيرة تذكر.

1) جزيرة "بلينيوس" :

لم يكن بودنا تخصيص حديث مفصل في هذا الموضوع، لولا إشارة "بلينيوس" الى المعبد الفينيقـــي الاصل الذي كان منتصبا في الجزيرة. وتكمن أهمية هذه المعلومة، في كونها تتناسق مع ما نعلمه حول مواقع العديد من المعابد الفينيقية، التي لم تكن بالضرورة داخل المجال الحضري للمستوطنة التي شيدها الفينيقيـــون. وخير مثال على ذلك ما أوردته المصادر القديمة في شأن موقع معبد ملقارت بقادس، الاخت التوأم ليكسوس، الذي كان يبعد عن مستوطنة قادس بحوالي 18 كلم[66].

وعلى العموم طرح العديد من المؤلفين عدة فرضيات حول المكان المحتمـــل لجزيـــرة "بلينيـــوس"، مقترحين المواقع التالية :

أ ـــ ربـــوة تـــشميس :

من الواضح أن الصور الجوية المتوفرة حول موقع ليكسوس، تبين أن البرزخ الضيق الفاصل بـــين منعطفي واد اللكوس القريبين من المركز، لم يكن موجودا في الماضي، بدليل أن مجموعة من المرجات تُغمر بالمياه خلال كل عملية مد البحر، وتنتقل من المنعطف الاول الى المنعطف الثاني. وبذلك يرى "شارل تيسوت" (C.Tissot)[67] أن البرزخ كان خلال العصر الروماني على شكل قناة، إما طبيعية أو محفورة (انظر لوحة

"انطونيو بلاسكيس" (Blazquez) في هذا المضمار الى مشاهدته في خريطة حربية اسبانية، لمساحة مائية هائلة كان عرضها يبلغ 12,614كلم وطولها 20كلم. انظر :

Blazquez(A), Las costas de Marruecos en la antigüedad, **Boletin de la real academia de la Historia**, t. LXXIX, Julio, 1921, Cuaderno 1, p. 414.

(62) Pline, Histoire Naturelle, V, 2-4.

(63) كتاب الاستبصار في عجائب الامصار (مجهول)، مرجع سابق، ص. 140.

(64) الحميري (محمد بن عبد المنعم)، الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق إحسان عباس، بيروت، مكتبة لبنان، 1984، ص. 141.

(65) Strabon, XVII, 3, 3 ; ap. Roget(R), Le Maroc chez les auteurs anciens, op. cit, p. 23.

(66) Strabon, III, 5, 5 ; Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 234.

(67) Tissot(Ch), Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie tingitane, op. cit, p. 212.

رقم IV و V)، مما جعل الاتصال بين المنعطفين[68] يوفر للمراكب التي تسير نحو عالية النهر قطع حوالي ستة أميال رومانية أخرى لبلوغ الميناء، أي ما يعادل 8889 متر.

وحسب هذا التصور، فإن شبه جزيرة تشميس كانت على شكل جزيرة حقيقية خلال العصر الفينيقي[69]، مما حدا بالمؤلف الفرنسي "ميشيل بونسيك" (M.Ponsich) الى اعتبار أن الجزيرة التي كانت تضم معبد هرقل ـــ ملقارت حسب المؤلفين القدامى، كان يقصد بها ربوة تشميس، التي كانت تأوي مدينة ليكسوس[70] (انظر لوحة أ رقم 1). غير أن "تيسوت"[71] يستبعد ذلك لاعتبارات جيولوجية ونباتية. فهو يرى أن التربة التي توجد بشبه جزيرة تشميس تربة رملية، وتتميز بخصائص التكوينات الجيولوجية البحرية وليس النهرية. كما يلاحظ أن المكان يعرف ندرة في الغطاء النباتي، الذي لايشتمل سوى على عشرين صنف، وغلبة للنباتات الملحية مثل الحُرْض (salicorne) والأشْنان (soude)[72]. كما يعتبر أن الارض الصالحة للزراعة بتشميس لا توجد إلا في الجهة الجنوبية الشرقية للربوة، بالقرب من ضفة النهر الاكثر بعدا عن البحر، حيث توجد بعض الزياتين البرية النحيلة، ومزرعة مهجورة لفول المرجات. ورغم أن هذه الزياتين تذكر بالزياتين البرية التي لقيها "بلينيوس" في عصره باعتبارها البقايا النباتية الوحيدة التي تذكر بحديقة الهيسبيريديس، فإن التربة لا تسمح حسب "شارل تيسوت" (C.Tissot)[73] باعتبار شبه جزيرة تشميس مكانا لاية حديقة مثمرة ترمز إليها غابة التفاح الذهبي.

ب ـــ الربوة الصغيرة القريبة من العرائش :

من المواقع الإخرى التي يمكن أن تتحدد بها الجزيرة الواردة لدى "بلينيوس" ، نذكر الربوة التي أشار في شأنها "تيسوت"[74] أنها كانت موجودة في غرب مصب اللكوس، حيث كان يفصل بينها وبين مرتفعات مدينة العرائش منعطف قديم للنهر، ويجعلها تبدو على شكل جزيرة عند غمر المنعطف إبان الحركات الكبيرة للمد .

ت ـــ ربوة رقادة :

بعد أن اعتبر "هنري دو لامارتينيير" (H. De La Martinière)[75] أن البحث عن هذه الجزيرة أمر لاجدوى منه، نظرا للطابع الخرافي المرتبط بها وبالمعبد المفترض، قام "شارل تيسوت" (C.Tissot)[76] بدراسة الموضوع من جديد بشكل شمولي ومنهجي، معتمدا على ملاحظات ذات طابع جيولوجي ونباتي وأركيولوجي.

---

(68) يبلغ حاليا الممر الارضي الفاصل بين المنعطفين حوالي ست مائة متر.

(69) يمكن ملاحظة ذلك من خلال الصورة الفوتوغرافية الواردة لدى :

Aranegui(C), Presentación, Lixus. **Colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4**, 2001, fig. 1, p. 1.

(70) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 14-15.

(71) Tissot(Ch), Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie tingitane, op. cit, p. 213

(72) Idem, Ibid, p. 219.

(73) Idem, Ibid, p. 219.

(74) Idem, Ibid, p. 213

(75) ap. Roget(R), Index de topographie antique du Maroc, op. cit, p. 48.

(76) Tissot(Ch), Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie tingitane, op. cit, p. 213-221.

وقبل ذلك، حاول أن يجد تفسيرا معقولا لما ورد لدى "بلينيوس"[77] من كون الجزيرة[78] كانت تبعد عن المحيط بمائتي قدم، أي ما يعادل 66 متر، إذ يبدو لاول وهلة أن هذا التحديد لايتوافق مع المعطيات المتوفرة حول مصب وادي اللكوس. وبذلك اعتبر[79] أن المسألة لايمكن تفسيرها سوى بالتغييرات التي طرأت على ساحل المنطقة خلال العصور القديمة، وبكون نهر اللكوس عرف تغييرا كبيرا لمكان المصب من الشمال نحو الجنوب. ونحن لا نستبعد هذا الرأي بالقياس مثلا مع التغييرات التي عرفتها مصبات الانهار الاسبانية التي شيدت بها مجموعة من المراكز الفينيقية (انظر لوحة VI و VII).

ويبدو حسب "تيسوت" (C.Tissot)[80] أن النهر كان يصب في المحيط خلال العصر الروماني بالقرب من مرتفعات ربوة رقادة، حيث لم تكن توجد إذاك الكثبان الرملية التي تمتد حاليا أمام هذه المرتفعات، ولا الشاطئ المنخفض المتصل بهذه الكثبان. وهذا يعني أن مصب اللكوس، الذي تقلص عرضه ليشمل فقط القناة الضيقة التي تطل عليها أجراف مدينة العرائش من جهة الجنوب، كان يمتد في الماضي من هذه الاجراف الى الكثبان القديمة لرقادة. وهذا ما أكد عليه مرافق "تيسوت" الدكتور "بليشير" (Bleicher)، لما أثبت أن اللسان الرملي الذي كان يمتد في اتجاه الجنوب الغربي من مرتفعات رقادة الى المصب الحالي للنهر لم يكن موجودا[81] (انظر لوحة ب رقم 1 و2). كما يعتبر هذا اللسان في الواقع بمثابة ملحق حديث التكوين للشريط الساحلي الرملي، بدليل ندرة الغطاء النباتي فوق سطحه، في حين نجد في الكثبان القديمة جميع النباتات المميزة للرمال مثل الخيميات (ombellifères) والفَرْبَيُونيات (euphorbiacées) والقطانيات من نوع humifuses.

اعتمادا على هذه الملاحظات، رجح "شارل تيسوت"[82] أن يكون مصب واد اللكوس، قد عرف ترمُّلا منذ العصور التاريخية، مما أدى الى انتقال التيار بشكل غير محسوس من الشمال الى الجنوب، الى أن بلغ المكان الذي نعرفه حاليا.

وعن نشأة جزيرة رقادة، يعتبر "شارل "تيسوت" (أنها تعتبر في الاصل إحدى الارصفة الصلبة من صخر الحُثّ التي تعود الى العصر الجيولوجي الثالث، والتي ترسبت فوقها الرمال بفعل الرياح الشمالية الغربية[83]. وحيث أن هذه الربوة شكلت عارضا تضاريسيا (accident de terrain) بارزا فوق الترسبات التي تحيط بها، فإنها عملت على تغيير مجرى اللكوس، الذي كوّن في الماضي منعطفين يحيطان بها من الشمال ومن الجنوب. هذه الوضعية جعلت الربوة تتوسط مجرى النهر القريب من المصب على شكل جزيرة صغيرة، أطلق عليها "شارل تيسوت"اسم جزيرة رقادة، نسبة الى اسم المدشر الذي يوجد بعين المكان[84] (انظر لوحة VIII). وهي تبعد حاليا عن الضفة اليمنى لنهر اللكوس بحوالي مائة متر، ويبلغ ارتفاعها حوالي خمسة أمتار بالنسبة لنفس النهر. وكانت مكسوة في عهد تيسوت" (بأشجار البرْوَق (asphodèles)

---

(77) Pline, Histoire Naturelle, XIX, 63 ; ap. Desanges(J), Sources littéraires antiques sur Lixos, op. cit, p. 407 ; Roget(R), Le Maroc chez les auteurs anciens, op. cit, p. 35.

(78) لم يشر "بلينيوس" نصا الى وجود حدائق الهيسبيريديس في الجزيرة التي كانت تأوي معبد هرقل. لكن يفهم ضمنيا من خلال السياق العام للنص، أن موقع هذه الحدائق كان في الجزيرة نفسها.

(79) Tissot(Ch), Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie tingitane, op. cit, p. 215.

(80) Idem, Ibid , p. 215.

(81) Tissot(Ch), Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie tingitane, op. cit, p. 216

(82) Idem, Ibid, p. 216.

(83) Idem, Ibid, p. 216-217.

(84) Idem, Ibid, p. 217.

والحِمْحِميات (borraginées) والنّجيليّات (graminées)، مما يدل على أن التربة انكشف عنها الفيضان منذ مدة، وبأنها كانت مختلفة عن تربة المناطق المجاورة، التي لا تكسوها سوى نباتات قليلة جدا[85]. أما المظهر الجزيري للربوة فيُفسر، بالتناقض الحاصل من جهة بين أرضها الصالحة للزراعة، ومن جهة ثانية بين التَّوَحُّل الحديث الذي ملأ الشعبة الجنوبية للنهر، والرمال التي عملت على اختفاء الشعبة الشمالية.

استنادا الى ذلك، لاحظ "تيسوت"[86] أن جزيرة رقادة، التي كانت توجد في وسط المجرى الاسفل لنهر اللكوس، كانت تبعد عن المصب القديم للنهر بنفس المسافة التي أوردها "بلينيوس"، أي ما يعادل 200 قدم المقابل لحوالي 66 م. وبذلك يكون موقع الجزيرة يتوافق حسب نفس المؤلف مع المعطيات الطوبوغرافية الحاضرة في المنطقة[87].

ث ـ ربوة "الجزيرة" :

غير أن المؤلف الاسباني "سيسار لويس دي مونطالبان" (C.L.de Montalban) الذي كان يترأس أعمال الحفائر خلال الثلاثينيات من القرن العشرين بليكسوس، لا يوافق رأي "تيسوت" ،معتبرا أن المسافة الفاصلة بين الجزيرة وبين البحر الواردة لدى "بلينيوس" تعتبر مسافة مغلوطة. وبالتالي يرى أن الجزيرة التي من المفروض أنها كانت تأوي حديقة الهيسبيريديس، ينبغي أن تكون بعيدة عن مصب نهر ليكسوس. انطلاقا من ذلك افترض أن أحسن مكان يمكن أن تتحدد به الجزيرة يوجد في الربوة المعروفة باسم "الجزيرة"[88]. وهي الربوة التي اعتبرها تتميز بالانعزال التام عن اليابسة خلال أيام الفيضانات والمد الكبير، وتتميز بتوفرها على أشجار الزيتون مثل ما ورد لدى "بلينيوس"، بينما كانت ربوة رقادة خالية من هذه الاشجار.

ومهما كان الحال، وأي ماكان موقع هذه الجزيرة، التي يتطلب التأكيد من مكان وجودها القيام بأبحاث جيولوجية وجيومرفلوجية جديدة بعين المكان، فإن ما يهمنا من ذكرها هو أن "بلينيوس" يشير الى أنها كانت تتوفر في عصره على معبد لهرقل.

2) معبد هرقل ـ ملقارت :

لا داعي للتذكير أن هرقل الذي كان يُنتصَب له مذبح أو معبد في عهد "بلينيوس" فوق جزيرة تتوسط مصب نهر اللكوس، يقصد به الاله الفينيقي ملقارت. فعبادة ملقارت استمرت في الوجود الى عصور متأخرة، كما نفهم ذلك من خلال اندهاش الزوار الوافدين على معبد ملقارت بقادس من الطقوس الدينية ذات الاصول الفينيقية التي كانت ما تزال تمارس بالمعبد خلال العصر الروماني[89]. بل إن سمعة وهيبة معبد ملقارت بقادس كانت حاضرة بشكل كبير الى حدود نهاية العصر القديم[90]. وحيث أن مؤسسة المعبد، كما سنفصل ذلك في موضوع الديانة الفينيقية بليكسوس، كانت تحظى بأهمية اقتصادية كبيرة، وأن وجودها كان في العديد من الحالات يعتبر سابقا لتشييد المستوطنة، أو يمثل المعلمة الوحيدة التي تدل على الوجود الفينيقي، فمما لا شك فيه أن استحضار "بلينيوس" لهذه المؤسسة في ليكسوس، والتنصيص على قدمها، ينم عن الجذور الفينيقية لليكسوس.

---

(85) Idem, Ibid, p. 218.

(86) Tissot(Ch), Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie tingitane, op. cit, p. 218.

(87) يرى "شارل تيسوت" (Ch. Tissot) أن هذه المعطيات لاتنطبق على ربوة "الخليج" أو ربوة "تشميس"، لان التكوين الجيولوجي للربوتين والغطاء النباتي الذي يكسوهما يجعل فرضية تحديد الغابة ذات التفاح الذهبي بهما أمرا مستبعدا. انظر :

Tissot(Ch), Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie tingitane, op. cit, p. 218-220.

(88) Roget(R), Index de topographie antique du Maroc, op. cit, p. 49.

(89) Diodore de Sicile, 5 : 20, 2 ; Arrien, Alexandrie, 2 : 16, 4 ; Silio Italico, 3 : 31-32.

(90) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 239.

ودون أن ندخل في طرح مسألة تحديد مكان هذا المذبح، كما أشرنا الى ذلك سالفا عند الحديث عن نفس المسألة الواردة أيضا عند "استرابون" (Strabon)، فالمهم بالنسبة لموضوعنا هو أن نبرز أنه كان حسب "بلينيوس" يوجد خارج المجال الحضري للمدينة بنفس الشكل الذي كان عليه معبد ملقارت بقادس، حيث تم تشييده في الجهة الشرقية للجزيرة، في حين كانت المدينة في الجهة الغربية لها[91]. انطلاقا من ذلك، نعتقد أن كلام "بلينيوس" له ما يبرره، وعلى علماء الآثار أن يبحثوا عن موقع هذا المعبد خارج المدينة، لدحض فرضية "ميشيل بونسيك" (M.Ponsich)[92] التي ترى أن هذا المعبد يوجد داخل ليكسوس نفسها، انطلاقا من كون جزيرة "بلينيوس" إنما يُقصد بها ربوة "تشميس". وفي هذا الصدد، أورد "شارل تيسوت"[93] أنه عثر في أعلى ربوة رقادة على بقايا أسس لمبنى قديم مستطيل الشكل ضاعت إحدى جوانبه، وبلغ طول أحجام الجوانب الثلاثة المتبقية 19,80م وسمكها مترا واحدا. وكانت أسس المبنى لا تتجاوز مستوى سطح الارض، وتم تشييدها بثلاثة صفوف من حجارة كبيرة غير منحوتة (moellons) مربعة بشكل خشن. وقد لاحظ "تيسوت"[94] أن الطريقة المعتمدة في البناء توجد في معظم البنايات القديمة التي عاينها بالمغرب، والتي لا ترتبط بالعصر الروماني ولا بالعهود اللاحقة، موحيا بذلك أن بقايا المبنى تعود الى المذبح المفترض الذي تحدث عنه "بلينيوس". وهو الرأي الذي أخذ به كذلك الباحث الفرنسي "موريس بيسنيي" (Maurice Besnier)[95].

وإذا كان الامر يحتاج الى ما يؤكد أن هذا المبنى يرجع فعلا الى العصر الفينيقي[96]، فإننا في مقابل ذلك لا ننكر وجود استقرار قديم بمنطقة رقادة. وهذا ما دل عليه "ميشيل بونسيك"[97]، الذي استطاع أن يلقى من جهة بقايا سور قديم، لعله الجدار الذي أشار إليه "شارل تيسوت"، ومن جهة ثانية استطاع أن يعثر بالقرب من السور على مجموعة من الاواني الخزفية التي تعود الى العصر الروماني، إضافة الى قراميد مسطحة وآجر رومانية.

علاوة على هذا المذبح، أشار "بلينيوس" في الفقرة 63 من كتابه التاسع عشر، الى معبد لهرقل بالقرب من ليكسوس، حيث اعتبره أقدم من معبد قادس. فهل كان هذا المعبد هو نفس المذبح السالف ذكره، أم أن الامر يتعلق بمنشأتين دينيتين مختلفتين ؟ ومن المعلوم في هذا الصدد أن معبد ملقارت بصور كان يشتمل، كما هو الشأن في نظيره بقادس، على ثلاثة مذابح كان الكهان يحتفظون فيها على الشعلة الخالدة ويضحون فيها يوميا بالحيوانات[98]. وهذا يوحي بأن اقتصار "بلينيوس" على ذكر المذبح في كتابه الخامس[99] يعتبر

---

(91) Strabon, III, 5, 5.

(92) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 129-131.

(93) Tissot(Ch), Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie tingitane, op. cit, p. 218.

(94) Tissot(Ch), Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie tingitane, op. cit, p. 218.

(95) Besnier(M), Géographie ancienne du Maroc, op. cit, p. 337.

(96) من المعلوم مثلا أن معبد ملقارت الشهير بقادس الذي تعددت في شأنه إشارات المؤلفين القدامى، لم يؤكد عن وجوده لحد الساعة أي أثر أركيولوجي موثوق به. ومن باب القياس، فإن انعدام وجود دلائل ملموسة عن نفس المعبد في ليكسوس لا يعني أنه لم يكن موجودا، وأن كلام "بلينيوس" (Pline) غير قابل للتصديق.

(97) Ponsich(M), Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc : Région de Lixus, op. cit, p. 394.

(98) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 239.

(99) Pline, Histoire Naturelle, V, 2-4.

إشارة الى المعبد. ومع ذلك يجب الاخذ بعين الاعتبار أن الفينيقيين كانوا قبل تأسيس مستوطناتهم الثابتة يشيدون فقط مذابح صرفة لتأدية طقوسهم الدينية وتقريب أضحياتهم قربانا للاله [100].

ومهما كان الحال، وحيث أن تشييد المعبد أو المذبح الذي يتم إهداؤه لملقارت الإله القومي لصور، يكون سابقا أو مصادفا للمنشأة التي يريد الفينيقيون تأسيسها، فإن ما أورده "بلينيوس" يعتبر لا ريب إشارة واضحة لمسألة تأسيس ليكسوس كأقدم مستوطنة فينيقية على الساحل الاطلنطي للمغرب.

III ـ ماضي ليكسوس في ذاكرة الايستوريوغرافيا الرومانية :

بعد استحضار الماضي الميثولوجي لليكسوس الوارد في الايستوريوغرافيا الاغريقية، والذي نستشف منه معلومات في غاية الاهمية حول ذاكرة المدينة الفينيقية، ينتقل "بلينيوس" الى التعريف بالمصادر اللاتينية، التي تتضمن ما يوحي كذلك بماضيها الزاهر السابق لعصره. ويبدو أن ما انتقاه المؤلف الروماني مما كتب حول ليكسوس من لدن المؤلفين الرومان، لا يمثل إلا الجزء القليل، شأنه في ذلك شأن ما قام به عند اقتصاره على بعض من " **القصص الخيالية الهائلة التي رواها المؤلفون الاغريق حول المدينة والنهر**" [101]. ونظرا لوجود فراغ سياسي خلال المرحلة القرطاجية بليكسوس، إن على المستوى الاركيولوجي أو على المستوى المصدري [102]، فمن المرجح أن ذاك الماضي يعود الى المرحلة التي سيطر فيها الفينيقيون على المجال في الحوض المتوسطي وفي الساحل الاطلنطي للمغرب ولشبه جزيرة إيبيريا.

ولا ريب أن المكانة التي حظيت بها ليكسوس كمنظمة للعمل الفينيقي على الساحل الأطلنطي للمغرب في استغلال خيرات البلاد، وكمستودع تنزل فيه كل المواد التي تصدر إلى فينيقيا، تعكسها إشارة المؤرخ اللاتيني "كورنيليوس نيبوس"(Cornelius Népos)[103] التي أوردها "بلينيوس" ، مفادها أن " ***مدينة ليكسوس كانت قوية جدا وأكبر من قرطاجة الكبيرة***"[104]. ورغم أن هذه الإشارة ينقدها "بلينيوس" ، ويعتبرها إحدى الترهات والادعاءات التي صدقها معاصروه بدون تمحيص [105]، فيكفينا علما أن هذه " **الحكايات الغريبة**"[106] التي رواها معاصرو "بلينيوس" من المؤلفين الرومان، تنم عن المكانة التي حظيت بها المدينة كأهم مركز عرفه الساحل الاطلنطي، والذي تعود نشأته الى العهد الفينيقي.

---

(100) Strabon, III, 5, 5.

(101) Pline, Histoire Naturelle, V, 4.

(102) إلى حدود الستينيات من القرن العشرين، كانت جل الدراسات المهتمة بتاريخ الحوض المتوسطي الغربي خلال العصور القديمة تعتبر أن قرطاجة لعبت دورا تجاريا واستعماريا أكثر حضورا من الدور الذي قام به أجدادها الفينيقيون من قبل. وتكمن سلبية هذا الإعتقاد في كون العديد من المظاهر الحضارية –التي سيتبين فيما بعد أصلها الفينيقي الشرقي– كانت تعتبر بونيقية المصدر. ويعزى هذا الاعتقاد الى التصور السائد إذاك الذي كان يرى أن التوسع الفينيقي عرفا توقفا لنشاطه ابتداء من القرن السابع قبل الميلاد، وأن قرطاجة ظهرت منذ ذاك التاريخ لاتمام ما قام به أجدادها الفينيقيون، وبروزها كقوة اقتصادية وعسكرية في الحوض المتوسطي الغربي. غير أن التنقيبات الاثرية كشفت أن قرطاجة لم تقم بعد بأي دور بارز في المنطقة على الاقل خلال القرنين السابع والسادس قبل الميلاد. بل إن دورها في السواحل المغربية لم يكن واضحا حتى خلال القرون اللاحقة، حيث لم يتم الكشف بعد عن مظاهر أركيولوجية بارزة تبين تبعية هذه السواحل سياسيا للعاصمة البونيقية. وهذا ما يجعلنا نعتبر أن هذا الفراغ ربما تم ملأه بحدوث نوع من النفوذ الثقافي والاقتصادي الذي مارسته إحدى المستوطنات الفينيقية القديمة التي تم تأسيسها بهذه السواحل، والتي لا يمكن أن تكون قد مارسته سوى مستوطنة ليكسوس، أو ربما قادس إذا اعتبرنا أن نفوذها كان يشمل السواحل المغربية أيضا. وهذا ما يفسر لماذا كانت جل المعثورات ذات الاصول الفينيقية التي تم العثور عليها في ليكسوس، ولو خلال العصور اللاحقة للمرحلة الفينيقية، تنم عن أصول ومظاهر حضارية فينيقية شرقية، وليس قرطاجية.

(103) مؤرخ لاتيني عاش خلال القرن الاول قبل الميلاد (99 ق.م – 24 ق.م)، وصاحب كتاب " *De excellentibus ducibus* " (حياة القادة الكبار).

(104) Pline, Histoire Naturelle, V, 4.

(105) Idem, Ibid, V, 4.

(106) Idem, Ibid, V, 4.

وإذا كانت إشارة "كورنيليوس نيبوس" قد خصت قرطاجة دون سواها من العواصم الشهيرة لمقارنة ليكسوس، سواء من حيث القوة الاقتصادية والتوسع العمراني، أو من حيث استراتيجية الموقع الذي كان « ***يوجد قبالة قرطاجة*** »، فهذا يوحي بأن ليكسوس كانت تمثل خلال العصر الفينيقي نوعا من "قرط حدشت" في أقصى قفا إفريقيا. وهذا يعني، كما يرى "جيهان ديزانج" (Jehan Desanges) [107]، أن التصور الفينيقي لتوزيع مجال النفوذ، كان يهدف من وراء اختيار موقع ليكسوس، الى توفر منشأة فينيقية في موسطة الساحل الاطلنطي الافريقي، بنفس التصور الذي كان من وراء تأسيس قرطاجة في موسطة الساحل المتوسطي. وتجدر الاشارة في هذا الصدد أن مقارنة ليكسوس بقرطاجة لا تدعو الى الاستغراب، رغم الاستهتار الذي أبداه "بلينيوس" في الموضوع، لأننا نجد من خلال استقصائنا للمصادر القديمة نفس المقاربة تقريبا بين ليكسوس وقادس. فكما تمت الاشارة الى ذلك، عندما أراد "استرابون" (Strabon) أن يحدد موقع ليكسوس، فإنه أعد قياساته الحسابية قياسا بموقع قادس [108]. وهذا يوحي بأن ليكسوس كانت تمثل إحدى أقطاب الثالوث الفينيقي الاستيطاني في الغرب المتوسطي الذي سارع الفينيقيون الى تشكيله منذ بداية توسعاتهم البحرية، المتكون من قرطاجة في المتوسط الاوسط، وقادس في المحيط الاطلنطي الاوروبي، وليكسوس في المحيط الاطلنطي الافريقي.

وهكذا يبدو في الختام أنه بالرغم من الطابع الخرافي للروايات والحكايات التي أوردها "بلينيوس" حول ليكسوس، فإنها تنم مع ذلك عن المكانة التي حظيت بها في الماضي كأهم منشأة شيدها الفينيقيون بالساحل الاطلنطي للمغرب. كما أن الاوصاف الجغرافية التي شملت المحيط المجاور لليكسوس، تدل على أن الصورة التي أصبحت تتوفر عليها الايستوريوغرافيا الرومانية حول المدينة ومجالها كانت في طور اكتمالها. أي أن الاسرار التي كانت تكتنف بالطرف الغربي للعالم القديم، والتي كانت في متناول العنصر الفينيقي-البونيقي، أصبحت تتفشى مع توسع الامبراطورية الرومانية. ونستشف ذلك نصا من كلام "بلينيوس"، عندما نلاحظ استبدالاته المتكررة للتفسير الميثولوجي بالتفسير العلمي، كتفسيره للتنانين بالمنعطفات النهرية، وللتفافيح الذهبية بالزياتين البرية.

Desanges(J), Lixos dans les sources littéraires grecques et latines, op. cit, p. 6. ([107])

Strabon, XVII, 3, 2 ; ap. Roget(R), Le Maroc chez les auteurs anciens, op. cit, p. 22. ([108])

خاتمة

يتضح من خلال النصوص التي تم التعرض إليها، أنه بالامكان استخلاص ما يشير الى وجود ليكسوس كمنشأة فينيقية، سواء من خلال ذكر المدينة أو النهر أو السكان أو المعبد أو الاسطورة، أو من خلال مماثلتها بقرينتيها الفينيقيتين قادس وقرطاجة. وبالطبع، لن يتأتى ذلك إلا إذا تمت قراءة هذه النصوص قراءة جديدة، متأنية ورصينة، بالاستناد قدر الامكان الى المصادر الاخرى المرتبطة بطبيعة التوسع الفينيقي في الحوض المتوسطي، وبالاعتماد على معطيات الحفائر الاركيولوجية، سواء تلك التي شملت منطقة أقصى شمال غرب المغرب، أو نتائج الحفائر الجارية في العديد من البلدان المتوسطية التي شملتها التجارة الفينيقية.

ومن الملاحظ أن أوفر المعلومات التي نستشف منها وجود ليكسوس كمنشأة فينيقية وأكثرها تنوعا تمتد من القرن السادس قبل الميلاد الى القرن الاول بعد الميلاد. وهي معلومات وردت إما في نصوص الرحلات الملاحية، مثل رحلة حنون ورحلة سكيلاكس ورحلة بوليبيوس، وإما لدى علماء الجغرافيا أو علماء الطبيعة مثل استرابون أو بلينيوس. وهذا يوحي بأن ذاكرة ليكسوس كانت حاضرة بين المؤلفين السابقين لعصر الرومان، خصوصا لدى المصادر الملاحية ذات الاصول الفينيقية، مما ينم على أن مكانتها إذاك كانت لا تقل عن منزلتها عندما تم تحويلها الى مستعمرة رومانية. أما الاشارات التي أوردت ليكسوس في العهود اللاحقة، فإنها كانت مقتضبة للغاية، ولم تخص سوى التذكير باسمها أو التنصيص على كونها كانت حامية عسكرية أو أبرشية مسيحية(1). وعموما لا يسعنا سوى التأكيد على أن ليكسوس مثلت أهم مدينة في المغرب القديم تحظى بأوفر ذكر في الايستوريوغرافيا القديمة، مقارنة بالمراكز الاخرى مثل طنجة وسلا وزيليس وبناصا ووليلي وتمودا.

ولعل أن ماضي ليكسوس الضارب في القدم، ودورها التجاري في عملية التوسع الفينيقي على طول الساحل الاطلنطي للمغرب، يتجليان من خلال ما ورد من معلومات لدى المؤلفين الذين اعتمدانهم للبحث عن أصلها الفينيقي. فرغم أن رحلة حنون لم تشر نصا الى مدينة ليكسوس، واكتفت بذكر النهر والسكان، فإن الاوصاف المرتبطة بالليكسيين ذوي المعرفة الملاحية والتجارية واللغوية والاثنوغرافية بالساحل الاطلنطي المغربي الموروثة من أجدادهم الفينيقيين، تنم عن وجود مستوطنة ليكسوس الفينيقية قبل حدوث الرحلة، أي قبل القرن الخامس قبل الميلاد. كما أن اقتصار "هيكاتيوس الميليتي" على ذكر نهر "ليدزا–ليكسوس" وبحيرة "دوريزا" (Douriza) التي تعتبر إشارة الى المصب البحيري لوادي اللكوس، يوحي بوجود ضمني لمدينة ليكسوس منذ القرن السادس قبل الميلاد، نظرا لاقتران المدينة بالنهر واقتران النهر بالمدينة في الايستوريوغرافيا القديمة. غير أن هذا الغياب تم ملأه لاول مرة على يد "سكيلاكس" (Scylax)، الذي يعد أقدم مؤلف ينص بالحرف على وجود ليكسوس كمدينة فينيقية. ورغم أن المصادر اللاحقة لم تسلك نسق الجغرافي الاغريقي بالتنصيص على الاصل الفينيقي لليكسوس، فالملاحظ أن المعلومات التي خصت المدينة ومجالها، أضحت تتضمن ما يشير الى دورها كرائدة للمنشآت الفينيقية التي تم تشييدها بالساحل الاطلنطي للمغرب. وهذا ما نستشفه من خلال "بوليبيوس" (Polybe) الذي باعتماده على ليكسوس لتحديد المسافات الفاصلة بينها وبين العديد من المراكز والمعالم الجغرافية للمغرب القديم، أبرز أنها كانت على علم ومعرفة بهذه

(1) بعد "بلينيوس" نجد ذكر ليكسوس لدى "سيليوس إيطاليكوس" (25-101 م)، و"بطلموس" (~140 م)، وفي "دليل أنطونينوس" (بداية القرن الثالث الميلادي)، و لدى"يوليوس سولينوس" (القرن الثالث الميلادي)، وفي "لائحة المناصب العليا" [Noticia Dignitatum] (395-425 م)، ولدى "اصطيفانوس البيزنطي" (القرن الخامس أو السادس الميلاديين)، ولدى "يوليوس هونوريوس" (القرن الخامس الميلادي)، و"جغرافي رافينا" (~700 م)، وفي "لائحة الابرشيات الاسكندرية".

المواقع والمعالم، وأن سفنها كانت تبحر باستمرار الى هذه المناطق على مر العصور. ومما يرجح ذلك أن إشارته الى وجود خليج يوجد مباشرة جنوب ليكسوس يأوي مجموعة من المحطات التجارية الفينيقية (خليج ساكيكي)، توحي بأن ليكسوس كانت تتوفر على دائرة تابعة لنفوذها بالساحل الاطلنطي للمغرب منذ العصر الفينيقي. هذه المكانة التي تبوأتها ليكسوس، سيعكسها "استرابون" (Strabon) في "وصف موروزيا" من كتابه "الجغرافيا"، عبر مقتطفات تحمل في طياتها ما ينم عن الماضي الفينيقي للمدينة، سواء بالتركيز على مسألة تناظرها مع توأمتها الفينيقية قادس، أو باستحضار نفوذها على "خليج الوكالات التجارية الفينيقية" بالساحل الاطلنطي للمغرب، أو بالاشارة الى معبد ملقارت الفينيقي الذي كان يرمز الى وجودها خلال الاحقاب الماضية، ويعد علامة لقدوم الفينيقيين الى المكان. كما أن تذكير "استرابون" (Strabon) بالعدد الكبير للمنشآت الفينيقية التي اندثرت من الساحل الاطلنطي للمغرب، يوحي بأن ليكسوس، التي استطاعت لوحدها أن تفلت من الخراب الذي لحق بالمراكز الاخرى، كانت تعرف نوعا من السيادة والنفوذ على سائر هذه المنشآت.

ومع "بلينيوس" (Pline) تبلغ المعلومات المتعلقة بماضي ليكسوس ذروتها، سواء من حيث غزارتها، أو تنوعها، أواختلاف مصادرها. وإن كان يبدو لاول وهلة أن هذه المعلومات لا علاقة لها بالماضي الفينيقي للمدينة، غير أنه بعد قراءتها من منظور المضطلع بالحضارة الفينيقية، وبعد وضعها في سياق الدور الذي لعبته ليكسوس بالساحل الاطلنطي للمغرب على مر العصور، نتمكن من أن نستشف منها بعض ملامح ذلك العهد. فمن خلال الماضي الميثولوجي لليكسوس الذي كان حاضرا في ذاكرة الايستوريوغرافيا الاغريقية، تتجلى الجذور الفينيقية لليكسوس عبر استحضار أسطورة هرقل ومعبده وصراعه مع أنطيوس، التي تجسد تجذر عبادة الاله الفينيقي ملقارت بالمدينة. كما ترمز أسطورة حدائق الهيسبيريديس الى الحد الاقصى للاسفار الفينيقية، أو الى خصب ناحية ليكسوس. أما استحضار التنين الحارس لهذه الحدائق، فهو يعكس فكرة استحواذ الفينيقيين على استغلال خيرات المغرب الاطلنطي، وترهيب المنافسين من الدنو من مجال نفوذهم التجاري، بنفس الشكل الذي تم تحسيسهم بالخوف من خلال نسج أسطورة أسماك *lolligines* المجنحة المغرقة للسفن، والتي جعلت من ناحية ليكسوس مكانا لها. ولمّا ركز "بلينيوس" (Pline) مرتين اثنتين على وجود معبد قديم لهرقل في عصره، كان يوجد بجزيرة تتوسط مصب نهر اللكوس، فإنه كان يوحي بمكانة عبادة ملقارت بالمنطقة، وأهمية مؤسسة المعبد في التوسع الفينيقي، مما ينم عن الجذور الفينيقية لليكسوس. كما أن تحديد موقع المعبد خارج المجال الحضري للمدينة، يعكس حقيقة نجدها باستمرار في الحضارة الفينيقية، حيث كانت المعابد تقام في العديد من الحالات خارج المستوطنة. أما مماثلة ليكسوس بقرطاجة من لدن المؤلفين الرومان المعاصرين "لبلينيوس" (Pline) من حيث القوة الاقتصادية والتوسع العمراني واستراتيجية الموقع، فهي تعكس الغرض الفينيقي من وراء تشييد ليكسوس، بشكل يجعل منها نوعا من "قَرْتْ حَدَشْتْ" في الساحل الاطلنطي المغربي، ويؤهلها لتعتبر واحدة من أهم المستوطنات التي أسسها الفينيقيون خلال توسعهم البحري الى جانب قرطاجة وقادس.

وهكذا نستخلص من خلال المصادر القديمة التي تعرضت الى ليكسوس، سواء ذات الاصل البونيقي، أو المصادر الاغريقية، أو اللاتينية، حضور الماضي الفينيقي لليكسوس بشكل ملموس. فهل يمكن تجسيد هذا الماضي من خلال مخلفات الفينيقيين بليكسوس، التي كشفت عنها التنقيبات الاركيولوجية التي شملت المركز منذ نهاية القرن التاسع عشر الميلادي الى الآن ؟

الجزء الثاني

مخلفات الفنيقـــيين بليكســوس

مقــدمة

إذا كانت المعالم الاركيولوجية الظاهرة للعيان بليكسوس لا تمثل سوى المرحلة الموريطانية أو الرومانية، فإن مخلفات المرحلة الفينيقية بها تكاد تنعدم، باستثناء مجموعة من المآثر التي يشوبها جدال بين المتخصصين، نذكر منها بعض المعابد والاسوار.

صحيح أن الفينيقيين لم يهتموا على العموم بالبناء والعمارة خارج وطنهم الاصلي، لانهم كانوا دائما شعب بحارة وتجار[1]. لكن ذلك لا يعني أن ليكسوس لن تكشف يوما من الايام عن بعض المعالم الفينيقية كالمباني الحضرية والمقبرات، خصوصا بعد العثور مؤخرا على مجموعة من المساكن الفينيقية بفضل الحفائر الجديدة التي أنجزتها البعثة المغربية–الاسبانية سنة 1999[2]. والظاهر أن انعدام الكشف عن المعالم الفينيقية البارزة في ليكسوس لا يعزى الى وجود المباني الفينيقية تحت مستويات المباني الحديثة، كما هو الشأن في صور وقادس وأيضا في قرطاجة، بل يعود أساسا الى ضآلة الحفائر المنجزة في المركز، وضيق المساحة المخصصة لها مقارنة باتساع رقعة المجال الاركيولوجي الذي توفره ليكسوس[3].

ولعل أن الصيت الذي اشتهرت به ليكسوس في المصادر القديمة كمنشأة فينيقية، كان من العوامل التي أثارت فضول البعثات الاركيولوجية منذ أواخر القرن التاسع عشر، بحثا عن ماضيها الفينيقي الذي يغوص في أحضان الميثولوجيا الاغريقية. وهو الماضي الذي كان منطلقا في العديد من الحالات للبحث عن الأصول الفينيقية للمآثر الاولى المكتشفة، مثل أسوار ليكسوس، أو للتنقيب عن بعض المواقع الواردة في ذاك الماضي الميثولوجي، مثل الجزيرة التي كانت تأوي معبد هرقليس ــ ملقارت، وحدائق الهيسبيريديس.

ومع ذلك، ظلت الاستكشافات الاولى التي عرفتها ليكسوس دون أي إسهام إيجابي لابراز معالمها الفينيقية، إلى أن قررت سلطات الحماية الاسبانية في شمال المغرب المراهنة على هذا المركز، لتعويض المفارقة الاركيولوجية التي أحدثتها سلطات الحماية الفرنسية عند اهتمامها بمدينة وليلي. ومع مطلع الخمسينيات من القرن العشرين، عرفت ليكسوس القفزة النوعية الاولى في الكشف عن ماضيها الفينيقي، بفضل التنقيبات المنهجية التي أنجزها عالم الآثار الاسباني "ميكيل طراديل" (M. Tarradell)، بحثا عن كرونولوجية المنشأة الفينيقية. وكان من نتائج ذلك بروز أولى المخلفات الفينيقية الواضحة بليكسوس، بفضل الحفائر المنجزة في أهم استبار عرفه المركز لحد الساعة، وهو استبار "الخرّوب".

---

(1) ينبغي أن تكون نظرتنا لظاهرة التوسع البحري الفينيقي مختلفة لنظرتنا لغيرهم من الشعوب. فإذا كان الرومان مثلا قد جابوا الحوض المتوسطي طولا وعرضا، وخلفوا مجموعة من المنشآت العمرانية الكبرى، وأعدادا لا تحصى من القلاع والقنوات وضيعات الاستغلال، فإن الفينيقيين لم يتركوا على العموم شيئا في مستوى ذلك. ويعود السبب الرئيسي لهذه الندرة الى ضيق المنطقة التي استقر فيها الفينيقيون، المنحصرة في نقط محدودة ومعينة من السواحل المتوسطية والاطلنطية. كما تعزى هذه الندرة الى عامل تغيير طوبوغرافية هذه السواحل، الذي أدى الى اندثار عدد مهم من مخلفات الفينيقيين.

(2) Pascual(I), De Madaria(J.L), La Arquitectura, **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4**, 2001, p. 46-48, pl. 1.

(3) تعد ليكسوس من المراكز القليلة في الحوض المتوسطي التي توفر إمكانيات هامة للعمل الاركيولوجي.

وإذا كان "طراديل" قد حدد المرحلة النهائية للطبقة الاركيولوجية الفينيقية بليكسوس على الاقل في غضون القرن الرابع قبل الميلاد[4]، فإنه لم يكن متيقنا من مرحلة بدايتها، لانعدام العناصر الضرورية إذاك لمقارنة وتأريخ الخزف الفينيقي، الذي كاد يمثل مجموع المعثورات المكتشفة. وهذا ما جعله يؤرخ هذه الطبقة بالقرن السادس قبل الميلاد في أول الامر[5]، ثم بالقرنين السابع والسادس قبل الميلاد[6]. أما "بيير سانتاس" (P. Cintas)، الذي شارك بدوره في استبارات "طراديل"، فقد اقترح لهذه الطبقة تاريخ القرن الرابع قبل الميلاد، لاعتقاده بأن الخزف الفينيقي كان يلازمه خزف إغريقي يؤرخ بالقرن الرابع قبل الميلاد[7].

غير أن تحفظ "طراديل" في تأريخ أقدم مستويات ليكسوس، سيقابله نوع من الاعتقاد الراسخ مع "ميشيل بونسيك" (Michel Ponsich)، الذي قام بدوره بعدة حفائر في "حي المعابد" خلال الستينيات من القرن العشرين، خصوصا في خزان معبد حرف **F**، أو في أسس بناء معبد حرف **H**. فبفضل النتائج التي كانت تحققها الاركيولوجية الفينيقية إذاك بعد اكتشاف العديد من المراكز الجديدة في الحوض المتوسطي، اعتبر عالم الآثار الفرنسي أن المعثورات الخزفية الفينيقية التي عثر عليها في أعمق الطبقات الاركيولوجية بليكسوس، لاتتعدى القرن السابع قبل الميلاد، استنادا الى كرونولوجية مركز موكادور الفينيقي[8].

وبقي الامر كذلك الى أن قامت البعثة المغربية-الاسبانية بحفائر جديدة في ليكسوس منذ عام 1995، سواء في استبار الخروب الذي اقترن باسم "ميكيل طراديل"، أو في استبار بكر عُرف باسم استبار الزيتونة[9]. ومن بين أهم النتائج التي أفرزتها هذه الحفائر، إثبات أن ليكسوس كانت أقدم من موكادور بحوالي قرن من الزمن، وأنها كانت من أقدم وأهم المنشآت الفينيقية بالحوض المتوسطي الغربي.

وبالرغم من هذه المستجدات، تجدر الاشارة الى أن كل مهتم بدراسة المرحلة الفينيقية بليكسوس، يلزمه الاطلاع على ما نشره كل من "ميكيل طراديل" و"ميشيل بونسيك". غير أن مرور أكثر من أربعين سنة على أعمالهما، كان يستوجب إعادة قراءة الكثير من استنتاجاتهما. هذا لا يعني طبعا أن نتخذ موقفا مستصغرا من المجهودات التي أسهم بها كل واحد منهما، لكن طريقة معالجتهما للمخلفات الفينيقية التي تم اكتشافها، تحتاج الى وضعها في إطارها الصحيح. ذلك أن هذه المعثورات تتطلب تصنيفها وتحديد أنواعها وأشكالها وإعادة تأريخها، نظرا لتغييب ذلك في إصدارات "ميكيل طراديل" و"ميشيل بونسيك". بدون ذلك، لن نتمكن من استنتاج

---

(4) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 158.

(5) Tarradell(M), Marruecos antiguo : nuevas perspectivas, **Zephyrus V**, 1954, p. 115 y 118 ; Idem, Marruecos púnico, op. cit, p. 158.

(6) Tarradell(M), Nuevos datos sobre la ceramica pre-romana de barniz rojo, op. cit, p. 250-251.

(7) Cintas(P), Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc, op. cit, p. 62.
غير أن "طراديل" (M. Tarradell) يرفض هذه المؤارخة، اعتمادا على كون الخزف الاغريقي لم يعثر عليه سوى في المستوى الاستراتيغرافي الموجود مباشرة فوق الطبقة الفينيقية. انظر :
Tarradell(M), Nuevos datos sobre la ceramica pre-romana de barniz rojo, op. cit, p. 252.

(8) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 131.
وكان "بونسيك" (M Ponsich) قد صرح قبل ذلك في مؤلفه "أبحاث أركيولوجية بطنجة وناحيتها" بأن أقدم معثورات ليكسوس تعود الى القرن الثامن قبل الميلاد. انظر :
Ponsich(M), Recherches archéologiques à Tanger et dans sa région, op. cit, p. 67.

(9) **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval,** op. cit.

أن ليكسوس عرفت جميع الانواع الخزفية التي قام الفينيقيون بترويجها في سائر بقاع الحوض المتوسطي. وهي المواد التي كان "طراديل" قد انتبه منذ مدة الى وجودها باستمرار في جل المستويات الاستراتيغرافية السفلى التي وصل إليها، والتي كانت تتألف من المنتوج الخزفي الذي ينتمي حسب تعبيره الى "الانواع الاربعة المعهودة في ليكسوس القديمة، وهو الخزف ذو البرنيق الاحمر، والخزف المصبوغ بأشرطة واسعة أو بخطوط رقيقة، والخزف المخروط العادي والمقولب، والخزف ذو التقليد النيوليتي"[10].

ما هو المقصود بهذا المنتوج الخزفي الذي كان ملازما للطبقة الاركيولوجية الفينيقية بليكسوس ؟ هل عرفت ليكسوس معثورات فينيقية أخرى غير الخزفية ؟

هذا ما سنحاول استخلاصه من دراسة الاستبارات التي وصلت الى الصخر الام بليكسوس، سواء تلك التي قام بها كل من عالمي الآثار الاسباني والفرنسي، أو التي أنجزتها مؤخرا البعثة المغربية ــ الاسبانية.

---

(10) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 149.

الفصل الرابع

تاريخ الحفائر والمكتشفات الفينيقية

بعد اختفاء النواة الحضرية لليكسوس بانتهاء العصر القديم، أصبح المكان مهجورا إلى حين قدوم المجموعة الأولى من الباحثين المحدثين. وباستثناء جزء صغير من المركز تم تخريبه بعد أن استعمل كمقلع للحجارة، فإن تلال ليكسوس تمكن من القيام باستكشافات منتظمة لسائر مخلفات سكانها القدامى. ولا يعيق عملية الحفر سوى تواجد المستويات الاركيولوجية الرومانية التي تراكمت فوق النواة القديمة، والتي تستوجب عدم تهديمها. كما تعيقها كذلك المتطلبات المادية التي تقتضيها عملية إزالة الطبقة الأرضية السميكة التي تعلو المستوى الاستراتيغرافي الفينيقي. ومع ذلك يمثل مركز ليكسوس نموذجا فريدا من نوعه للتنقيب الاركيولوجي، نظرا للمساحة الهائلة التي يمكن استكشافه[1]، ونظرا لخلوه من البنايات الحديثة التي تعلو معظم المراكز الفينيقية الهامة كصور وقرطاجة وقادس وطنجة التي توجد آثارها القديمة مغمورة تحت أسس العمارات الحديثة[2].

وعموما، ساهمت التنقيبات الاركيولوجية التي همت المركز لحد الآن، في إبراز ملامح مدينة كاملة، بمبانيها العمومية ومنازلها الفردية ومسرحها ومعمارها[3]. هذا بالرغم من قلة هذه التنقيبات وهزالتها مقارنة بما حدث في بعض المراكز الاركيولوجية الهامة سواء بالمغرب مثل وليلي أو بخارج المغرب مثل قرطاجة. كما استطاعت هذه التنقيبات أن تكشف عن مظاهر حياة نشيطة مرت منها ليكسوس منذ أقدم عهودها، والتي بلغت درجة من الازدهار خلال العصر الموريطاني، وعانقت أوجها خلال العصر الروماني. وذلك بفضل الدعائم الاساسية لاقتصاد المركز، وهي الصيد البحري والتجارة والموارد الفلاحية للظهير[4]. وكان ذلك بفضل الاستكشافات والاستبارات الأركيولوجية العديدة التي ابتدأت مع أواسط القرن التاسع عشر، وعرفت ذروتها خلال الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين، ومازالت مستمرة الى يومنا هذا رغم طابعها المتقطع.

I ـــ الاستكشافات الاولى :

تم التعرف لاول مرة على خرائب ليكسوس من طرف الرحالة الألماني "هينريخ بارت" (Heinrich Barth) خلال عام 1845[5]. وقبل قيام البعثات الفرنسية بأولى زياراتها الى عين المكان، كانت أهمية أطلال ليكسوس واردة في البيبليوغرافيا الاسبانية لنهاية القرن التاسع عشر[6]. وقد انطلقت هذه البعثات مع الديبلوماسي

---

(1) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 131.

(2) Ponsich(M), Fouilles puniques et romaines à Lixus, **Hespéris Tamuda**, Vol. VII, 1966, p. 17.

(3) Idem, Ibid, p. 17.

(4) Idem, Ibid, p. 18.

(5) ولد الرحالة والجغرافي الالماني "هينريك بارت" في مدينة "هامبورك" (Hambourg) عام 1821، وتوفي في مدينة "برلين" (Berlin) عام 1865. انظر :

Barth(H), Wanderungen durch die Küstenländ des Mittelmeeres, ausgefürt in den Jabren 1845, 1846 und 1847, I, p. 19ss ; ap. Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 136, note n° 1.

(6) De Cuevas(T), Estudio general sobre geografía, usos agrícolas, historia plítica y mercantil, administracíon, estadística, comercio y navigacíon del Bajalato de Larache y descripcíon crítica de las ruinas del Lixus

الفرنسي"شارل تيسوت(Ch. Tissot) الذي قام بأول دراسة معمقة حول الموقع في دراسته الشهيرة "الجغرافيا المقارنة لموريطانيا الطنجية"[7]، حيث قام بوصف بقايا الاطلال التي كانت ظاهرة للعيان إذاك، دون أن يقوم بأي استبار في المكان. ومع ذلك يعتبر ما قدمه العالم الفرنسي مفيدا لعصره، لانه استطاع أن يكشف عن موقع كان شبه مكسو بغابة من الزيتون البري، التي كانت تحجب باقي الاطلال عن الانظار. فتمكن من تحديد سور المدينة، وأقام رسما تخطيطيا لهذا السور كان شبه مطابق لحالته الحقيقية. كما اكتشف في المقبرة الشرقية المدفن من النوع "البونيقي" المبني بكتل حجرية كبيرة، والمعروف باسم "القنطرة"، نظرا لاعتقاد الجميع بأنه كان يمثل منشأة دينية.

وفي الجزء الاسفل للمركز، بالمنطقة الموجودة بين النهر والطريق الوطنية الرباط-طنجة، درس "شارل تيسوت" بقايا بعض الاسوار، التي كان يعتقدها جزءا من حواجز ميناء المدينة. وبالرغم من كون تلك البقايا كانت إذاك في حالة أكمل مما هي عليه الآن، فيبدو أن تصميم الميناء الذي أقامه الدبلوماسي الفرنسي لم يكن يطابق الحقيقة، بحيث لم يكن الامر يتعلق بأي ميناء.

ولم يقتصر "شارل تيسوت" على القيام بالبحث الاركيولوجي لاطلال ليكسوس، بل عمل على دراسة مجرى واد اللكوس، بغية محاولة تحديد جزيرة معبد هرقليس-ملقارت، التي أوردتها المصادر الكلاسيكية. وباعتماده على دراسة جيولوجية سطحية قام بها مرافقه الدكتور "بليشير" (Bleicher)، اعتقد أن موقع هذه الجزيرة كان في رقادة، بالجهة اليمنى للنهر وبالقرب منه[8]. وهو التحديد الذي كان "ميكيل طراديل" (Miguel Tarradell)[9] يشك فيه.

وبعد مرور ثمان سنوات على نشر كتاب "تيسوت"، تكلفت بعثة فرنسية أخرى تحت إشراف "هنري دي لامارتينيير" (Henri de la Martinière) بالقيام بحملة استكشافية لليكسوس خلال أشهر يونيو ويوليوز وغشت من عام 1986[10]، حيث عملت على إقامة مخيم داخل الخرائب نفسها، مدشنة بذلك عصر الحفائر الحقيقية بالمركز. وقد قام "دي لامارتينيير" بمراجعة الدراسة التي أنجزها سلفه حول أسوار المدينة، وعمل على حفر بعض الخنادق المتفرقة بجوارها. غير أن الاستنتاجات التي خرج بها حول أصول هذه الاسوار كانت مغلوطة حسب "ميكيل طراديل"[11]، بحكم قصر مدة الحملة، ونظرا للصعوبات التقنية التي كانت تعاني منها الحفائر في ذلك العصر.

ولاريب أن أهم ما توصل إليه "دي لامارتينيير" هو تصحيح ما خلص إليه "تيسوت" في مسألة ميناء المدينة، حيث استطاع أن يثبت بمعوله أن البقايا المفترضة لهذه المنشأة لم تمثل حواجز الميناء، بل حطام

---

romano, **Boletin de la Sociedad geografía de Madrid**, 15, 1883, p. 90-97 ; 167-186 ; 338-369 ; 417-433 ; Idem, 16, 1884, p. 31-58 ; 232-263 ; 365-372 ; 425-438.

(7) Tissot(Ch), Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie tingitane, op. cit, p. 203-221.
ويعتبر "شارل تيسوت" من المصادر الاساسية التي اعتمدتها الايستوريوغرافية الحديثة في تحديد المواقع القديمة بالمغرب. وذلك ليس فحسب لاعتباره المؤلف الوحيد ضمن معاصريه الذي كان يعتمد المنهج العلمي في أوصافه، حيث لم يكن يدون سوى الاشياء التي رآها، وكان يسجل أحجام الاطلال ويضع تصاميمها، بل لكون العديد من الخرائب التي وصفها قد تعرضت للتلف، ولم تعد على الحالة التي كانت عليها منذ أكثر من قرن.

(8) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 138.

(9) Idem, Ibid, p. 138.

(10) De La Martinière(H), Recherches sur l'emplacement de la ville de Lixus, **B.C.T.H**, 1890, p. 133 ss ; Idem, Souvenirs du Maroc, Paris, 1919.

(11) Tarradell(M), Marrueroc púnico, op. cit p. 138.

أسوار قديمة[12]. كما أنه حدد دون أن يدري موقع المقبرتين الكبيرتين اللتين توفرت عليهما ليكسوس. فقد نقب بشكل سريع في المقبرة التي سيطلق عليها "طراديل" اسم المقبرة الغربية[13]، حيث عثر بها على نصب جنائزي يحمل كتابة فينيقية، تم نقلها كسائر المكتشفات الى متحف اللوفر بباريز. كما عمل على إزاحة الاتربة من المدفن المعروف باسم القنطرة بالمقبرة الشرقية، الذي اكتشفه "تيسوت" وقدم أوصافا عنه، معتقدا كسلفه بأن الامر يتعلق بمنشأة دينية.

وكانت المعثورات الاركيولوجية التي اكتشفتها البعثة الفرنسية ضئيلة ودون أهمية كبرى، باستثناء النصب السالف الذكر. وقد اقتصرت هذه المعثورات على كأس برونزية، ورأس حجرية خشنة متآكلة جدا وصعبة التصنيف[14]. وأما الخزف الذي عثر عليه "دي لامارتينيير" فقد كان في حالة منكسرة، ولم يستخلص منه نتيجة تذكر، نظرا لعدم الالمام في ذلك العهد بأنواع الاخزاف القديمة وتاريخها. وتفيدنا هذه المعلومة في ترجيح أن تكون بعض هذه الكسرات أجزاءً لبعض الاواني الخزفية الفينيقية.

وبعد وقت طويل من التعطل، جاء دور الحملات الاولى للعمل المتواصل بليكسوس التي تحققت على يد عالم الآثار الاسباني "سيسار لويس دي مونطالبان" ما بين 1925 و1935[15]. ورغم أن عملية رفع الاتربة اتخذت حجما كبيرا، إلا أنها شملت في مجملها طبقات المباني الرومانية، مما يعني أن هذه الحفائر لم تكن لتفيدنا في موضوع المعثورات الفينيقية بليكسوس[16]. كما أن "مونطالبان" لم يقم بنشر أعماله، ولم يترك أي أثر ليوميات حفائره، أو أي نوع من الوثائق الشبيهة بالمتحف الاركيولوجي بتطوان، حيث كانت تحفظ جل المواد المكتشفة. وهذا يعني أن العديد من المعثورات الاركيولوجية التي اكتشفها في ليكسوس قد ضاعت الى الابد[17].

II – حفائر "طراديل" والبحث عن كرونولوجية المنشأة الفينيقية :

مما لا شك فيه أن تعيين عالم الآثار الاسباني "ميكيل طراديل" (M. Tarradell) عام 1948 على رأس إدارة المتحف الاركيولوجي بتطوان ومصلحة الآثار للحماية الاسبانية بالمغرب، مثّل نقطة انطلاق البحث العلمي الاسباني بليكسوس. ومنذ ملاحظته للفراغ الكبير الذي تميزت به المعلومات المتعلقة بالمرحلة ما قبل الرومانية بليكسوس، دأب على تخصيص حيز مهم لهذه المرحلة في استباراته التي انطلقت بالمركز منذ عام 1950، بحثا عن المستويات الاركيولوجية الفينيقية[18].

---

(12) Tarradell (M), Marrueroc púnico, op. cit p.. 139.

(13) Idem, Ibid, p. 139.

(14) Idem, Ibid, p. 139 ; De La Martinière(H), Recherches sur l'emplacement de la ville de Lixus, op. cit, pl. VIII.

(15) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 139.

(16) اقتصرت تنقيبات "مونطالبان" (Montalban) على مجموعة من المنازل بالقطاع المنحصر بين السور الغربي والفوروم تعود الى العصر الموريطاني، وعلى قسم كبير من منشآت مصنع "الكاروم" (Garum). انظر :

Aranegui(C), Belén(M), Fernández Miranda(M), Hernández(E), La recherche archéologique éspagnole à Lixus : Bilan et perspectives, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), Collection de l'Ecole française de Rome, n° 166, Palais Farnèse, 1992, p. 7.

(17) Idem, Ibid, p. 7.

(18) حول مراحل الاستبارات التي قام بها "طراديل" (Tarradell) في ليكسوس انظر :

Tarradell(M), Las excavaciones de Lixus, **Ampurias XIII**, 1951, p. 186 ; Idem, Investigaciones sobre los Romanos en el Marruecos español, Arbor 69-70, 1951, p. 76 ; Idem, Las campañas de excavaciones de 1954 y 1955 en Lixus (Marruecos), **IV Congreso nacional de Arqueologia** (Burgos, 1955), Zaragoza, 1956, p. 193.

1) تصـــميم الاســـتبارات :

إن الحفائر التي قام بها "طراديل" في ليكسوس ما بين 1950 و1957، والتي تجاوزت عشرينا استبارا[19]، مثلت المحاولة الأولى لاخذ نظرة بنيوية حول المستوطنة الفينيقية. ورغم أن هذه الابحاث طبعتها بعض المشاكل الإقتصادية[20]، غير أنها خضعت من الناحية العلمية لمنهج جاد يهدف الاجابة عن تساؤلات تاريخية محددة[21]. وبغية ضمان جميع حظوظ النجاح، كان من الضروري تحديد المكان المناسب لاقامة الاستبارات، انطلاقا من فرضيات معقولة وليس بشكل "مغامر"، أو تبعا "لاعتبارات خارجية"[22].

وبذلك تمكن "ميكيل طراديل" لاول مرة من تحديد الطبقات الاستراتيغرافية المكونة للمركز، بعد الكشف عن وجود خمس مستويات من الاستقرار البشري، كان أعمقها يمثل المستوى الفينيقي[23]. وقد أخذ التصميم المتبع في هذه الحفائر بعين الاعتبار المعطيات المتوفرة حول طوبوغرافية المراكز الفينيقية الساحلية من جهة، ومن جهة ثانية حاولت الحفائر استقاء أكبر قسط من المعلومات، بإزالة أقل قسط من الاتربة، نظرا لتواجد الخرائب الرومانية في الطبقات الاركيولوجية العليا. وللبحث عن النواة الاولى للمستوطنة الفينيقية، تجنب "طراديل" تركيز أعماله في المكان الذي شيدت به المدينة الرومانية، اقتناعا منه بأن هذه الأخيرة تطورت وفق متطلبات طوبوغرافية مختلفة، وعرفت امتدادا عمرانيا أوسع من سالفتها[24]. هذا مع العلم أن أغلبية الاطلال التي كانت معروفة في عصر "طراديل" لم تكن تعود الى العصر الروماني فحسب، بل كانت تؤرخ بمرحلة متقدمة من عصر الامبراطورية الرومانية. أي أنها كانت لاحقة بمآت القرون للتاريخ المفترض الذي شيدت خلاله النواة الفينيقية.

وحيث أن المستوطنين الفينيقيين الاوائل كانوا يعتادون الاستقرار بجوار المكان الذي رست به مراكبهم لاول مرة، والذي كان يخضع للمتطلبات التي تقتضيها الملاحة الفينيقية، فقد تم البحث في تلال "الشميس" عن المكان الذي توفر على الظروف الملائمة للرسو، وعلى المواصفات الكافية لاحتواء نواة صغيرة من المساكن. فعند ولوج مصب وادي اللكوس عبر أحد القوارب، فإن أول جهة بالشميس التي تبدو مناسبة لعملية الرسو، مثلتها الجهة الغربية للربوة. غير أن هذه الجهة لم تكن تخضع لمتطلبات الملاحة الفينيقية، نظرا لانعدام أي ملجئ للمراكب ولا للاستقرار، بحكم قوة انحدار التل. هذا مع العلم أن المكان لا يمثل حاليا الوضعية الطوبوغرافية التي كان عليها في الماضي، نظرا لكون المقالع التي أنشئت هناك عملت على تشويه هذا السفح وفقدان جزء كبير منه. كما أن الحفائر التي أجريت بالمقبرة الغربية المتواجدة بهذا السفح، لم تفرز مستويات أركيولوجية فينيقية.

أما المنحدر الشمالي لتل ليكسوس، فلم يكن كذلك صالحا لاستقطاب البحارة الفينيقيين، لانه كان بعيدا عن النهر، وكان سفحه وعرا وصخريا. وفيما يخص المنحدر الشرقي، فقد كان أيضا بعيدا عن المصب وعن اتجاه قدوم المراكب، وبعيدا كذلك عن المكان الذي شيدت به المدينة ما قبل الرومانية. ولو اعتبرنا أن الوادي

---

(19) Tarradell(M), Lixus. Historia de la ciudad. Guia de las ruinas y de la seccion de lixus del museo arqueologico de Tetuán, Tetuán, 1959, p. 27 ; Idem, Notas acerca de la primera época de los Fenicios en Marruecos, **Tamuda**, t. VI, Simestre 1, Tetuán, 1958, p. 75.

(20) Aranegui(C), Belén(M), Fernández Miranda(M), Hernández(E), La recherche archéologique éspagnole à Lixus : Bilan et perspectives, op. cit, p. 8.

(21) Tarradell(M), Notas acerca de la primera época de los Fenicios en Marruecos, op. cit, p. 72-73.

(22) Tarradell(M), Marruecos antiguo : nuevas perspectivas, **Zephyrus V**, 1954, p. 55 et suiv.

(23) Ponsich(M), Fouilles puniques et romaines à Lixus op. cit, p. 17.

(24) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 142.

الصغير الذي يوجد حاليا في حالة طمر كان يحاديه النهر في الماضي من جهة الشرق، فإن الحفائر التي شملت هذا النطاق لم تفرز بدورها مواد قديمة تثير الانتباه[25].

لهذه الاعتبارات قرر "ميكيل طراديل" أن يعمل على فحص المنحدر الجنوبي لليكسوس، لتوفره على الظروف الملائمة للتوغل نحو هضبة "الشميس" من جهة النهر (انظر لوحة VIII). وقد اعتبر[26] أن المنطقة التي أطلق عليها اسم "حقل البئر" (Campo del Pozo) ، والمنحصرة بين السفح السفلي للمنحدر الجنوبي وبين النهر، تمثل لاريب المكان الاول للرسو، وموقع أقدم المساكن. وفي هذه الحالة، يورد "ميكيل طراديل[27] أنه لو افترضنا أن النواة القديمة للمساكن كانت مساحتها ضيقة، وتقتصر فقط على منطقة "حقل البئر"، فإن مقبرة هذا النطاق يجدر البحث عنها في الجزء المنخفض للمنحدرات المجاورة. أما إذا سلمنا جدلا، يتابع عالم الآثار الاسباني[28] بأن هذه النواة كانت أوسع، فإن المساكن كانت لاريب تشمل الجزء الاسفل للسفح. وقد مثلت خرائب مصنع تمليح السمك، الموجودة غرب "حقل البئر" علامة ثمينة ترجح أن المكان الذي كانت ترسو به مراكب الصيد خلال العصر الروماني، لم يكن بعيدا عن النواة الفينيقية، التي كانت بدورها موقعا تنزل به المواد المستوردة.

2) استبارات الجزء الاسفل والسفح الجنوبي (من رقم 1 الى رقم 11) :

بحثا عن موقع المنشأة الفينيقية القديمة، كانت الحفائر الاولى التي أنجزها "ميكيل طراديل" (M. Tarradell) في ليكسوس متمركزة في الجزء الاسفل للمركز[29]، حيث قام باستبارين اثنين، أولهما يحمل رقم 1، وشمل مصنع تمليح السمك، والثاني يحمل رقم 2 وخص منطقة "حقل البئر". أما الحفائر التي شملت السفح الجنوبي، فقد تم إنجازها باتباع خطين وهميين متباعدين ينطلقان من "حقل البئر" ويصعدان مع السفح. وقد تم حفر عدة خنادق في الاتجاهين، يعرفان بالاستبارات رقم 3 و4 و5 في الخط الشرقي، وبالاستبارات رقم 6 و7 و8 و9 و10 في الخط الغربي (انظر لوحة IX).

وقد أسفرت نتائج هذه الاستبارات على ما يلي :

الاستبار رقم 1 : وقد شمل جزءا من المباني التابعة للجهة الشرقية لمصنع تمليح السمك الروماني، ولم يسفر عن مستويات تهم المرحلة القديمة لليكسوس.

الاستبار رقم 2: وقد هم الجهة الشرقية وتمت تسميته "بحقل البئر"(Campo del Pozo) وكانت نتائجه سلبية فيما يخص المدينة ما قبل الرومانية.

وهكذا يتبين من خلال هذين الاستبارين أن النواة الفينيقية القديمة لم تكن توجد في المنطقة السفلى لمركز ليكسوس.

استبارات الخط الشرقي (استبار رقم 3 و4 و5) : خصت هذه الاستبارات الجزء الشرقي للسفح الجنوبي انطلاقا من الاستبار السالف الذكر الى المنطقة المجاورة للسور الشرقية. وتتميز هذه المنطقة بكونها منطقة صخرة، تطفو بها كتل حجرية ثلاثية كبيرة، مما يوحي منذ البداية بأنها لم تكن تتوفر على مساكن تذكر. غير أن "طراديل" استطاع أن يكشف عن مقبرة تضم مدافن محفورة في الصخر[30]. وقد تم حفر ثلاثة

---

(25) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 143.

(26) Idem, Ibid, p. 143.

(27) Idem, Ibid. p. 143.

(28) Idem, Ibid, p. 143.

(29) Idem, Ibid, p. 144.

(30) Idem, Ibid, p. 146.

خنادق في هذه المقبرة بجوار الصخور (استبار رقم 3 و4 و5)، بغية التعرف على الابواب المفترضة للمدافن. لكنها لم تسفر عن أية علامة حول ذلك.

استبارات الخط الغربي (استبار رقم 6 و7 و8 و9 و10) : شملت هذه الاستبارات المنطقة الممتدة نحو عالية السفح الغربي من "حقل البئر" الى جوار السور الروماني المتأخر. ولم يسفر الاستبار الاول الذي يحمل رقم 6 ولا الثاني الذي يحمل رقم 7 عن أية نتيجة تذكر، نظرا لبروز الصخر الام في عمق قليل. بينما أفرز الاستبار الذي يحمل رقم 8 نتائج هامة حول موضوعنا ؛ وهو الاستبار الذي يعرف كذلك باسم "استبار الخروب"، نظرا لوجوده بالقرب من شجرة الخروب الوحيدة التي تعرفها هضبة "الشميس" (انظر لوحة أ بالالوان رقم 2).

استبار الخروب (انظر لوحة IX رقم 1):

أنجز "طراديل" هذا الاستبار خلال مرحلتين اثنتين : المرحلة الاولى كانت في عام 1951 عند انطلاقة التصميم العام الذي استهلت خلاله الحفائر في ليكسوس[31]. أما المرحلة الثانية، فقد حدثت عند حلول عام 1957، بعد أن تبينت أهمية المعثورات التي أفرزتها المستويات الاركيولوجية لهذا الاستبار[32]. وخلال هذه المرحلة اتخذ الاستبار نطاقا أكبر من الاول، لدرجة جعلته يمثل أهم إسهام استراتيغرافي في ليكسوس خلال مرحلة ما قبل الرومان[33].

ويتضمن هذا الاستبار خمس مستويات استراتيغرافية يبلغ سمكها حوالي خمسة أمتار، ويمتد تاريخها حسب ما كان يعتقده "طراديل" من القرن السابع قبل الميلاد الى أواسط القرن الاول الميلادي. ولا يهمنا من هذه الاستبارات سوى المستوى الفينيقي الذي يحمل رقم V، والموجود في عمق يتراوح ما بين 2,05م و3,15م، ويبلغ سمكه 1,10م[34]. وهو يتكون من ست طبقات أركيولوجية توجد مباشرة فوق الصخر الام، وهي الطبقات 26-25 و24-23 و22-21 (انظر لوحة X).

وفيما يتعلق بمخلفات المباني، لم يفرز المستوى الاستراتيغرافي رقم V سوى آثارا ضئيلة، تتألف من قطع بعض الجدران المشيدة بحجارة كبيرة، والتي تعود لاريب حسب "طراديل"[35] الى أسس مبان تم هدمها

---

(31) Tarradell(M), Sobre el presente de la arqueologia púnica, **Zephyrus III** (1952), p. 153 ss.

(32) Tarradell(M), Aportación a la cronologia de la cerámica de barniz rojo, **V Congreso nacional de Arqueologia** (Zaragoza, 1957), Zaragoza, 1959, p. 269.

(33) حول استبار الخروب، انظر البيبليوغرافيا التالية :

Tarradell(M), Tres años de investigaciones arqueologicas en Marruecos, **II Congreso nacional de Arqueologia, (Madrid, 1951)**, Zaragoza, 1952, p. 61 ; Idem, Guía arqueológica del Marruecos español, Tétuan, 1953, p. 25-26 ; Idem, Excavaciones en Lixus, **FA**, 7, 1952, p. 161-167 ; Idem, Marruecos antiguo : nuevas perspectivas, **Zephyrus V**, 1954, p. 113-118 ; Idem, Las excavaciones de Lixus y su aporatación a la cronología de los inícios de la expansión fenicio-púnia en occidente, "Crónica del IV Congreso internacional de ciencias prehistoricas y protohistoricas" (Madrid, 1954)", Zaragoza, 1956, p. 789-796 ; Idem, Aportación a la cronologia de la cerámica de barniz rojo, op. cit, p. 270-274 ; Idem, Nuevos datos sobre la ceramica pre-romana de barniz rojo, **Hespéris-Tamuda**, Vol. II, Fasc. II, 1960, p. 249-250 ; Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 147-149.

(34) لأخذ فكرة مفصلة حول المستويات الاستراتيغرافية الاربعة الاولى لاستبار الخروب، وكذا حول أهم المواد الخزفية التي حوتها هذه الاستبارات، انظر :

Tarradell(M), Nuevos datos sobre la ceramica pre-romana de barniz rojo, op. cit, p. 249-250.

(35) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 147.

عند تشييد المستوى الموالي[36]. وبذلك تشكلت غالبية المواد المكونة لهذا المستوى من المنتوج الخزفي، الذي ينتمي الى الانواع الاربعة المعهودة في ليكسوس القديمة حسب تصنيف "طراديل"، وهو الخزف ذو البرنيق الاحمر، والخزف المصبوغ بأشرطة واسعة أو بخطوط رقيقة، والخزف المخروط العادي والمقولب[37]، والخزف ذو التقليد النيوليتي. وقد أرخ عالم الآثار الاسباني هذه المنتوجات بمرحلة سابقة للقرن الخامس قبل الميلاد، باعتماده على قطعة خزفية آتيكية عثر عليها بالمستوى الاستراتيغرافي رقم IV، تم تأريخها خلال القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد.

غير أنه أضحى من المؤكد الآن[38]، أن المستوى الاستراتيغرافي رقم V لاستبار الخروب، الذي يعتبر مرجعا أساسيا للحفائر والاستبارات التي تمت في ليكسوس، كشف عن مواد خزفية فينيقية محضة، تمثلها الانواع الرئيسية التالية :

— الاباريق ذات القرص (Oenochoés à bobèche).
— القناديل ذات المشعل الواحد أو ذات المشعلين.
— الامفورات الفينيقية.
— الجفنات والصحون ذات البرنيق الاحمر.

وقد تأكد ذلك بفضل التعاون المغربي-الاسباني في مجال الآثار والتراث، الذي استهل بدراسة المواد المكتشفة في مختلف الاستبارات التي قام بها "ميكيل طراديل" ما بين 1948 و1957، قبل الشروع في حفائر ليكسوس المُسَطَّرة في هذا التعاون. وقد انطلقت أعمال هذه الدراسة عام 1992، حيث قام فريق من الباحثين الاسبان برسم وتصنيف ما مجموعه 670 كسرة خزفية كانت محفوظة في المتحف الاركيولوجي بتطوان. وكان مصدر القطع المدروسة من الطبقات السفلى لاستبار "قطاع المنازل" المعروف باسم cata Montalban، واستبار "البازيليك"، واستبار "المخيم"، واستبار "المنطقة العليا"، والاستبار المنجز بجنب السور رقم 3، واستبار الخروب. غير أن المواد المكتشفة في المستوى الاستراتيغرافي رقم V من استبار الخروب، لم تنشر سوى في عام 2001 في الفصل السابع من المؤلف الجديد حول ليكسوس[39]. وتتألف هذه المواد من 284 قطعة خزفية، 85 شقفة منها كانت من النوع المصنوع باليد بنسبة 18,43%، و226 شقفة كانت من النوع المخروط بنسبة 81,56%. وتنتمي هذه الكسرات الى الطبقات الاركيولوجية المرقمة من 26 الى 22[40] (انظر اللوحات XXI-XI).

---

(36) سنعود الى هذه المخلفات في الفصل الثامن، حيث سيتبين أنها كانت من بقايا جدران تنتمي الى مساكن فينيقية.

(37) ربما يعود هذا النوع الخزفي الى "الخزف الاملس" (céramique lisse) في تصنيف "كابرييل كامبس" (G. Camps). انظر :
Camps(G), Aux origines de La Bérbérie - Monuments et rites funéraires protohistoriques, Arts et métiers graphiques, Paris, 1961, p. 399-400.

(38) Habibi(M), La céramique à engobe rouge phénicien de Lixus, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), Collection de l'Ecole française de Rome, n° 166, Palais Farnèse, 1992, p. 145.

(39) Belèn(M), Escacena(J.L.), Rodero(A), López Roa(C), Materiales de época fenicia de las excavaciones de Tarradell conservados en el museo de Tetuán, **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4**, 2001, p. 83-105.

(40) Idem, Ibid, p. 86, cuadro 3, fig. 4-12.

ومن المستجدات التي أفرزتها هذه الدراسة، الكشف عن قطعة مطلية ببرنيق أحمر من النوع الجيد بالطبقة الاركيولوجية رقم 24، تنتمي الى الاناء المعروف باسم "شاردون" (vase chardon)[41]. وتنتمي هذه القطعة، التي تمثل جزءا من البطن والعنق[42]، الى النوع الصغير الحجم من هذه الاواني، الذي يبلغ قطره عند قاعدة العنق 12 سنتمتر، ويتميز بحواشي عادية متورمة، وأعناق إما مخروطية تضيق في اتجاه القاعدة، أو أسطوانية تتميز بجوانب مقعرة بعض الشيء (انظر لوحة XX رقم 565).

كما يمكن إضافة قطع أخرى[43] تنتمي الى الاناء "شاردون"، اكتشفت في أسفل المستويات الاركيولوجية، كانت أحجام قطر فوهتها تتراوح بين 15 سنتمتر و18 سنتمتر. وكانت هذه الكسرات مطلية بالبرنيق في جميع جوانبها، كما هو الشأن في النماذج المكتشفة بقرطاجة[44] و"ولبة"[45]، والمؤرخة بالقرن الثامن قبل الميلاد (انظر لوحة XX-XIX-XII).

ومن خلال كراسة الحفائر التي كان يستعملها "ميكيل طراديل" (M.Tarradell)، نفهم أنه عثر في الحجرة رقم 4 بأسفل مستوى استراتيغرافي من استبار الخروب، على نوع فينيقي شرقي مختلف عن الخزف الاحمر. وهو المعروف باسم fine ware القبرصي، والذي تم تأريخه في مركز "كاستيو دي دونيا بلانكا" (Castillo de Doña Blanca) بالقرن الثامن ق.م[46].

استبار رقم 9 و10 و11: نظرا للنتائج الهامة المحصل عليها في استبار "الخروب" الذي يحمل رقم 8، قام "طراديل" باستبار آخر (رقم 9) في نفس مستوى السفح، لكن على بعد 125 متر غربا من الاستبار السابق[47]. وكانت غايته من ذلك إثبات هل كانت معثورات العصر الفينيقي تمتد في اتجاه الغرب. وقد صادف المكان الذي تم اختياره موقع المخيم الذي اعتاد عالم الآثار الاسباني أن يخيم فيه خلال أيام الحفر، مما جعله يطلق عليه اسم استبار "المخيم" (sondeo del Campamento)، ويحفر به خندقا يبلغ طوله ثمانية أمتار وعرضه مترين اثنين (انظر لوحة IX رقم 2). وعلى عمق أربعة أمتار، بدأت تبزغ المنتوجات الخزفية المميزة للمستويات القديمة بليكسوس، والتي تم ضبطها أيضا في استبار الخروب، والمتكونة من الخزف الفينيقي ذي البرنيق الاحمر، والخزف ذي التقليد النيوليتي، والخزف المخروط العادي[48].

وهكذا نلاحظ أن المواد التي تم الكشف عنها من خلال استبار الخروب واستبار المخيم، تبرز أن أقدم مستويات ليكسوس لا ينبغي البحث عنها في الجزء الاسفل للمركز، بل في المنطقة الممتدة بين منتصف السفح الجنوبي والجهة العليا لهضبة "الشميس". وهذا ما حدا "بطراديل" الى متابعة الحفر في الخط الغربي نحو

---

(41) Belèn(M), Escacena(J.L.), Rodero(A), López Roa(C), Materiales de época fenicia de las excavaciones de Tarradell conservados en el museo de Tetuán, op. cit, p. 92.

(42) Idem, Ibid, fig. 13 : n° 565, p. 104.

(43) Belèn(M), Escacena(J.L.), Rodero(A), López Roa(C), Materiales de época fenicia de las excavaciones de Tarradell conservados en el museo de Tetuán, op. cit, fig. 5 : n° 180 ; fig. 12 : 545-540.

(44) Vegas(M), La cerámica fenicia fenicia del siglo VIII en Cartago, **Actas del IV congreso internacional de Estudios fenicios y púnicos, t. III, Cádiz, 2000**, p. 1238, fig. 4, 21.

(45) Rufete(P), Las cerámicas con engobe rojo de Huelva, **Huelva arqueológica X-XI 3**, 1988-1989, p. 22, fig. 2, 4 ; Idem, Las primeras cerámicas fenicias en los poblados tartésicos de Huelva, **La cerámica fenicia en Occidente. Centros de producción y áreas de comercio**, Alicante, 1999, p. 218, fig. 2-5.

(46) Aranegui(C), Tarradell-Font(N), Lixus colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Apuntes para una Historia de la investigación arqueológica, op. cit, p. 22.

(47) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 150.

(48) Idem, Ibid, p. 152.

الاعلى، حيث قام باستبار جديد يحمل رقم 10 في الجهة الجانبية لباب السور الروماني المتأخر[49] (انظر لوحة IX رقم 3). وقد أفرز هذا الاستبار في مستوياته السفلى نفس المواد التي سبق ذكرها في الاستبارين السابقين، والتي تهم المرحلة الفينيقية التي نؤرخ لها. فإلى جانب الخزف ذي البرنيق الاحمر، والخزف المحلي ذي التقليد النيوليتي، تم العثور على جزء صغير من قنديل فينيقي من نوع القناديل المعروفة بذات المشعلين[50].

هذه النتائج المشجعة، دفعت "طراديل" الى مواصلة حفائره في اتجاه الاجزاء العليا لليكسوس، خصوصا بعد العثور على جزء من عرش يمثل سفنكسا (sphinx) فينيقي الاصل[51]. فقام بحفر خندق يبلغ طوله ستة أمتار وعرضه أربعة أمتار على بعد عشرة أمتار شرق "قطاع البازيليك" (انظر لوحة IX رقم 4). ويعرف هذا الاستبار الذي يحمل رقم 11 باستبار "البازيليك" (sondeo "de la Basilica")[52]. ففي عمق نصف متر من مستوى سطح الارض، بدأت تظهر بشكل كثيف شقفات تقتصر على الخزف ذي البرنيق الاحمر، لم يتمكن "طراديل" مع الاسف من تحديد أنواعها وأشكالها، نظرا لحالتها المهشمة. غير أن كثافة حواشي هذه القطع، جعلته يعتقد أنها تعود الى نوع الصحون الفينيقية المصبوغة بالبرنيق الاحمر، التي تنتمي الى نوع «أ» و«ب» من تصنيفه. وهذا يرجح على ما يبدو أن قطاع "البازيليك" كان يمثل منطقة كثيفة السكان خلال أقدم عصر عاشته ليكسوس[53]. وقد قام مؤخرا مجموعة من الباحثين الاسبان بدراسة هذه الشقفات الخزفية[54]، حيث تبين أنها تنتمي الى نفس الاصناف الفينيقية التي عرفتها ليكسوس، وهي الخزف الفينيقي ذي البرنيق الاحمر، والامفورات، والخزف ما قبل-التاريخي، والخزف المصبوغ بخطط أفقية سوداء وحمراء[55] (انظر لوحة XXII).

3) استبارات سهل الهري أو الهضبة العليا (من رقم 12 الى رقم 15) :

نظرا لما تم إحرازه من حصيلة مفيدة حول العصر الفينيقي، أضحى من المناسب الانتقال الى التنقيب في الجهة العليا للمركز، بعد فشل إثبات فرضية وجود النواة الحضرية الاولى لليكسوس في الجهة السفلى. ومما شجع على المضي في ذلك هو أن الاستبارات المنجزة كانت تفرز أحسن النتائج بقدر ما كان يتم الصعود نحو الاعلى، حيث العثور التدريجي على المستويات القديمة. وقد أفضى ذلك "بميكيل طراديل" الى وضع تصميم جديد للحفر يخص سهل الهري برمته في قلب الانقاض الرومانية، حيث أقام أربعة استبارات

---

(49) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 150.

(50) Idem, Ibid, p. 153.

(51) Idem, Ibid, p. 153 ; Aranegui(C), Tarradell-Font(N), Lixus colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Apuntes para una Historia de la investigación arqueológica, **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4**, 2001, fig. 13, p. 21.

وانظر أيضا :

العزيفي (محمد رضوان)، **سفنكس ليكسوس والعروش الإلهية الفينيقية**، مجلة الدراسات الفينيقية البونية والآثار اللوبية (R.E.P.P.A.L)، العدد 13، مركز دراسة الحضارة الفينيقية البونية وآثار اللوبيين، المعهد القومي للآثار والفنون، تونس، [تحت الطبع].

(52) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 153.

(53) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 153.

(54) Belén(M), Escacena(J.L), López Roa(C), Rodero(A), Fenicios en el Atlántico. Excavaciones españolas en Lixus : Los conjuntos "C. Montalbán" y "cata basílica", **Homenaje a M. Fernández Miranda, Complutum extra 6, 1**, 1996, p. 352, fig.9, p. 353.

(55) Aranegui(C), Tarradell-Font(N), Lixus colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Apuntes para una Historia de la investigación arqueológica, op. cit, p. 20.

هامة[56].(انظر لوحة IX رقم 5-6-7-8). الاستبار الاول الذي يحمل رقم 12 كان في الفناء المعمد لدار "مارس" (Mars) و"ريبا" (Rhéa)[57]، والاستبار الثاني الذي يحمل رقم 13 هم الحجرات الموجودة شمال الدار السالفة الذكر. أما الاستبار الثالث الذي يحمل رقم 14 فقد خص الفناء المعمد لدار "هيليوس" (Hélios)، والاستبار الرابع الذي يحمل رقم 15 تم إنجازه في أقصى شمال شرق المدينة، بين ضريح "سيدي غزال" والسور الشرقية.

وبعد ذلك توبعت الحفائر بإنجاز ثلاثة استبارات أخرى بجنب السور الغربية المشيدة بكتل ضخمة، التي كانت تعتبر سورا فينيقية منذ عهد "شارل تيسوت" (Ch. Tissot). كما قام "طراديل" باستبار آخر بالقرب من السور الشرقية[58].

وفيما يخص نتائج هذه الاستبارات حول المرحلة الفينيقية بليكسوس، نسجل على الباحث الاسباني أنه لم يكن دقيقا مقارنة بأوصافه المتعلقة بالاستبارات التي أجراها في السفح الجنوبي، وعلى رأسها استبار الخروب. ورغم أنه كان يصل الى الصخر الام في منطقة سهل الهري، إلا أن التأكد من انتماء المواد المكتشفة الى المرحلة التي تهمنا كان يصطدم بصعوبة كبرى. فلا نعلم مثلا هل كانت الطبقة الاركيولوجية السفلى في الاستبار الذي تم إجراؤه في دار "مارس وريبا" طبقة فينيقية أم لا. هذا مع العلم أن "طراديل" ذكر أنه عثر في هذه الطبقة على قطعتين من الخزف الاغريقي المصبوغ[59]، وعلى نوع الخزف المخروط العادي، وبعض القطع من الخزف الاحمر، والخزف المصبوغ بأشرطة متوازية ضيقة ذات اللون الاسود. غير أننا لانعلم هل تعتبر هذه الانواع الخزفية معاصرة للنماذج المماثلة التي تم استكشافها في استبارات السفح الجنوبي ؟

كما أنه تحدث عن توفر الاستبار رقم 13 في أقدم مستوى استراتيغرافي عن الخزف الاحمر والخزف ذي التقليد النيوليتي[60]. غير أن العثور بنفس المستوى حسب "طراديل" نفسه[61] على الخزف الروماني المعروف بنوع "الكامباني حرف «أ»" (Campanienne A) المؤرخ عموما بالنصف الاول من القرن الثاني قبل الميلاد[62]، يجعلنا نحتار أيضا في مسألة انتماء هذا المستوى الاستراتيغرافي الى المرحلة الفينيقية بليكسوس.

---

(56) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 153.

(57) سميت هذه الدار الرومانية بهذا الاسم نسبة الى الفسيفساء التي اكتشفت بها، والمعروضة حاليا بالمتحف الاركيولوجي بتطوان. وهي تمثل صورة لإله الحرب الروماني "مارس" (Mars) في لقائه بالكاهنة "ريبا سيلفيا" (Rhéa Silvia) والدة مؤسسي روما "روميلوس" (Romulus) و"ريموس" (Remus). انظر :

المكناسي (احمد)، مدينة ليكسوس الاثرية، تطوان، 1961، ص. 25.

(58) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 154.

(59) لم يقدم "طراديل" (Tarradell) مع الاسف أية معلومة حول تاريخ هاتين القطعتين، لما نعلمه من أهمية الخزف الاغريقي في تأريخ المستويات الاستراتيغرافية، واكتفى بتقديم بعض الاوصاف المرفولوجية لهما. فكانت الشقفة الاولى تحتوي على عروة مصبوغة ببرنيق أسود تحيط بها زخارف على شكل بويضات مصبوغة بالاحمر. أما الشقفة الثانية فكانت أحجامها صغيرة جدا، جزأها الداخلي مصبوغ بالاحمر والخارجي بالاحمر الفاتح مع زخارف سوداء. انظر :

Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 155.

(60) Idem, Ibid, p. 155.

(61) Idem, Ibid, p. 155.

(62) Morel(J.P), **Campanienne (Céramique)** ,Encyclopédie berbère, t. XI, Aix-En-Provence, 1992, p. 1722.

وإذا كان الاستبار رقم 14 لم يضف بدوره ما يخص هذه المرحلة[63]، فإن الاستبار رقم 15، الذي تم إنجازه في أعلى منطقة بليكسوس، أفرز نتائج هامة بالنسبة للعصر الفينيقي. فعلى عمق 1,80 متر، تم العثور بطبقة أركيولوجية صعبة التأريخ ومقلوبة بشكل كبير، على خنفساء مصرية من عجين الزجاج[64]. وعند توسيع عملية الحفر، وبعد اكتشافه في عمق يساوي مترين لكمية من الكسرات الخزفية الآتيكية ذات اللون الاسود تؤرخ بالقرن الرابع أو الخامس قبل الميلاد، عثر "طراديل" في قعر الاستبار على طبقة استراتيغرافية رقيقة تتضمن الخزف الاحمر الفينيقي والخزف المحلي ذا التقليد النيوليتي[65].

4) حفائر ما بعد 1957 (استبار قطاع المنازل "Cata "Montalban) :

بعد الأعمال المنجزة خلال الفترة الممتدة من 1950 الى 1957، قام "ميكيل طراديل" بحفائر أخرى منتظمة وواسعة بليكسوس من 1957 الى 1964، مثلت المرحلة الثالثة من خطة عمله بالمركز[66]. فموازاة مع مهمته كأستاذ بجامعة بلنسية، أشرف عالم الآثار الاسباني على ثلاث حملات أركيولوجية متوالية بليكسوس خلال صيف 1958 و1959 و1960، بمساعدة "ميشيل بونسيك" (M. Ponsich)، الذي كان يشغل إذاك منصب المدير المساعد لمصلحة الآثار بالمغرب[67]. وقد تركزت هذه الحملات بالخصوص في القطاع الذي سيُطلق عليه فيما بعد اسم "حي المعابد"، وفي بعض النقط الاخرى من هضبة الهري.

ففي عام 1958، وبحثا عن المستويات الاستراتيغرافية السفلى للمركز، عمل "ميكيل طراديل" على حفر مجموعة من الحجرات في قطاع "المنازل ما قبل-الرومانية"، في المنطقة التي نقب فيها سابقا "سيسار لويس دي مونطالبان" (C. L. de Montalban)، المنحصرة بين السور الغربية وحي المعابد[68] (انظر لوحة IX رقم 9). وقد قام بنشر نتائج هذه الحملة خلال نفس العام[69] رغم أنه لم يقدم أي تصميم لحفائره، ولاأيةصورة أورسم للمواد المكتشفة.

وفي عام 1960، قام "طراديل" من جديد بحملة أخرى في نفس القطاع السابق، حيث أنجز سلسلة من الاستبارات العميقة، نجم عنها الكشف عن مجموعة من المواد الاثرية الفينيقية توجد حاليا في المتحف الاركيولوجي بتطوان، والتي قام بدراستها مجموعة من الباحثين الاسبان[70]. ويتعلق الامر بمجموعة من الكسرات تتألف من 127 قطعة، منها 48 شقفة تنتمي الى الخزف المصنوع باليد، و79 شقفة تنتمي الى الخزف المخروط[71].

ولاريب أن مكتشفات "طراديل" في الجزء الاعلى للمركز، أسهمت بدورها في الكشف عن المزيد من المعثورات الفينيقية، التي كانت مشابهة للنماذج التي عثر عليها من قبل. فقد أورد عالم الآثار المغربي محمد

---

(63) كان الاستبار رقم 14، الذي تم إنجازه في "دار هيليوس"، مفيدا على الخصوص فيما يتعلق بتاريخ تشييد هذه الدار.

(64) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 155.

(65) Idem, Ibid, p. 155.

(66) Aranegui(C), Tarradell-Font(N), Lixus colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Apuntes para una Historia de la investigación arqueológica, op. cit, p. 31.

(67) Euzennat(M), l'archéologie marocaine de 1958 à 1960, **B.A.M**, t. IV, 1960, p. 538.

(68) Aranegui(C), Tarradell-Font(N), Lixus colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Apuntes para una Historia de la investigación arqueológica, op. cit, p. 31.

(69) Tarradell(M), Breve noticia sobre las excavaciones realizadas en Tamuda y Lixus en 1958, **Tamuda**, t. VI, Semestre 2, Tetuán, 1958, p. 372-375.

(70) Belén(M), Escacena(J.L), López Roa(C), Rodero(A), Fenicios en el Atlántico. Excavaciones españolas en Lixus : Los conjuntos "C. Montalbán" y "cata basílica", op. cit.

(71) Idem, Ibid, op. cit, p. 342.

البكاري في التقرير الاخباري الذي أعده ضمن الجزء السابع للنشرة الاثرية المغربية[72]، أن الاستبارات التي شملت أسس "قطاع المنازل"، عرفت الكشف عن مواد أثرية فينيقية، تتألف من الاباريق ذات القرص، ومن الامفورات، ومن أنواع خزفية فينيقية أخرى لم يتم تحديدها. غير أن الدراسة التي قامت بها "ماريا بيلين وآخرون" (M. Belén y otros)[73] كشفت عن هذه المواد غير المحددة، وأبرزت أنها تنتمي الى نفس الانواع الخزفية الفينيقية المعتادة، نذكر منها الصحون ذات البرنيق الاحمر، والجفنات، والخزف المصبوغ، وقارورات العطر، والقناديل. (انظر اللوحات من XXIII الى XXVIII). ويجدر التذكير في هذا الصدد أن المواد الخزفية الخاصة باستبار "قطاع المنازل" واستبار "البازيليك" تم نشرها عام 1996 في الاعمال المهداة لروح عالم الآثار الاسباني "فيرنانديس ميراندا" (M. Fernández Miranda) الذي يعود إليه الفضل في تحريك ملف الحفائر الجديدة بليكسوس[74].

وعموما ساهمت حفائر "طراديل" لاول مرة في الكشف عن الدلائل الملموسة حول الوجود الفينيقي بالمغرب. غير أن ما يعاب على هذه الابحاث الاركيولوجية، رغم إفرازها لمعطيات مادية غزيرة، أنها لم تفض سوى الى بعض النشرات التمهيدية، التي تتميز بالتكرار وتنقصها الدقة. كما أن الاستبارات التي قام بها "طراديل" في القطاعات المختلفة للمدينة، لم تجسد في أي تصميم منشور، مما انعكس سلبا على تحديد مكانها بدقة. كما يلاحظ باستمرار انعدام المقاطع الاستراتيغرافية، باستثناء المقطع الذي يهم استبار الخروب، والذي يعتبر الاستبار الوحيد الذي حظي بنشرة نوعا ما شاملة[75] (انظر لوحة X). غير أن الدراسة التي قامت بها البعثة المغربية الاسبانية للمواد التي اكتشفها "طراديل" في استبار الخروب، واستبار "البازيليك"، واستبار "قطاع المنازل" ساهمت بشكل كبير في تعويض النقص الذي كنا نعاني منه في شأن الحقبة الفينيقية بليكسوس. ومع ذلك فإن المنتوج الخزفي المكتشف في الاستبارات الاخرى التي أنجزها عالم الآثار الاسباني، والذي يوجد محفوظا في المتحف الاركيولوجي بتطوان، يحتاج الى دراسة شبيهة بتلك التي أنجزتها البعثة السالفة الذكر، خصوصا وأن المستجدات المتوفرة حاليا في مجال الدراسات الفينيقية، تعد كافية لوضع أي منتوج فينيقي في إطاره الكرونولوجي والثقافي الصحيح.

III ــ حفائر "بونسيك" (Ponsich) في حي المعابد والمكتشفات الفينيقية :

استمرت حملات الحفائر التي شملت قطاع "حي المعابد" من سنة 1958 الى سنة 1964 بتنسيق بين "ميكيل طراديل" و"ميشيل بونسيك"[76]. وخلال سنتي 1966 و1967 توبعت الاعمال بنفس الايقاع الذي تمت به خلال السنوات الفارطة[77]، تحت إشراف "ميشيل بونسيك"، مدير الآثار الجديد بالمغرب، وبمعية "ميكيل

---

(72) Bekkari(M), L'archéologie marocaine en 1966-1967, **B.A.M,** t. VII, 1967, p. 656.

(73) Belén(M), Escacena(J.L), López Roa(C), Rodero(A), Fenicios en el Atlántico. Excavaciones españolas en Lixus : Los conjuntos "C. Montalbán" y "cata basílica", op. cit, p. 345-352, fig. 3-8.

(74) Idem, Ibid, p. 339-357.

(75) Aranegui(C), Tarradell-Font(N), Lixus colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Apuntes para una Historia de la investigación arqueológica, op. cit, fig. 16, p. 23.

(76) Idem, Ibid, p. 31.

(77) يمكن أخذ فكرة حول هذه الاعمال من خلال المنشورات التالية :

Euzennat(M), l'archéologie marocaine de 1958 à 1960, **B.A.M,** t. IV, 1960, p. 538-544.

Ponsich(M), Lixus 1963, Communication au comité des travaux historiques et scientifiques. Années 1963-64, séance du 16 mars 1964, Paris, 1966.

Khatib(N), Chroniques du **B.A.M,** t. V, 1961-1964, p. 370.

Khatib-Boujibar(N), Chroniques du **B.A.M,** t. VI, 1964-1965, p. 540 et ss.

طراديل". وقد توجت هذه الاعمال جميعها بالكشف عن مجموعة من المعابد عرّفها "ميشيل بونسيك" بالحروف اللاتينية D و F و G و H، وبالكشف عن بعض الملحقات التابعة لها أطلق عليها الحروف A و B و C و E و I (انظر لوحة IX ولوحة XXIX ولوحة XXX ولوحة أ بالالوان رقم 3). وكانت الغاية من التمييز بين هذين النوعين من المباني تسهيل وصف مجموعة كبيرة من التشييدات المختلطة[78]. وقد أدت هذه المكتشفات الى تحفيز "ميشيل بونسيك" على القيام بعدد من الاستبارات بعين المكان بغية تأريخ هذه المنشآت وتحديد مراحلها المتعاقبة. وقد كشفت هذه الاستبارات عن مجموعة من المواد القديمة كلما تم الوصول الى الصخر الام. وفيما يلي جردا لهذه المواد، التي كانت فينيقية الاصل في معظمها، وفكرة حول المنشآت التي اكتشفت فيهـــا هـــذه المواد:

1) المكتشفات الفينيقية من خلال الاستبارات المنجزة في مبنى A :

في الواقع، لايشمل هذا المبنى الموجود في الجزء الاعلى من المدينة، سوى بعض بقايا جدران أسس البناء المصطفة، المشيدة بانتظام بكتل حجرية كبيرة ومتراكبة ذات النوع الميكاليتي، تبعا للتقنية "السيكلوبية"[79]. ويعتبر "ميشيل بونسيك" (M. Ponsich) أن المستوى الاستراتيغرافي الذي تم العثور فيه على قواعد البناء هذه، يبين أن تاريخ التشييد كان قديما، مقارنة مع المباني الاخرى التي بنيت فوقه[80].

وقد تم الكشف عن هذه الجدران خلال بعض الاستبارات التي قام بها "بونسيك" في الممر الشرقي للباحة المعمدة لمعبد حرف F، حيث وجدت متجهة نحو الشرق بزاوية مقدارها 90° تحت مباني معبد حرف D. ونتيجة لسلسلة من الاستبارات المتتالية التي لم تكن ذات فائدة كبيرة، استنتج "ميشيل بونسيك"[81] أن الامر يتعلق بقاعدة بناية ضخمة، تم تشييدها مباشرة في الصخر الام، مما يجعل منها بقايا إحدى البنايات الاولى التي أقيمت في أعلى منطقة بليكسوس. وقد اعتمد في ذلك من جهة على طريقة تجميع الكتل الحجرية المستعملة في هذ المبنى، التي لم تكن تستخدم أي رباط، ومن جهة ثانية اعتمد على الحجم الكبير لهذه الكتل. كما استنتج أيضا أن اختيار موقع هذا المبنى في أكروبول المدينة، يرجحه أن يكون من المباني العمومية الرئيسية.

أما فيما يخص المواد الخزفية التي اكتشفها "ميشيل بونسيك" في المستويات القديمة خلال الاستبارات التي أجراها في هذا المبنى، خصوصا الاستبار الذي يحمل رقم 8، فقد أسفرت حسب الباحث الفرنسي عن المواد الآتية[82] (انظر لوحة XXXI) :

Ponsich(M), Un théatre grec au Maroc ? **B.A.M**, t. VI, 1966, p. 317-322.

Ponsich(M), Fouilles puniques et romaines à Lixus, **Hesperis-Tamuda**, vol. VII, Rabat, 1966, p. 17-22.

Bekkari(M), L'archéologie marocaine en 1966-1967, **B.A.M**, t. VII, 1967, p. 652 et ss.

Ponsich(M), Le théatre-amphithéatre de Lixus, Homenaje a Garcia y Bellido, t. IV, **Revista de la Universidad Complutense**, Madrid, 1981.

Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit.

(78) انظر رسما تقريبيا لحي المعابد كما تم الكشف عنه في الستينيات عند :

Euzennat(M), l'archéologie marocaine de 1958 à 1960, **B.A.M**, t. IV, 1960, fig. 6, p. 542.

(79) هذا ما يعتقده "ميشيل بونسيك" (M. Ponsich) وينقده في ذلك مؤلفون آخرون كما سنرى. والمقصود بالتقنية "السيكلوبية" (cyclopéenne) في البناء، تلك الطريقة التي استعملت منذ عصور ما قبيل-التاريخ، والتي تتميز بترصيف حجارة البناء دون استعمال أي ملاط ولا رباط. انظر :

Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 29.

(80) Idem, Ibid, p. 29, pl. X et fig. 9.

(81) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 29.

(82) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p.. 31.

ـ الاباريق ذات القرص المطلية بالبرنيق الاحمر الفينيقي.
ـ الخزف المحلي غير المخروط ذو الزخرفة الهندسية المشرطة.
ـ كسرات من الخزف الاحمر الفينيقي من الصنف الجيد نوعا ما.
ـ كسرات من أعناق الامفورات الفينيقية.
ـ قدم صغير مصنوع من الطين النضج، مصدره تمثال نذري صغير.
ـ كسرات من القناديل الفينيقية ذات المشعلين.

وقد اعتبر "ميشيل بونسيك" (M. Ponsich) أن هذه المواد تمثل مجموعة خزفية تؤرخ بشكل دقيق، نظرا لتشابهها مع معثورات استبار "الخروب" بليكسوس [83] ومع معثورات مركز موكادور [84]. وانطلاقا من ذلك استنتج أن تاريخ تأسيس مبنى A كان خلال القرنين السادس والخامس قبل الميلاد [85]. وإذا كانت هذه المقارنة تعني ضمنيا حسب معايير "بونسيك" أن الاواني الخزفية المكتشفة بمبنى A تؤرخ بالقرن السابع قبل الميلاد، فإن الباحث الاسباني "فيرناندو لوبيز باردو" (Fernando Lopez Pardo) يعتبر أن بعض النماذج يمكن تأريخها بالقرن الثامن قبل الميلاد.

2) المكتشفات الفينيقية من خلال الاستبارات المنجزة في مبنى B :

يتألف هذا المبنى الذي يأخذ اتجاه شرق – غرب من أربعة جدران تمثل قاعدة معبد صغير مستطيل يبلغ طوله 11م وعرضه 5,10م [86]. وقد شيد عموما بكتل حجرية كبيرة بدون ملاط، تبعا للتقنية المعروفة باسم "ترتيب الحجارة بالتدعيم" (Appareil à crochet)، التي استعملت في جل المراكز المغربية خلال العصر البونيقي–الموريطاني في كل من تمودا ووليلي وبناصا وسلا.

وبغية تحديد تاريخ تشييد المبنى، قام "ميشيل بونسيك" بثلاثة استبارات في عين المكان، كانت مفيدة بالنسبة لموضوعنا لانها أفرزت للوجود مجموعة من المعثورات الفينيقية [87] :

ففي الطبقة رقم 2 من الاستبار رقم 1 يذكر الباحث الفرنسي أنه عثر على "صحون من النوع الفينيقي ذات البرنيق الاحمر والمغرة الصفراء" [88]. كما يذكر أنه عثر في الطبقة رقم 3 من الاستبار نفسه على كسرتين من الخزف الاحمر، وعنق إبريق من نوع الاباريق ذات القرص [89]. ويبدو أن الانتماء الفينيقي لهذه الانواع انتماء وارد، نظرا لوجود هذه الطبقة في قاعدة أسس بناء المبنى، وخلو الطبقة من الخزف الروماني، ووجود الانواع الفينيقية مصاحبة للخزف المحلي [90].

---

(83) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 147-150.

(84) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit ; Jodin(A), Note préliminaire sur l'établissement pré-romain de Mogador, **B.A.M**, t. II, 1957, p. 9-40.

(85) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 32.

(86) fig. 7, p. 34, pl. XI, p. 35.

(87) نسجل في هذا الصدد أن "ميشيل بونسيك" (M. Ponsich) لم يقدم أي تصميم ولا مقطع للاستبارات التي قام بها في قطاع مبنى B بحي المعابد، ولا أي رسم ولا لوحة للمواد الفينيقية المكتشفة.

(88) غير أنه يصعب مؤارخة هذه المواد، التي تبدو أنها فينيقية الاصل حسب ماورد عند "بونسيك" (Ponsich). ذلك أن نفس الطبقة أفرزت مواد أركيولوجية حديثة العهد، نذكر منها الخزف الروماني المعروف بالخزف "الأريتيني" (céramique arétine) المؤرخ بعصر "أغسطس"، والخزف "الكامباني أ" (céramique campanienne A) المؤرخ عموما بالنصف الاول من القرن الثاني قبل الميلاد. انظر : Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 36.

(89) Idem, Ibid, p. 36.

(90) رغم أن "بونسيك" (Ponsich) لم يقدم أية معلومة حول الخزف المحلي المصاحب للخزف الفينيقي، ورغم أنه اعتبره صعب التأريخ، فليس من شك أن الامر يتعلق بنفس النوع الذي اكتشفه في الاستبارات التي أجراها في أسس مبنى A، والذي يدعوه "بالخزف المحلي غير

كما أفرز الاستبار رقم 2 بدوره معثورات فينيقية حسب "بونسيك" ، رغم أنه لم يحاول تأريخها ولا تصنيفها انطلاقا من سياقها الاركيولوجي، ولم يقدم أي رسم ولا لوحة تبين شكلها. فضمن محتوى أركيولوجي سابق للعصر الروماني، وفي عمق يبلغ 0,30م، يذكر المؤلف(91) أنه عثر في الطبقة الاركيولوجية رقم 2 على ثلاث كسرات من الخزف الاحمر من النوع الجيد، المؤرخ بالقرن السادس قبل الميلاد، والموجود عادة في المستويات العميقة للمركز. فإلى أي نوع من أنواع الخزف الاحمر تعود هذه الكسرات ؟ لانستطيع معرفة ذلك، علما أن ما نشره "بونسيك" حول أعماله في حي المعابد بليكسوس لا يمثل سوى جانبا من الحقائق التي يعلمها عن هذه المدينة.

كما أن الخزف الذي اكتشفه "بونسيك" في الطبقة الاركيولوجية رقم3 بالاستبار رقم 2، الموجودة في عمق 0,50م، يمكن اعتباره خزفا فينيقيا(92) . أما الطبقة الاركيولوجية رقم 4، الموجودة في عمق 0,70م، فإنها لم تخلف سوى الخزف ذي البرنيق الاحمر من النوع الذي يتكرر وجوده باستمرار في ليكسوس(93) .

انطلاقا من هذه المعطيات اعتبر "بونسيك" أن مبنىB شيد في وقت لاحق للقرنين الثالث والثاني قبل الميلاد(94) .

3) المكتشفات الفينيقية من خلال الاستبارات المنجزة في معبد F :

يمثل هذا المعبد لوحده مركبا ضخما تبلغ مساحته 5000 متر مربع(95) كان يغطي تقريبا المساحة الاجمالية للهضبة الوحيدة التي توجد بالمدينة، مطلا بذلك من جهة الشرق على وادي اللكوس برمته، ومن جهة الغرب على مصب النهر بالساحل الاطلنطي(96) . وإذا كانت الاطلال الظاهرة للعيان تعود الى عصر "يوبا الثاني" و"بطلموس"، فإن "بونسيك" يعتبر أن هذا الصرح شيد فوق معبد قديم له جذور فينيقية-بونيقية،

المخروط ذو الزخرفة الهندسية المشرطة". وهو لاريب نفس الخزف الذي كان "طراديل" (Tarradell) يعثر عليه باستمرار في جل الطبقات الاركيولوجية الموجودة مباشرة فوق الصخر الام الى جانب الخزف الفينيقي. ومما يجعلنا نرجح هذا الرأي أن هذا الخزف اكتشف في نفس السياق الاركيولوجي الذي تم العثور فيه على نوع الاباريق ذات القرص الفينيقية، والمؤرخة عموما خلال مرحلة تمتد خلال القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد والنصف الاول من القرن السادس قبل الميلاد.

(91) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 37.

(92) رغم أن "بونسيك" (M. Ponsich) لايشير بالحرف الى أن هذه المواد هي مواد فينيقية (Idem, Ibid, p. 37)، إلا أن السياق الاركيولوجي الذي اكتشفت فيه يرجحها أن تكون من أصل فينيقي. ألا يمكن اعتبار أن عنق القنديل الذي تم العثور عليه في هذه الطبقة يرجع الى نوع القناديل ذات المشعلين أو المشعل الواحد الفينيقية، رغم أن "بونسيك" (M. Ponsich) اعتبره قنديلا بونيقيا ؟ وفي هذا الصدد تجدر الاشارة الى أن العديد من المؤلفين لم يكونوا يميزون خلال الستينيات من القرن العشرين بين ماهو فينيقي وما هو بونيقي، حيث كانت العديد من المعثورات الاركيولوجية الفينيقية تعتبر بونيقة المصدر. انظر في هذا الباب :

العزيفي (محمد رضوان)، مستوطنة ليكسوس الفينيقية في الكتابات القديمة والحديثة "محاولة لرد الاعتبار"، المرجع السابق، هامش رقم 13، ص. رقم 15-16.

كما أن الكسرات الخزفية المصبوغة المخططة والكسرات ذات البرنيق الاحمر التي يشير "بونسيك" أيضا الى وجودها في هذه الطبقة (Idem, Ibid, p. 37)، يمكن اعتبارها منتوجات فينيقية، استنادا الى كون الطبقة الاركيولوجية رقم 2، الاحدث عهدا، عرفت خزفا يؤرخ بشهادة "بونسيك" نفسه بالقرن السادس قبل الميلاد.

(93) لا نعلم هل يعود هذا النوع الى الخزف ذي البرنيق الاحمر الفينيقي، أم الى الانواع الحديثة المقلدة للنماذج الفينيقية القديمة، خصوصا وأن "بونسيك" (M.Ponsich) يشير في هذا الصدد الى أن هذا النوع لا يتوفر على جودة الاخزاف ذات البرنيق الاحمر المكتشفة في الطبقات القديمة. انظر :

Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 37.

(94) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, p. 38.

(95) Ponsich(M), Fouilles puniques et romaines à Lixus op. cit, p. 18.

(96) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, fig. 13, p. 56, pl. XVIII, p. 58 et pl. XIX, p. 59.

وهو معبد H الذي له علاقة بمعبد ملقارت الاسطوري[97]. وقد استند في ذلك على المعثورات الخزفية التي اكتشفها خلال ستة استبارات قام بها في جهات مختلفة من المعبد، والتي أفرزت نفس المنتوج العتيق الذي تم العثور عليه باستمرار في جل الاستبارات التي كانت تتوخى الوصول الى الصخر الام. وتتألف هذه المعثورات من الخزف الفينيقي ذي البرنيق الاحمر من النوع الجيد، المؤرخ حسب "بونسيك" بالقرنين السابع والسادس قبل الميلاد، ومن "الخزف الاسمر المحلي المتوفر على زخارف شبكية"، ومن بعض شظايا الامفورات[98].

غير أن أهم إسهام لاعمال "بونسيك" بمعبد F في مجال الآثار الفينيقية، كان لاريب ذاك المرتبط بما أفرزت عنه حملة الحفائر التي تمت في خزان الماء الذي كان يوجد في الجزء الغربي للمعبد تحت "المساحة المقدسة" وتحت الممر الغربي[99]، والذي تم اكتشافه خلال موسم 1962-1963. وكانت المواد الاثرية المكتشفة في هذا الخزان، الذي تم ردمه بعد تشييد أسس المعبد، مواد غزيرة، وتغطي مرحلة زمنية طويلة، تمتد حسب "بونسيك"[100] من القرن السابع قبل الميلاد الى عهد حكم "يوبا الثاني" و"بطلموس". أما المواد الفينيقية منها، التي تهمنا في هذه الدراسة، فكانت جلها عبارة عن كسرات خزفية وأواني كاملة تنتمي الى أشهر الاصناف التي روجها الفينيقيون عبر العالم المتوسطي، والتي عرفتها ليكسوس كذلك في جل الاستبارات التي وصلت الى المستويات الاركيولوجية الفينيقية. من هذه الانواع نذكر الخزف الفينيقي ذا البرنيق الاحمر بجل أصنافه المعروفة، كالاباريق ذات القرص[101]، والقناديل ذات المشعلين[102]، والصحون[103]، والجفنات ذات الشفة[104]، والجفنات ذات الحاشية المستقيمة[105]. كما اكتشفت في نفس الخزان كذلك كسرات من نوع الخزف المصبوغ الفينيقي، سواء التي تعود منها الى الاواني المخططة بأشرطة أفقية، أو التي تعود الى الاواني المصبوغة بزخارف هندسية[106]. كما نذكر نوع الخزف الفينيقي غير المصبوغ، الذي كشف عن قطع من أصل بعض أهم أنواعه وهي القارورات الفينيقية[107]، والامفورات الفينيقية[108]، والثلاثيات الارجل التي ربما كانت تصلح لحملها[109].

4) المكتشفات الفينيقية من خلال الاستبارات المنجزة في معبد H :

من خلال الاستبارات التي قام بها "بونسيك" في نقط متعددة بحنية معبد H، استطاع أن يعثر في المستوى الاستراتيغرافي رقم V الموجود مباشرة فوق الصخر الام، على مواد خزفية فينيقية أرخها خلال

---

(97) Idem, Ibid, p. 55 et p. 65.

(98) حول شظايا الامفورات هذه، يذكر "بونسيك" (Ponsich) بأنها كانت كلها ما قبل-رومانية، مما يجعلنا غير متيقنين هل يتعلق الامر بالامفورات الفينيقية أم لا. انظر :
Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, 65.

(99) Idem, Ibid, fig. 16, p. 67, pl. XXIII, p. 66.

(100) Idem, Ibid, p. 65.

(101) Idem, Ibid, p. 70 ; pl. XXIV, p. 68 et pl. XXV, p. 71.

(102) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 66-70, pl. XXIV.

(103) Idem, Ibid, p. 70, pl. XXIV, XXV, fig. 19 et 20.

(104) Idem, Ibid, p. 73.

(105) Idem, Ibid, p. 73.

(106) Idem, Ibid, p. 70 et 73, fig. 22, p. 76, pl. XXVI, p. 77.

(107) Idem, Ibid, p. 65, pl. XXIV et fig. 17.

(108) Idem, Ibid, p. 73 et p. 80, fig. 25, p. 82.

(109) Idem, Ibid, pl. XXV, p. 71.

القرنين السابع والسادس قبل الميلاد[110]. وبذلك اعتبر عالم الآثار الفرنسي أن تاريخ تشييد معبد H يرجع الى هذه الحقبة الزمنية، وبالتالي رجحه أن يكون معبدا فينيقيا، وبالتالي له علاقة بمعبد ملقارت الاسطوري[111].
وفيما يلي قائمة المواد السالفة الذكر كما يعرضها "بونسيك"[112] (انظر لوحة XXXII) :

ــ قطع من القناديل ذات المشعلين الفينيقية.
ــ قطع من الخزف المحلي غير المخروط ذو الزخرفة الهندسية المشرطة.
ــ قطع أعناق من الاباريق ذات القرص.
ــ عروة مزدوجة من إناء ذي البرنيق الاحمر[113].
ــ قطع من صحون ذات الشفة ذات البرنيق الاحمر.
ــ أعناق أمفورات فينيقية.

ومع ذلك، فهناك من يعتبر كما سنرى في الفصل السادس عشر، أن معبد H لم يكن معبدا فينيقيا، بل ينتمي الى المرحلة البونيقية – الموريطانية. الامر الذي يرجح أن يكون موقع معبد ملقارت في جزيرة بمصب نهر اللكوس، وليس بداخل المدينة. وكيفما كان الحال، فإن المواد المكتشفة في أسفل الطبقات الاركيولوجية التي كانت توجد تحت مبنى معبد H، كانت في غالبيتها مواد لا يمكن لأي كان نكران أصلها الفينيقي. وإذا كان الفضل يعود لمحمد حبيبي في التنبيه الى ضرورة القيام بقراءات جديدة للاعمال الاركيولوجية التي قام بها الاجانب بالمغرب، فإن دراسته للمعثورات التي اكتشفها "بونسيك" في معبد H، أفادتنا في أخذ صورة أكثر وضوحا للعينات الفينيقية، من الصورة التي قدمها لنا "بونسيك" نفسه.

وفيما يلي لائحة مفصلة لهذه المواد كما دونها محمد حبيبي[114] نقلا عن سجل الصناديق التي كانت تحوي هذه المعثورات، والذي أعده "ميشيل بونسيك" :

<u>1) المواد المكتشفة خلال الاستبار المنجز في محورحنية معبدH، في أسس بناء المعبد:</u>

ــ قطعة من عروة مزدوجة من الخزف ذي البرنيق الاحمر الفينيقي.
ــ مشعل قنديل وقعره من نوع القناديل ذات المشعلين من الخزف ذي البرنيق الاحمر الفينيقي. وكان المشعل يحتفظ بآثار الاحتراق على شكل بقع سوداء اللون.
ــ قطعة بطن وقعر صحن ذي البرنيق الاحمر الفينيقي من نوع الباتر ذي الشفة المسطحة (patère à marli plat).

<u>2) المواد المكتشفة في حنية معبد H[115] :</u>

ــ 18 شقفة من حواشي صحون ذات البرنيق الاحمر الفينيقي[116] (انظر لوحة XXXIII).
ــ 6 قطع من حواشي الطاسات (bols) ذات البرنيق الاحمر الفينيقي[117].

---

(110) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 66-70, pl. XXIV.

(111) Ponsich(M), Fouilles puniques et romaines à Lixus op. cit, p. 17.

(112) Idem, Ibid, p. 105, pl. XXXVI, p. 104.

(113) رغم أن "بونسيك" (Ponsich) لم يذكر شكل الاناء الذي تنتمي إليه هذه العروة، فالغالب على الظن كما سنرى أن الامر يتعلق بنوع الاباريق ذات القرص المزدوجة العروة، التي تعتبر من العينات الاساسية في مؤارخة المستويات الفينيقية القديمة لليكسوس.

(114) Habibi(M), A propos du temple H et du temple de Melkart-Héraclès à Lixus, **L'Africa Romana**, t. X, (11-13 déc. 1992), 1994, p. 235-237.

(115) يلاحظ على "بونسيك" (M. Ponsich) في هذا الصدد أنه لم يحدد مكان هذا الاستبار. انظر :
Habibi(M), A propos du temple H et du temple de Melkart-Héraclès à Lixus, op. cit, p. 236.

(116) Idem, Ibid, fig. 5 : a, p. 236.

ـ قطعة من شفة مع انطلاقة عنق من إبريق من نوع الاباريق ذات القرص ذات البرنيق الاحمر الفينيقي اللامع.
ـ قطعة من عروة مزدوجة ذات البرنيق الاحمر الفينيقي اللامع.
ـ عروة مدورة ذات البرنيق الاحمر.
ـ قطعة بطن من الاباريق ذات القرص ذات البرنيق الاحمر الفينيقي.
ـ ثلاثة قطع من بطون ثلاثة قناديل ذات المشعلين ذات البرنيق الاحمر الفينيقي.

بمقارنة هذه اللائحة المطولة والمفصلة، بتلك التي أوردها "بونسيك" في كتابه "ليكسوس حي المعابد" السالف ذكرها(118)، يتبين أن الخزف الاحمر الفينيقي كان يمثل بحق أهم منتوج خزفي خلفته ليكسوس، كما لاحظنا ذلك من قبل عند ذكر حفائر "طراديل". فجل الانواع الخزفية التي صنعها الفينيقيون من هذا النوع كانت حاضرة في الطبقة الاركيولوجية السفلى لمعبد H، مثل القناديل ذات المشعلين بأربعة نماذج منكسرة، والاباريق ذات القرص بنموذجين، وشقفات كثيرة جدا تعود الى الصحون والجفنات.

IV ـ مستجدات حفائر البعثة المغربية-الاسبانية :

بعد مرور حوالي أربعين سنة من الفراغ الاركيولوجي بليكسوس، وتجسيدا للرغبة المعبر عنها خلال الملتقى الدولي الاول حول ليكسوس المنعقد بالعرائش عام 1989(119) في ضرورة متابعة الحفائر بالمركز، استقر الرأي على أن تقوم بعثة أركيولوجية مشتركة بين المغرب وإسبانيا للقيام بهذه المهمة. وقد تضمنت خطة عمل هذه الحفائر التي تم إنجازها في سنة 1995 ثم في سنة 1999، الاهتمام بثلاثة عصور من المراحل التاريخية لليكسوس، وهي المرحلة الفينيقية، والمرحلة البونيقية-الموريطانية، والمرحلة الاسلامية. وقد تم نشر نتائج هذه الاعمال سنة 2001 في زائدة العدد الرابع من مجلة **SAGVNTVM** التي أسسها "ميكيل طراديل" (M Tarradell)، ويصدرها قسم ماقبل-التاريخ والآثار بجامعة بلنسية(120).

وإن كانت لا تهمنا بالدرجة الاولى في هذا العمل سوى المعلومات المتعلقة بالمجال الفينيقي، فإن الجديد في هذه الحفائر، أنها اعتمدت على تقنيات ووسائل لم تكن متوفرة في عهد "طراديل" و"بونسيك" ، والتي أفادتنا في إعادة تشكيل الظروف المرتبطة بالوجود الفينيقي بليكسوس. من هذه الوسائل المعتمدة نذكر على سبيل الحصر دراسة المميزات الباليوجغرافية للموقع، ودراسة البقايا المجالية سواء المتعلقة بالنفايات الحيوانية والنباتية والسمكية التي تمت دراستها في مختبرات قسم ما قبل التاريخ والآثار بجامعة بلنسية(121).

1) حفائر 1995 (استبار الخروب) :

ما بين 28 أكتوبر و11 نونبر من عام 1995، انطلقت حملة الحفائر الجديدة بليكسوس على يد البعثة الاركيولوجية المغربية-الاسبانية، الممثلة بالمعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث في الجانب المغربي تحت

---

(117) Idem, Ibid, fig. 5 : b, p. 236.

(118) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 105.

(119) **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), Collection de l'Ecole française de Rome, n° 166, Palais Farnèse, 1992.

(120) **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4,** 2001.

(121) Aranegui(C), Las campañas de excavación de 1995 y 1999, **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico - mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4,** 2001, p. 37.

إشراف محمد حبيبي، وبقسم ماقبل-التاريخ والآثار التابع لكلية الجغرافيا والتاريخ التابعة لجامعة بلنسية في الجانب الاسباني، تحت إشراف "كرمين أرانيكي" (C. Aranegui). وكان الهدف الاساسي من هذه الحملة متابعة التنقيب في استبار الخروب الذي أنجزه "ميكيل طراديل" في الخمسينيات من القرن العشرين. ولم تكشف هذه الحفائر عن المواد الخزفية الفينيقية المألوفة المنتمية للعهد الاول من تاريخ ليكسوس فحسب، بل كشفت عن كسرات تنتمي الى العصرين البونيقي-الموريطاني والروماني[122]. غير أنه لم يتم بعد نشر المواد الفينيقية المكتشفة خلال حملة 1995 ولا تحديد أشكالها وأنواعها.

2) حفائر 1999 (استبار الخروب) :

بعد مرور أربع سنوات على الحملة الاولى، استهلت الحفائر من جديد بنفس المكان في ربيع 1999، واستمرت من 16 مارس الى غاية 8 أبريل (انظر لوحة أ بالالوان رقم 4). وكان الهدف من هذه الحملة، التنقيب عن المخلفات الاركيولوجية التي بقيت في وضعها *in situ* عند انتهاء الحملة الاخيرة التي أنجزها "طراديل". وذلك أملا في تجميع العدد الكافي من المعطيات الكرونولوجية والاستراتيغرافية والمعلومات المرتبطة بالمجال، حتى يتم توظيفها في الالمام بالوضعية التي كانت عليها المنشأة الفينيقية، وإدراك تطورها[123].

ولهذه الغاية تم تقسيم مكان الحفائر الى خمسة قطاعات أركيولوجية، أفرز كل قطاع وجود أربع طبقات استراتيغرافية، تم من خلالها الوصول الى مستوى الصخر الام في عمق خمسة أمتار ونصف المتر، الذي يعلوه مباشرة المستوى الفينيقي الذي يهمنا في هذه الدراسة[124].

وقد كشف هذا المستوى عن المخلفات الاركيولوجية التالية :

1 ـــ جدران تعود الى المرحلة الفينيقية بليكسوس، وتعتبر الشهيد الدال على المساكن التي كان يقطنها السكان الفينيقيون الاوائل.

2 ـــ الخزف الفينيقي ذو البرنيق الاحمر: وقد عرف حضورا كبيرا ضمن الانواع الفينيقية بنسبة 36%[125] كما هو الشأن في سائر المستوطنات. وكان لون العجين الغالب هو البني، مع وجود عجين ضارب الى البياض في بعض الحالات، والمتميز بقلة صفائه. وعلى العموم كانت سطوح الاواني ملساء، ونوع البرنيق مختلفا، إذ لم يكن يتميز بالجودة العالية سوى في بعض القطع المنتمية مثلا الى الاباريق ذات القرص والحُقات الصغيرة[126]. أما لون البرنيق، فكان يتباين من البني الغامق الى الاحمر الفاتح. أما الاواني الخزفية التي تنتمي الى هذا النوع فقد تشكلت من الجفنات القاربية ذات الحاشية المتورمة، والصحون، والاباريق ذات القرص، والقناديل[127]. علاوة على ذلك، أفرزت هذه الاستبارات عددا كبيرا من الكسرات توحي بوجود أصناف أخرى من الاواني الفينيقية ذات البرنيق الاحمر. من هذه الاواني نذكر الاباريق المعروفة باسم "الاباريق الاجاصية الشكل" أو "الاباريق ذات العنق الثّلثي (Oenochoés à col tréflé)[128]،

---

(122) Aranegui(C), Las campañas de excavación de 1995 y 1999, op. cit, p. 40.

(123) Aranegui(C), Las campañas de excavación de 1995 y 1999, op. cit, p. 41.

(124) Idem, Ibid, p. 41-43, fig. 15, p. 42.

(125) Alvarez(N), Gómez Bellard(C), Habibi(M), De Madaria(J.L), La ocupación fenicia, **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra** 4, 2001, p. 73, fig. 1, p. 74.

(126) Idem, Ibid, p. 73.

(127) Idem, Ibid, fig. 2, p. 74.

(128) Idem, Ibid, p. 73.

علاوة على نوع ينتمي الى مرمدات ذات العروة المزدوجة، الذي لم يكتشف بكثرة في الغرب رغم حضوره في بعض المستوطنات الفينيقية[129].

3- الامفورات: وهي تنتمي الى نوع واحد المعروف باسم **R 1**، نسبة الى مركز راشكون بالجزائر، حيث تم العثور منذ مدة على هذا النوع من الامفورات[130].

4- الخزف الرمادي : وقد عرف حضورا كبيرا في المستوطنات الفينيقية[131] ؛ غير أن أعداده كانت قليلة جدا، حيث لم يتم العثور سوى على حاشية صحن أو جفنة صغيرة، تنتمي الى نوع **Roos 2**، علاوة على شقفات حواش تنتمي الى قصعات كبيرة[132].

5- الخزف المصبوغ : كما كان عليه الامر في الاستبارات السابقة[133]، لم يُعثر سوى على قطع قليلة من الجرار المعروفة باسم *pithoi* ومن المرمدات من نوع "كروز ديل نيكرو" (Cruz del Negro)[134] . وهي تتميز بصباغة على شكل خطوط أو أشرطة أفقية ليست بالعريضة ذات اللون البني الغامق أو المحمرّ أو الاسود (انظر لوحة XXXIV رقم 1 و2)[135].

6- الخزف المصنوع باليد : من المفاجآت التي أفرزها استبار الخروب لسنة 1999، هو التأكيد على أن الخزف المقولب، أي المصنوع باليد، كان وافرا جدا في ليكسوس[136]. فإذا كانت نسبة هذا النوع تمثل في المستويات الفينيقية العليا 33%، فإن هذه النسبة قد بلغت 63% في المستويات الفينيقية السفلى، لتبلغ نسبته العامة 43% من مجموع الخزف المكتشف. ومن المستجدات التـي جاءت بها نفس الحفائر إبراز أن هذا الخزف كان ينتمي الى أشكال مختلفة، يمكن حصرها على الاقل في ثلاثة أصناف رئيسية كبرى، وهي[137] : الخزف المصقول، والخزف المطبوع، والخزف المنقوش. كما كشفت هذه الحفائر عن حقيقة سنتعرض لها بإسهاب في الفصل المتعلق بمسألة ليكسوس المحلية، وهي أن وجود الخزف المصنوع باليد لاينبغي أن يفسر كدليل عن وجود تجمع سكاني محلي سابق لقدوم الفينيقيين، كما يعتقد بعض المؤلفين.

وهكذا نلاحظ أن المواد الخزفية المكتشفة في استبار الخروب لعام 1999 تمثل مجموعة متجانسة من الناحية الثقافية والكرونولوجية. فهي مواد مميزة للمنشآت الفينيقية بالغرب، ولها نماذج مشابهة في معظم المراكز الاندلسية والايبيسية والجزائرية، وكذلك في جزيرة الصويرة. كما أنها كانت مشابهة لمجموعة المواد

---

(129) Gómez Bellard(C), Costa(C), Gómez Bellard(F), Grau(E), Gurrea(R), Martinez Valle(R), La colonización fenicia de la isla de Ibiza, **Excavaciones arqueológicas en España,** 157, Madrid, 1990, p. 132 ; Molina Fajardo(F), Almuñécar a la luz de los nuevos hallazgos fenicios, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, vol. I, op. cit, p. 209 ; Schubart(H) et Niemeyer(H.G), Trayamar. Los hipogeos fenicios y el asentamiento en la desembocadura del Río Algarrobo **(Excavaciones Arqueológicas en España 90)** , Madrid, 1976, p. 212-213, pl. 12.

(130) Vuillemot(G), Reconnaissances aux échelles puniques d' Oranie, Autun, 1965, fig. 17, 1 ; fig. 51.

(131) Alvarez(N), Gómez Bellard(C), Habibi(M), De Madaria(J.L), La ocupación fenicia, op. cit, p. 77.

(132) Roos(A.M^{a}), Acerca de la antigua cerámica gris a torno en la Penánsula Ibérica, **Ampurias 44,** 1982, p. 43-70.

(133) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, pl. XXIV.

(134) Alvarez(N), Gómez Bellard(C), Habibi(M), De Madaria(J.L), La ocupación fenicia, op. cit, p. 77.

(135) Idem, Ibid, p. 77, fig. 5, n° 1-2.

(136) Alvarez(N), Gómez Bellard(C), Habibi(M), De Madaria(J.L), La ocupación fenicia, op. cit, p. 77.

(137) Idem, Ibid, p. 77.

المكتشفة في استبارات أخرى، خصوصا في "قطاع المنازل" (Cata Montalban) أو "قطاع البازيليك"[138]. أما من الناحية الكرونولوجية، فكانت بعض المواد تنتمي الى منتوجات القرن الثامن قبل الميلاد، ومواد أخرى يمكن تأريخها بالقرن السابع قبل الميلاد.

3) حفائر 1999 (استبار الزيتونة) :

ما بين 21 شتنبر و12 أكتوبر من عام 1999، قامت البعثة المغربية الاسبانية بحملة ثانية من الحفائر في ليكسوس، بعد أن لاحظت في استبار الخروب حدوث فراغ أركيولوجي يمتد من القرن الخامس قبل الميلاد الى القرن الثالث قبل الميلاد. فتم اختيار منطقة غير مقلوبة، تحدّد موقعها غرب استبار الخروب بحوالي 35 متر، بالقرب من شجرة الزيتونة الوحيدة الموجودة في عين المكان، ومن تم إطلاق اسم استبار الزيتونة على هذه الحفائر[139] (انظر لوحة IX رقم 14 ولوحة أ رقم 5). وشمل القطاع المخصص للحفر نطاقا ضيقا تبلغ مساحته ستة أمتار من الشمال الى الجنوب، وثلاثة أمتار من الشرق الى الغرب. وفي عمق أربعة أمتار من سطح الارض ، تم الوصول الى المستوى الاستراتيغرافي الفينيقي الموجود مباشرة فوق الصخر الام، والمؤرخ بالقرنين الثامن والسابع قبل الميلاد[140]، حسب المواد الخزفية المكتشفة ذات الانتماء الفينيقي الواضح[141]. وقد تألفت هذه المواد مما يلي :

– الخزف المصنوع باليد بنسبة 58% من مجموع الخزف المكتشف. ومن بين الانواع الكاملة، نشير الى قدر على شكل حرف S، من نوع القدور "ذات الحلمات" (marmites à mamelons)، والزخرفة بالجهة القريبة من الفوهة.

– الخزف ذو البرنيق الاحمر : وهو يتميز في غالبيته بصناعته من عجين بنّية ومصقاة، وبطلائه ببرنيق مختلف الجودة والاستعمال. أما أنواع الاواني، فتمثلها الصحون بشكل أوفر من الجفنات. وهي صحون ذات "الجناح والحوض" (de ala y pocillo) في غالبيتها، ويبلغ عرض حواشيها نفس أحجام النماذج المكتشفة في استبار الخروب لعام 1999. كما تم العثور على صحن أو جفنة ذات الحاشية المتورمة، التي تنتمي عادة الى المراحل الاولى لتشييد المستوطنات الفينيقية بالغرب، والتي يمكن تأريخها بالقرن الثامن قبل الميلاد.

– الامفورات : وهي من الصنف الاول الوارد في الاستبارات السابقة، المعروف باسم **R 1**.

وقد تم نشر نتائج هذه الحفائر في الجزء الثاني من المؤلف الجديد حول ليكسوس الذي صدر عام 2001[142]. والى جانب المستجدات التي تهم العصرين البونيقي-الموريطاني والاسلامي، يعد أهم إسهام أبان عنه استبار الزيتونة فيما يخص المرحلة التي تعنينا، هو التأكيد على أن المستوطنة الفينيقية بلغت منذ نشأتها رقعة شاسعة، وأنها كانت تمتد من أعلى قمة هضبة الشميس الى سفحها الجنوبي[143]. كما أسهم نفس

---

(138) Belén(M), Escacena(J.L), Lóópez Roa(C), Rodero(A), Fenicios en el Atlántico. Excavaciones españolas en Lixus : Los conjuntos "C. Montalbán" y "cata basílica", op. cit.

(139) Aranegui(C), La campaña de Excavaciones de 1999, **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4**, 2001, p. 109, fig. 1.

(140) Aranegui(C), La campaña de Excavaciones de 1999, op. cit, p. 110-111.

(141) Alvarez(N), Gómez Bellard(C), de Madaria(J.L), La ocupación fenicia, **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4**, 2001, p. 187, fig. 1-2.

(142) **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4**, 2001, tercera parte : el sondeo del olivo, p. 107-187.

(143) Aranegui(C), La campaña de Excavaciones de 1999, op. cit, p. 111.

الاستبار بشكل مفيد للغاية في التعرف على الظروف البيئية والاقتصادية المرتبطة بليكسوس خلال مرحلتها الفينيقية. غير أن هذا الاستبار لم يكشف عن مبان تنتمي الى هذه المرحلة[144]، كما هو الشأن في استبار الخروب المنجز خلال نفس السنة.

هكذا نلاحظ أن الحفائر التي شملت ليكسوس بحثا عن الطبقات الفينيقية، سواء تلك التي قام بها "طراديل" أو "بونسيك" أو البعثة المغربية–الاسبانية، قد كشفت بشكل واضح أن المركز عرف معظم المخلفات المعتاد وجودها ضمن مصنفات الاركيولوجيا الفينيقية، والتي تم العثور عليها في أهم المستوطنات التي أسسها الفينيقيون بالحوض المتوسطي. فعلاوة على الخزف الاحمر، الذي يعد بحق أهم منتوج دال على الوجود الفينيقي، عرفت ليكسوس الخزف المصبوغ الفينيقي، والخزف غير المصبوغ بأنواعه الشهيرة مثل الامفورات الفينيقية والثلاثيات الارجل والقارورات، والخزف المصنوع باليد، الذي يطرح وجوده إعادة النظر في مسألة ليكسوس المحلية. كما خلفت ليكسوس أشهر مواد التجارة الفينيقية مثل الخنافس المصرية وبيض النعام، وربما الحلي الفينيقية. وبذلك تكون ليكسوس قد كشفت عن مواد أركيولوجية فينيقية واضحة، عكس ما كان يعتقد "جيروم كاركوبينو" (J.Carcopino) من كون ليكسوس لم تخلف أي أثر فينيقي سابق للقرن السابع قبل الميلاد[145]. إضافة الى ذلك تم العثور في ليكسوس، منذ الاستكشافات الاولى على مجموعة من الآثار ــ وإن لم يفصل نهائيا في مسألة أصولها الفينيقية ــ ، فإنها تتضمن مع ذلك ما يوحي بجذورها الفينيقية، نذكر منها الاسوار المعروفة بالاسوار السيكلوبية، والكتابات.

---

(144) Aranegui(C), La campaña de Excavaciones de 1999, op. cit, p. 135.

(145) Carcopino(J), Le Maroc antique, op. cit, p. 56.

الفصل الخامس

الخزف الفينيقي ذو البرنيق الاحمر

كانت الاركيولوجية الفينيقية الخاصة بعصر الحديد مجهولة المعالم الى غاية بداية الخمسينيات من القرن العشرين، حيث بزغ في الافق منتوج خزفي مخروط يتميز بلون أحمر فاقع[1]، لم يكن معروفا فيما قبل بأقصى الغرب المتوسطي[2]. وعندما عثر "ميكيل طراديل" (M. Tarradell) على هذا النوع الخزفي لاول مرة في ليكسوس، لم يكن يتوفر حينذاك على المعطيات الكافية والمقارنات اللازمة للتأكد من الانتماء الفينيقي لهذا المنتوج[3]. ومما كان يزيد الامر تعقيدا إذاك هو أن هذا الخزف كان يقرن لمدة طويلة بعالم قرطاجة رغم طابعه الشرقي[4]، كما نفهم ذلك من خلال كلام "بيير سانتاس" (P.Cintas) عندما يقول في شأنه بعد العثور عليه في موكادور: « ***إن دراسة التوسع القرطاجي بالغرب أصبحت بعد الآن مرتبطة بدراسة هذا الخزف الاحمر، الذي يميز إذا صح القول العالم الغربي ذي التأثير البونيقي*** »[5]. وبتأثير من الباحث الفرنسي، أضحى "طراديل" يربط الخزف الاحمر بما يسميه « ***الدائرة الفينيقية ـ البونيقية لأقصى الغرب*** »[6].

---

(1) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 65.

(2) غير أن عدم التعرف إذاك عن هذا النوع الخزفي لا يعني أنه لم يكن معروفا في بعض المراكز الفينيقية مثل قرطاجة، حيث يعد عالم الآثار الفرنسي "بول كوكلير" (P. Gauckler) أول من لاحظ أن القناديل والاواني الخزفية التي اكتشفها في أقدم مدافن المدينة، كانت تتميز بلمعان أحمر داكن. وهو الخزف الذي انقرض من هذه المدافن ابتداء من القرن السادس قبل الميلاد. انظر :

Gauckler(P), Nécropoles puniques de Carthage, 1ère partie, Carnets de fouilles, Paris, 1915, p. 140.

(3) من المقالات الاولى التي نشرها "طراديل" حول الخزف الاحمر، انظر :

Tarradell(M), Tres notas sobre arqueologia púnica del norte de Africa. Sobre un tipo de ceramica practicamente inédito, **Arch. Esp.** t. XXVI, 1953, p. 165 ; Idem, Sobre el presente de la arqueologia púnica, op. cit, p. 151 ; Idem, Las excavaciones de Lixus y su aporatación a la cronología de los inicios de la expansión fenicio-púnia en occidente, "Crónica del IV Congreso internacional de ciencias prehistoricas y protohistoricas" (Madrid, 1954)", Zaragoza, 1956.

وتجدر الاشارة في هذا الصدد، أن "ميكيل طراديل" (M. Tarradell) كان يعتبر أن إنتاج الخزف الاحمر كان يتم في مصانع متنوعة، وخلال أحقاب زمنية مختلفة. وأن الامر يتعلق بموضة (une mode)، شبيهة بتلك التي ميزت الخزف الروماني المعروف باسم (terra sigillata) أو الخزف الكامباني (céramique campanienne). انظر :

Tarradell(M), Notas acerca de la primera época de los Fenicios en Marruecos, **Tamuda**, t. VI, Simestre 1, Tetuán, 1958, p. 71.

(4) يلاحظ "أندري جودان" (A. Jodin)، الذي كان قد اكتشف هذا النوع الخزفي في موكادور، أن علماء الآثار الاوائل الذين تعرفوا على هذا المنتوج بالغرب المتوسطي وقاموا بدراسته، أمثال "كوادرادو" (E. Cuadrado) و"سانتاس" (P. Cintas) و"طراديل" (M. Tarradell)، لم ينعتوا البتة هذا المنتوج بالخزف الفينيقي. انظر :

Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 68 ; Cuadrado(E), El problema iberico en la ceramica exotica de bariz rojo, **1er Congreso arqueológico del Marruecos Español**, 1954, p. 235-251 ; Cintas(P), Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc, op. cit, p. 45-50 ; Tarradell(M), Nuevos datos sobre la ceramica pre-romana de barniz rojo, op. cit.

(5) Cintas(P), Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc, op. cit, p. 50.

(6) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 206.

غير أن الانتماء الفينيقي للخزف ذي البرنيق الاحمر أصبح حاليا من الامور المتعارف عليها بين المهتمين بالدراسات الفينيقية، حيث اعتبر الجميع أنه كان يمثل الآنية الكلاسيكية المقترنة بالتوسع الفينيقي في الحوض المتوسطي. فهو إذن منتوج نقله التجار الفينيقيون من الشرق ولم يكن مصنوعا في الغرب، كما يستخلص ذلك "أندري جودان" (A.Jodin)[7] بعد العثور عليه بشكل وافر في الطبقة الاركيولوجية الفينيقية بجزيرة الصويرة المؤرخة بالقرن السابع قبل الميلاد وبداية القرن السادس.

ولا ريب أن الامر الذي كان يحث الباحثين على ترجيح الاصل الغربي للخزف الاحمر، هو اعتقادهم بانعدام وجوده في المراكز الفينيقية لعصر الحديد بالشرق، والذي كان مرده فقط غياب المعلومات حول الموضوع. ذلك أن عالم الآثار الفرنسي "جورج كونتنو" (G.Contenau) كان أول من أشار الى وجود خزف أحمر لامع خلال الحفائر التي أنجزها في مدينة صيدا عام 1914[8]. وفي عام 1938، اكتشفه عالم الآثار البريطاني "ليونارد ووليي" (Sir Leonard Wooley) في حفائره بمدينة "المينا" بسوريا[9]. وفي عام 1940 قدم عالم الآثار الامريكي "برادوود" (R.J.Braidwood)[10] فكرة واضحة حول نفس الخزف، الذي عثر عليه خلال التنقيبات الاركيولوجية التي أجراها في سوريا وفينيقيا وفلسطين[11]. وفي هذا الصدد يؤكد الباحث الايطالي "سباتينو موسكاتي" (Sabatino Moscati)[12] على أن هذا الخزف كان ينتج بفينيقيا، وتم العثور عليه في بعض المراكز بفلسطين[13]، مبينا أن أقدم الانواع تؤرخ بالقرنين التاسع والثامن قبل الميلاد، وأن أهم مرحلة توزيعه بالحوض المتوسطي كانت خلال القرن السابع قبل الميلاد. وتورد الباحثة الاسبانية "ماريا اوخينيا أوبيت" (Maria Eugenia Aubet) أن مدينة "الصرفند" أو "سربتا" (Sarepta) الموجودة جنوب صيدا، كانت ما بين أواخر القرن التاسع قبل الميلاد وأواسط القرن الثامن قبل الميلاد مركزا متخصصا في الصناعة وإنتاج الخزف الرقيق ذي البرنيق الاحمر على نطاق واسع[14].

وفي الشرق الاوسط دائما، لا يفوتنا أن نشير الى العثور على هذا الخزف كذلك في مصر الفرعونية، بعدة مراكز بمنطقة دلتا النيل[15]. أما في الغرب المتوسطي، فإن أحسن النماذج المصنوعة من الخزف الفينيقي ذي البرنيق الاحمر تم العثور عليها في مقبرة "ألمونييكار" (Almuñécar) الفينيقية بإسبانيا، التي اكتشفها عالم الآثار الاسباني "بيليسير كاطالان" (M.PellicerCatalan)[16] في بداية الستينيات من القرن العشرين. كما تم

---

(7) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 118.

(8) Contenau(G), Mission archéologique à Sidon (1914), **Syria II**, 1920, p. 120.

(9) Wooley(L), **J.H.S**, vol. LVIII, 1938, partie I.

(10) عالم آثار من جامعة "شيكاغو" بالولايات المتحدة الامريكية.

(11) Braidwood(R.J), Report on twoo sondages on the coast of Syria, south of Tartous, **Syria XXI**, 1940, p. 194, fig. 8.

(12) Moscati(S), L'épopée des Phéniciens, Paris, Fayard, 1971, p. 117 ; Moscati(S) et Napoli(M), Phéniciens et Grecs en Méditerranée, Editions Atlas, Paris, 1978, fig. p. 15.

(13) Moscati(S) et Napoli(M), Phéniciens et Grecs en Méditerranée, op. cit, p. 20.

(14) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 297.

(15) Moscati(S), L'épopée des Phéniciens, op. cit, p. 142-143 ; Moscati(S) et Napoli(M), Phéniciens et Grecs en Méditerranée, op. cit, p. 20.

(16) Pellicer Catalan(M), Excavaciones en la necropolis punica "Laurita" del Cerro de San Cristobal (Almuñécar, Granada), Excavaciones Arqueologicas en España (Madrid, 1962).

اكتشافه بشكل وافر في قرطاجة، حيث خصص له "بيير سانتاس" (P.Cintas) حيزا هاما في مؤلفه "موجز الاركيولوجيا البونيقية" (Manuel d'Archéologie punique)[17].

وعند دراسة هذا الخزف من طرف "طراديل" بعد اكتشافه لاول مرة في الغرب المتوسطي بعد العثور عليه في ليكسوس، قام بتبويبه الى ثلاثة أصناف، معتبرا مصدر الصنف الاول من المتوسط الشرقي خصوصا من قبرص، وأصل الصنف الثاني من الغرب المتوسطي خصوصا من الجزء الجنوبي لشبه الجزيرة الايبيرية، في حين اعتبر الصنف الثالث تقليدا للنوعين السابقين[18]. وإذا كانت المعطيات الاركيولوجية المتوفرة في الوقت الراهن تؤكد أن النوع رقم III من تصنيف "طراديل" يعد فعلا تقليدا محليا للنماذج القديمة سواء في المغرب أو في إسبانيا[19]، فإن المعطيات نفسها أضحت يوما بعد يوم تبين بكل جلاء أن النوعين رقم I ورقم II من التصنيف نفسه يعودان في الواقع الى نوع واحد مختلف في الزمان فقط، وأنه من أصل فينيقي محض.

وقد عثر "طراديل" على الخزف الاحمر بليكسوس لأول مرة خلال صيف 1949، عند بلوغ أقدم المستويات الإركيولوجية في استبار رقم 12 الذي أقامه في الفناء المعمد لدار "مارس" (Mars) و"ريا" (Rhéa)[20]. وعند متابعته للحفائر في السنوات الموالية، لاحظ أن وجود هذا الخزف كان يتكرر باستمرار وبأعداد كبيرة في كل المستويات العميقة للاستبارات التي قام بها في نقط متعددة من مركز المدينة. ودون أن يحدد شكل الاواني التي صنع منها هذا الخزف، أشار الى اكتشافه في استبار الخروب[21]، وفي استبار المخيم[22]، وفي استبار رقم 10[23]، وفي استبار البازيليك[24]، وفي استبار دار "هيليوس"[25]، واستبار رقم 15[26].

بعد "طراديل"، يعود الفضل في الكشف عن نفس الخزف بليكسوس الى "ميشيل بونسيك" (M. Ponsich)، الذي أشار الى العثور على كسرات من الخزف الاحمر الفينيقي من الصنف الجيد في المستويات القديمة لمبنى A[27]. كما عثر عليه في في مبنى حرف B[28] وفي حنية معبد H[29]، وفي ست استبارات أجريت بمعبد F، والذي كان حسب مكتشفه من النوع الجيد كذلك[30].

---

(17) Cintas(P), Manuel d'Archéologie punique, t. I : Histoire et Archéologie comparée -Chronologie des temps archaïques de Carthage et des villes phéniciennes de l'Ouest-, Paris, Picard, 1970, p. 375-382.

(18) Tarradell(M), Nuevos datos sobre la ceramica pre-romana de barniz rojo, op. cit, p. 237-238 ; Idem, Marruecos púnico, op. cit, p. 200-201.

(19) من الجدير بالتذكير مثلا في هذا الصدد أن الخزف الاحمر الذي عثر عليه عالم الآثار الاسباني "كوادرادو" (E. Cuadrado) في مركز "سيكاراليخو" (Cigarralejo) الايبيري، يؤرخ بالقرن الرابع قبل الميلاد وبداية القرن الثالث قبل الميلاد. وبذلك، فهو يعتبر تقليد للنوع رقم I من تصنيف "طراديل" الفينيقي الاصل. انظر :

Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 68.

(20) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 198.

(21) ربما يعود هذا النوع الخزفي الى "الخزف الاملس" (céramique lisse) في تصنيف "كابرييل كامبس" (G. Camps). انظر :

Camps(G), Aux origines de La Bérbérie - Monuments et rites funéraires protohistoriques, Arts et métiers graphiques, Paris, 1961, p. 399-400.

(22) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 152.

(23) Idem, Ibid, p. 153.

(24) Idem, Ibid, p. 153.

(25) Idem, Ibid, p. 155.

(26) Idem, Ibid, p. 155.

(27) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 32, fig. 6, p. 31.

أما المميزات التقنية والفيزيائية لهذا الخزف التي استخلصها "أندري جودان" (A.Jodin) من نماذج موكادور[31]، فتتجلى في صناعته من عجين رقيق ومصفى بطريقة جيدة، إذ لا يوجد أي أثر لحبيبات بارزة فوق الآنية. أما شواؤه فهو متوسط، حيث يلاحظ أن العجين يظل دائما متلاحما تقريبا في كل سمكه، ويصبح لون الطين عادة أسمرا فاتحا-سكريا يميل الى الوردي. أما نوع الطين المستعملة في نماذج ليكسوس، فلم تكن تعرف حسب "طراديل" وحدة في التركيبة الفيزيائية ولا في اللون، مع وجود غلبة للون الرمادي[32].

ولعل أن أهم خاصية يتميز بها هذا الخزف هو الطلاء الاحمر[33] الذي تحدث عنه الكثير من المؤلفين[34]. وهي طبقة مزججة لامعة من البرنيق الضارب الى الحمرة عموما[35]، إن لم نقل الضارب الى البني[36]. وقد تم استعمال البرنيق بعد الشواء، إما في مجموع الآنية أو في داخلها إذا تعلق الامر بالصحون، حيث لا يغطي في هذه الحالة سوى الشريط القريب من الحاشية. ويختلف سمك البرنيق من آنية لأخرى، ويتميز بصلابته وكثافته وعدم ذوبانه، إذ بإمكانه المكوث في الماء لمدة طويلة دون أن يتحلل.

وإذا كانت هذه المميزات تختص بها نماذج ليكسوس، فإن "أندري جودان"[37] يلاحظ أن الاواني التي اكتشفها في جزيرة الصويرة، لم تكن تتوفر في الواقع على أي ميناء ولا برنيق شبيه بما يعرفه الخزف الاغريقي. بل كان يطلى بصباغة مائية أو بنوع من الصلصال الرقيق يوضع إما فوق العجين نفسه أو فوق ذهان لبني[38]. ولربما يمزج هذا الصلصال الملون بالهيماتيت[39] بنوع من المالط، كالصمغ أو غرقد البيض أو مادة غروانية أخرى كغراء السمك. ومن الملاحظ على هذا الطلاء أنه لم يكن مستديما باستمرار على الآنية، حيث كانت الصباغة الحمراء تتفتت أحيانا عند صلابتها أو عن اتصالها بالهواء، فتتحول إذاك الى غبار

---

(28) Idem, Ibid, p. 36-37.

(29) Idem, Ibid, p. 105.

(30) يورد "ميشيل بونسيك" (M. Ponsich) أن الاصناف النموذجية التي تنتمي الى الخزف الفينيقي ذي البرنيق الاحمر من النوع الجيد، كانت حاضرة في جل الاستبارات التي بلغت مستوى معينا من العمق. انظر :
Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 65.

(31) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 116.

(32) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 199-200.

(33) من المصطلحات التي يعطيها "بيير سانتاس" للخزف الاحمر ما يلي : Engobe rouge-mouillé rouge-enduit rouge-émail rouge-lissé rouge-fritre rouge.
انظر :
Pellicer Catalan(M), Excavaciones en la necropolis punica "Laurita" del Cerro de San Cristobal (Almuñécar, Granada), op. cit, p. 55.

(34) Cintas(P), Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc, op. cit, p. 45 ; Jodin(A), Note préliminaire sur l'établissement pré-romain de Mogador, op. cit, p. 29.

(35) يعتبر "أندري جودان" (A. Jodin) أن لون الخزف الاحمر الفينيقي لا يكون دائما أحمرا، نظرا لاختلاف نوعية الشواء. انظر :
Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 53 et 77.

(36) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 199.

(37) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 116-118.

(38) تدعى هذه الطريقة في وضع الصباغة الحمراء "engobe lissé" من طرف الفرنسيين، و"barniz rojo" من طرف الاسبان، و" bunished slip" من طرف الانجليز، و"poliert engobe" من طرف الالمان. انظر :
Pellicer Catalan(M), Excavaciones en la necropolis punica "Laurita" del Cerro de San Cristobal (Almuñécar, Granada), op. cit, p. 54.

(39) تعتبر "الهيماتيت" (hematite) من الصخور ذات اللون الاحمر.

رقيق[40]. كما كانت هذه الصباغة تذوب في الماء الصافي، فتصبح إزالتها صعبة للغاية. وبذلك كانت الاواني التي ظل فيها البرنيق على حالته الطبيعية المحتفظة باللمعان تمثل نسبة ضئيلة جدا.

هذه الملاحظات التي استقيناها من نماذج جزيرة الصويرة، توحي بأن الخزف الاحمر بليكسوس كان من نوع أكثر جودة، مما يرجح أنه كان أقدم، وأنه كان مستوردا من المصانع الفينيقية في الشرق. غير أنه إذا كانت جزيرة الصويرة قد زودتنا بأواني كاملة مطلية بالبرنيق الاحمر، فإن ليكسوس لم تخلف لنا مع الاسف ما يماثل ذلك، إذ كانت جل الاواني المكتشفة في حالة يرثى لها من الكسر[41].

وعلى العموم، يعتبر هذا الخزف ببريقه الحي من الخزف الرفيع، كما يلاحظ ذلك "بيير سانتاس" (P.Cintas)[42] أو "سباتينو موسكاتي" (S.Moscati)[43] عند مقارنته بالانواع الفينيقية الاخرى. وبذلك يمكن تشبيهه نوعا ما بالخزف الآتيكي الاسود، أو بالخزف الروماني المعروف بالخزف الأريتيني أو الغالي[44]. ومما ينم عن قيمته الثمينة، ويدل على أن استعمالاته كانت تخضع لطقوس معينة، الكشف عن عدد كبير من الصحون في جزيرة الصويرة تتوفر على ثقوب تستعمل لاستصلاح الآنية بعد كسرها[45]. كما كانت نفس الصحون تنقش في تحتيتها بكتابات فينيقية على شكل مجموعة من الأسماء الشخصية، كانت إما بمثابة علامة خاصة بالشخص الذي اقتنى الاناء[46]، أو بمثابة إسم الصانع الذي أنتج الاناء، وفق نفس المفهوم الحالي المنظم للشركات حيث نجد علامة الشركة مرافقة لمنتوجاتها.

وفيما يتعلق بتاريخ هذا النوع الخزفي، فإنه كان يؤرخ عموما بالقرنين السابع والسادس قبل الميلاد من طرف "طراديل" و "بونسيك"[47]، اللذين كانا يعتبران أن أقدم استقرار سكاني بليكسوس يعود الى تلك المرحلة. غير أن الجدير بالملاحظة في هذا الصدد أن هذا التأريخ لا يرتكز على دراسة تصنيفية ودراسة مقارنة لهذا الخزف. كما أنه لم يأخذ بعين الاعتبار مجموع وتنوع أشكال هذا الصنف من الخزف الفينيقي، مما يجعل التأريخ الذي اقترحه كل من عالم الآثار الاسباني والفرنسي يندرج ضمن سياق كرونولوجي واسع وغير دقيق.

وهذا ما حدا ببعض الباحثين الى قراءة جديدة للخزف ذي البرنيق الاحمر الفينيقي المكتشف بليكسوس، نذكر منهم الباحث المغربي محمد حبيبي[48]، الذي ركز دراسته على الخزف الموجود حاليا في المتحف الاثري بتطوان، والباحث الاسباني "فيرناندو لوبيز باردو" (Fernando Lopez Pardo)، الذي قام بدراسة مقارنة لبعض نماذج ليكسوس بخزف إسبانيا[49]. وقد أفضت الدراستان الى كون الخزف الاحمر الفينيقي المكتشف بليكسوس كان أقدم مما تصوره الجميع، مما سينعكس على إعادة النظر في تأريخ المستويات

---

(40) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 118.

(41) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 202.

(42) Cintas(P), Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc, op. cit, p. 48.

(43) Moscati(S), L'épopée des Phéniciens, op. cit, p. 117.

(44) Cintas(P), Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc, op. cit, p. 45.

(45) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 79, pl. XXII, p. 80.

(46) Idem, Ibid, p. 79.

(47) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 131-132.

(48) Habibi(M), La céramique à engobe rouge phénicien de Lixus, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), Collection de l'Ecole française de Rome, n° 166, Palais Farnèse, 1992, p. 145-153.

(49) Lopez Pardo(F), Reflexiones sobre el origen de Lixus y su Delubrum Herculis en el contexto de la empresa comercial fenicia, op. cit, p. 85-101.

الاركيولوجية القديمة لليكسوس، وعلى مسألة بداية الاتصالات الفينيقية الاولى بالمغرب. وهو الامر الذي أكدت عليه مؤخرا نتائج الحفائر التي أنجزتها البعثة المغربية – الاسبانية في ليكسوس [50]، والقراءة الجديدة للكسرات المحفوظة في المتحف الاركيولوجي بتطوان [51].

أما فيما يخص نوع الاواني الخزفية التي خضعت لتقنية البرنيق الاحمر، فيجدر التذكير أن "طراديل" لم يكن دقيقا في مؤلفه "المغرب البونيقي" حول هذا الموضوع [52]، حيث لم يفصح عن عدد القطع أو الكسرات التي عثر عليها، ولم يقدم صورا توضيحية لها، باستثناء رسم يمثل الجزء العلوي لإبريق ذي القرص [53]. إلا أنه بفضل حفائر "بونسيك"، وانطلاقا من متابعة متأنية لما نشره "طراديل" حول الخزف الفينيقي الاحمر المكتشف في ليكسوس، واستنادا للدراسة التي قامت بها "ماريا بيلين وآخرون" (M.Belén y otros) للمواد المحفوظة في المتحف الاركيولوجي بتطوان [54]، يمكن اعتبار أن أشهر الانواع التي أنتجها الفينيقيون كانت حاضرة بالمركز. وهي كما يلي:

- الاباريق ذات القرص (Oenochoés à bobèche).
- الصحون (Plats).
- القناديل ذات المشعلين (Lampes à deux becs).
- الجفنات (Patères-Coupes-Tasses-Bols).

I – الاباريق ذات القرص :

1) المميزات المرفلوجية :

هي عبارة عن أباريق صغيرة تتميز بجسم كرويّ يتطور نحو شكل إجاصي، ثم بيضانيّ، يلتصق بقعر مسطح أو مقعر بعض الشيء. كما تتميز بعنق ضيقة وطويلة تكون تارة أسطوانية، وتارة أخرى منتفخة

---

(50) **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4**, 2001, op.cit.

(51) Belén(M), Escacena(J.L), López Roa(C), Rodero(A), Fenicios en el Atlántico. Excavaciones españolas en Lixus : Los conjuntos "C. Montalbán" y "cata basílica", op. cit ; Belèn(M), Escacena(J.L.), Rodero(A), López Roa(C), Materiales de época fenicia de las excavaciones de Tarradell conservados en el museo de Tetuán, op. cit.

(52) خصص "طراديل" (Tarradell) فصلا كاملا حول هذا الخزف في كتابه "المغرب البونيقي". انظر :

Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, Cap. VIII, La ceramica preromana de barniz rojo, p. 197-208.

وتجدر الاشارة في هذا الصدد أن الباحث الاسباني، لم يكن متيقنا في البداية كامل التيقن من الانتماء الفينيقي الواضح للخزف الاحمر عند تأليفه لكتابه "المغرب البونيقي"، حيث نلمس في سطور هذا المؤلف أنه كان يميل الى الاصول الايبيرية للانواع المكتشفة في إسبانيا، والى الاصول القرطاجية لنماذج شمال إفريقيا. كما أن التقليدات المحلية المتأخرة لهذا الخزف زادت من تعقيد التصنيفات الممكن اعتمادها لهذا الخزف. غير أن المكتشفات الجديدة التي حدثت في نهاية الخمسينيات من القرن العشرين، بعد العثور على هذا الخزف في الساحل الاندلسي الاسباني وفي البرتغال وفي جزيرة الصويرة وفي الساحل الجزائري وقرطاجة، جعلته يميل في مقالته التي نشرها حول الخزف الاحمر بمجلة "هيسبيريس-تمودا" الى الاصول الفينيقية لهذا الخزف. انظر :

Tarradell(M), Nuevos datos sobre la ceramica pre-romana de barniz rojo, op. cit, p. 244-247.

(53) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, fig. 36, p. 149.

(54) Belén(M), Escacena(J.L), López Roa(C), Rodero(A), Fenicios en el Atlántico. Excavaciones españolas en Lixus : Los conjuntos "C. Montalbán" y "cata basílica", op. cit ; Idem, Materiales de época fenicia de las excavaciones de Tarradell conservados en el museo de Tetuán, op. cit.

عند موسطتها. أما العروة فمقطعها مستدير، تلتصق بأعلى البطن وبالجهة السفلى للعنق[55]. ومما لاشك فيه أن أهم خاصية هذه الاباريق شفتها أو حاشيتها. وهي عبارة عن فسقية صغيرة تعطي لفتحة العنق الواسعة والمسطحة شكل قرص الشمعدان، ومن تم تسميتها بالاباريق ذات القرص (Oenochoés à bobèche)[56].

أما أحجام هذه الاواني فيبلغ طولها عادة 20 سنتمتر، ولا يتعدى أقصى قطرها 10 سنتمتر؛ وهو الحجم الذي يمكن أن يبلغه قطر قرص الآنية نظرا لاتساعه الكبير. أما فتحة الفوهة فتبلغ حوالي 2,5 سنتمتر فقط[57]. هذه الاوصاف نجدها في الانواع الخزفية التي يعطيها "بيير سانتاس" (P.Cintas) رقم 65 و 65bis و 65ter و 65quater من تصنيفه للخزف البونيقي[58].

وإذا كانت هذه الاباريق ذات القيمة المرتفعة تستعمل في العادات الجنائزية، حيث اكتشفت بأعداد كثيرة ضمن الادوات الجنائزية الحاضرة في العديد من المدافن الفينيقية، فإنها مع ذلك كانت تستخدم في الاستعمالات اليومية، كما يثبت ذلك العثور عليها خارج القبور في كل من ليكسوس وجزيرة الصويرة[59]. وهي بذلك تعتبر من أكثر المنتوجات وفرة ضمن الخزف الفينيقي ذي البرنيق الاحمر[60]، وأكثرها حضورا ضمن المخلفات الاركيولوجية الفينيقية في جل المراكز التي شملها التوسع الفينيقي سواء في المغرب أو خارجه. وعموما، تعرف هذه الاباريق حضورا في المراكز الفينيقية بالشرق وبقبرص وبالمتوسط الغربي، حيث توجد باستمرار مصاحبة للاباريق ذات العنق الثّلّي (Oenochoés à col tréflé) وللصحون ذات البرنيق الاحمر الفينيقي.

2) التوزيع في الحوض المتوسطي :

بالرغم من عدم العثور على أي إناء كامل من هذا النوع الخزفي بالمغرب، فقد لقيه الفرنسي "كوبرلي" (Koeberlé) لاول مرة عام 1953 في جزيرة الصويرة، حيث اكتشف في ربوة الجزيرة قرصا كاملا، ثم عنقا يحتفظ بانطلاقة عروة[61]. وفي عام 1957 عثر "أندري جودان" في الطبقة الاركيولوجية الفينيقية التي تحمل رقم IV على عنقين آخرين، إضافة الى كسرات أخرى[62]. كما عثر "ميشيل بونسيك" في مدفن رقم 30 بمقبرة "جبيلة" بناحية طنجة على كسرات عنق تعود الى نوع الاباريق ذات القرص[63].

---

(55) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 109 ; Habibi(M), La céramique à engobe rouge phénicien de Lixus, op. cit, p. 146.

ويرى "ساباتينو موسكاتي" (S. Moscati) أن الاباريق ذات القرص استوحت شكلها من أنواع معدنية قديمة انظر:

Moscati(S), L'épopée des Phéniciens, op. cit, p. 117.

(56) وتعرف هذه الاباريق من طرف الباحثين الاسبان بالاباريق ذات الشفة الشبيهة بالفطر (jarros de boca de seta). لكن الباحثين الفرنسيين يطلقون عليها اسم "الاباريق ذات القرص". انظر العوامل التي اعتمد عليها "بيير سانتاس" (Pierre Cintas) في هذه التسمية :

Cintas(P), Céramique punique, Tunis, Publications de l'institut des hautes études tunisiennes, 1950, p 468.

ومن المعلوم أن كلمة "bobèche" تعني قرص الشمعدان، أي تلك الاسطوانة التي توجد في أعلى الشمعدان، والتي تصلح لجمع الشمع الذائب، والذي يشبه لحد كبير فوهة هذا النوع من الاباريق. ومن الملاحظ أنني عمدت على الاحتفاظ فقط بكلمة "قرص" دون ذكر "الشمعدان" قصد الاختصار فقط، نظرا لكون الاختصار يكفي في رأيي لتقديم المعنى المقصود.

(57) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 109.

(58) Cintas(P), Céramique punique, op. cit, p. 87-89, pl. VI.

(59) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 116.

(60) Cintas(P), Céramique punique, op. cit, p. 468.

(61) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 109.

(62) Idem, Ibid, p. 109, pl. XXIX, p. 110.

(63) تعتبر مقبرة "جبيلة" واحدة من المدافن المحلية بفحص طنجة، التي توفرت محتوياتها على مواد التجارة الفينيقية. كما تعد أهم هذه المدافن، إذ تألفت حسب ما اكتشفه "ميشيل بونسيك" (M. Ponsich) من مائة وسبعة قبور، وأغزرها بالمستوردات الفينيقية. انظر :

أما خارج المغرب، فإن أهم مركز زودنا بأكثر وأكمل النماذج من الاباريق ذات القرص مثلثه بدون شك مدينة قرطاجة، حيث أشار الى وجودها الاب "ديلاتر" (Delattre) في بداية القرن العشرين وأطلق عليها إذاك اسم "حقات الزيت" (Aryballes) [64]. كما عثر "كوكلير" (P.Gauckler) على عدة نماذج كاملة في مجموعة من مدافن "درميش" (Dermech)، نذكر منها قبر رقم 232 و310 و320 و316 و341، كان يطلق عليها اسم "الاباريق ذات الفوهة المسطحة" (Oenochoées à bouche aplatie) [65]. ويمكن إضافة عدة أمثلة أخرى من قرطاجة، نقتصر على الذكر منها نموذجا في حالة جيدة من الصيانة عثر عليه محمد فنطر في قبر وجد بالسفح الشرقي لمقبرة "جينون" (Junon) يؤرخ بالقرنين السابع والسادس قبل الميلاد [66]. وفي نفس المقبرة، اكتشف "بيير سانتاس" (P.Cintas) كذلك عدة نماذج في قبر رقم 5 و7 و9 و10 و11 و12 و15 و16 و19 [67]. وفي هذا الموضوع تعد أحدث دراسة حول الاباريق ذات القرص المكتشفة في قرطاجة، تصنيفا وتأريخا، تلك التي أنجزها الباحث التونسي "فتحي شلبي" [68].

الى جانب قرطاجة، اكتشفت هذه الاباريق في منشآت فينيقية أخرى بشمال إفريقيا، نذكر منها مركز أوتيكا بالساحل التونسي، حيث يشير "بيليسير كاطالان" (M.PellierCatalan) الى وجودها في مدافن القرن السابع قبل الميلاد [69]، ويؤكد "بيير سانتاس" على حضورها ضمن محتويات أقدم مدافن المدينة [70]. وفي الجزائر، تم العثور عليها في "تيباسة"، واكتشف "فييمو" (Vuillemot) عام 1955 عدة كسرات من الاباريق ذات القرص في مركز جزيرة "راشكون"، كانت أعناقها مصبوغة بطلاء أحمر [71].

ولم تخل الجزر المتوسطية التي عرفت توافدا فينيقيا كثيفا منذ القرن السابع قبل الميلاد من التعرف على هذا النوع الخزفي، حيث تم العثور عليه بأعداد كثيرة في قبرص، نخص بالذكر منها اكتشاف عالم الآثار القبرصي "كاراجيوركيس" (M.V. Karageorghis) لإنائين كاملين في مقبرة مركز "سكارينون"

El Azifi(M.R), Les nécropoles de la région de Tanger sont - elles phéniciennes ? op. cit, pl. I, n° 2.

وحول القطعة المكتشفة في هذه المقبرة، انظر :

Ponsich(M), Nécropoles phéniciennes de la région de Tanger, **Etudes et travaux d'Archéologie marocaine**, T. III (Villes et sites du Maroc antique), Tanger, 1967, p. 170, pl. XLIV, fig. 62.

وانظر أيضا :

العزيفي (محمد رضوان)، الفينيقيون بفحص طنجة وعلاقاتهم بالسكان "من خلال مقابر ناحية طنجة ومحتوياتها المؤرخة ما بين القرن السابع قبل الميلاد وأواسط القرن السادس قبل الميلاد"، رسالة مرقونة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ القديم، المرجع السابق، الجزء الاول، ص. 233-240.

(64) Delattre(R.P), Musée Lavigerie de St Louis de Carthage, Paris, 1900, p. 166.

(65) انظر صورة تجمع عدة نماذج عثر عليها "كوكلير" (P. Gauckler) في أقدم قبور قرطاجة في مؤلفه "القبور البونيقية بقرطاجة" :
Gauckler(P), Nécropoles puniques de Carthage, t. I, pl. CCXII.

(66) Fantar(M), Une tombe punique sur le versant Est de la coline dite de Junon, **Antiquités Afriquaines**, t. 6, 1972, p. 24-25, pl. p. 24.

(67) Cintas(P), Manuel d'Archéologie punique, T. II : La civilisation carthaginoise - Les réalisations matérielles, Paris, Picard, 1976, p. 294-295, fig. 39.

(68) Chelbi(F), Oenochoés "à bobèche de Carthage" : Typologie et chronologie, **R.E.P.P.A.L, II**, 1986, p. 173-225.

(69) Pellicer Catalan(M), Excavaciones en la necropolis punica "Laurita" del Cerro de San Cristobal (Almuñécar, Granada), op. cit, p. 57.

(70) Cintas(P), Manuel d'Archéologie punique, t. I, p. 227-229, pl. III, n° 5 et 7.

(71) Vuillemot(G), La nécropole punique du Phare de l'île de Rachgoun, **Libyca III**, 1955, p. 21, pl. IX, n° 16.

(Skarinon)[72]. كما وجدت في مالطة في قبور تؤرخ بالقرن السابع قبل الميلاد[73]، وفي جزيرة "موتيا" القريبة من صقلية[74]، وفي سردينيا بكل من "كاكلياري" (Cagliari) و"نورا" (Nora)، وفي "كورنوس" (Cornus) التي كشفت مقبرتها عن إناء كامل من هذا النوع[75].

أما في شبه جزيرة إيبيريا، فقد وجد كذلك بأعداد كثيرة، وأطلق عليه علماء الآثار الاسبان اسم "الابريق ذو الفوهة الشبيهة بالفطر" (Oenochoé de boca de seta)[76]. ويعد "فيرناندو دي أفيليس" (A.Fernando de Aviles) أول باحث يُعرِّف بالاباريق ذات القرص[77]، بعد نشره لمقالة عام 1959 حول إناء مصدره من مركز "طوري ديل مار" (Torre del Mar)[78]، كان موجودا في مخازن المتحف الاركيولوجي الوطني بمدريد منذ سنة 1892[79]. وبعد هذا الكشف، أفرزت مقبرة "ألمونييكار" (Almuñécar) الشهيرة أربعة نماذج كاملة وجميلة[80]، تم العثور عليها من طرف "بيسير كاطالان" (M. Pellicer Catalan) في كل من قبر رقم 12[81] و13[82] و19[83] و20[84]. كما تضمنت مقبرة "طرايامار" (Trayamar) الفينيقية المكتشفة بساحل "كوسطا ديل صول" (Costa del Sol) محتويات جنائزية من بينها إبريقين كاملين من نفس النوع[85]. علاوة على ذلك، كانت الاباريق ذات القرص حاضرة ضمن المعثورات الخزفية الفينيقية

---

(72) Karageorghis(V), Chronique des fouilles et découvertes archéologiques à Chypre en 1959, **B.C.H**, t. LXXXIV, 1960-1961, p. 295, fig. 72 a

(73) Moscati(S), L'épopée des Phéniciens, op. cit, p. 260-261 ; Moscati(S) et Napoli(M), Phéniciens et Grecs en Méditerranée, op. cit, p. 50.

(74) Cintas(P), Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc, op. cit, p. 73 ; Idem, Céramique punique, op. cit, p. 89.

(75) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 115, fig. 23 d, p. 114..

(76) عرف هذا الاناء بين الباحثين الاسبان بعدة أسماء أخرى (de arandela-de gola-de trompeta). انظر:
Pellicer Catalan(M), Excavaciones en la necropolis punica "Laurita" del Cerro de San Cristobal (Almuñécar, Granada), op. cit, p. 56.

(77) Fernandez de Aviles(A), Vaso oriental de Torre del Mar (Malaga), **arqueológia-Historia, VIII**, 1948 (1959), n° d'inventaire, 12.538.

(78) "طوري ديلمار" (Torre del Mar) ميناء يبعد عن مدينة مالقة شرقا بحوالي ثلاثين كيلومترا. ويعتقد "بيسير كاطلان" (Pellicer Catalan) أنه كان يمثل في الماضي إحدى المحطات الفينيقية. انظر :
Pellicer Catalan(M), Excavaciones en la necropolis punica "Laurita" del Cerro de San Cristobal (Almuñécar, Granada), op. cit, p. 50.

(79) انظر أوصاف وأحجام وصورة هذا الاناء، إضافة الى النماذج المشابهة في الحوض المتوسطي عند :
Blàzquez(J.M), Tartessos y los orígines de la colonización fenicia en Occidente, Universidad de Salamanca,1968, p. 29-32, pl. III.

(80) بالاضافة الى الوصف الدقيق الذي قدمه "بيسير كاطالان" (Pellicer Catalan) حول الاباريق ذات القرص التي عثر عليها في مقبرة "ألمونييكار" (Almuñécar)، فقد تعرض لها كذلك الباحث الاسباني "خوصي ماريا بلاسكيس" (J.Maria Blàzquez) بإسهاب في مؤلفه "طرطسوس وبداية الاستعمار الفينيقي بالغرب". انظر :
Blàzquez(J.M), Tartessos y los orígines de la colonización fenicia en Occidente, op. cit, p. 171-172.

(81) Pellicer Catalan(M), Excavaciones en la necropolis punica "Laurita" del Cerro de San Cristobal (Almuñécar, Granada), op. cit, p. 20, fig. 15-3.

(82) Idem, Ibid, p. 22, fig. 17-3, pl XVI-1.

(83) Idem, Ibid, p. 38, fig. 32-3, pl. XVI-2.

(84) Idem, Ibid, p. 40, fig. 34-6, pl. XVI-3.

(85) Blàzquez(J.M), Tartessos y los orígines de la colonización fenicia en Occidente, op. cit, pl. 68, b.

المكتشفة في مركزي[86] "كاستيبو دي دونيا بلانكا" (Castillo de Dona Blanca) و"لوس طوسكانو (Los Toscanos).

ومما يدل على الاصل الفينيقي لهذا المنتوج، أن الساحل السوري-الفلسطيني عرفه منذ عصر البرونز، بعد أن أثبتت حفائر مركز "الميناء" بسوريا بعض الاشكال التي تمثل النماذج الاصلية للاباريق ذات القرص[87]. أما في الساحل الفينيقي، فقد تم الكشف عن الاباريق ذات القرص في مركز "أقزيب" جنوب صور، حيث تم العثور عليها في مدافن فينيقية تؤرخ ما بين سنة 800 قبل الميلاد و600 قبل الميلاد، الى جانب أوان أخرى مصبوغة بالبرنيق الاحمر، نذكر منها الاباريق الاجاصية الشكل والقناديل ذات المشعل الواحد[88].

3) نماذج ليكسوس وتأريخها الجديد :

تم العثور في ليكسوس على صنف الاباريق ذات القرص لاول مرة على يد "ميكيل طراديل" (M.Tarradell)، عند اكتشافه لجزء من هذه الاباريق عام 1957 في أقدم مستوى استراتيغرافي باستبار الخروب. هذه القطعة، المعروضة حاليا في المتحف الاركيولوجي بتطوان (انظر لوحة ت رقم 1)[89]، تمثل أحسن نموذج يمثل الاباريق ذات القرص التي تم اكتشافها لحد الساعة في المغرب، إذ تمثل الجزء العلوي من الاناء المتوفر على جزء من العروة، إضافة الى العنق والقرص[90]. ولم تكن هذه القطعة تمثل الكسرة الوحيدة التي اكتشفها "ميكيل طراديل" في ليكسوس، بدليل توفر متحف تطوان على شققات أخرى لاباريق ذات القرص، رغم أنها كانت صغيرة جدا ولانموذجية. ويتناسق ذلك مع ما أورده عالم الآثار الاسباني من كونه عثر على عدة كسرات منها، كانت مع ذلك غير كافية لإعادة تشكيل قطعة كاملة[91]. غير أن الدراسة التي قامت بها البعثة الاسبانية منذ عام 1992 للمواد المكتشفة بالمستوى الاستراتيغرافي رقم V لاستبار الخروب، مكنت من تشكيل العديد من هذه الاباريق[92] (انظر لوحة XVI وXX).

ومن جهة أخرى يذكر محمد البكاري في التقرير الاخباري الذي أعده ضمن الجزء السابع للنشرة الاثرية المغربية[93]، أن الاستبارات التي شملت أسس قطاع المنازل، كشفت عن الاباريق ذات القرص. وبالفعل، تبيّن من خلال الدراسة التي قامت بها "ماريا بيلين وآخرون" (M. Belén y otros)[94] للمواد التي

---

(86) Ruiz Mata(D), Las ceramicas fenicias del Castillo de Doña Blanca, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, op. cit, p. 257.

(87) Du Plat Taylor(J), The cypriot and syrian pottery from Al Mina, **Iraq XXI**, 1959, p. 68 et ss.

(88) Blàzquez(J.M), Tartessos y los orígines de la colonización fenicia en Occidente, op. cit, p. 224, note n° 1 ; Moscati(S) et Napoli(M), Phéniciens et Grecs en Méditerranée, op. cit, p. 15.

(89) Aranegui(C), Tarradell-Font(N), Lixus colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Apuntes para una Historia de la investigación arqueológica, op. cit, fig. 20, p. 24.

(90) Tarradell(M), Nuevos datos sobre la ceramica pre-romana de barniz rojo, op. cit, fig. 2, p. 246 ; Idem, Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, fig. 36, p. 149.

(91) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 202.

(92) Belèn(M), Escacena(J.L.), Rodero(A), López Roa(C), Materiales de época fenicia de las excavaciones de Tarradell conservados en el museo de Tetuán, p. 92, fig. 9-13.

(93) Bekkari(M), L'archéologie marocaine en 1966-1967, **B.A.M**, t. VII, 1967, p. 656.

(94) Belén(M), Escacena(J.L), López Roa(C), Rodero(A), Fenicios en el Atlántico. Excavaciones españolas en Lixus : Los conjuntos "C. Montalbán" y "cata basílica", op. cit, p. 350, fig. n° 80-119-120-116.

اكتشفها "طراديل" في هذه الاستبارات، أن هذه الاواني كانت حاضرة بأربعة نماذج، وأنها كانت تنتمي الى النوع المتميز بالبطن الكروية الشكل، المؤرخ بالقرن الثامن قبل الميلاد (انظر لوحة XXVIII-XXVI).

بعد "طراديل"، كتب لهذا النوع الخزفي أن يرى النور من جديد في ليكسوس على يد "ميشيل بونسيك"، الذي اكتشف بدوره عدة كسرات من نفس الاباريق خلال الحفائر التي أجراها في حي المعابد. فقد عثر عليها في المستويات القديمة بالاستبارات التي أجراها في المبنى A، خصوصا الاستبار الذي يحمل رقم 8 [95]، حيث يتبين من خلال رسم رقم 6 بمؤلفه "ليكسوس حي المعابد" أن الامر يتعلق بالجزء العلوي للاناء المتوفر على القرص وجزء من العنق [96] (انظر لوحة XXXI). كما عثر على عنق إبريق من هذه الاباريق في الطبقة رقم 3 من الاستبار رقم 1 الذي أجراه في مبنى حرف B [97] وفي خزان معبد F عثر كذلك على مجموعة قطع تعود الى بطون الاباريق ذات القرص [98] (انظر لوحة XXXV و XXXVI). كما عثر "بونسيك" (M.Ponsich) [99] في حنية معبد H بالمستوى الاستراتيغرافي رقم V الموجود مباشرة فوق الصخر الام، على قطع أعناق من نفس الاباريق، الى جانب عروة مزدوجة [100] (انظر لوحة XXXII).

ومن خلال سجل الصناديق الموجودة في مستودعات متحف القصبة بطنجة المشتملة على المعثورات المكتشفة في حي المعابد، يورد محمد حبيبي [101] أن "بونسيك" أشار ضمن اللائحة التي أورد فيها المواد المكتشفة خلال الاستبار المنجز في حنية معبد H، الى قطعة من شفة مع انطلاقة عنق من إبريق من نوع الاباريق ذات القرص ذات البرنيق الاحمر الفينيقي اللامع (انظر لوحة XXXII). كما أورد أن نفس اللائحة كانت تتضمن كذلك قطعة من عروة مزدوجة ذات البرنيق الاحمر الفينيقي اللامع [102]، والتي تمثل بدون أدنى شك جزءا من الاباريق ذات القرص. كما تضمن السجل كذلك قطعة بطن من نفس الاباريق [103]، وعروة مدورة ذات البرنيق الاحمر [104]، التي يبدو مع كل التحفظات أنها تعود أيضا الى نفس النوع الخزفي.

وفيما يلي جدولا مفصلا حول الاباريق ذات القرص المكتشفة في ليكسوس، مع ذكر مكتشفها ومكان اكتشافها، وكذا عدد الكسرات المكتشفة، ومحاولة تأريخها :

---

(95) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 32.

(96) Idem, Ibid, fig. 6, p. 31.

(97) Idem, Ibid, p. 36.

(98) يلاحظ على "بونسيك" (Ponsich) أنه لم يكن متيقنا كامل التيقن من الاصل الفينيقي للاباريق ذات القرص التي اكتشفها في خزان معبد F، عندما يحيل في مسألة أصلها على عالم البونيقيات "بيير سانتاس" (P. Cintas)، الذي اكتسب شهرة دولية في مجال الخزف البونيقي خلال الستينيات من القرن العشرين. يقول "بونسيك" في هذا الصدد : << ***يعتبر "سانتاس" هذه الاباريق فينيقية محضة، لكونها كانت غائبة من قرطاجة في مستويات القرن الخامس قبل الميلاد*** >>. كما أننا نحتار في مسألة تشبيهه لبطون هذه الاباريق بمثيلات مفترضة عرفها استبار الخروب، لان "طراديل لم يورد بتاتا أنه اكتشف بطونا من هذا النوع في ذات الاستبار. انظر :
Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 70 ; pl. XXIV, p. 68 et pl. XXV, p. 71.

(99) Idem, Ibid, p. 105 ; Habibi(M), A propos du temple H et du temple de Melkart-Héraclès à Lixus, op. cit, p. 235-237.

(100) رغم أن "بونسيك" (Ponsich) لم يذكر شكل الاناء الذي تنتمي إليه هذه العروة، فالغالب على الظن كما سنرى أن الامر يتعلق بنوع الاباريق ذات القرص المزدوجة العروة، التي تعتبر من العينات الاساسية في مؤارخة المستويات الفينيقية القديمة لليكسوس.

(101) Habibi(M), A propos du temple H et du temple de Melkart-Héraclès à Lixus, op. cit, p. 237.

(102) Idem, Ibid, p. 237.

(103) Idem, Ibid, p. 237.

(104) Idem, Ibid, p. 237.

التاريخ	العدد	المكتشف	مكان الاكتشاف	الجزء المكتشف
القرن الثامن ق.م	1	طراديل	استبار الخروب (رسم)	الجزء العلوي (العنق والعروة والقرص)
القرن الثامن ق.م	؟	طراديل	استبار الخروب	عدة كسرات
القرن الثامن ق.م	4	طراديل	قطاع المنازل	القرص والعنق والبطن
القرن الثامن ق.م	؟	بعثة 1999	استبار الخروب 2	كسرات شفاه وعروات
القرن السابع ق.م	1	بونسيك	مبنى A (رسم)	الجزء العلوي (العنق والقرص)
؟	1	بونسيك	مبنى B	العنق
ربما القرن السابع ق.م	كسرات	بونسيك	خزان معبد F (لوحتان)	بطون
؟	كسرات	بونسيك	حنية معبد H	قطع أعناق
القرن الثامن ق.م	1	بونسيك	حنية معبد H (صورة)	عروة مزدوجة
؟	1	بونسيك	حنية معبد H (صورة)	جزء شفة مع انطلاقة عنق
القرن الثامن ق.م	1	بونسيك	حنية معبد H	جزء من عروة مزدوجة
؟	1	بونسيك	حنية معبد H	قطعة بطن
؟	1	بونسيك	حنية معبد H	عروة مدورة ؟

وعند العثور على هذه الكسرات في ليكسوس، وحيث أن الاباريق ذات القرص كانت تعد من أدق الاواني الفينيقية تأريخا خلال الستينيات من القرن العشرين، كان "طراديل" يرجح أن كسرات ليكسوس تؤرخ بالقرن السابع قبل الميلاد[105]، وأنها كانت من نفس نوع نموذج "طورّي ديـل المـار" (Torre del Mar)، الذي كان معروفا في إسبانيا[106]. كما كان "بونسيك" (M.Ponsich) يعتبر أن الكسرات التي اكتشفها في عدة نقط من حي المعابد، تعد من مواد المستوى الاستراتيغرافي للقرنين السابع والسادس قبل الميلاد، وأنها كانت تتشابه مع النماذج المكتشفة في جزيرة الصويرة وفي إسبانيا[107].

(105) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 202.
لكنه يقول بالحرف في مقالته حول الخزف الاحمر السالفة الذكر ما يلي : « ***اعتمادا على وجود مثل هذا النوع من الاباريق، فليس من المجازفة على ما يبدو مؤارخته ما بين القرن السابع والخامس قبل الميلاد*** ». الامر الذي ينم عن الارتياب الذي كان يخالج "طراديل" في مسألة تأريخ المعثورات التي خلفتها ليكسوس. انظر :
Tarradell(M), Nuevos datos sobre la ceramica pre-romana de barniz rojo, op. cit, p. 251.

(106) Fernandez De Aviles(A), Vaso oriental de Torre del Mar (Malaga), **Arqueologia e Historia**, VIII (1948), p. 39 ss ; Tarradell(M), Nuevos datos sobre la ceramica pre-romana de barniz rojo, op. cit, p. 242 et 245, fig. 1, p. 246.

(107) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 70.

غير أن الدراسة التي قام بها محمد حبيبي للجزء العلوي للاناء ذي القرص الذي اكتشفه "طراديل" في استبار الخروب[108]، والمقارنة التي قام بها "فيرناندو لوبيز باردو" (Fernando Lopez Pardo) للجزء العلوي لابريق اكتشفه "بونسيك" في مبنى A[109]، تجعلنا نعتبر أن ليكسوس عرفت نوعين من هذه الاباريق. وقد أكدت الحفائر الجديدة التي تمت مؤخرا في ليكسوس على هذا التمييز، حيث أضحى من شبه اليقين أن النوعين كانا مختلفين من الناحية المرفلوجية والكرونولوجية، حيث يمكن تأريخ أولهما بالقرن الثامن قبل الميلاد، وثانيهما بالقرن السابع قبل الميلاد.

أ- نماذج القرن الثامن قبل الميلاد :

تتألف العينة التي درسها محمد حبيبي، من عنق أسطوانية الشكل نوعا ما، ومن شفة أفقية، ومنطلق عروة مزدوجة[110] (انظر لوحة ت رقم 1). وهي مطلية كلية من الخارج ببرنيق أحمر لامع. وبالرغم من اندثار الجهة السفلى للآنية، التي تعتبر حاسمة في تأريخ الاباريق ذات القرص، فإن بعض الملامح المميزة لهذه العينة، تمكن مع ذلك من وضعها في التسلسل التطوري لهذا النوع الخزفي[111].

من هذه الملامح الجديرة بالملاحظة نذكر العروة المزدوجة[112]، التي تعتبر نادرة من جهة، ومن جهة ثانية اكتشفت جميع النماذج المعروفة في سياق أركيولوجي يؤرخ بالقرن الثامن قبل الميلاد. كما أن الاباريق ذات القرص المزدوجة العروة تتميز كلها ببطن كروية[113]، بينما تتصف الانواع ذات العروة الواحدة بجسم إجاصي الشكل أو بيضاني[114] (انظر لوحة XXXVII). أما الخصوصية الثانية لعينة ليكسوس، فتتمثل في عنق الاباريق المزدوجة العروة، التي تتميز بشكل شبه أسطواني يتسع قليلا في اتجاه انطلاقة الشفة،

---

(108) اعتمادا على العنصر المرفلوجي والكرونولوجي في الدراسته التي قام بها محمد حبيبي للخزف ذي البرنيق الاحمر الفينيقي المكتشف بليكسوس، والموجود حاليا في المتحف الاثري بتطوان، تم اختيار هذه القطعة كنموذج، الى جانب الصحون ذات البرنيق الاحمر الفينيقي. انظر :

Habibi(M), La céramique à engobe rouge phénicien de Lixus, op. cit, p. 146.

(109) Lopez Pardo(F), Reflexiones sobre el origen de Lixus y su Delubrum Herculis en el contexto de la empresa comercial ..., op. cit, p. 89.

(110) يعتبر الرسم الذي قدمه "طراديل" لاول مرة في كتابه "المغرب البونيقي" عن هذا الابريق غير واضح ولايعكس الشكل الحقيقي للآنية، مما كان يتعذر معه القيام بمقارنة هذه العينة بمثيلاتها في البلدان التي شملتها التوسعات الفينيقية (Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, fig. 36, p. 149). بل حتى الرسم الثاني الذي نجده في مقالته التي نشرها في مجلة "هيسبيريس-تمودا" (Hespéris-Tamuda)، والذي يختلف بشكل طفيف عن الرسم الاول، تنقصه بعض الجزئيات المرفلوجية التي نلاحظها بالعين المجردة عند مشاهدة هذه القطعة في قاعة العرض بالمتحف الاركيولوجي بتطوان (Idem, Nuevos datos sobre la ceramica pre romana de barniz rojo, op. cit, fig. 2, p. 246). وقد انتبه محمد حبيبي الى هذه النواقص وحاول تعويضها في الرسم المعدل الذي نشره في مقالته التي تقدم بها خلال الملتقى الدولي المنعقد بمدينة العرائش حول ليكسوس، وعند عرضه لصورة شفافة معبرة لهذه العينة خلال نفس الملتقى. وهو الرسم الذي اعتمدناه في جدول رقم I. انظر :

Habibi(M), La céramique à engobe rouge phénicien de Lixus, op. cit, fig. 1, p. 146.

(111) قامت الباحثة الالمانية "كيرطا ماس-ليندمان" (Gerta Maass-Lindemann) بدراسة مستفيضة للمميزات المرفلوجية للاباريق ذات القرص المكتشفة في إسبانيا، ومقارنتها بالنماذج المشابهة التي تم العثور عليها في المستوطنات الفينيقية بالحوض المتوسطي وبالشرق الفينيقي. انظر :

Maass-Lindemann (G), Vasos fenicios de los siglos VIII-VI en España. Su procedencia y posición dentro del mundo fenicio occidental, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, t. I, op. cit, p. 228-230.

(112) Habibi(M), La céramique à engobe rouge phénicien de Lixus, op. cit, p. 146.

(113) Aubet(M. E), Los Fenicios en España : Estado de la cuestion y perspectivas, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, Sabadell, Editorial Ausa, 1986, fig. 9, p. 26.

(114) Pellicer Catalan(M), Sexi fenicia y púnica, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, op. cit, fig. 8, p. 104.

بينما يكون عنق الاباريق الاحادية العروة إما محدب الوجهين[115] أو إهليلجي الشكل[116] (انظر لوحة XXXVII). وبفضل الدراسة التي قامت بها "ماريا بيلين وآخرون"[117] للمواد الاثرية التي اكتشفها "طراديل" في استبار "قطاع المنازل ما قبل الرومانية"، تمكّنا من التعرف على خاصية أخرى تميزت بها نماذج القرن الثامن قبل الميلاد. ذلك أن النماذج ذات البطن الكروية، كانت مخدّدة في الجزء العلوي للكتف (انظر لوحة XXVI رقم 80، لوحة XXVIII رقم 120)، على خلاف النماذج ذات البطن الاجاصية الشكل المؤرخة بالقرن السابع قبل الميلاد، التي انعدمت منها هذه الخاصية.

من هنا يتبين أن عينتنا تنتمي الى نوع الاباريق ذات القرص المزدوجة العروة والكروية البطن. ولم تكن هذه القطعة الوحيدة من نوعها في استبار الخروب، بل يتبين من خلال الرسوم المنشورة حول المواد المحفوظة في المتحف الاركيولوجي بتطوان[118]، أن نفس الاباريق كانت حاضرة في هذا الاستبار. وقد تم العثور في إسبانيا على ثلاثة أباريق شبه كاملة من هذا النوع في كل مسن مركز "إيل كارامبولو" (El Carambolo) ومالقة و"إيل مورّو دي ميسكيتيا" (El Morro de Mezquitilla)[119] (انظر لوحة XXXVII رقم 1 و2 و3). وفي هذا الصدد يرى الباحث الاسباني "إفان نيكيرويلا" (Ivan Negueruela) الذي درس الاباريق ذات القرص المكتشفة في إسبانيا، أن النموذجين الاول والثاني يمثلان أقدم النماذج، وأنهما يؤرخان بالقرن الثامن قبل الميلاد[120]. أما النموذج الثالث الذي تم العثور عليه في أقدم طبقة استراتيغرافية بمركز "إيل مورّو دي ميسكيتيا" الفينيقي[121]، فيؤرخه عالم الآثار الالماني "هيرمانفريد شوبارت" (H. Schubart)، مكتشف المركز، ببداية النصف الثاني من القرن الثامن قبل الميلاد[122]. والجدير بالملاحظة في هذا الصدد أن هذا الابريق تم العثور عليه الى جانب نفس الانواع التي عرفتها ليكسوس، نذكر منها الجفنات والصحون القاربية الشكل ذات البرنيق الاحمر والحاشية الضيقة، والامفورات الفينيقية ذات الشفة المستقيمة، الاقدم من نوعها لحد الساعة[123].

ومما يضفي الكثير من المصداقية على هذه الكرونولوجية، أن فينيقيا نفسها عرفت أباريق مماثلة لهذا النوع، تم اكتشافها في مدينة صور من طرف "بيكاي" (P.M.Bikai) في مستوى استراتيغرافي يؤرخ

---

(115) Pellicer Catalan(M), Sexi fenicia y púnica, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, op. cit, fig. 8, p. 104..

(116) Idem, Ibid, fig. 8. 13, 8. 20, p. 20.

(117) Belén(M), Escacena(J.L), López Roa(C), Rodero(A), Fenicios en el Atlántico. Excavaciones españolas en Lixus : Los conjuntos "C. Montalbán" y "cata basílica", op. cit, p. 350.

(118) Belèn(M), Escacena(J.L.), Rodero(A), López Roa(C), Materiales de época fenicia de las excavaciones de Tarradell conservados en el museo de Tetuán, op. cit, fig. 5 : n° 182 ; fig. 6 : n° 457 ; fig. 9 : n° 425 - 428 ; fig. 12 : n° 535 ; fig. 13 : n° 569-570.

(119)- Aubet(M. E), Los Fenicios en España : Estado de la cuestion y perspectivas, op. cit, fig. 9, p. 26 ; Maass Lindemann (G), Vasos fenicios de los siglos VIII-VI en España. Su procedencia y posición dentro del mundo fenicio occidental, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, t. I, op. cit, p. 230.

(120) Negueruela(I), Jarros de boca de seta y de boca trilobulada de ceramica de engobe rojo en la peninsula iberica, dans **Homenaje al Prof. M. Almagro Basch**, 2, Madrid, 1983, p. 259-279.

(121) Schubart(H), El Asentamiento fenicio del s. VIII a. C. en El Morro de Mezquitilla (Algarrobo, Malaga), dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, op. cit, fig. 5, p. 70.

(122) Idem, Ibid, p. 74.

(123) Lopez Pardo(F), Reflexiones sobre el origen de Lixus y su Delubrum Herculis en el contexto de la empresa comercial ..., op. cit, p. 87.

بالنصف الثاني من القرن الثامن قبل الميلاد[124]. كما اكتشفت بالشرق الاوسط نماذج أخرى مشابهة في "مجدو" (Meggido)[125] و"أقزيب" (Akhzib)[126] و"عتليت" (Atlit)[127] بإسرائيل، وفي "تل الرشيدية" (Rachidieh) بلبنان، بالمدفن رقم IV المؤرخ بالقرن الثامن قبل الميلاد[128].

وهكذا نلاحظ إذن، أن هذا النوع من الاباريق ذات القرص، المكورة البطن والمزدوجة العروة، تعتبر رغم ندرتها، من المنتوجات الواردة في المراكز الفينيقية، سواء بالشرق أو بالغرب المتوسطي. وهي بـذلك تعتبر شاهدا ثمينا لتأريخ المستوى رقم V لاستبار الخروب بليكسوس، إذ يدل وجودها على حدوث استقرار سكاني خلال القرن الثامن قبل الميلاد في هذا المستوى، وفي ذاك القطاع من المركز[129].

انطلاقا من ذلك، يمكن اعتبار أن العروة المزدوجة التي عثر عليها "بونسيك"[130] في حنية معبد H بالمستوى الاستراتيغرافي رقم V الموجود مباشرة فوق الصخر الام (انظر لوحة XXXII) تعود الى نفـس الاباريق ذات العنق الاسطوانية والبطن الكروية الشكل. وبالتالي يمكن اعتبار أن المستوى الاسـتراتيغرافي الذي اكتشفت فيه العروة يؤرخ، كما هو الشأن بالنسبة للطبقة الاستراتيغرافية رقم V باستبار الخروب، بالقرن الثامن قبل الميلاد. كما يجدر ترجيح أن تكون العروة المزدوجة الثانية التي كانت حاضرة في سجل الصناديق

---

(124) Bikai(P.M), The Pottery of Tyre, Warminster, 1978, pl. 8 A, e.f. h., p. 38.

كان الاستبار الاستراتيغرافي الذي قام به "بيكاي" (Bikai) على مساحة 150 م² في أعلى منطقة بصور ما بين سنة 1973 و 1974 حاسما عند مقارنة المعلومات الواردة في المصادر المكتوبة بالمعطيات التجريبية أو الاركيولوجية. ولأول مرة تمكننا حفائر تمت في صور نفسها من فحص إحدى المشاهد القليلة من المواد الأثرية المكتشفة لحد الساعة بفينيقيا. ومن جانب آخر، فإن الحجم الكبير للأخزاف التي تم العثور عليها في هذه الحفائر يعتبر وثيقة ثمينة للدراسة والتحليل عند فحص المواد الفينيقية الواردة من الغرب المتوسطي عموما ومن المغرب على وجه الخصوص. وهكذا فاجأتنا حفائر "بـيكاي" (Bikai) لما أظهرت أن جزيرة صور عرفت استيطانا شبه مستمر منذ عصر البرونز القديم، حيث استطاع أن يكشف عن 27 طبقة أركيولوجية. ولايهمنا من هذه الطبقات سوى الطبقات I-IV، وخصوصا الطبقة II-III المؤرخة ما بين 740 ق.م و 700 ق.م، نظرا لتوفرها على أنواع خزفية مشابهة تماما لمستويات الاستقرار الاكثر قدما بالمستوطنات الفينيقية بجنوب إسبانيا، وربما بأقدم طبقة باستبار الخروب. ومن بين النماذج الخزفية الأكثر أهمية بالطبقات I-IV نذكر الأباريق ذات القرص والأباريق ذات العنق الثقلي (Oenochoés à col tréflé) والقناديل ذات المشعل الواحد، والصحون ذات الحاشية البارزة، والصحون ذات الارجل الثلاثة، والطسوت. إنها نفس الاشكال التي نجدها مثلا في الطبقة رقم I "بطوسكانوس" (Toscanos) أو "شوريراس" (Chorreras) بناحية مالقة. وعلى العموم فإن المعثورات الخزفية، سواء في قرطاجة أو في الغرب، لا توجد الى يومنا هذا سابقة للنماذج المميزة للطبقة رقم IV بصور المؤرخة بحوالي 750 قبل الميلاد. انظر :

Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 297-298.

(125) Amiran(R), Ancient Pottery of the Holy Land, New Brunswick, 1970, pl. 92, n° 11, p. 275.

(126) Idem, Ibid, p. 272.

(127) Idem, Ibid, pl. 92, n° 12, p. 275.

(128) Doumet(C), Les tombes IV et V de Rachidieh, dans **Annales d'histoire et d'archéologie**, Beyrouth, 1982, pl. XIII, p. 21 ; Doumet(C) et Kawkabani(I), Les tombes de Rachidieh : Remarques sur les contacts internationaux et le commerce phénicien au VIII^{e} siècle av. J. C, dans Actes du **IIIè congrès international des études phéniciennes et puniques**, volume I, pl. F, p. 384, pl. G, p. 386.

(129) انطلاقا من ذلك، لا نرجح فرضية عالمة الآثار الالمانية "كيرطا ماس-ليندمان" (Gerta Maass- Lindemann)، التي قدمتها خلال الملتقى الدولي حول ليكسوس المنعقد بالعرائش، حيث اعتبرت أن الكسرة التي اكتشفها "طراديل" (M. Tarradell) يمكن تشبيهها بابريق عثر عليه "جورج فييمو" (G. Vuillemot) بمقبرة "راشكون"، والذي يعتبر تقليدا محليا للاباريق ذات القرص الفينيقية. انظر :

Maass-Lindemann(G), A comparison of the phoenician pottery of Lixus with the west phoenician pottery of Spain, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), Collection de l'Ecole française de Rome, n° 166, Palais Farnèse, 1992, p. 176-177, fig. 2, c.

(130) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 105.

الموجودة في مستودعات متحف القصبة بطنجة[131]، المشتملة على المواد الفينيقية التي اكتشفها "بونسيك" خلال الاستبار المنجز في حنية معبد H، تعود بدورها الى نفس الانواع من الاباريق ذات العروة المزدوجة المؤرخة بالقرن الثامن قبل الميلاد. وإذا كان الامر كذلك، فإن هذه العناصر تؤكد على أن الطبقات الاركيولوجية الفينيقية بليكسوس هي أقدم مما كان يتصوره مكتشفو المركز.

ومؤخرا تم اكتشاف كسرات من شفاه الاباريق ذات القرص في استبار الخروب الذي أنجزته البعثة المغربية–الاسبانية عام 1999، بنسبة لا تتعدى 12% من مجموع الاواني المنتمية للخزف الفينيقي ذي البرنيق الاحمر (انظر لوحة XXXVIII رقم 7)[132]. وكانت هذه الكسرات مشابهة للنموذج الذي عثر عليه "ميكيل طراديل" في استبار الخروب[133]، وللنموذج الذي عثر عليه "ميشيل بونسيك" في حنية معبد H[134].

علاوة على ذلك، تمكنت نفس البعثة من العثور على العديد من العروات المزدوجة الاخرى، التي تدل على أنها تنتمي الى نماذج القرن الثامن قبل الميلاد، المتميزة بالبطن الكروية والعروة المزدوجة.

ب- نماذج القرن السابع قبل الميلاد :

إذا كانت المعطيات السالفة الذكر تدل على أن استيراد الاباريق ذات القرص الى ليكسوس حدث منذ القرن الثامن قبل الميلاد، فهذا لا يعني أن جميع الكسرات التي تم العثور عليها تؤرخ بنفس الحقبة. ففيما يتعلق بصنف الاباريق ذات القرص التي يورد "بونسيك" أنه عثر عليها في بمبنى A[135] (انظر لوحة XXXI)، يؤكد الباحث الاسباني "فيرناندو لوبيز باردو" (Fernando Lopez Pardo)، انطلاقا من الرسم الوحيد المنشور حولها[136]، أنها كانت من نوع الاباريق ذات العنق المحدبة الوجهين، والمتوفرة على حرف تقاطع من الوسط[137]. وقد استنتج ذلك اعتمادا على تصنيف "إفان نيكيرويلا" (Ivan Negueruela) للاباريق ذات القرص المكتشفة في إسبانيا[138]. وتعتبر عينة ليكسوس، وهي عبارة عن شفة وانطلاقة عنق، طبق الاصل لنموذج قبر رقم 19 b المكتشف في مقبرة "ألمونييكار" (Almuñécar) الفينيقية (انظر لوحة XXXVII رقم 5)، وللكسرة رقم 1092 التي تم العثور عليها بمركز "لوس طوسكانوس" (LosToscanos). ويؤرخ هذان النموذجان بدقة خلال الثلث الاول من القرن السابع قبل الميلاد[139]. كما ترى "كيرطا ماس–ليندمان" (Gerta Maass-Lindemann)[140] أنه يمكن مقارنة عنق إبريق ليكسوس بالاشكال التي تم اكتشافها

---

(131) Habibi(M), A propos du temple H et du temple de Melkart-Héraclès à Lixus, op. cit, p. 237.

(132) Alvarez(N), Gómez Bellard(C), Habibi(M), De Madaria(J.L), La ocupación fenicia, op. cit, p. 73, fig. 3, n° 7.

(133) Tarradell(M), Nuevos datos sobre la ceramica pre-romana de barniz rojo, op. cit, fig. 2, p. 246 ; Idem, Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, fig. 36, p. 149.

(134) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, pl. XXXVI.

(135) Idem, Ibid, p. 32.

(136) Idem, Ibid, fig. 6, p. 31.

(137) Lopez Pardo(F), Reflexiones sobre el origen de Lixus y su Delubrum Herculis en el contexto de la empresa comercial …, op. cit, p. 89.

(138) Negueruela(I), Jarros de boca de seta y de boca trilobulada de ceramica de engobe rojo en la peninsula iberica, dans **Homenaje al Prof. M. Almagro Basch**, 2, Madrid, 1983, p. 259-279.

(139) Idem, Ibid, p. 263 ; Niemeyer(H.G) y Schubart(H), Toscanos, Berlin, 1969, p. 92-93.

(140) Maass-Lindemann(G), A comparison of the phoenician pottery of Lixus with the west phoenician pottery of Spain, op. cit, p. 177, fig. 2, d-e.

بسردينيا[141]، خصوصا تلك التي عرفها كل من مركز "سولكيس" (Sulcis) و"مونطي سـيراي" (Monte Siraï)[142].

علاوة على كسرة مبنى A، يتبين من خلال اللوحات التي نشرها "ميشيل بونسيك" حول بطون الاباريق ذات القرص التي اكتشفها في حي المعابد، وخصوصا في ردم خزان معبد حرف F (انظر لوحة XXXV و XXXVI)، أنها كانت من نوع بطون الاباريق المميزة للقرن السابع قبل الميلاد الإجاصية الشكل أو البيضانية (انظر لوحة XXXVII رقم 6 و7). وهذا ما أكد عليه "ميشيل بونسيك" نفسه، لمـّا اعتبر هذه البطون المطلية ببرنيق أحمر لامع ذي النوع الجيد، من مواد المستوى الإستراتيغرافي للقرنين السابع والسادس قبل الميلاد، سواء في ليكسوس أو في موكادور أو في إسبانيا[143].

II ـــ الصحون :

1) المميزات المرفلوجية :

من خصوصيات هذه الصحون الدائرية الشكل، توفرها على شفة (Marli) تكون تارة رقيقة، وتارة أخرى عريضة قد تساوي أحيانا نصف قطر الصحن. كما تعرف تحتيتها بعض التقعر، في حين يتميز داخلها بعمق ضعيف جدا، وتنتهي حاشيتها ببعض التحدب[144]. وقد أثار المنظر العام لهذه الصحون انتباه "أنـدري جودان" (A.Jodin) عند اكتشافها في جزيرة الصويرة، لدرجة جعلته يشبهها بالصحون الحديثة، نظرا لشكلها الانيق ولرشاقتها[145]. أما البرنيق الاحمر الذي طليت به، فإنه لم يكن يشمل سوى الجهة العلوية من الانـاء، في حين ظلت تحتيته بدون برنيق، مما مكن من مشاهدة الطين الاصلية التي صنع منها الـصحن، والتـي تميزت بلونها الكامد غير اللامع، ذي الأدَمَة الرقيقة السمراء الفاتحة. وقد تميزت نماذج ليكـسوس بكـسائها ببرنيق أحمر يشمل داخل الآنية برمته، في حين لا يهم البرنيق خارج الآنية سوى الـشريط القريـب مـن الحاشية[146]. أما لون البرنيق فهو في غالب الاحيان الاحمر، مع وجود اختلافات في ألوان بعض الصحون، تتأرجح بين الاحمر الفاقع والاحمر البني والبني الفاتح والاسمر الفاتح. كما تعرف جـودة البرنيـق أيـضا اختلافات بين صحون مطلية بدهان رقيق وكامد، وصحون أخرى تعرف برنيقا من جودة عالية، مـصقولا ولامعا[147].

---

(141) Bartoloni(P), Studi sulla ceramica fenicia e punica di Sardegna, **CSF**, 15, Roma, 1983, fig. 1.

(142) استندت عالمة الآثار الالمانية في هذه المقارنة الى خط التقاسم الموجود في موسطة عنق إبريق ليكسوس المكتشف في مبنى A. وهي الصفة التي تجعله في رأيها يختلف عن الانواع الغربية، حيث اعتبرت أنه تنعدم حسب معرفتها أية قطعة في إسبانيا يمكن تشبيهها بنموذج ليكسوس. ومرد هذا التشابه حسب نفس الباحثة –انسجاما مع مؤارخة "بونسيك" (M. Ponsich) لمبنى A بالقرنين السادس والخامس قبل الميلاد– أن سردينيا مارست في تلك العهود تأثيرا كبيرا على الغرب، كما تشهد على ذلك المعثورات المكتشفة في جزيرة ايبيسا الواردة من سردينيا. انظر :
Maass-Lindemann(G), A comparison of the phoenician pottery of Lixus with the west phoenician pottery of Spain, op. cit, p. 177.

(143) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 70.

(144) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 77.

(145) Jodin(A), Note préliminaire sur l'établissement pré-romain de Mogador, op. cit, fig. 8, c et d ; Idem, Ibid, Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 77.

(146) Habibi(M), La céramique à engobe rouge phénicien de Lixus, op. cit, p. 150.

(147) Idem, Ibid, p. 150.

ويتراوح قطر هذه الصحون بالنسبة للعينات التي درسها "أندري جودان"، ما بين 138 مم و256 مم بالنسبة للصحون ذات الشفة العادية[148]، وما بين 210 مم و302 مم بالنسبة للصحون ذات الشفة المخددة[149]. أما قاعدة قيعانها فيتراوح حجمها ما بين 63 مم و96مم[150].

وفيما يتعلق باستعمالاتها، فالغالب على الظن أنها كانت تستخدم لمتطلبات المطبخ الفينيقي، اللهم إذا كانت تحظى باستعمالات أخرى كما يعتقد "أندري جودان" ، لما رجح أن تكون قد استعملت كأساس لحمل القناديل، انطلاقا من ملاحظة تمت معاينتها في بعض القبور البونيقية[151].

2) التوزيع في الحوض المتوسطي :

تم العثور على الصحون الفينيقية ذات البرنيق الاحمر في العديد من المراكز بالحوض المتوسطي نذكر منها مقبرة جزيرة "راشكون" بالجزائر، حيث عثر "فييمو" (Vuillemot) على أعداد كثيرة منها استخدمت لسد المرمدات الجنائزية[152]. كما اكتشف "بيسير كاطالان" (M.PellicerCatalan) إثني عشر صحنا في مقبرة "ألمونييكار" (Almuñécar) الفينيقية المؤرخة بالقرن السابع قبل الميلاد[153]. وفي إسبانيا دائما، عرفتها العديد من المراكز الفينيقية، نقتصر على الذكر منها مركيز "لوس طوسكانوس" (LosToscanos)[154]، ومركز "لاكوس" (Lagos) بالقرب من مدينة مالقة[155]). كما عرفتها العديد من المراكز الطرطيسية التي أقامت علاقات تجارية مع الفينيقيين، حيث قام الباحث الاسباني "خوسي ماريا بلاسكيس" (J.M.Blazquez) بدراسة مستفيضة حولها[156]. ومن أهم المراكز الاسبانية التي كشفت عن هذه الصحون نذكر على الخصوص "كاستيو دي دونيا بلانكا" (Castillo de Doña Blanca) القريب من مستوطنة قادس الفينيقية، حيث تم الكشف عن نماذج تؤرخ بالقرن الثامن قبل الميلاد، وأخرى تؤرخ بالقرن السابع قبل الميلاد[157]. وعرفتها قرطاجة في مقبرة "تانيت" (Tanit) بحي "سلامبو" (Salambô) المخصصة لدفن مرمدات الاطفال، والتي قام بدراستها عالم الآثار "هاردين" (D. B. Harden)[158].

أما في الشرق الاوسط، فقد تم الكشف عن هذه الصحون بوفرة، حيث وجدت بفينيقيا في "مجدو" (Meggido) بالخصوص، وفي "حازور" (Hazor)، وفي صور، ووجدت بفلسطين في "تل كيسان" (Tell

---

(148) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 79.

(149) Idem, Ibid, p. 81.

(150) Idem, Ibid, p. 82.

(151) Idem, Ibid, p. 82.

(152) Vuillemot(G), La nécropole punique du Phare de l'île de Rachgoun, op. cit, pl. VIII, n° 11.

(153) Pellicer Catalan(M), Excavaciones en la necropolis punica "Laurita" del Cerro de San Cristobal (Almuñécar, Granada), op. cit, p. 58-59, fig. 15-4, 22-4, 24-4, 26-3, 27-3, 4, 5, 6 et 7 ; pl. XVII, 3, 4, et 5.

(154) Maass-Lindemann (G), Vasos fenicios de los siglos VIII-VI en España. Su procedencia y posición dentro mundo fenicio occidental, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, t. I, op. cit, p. 231-232, fig. 1 n° 4, pl. 2

(155) Aubet(Ma. E), Nueva necrópolis fenicia de incineración en Lagos (Málaga), dans Actes du **IIIè congrès international des études phéniciennes et puniques** (Tunis, 11 - 16 Novembre 1991), Institut national du patrimoine, volume I, Tunis, 1995, fig. 13, p. 37.

(156) Blàzquez(J.M), Tartessos y los origines de la colonización fenicia en Occidente, op. cit, p. 176-179.

(157) Ruiz Mata(D), Las ceramicas fenicias del Castillo de Doña Blanca, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica,** op. cit, p. 244-247 et 250-251.

(158) Harden(D.B), The pottery from the precinct of Tanit at Salambo, Carthage, **Iraq IV**, I, 1937, fig. 7.

(Keisan) و"أقزيب" (Akhzib). كما تم العثور عليها في قبرص بكل مـن مـدينتي "كيتيـون" (Kition) و"سلامين" (Salamine)[159].

3) نماذج ليكسوس وتأريخها الجديد :

أ- مكان الاكتشاف :

استطاع "طراديل" أن يبرز أن أغلبية القطع المنكسرة المكتشفة في ليكسوس تعـود الـى صـحون وباطيرات[160] ذات الاحجام المختلفة، يغلب عليها النوع المتميز بالحاشية المفتوحة، أو الواسعة، أو الحاشـية الشبيهة باللوزة. وقد مثل صنف الصحون أغزر الاواني التي تم العثور عليها في نقـط متعـددة ومختلفـة بليكسوس، إذ من الممكن اعتبار أن عددها كان يعد بالمئات[161]. ورغم أن "طراديل" لم يحدد بدقة النقط التي عثر فيها على هذه الصحون خلال استباراته المتعددة التي قام بها، ولم يقدم أي رسم أو لوحة عنها، فإن القطع المتعددة المعروضة حاليا في المتحف الاركيولوجي بتطوان، تدل على أن أغلبية كسرات هذه الصحون كان مصدرها من استبار الخروب[162]. هذه الحقيقة، ستثبتها الدراسة التي قامت بها البعثة الاسبانية للمواد المكتشفة بالمستوى الاستراتيغرافي رقم V لاستبار الخروب منذ عام 1992[163] (انظر لوحـة XXI-XI). كمـا ستثبت هذه الدراسة أن نفس الصحون كانت حاضرة في استبار "البازيليك"، وأنها كانت تؤرخ بالقرن الثـامن قبل الميلاد، نظرا لعرض حواشيها المتراوحة ما بين 12 ملمتر و16 ملمتر[164] (انظر لوحة XXII). كمـا ستبرز أنها كانت موجودة كذلك في استبار "قطاع المنازل ما قبل الرومانية"، مع وجود نماذج أحدث تـؤرخ بالقرن السابع قبل الميلاد[165] (انظر لوحة XXVIII-XXVI-XXIV).

بعد "ميكيل طراديل"، عثر "ميشيل بونسيك كذلك على كسرات غزيرة من نفس الـصحون خـلال الحفائر التي أجراها في حي المعابد. فقد عثر عليها في الطبقة رقم 2 من الاستبار رقم 1 الذي أجراه في مبنى

---

(159) Bikai(P.M), The Pottery of Tyre, op. cit, p. 59, note n° 16.

(160) وهي جمع كلمة "باتير" (patère) بالفرنسية، التي تعني نوعا من الكؤوس ذات الحواشي الواسعة الشبيهة بالصحون. وقد وردت الترجمة عند: الشهابي (يحيى)، معجم المصطلحات الأثرية، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دمشق، 1967، ص. 276.

(161) من الممكن استنتاج ذلك من خلال الرسم البياني الذي أنجزه محمد حبيبي حول توزيع هذه الصحون تبعا لاتساع حاشيتها، حيث يتبين أن عدد العينات المعتمدة بلغ 35 عينة يتراوح عرض حاشيتها ما بين 11 مم و52 مم. وبما أن كل عينة تمثل صنفا مستقلا بذاته من حيث عرض الحاشية، فهذا يعني أن ليكسوس عرفت على الاقل 35 نوعا مختلفا من هذه الصحون. وإذا اعتبرنا مثلا أن كل نوع لم تمثله سوى خمسة صحون، فهذا يعني أن العدد الاجمالي سيبلغ 175 صحنا. وهو أضعف رقم قد يكون اكتشفه "طراديل" (M. Tarradell) في ليكسوس، نظرا لذكره مرارا أنه عثر على كسرات وافرة جدا من هذه الصحون. انظر :

Habibi(M), La céramique à engobe rouge phénicien de Lixus, op. cit, fig. 5, p. 152.

(162) انتبهت عالمة الآثار الالمانية "كيرطا ماس-ليندمان" الى أن نماذج الصحون التي اكتشفت في المغرب، سواء في موكادور أو في ليكسوس، لم تعرف نشر سوى القليل منها. انظر :

Maass-Lindemann (G), Vasos fenicios de los siglos VIII-VI en España. Su procedencia y posición dentro del mundo fenicio occidental, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, op. cit, p. 232.

(163) Belèn(M), Escacena(J.L.), Rodero(A), López Roa(C), Materiales de época fenicia de las excavaciones de Tarradell conservados en el museo de Tetuán, p. 89, fig. 10, p. 101.

(164) Belén(M), Escacena(J.L), López Roa(C), Rodero(A), Fenicios en el Atlántico. Excavaciones españolas en Lixus : Los conjuntos "C. Montalbán" y "cata basílica", op. cit, p. 352, fig. 9, n° 129-133.

(165) Idem, Ibid, p. 347, fig. 4-6-8.

B، حيث أشار الى العثور على "صحون من النوع الفينيقي ذات البرنيق الاحمر والمغرة الصفراء"[166]. كما اكتشفها في ردم خزان معبد حرف F[167]، حيث تميزت بكونها كانت تتوفر على حاشية ضيقة[168]، وبالتالي يمكن اعتبارها كما يلاحظ ذلك بحق نفس الباحث[169] من نفس الانواع التي وجدت بكثرة في المستويات الاستراتيغرافية العميقة بليكسوس (انظر لوحة XL-XXXIX-XXXVI-XXXV). ومن خلال سجل الصناديق الموجودة في مستودعات متحف القصبة بطنجة المشتملة على المعثورات المكتشفة في حي المعابد، يورد محمد حبيبي[170] أن "بونسيك" أشار ضمن اللائحة التي أورد فيها المواد المكتشفة خلال الاستبار المنجز في حنية معبد H، الى اكتشافه لما مجموعه 18 شقفة من حواشي صحون ذات البرنيق الاحمر الفينيقي[171] (انظر لوحة XLI).

وتم مؤخرا اكتشاف نفس الصحون في استبار الخروب الذي أنجزته البعثة المغربية-الاسبانية عام 1999، بنسبة 61% من مجموع الخزف الفينيقي ذي البرنيق الاحمر، ممثلة بذلك النوع الغالب. وقد مكنت بعض الكسرات من تشكيل صحون كاملة، وبالتالي تحديد تاريخها بشكل دقيق حسب دراسة "هيرمانفريد شوبارت" (H.Shubart)[172] ومحمد حبيبي[173] ودراسة "ماريا بيلين وآخرون"[174] (انظر لوحة XXXVIII رقم 6). من خلال ذلك، تبيّن أن هذه الصحون تنتمي الى الانواع المتميزة بالحاشية الضيقة، التي يبلغ عرضها في الشقفات التي أمكن قياسها حوالي 2,4 سنتمتر، بينما كانت العديد من الحواشي لاتتعدى 2 سنتمتر، كما يتضح ذلك من خلال جدول رقم 1 الوارد في نشرة حفائر ليكسوس لعام 1999[175]. وهذا يعني أن هذه النماذج كانت مشابهة للصحون المكتشفة في المستويات الاركيولوجية المؤرخة بأواسط القرن

---

[166] غير أنه يصعب مؤارخة هذه المواد، التي تبدو أنها فينيقية الاصل حسب ماورد عند "بونسيك" (Ponsich). ذلك أن نفس الطبقة أفرزت مواد أركيولوجية حديثة العهد، نذكر منها الخزف الروماني المعروف بالخزف "الأريتيني" (céramique arétine) المؤرخ بعصر "أغسطس"، والخزف "الكامباني أ" (céramique campanienne A) المؤرخ عموما بالنصف الاول من القرن الثاني قبل الميلاد. انظر :

Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 36.

[167] لانعلم بحق هل كان "بونسيك" (M. Ponsich) يقصد بهذه النماذج صحونا كاملة، كما يفهم ذلك من استعماله لكلمة "صحون" (assiettes) عند تعداده للمعثورات الفينيقية التي اكتشفها في ردم خزان معبد F، أم أن الامر يتعلق فقط بكسرات من هذه الصحون. وهذا ما يتبين من خلال اللوحات التي نشرها في الموضوع، والتي لم تبرز أية صورة لصحن كامل، كما كان الشأن بالنسبة لبعض الاواني الفينيقية التي تم تصويرها كاملة، مثل قنينات العطر الفينيقية أو الثلاثيات الارجل. انظر :

Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 70 ; pl. XXIV, p. 68, pl. XXV, p. 71.

[168] سنبين في وقت لاحق كيف يمكن الاعتماد على دراسة حواشي الصحون ذات البرنيق الاحمر، لمؤارخة هذه الانواع من الاواني.

[169] Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 70.

[170] Habibi(M), A propos du temple H et du temple de Melkart-Héraclès à Lixus, op. cit, p. 236.

[171] Idem, Ibid, fig. 5 : a, p. 236.

[172] Schubart(H), Westphönizische Teller, dans, **RSF** 4, 1976, p. 197 ss.

[173] Habibi(M), La céramique à engobe rouge phénicien de Lixus, op. cit.

[174] Belén(M), Escacena(J.L), López Roa(C), Rodero(A), Fenicios en el Atlántico. Excavaciones españolas en Lixus : Los conjuntos "C. Montalbán" y "cata basílica", op. cit.

[175] Alvarez(N), Gómez Bellard(C), Habibi(M), De Madaria(J.L), La ocupación fenicia, op. cit, p. 73, cuadro 1.

الثامن قبل الميلاد في "شوريّراس" (Chorrearas) [176] وفي "إيل مورّو دي ميـــسكيتيا" (El Morro de Mezquitilla) [177] وفي "كاستيبو دي دونيا بلانكا" (Castillo de Doña Blanca) [178].

كما تم الكشف عن نفس الصحون خلال استبار "الزيتونة" الذي أنجزته البعثة المغربية-الاسبانية فـــي ليكسوس خلال عام 1999، والتي يمكن تأريخها كذلك بالقرن الثامن قبل الميلاد [179].

وفيما يلي جدولا مفصلا حول هذه المكتشفات :

الجزء المكتشف	مكان الاكتشاف	المكتشف	العدد	التاريخ
كسرات متعددة	جميع الاستبارات	طراديل	أكثر من 100	القرن الثامن ق.م
كسرات متعددة	استبار الخروب	طراديل	؟	القرن الثامن ق.م
حواشي	استبار البازيليك	طراديل	2	القرن الثامن ق.م
حواشي	استبار قطاع المنازل	طراديل	~ 13	القرن الثامن والسابع
كسرات مع صحون شبه كاملة	استبار الخروب 2	بعثة 1999	؟	القرن الثامن ق.م
؟	استبار الزيتونة	بعثة 1999	؟	القرن الثامن ق.م
صحون كاملة	مبنى B	بونسيك	؟	
كسرات أو صحون كاملة (حاشية ضيقة)	خزان معبد F (لوحتان)	بونسيك	؟	القرن الثامن ق.م
حواشي صحون	حنية معبد H	بونسيك	18 شقة	؟

ب – الكـــرونـــولـــوجيا :

عندما قام أندري جودان" (A.Jodin) بمقارنة صحون جزيرة الصويرة بنماذج ليكسوس، فإنه كـــان يعتقد أنهما يعودان الى نفس النوع، مما جعله بالقياس يؤرخ صحون ليكسوس بالقرن السابع قبل الميلاد [180]. وهو نفس الرأي الذي سبقه إليه كل من "ميكيل طراديل" و "ميشيل بونسيك". غير أن الدراسة الجديدة التي قام بها محمد حبيبي [181] لعينة الصحون ذات البرنيق الاحمر المعروضة بمتحف تطوان [182]، عـــلاوة علـــى

(176) Aubet(Ma. E), Maass-Lindemann(G), Schubart(H), Chorreras, un establecimiento fenicio al E. de la desembocadura del Algorrobo, **Noticiario arqueológico Hispánico 6**, 1979, p. 101-106.

(177) Schubart(H), Informe preliminar sobre la campaña de excavaciones de 1982 realizadas en el asentamiento fenicio de la desembocadura del río Algarrobo, **Noticiario arqueológico Hispánico 23**, Madrid,1985, p. 155.

(178) Ruiz Mata(D), Pérez(C), El poblado fenicio del Castillo de Doña Blanca, Puerto de Santa María (Cádiz), Puerto de Santa Maria, 1995, p. 56, fig. 17.

(179) Alvarez(N), Gómez Bellard(C), de Madaria(J.L), La ocupación fenicia, op. cit, p. 187.

(180) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 83.

(181) Habibi(M), La céramique à engobe rouge phénicien de Lixus, op. cit, p. 147-153.

(182) اعتمد محمد حبيبي على دراسة عينة الصحون الفينيقية ذات البرنيق الاحمر للاستنارة بها في مؤارخة المستوى الفينيقي، نظرا لاعتبار هذا النوع الخزفي أهم مادة يمكن الاعتماد عليها بالنسبة للمراكز الفينيقية الغربية كسند كرونولوجي.

المقارنة التي قام بها "فيرناندو لوبيز باردو" (Fernando Lopez Pardo) لهذه الصحون مع بعض النماذج المكتشفة في إسبانيا[183]، كان من شأنهما أن يعيدا النظر في مسألة تأريخ صحون ليكسوس.

فمن خلال الدراسة التي أجراها "بيكاي" (P.M.Bikai) حول الخزف الفينيقي بصور، يتبين أن أقدم صنف ضمن هذه الصحون، وهو النوع رقم 14، كان حاضرا منذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد بالمستوى الاستراتيغرافي رقم XVI[184]. غير أن إنتاج الصحون ذات البرنيق الاحمر الفينيقي، لم يبرز بشكل وافر ومقنن إلا ابتداء من المستويات الاستراتيغرافية رقم V وIV وIII وII، المؤرخة ما بين أواسط القرن التاسع قبل الميلاد ونهاية القرن الثامن قبل الميلاد. ولاريب أن بداية تسويق هذه الصحون نحو المراكز الفينيقية بالغرب المتوسطي والساحل الاطلنطي، كانت مع نهاية القرن التاسع قبل الميلاد وبداية القرن الثامن قبل الميلاد.

وبذلك يمكن تفسير الاعداد الكثيرة من هذه الصحون التي تم اكتشافها بالمراكز الفينيقية الموجودة على طول الساحل الجنوبي لإسبانيا[185] خلال السبعينات والثمانينات من القرن العشرين. وقد أفضت الدراسة الحديثة لهذه الصحون الى نتائج كرونولوجية هامة، بفضل أعمال عالم الآثار الالماني "هيرمانفريد شوبارت" (H.Schubart)، الذي أنجز كرونولوجية تطورية لها تبعا لعرض حاشية الصحن[186] فقد استطاع أن يبرهن أنه كلما كان الصحن قديما كلما كانت حاشيته رقيقة ؛ وأن هذه الحاشية تبدأ في الاتساع تدريجيا ابتداء من 16 مم، الى أن تبلغ 80 مم خلال القرن السادس قبل الميلاد. وقد تم الاعتماد في هذا التصنيف على قاعدة كرونولوجية، استنادا الى الحفائر التي أجراها "شوبارت" في مركز "إيل مورّو دي ميسكيتيا" (El Morro de Mezquitilla)، نظرا لإعتباره لحد الساعة أقدم مركز فينيقي بإسبانيا، إذ يؤرخ بنهاية النصف الاول من القرن الثامن قبل الميلاد[187]. وانطلاقا من هذه الكرونولوجية، تم تحديد مراحل الاستقرار الفينيقي في المراكز الفينيقية الاخرى التي تم اكتشافها بإسبانيا، والتي أفرزت بدورها صحونا شبيهة بنماذج مركز "إيل مورّو دي ميسكيتيا".

اعتمادا على هذه المعطيات، قام محمد حبيبي بدراسة مرفلوجية وكرونولوجية مقارنة للصحون ذات البرنيق الاحمر المكتشفة بليكسوس، لمعرفة هل تنتمي الى نفس الحقبة أم لا. وقد توجت هذه الدراسة بوضع تصنيف حسب الشكل لجميع الصحون ذات البرنيق الاحمر الفينيقي التي تم جمعها خلال حفائر ليكسوس، والموجودة حاليا في المتحف الاثري بتطوان[188] (انظر لوحة XLII). ومن خلال هذا التصنيف توصل الباحث المغربي الى إثبات أن صحون ليكسوس كانت من نفس نوع نماذج إسبانيا. بل أكد أن بداية تطور

---

(183) Lopez Pardo(F), Reflexiones sobre el origen de Lixus y su Delubrum Herculis en el contexto de la empresa comercial …, op. cit, p. 89.

(184) Bikai(P.M), The Pottery of Tyre, op. cit, pl. 38, p. 21.

(185) Maass-Lindemann (G), Vasos fenicios de los siglos VIII-VI en España. Su procedencia y posición dentro del mundo fenicio occidental, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, op. cit, p. 231-232.

(186) Schubart(H), Westphönizische Teller, dans, **RSF** 4, 1976, p. 197 ss.

(187) Schubart(H), Westphönizische Teller, op. cit, p. 78 ; Idem, Excavaciones en El Morro de Mezquitilla, 1976, dans **Ampurias 38-40**, Barcelona, 1976-1978, p. 559-566 ; Idem, Morro de Mezquitilla. Informe preliminar sobre la campaña de excavaciones de 1981 en El Morro de Mezquitilla cerca de la desembocadura del río Algarrobo, **Noticiario arqueológico Hispánico**, n° 19, 1984, p. 87-101 ; Idem, Ibid, El Asentamiento fenicio del s. VIII a. C. en El Morro de Mezquitilla (Algarrobo, Malaga), dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, op. cit, p. 59-83.

(188) Habibi(M), La céramique à engobe rouge phénicien de Lixus, op. cit, fig. 2, 3.

حاشيتها حدثت في وقت سابق لهذه النماذج[189]. كما أبرز نفس الباحث أن تطور الحاشية لم يكن يدرك بالعين المجردة في مرحلته الاولى، إذ من الملاحظ أنها كانت تتسع ميليمترا ميليمترا انطلاقا من أضيق حاشية، التي كان عرضها يبلغ 11 مم، الى أن تبلغ 41 مم. وابتداء من هذا السمك، لاحظ أن الصحون تصبح نادرة جدا، حيث لم تمثلها سوى ثلاث عينات تبلغ حواشيها على التوالي 44 مم و48 مم و51 مم (انظر لوحة XLIII). ومن خلال الجدول البياني الوارد في الدراسة التي قامت بها البعثة الاسبانية للمـــواد المكتـــشفة بالمـــستوى الاستراتيغرافي رقم V لاستبار الخروب منذ عام 1992، نلاحظ نفس العلاقة الموجودة بين ضيق الحاشـــية وبين تأريخ هذه الصحون بالقرن الثامن قبل الميلاد[190].

ولعل أن أهم استنتاج نخرج به من خلال ما توصل إليه محمد حبيبي، هو إعـــادة تـــأريخ اســـتبار الخروب على قاعدة مقارنة الخزف الفينيقي المكتشف بليكسوس بالنماذج المشابهة المكتشفة حـــديثا بالـــشرق الفينيقي أو في إسبانيا. وقد مكننا ذلك من اعتبار أن أقدم مواد هذا الاستبار لم تكن مؤرخة بالقرن السابع قبـــل الميلاد، مع كل التحفظات التي أبداها "طراديل" عند اقتراحه لهذا التأريخ[191]، بل كانت أقدم بذلك بحوالي قرن من الزمن. فالصحون ذات البرنيق الاحمر الفينيقي بدأت في الظهور بأقدم الطبقات الاستراتيغرافية لاســـتبار الخروب (رقم 25-26) في حوالي نهاية الربع الثالث من القرن الثامن قبل الميلاد. بعد ذلك بزغت بـــشكل أكثر كثافة الصحون التي تراوح عرض حاشيتها ما بين 20 مم و32 مم، والتي تغطي المرحلة الزمنية الممتدة بين الثلث الثاني من القرن الثامن قبل الميلاد، أي ابتداء من حوالي عام 765 ق.م، الى العقد الاخير من نفس القرن، أي ما بين 710 ق.م و700 ق.م. في حين يلاحظ أنه ابتداء من القرن السابع قبل الميلاد، لم تعد تُمثّل الصحون ذات البرنيق الاحمر سوى بقطعتين اثنتين، يبلغ عرض حاشية الاولى 40 مم، والثانية 44 مم[192].

وهكذا نلاحظ أن معطيات القرن الثامن قبل الميلاد تعتبر حاضرة بشكل جلي فـــي ليكـــسوس، وأن تأريخ "طراديل" للمخلفات الخزفية الفينيقية التي كان يعثر عليها باستمرار في أعمق المستويات الاركيولوجية، بما فيها الصحون ذات البرنيق الاحمر، هي أقدم بكثير مما كان يتصوره. وقد أضحت جل الدراسات الحديثة توافق هذه الكرونولوجية، نذكر منها التصنيف الجديد الذي اقترحته "كيرطا ماس-ليندمان" (Gerta Maass-Lindemann) لهذه الصحون خلال المؤتمر الدولي الرابع حول الدراسات الفينيقية والبونيقية المنعقد بمدينـــة قادس[193].

ومما يؤكد على هذه الكرونولوجيا الجديدة، أن نماذج نفس الصحون التي عثـــر عليهـــا "بونـــسيك" (Ponsich) فيما بعد خلال حفائره في حي المعابد، والتي كان يؤرخها بدوره بالقرن السابع قبل الميلاد[194]، تعتبر هي أيضا أقدم من ذلك. ففي هذا الصدد، يرى الباحث الاسباني "فيرناندو لوبيز بـــاردو" (Fernando

---

(189) Idem, Ibid, p. 150.

(190) Belèn(M), Escacena(J.L.), Rodero(A), López Roa(C), Materiales de época fenicia de las excavaciones de Tarradell conservados en el museo de Tetuán, op. cit, Cuadro 5, p. 90.

(191) يلاحظ على "طراديل" (Tarradell) أنه لم يكن قاطعا في مؤارخة المواد الخزفية المكتشفة في المستوى الاستراتيغرافي رقم V باستبار الخروب، حيث كان يؤرخها على العموم بمرحلة سابقة للقرن الخامس قبل الميلاد. انظر :
Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 149.

(192) Habibi(M), La céramique à engobe rouge phénicien de Lixus, op. cit, p. 153.

(193) Maass-Lindemann(G), Cerámica fenicia en la metrópolis y en las colonias fenicias del siglo VIII según la forma de los platos. **IV congreso internacional de Estudios fenicios y púnicos, t. IV, Cádiz, 2000**, p. 1595.

(194) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 65, et 105 et p. 131-132.

(Lopez Pardo)[195] أن الصحون التي عثر عليها "بونسيك" في ردم خزان معبد F، والتي كانت تتميـز حسب مكتشفها بحاشية ضيقة[196] (انظر لوحة XL-XXXIX -XXXVI-XXXV)، كانت مطابقة لاقدم النماذج المكتشفة في المقبرة الطرطيسية "لاخويا" (La Joya) وفي "كابيسو دي سان بيـدرو" (Cabezo de san Pedro) بمدينة "ولبة" (Huelva). كما كانت مشابهة أيضا للصحون التي تم العثور عليها في "كاستييو دي دونيا بلانكا" (Castillo de Doña Blanca) في ناحية قـادس، وللـصنف رقـم I بمركـز "لـوس طوسكانوس" (LosToscanos). وقد تم تأريخ هذه الصحون جميعها بمرحلـة سـابقة لـسنة 700 قبـل الميلاد[197]. كما يمكن الخروج بنفس الاستنتاج استنادا للحفائر التي قامت بها البعثـة المغربيـة-الاسـبانية بليكسوس ابتداء من عام 1995، سواء في استبار الخروب أو استبار الزيتونة[198]، واستنادا كـذلك للقـراءة الجديدة لكسرات هذه الصحون المحفوظة في المتحف الاركيولوجي بتطوان[199].

III ــ الـقـناديل :

1) المميزات المرفـلوجية :

تمثل القناديل الفينيقية أكثر النماذج تمييزا وأوسعها إنتشارا ضمن المنتوج الخزفي الذي قام الفينيقيـون بتوزيعه على العالم المتوسطي خلال توسعهم التجاري[200]. و هي عبارة عن صحون صغيرة مقعـرة[201] يتراوح متوسط قطرها ما بين 12 و14 سنتمتر بالنسبة لنماذج القرنين السابع والسادس قبل الميلاد، وما بـين 14 و16 سنتمتر بالنسبة لنماذج القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد[202]. وقد قام الفخار قبل شواء هذه القناديل، بقلب حاشيتها بواسطة إبهام يده من جهتين لتكوين مشعل واحد، أو من ثـلاث جهـات لتكـوين مـشعلين اثنين[203]. ومن تم عرفت بالقناديل ذات المشعل الواحد، أو ذات المشعلين[204].

وتتميز القناديل الفينيقية[205] بشفة رقيقة مقارنة بالصحون، وذلك لتمكن الفخار من قولبـة المـشاعل بشكل أسهل[206]. كما يمكن تشبيه شكل القناديل ذات المشعلين ببعض أنواع المحار، خصوصا تلـك التـي

---

(195) Lopez Pardo(F), Reflexiones sobre el origen de Lixus y su Delubrum Herculis en el contexto de la empresa comercial ..., op. cit, p. 89.

(196) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 70.

(197) Schubart(H), Westphönizische Teller, op. cit, pl. 28, 32, 33 ; Ruiz Mata(D), Las ceramicas fenicias del Castillo de Doña Blanca, op. cit, 245-247 y 250.

(198) **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4**, 2001, op.cit.

(199) Belén(M), Escacena(J.L), López Roa(C), Rodero(A), Fenicios en el Atlántico. Excavaciones españolas en Lixus : Los conjuntos "C. Montalbán" y "cata basílica", op. cit ; Belèn(M), Escacena(J.L.), Rodero(A), López Roa(C), Materiales de época fenicia de las excavaciones de Tarradell conservados en el museo de Tetuán, op. cit.

(200) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 93.

(201) تختلف قيعان القناديل الفينيقية ذات البرنيق الاحمر عن قيعان الصحون والكؤوس، بكونها لم تكن مستوية.

(202) Cintas(P), Manuel d'Archéologie punique, T. II, op. cit, p. 314.

(203) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 96.

(204) بل تميزت بعض هذه القناديل بتوفرها على سبعة مشاعل، كما يتبين من خلال قنديل يؤرخ بالقرن الثامن ق.م تم اكتشافه في مركز "أوتيكا" الفينيقي بتونس. انظر :

Moscati(S), L'épopée des Phéniciens, op. cit, p. 235.

(205) يعتبر عالم الآثار الفرنسي "بول كوكلير" من الباحثين الاوائل الذين قاموا بدراسة مستفيضة لهذه القناديل بعد العثور عليها بأعداد كثيرة في مدافن قرطاجة. انظر :

تعرف باسم "محار سان جاك" (coquille de st -Jacques) التي يتراوح قطرها ما بين 10 سنتم و15 سنتم، مما يجعلنا نعتقد أن شعبا بحارا مثل الفينيقيين قد استعمل في البداية هذا النوع من المحار كقناديل.

أما جهة القنديل التي طليت بالبرنيق الاحمر، فالملاحظ أنها على العموم كانت تهم الآنية كلها، عكس ما كان عليه الحال بالنسبة للصحون، التي لم يكن البرنيق يشمل قيعانها[207]. ومع ذلك فقد تم الكشف في العديد من الحالات عن قناديل خالية من أي برنيق.

وفيما يتعلق باستعمالات القناديل الفينيقية ذات البرنيق الاحمر، فالغالب على الظن أنها كانت تصلح كمصدر ضوء أو طاقة، منبعهما فتيلة توضع في المشعل أو المشعلين. ومما يرجح ذلك أن جميع المشاعل المكتشفة، علاوة على الطيات التي تفصل المشعلين، كانت بها علامات سوداء، مصدرها احتراق الفتيلة. فهل هذا يعني أن هذه القناديل كانت تستخدم للانارة، سواء كانت إنارة يومية أو طقسية[208]؟ هل كانت تعتبر من اللوازم الجنائزية العادية التي توضع في القبور، كما يعتقد "جورج كونتنو" (G.Contenau)[209]؟ هل كانت من الادوات الطقسية التي كانت تستخدم في المعابد[210]؟ أم أنها كانت تستخدم كمصدر طاقة، كما يرى "بيير سانتاس" (P.Cintas)، نظرا لوجود هذه القناديل باستمرار مصاحبة للصحون[211]؟ وفي هذه الحالة، ونظرا للعثور في الشرق الفينيقي على بعض القدور المثقوبة بفتحة واسعة عند قاعدتها، يرجح نفس المؤلف[212] أن هذه القدور كانت تمثل نوعا من الكوانين التي توضع تحتها مشاعل القناديل، بغية تدفئة الاطعمة التي تحويها الاواني التي توضع فوق هذه القدور. وبذلك يصبح مصدر الحرارة الصادر عن القناديل، والذي تستفيد منه تلك الكوانين، محفوظا من فعل التيارات الهوائية التي قد تؤدي الى إطفاء النار. كما يصبح المطبخ الفينيقي غير متوقف على إشعال النار كلما دعت الضرورة لتسخين أطعمته. ولعل أن هذا الطرح يفسر لماذا كانت القناديل الفينيقية كبيرة الحجم[213].

غير أن "أندري جودان" (A.Jodin)، اعتقادا منه بأن هذه القناديل إنما تمثل أدوات طقسية مثل المبخرات الفينيقية، يرى أنها كانت تستعمل كنذور تقرب للآلهة في المعابد، وليس كمصدر طاقة أو نور، نظرا لضعف الطاقة الحرارية التي كانت تنبع منها. وكيفما كان الحال، فإن هذه القناديل، خصوصا ذات

Gauckler(P), Nécropoles puniques de Carthage, t. I, pl. CCXXXVI, "Histoire de la lampe".

(206) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 96.

(207) Idem, Ibid, p. 99.

(208) من خلال بعض آيات التوراة، نفهم المكانة التي حظي بها القنديل أو "السراج" كإناء طقسي لدى الساميين. من هذه الآيات، نذكر ما ورد في الاصحاح الحادي والعشرين من سفر صموئيل الثاني (الآية 17) : « ***حينئذ حلف رجال داوود قائلين لا تخرج أيضا معنا الى الحرب ولا تطفئ سراج إسرائيل*** ».

(209) Contenau(G), La civilisation phénicienne, Paris, Payot, 1926, p. 272.

(210) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 106.

(211) Cintas(P), Manuel d'Archéologie punique, T. II, p. 310.

(212) Idem, Ibid, p. 316, fig. 46.

(213) هناك قاعدة ثابتة تلاحظ في شأن القناديل الفينيقية ذات المشعلين، وهي أنها كلما كانت أحجامها كبيرة كلما كانت تعود الى عهود قديمة. انظر:

Pellicer Catalan(M), Excavaciones en la necropolis punica "Laurita" del Cerro de San Cristobal (Almuñécar, Granada), op. cit, p. 59 ; Cintas(P), Céramique punique, op. cit, p. 522.

المشعلين منها، تعد من المنتوجات المميزة للعصر الفينيقي المؤرخة بالقرنين السابع والسادس قبل الميلاد، مما يجعلنا نعتقد أن استعمالاتها كانت متنوعة ووظائفها مختلفة[214].

2) التوزيع في الحوض المتوسطي :

بفضل التنقيبات الاركيولوجية التي شملت المحطة الفينيقية بجزيرة الصويرة، تم العثور على ثلاث مائة قنديل منكسر من نوع القناديل ذات المشعلين، تؤرخ كلها خلال القرنين السابع والسادس قبل الميلاد، وتعتبر من أكثر العينات وفرة في الحوض المتوسطي[215]. كما عرفتها المقابر القديمة لقرطاجة المؤرخة بنفس المرحلة[216]، والتي اكتشفها كل من "بول كوكلير" (P.Gauckler) في حي "درميش" (Dermech)[217]، و"ديلاتر" (Delattre) في مقبرتي "دويميس" (Douïmès)[218] و"سان لويس" (St-Louis)[219]. وفي تونس تم العثور عليها كذلك في مركز "أوتيكا"[220]. كما عثر عليها "فييمو" (Vuillemot) في مقبرة جزيرة "راشكون"[221]، وفي مركز "مرسى مداخ" بالجزائر، حيث لقي قنديلا ذا مشعل واحد مطليا ببرنيق أحمر بجزئه العلوي[222].

وعرفت إسبانيا بدورها أعدادا كثيرة من القناديل الفينيقية، سواء في المراكز المحلية التي عقدت علاقات تجارية مع الفينيقيين، أو في المستوطنات الفينيقية بساحل "كوسطا ديل صول" (Costa del Sol). وهكذا تم العثور عليها مثلا في كل من "هيريرياس" (Herrerias) و"فيياريكوس" (Villaricos)[223] وفي "كرمونة" (Carmona) بمقبرة "كروز ديل نيكرو" (Cruz del Negro)[224]. كما اكتشفت في مقبرة "ألمونييكار" (Almuñécar) الفينيقية[225]، ومقبرة "طرايامار" (Trayamar)، وفي مركز "شوريّراس" (Chorrearas)[226] بناحية مالقة، ومركز "لوس طوسكانوس" (LosToscanos)[227]. علاوة على إسبانيا،

---

(214) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 70 ; Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 106.

(215) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 93 ; Idem, Note préliminaire sur l'établissement pré-romain de Mogador, op. cit, p. 31 ; Cintas(P), Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc, op. cit, p. 51.

(216) يؤرخ "بيير سانتاس" (P. Cintas) بدوره هذه القناديل بالقرنين السابع والسادس قبل الميلاد. انظر :
Cintas(P), Céramique punique, op. cit, p. 175 etp. 523 et ss.

(217) Gauckler(P), Nécropoles puniques de Carthage, t. I, pl. CXXXI et CLXXXII.

(218) Delattre(R.P), La nécropole punique de Douïmès, fouilles de 1985-1896, fig. 21.

(219) Delattre(R.P), Musée Lavigerie de St Louis de Carthage, p. 67, pl. XXXIV, n° 1.

(220) Cintas(P), Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc, op. cit, p. 49.

(221) Vuillemot(G), La nécropole punique du Phare de l'île de Rachgoun, op. cit, p. 22-23.

(222) Vuillemot(G), Fouilles puniques à Mersa Madakh, **Libyca II**, 1954, p. 325.

(223) Siret(L), Villaricos y Herrerias, Antigüedades púnicas, Visigodos y árabes, Madrid, 1908 ; Astruc(M), La necrópolis de Villaricos, Informe y Memorias, n° 25, Madrid, 1951.

(224) Bonsor(G), Les colonies agricoles préromaines de la vallée du Bétis, **Revue Archéologique**, t. XXXV, 1899, p. 83.

(225) Pellicer Catalan(M), Excavaciones en la necropolis punica "Laurita" del Cerro de San Cristobal (Almuñécar, Granada), op. cit, p. 14, fig. 7-2, pl. XVII-2 ; p. 22-24, fig. 22-5, pl. XVII-1.

(226) Maass-Lindemann (G), Vasos fenicios de los siglos VIII-VI en España. Su procedencia y posición dentro del mundo fenicio occidental, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, t. I, op. cit, pl. 7-8.

(227) Niemeyer(H.G) y Schubart(H), La factoria paleopúnica de Toscanos, **Tartessos, V Symposium de prhistoria peninsular**, (Jerez, 1968), p. 214, fig. 8, a.

كانت القناديل الفينيقية ذات البرنيق الاحمر حاضرة في البرتغال، حيث تم اكتشافها في مقبـرة "ألكاصـير دو صال" (Alcacer-do-Sal)، وكانت من نوع القناديل ذات المشعل الواحـد[228]. وفـي جـزر الحـوض المتوسطي الإوسط، تم اكتشافها في سردينيا بمركز "سولكيس" (Sulcis)[229]، وفي مالطا[230]، وفي موتيا (Motyé)[231].

أما في الشرق الاوسط، فقد أشار الى وجودها عالم الآثار الفرنسي "جورج كونتنو" (G.Contenau) منذ عام 1914، بعد اكتشاف أعداد وافرة من القناديل الفينيقية في الطبقة الاركيولوجية الفوقية، إبان الحفـائر التي أجراها في مدينة صيدا[232]. وتم العثور عليها كذلك في مركز "أقزيب" الفينيقي في مستوى أركيولوجي يؤرخ بنهاية القرن الثامن قبل الميلاد[233]. كما كانت حفائر "بيكاي" (P.M..Bikai) في صور[234] حاسـمة في التأكيد على الاصل الفينيقي الشرقي لهذه القناديل[235]، بعد اكتشافه فـي الطبقـة الاركيولوجيـة III-II المؤرخة ما بين 740 ق.م و 700 ق.م، على نوع القناديل ذات المشعل الواحد[236]. علاوة على السـاحل الفينيقي، تم الكشف على أعداد غزيرة من نفس المنتوج الخزفي في جزيرة قبرص، ضمن سياق أركيولوجي يؤرخ عموما خلال القرن السابع قبل الميلاد[237].

3) نماذج ليـكسوس :

عندما عثر "فييمو" (Vuillemot) على كسرات من القناديل الفينيقية ذات البرنيق الاحمر في جزيرة "راشكون"، أورد في شأنها ما يلي:« ***إنه لمن المستحيل تشكيل قنديل كامل، ومن المستحيل كذلك معرفة هل كانت هذه القناديل ذات مشعل واحد أو ذات مشعلين أو أكثر*** »[238]. من خلال هذه الاشارة، تبدو الصعوبة الاولى التي تعترينا عند دراسة نفس الكسرات التي عثر عليها كل من "ميكيل طراديل" و"ميشيل بونسيك" في ليكسوس. ومع ذلك، ومن خلال تقارير الحفائر التي أنجزها الباحثان، يتبين أن ليكسوس عرفت النوعين معا.

---

(228) Costa Arthur(Ma), Necrópolis de Alcacer-do-Sal, **II Congreso Nacional de Arqueología**, Madrid, 1951 (Zaragoza, 1952), p. 377, pl. LVI, fig. 6 a.

(229) Pesce(G), Sardegna punica, Cagliari, 1961, fig. 126.

(230) Harden(D), The Phoenicians on the West Coast of Africa, **Antiquity, XXII**, 1948, fig. 113 b.

(231) Pugliese(B), Mozia I, Roma, 1964, p. 79, pl. LVIII.

(232) Contenau(G), Mission archéologique à Sidon (1914), op. cit, p. 120-121, fig. 27 ; p. 211, fig. 75.

(233) Culican(W), The first Merchant venturers : The Ancient Levant in History and Commerce, London, 1966, p. 101, fig. 111.

(234) Bikai(P.M), The Pottery of Tyre, op. cit ; ap. Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 298.

(235) وكان "بيير سانتس" (P. Cintas) يعتبر دائما القناديل ذات المشعلين من إنتاج قرطاجي. انظر :
Cintas(P), Manuel d'Archéologie punique, T. II, p. 310-311.

(236) ترى عالمة الآثار الالمانية "كيرطا ماس-ليندمان" (Gerta Maass-Lindemann) أن القناديل الفينيقية المكتشفة في الشرق كانت على العموم ذات المشعل الواحد. انظر :
Maass-Lindemann (G), Vasos fenicios de los siglos VIII-VI en España. Su procedencia y posición dentro del mundo fenicio occidental, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, t. I, op. cit, p. 232 ; Amiran(R), Ancient pottery of the Holy Land, op. cit, pl. 100.

(237) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 106.

(238) Vuillemot(G), La nécropole punique du Phare de l'île de Rachgoun, op. cit, p. 22-23.

أ- القناديل ذات المشعل الواحد :

بعد التذكير بأن قرطاجة لم تخلف سوى نموذجا واحدا من القناديل ذات المشعل الواحد، الذي تم اكتشافه في أقدم مستوى باستبار "سلامبو" (Salambo)، يشير "طراديل"[239] الى أن ليكسوس عرفت بدورها القنديل ذا المشعل الواحد. غير أنه يعاب على عالم الآثار الاسباني أنه لم يحدد مكان الاكتشاف[240]، ولم يقدم أية صورة ولا أي رسم لهذا المعثور، من شأنهما إفادتنا في أخذ فكرة عن أحجام الاناء. كما أنه لم يوضح هل تعلق الامر بإناء كامل أم بكسرات متناثرة، أو بمجموعة من القناديل تنتمي الى نفس الصنف. وتكمن أهمية ذلك في كون القناديل ذات المشعل الواحد تؤرخ عموما بالقرن الثامن قبل الميلاد، كما هو الشأن مثلا بالنسبة للنماذج التي تم اكتشافها في أقزيب وصور بفينيقيا، وفي قرطاجة[241] وأوتيكا ومرسى مداخ، وفي "ألكاصير دو صال" (Alcacer do Sal)، وفي إسبانيا بمركز "كاستيبيو دي دونيا بلانكا" (Castillo de Doña Blanca)[242].

هذا الارتياب الذي يلاحظ على طراديل عند تعرضه للعديد من المكتشفات الفينيقية بليكسوس[243]، نجده يتكرر في مجال آخر، عندما ذكر أن القناديل التي اكتشفها بليكسوس، والتي مثلت إحدى الاصناف المميزة للخزف ذي البرنيق الاحمر، كانت ذات المشعلين، وربما ذات المشعل الواحد[244].

ب- القناديل ذات المشعلين :

من المعلوم أن القناديل ذات المشعلين تعد من الناحية الكرونولوجية أحدث من النوع الاول، حيث تم ترويجها من طرف التجار الفينيقيين في جل البقاع التي ولجوها بالحوض المتوسطي خلال القرن السابع قبل الميلاد والنصف الاول من القرن السادس قبل الميلاد[245]. هذا الاختلاف بين النموذجين، يتجلى بوضوح في مركز "كاستيبيو دي دونيا بلانكا" (Castillo de Doña Blanca) بإسبانيا، حيث لاحظ "دييكو رويز ماطا" (Diego Ruiz Mata) أن القناديل المصاحبة للمعثورات الخزفية الفينيقية المؤرخة بالقرن السابع قبل الميلاد،

---

(239) ويذكر "طراديل" بأن القناديل ذات المشعل الواحد تم العثور عليها كذلك في الجزائر بمركز "مرسى مداخ" وفي "ليزاندالوز" (Les Andalouses) بناحية وهران، وفي "كرمونة" (Carmona) بإسبانيا،وفي "ألكاصير دو صال" (Alcacer do Sal) بالبرتغال. انظر :

Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 229-230.

(240) يورد محمد حبيبي في مقالته حول الخزف ذي البرنيق الاحمر بليكسوس، أن استبار الخروب عرف نوع القناديل ذات المشعل الواحد أو ذات المشعلين. غير أن عدم إحالته على مصدر هذه المعلومة، تجعلنا لانعلم هل مورد الخبر كان من إحدى منشورات "طراديل" -الامر الذي نشك فيه لانعدام أي مصدر يؤكد على ذلك-، أم كان ذلك بفضل تعرفه على هذا المنتوج من خلال معروضات المتحف الاركيولوجي بتطوان. انظر :

Habibi(M), La céramique à engobe rouge phénicien de Lixus, op. cit, p. 145.

(241) يجدر التذكير بأن النموذج الوحيد من القناديل ذات المشعل الواحد الذي عرفته قرطاجة في أقدم مستوى استراتيغرافي بمعبد "سلامبو" (Salambo)، كان حاضرا في صور بعينات كثيرة تم اكتشافها بالطبقة الاركيولوجية رقم III-II المؤرخة بين 740 ق.م و700 ق.م. انظر:

Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 298.

(242) Ruiz Mata(D), Las ceramicas fenicias del Castillo de Doña Blanca, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, op. cit, p. 250.

(243) ومرد هذا الارتياب ندرة المقارنات الكافية، ومحدودية الدراسات والابحاث الاركيولوجية في مجال الفينيقيات خلال عصر "طراديل".

(244) كان يصعب مرارا على "طراديل" التمييز بين هذين النوعين، نظرا للحالة المهشمة التي كانت عليها معظم الكسرات الخزفية الفينيقية.

(245) إنها المؤارخة التي تبينها بشكل واضح الطبقة الاستراتيغرافية الفينيقية بجزيرة الصويرة، التي أفرزت أحسن النماذج حول القناديل ذات المشعلين، وأكثرها وفرة، حيث تم الكشف عن حوالي 300 قطعة منكسرة، دون أن يتم العثور على أي نموذج من القناديل ذات المشعل الواحد، الاكثر قدما. انظر :

Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 93-106.

كانت كلها قناديل ذات مشعلين[246]. وكان عالم الآثار الاسباني قد اكتشف في نفس المركز على قناديل ذات المشعل الواحد ضمن الخزف المؤرخ بالقرن الثامن قبل الميلاد[247].

وإذا كان الكشف عن القناديل الفينيقية ذات المشعل الواحد بليكسوس يشوبها بعض الغموض، فإن النوع الثاني من هذه القناديل كان حاضرا بشكل أوضح وأوفر. فقد عرفها استبار الخروب حسب محمد حبيبي[248] و"ميشيل بونسيك"[249]، وحسب الرسوم المنشورة حول المواد المحفوظة في المتحف الاركيولوجي بتطوان[250]. كما أورد "ميكيل طراديل" بأنه اكتشف في استبار رقم 10، على "***جزء صغير من قنديل فينيقي من نوع القناديل المعروفة بذات المشعلين***"[251]. وبفضل الدراسة التي قامت بها "ماريا بيلين وآخرون" للمواد التي اكتشفها "طراديل" في استبار "قطاع المنازل ما قبل الرومانية"، يمكن إضافة قطعة مشعل تنتمي الى نفس الانواع التي نحن بصددها[252] (انظر لوحة XXVIII رقم 102).

كما كانت القناديل ذات المشعلين حاضرة كذلك في جل الحفائر التي أجراها "ميشيل بونسيك" في حي المعابد، معوضة بذلك الشح الذي تميزت به نتائج تنقيبات "طراديل" في هذا الباب[253]. فقد عرفتها الاستبارات المنجزة في مبنى A، خصوصا الاستبار الذي يحمل رقم 8، حيث ذكر "ميشيل بونسيك" أنه عثر على عدة كسرات من هذه القناديل[254]. كما لقيها في ردم خزان معبد F، حيث أرخها بالقرنين السابع والسادس قبل الميلاد، بناء على مثيلاتها المكتشفة في العديد من البقاع المتوسطية[255] (انظر لوحة XXXV). واكتشف عدة كسرات منها في حنية معبد H بالمستوى الاستراتيغرافي رقم V الموجود مباشرة فوق الصخر الام، والمؤرخ بالقرن السابع قبل الميلاد وبداية القرن السادس قبل الميلاد[256]. (انظر لوحة XXXII).

ومن خلال سجل الصناديق الموجودة في مستودعات متحف القصبة بطنجة المشتملة على المعثورات المكتشفة في حي المعابد، يورد محمد حبيبي[257] أن "بونسيك" أشار ضمن اللائحة التي أورد فيها المواد

---

(246) Ruiz Mata(D), Las ceramicas fenicias del Castillo de Doña Blanca, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, op. cit, fig. 3, n° 7-8.

(247) Idem, Ibid, p. 257, fig. 7, n° 9-10.

(248) Habibi(M), La céramique à engobe rouge phénicien de Lixus, op. cit, p. 145.

(249) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 32.

غير أنه يلاحظ على "ميشيل بونسيك" (M. Ponsich) أن إحالته على "طراديل" (M. Tarradell) في هامش رقم 6 من مؤلفه، تعتبر إحالة خاطئة. ذلك أن صفحة رقم 19 من كتاب "المغرب البونيقي" (Marruecos púnico) لا تتضمن ما يشير الى القناديل ذات المشعلين، ولا الى استبار الخروب. وظنا مني بأن الامر يعزى الى خطئ مطبعي، عمدت على البحث عن هذه المعلومة، أو ما يشير الى أن استبار الخروب عرف هذه القناديل في مؤلف "طراديل" برمته، لكنني لم أعثر على أي أثر عن ذلك.

(250) Belèn(M), Escacena(J.L.), Rodero(A), López Roa(C), Materiales de época fenicia de las excavaciones de Tarradell conservados en el museo de Tetuán, op. cit, fig. 5, 7, 11, 13, 14.

(251) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 153.

(252) Belén(M), Escacena(J.L), López Roa(C), Rodero(A), Fenicios en el Atlántico. Excavaciones españolas en Lixus : Los conjuntos "C. Montalbán" y "cata basílica", op. cit, p. 352, fig. 8 n° 102.

(253) لا نعلم هل "مشعل القنديل البونيقي" الذي عثر عليه "بونسيك" (M. Ponsich) في الطبقة الاركيولوجية رقم 3 من الاستبار رقم 2 الذي أجراه في مبنى حرف B، يرجع الى نوع القناديل ذات المشعلين أو ذات المشعل الواحد. انظر : Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 37

(254) Idem, Ibid, p. 32.

(255) Idem, Ibid, p. 66-70, pl. XXIV, p. 68.

(256) Idem, Ibid, p. 105, pl. XXXVI, p. 104.

(257) Habibi(M), A propos du temple H et du temple de Melkart-Héraclès à Lixus, op. cit, p. 235.

المكتشفة خلال الاستبار المنجز في حنية معبد H، الى اكتشافه لمشعل قنديل وقعره من نـوع القناديـل ذات المشعلين التي تنتمي الى صنف الخزف ذي البرنيق الاحمر الفينيقي. وكان المشعل يحتفظ بآثار الاحتراق على شكل بقع سوداء اللون[258]. كما أورد نفس المؤلف أن "بونسيك" أشار كذلك ضمن نفس اللائحة، الى اكتشافه لثلاثة قطع من بطون ثلاثة قناديل ذات البرنيق الاحمر الفينيقي[259].

ومؤخرا استطاعت البعثة المغربية-الاسبانية التي قامت بحفائر جديدة في اسـتبار الخـروب سـنة 1999، أن تفرز حضور هذه القناديل في ذات الاستبار، لكن بنسبة قليلة لم تكن تتعدى 2% مـن مجمـوع الاواني المنتمية للخزف الفينيقي ذي البرنيق الاحمر[260].

وبالرغم من قلة الكسرات المكتشفة لحد الساعة في ليكسوس، وانعدام وجود أي نموذج كامل للقناديل ذات المشعلين، فهذا لايعني أن المكتشفات المستقبلية سوف لن تكشف عن أعداد أخرى من هـذا الـصنف الخزفي. ومما يرجح ذلك أن "بونسيك" عثر في ردم خزان معبد F على قنديلين كاملين مقلدين للنماذج الفينيقية ذات المشعلين[261]، مما يدل على أن التقليد إنما نتج عن الحضور الكثيف للاصناف الاصلية لمدة طويلة بين سكان ليكسوس (انظر لوحة XLIV).

وفيما يلي جدولا مفصلا حول القناديل الفينيقية ذات البرنيق الاحمر المكتشفة بليكسوس :

الجزء المكتشف	مكان الاكتشاف	المكتشف	العـدد	التاريخ
ذات المشعل الواحد (الجزء غير محدد)	ربما استبار الخروب	طراديل	؟	ربما القرن الثامن ق.م
ذات المشعلين	استبار الخروب	طراديل	؟	؟
قطعة صغيرة من ذات المشعلين	استبار رقم 10	طراديل	1	ربما القرن السابع ق.م
قطعة مشعل تنتمي الى ذات المشعلين	استبار قطاع المنازل	طراديل	1	؟
؟	استبار الخروب 2	بعثة 1999	؟	؟
عدة كسرات من ذات المشعلين	مبنى A	بونسيك	1 +	ربما القرن السابع ق.م
ذات المشعلين (الجزء غير محدد)	خزان معبد F (لوحة)	بونسيك	؟	القرن السابع ق.م
عدة كسرات من ذات المشعلين	حنية معبد H (لوحتان)	بونسيك	1 +	السابع وبداية السادس
مشعل قنديل وقعره من ذات المشعلين	حنية معبد H	بونسيك	1	؟
قطع من بطون	حنية معبد H	بونسيك	3	؟

(258) Habibi(M), A propos du temple H et du temple de Melkart-Héraclès à Lixus, op. cit, p. 237.

(259) رغم أن "ميشيل بونسيك" (M. Ponsich) لم يشر بالحرف الى أن هذه القناديل كانت ذات المشعلين، فمما لاشك فيه أن الاحالة على انتمائها الى صنف الخزف الفينيقي ذي البرنيق الاحمر، يجعلنا شبه متيقنين أنها من نفس الانواع السالفة الذكر. ويمكن ترجيح ذلك استنادا لكون القناديل ذات المشعلين وذات المشعل الواحد كانت على العموم مطلية بالبرنيق الاحمر.

(260) Alvarez(N), Gómez Bellard(C), Habibi(M), De Madaria(J.L), La ocupación fenicia, op. cit, p. 73, fig. 2, p. 74.

(261) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, pl. XXVI, p. 77.

IV ـ الجفنات :

الى جانب الاباريق ذات القرص والصحون والقناديل ذات المشعلين، عرفت ليكسوس نماذج أخرى من صنف الخزف الفينيقي ذي البرنيق الاحمر، جمعناها تحت اسم الجفنات. لكن بقدر ما كانت أعداد هذه النماذج وافرة، بقدر ما كانت تعتريها صعوبات جمة فيما يتعلق بمميزاتها المرفلوجية ومقارنتها وتصنيفها. وإذا كانت المعلومات التي قدمها "ميكيل طراديل"حول هذه النماذج تعد نادرة، بسبب الوضعية المهشمة التي كانت عليها معظم الاواني الخزفية التي كان يعثر عليها، فإنه مع ذلك استطاع أن يبرز حسب قوله أن أغلبية القطع المنكسرة تعود الى صحون وجفنات و"باطيرات" (Patères)[262]. وبالفعل فقد أثبتت الدراسة التي قامت بها البعثة الاسبانية للمواد المحفوظة في المتحف الإركيولوجي بتطوان، أن هذه الجفنات كانت حاضرة بشكل وافر ضمن مكتشفات "ميكيل طراديل" في ليكسوس[263].

ويعود الفضل كذلك الى "ميشيل بونسيك" الذي مكننا بشكل أو بآخر[264] من التعرف على هذه الانواع. وانطلاقا من ذلك، حاولنا من خلال المقارنات التي استقيناها من القطع المشابهة التي عرفتها بعض المراكز الفينيقية، خصوصا من إسبانيا ومن جزيرة الصويرة، أن نقوم بدراستها وتصنيفها.

1) المميزات المرفلوجية :

هي نوع من الكؤوس الواسعة الشبيهة بالصحون والقليلة العمق. منها الكبيرة الحجم التي يتراوح قطرها ما بين 12 سنتمتر و28 سنتمتر[265]، ومنها الصغيرة الحجم، التي يبلغ متوسط عرض قطرها من خلال النماذج المكتشفة بجزيرة الصويرة، ما بين 12 سنتمتر و20 سنتمتر[266]، ويتراوح علوها ما بين 4 سنتمترات و5,3 سنتمترات[267]. وقد عرفت هذه الاواني من طرف علماء الآثار الفرنسيين باسم patère[268] أو jatte[269]، أي الجفنة. أما علماء الآثار الاسبان، فقد أطلقوا عليها عموما كلمة cuenco[270] الى جانب كلمة patera، في حين نجد استعمال كلمة bols بين العلماء الانكلوسكسونيين.

---

(262) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 202.

(263) Belèn(M), Escacena(J.L.), Rodero(A), López Roa(C), Materiales de época fenicia de las excavaciones de Tarradell conservados en el museo de Tetuán, op. cit, p. 91-92.

(264) يلاحظ على "ميشيل بونسيك" أنه لم يقم بأي مجهود لمحاولة تصنيف أو مقارنة هذه الاخزاف. غير أن الرسوم العديدة التي يوفرها مؤلفه "ليكسوس حي المعابد" مكنتنا من تصنيفها وجدولتها، إسوة بما قام به العديد من المؤلفين، أمثال الباحث الاسباني "فيرناندو لوبيز باردو" (Fernando Lopez Pardo)، وخصوصا عالمة الآثار الالمانية "كيرطا ماس-ليندمان" (Gerta Maass-Lindemann). انظر :
Maass-Lindemann(G), A comparison of the phoenician pottery of Lixus with the west phoenician pottery of Spain, op. cit, p. 175-180.

(265) Belèn(M), Escacena(J.L.), Rodero(A), López Roa(C), Materiales de época fenicia de las excavaciones de Tarradell conservados en el museo de Tetuán, op. cit, p. 91.

(266) ومع ذلك تم العثور على بعض النماذج الكبيرة الحجم، نذكر منها نموذجين اكتشفهما عالم الآثار الاسباني "دييكو رويز ماطا" (Diego Ruiz Mata) بمركز "كاستييو دي دونيا بلانكا" (Castillo de Doña Blanca)، حيث بلغ قطر الجفنة الاولى 24,3 سنتمتر والثانية 25 سنتمتر. انظر :
Ruiz Mata(D), Las ceramicas fenicias del Castillo de Doña Blanca, dans **Los Fenicios en la peninsula ...**, op. cit, p. 244, fig. 2 n° 6-7.

(267) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 85-87, fig. 17, pl. XXIII-XXIV.

(268) الشهابي (يحيى)، معجم المصطلحات الأثرية، المرجع السابق، ص. 276. واظر أيضا :
Patère, Bibliorom Larousse électronique, version 1.0, 1996.

(269) تترجم عموما هذه الكلمة بالجفنة أو القصعة. ويقصد بها حسب المعاجم الفرنسية نوعا من الكؤوس المستديرة والقليلة العمق التي تنعدم منها الحاشية. انظر :

وتتميز هذه الاواني، التي آثرنا أن نطلق عليها اسم الجفنات، بأشكال متنوعة، حيث كان بعضها يتوفر على شفة مستقيمة وتنعدم منها الجوانب (Patères à bord droit)[271]، بينما كان البعض الآخر يتوفر على حاشية قاربية الشكل ذات الجوانب المقوسة بعض الشيء والشفة المثنية (Patères carénées à bord ourlé)[272]. أما قاعدتها، فهي مثل الصحون تعرف بعض التقعر، بتجويف يتراوح ما بين 1 ملمتر و 2 ملمتر[273].

وكان "أندري جودان" (A. Jodin)، الذي كتب له أن يكتشف خمسين جفنة مهشمة في جزيرة الصويرة[274]، يعتقد أن هذا النوع من الخزف يعرف ندرة في المراكز الفينيقية[275]. غير أن نتائج الحفريات التي حدثت بعد الستينيات من القرن العشرين، أثبتت أن هذا المنتوج كان يعرف حضورا هاما في جل الجهات التي شملتها التجارة الفينيقية، سواء في الشرق أو في الغرب. كما أكدت الابحاث الجارية أن هذا الصنف يعتبر من أهم الانواع الخزفية ذات البرنيق الاحمر، وأنه عرف انتشارا واسعا خلال القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد، وأنه ينقسم الى عدة أشكال مختلفة.

2) التوزيع ومحاولة التصنيف :

تعد الدراسات التي أنجزها الباحثون الالمان والاسبان من أهم الابحاث المنجزة حول الجفنات، بعد العثور عليها بشكل وافر في إسبانيا. فقد اكتشفها "هيرمانفريد شوبارت" (H. Schubart) في مركز "إيل مورّو دي ميسكيتيا" (El Morro de Mezquitilla) الفينيقي[276]، حيث عثر في المستوى الاركيولوجي المؤرخ بالقرن الثامن قبل الميلاد على جفنتين من النوع القاربي الشكل[277]، تصنفان ضمن المجموعة المتميزة بالحاشية المتورمة نحو الخارج والمطولة بعض الشيء (انظر لوحة XLV [I رقم 1-2])[278]. كما تم العثور بنفس الطبقة الاركيولوجية على جفنة واحدة تتميز بحاشية مقلوبة نحو الداخل ومتورمة بعض الشيء، وبقعر مميّز عن البطن (انظر لوحة XLV [I رقم 3]). وفي الجهة العليا من مدينة "المونييكار" (Almuñécar)، عثر عالم الآثار الاسباني "مولينا فاخاردو" (F. Molina Fajardo) تحت

Jatte, Le Petit Robert électronique, version 1.1, 1996.

(270) تتضمن كلمة cuenco بالاسبانية نفس مدلول كلمة jatte بالفرنسية، أي الجفنة أو الطاس.

(271) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, fig. 17, a et b.

(272) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 84, fig. 17, c, Idem, Note préliminaire sur l'établissement pré-romain de Mogador, op. cit, fig. 8, a et b.

(273) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 85.

(274) من خلال تصنيف "أندري جودان" (A. Jodin)، كانت الجفنات ذات الشفة المستقيمة (Patères à bord droit) ممثلة بواحد وعشرين نموذجا، في حين بلغ مجموع الجفنات القاربية الشكل والشفة المثنية (Patères carénées à bord ourlé) تسع وعشرون نموذجا. انظر : Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 85-87.

(275) Jodin(A), Note préliminaire sur l'établissement pré-romain de Mogador, op. cit, p. 25.

(276) Schubart(H), El Asentamiento fenicio del s. VIII a. C. en El Morro de Mezquitilla (Algarrobo, Malaga), dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, op. cit, p. 69.

(277) وقد عثر "هيرمانفريد شوبارت" (H. Schubart) على هذه الجفنات في نفس الطبقة الاركيولوجية التي اكتشف بها مآت الصحون ذات الحاشية الضيقة، علاوة على الابريق ذي القرص الشبيه بالنموذج الذي عثر عليه "ميكيل طراديل" (M. Tarradell) في استبار الخروب المؤرخ بالقرن الثامن قبل الميلاد. انظر :

Schubart(H), El Asentamiento fenicio del s. VIII a. C. en El Morro de Mezquitilla (Algarrobo, Malaga), dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, op. cit, fig. 5-6.

(278) Maass-Lindemann(G), *Toscanos 1971* (Madrider Forschungen VI 3), Berlin, 1982, p. 39 et ss, pl. 5, 151 - 159, et 160-162.

المبنى الروماني المسمى "كويفا دي سيبطي بَلاسيوس" (Cueva de siete palacios) علـــى جفنـــات ذات الحاشية الضيقة المؤرخة على الاقل بأواسط القرن الثامن قبل الميلاد[279] (انظــر لوحــة XLV [II رقــم 1-2-3]).

كما كانت هذه الجفنات حاضرة في دراسة الباحثة الالمانية "كيرطا ماس–ليندمان" (Gerta Maass-Lindemann) حول الاواني الفينيقية المكتشفة بإسبانيا المؤرخة ما بين القرن الثامن ق.م والقرن الـــسادس ق.م[280]، حيث صنفتها الى أربعة أشكال مختلفة :

1 ــ الجفنات القاربية[281] وذات الحاشية المنتقصة (انظر لوحة XLV [IV رقم 5]) : وهو نـــوع كثير الوجود في الشرق، حيث تم العثور عليه في مدينة صور انطلاقا من أقدم المستويات الاركيولوجية[282]. كما تم العثور عليه في السامرة بفلسطين، وكانت الجفنات مطلية بالبرنيق الاحمر[283]. أما في أقصى الغرب المتوسطي، فقد تم اكتشاف هذا النوع في أقدم المستويات الاركيولوجية بمستوطنات الاستقرار الفينيقي، حيث كان حاضرا في مركز "إيل مورّو دي ميسكينيا"[284]، وفي قرطاجة[285] وفي مونطي سيراي (Monte Siraï) بسرديني[286] وفي راشكون[287].

2 ــ الجفنات على شكل الكؤوس : وقد وجد هذا النوع كذلك بأعداد كثيرة في الشرق. أما في الغرب فقد تم العثور عليه بالخصوص في مدافن موتيا (Motyé)[288] بصقلية وفي "لـــوس طوســـكانوس" (Los Toscanos) و"طرايامار" (Trayamar)[289].

3 ــ الجفنات القاربية وذات الحاشية المرتفعة المتورمة نحو الخارج (انظر لوحة XLV [IV رقــم 6-7]): ويمثل النوع الاول منه (رقم 6) أكثر أنواع الجفنات انتشارا، سواء فـــي الـــشرق الفينيقـــي أو فـــي المستوطنات الغربية، خصوصا الموجودة منها في إسبانيا. وهو يتميز عن الشكلين السابقين بتوفره على حاشية متورمة نحو الخارج. كما يتميز عن الشكل الاول بجانب أكثر ارتفاعا ومقوس نحو الخارج، وتحتية في نفس

---

(279) وقد تم العثور على هذه الجفنات ضمن مجموعة من الاواني الخزفية من نوع الخزف ذي البرنيق الاحمر. انظر :
Molina Fajardo(F), Almuñécar a la luz de los nuevos hallazgos fenicios, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, vol. I, op. cit, p. 198, fig. 4, n° 1-2-3.

(280) Maass-Lindemann (G), Vasos fenicios de los siglos VIII-VI en España. Su procedencia y posición dentro del mundo fenicio occidental, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, t. I, op. cit, p. 227-239.

(281) نقصد بالشكل القاربي أو الزورقي في الاواني (vases carénés) ذاك الشكل الذي تشبه فيه تحتية الآنية غاطيس السفينة. انظر : الشهابي (يحيى)، معجم المصطلحات الأثرية، المرجع السابق، ص. 92.

(282) Bikai(P.M), The Pottery of Tyre, op. cit, pl. 49, 18 ; 42, 7 ; 11 A, 1-11.

(283) Maass-Lindemann (G), Vasos fenicios de los siglos VIII-VI en España. Su procedencia y posición dentro del mundo fenicio occidental, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, t. I, op. cit, p. 233, note n° 83.

(284) Idem, Ibid, p. 233, note, n° 83.

(285) Lancel(S), Byrsa I/II (Collection de l'Ecole Française de Rome, n° 41), Rome, 1979-1982, t. I, p. 259 ss, fig. 132, 143 ; t. II, p. 329, fig. 518, 4.

(286) Maass-Lindemann (G), Vasos fenicios de los siglos VIII-VI en España. Su procedencia y posición dentro del mundo fenicio occidental, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, t. I, op. cit, p. 233, note, n° 85.

(287) Vuillemot(G), La nécropole punique du Phare de l'île de Rachgoun, op. cit, pl. VIII, n° 14.

(288) Ciasca(A), Mozia IX, Roma, 1978, fig. 3, 7.

(289) Schubart(H) et Niemeyer(H.G), Trayamar. Los hipogeos fenicios y el asentamiento en la desembocadura del Río Algarrobo **(Excavaciones Arqueológicas en España 90)**, Madrid, 1976, pl. 20, 691.

مستوى قعر الاناء، مما يجعله أكثر وزنا من الشكل الاول[290]. وقد وجدت بعض النماذج من هذا الشكل ضمن محتويات القبور، كما هو الشأن في قرطاجة[291] وفي طرايمار[292].

4 ـ الجفنات ذات السطح المستوي (انظر لوحة XLV [IV رقم 8-9]) : تم العثور على هذا النوع كذلك في الشرق الفينيقي، سواء في مراكز الاستقرار أو في المدافن[293]. أما في الغرب المتوسطي، فلم يعثر عليها سوى في مراكز الاستقرار، نذكر منها مركز "لوس طوسكانوس"[294].

الى جانب تصنيف "ماس-ليندمان"، تعد الدراسة التي قام بها الباحث الاسباني "دييكو رويز ماطا" (Diego Ruiz Mata) حول الاواني الخزفية الفينيقية التي اكتشفها في مركز "كاستيليو دي دونيا بلانكا" (Castillo de Doña Blanca) منذ عام 1979، أهم إسهام حول الجفنات الفينيقية ذات البرنيق الاحمر[295]. فبعد أن أثارت انتباهه الاعداد الكبيرة التي تعود الى هذا النوع الخزفي، عمل على التمييز بين الانواع المؤرخة بالقرن الثامن قبل الميلاد، وبين الانواع المؤرخة بالقرن السابع[296]، التي قام بتصنيفها الى عدة أشكال مختلفة.

وأما نماذج القرن الثامن قبل الميلاد فكانت أعدادها وافرة، خصوصا القاربية الشكل منها[297] (انظر لوحة XLV [III رقم 6-7])، وكانت شبيهة بالجفنات التي عثرت عليها عالمة الآثار الإسبانية "ماريا إوخينيا أوبيت" (Maria Eugenia Aubet) بمركز "شوريّراس" (Chorrearas) بناحية مالقة[298]. هذا الصنف من الجفنات وجد في الشرق بمركز "حازور" بإسرائيل في المستوى الاستراتيغرافي رقم VIII المؤرخ بالقرن الثامن قبل الميلاد، وفي المستويات V-VII المؤرخة ما بين نهاية القرن التاسع قبل الميلاد وسنة 732 قبل

---

(290) Maass-Lindemann (G), Vasos fenicios de los siglos VIII-VI en España. Su procedencia y posición dentro del mundo fenicio occidental, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, t. I, op. cit, p. 234.

(291) Cintas(P), Manuel d'Archéologie punique, op. cit, t. I, pl. XXI, n° 112.

(292) Schubart(H) et Niemeyer(H.G), Trayamar. Los hipogeos fenicios y el asentamiento en la desembocadura del Río Algarrobo op. cit, pl. 20, 1047-1049.

(293) Bikai(P.M), The Pottery of Tyre, op. cit, p. 23 ss, pl. 19 ; Du Plat Taylor(J), The cypriot and syrian pottery from Al Mina, **Iraq XXI**, 1959, fig. 6 ; Vibert Chapman(S), A Catalogue of Iron Age pottery, **Berytus 21**, 1972, fig. 25-127-132-256-258-298.

(294) Schubart(H) et Maass-Lindemann(G), Toscanos. El asentamiento fenicio occidental en la desembocadura del río de Vélez, **Noticiario arqueológico Hispánico 18**, 1984, fig. 6-7.

(295) Ruiz Mata(D), Las ceramicas fenicias del Castillo de Doña Blanca, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, op. cit, p. 241-263.

(296) لم تشمل دراسة "دييكو رويز ماطا" (Diego Ruiz Mata) الجفنات الفينيقية وحدها، بل كان استحضارها ضمن الانواع الاخرى من الخزف الفينيقي الكلاسيكي الذي تم اكتشافه في مركز "كاستيبو دي دونيا بلانكا" (Castillo de Doña Blanca). من هذه الانواع نذكر الصحون ذات البرنيق الاحمر، والاباريق ذات القرص، وقارورات العطر، والامفورات، والقناديل ذات المشعلين، والجرار المصبوغة بالاشرطة المتعددة الالوان، والثلاثيات الارجل. وهي نفس الانواع التي كانت حاضرة كذلك في ليكسوس، والتي سنحيل عليها عند دراسة كل نوع على حدة.

(297) Ruiz Mata(D), Las ceramicas fenicias del Castillo de Doña Blanca, dans **Los Fenicios en la peninsula ...**, op. cit, p. 247, fig. 2, n° 6-7.

(298) Aubet(Ma. E), Excavaciones en Las Chorreras (Mezquetilla, Málaga), **Pyrenae 10**, 1974, fig. 9-10 ; Aubet(Ma. E), Maass-Lindemann(G), Schubart(H), Chorreras, un establecimiento fenicio al E. de la desembocadura del Algorrobo, **Noticiario arqueológico Hispánico 6**, 1979, fig. 6, 66.

الميلاد[299]. كما تم الكشف عن نفس الجفنات في صور رغم أعدادها القليلة، في كل من المستوى الاستراتيغرافي رقم IV المؤرخ ما بين 760 قبل الميلاد و740 قبل الميلاد، والمستوى الاستراتيغرافي رقم II-III المؤرخ ما بين 740 قبل الميلاد و700 قبل الميلاد[300]. كما تم العثور على جفنة قاربية الشكل في مدفن رقم 21 بمقبرة خالدة[301] الموجود في المستوى الاستراتيغرافي رقم III المؤرخ ما بين أواخر القرن التاسع قبل الميلاد وأواخر القرن الثامن قبل الميلاد[302]. ويجدر التذكير بأن هذا المستوى كان يعج بالخزف ذي البرنيق الاحمر الفينيقي. وفي الختام نشير الى بزوغ نفس الجفنات بالمستوى الاستراتيغرافي رقم 5 بمركز "تل كيسان" بفلسطين خلال النصف الثاني من القرن الثامن قبل الميلاد وأوائل القرن السابع قبل الميلاد[303].

أما النماذج المؤرخة بالقرن السابع قبل الميلاد من صنف الجفنات التي اكتشفها "دييكو رويز ماطا" (في "كاستييو دي دونيا بلانكا"، فقد قسمها نفس المؤلف الى ثلاثة أنواع رئيسية :

1 ـ الجفنات القاربية الشكل : وقد تم العثور عليها بنفس كميات الصحون، وتنقسم من الناحية المرفلوجية الى ثلاثة أصناف مختلفة :

أ- الجفنات القاربية الشكل المتوفرة على جوانب مائلة ذات الزاوية عند طرفها، وقاعدة مقعرة : (انظر لوحة XLV [V رقم 5-6])[304]. وهو النوع الذي يعرف في مركز "لوس طوسكانوس" باسم الجفنات القاربية الشكل وذات الحاشية المتورمة نحو الخارج[305]. وقد تم العثور على هذا الصنف في قبر رقم 4 بطرايامار[306] المؤرخ بأواسط القرن السابع قبل الميلاد أو النصف الثاني منه. أما في مركز "كاستييو دي دونيا بلانكا" ، فقد تم تأريخ هذا النوع من الجفنات منذ أوائل القرن السابع قبل الميلاد[307]. وهي النماذج التي تنحدر حسب "دييكو رويز ماطا" (Diego Ruiz Mata)[308] من الجفنات القديمة القاربية الشكل التي تعود الى القرن الثامن قبل الميلاد (انظر لوحة XLV [III رقم 6-7])، والتي تتميز بصناعتها من عجين أكثر

(299) Yadin(Y), **Hazor I**. I An Account of the first season of excavations 1955, Jerusalem 1958, fig. XLVII, 15-17, fig. XLIX, 6 et 25, fig. LIII, 4, fig. LIV, 8 et 10 ; Idem, **Hazor II**, Jerusalem 1960, fig. LVII, 7 et 11, fig. LXIII, 1.

(300) Bikai(P.M), The Pottery of Tyre, op. cit, pl. IX, 9-10 ; pl. XV, 2.

(301) توجد هذه المقبرة الفينيقية بناحية بيروت.

(302) Saidah(K), Fouilles de Khaldè. Rapport préliminaire sur la première et deuxième campagne (1961- 1962), **Bulletin du Musée de Beyrouth 19** (1966), p. 51 ss, fig. 69, vase n° 22.

(303) Briend(J), et Humbert(J.B), Tell Keisan (1971-1976). Une cité phénicienne en Galilée **(Orbis Biblicus et Orientalis, Série Archaeologica I)**, Freiburg (Schw.)/Gttingen, 1980, fig. 40, 7b-c.

(304) Ruiz Mata(D), Las ceramicas fenicias del Castillo de Doña Blanca, dans **Los Fenicios en la peninsula ...**, op. cit, p. 251, fig. 5, n° 5-6.

(305) Schubart(H) et Maass-Lindemann(G), Toscanos. El asentamiento fenicio occidental en la desembocadura del río de Vélez, op. cit, p. 90, fig. 5, 151-152.

(306) Schubart(H) et Niemeyer(H.G), Trayamar. Los hipogeos fenicios y el asentamiento en la desembocadura del Río Algarrobo op. cit, p. 90.

(307) Ruiz Mata(D), Las ceramicas fenicias del Castillo de Doña Blanca, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, op. cit, p. 251.

(308) Idem, Ibid, p. 251.

جودة، وطلائها ببرنيق أكثر إتقانا. هذا النوع تم اكتشافه بموكادور[309]، حيث يلاحظ تقارب كبير بينه وبين نماذج "كاستيبو دي دونيا بلانكا" من حيث الصنف والجودة.

ب- الجفنات ذات الجوانب القصيرة التي ينقص سمكها في اتجاه طرفها : وتكون هذه الجوانب تارة عمودية، وتارة أخرى مائلة بعض الشيء نحو الداخل (انظر لوحة XLV [VI رقم 5-10])[310]. هذا النوع نجده باستمرار في مركز "لوس طوسكانوس"[311]، حيث يلاحظ على ما يبدو أن المستويات الاستراتيغرافية الاكثر قدما خلفت جفنات تتميز بحواشي مائلة نحو الداخل وعمق أكبر، بينما كانت النماذج الحديثة تتميز بحواشي مستقيمة[312]. والمرجح أن هذا النوع وجد بوفرة في الشرق الاوسط منذ القرن التاسع قبل الميلاد، وبعد ذلك تم توزيعه على الساحل المالقي بإسبانيا وعلى الساحل الجزائري في راشكون وعلى الساحل المغربي بموكادور، في حين نلاحظ ندرة في هذا النوع بقرطاجة وأوتيكا وموتيا[313]. ومن الملاحظ وجود تشابه كبير بين جفنات موكادور المتميزة بالحاشية القصيرة والمستقيمة، ونفس الانواع التي عرفها مركز "كاستيبو دي دونيا بلانكا"[314].

ت- الجفنات ذات العنق القصير والمقعر والزورق (carène) المقطع عند موسطة الطول : وهي تشبه الجفنات السابقة، لكنها تختلف عنها في كونها كانت أكبر حجما، ومصنوعة من طين أقل جودة، ومطلية ببرنيق أقل تماسكا[315] (انظر لوحة XLV [VII رقم 11]). وقد تم العثور على هذا النوع في مركز "لوس طوسكانوس"[316]، وفي موكادور[317] حيث أطلق عليها "أندري جودان" (A Jodin) إسم الكؤوس (Phiales ou tasses)[318].

2 ــ الجفنات العميقة : ويمكن التمييز بين ثلاثة أشكال رئيسية منها :

أ- الجفنات العميقة المتميزة بحاشية قصيرة وزورق (carène) بارز في اتجاه الخارج (انظر لوحة XLV [VIII رقم 12]) : وقد زخرفت أغلبية هذه الجفنات من جهتها الخارجية بشريط عريض من الصبغة الضاربة الى الحمرة، التي تصل الى ما تحت الزورق. كما زخرفت أحيانا بأشرطة ضيقة سوداء، أو فقط بشريط أسود في الجهة العليا من الحاشية[319].

---

(309) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, fig. 17 c, p. 86.

(310) Ruiz Mata(D), Las ceramicas fenicias del Castillo de Doña Blanca, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica,** op. cit, p. 251, fig. 4, n°5-6, fig. 5, n°7-8-9-10.

(311) Schubart(H) et Maass-Lindemann(G), Toscanos. El asentamiento fenicio occidental en la desembocadura del río de Vélez, op. cit, p. 86-88, fig. 4, 125-135.

(312) Ruiz Mata(D), Las ceramicas fenicias del Castillo de Doña Blanca, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, op. cit, p. 251.

(313) Schubart(H) et Maass-Lindemann(G), Toscanos. El asentamiento fenicio ..., op. cit, p. 86-87.

(314) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 87-88, fig. 17 a-b, p. 86.

(315) Ruiz Mata(D), Las ceramicas fenicias del Castillo de Doña Blanca, dans **Los Fenicios en la peninsula ...**, op. cit, p. 251, fig. 5, n° 11.

(316) Schubart(H) et Maass-Lindemann(G), Toscanos. El asentamiento fenicio ..., op. cit, p. 88, fig. 5 ,145.

(317) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 87-88, fig. 17 a-b, p. 86.

(318) Idem, Ibid, p. 89.

(319) Ruiz Mata(D), Las ceramicas fenicias del Castillo de Doña Blanca, dans **Los Fenicios en la peninsula ...**, op. cit, p. 254, fig. 5, n° 12.

ب- الجفنات العميقة المتميزة بحاشية مقوسة نحو الداخل (انظر لوحة XLV [VIII رقم 13]) : وكانت على العموم مطلية مثل الشكل الاول بدهان من الصبغة الضاربة الى الحمرة، وبمجموعة من الاشرطة الضيقة السوداء[320].

ت- الجفنات العميقة ذات الحاشية المقوسة والمتوفرة على تجعدات عميقة في الجهة العليا للحاشية (انظر لوحة XLV [VIII رقم 6]) : وتتشكل زخرفتها من صباغة حمراء تهم مساحة واسعة من الاناء، مع وجود أشرطة ضيقة سوداء في بعض الحالات[321]. وقد تم العثور على هذا النوع في مركز "لوس طوسكانوس"[322]، وفي مركز "كابيسو دي سان بيدرو" (Cabezo de San Pedro)، حيث تم تأريخه هناك بالنصف الاول من القرن السابع قبل الميلاد[323]. كما اكتشفت نفس الجفنات في الشرق الفينيقي بمقبرة خالدة الموجودة في ضواحي بيروت[324].

3 ـ الجفنات النصف الدائرية : ويمكن التمييز بين شكلين مختلفين :

أ- الشكل الصغير الحجم : وهي عبارة عن جفنات صغيرة أكثر انخفاضا من الجفنات السالفة الذكر، ولا تتوفر على أية زخرفة. وفي حالة وجودها، فإن هذه الزخرفة تتكون من أشرطة واسعة تميل الى الحمرة، ومن خطوط سوداء[325] (انظر لوحة XLV [IX رقم 14-15-7]).

ب- الشكل الكبير الحجم : وهي عبارة عن فسقيات أكبر حجما من الشكل السابق وأكثر عمقا، وذات قطر كبير. كما تتميز بشفة متورمة وحادة في طرفها، ولا تحتوي على أية زخرفة[326] (انظر لوحة XLV [IX رقم 10]). وقد تم العثور على هذا النوع في مركز "لوس طوسكانوس"[327].

3) نماذج ليكسوس :

من خلال الدراسات السالفة، يتبين أن ليكسوس عرفت بدورها هذا النوع من الخزف الفينيقي ذي البرنيق الاحمر، رغم أنه كان يصعب من أول وهلة التأكد من إنتمائه الحقيقي. ومرد ذلك أن نماذج ليكسوس كانت تُعرف من لدن مكتشفيها بأسماء مختلفة، حيث كانت تُنعت تارة بالجفنات (cuencos)[328] وتارة تعرف باسم "باطيرات" (patères-pàteras)[329]، وتارة أخرى باسم قصعات (jattes)[330]، أوطاسات

---

(320) Idem, Ibid, p. 254, fig. 5, n° 13.

(321) Idem, Ibid, p. 254, fig. 8, n° 6.

(322) Schubart(H) et Maass-Lindemann(G), Toscanos. El asentamiento fenicio occidental en la desembocadura del río de Vélez, op. cit, p. 95.

(323) Blàzquez(J.M), Ruiz Mata(D), Excavaciones en El Cabezo de San Pedro (Huelva). Campaña de 1977 **(Excavaciones Arqueológicas en España 102)**, Madrid, 1979, fig. 35.

(324) Ruiz Mata(D), Las ceramicas fenicias del Castillo de Doña Blanca, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, op. cit, p. 254.

(325) Idem, Ibid, p. 254, fig. 5, n° 14-15 ; fig. 4, n° 7.

(326) Ruiz Mata(D), Las ceramicas fenicias del Castillo de Doña Blanca, dans **Los Fenicios en la peninsula ...**, op. cit, p. 254, fig. 6, n° 10.

(327) Schubart(H) et Maass-Lindemann(G), Toscanos. El asentamiento fenicio occidental en la desembocadura del río de Vélez, op. cit, p. 102, fig. 9, 234 et 235.

(328) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 202.

(329) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 73 ; Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 202.

(330) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, fig. 18, p. 72.

(tasses)[331]. وهذا من شأنه أن يعطي الانطباع بأن الامر يتعلق بأنواع خزفية مختلفة، في حين ينكشف بعد المقارنات المرفلوجية التي يمكن القيام بها مع الجفنات التي مر ذكرها، أن كسرات ليكسوس، تعود في الواقع الى نوع خزفي واحد.

وكانت جفنات ليكسوس، التي لم تخلف أية عينة كاملة، تتميز بأعدادها الوافرة، إذ صنفها "ميكيل طراديل" من حيث العدد في المرتبة الثانية بعد الصحون، ضمن الخزف الفينيقي ذي البرنيق الاحمر المكتشف في أقدم المستويات الاستراتيغرافية[332]. وهذا يعني أن عدد القطع المهشمة كانت تعد بالمئات، رغم أن مكتشفها لم يكن يفصح عن العدد الدقيق للكسرات المكتشفة، ولم يشر الى أمكنة اكتشافها، ولم يقدم أي رسم ولا صورة عنها. ومما يزيد استغرابنا أن البعثة المغربية-الاسبانية التي عثرت على الجفنات في استبار "الزيتونة" الذي أنجزته في ليكسوس عام 1999[333]، حذت حذو سابقيها. غير أنه بفضل نشر رسوم هذه الجفنات في الدراسة التي قامت بها البعثة الاسبانية للمواد الخزفية الفينيقية المحفوظة في المتحف الاركيولوجي بتطوان، يمكن أخذ فكرة أكثر وضوحا حول نماذج ليكسوس[334] (انظر اللوحات من XI الى XXVIII).

وإن كنا نسجل على "طراديل" أنه لم يستعرض المعلومات المتوخاة حول هذا النوع الخزفي، فإن هذا القصور سيتم تعويضه بعض الشيء بفضل حفائر "ميشيل بونسيك" في حي المعابد. ذلك أنه استطاع أن يدلي بمعطيات أقل غموضا مما ذكره زميله الاسباني، حيث نص على مكان الاكتشاف، وقدم رسوما وصورا عديدة حول جفنات ليكسوس، رغم عدم إطنابه في الوصف المرفلوجي.

ومع ذلك فإن أهم صعوبة تعتري الباحث عند دراسة جفنات ليكسوس، تتعلق بمحاولة تصنيفها وتأريخها. وهو الامر الذي حاولنا القيام به بعد الدراسة المستفيضة للنماذج المشابهة التي تم العثور عليها في العديد من المراكز في الحوض المتوسطي، خصوصا في إسبانيا، حيث تبين أن ليكسوس عرفت ثلاثة أشكال رئيسية من الجفنات :

أ- الجفنات القاربية الشكل :

إذا كانت الجفنات القاربية الشكل تمثل أكثر الانواع انتشارا سواء في المراكز الفينيقية بالشرق أو بالغرب، فإن نماذج ليكسوس من هذا النوع جاءت لتؤكد على هذه الظاهرة، حيث شكل هذا الصنف أكثر أنواع الجفنات وجودا في ليكسوس[335]. فمن خلال الدراسة التي قامت بها "ماريا بيلين وآخرون" للمواد المحفوظة في المتحف الاركيولوجي بتطوان، تبين أن الجفنات القاربية الشكل كانت حاضرة في استبار الخروب[336]. وهي جفنات كبيرة الحجم، حيث كان قطرها يتراوح ما بين 12 سنتمتر و28 سنتمتر، وتؤرخ

---

(331) Idem, Ibid, fig. 21, p. 75.

(332) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 202.

(333) Alvarez(N), Gómez Bellard(C), de Madaria(J.L), La ocupación fenicia, **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra** 4, 2001, p. 187.

(334) Belèn(M), Escacena(J.L.), Rodero(A), López Roa(C), Materiales de época fenicia de las excavaciones de Tarradell conservados en el museo de Tetuán, op. cit, fig. 4-12 ; Idem, Fenicios en el Atlántico. Excavaciones españolas en Lixus : Los conjuntos "C. Montalbán" y "cata basílica", op. cit, fig. 3-9.

(335) Maass-Lindemann (G), Vasos fenicios de los siglos VIII-VI en España. Su procedencia y posición dentro del mundo fenicio occidental, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, t. I, op. cit, p. 234.

(336) Belèn(M), Escacena(J.L.), Rodero(A), López Roa(C), Materiales de época fenicia de las excavaciones de Tarradell conservados en el museo de Tetuán, op. cit, p. 91-92.

النماذج المكتشفة في الطبقات الاستراتيغرافية السفلى بالقرن الثامن قبل الميلاد[337]. كما تبين من خلال دراسة الباحثين أنفسهم أن نفس النماذج عرفها كذلك "استبار قطاع المنازل ما قبل الرومانية"[338]. غير أنها كانت أصغر حجما من الانواع السالفة، وبالتالي يمكن تأريخها بالقرن السابع قبل الميلاد (انظر لوحة XVIII-XVI-XIV).

كما أشار "ميشيل بونسيك" الى اكتشاف الجفنات خلال الاستبارات التي أنجزها في ردم خزان معبد F[339]، مبينا أنها كانت من نوع "الجفنات ذات الشفة" (Patères à marli). ومن المرجح أن النوع الذي كان يقصده بونسيك" هو نفس النوع الذي يعرف في المراكز الاسبانية باسم "الجفنات القاربية الشكل ذات الحاشية المتورمة نحو الخارج". ومن المعلوم أن هذا النوع، الذي تم اكتشافه في "ايل موررو دي ميسكيتيا" (El Morro de Mezquitilla)[340]، وفي طرايمار (Trayamar)[341]، وفي "لوس طوسكانوس" (LosToscanos)[342]، وفي "كاستييو دي دونيا بلانكا" (Castillo de Dona Blanca)، يؤرخ بالقرنين الثامن والسابع قبل الميلاد.

وبالرغم من عدم ذكر "بونسيك" (M.Ponsich) لعدد كسرات هذا النوع من الجفنات المكتشفة في ردم خزان معبد F، وعدم تقديمه لأي وصف يخص أحجامها وأشكالها، فإنه يتبين من خلال الرسوم والالواح التي نشرها حول اللقى التي عثر عليها في نفس الردم[343] (انظر لوحة XLVI-XXXVI-XXXIX)، أنه اكتشف على الاقل ثلاث عشرة جفنة. وقد أورد هذه الجفنات في عناوين رسومه على صيغة "قصعات" (Jattes)[344] (انظر لوحة XLVI)، أو على صيغة "طاسات" (tasses)[345] (انظر لوحة XLVII). كما وصفها بأنها كانت تتميز بحاشية مثنية وبتحتية مقوسة. وهي الظاهرة التي انتبهت إليها عالمة الآثار الالمانية "كيرطا ماس-ليندمان" (Gerta Maass-Lindemann) عند دراستها للخزف ذي البرنيق الاحمر بليكسوس[346].

وإذا كان "ميشيل بونسيك" قد أرخ هذه الجفنات بالقرنين السابع والسادس قبل الميلاد[347]، فقد لاحظنا باندهاش خلال الملتقى الدولي حول ليكسوس المنعقد بالعرائش، كيف لمحت الباحثة السالفة الذكر الى أن نفس

---

(337) Belèn(M), Escacena(J.L.), Rodero(A), López Roa(C), Materiales de época fenicia de las excavaciones de Tarradell conservados en el museo de Tetuán, op. cit, p. 91, cuadro 6.

(338) Belén(M), Escacena(J.L), López Roa(C), Rodero(A), Fenicios en el Atlántico. Excavaciones españolas en Lixus : Los conjuntos "C. Montalbán" y "cata basílica", op. cit, p. 347.

(339) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 73.

(340) Schubart(H), El Asentamiento fenicio del s. VIII a. C. en El Morro de Mezquitilla (Algarrobo, Malaga), dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, op. cit, p. 69.

(341) Schubart(H) et Niemeyer(H.G), Trayamar. Los hipogeos fenicios y el asentamiento en la desembocadura del Río Algarrobo op. cit, pl. 20, 1047-1049.

(342) Schubart(H) et Maass-Lindemann(G), Toscanos. El asentamiento fenicio occidental en la desembocadura del río de Vélez, op. cit, p. 90, fig. 5, 151-152.

(343) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. fig. 17-18, pl. XXV.

(344) Idem, Ibid, fig. 18, p. 72.

(345) Idem, Ibid, fig. 21, p. 75.

(346) Maass-Lindemann(G), A comparison of the phoenician pottery of Lixus with the west phoenician pottery of Spain, op. cit, p. 178.

(347) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 73.

الجفنات لم تكن تتعدى القرن السادس قبل الميلاد[348]. وقد استندت في هذه الكرونولوجيا الى التشابه الـذي لاحظته بين نموذجين من لقى ردم خزان معبد F (انظر لوحة XLVI)[349]، وبين نموذجين تم اكتشافهما في مركزي "لوس طوسكانوس" و"كاستييو دي دونيا بلانكا" بإسبانيا[350]. غير أن ما تجدر الاشارة إليه في هـذا الصدد، أن الصحون التي كانت مصاحبة لهذه الجفنات بنفس المستوى الاستراتيغرافي في ليكسوس، والتي تم العثور على نماذج مشابهة لها في نفس المركزين الاسبانيين، تم تأريخها بالقرن الثامن قبل الميلاد[351]. وإذا كنا نسجل على الباحثة الالمانية أن مقارنتها لنماذج ليكسوس لم تعتمد سوى على الشكل المرفلوجي الوارد فقط من خلال الرسوم، فمن الملاحظ في المقابل أن نفس النماذج كانت تشبه بعض الجفنات التي اكتـشفت فـي المراكز الفينيقية الاسبانية المؤرخة بالقرن الثامن قبل الميلاد[352]. من هذه الجفنات نذكر عينات اكتشفت فـي مركز "إيل مورّو دي ميسكيتيا"[353]، ومركز "طرايامار"[354]، وكاستيو دي دونيا بلانكا[355]. وهـذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن العديد من المستوردات الخزفية الفينيقية المكتشفة بليكسوس لها حظـوظ أن تكون أقدم مما يعتقد، وأن منتوجات القرن الثامن قبل الميلاد لم تكن تقتصر على الاباريق ذات القرص وعلى الصحون، بل كانت تهم كذلك الجفنات.

الى جانب العثور على نوع الجفنات القاربية الشكل في ردم خزان معبد F، يورد محمد حبيبي[356]، أن "بونسيك" أشار ضمن سجل الصناديق الموجودة في مستودعات متحف القصبة بطنجة، المشتملة علـى المعثورات المكتشفة في محور حنية معبد H، الى اكتشافه لقطعة بطن وقطعة قعر من نـوع الجفنـات ذات الشفة المسطحة (patère à marli plat). كما أورد كذلك[357] أن "بونسيك" أشار ضمن نفس السجل، الـى

---

(348) Maass-Lindemann(G), A comparison of the phoenician pottery of Lixus with the west phoenician pottery of Spain, op. cit, p. 178.

(349) انظر الصورة الاولى من جهة اليسار في الصف الافقي الثاني، والصورة الاولى من جهة اليسار في الصف الافقي الثالث في رسم رقم 18 من مؤلف "بونسيك" :
Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, fig. 18, p. 72.

(350) Maass-Lindemann(G), A comparison of the phoenician pottery of Lixus with the west phoenician pottery …, op. cit, fig. 4, c-d, p. 178.

(351) Schubart(H), Westphönizische Teller, op. cit, pl. 28, 32, 33 ; Ruiz Mata(D), Las ceramicas fenicias del Castillo de Doña Blanca, op. cit, 245-247 y 250.

(352) كانت الباحثة الالمانية "كيرطا ماس-ليندمان" (Gerta Maass-Lindemann) تعتقد أن أواني ليكسوس تعود الى نماذج طرطيسية مقلدة للنماذج الفينيقية التي وصلت الى عين المكان من إسبانيا. وبذلك كانت تكرس الرأي الذي كان ينفي أي وجود فينيقي مباشر بالمغرب. غير أنها انتبهت الى هذه الهفوة خلال الملتقى الدولي حول ليكسوس، خصوصا بعد مساهمة محمد حبيبي في مسألة مؤارخة الخزف الفينيقي ذي البرنيق الاحمر بالقرن الثامن، واحتمال أن يكون أقدم من خزف إسبانيا. وقد اضطرت أن تراجع موقفها في هامش رقم 25 عند نشرها لمقالتها حول مقارنة خزف ليكسوس بخزف إسبانيا. انظر :
Maass-Lindemann(G), A comparison of the phoenician pottery of Lixus with the west phoenician pottery of Spain, op. cit, p. 178, note n° 25.

(353) Schubart(H), El Asentamiento fenicio del s. VIII a. C. en El Morro de Mezquitilla (Algarrobo, Malaga), dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, op. cit, fig. 5, a-d, p. 70.

(354) Maass-Lindemann (G), Vasos fenicios de los siglos VIII-VI en España. Su procedencia y posición dentro del mundo fenicio occidental, op. cit, fig. 1, n° 6, p. 229.

(355) Ruiz Mata(D), Las ceramicas fenicias del Castillo de Doña Blanca, dans **Los Fenicios en la peninsula …**, op. cit, fig. 2, n° 6-7-8-9.

(356) Habibi(M), A propos du temple H et du temple de Melkart-Héraclès à Lixus, op. cit, p. 235.

(357) Idem, Ibid, p. 236.

اكتشافه لما مجموعه 6 قطع من حواشي هذه الجفنات خلال الاستبار المنجز في حنية معبد H. ومن خلال الرسم الوحيد المنشور حول هذه الجفنات[358] (انظر لوحة XXXIII)، يتبين أنها تعود الى نفس النوع الذي نحن بصدده، أي الى الجفنات القاربية الشكل والمتوفرة على حاشية مثنية أو متورمة نحو الخارج حسب تعبير علماء الآثار الإسبان. هذا بالرغم من كون "بونسيك" كان يطلق عليها اسم "طاسات" (bols) ذات البرنيق الاحمر الفينيقي[359].

علاوة على ذلك، ومن خلال رسم رقم 6 الوارد في كتاب "ليكسوس، حي المعابد"[360] (انظر لوحة XXXI)، يتبين أن الجفنات القاربية الشكل وذات الحاشية المثنية، كانت حاضرة كذلك ضمن المعثورات الفينيقية التي اكتشفها "ميشيل بونسيك" في مبنى A. ومن الملاحظ في هذا الصدد أن الباحثة الالمانية "كيرطا ماس-ليندمان" قد انتبهت الى أن هذا الرسم يتضمن فعلا نوع الجفنات الفينيقية، مضيفة في شأنها أنها كانت تتميز بتحتية مقوسة[361]، التي نجدها عموما في الانواع القاربية. وفي هذا الصدد، يرى الباحث الاسباني "فيرناندو لوبيز باردو")[362] أن جفنات مبنى A القاربية الشكل، تعد من الاواني التي ظهرت في الشرق الفينيقي منذ القرن التاسع قبل الميلاد. وهي المنتوجات التي تم اعتمادها حسب نفس المؤلف، لتأريخ مرحلة الاتصالات الفينيقية الاولى بالسكان القدامى لاسبانيا خلال القرن الثامن قبل الميلاد في كل من منطقتي الوادي الكبير ووادي "خينيل" (Genil). أما وجودها في المستوطنات الفينيقية بالساحل الاسباني، فقد ظهر خلال القرن الثامن قبل الميلاد وبداية القرن السابع قبل الميلاد[363].

ومع ذلك، من المحتمل أن تكون الاشكال الخمسة الواردة في نفس الرسم، من النوع القاربي المعروف في تصنيف "ديكو رويز ماطا" (Diego Ruiz Mata) باسم الجفنات ذات العنق القصير والمقعر والزورق (carène) المقطع عند موسطة الطول[364]. هذا النوع، الذي تم اكتشافه في مركز "كاستيو دي دونيا بلانكا"[365]، وفي مركز "لوس طوسكانوس"[366]، يؤرخ عموما بالقرن السابع قبل الميلاد، ويعتبر أكبر حجما من الانواع المكتشفة في ردم معبد F وفي حنية معبد H. وفي حالة ترجيح ذلك، تكون نماذج مبنى A مشابهة للانواع التي اكتشفها "أندري جودان" في جزيرة الصويرة وأطلق عليها إسم الكؤوس (Phiales ou tasses)[367].

---

(358) Idem, Ibid, fig. 5 : b, p. 236.

(359) Idem, Ibid, p. 236.

(360) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 32, fig. 6, p. 31.

(361) Maass-Lindemann(G), A comparison of the phoenician pottery of Lixus with the west phoenician pottery of Spain, op. cit, p. 178.

(362) Lopez Pardo(F), Reflexiones sobre el origen de Lixus y su Delubrum Herculis en el contexto de la empresa comercial ..., op. cit, p. 89.

(363) Ruiz Mata(D), Las ceramicas fenicias del Castillo de Doña Blanca, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, op. cit, p. 274 ; Pellicer Catalan(M) y De Amores Carredano(F), Protohistoria de Carmona. Los cortes estratigráficos CA. 80/A y CA. 80/B, en **N.A.H**, 22, 1985, p. 156-157, fig. 61 d, e, f, g.

(364) Ruiz Mata(D), Las ceramicas fenicias del Castillo de Doña Blanca, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, op. cit, p. 251.

(365) Idem, Ibid, fig. 5, n° 11.

(366) Schubart(H) et Maass-Lindemann(G), Toscanos. El asentamiento fenicio occidental ..., op. cit, p. 88, fig. 5 ,145.

(367) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 89.

ومؤخرا تم اكتشاف الجفنات القاربية في استبار الخروب الذي أنجزته البعثة المغربية-الاسبانية عـــام 1999، بنسبة 25% من مجموع الخزف الفينيقي ذي البرنيق الاحمر. وهي جفنات تتميز بحاشية متورمـــة (borde exvasado)، وتميل نحو الشكل المثلثي، وتتميز بعضها بأحجام كبيرة حيث كان قـــطرها يفـــوق 20 سنتمتر[368] (انظر لوحة XXXVIII رقم 1 و2).

ب- الجفنات ذات الحاشية المستقيمة :

من الملاحظ أنه لم يرد أي رسم ولم ترد أية صورة حول هذا النوع من الجفنات، سواء لدى "ميكيل طراديل" أو "ميشيل بونسيك". ومع ذلك، من الممكن توثيق وجودها في ليكسوس من خلال الوصف الذي قدمه الباحث الاسباني حول الكسرات التي اكتشفها، حيث أورد في شأنها بأنها كانت "***جفنات ذات جوانب مفتوحة وحاشية مستقيمة وعمق قليل***"[369]. ولاريب أن هذا الوصف يعد مؤشرا لاعتبار أن "طراديل" كان يتحدث عن الصنف الثاني من الجفنات القاربية الشكل حسب تصنيف "دييكو رويز ماطـــا" (Diego Ruiz Mata)، الذي أطلق عليها اسم الجفنات ذات الجوانب القصيرة العمودية (انظر لوحـــة XLV [VI])[370]. وبالفعـــل، سيتبين من خلال الدراسة التي قامت بها "ماريا بيلين وآخرون للمواد المحفوظة في المتحـــف الاركيولـــوجي بتطوان، أن الجفنات ذات الحواشي المستقيمة كانت حاضرة في استبار الخروب[371]. وهي النماذج التي تـــم العثور عليها بكثرة في العديد من المراكز، نذكر منها "لـــوس طوســـكانوس"[372] و"كاســـتييو دي دونيـــا بلانكا"[373] وجزيرة الصويرة[374]. كما سيتبين من خلال نفس الدراسة أنها كانت حاضرة كذلك في اســـتبار "البازيليك"[375] (انظر لوحة XXII). وكذلك الشأن بالنسبة لاستبار "قطاع المنازل ما قبل الرومانية"، والتـــي يمكن تأريخها بنهاية القرن الثامن قبل الميلاد وبداية القرن السابع قبل الميلاد[376] (انظر لوحة XXVIII).

وحيث أن "طراديل" لم يقدم لنا أعداد هذا النوع من الجفنات، ولم يحدد مكان الاكتشاف، فإنه يصـــعب اقتراح أية كرونولوجية موضوعية. غير أنه يمكن اعتبار أن هذا النوع يعود الى نماذج القرن الـــسابع قبـــل الميلاد، التي كانت تتميز بحواشي مستقيمة، في حين كانت نماذج القرن الثامن قبل الميلاد تتميز بحواشي مائلة نحو الداخل وبعمق كبير، كما لاحظ ذلك "دييكو رويز ماطا" في جفنات "كاستييو دي دونيا بلانكا"[377]. ومما

---

(368) Alvarez(N), Gómez Bellard(C), Habibi(M), De Madaria(J.L), La ocupación fenicia, op. cit, p. 73, fig. 3, p. 75.

(369) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 202.

(370) Ruiz Mata(D), Las ceramicas fenicias del Castillo de Doña Blanca, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica,** op. cit, p. 251, fig. 4, n°5-6, fig. 5, n°7-8-9-10.

(371) Belèn(M), Escacena(J.L.), Rodero(A), López Roa(C), Materiales de época fenicia de las excavaciones de Tarradell conservados en el museo de Tetuán, op. cit, p. 91, fig. 8 n° 351, fig. 10 n° 470.

(372) Schubart(H) et Maass-Lindemann(G), Toscanos. El asentamiento fenicio occidental en la desembocadura del río de Vélez, op. cit, p. 86-88, fig. 4, 125-135.

(373) Ruiz Mata(D), Las ceramicas fenicias del Castillo de Doña Blanca, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica,** op. cit, p. 251, fig. 4, n°5-6, fig. 5, n°7-8-9-10.

(374) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, fig. 17, a et b.

(375) Belén(M), Escacena(J.L), López Roa(C), Rodero(A), Fenicios en el Atlántico. Excavaciones españolas en Lixus : Los conjuntos "C. Montalbán" y "cata basílica", op. cit, p. 352, fig. 9.

(376) Idem, Ibid, p. 347, n° 103-106.

(377) Ruiz Mata(D), Las ceramicas fenicias del Castillo de Doña Blanca, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica,** op. cit, p. 251.

يرجح هذه الكرونولوجيا أن "طراديل" وصف الكسرات التي اكتشفها في ليكسوس بأنها كانت قليلة العمق، وبأن حواشيها كانت مستقيمة.

الى جانب العناصر التي ترجح اكتشاف "طراديل" لهذا النوع من الجفنات، لدينا ما نستدل به لاكتشافها كذلك من طرف "ميشيل بونسيك"، عندما أشار الى منتوج فينيقي تم العثور عليه في ردم خزان معبد F، تحت إسم "الباطير" (patère) أو الكؤوس ذات الحاشية المستقيمة[378]. ويعاب على الباحث الفرنسي في هذا الصدد أنه لم ينشر أي رسم ولا أية لوحة حول هذا المنتوج. كما أنه لم يحدد عدد القطع المكتشفة، كما هي عادته عموما عند تقديمه للمعثورات التي اكتشفها في ليكسوس.

ت- الجفنات النصف الدائرية :

تنتمي هذه الجفنات، التي اكتشفت بأعداد قليلة، الى الصنف الذي تطلق عليه "ماس-لينديمان" (G.Maass- Lindemann) اسم الجفنات ذات السطح المستوي (انظر لوحة XLV [IV رقم 8-9])[379]، أو يطلق عليه "ديبكو رويز ماطا" (Diego Ruiz Mata) اسم الجفنات النصف الدائرية[380]. وقد تأكد وجودها في استبار الخروب من خلال نشر الرسوم المتعلقة بالمواد المحفوظة في المتحف الاركيولوجي بتطوان، والتي قامت بدراستها البعثة الاسبانية منذ سنة 1992[381].

كما تعرفنا عليها كذلك من خلال رسم رقم 21 من كتاب "ليكسوس حي المعابد" تحت اسم "الطاسات ذات البرنيق الاحمر" المكتشفة في ردم خزان معبد F[382]. ومن خلال هذا الرسم يتبين أنها تشبه بعض النماذج التي تم العثور عليها في الشرق الفينيقي[383] أو في مراكز الغرب المتوسطي، مثل مركز "لوس طوسكانوس"[384]، و "كاستيو دي دونيا بلانكا"[385]، و"ولبة" (Huelva)[386] (انظر لوحة XLVII).

غير أنه يصعب علينا معرفة هل تعود الى منتوجات القرن الثامن قبل الميلاد، أم الى نماذج القرن السابع قبل الميلاد، رغم أن أقرب النماذج الى جفنات ليكسوس ذات الشكل النصف الدائري تؤرخ أقدمها بالمرحلة المتراوحة بين سنة 725 قبل الميلاد و700 قبل الميلاد[387]. كما لانستطيع الفصل في تبويبها ضمن

---

(378) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 73.

(379) Maass-Lindemann (G), Vasos fenicios de los siglos VIII-VI en España. Su procedencia y posición dentro del mundo fenicio occidental, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, t. I, op. cit, p. 234, fig. 1, n° 8-9.

(380) Ruiz Mata(D), Las ceramicas fenicias del Castillo de Doña Blanca, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, op. cit, p. 254.

(381) Belèn(M), Escacena(J.L.), Rodero(A), López Roa(C), Materiales de época fenicia de las excavaciones de Tarradell conservados en el museo de Tetuán, op. cit, p. 91, fig. 12 n° 546, fig. 14, n° 608.

(382) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, fig. 21, p. 75.

(383) Bikai(P.M), The Pottery of Tyre, op. cit, p. 23 ss, pl. 19 ; Du Plat Taylor(J), The cypriot and syrian pottery from Al Mina, **Iraq XXI**, 1959, fig. 6 ; Vibert Chapman(S), A Catalogue of Iron Age pottery, **Berytus 21**, 1972, fig. 25-127-132-256-258-298.

(384) Schubart(H) et Maass-Lindemann(G), Toscanos. El asentamiento fenicio occidental en la desembocadura del río de Vélez, **Noticiario arqueológico Hispánico 18**, 1984, fig. 6-7.

(385) Ruiz Mata(D), Las ceramicas fenicias del Castillo de Doña Blanca, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, op. cit, p. 254.

(386) Rufete(P), Las cerámicas con engobe rojo de Huelva, **Huelva arqueológica X-XI 3**, 1988-1989, p. 9-40.

(387) Idem, Ibid, cuadro I y 21.

الشكل الصغير من تصنيف "رويز ماطا"[388]، أم ضمن الشكل الكبير[389] (انظر لوحة XLV [IX])، علما بأن قطر الجفنة التي اكتشفها "ميشيل بونسيك" في ليكسوس يبلغ بالضبط 25 سنتمتر[390].

من خلال هذه الدراسة المفصلة حول الجفنات ذات البرنيق الاحمر المكتشفة في ليكسوس، يتبين أن وجودها كان حاضرا بنفس الكثافة الحاصلة في معظم مراكز الاستقرار الفينيقي، أو في الجهات التي شملتها التجارة الفينيقية. كما يتجلى من جراء هذا الحضور، أن هذا الصنف الخزفي كان من حيث الاهمية في نفس مستوى الاصناف الاخرى الشهيرة التي طليت بنفس البرنيق، مثل الاباريق ذات القرص أو الصحون أو القناديل ذات المشعلين. ومما يرجح ذلك، أن الجفنات ذات البرنيق الاحمر كانت حاضرة ضمن الانواع الخزفية الفينيقية المؤرخة ما بين القرن الثامن قبل الميلاد والقرن السادس قبل الميلاد، التي تم اكتشافها مؤخرا في مركز "كشكوش" بوادي لاو[391].

وفيما يلي جدولا مفصلا حول الجفنات التي اكتشفها في ليكسوس كل من "ميكيل طراديل" و"ميشيل بونسيك" والبعثة المغربية – الاسبانية :

الجزء المكتشف	مكان الاكتشاف	المكتشف	العدد	التاريخ
كسرات من الجفنات القاربية الشكل	خزان معبد F (رسوم)	بونسيك	13 ~	القرن الثامن أو السابع
الجفنات القاربية الشكل (جزء من بطن و من قعر)	محور حنية معبد H	بونسيك	2	القرن الثامن أو السابع
حواشي الجفنات القاربية الشكل	حنية معبد H (رسم)	بونسيك	6	القرن الثامن أو السابع
حواشي الجفنات القاربية الشكل	مبنى A	بونسيك	5	القرن الثامن أو السابع
الجفنات القاربية الشكل	استبار الخروب	طراديل	مآت الكسرات	القرن الثامن ق.م
الجفنات القاربية الشكل	استبار قطاع المنازل	طراديل	5 ~	القرن السابع ق.م
الجفنات القاربية الشكل	استبار الخروب 2	بعثة 1999	؟	القرن الثامن ق.م
الجفنات ذات الحاشية المستقيمة	استبار الخروب	طراديل	؟	ربما القرن السابع ق.م
الجفنات ذات الحاشية المستقيمة	استبار البازيليك	طراديل	2	القرن الثامن أو السابع

[388] وهي عبارة عن جفنات صغيرة يبلغ قطرها حسب النماذج التي اكتشفها "رويز ماطا" (Diego Ruiz Mata) في "كاستييو دي دونيا بلانكا" (Castillo de Doña Blanca) حوالي 18 سنتمتر. وهي أقصر من الجفنات القاربية السالفة الذكر. انظر :
Ruiz Mata(D), Las ceramicas fenicias del Castillo de Doña Blanca, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, op. cit, fig. 4, n° 5 et fig. 5, n° 14-15.

[389] وهي بمثابة فسقيات أكبر حجما من الشكل السابق وأكثر عمقا، وذات قطر كبير. ويبلغ هذا القطر حسب العينة التي اكتشفها "رويز ماطا" (Diego Ruiz Mata) في "كاستييو دي دونيا بلانكا" (Castillo de Doña Blanca) حوالي 30 سنتمتر. انظر :
Ruiz Mata(D), Las ceramicas fenicias del Castillo de Doña Blanca, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, op. cit, fig. 6, n° 10.

[390] تعرفنا على ذلك من خلال المقياس الوارد في رسم رقم 21 من مؤلف "بونسيك" (M. Ponsich). انظر :
Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, fig. 21, p. 75.

[391] Bokbot(Y) et Onrubia-Pintado(J), Substrat autochtone et colonisation phénicienne au Maroc, dans : **L'Afrique du Nord antique et médiévale. VIè Colloque internationa sur l'histoire et l'archéologie de l'Afrique du Nord** (Pau, 1993), Productions et exportations africaines-Actualités archéologiques, Paris, 1995, p. 223.

الجفنات ذات الحاشية المستقيمة	استبار قطاع المنازل	طراديل	~ 4	القرن الثامن أو السابع
الجفنات ذات الحاشية المستقيمة	خزان معبد F	بونسيك	؟	ربما القرن السابع ق.م
الجفنات النصف الدائرية	استبار الخروب	طراديل	2	القرن الثامن ق.م
الجفنات النصف الدائرية (جفنة كاملة)	خزان معبد F (رسم)	بونسيك	1	القرن الثامن أو السابع
؟	استبار الزيتونة	بعثة 1999	؟	القرن الثامن ق.م

هكذا يتجلى من خلال الانواع التي استعرضناها، أن الاواني الخزفية ذات البرنيق الاحمر المكتشفة في ليكسوس تمثل تقريبا أشهر النماذج المصنوعة من هذا النوع التي قام الفينيقيون بتوزيعها، وأكثرها انتشارا، باستثناء المبخرات ذات البرنيق الاحمر التي لم يكتشف لحد الآن أي نموذج عنها. كما يستخلص من الدراسة المقارنة لهذه النماذج، التي يتراوح تاريخ وجودها في المستوطنات الفينيقية خلال مرحلة تمتد عموما من الربع الاول من القرن الثامن قبل الميلاد الى نهاية القرن السابع قبل الميلاد مع امتدادات في القرن السادس قبل الميلاد، أن مصدرها كان من الشرق الفينيقي. بل نتوفر على إشارات توحي بأن ليكسوس كانت تضم نماذج أخرى من الخزف الفينيقي ذي البرنيق الاحمر، مثل "الاباريق ذات العنق النفلي" (Oenochoés à col tréflé)[392]، والجرار[393]. لكن انعدام المعلومات التوضيحية والاشكال المرفلوجية حول هذين النوعين، أدى الى تعذر جدولتهما ضمن قائمة الاواني الخزفية التي قمنا بتصنيفها.

علاوة على ذلك، عرفت ليكسوس أنواعا خزفية فينيقية أخرى مختلفة عن الخزف الفينيقي ذي البرنيق الاحمر، من حيث الشكل والاستعمال والبرنيق أو الصباغة، يمكن تجميعها في صنفين كبيرين، وهما الخزف المصبوغ المتعدد الالوان والخزف غير اللامع.

---

(392) يذكر محمد حبيبي في دراسته حول الخزف الفينيقي الاحمر بليكسوس أن استبار الخروب عرف "نوع الاباريق ذات العنق النّفلي" (Oenochoés à col tréflé). انظر :

Habibi(M), La céramique à engobe rouge phénicien de Lixus, op. cit, p. 145.

وبالفعل سيتبين إمكانية وجود هذا النوع في استبار الخروب، من خلال الرسوم المنشورة حول المواد المحفوظة في المتحف الاركيولوجي بتطوان، والتي أنجزتها البعثة الاسبانية عام 1992. انظر :

Belèn(M), Escacena(J.L.), Rodero(A), López Roa(C), Materiales de época fenicia de las excavaciones de Tarradell conservados en el museo de Tetuán, op. cit, p. 92, fig. 6 : n° 460-461.

(393) Maass-Lindemann(G), A comparison of the phoenician pottery of Lixus with the west phoenician pottery of Spain, op. cit, p. 178, fig. e et f.

الفصل السادس
الخزف الفينيقي المصبوغ متعدد الالوان

عند حديثه عن حصيلة الاستبارات التي تم إنجازها في ليكسوس[1]، أورد "ميكيل طراديل" (M.Tarradell) في كتابه "المغرب البونيقي"[2]، أنه عثر الى جانب الخزف الفينيقي ذي البرنيق الاحمر، على كسرات خزفية في حالة مهشمة، كانت مصبوغة بأشرطة سميكة حمراء اللون، أو مصبوغة بخطوط رقيقة، يبلغ عددها عادة خطان اثنان متوازيان أو أكثر، يغلب على معظمها اللون الاحمر الداكن أو البني أو البنفسجي؛ وأحيانا تكون هذه الالوان مجتمعة في القطعة الواحدة.

وإن كنا نسجل على الباحث الاسباني أنه لم يقم بنشر أي رسم ولا أية لوحة حول هذا النوع الخزفي، كما هي عادته في معظم الكسرات الخزفية التي اكتشفها بليكسوس، إلا أنه مكننا مع ذلك من التعرف على مواقع الاستبارات التي عرفت هذا النوع. فقد ذكر بأنه عثر في المستوى الاستراتيغرافي رقم V باستبار الخروب على "خزف مصبوغ بأشرطة واسعة أو بخطوط رقيقة"، كان مصاحبا للخزف المعهود في المستوى الفينيقي بليكسوس، أي الخزف ذي البرنيق الاحمر الفينيقي والخزف المخروط العادي والخزف ذي التقليد النيوليتي[3]. وبالفعل سيتأكد حضور الخزف المصبوغ في هذا الاستبار بحوالي 21 كسرة، بعد نشر الرسوم المتعلقة بالمواد المحفوظة في المتحف الاركيولوجي بتطوان[4] (انظر لوحة XI-XII-XIV-XVI). كما سيتأكد حضوره كذلك بعد قيام البعثة المغربية-الاسبانية عام 1999 بحفائر جديدة في استبار الخروب، بعد أن تم الكشف عن كسرات قليلة تتميز بصباغة على شكل خطوط أو أشرطة أفقية ليست بالعريضة ذات اللون البني الغامق أو المحمرّ أو الاسود (انظر لوحة XXXIV)[5]. كما سيتأكد وجود نفس الخزف في استبار "قطاع المنازل ما قبل الرومانية" بما مجموعه عشر كسرات، بفضل الدراسة التي قامت بها "ماريا بيلين وآخرون" للخزف المحفوظ في المتحف الاركيولوجي بتطوان[6] (انظر لوحة XXIII-XXIV).

علاوة على ذلك، أورد "طراديل" أنه عثر على قطع من الخزف المصبوغ في الاستبار رقم 12 الذي أجراه في الفناء المعمد لدار "مارس" (Mars) و"ريا" (Rhéa)، والذي وصفه بأنه كان مصبوغا بأشرطة متوازية ضيقة ذات اللون الاسود[7].

هذه الاوصاف نجدها حاضرة كذلك في استعراض الخزف الفينيقي الذي اكتشفه "ميشيل بونسيك" (M Ponsich) في حي المعابد بليكسوس، مما يجعلنا شبه متيقنين أن الامر يتعلق بنفس المنتوج. فمما لاشك فيه

---

(1) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, **Sintesis de los sondeos**, p. 155-159.

(2) Idem, Ibid, p. 157.

(3) Idem, Ibid, p. 149.

(4) Belèn(M), Escacena(J.L.), Rodero(A), López Roa(C), Materiales de época fenicia de las excavaciones de Tarradell conservados en el museo de Tetuán, op. cit, p. 92-93, cuadro 4, p. 89.

(5) Alvarez(N), Gómez Bellard(C), Habibi(M), De Madaria(J.L), La ocupación fenicia, op. cit, p. 77, fig. 5, n° 1-2.

(6) Belén(M), Escacena(J.L), López Roa(C), Rodero(A), Fenicios en el Atlántico. Excavaciones españolas en Lixus : Los conjuntos "C. Montalbán" y "cata basílica", op. cit, p. 350, n° 17-20-21-27.

(7) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 155.

أن الكسرات الخزفية المصبوغة المخططة التي عثر عليها الباحث الفرنسي في الطبقة الاركيولوجية رقم 3 من الاستبار رقم 2 الذي أجراه في مبنى حرف B[8]، كانت من نفس النوع السالف الذكر الذي اكتشفه "ميكيل طراديل"، رغم أن "بونسيك" لم يقم بدوره بنشر أية صورة حول هذه الكسرات.

كما كان نفس الخزف حاضرا ضمن المواد المصاحبة للاواني الفينيقية التي حواها خزان معبد F، حيث يشير "بونسيك" (M. Ponsich) الى اكتشافه لمجموعة من قطع بطون تعود حسب تعبيره الى "الخزف المصبوغ ذي الزخرفة الهندسية الجيد الصنع"[9]. وفي مجال آخر يشير الى العثور بهذا الخزان على "أخزاف مصبوغة بزخارف هندسية ذات الجودة العالية في الصنع وفي استعمال العجين، ذات التأثير القبرصي أو المستوردة من قبرص"[10]، مما يرجح أن هذا المنتوج وصل الى ليكسوس بواسطة التجار الفينيقيين.

وفيما يلي جدولا مفصلا حول الخزف المصبوغ بليكسوس الذي اكتشفه كل من "ميكيل طراديل" و"ميشيل بونسيك"، والبعثة المغربية-الاسبانية:

الجزء المكتشف	مكان الاكتشاف	المكتشف	العدد	التاريخ
كسرات (أشرطة سميكة أو خطوط رقيقة)	جل الاستبارات	طراديل	؟	القرن الثامن أو السابع
كسرات (أشرطة واسعة أو خطوط رقيقة)	استبار الخروب	طراديل	21	ربما القرن الثامن ق.م
كسرات أعناق وعروات	استبار البازيليك	طراديل	3	القرن الثامن أو السابع
كسرات (أشرطة متوازية ضيقة سوداء)	دار مارس وريا	طراديل	؟	القرن السابع على الاقل
كسرات	استبار قطاع المنازل	طراديل	10	القرن الثامن أو السابع
كسرات (أشرطة بنية أو محمرّة أو سوداء)	استبار الخروب 2	بعثة 1999	؟	القرن السابع ق. م
كسرات (أشرطة مخططة)	مبنى حرف B	بونسيك	؟	القرن السابع على الاقل
كسرات (شريط سميك+خطوط رقيقة)	خزان معبد F	بونسيك	؟	القرن السابع على الاقل

وبتأملنا في بعض الرسوم واللوحات التي نشرها "ميشيل بونسيك" حول هذا الخزف[11] (انظر لوحة XXXV وXLIV)، علاوة على رسوم استبار الخروب التي نشرتها "ماريا بيلين وآخرون"[12]، يتبين أن شكل الزخرفة كانت تتألف في معظمها[13] من خطوط أفقية رقيقة أو غليظة[14]، أو هما معا.

---

(8) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 37.

(9) Idem, Ibid, p. 70.

(10) Idem, Ibid, p. 73.

(11) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, fig. 22, p. 76, pl. XXIV, p. 68 et pl. XXVI, p. 77.

(12) Belèn(M), Escacena(J.L.), Rodero(A), López Roa(C), Materiales de época fenicia de las excavaciones de Tarradell conservados en el museo de Tetuán, op. cit, fig. 4-5-7-9.

(13) الى جانب الخزف المصبوغ بخطوط أفقية، يتبين من خلال لوحة رقم XLIV التي تتضمن بعض القطع الخزفية التي عثر عليها "ميشيل بونسيك" (M. Ponsich) في ردم خزان معبد F، أن ليكسوس عرفت نوعا آخر من الخزف المصبوغ تتألف زخرفته من دوائر متمركزة، عوض الاشرطة أو الخطوط الافقية (Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, pl. XXVI). غير أن صعوبة معرفة هل يعتبر هذا الخزف فينيقيا أم قبرصيا أم إغريقيا، دفعنا الى عدم إدراجه ضمن الاواني الخزفية الفينيقية الواضحة المعالم في ليكسوس. غير أنه سيتبين فيما بعد حضور هذه الزخرفة في المستوى الفينيقي لاستبار الخروب بقطعة واحدة، بعد نشر الرسوم المتعلقة بالمواد المحفوظة في المتحف الاركيولوجي بتطوان، والتي قامت بدراستها البعثة الاسبانية سنة 1992. انظر :

فما هو الانتماء الحقيقي لهذا الخزف ؟ وكيف يمكن تصنيفه ؟ وماهي أشكاله ؟

I ـــ المميزات المرفلوجية والتوزيع في الحوض المتوسطي :

مما لاريب فيه أن نماذج ليكسوس السالفة الذكر، وإن كانت غير معاصرة، تعود الى نفس الخزف الذي اكتشفه "أندري جودان" (A. Jodin) في المستوى الإستراتيغرافي الفينيقي لجزيرة الصويرة، والذي أطلق عليه اسم "الخزف الفينيقي المصبوغ ذو التقليد الايوني"[15]. ورغم أن مصدر هذا الخزف كان يقرن عموما خلال الستينيات من القرن العشرين إما بجزيرة قبرص[16] أو بأيونيا[17]، إلا أنه أضحى شبه مؤكد الآن أنه خزف فينيقي المنبع، بعد العثور على نماذج منه في جل الجهات التي شملتها التوسعات الفينيقية[18]. وهو خزف مخروط، متشكل في غالبيته من جرار كبيرة الحجم تستخدم للنقل والتخزين[19]، ومزخرف بخطوط أفقية ومتوازية متعددة الالوان، إما على شكل خطوط سوداء، أو خطوط سوداء فوق أشرطة حمراء، أو خطوط سوداء وحمراء فوق برنيق ضارب الى البياض[20].

وتمثل الزخرفة الخطوطية أكثر الاصناف انتشارا من النمط الهندسي، وأكثرها تبسيطا، حيث كان في إمكان الفخار، عند مرحلة نهاية العمل، أن يضيف فرشة واحدة أو فرشتين من الالوان على آنيته وهي تدور[21]. وكانت الجرار المصبوغة بهذه التقنية كروية الشكل تقريبا أو بيضوية، وذات أعناق مختلفة في العرض والارتفاع. كما تميزت بتوفرها على عروتين مزدوجتين تمَّ إلحاقهما بالجرة من كل جهة العنق بعد إنهاء عملية الخرط. أما الحاشية فتتميز بشفة متورمة بعض الشيء نحو الخارج[22]. وقد تم العثور على هذه

Belèn(M), Escacena(J.L.), Rodero(A), López Roa(C), Materiales de época fenicia de las excavaciones de Tarradell conservados en el museo de Tetuán, op. cit, p. 92, fig. 5 n° 185.

(14) من خلال لوحة رقم XXXV، يتبين أن الصورة السفلى تبين قطعتين من الخزف المصبوغ بشريط سميك وثلاثة أشرطة رقيقة. ورغم أن "ميشيل بونسيك" (M. Ponsich) يشير في مفتاح اللوحة أن الامر يتعلق بالخزف المصبوغ الايبيري، فإن القطعتين تنتميان الى نفس المنتوج الذي أدخله الفينيقيون الى ليكسوس، والذي وجد في نفس المستوى الاستراتيغرافي بردم خزان معبد F، وهي الاباريق ذات القرص، وقارورات العطر، والصحون، والقناديل ذات المشعلين. انظر :

Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, pl. XXIV, p. 68

(15) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, chap. VI : La céramique peinte de tradition ionienne, p. 149 - 166 ; pl. XXXIX à XLV ; fig. 31 à 33.

العزيفي (محمد رضوان)، الفينيقيون في جزيرة الصويرة، المرجع السابق، ص. 7، هامش رقم 21.

(16) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, fig. 22, p. 76, pl. XXVI, p. 73.

(17) كان "أندري جودان" (A. Jodin) يطلق عليه اسم "الخزف المصبوغ ذو التقليد الايوني" (Céramique peinte de tradition ionienne). وهو استعمال يشوبه بعض الابهام والالتباس، إذ لم يكن مصدره بالضرورة من منطقة أيونيا. بل كان استعمالا متداولا لمدة طويلة، لم يجد "أندري جودان" بدا من الاستمرار في استعماله عند اكتشاف هذا الخزف في جزيرة الصويرة. انظر :

Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 149.

(18) كان الخزف المصبوغ يشوبه في الماضي غموض كبير حول أصله ومصدره، نظرا لشيوعه بين العديد من الشعوب المتوسطية منذ عصور ما قبل التاريخ. ومع حلول عصر الحديد، وتطور الملاحة الفينيقية، سيعرف هذا الخزف أوج انتشاره، بعد أن عمل التجار الفينيقيون على تطوير الخزف الكنعاني القديم الذي عرفته بلادهم منذ مدة، وقاموا بتسويقه.

(19) Gran-Aymerich(J. M), Malaga fenicia y púnica, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, vol. I, op. cit, p. 140.

(20) Gran-Aymerich(J. M), Malaga fenicia y púnica, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, vol. I, op. cit, p. 140.

(21) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 149.

(22) Idem, Ibid, p. 149.

الجرار بكثرة في المستوطنات الفينيقية بإسبانيا، لكن ليس في المقبرات[23]، في حين كانت حاضرة في مراكز شمال إفريقيا ضمن المحتويات الجنائزية التي وضعت في المدافن. فقد وجدت في مقبرة راشكون بالجزائر[24]، و في مدافن حرق الإطفال المعروفة بالتوفة (tophet)[25]، حيث استعملت كمرمدات، سواء في قرطاجة[26] أو موتية بصقلية[27].

ومن خلال الدراسة التي قام بها "أندري جودان" حول هذا النوع من الجرار، خلص الى تقسيمهما الى صنفين مختلفين[28]:

1) الصنف الاول: الجرار ذات العنق الضيقة[29]:

تعرف هذ الجرار كذلك باسم "الامفورات ذات العنق" (amphores à col)، أو باسم "الجرار ذات التراجع" (jarres à décrochement)[30]، أو بالمرمدات من نوع "كروز ديل نيكرو" (Cruz del Negro)، كما يحلو للاسبان أن يدعونها. وهي جرار كبيرة الحجم يتراوح علوها ما بين 330 و400 مم، تتميز بعنق أسطوانية أو مفتوحة نحو الاعلى تنتهي بشفة بارزة[31]، وبعروتين مزدوجتين متقابلتين، تجمعان وسط العنق أو قاعدته بأعلى البطن، دون أن تلتصقان بالحاشية. أما جسم الجرة، فيتميز بشكله شبه الكروي، مع ميل طفيف في بعض الحالات نحو الشكل البيضوي. ويتشكل قدم الاناء من قاعدة ناتئة بعض الشيء. وفيما يتعلق بالزخرفة، فهي عبارة عن خطوط مصبوغة أفقيا فوق العروتين الى حدود الشفة أو تحتهما. أما الطين التي صنعت منها الآنية، فهي تتميز بنعومتها وصفائها، مما يجعلها شبيهة بالطين المستعملة في الخزف ذي البرنيق الاحمر، وأحيانا مطابقة للطين التي صنعت منها الصحون والجفنات التي مر ذكرها. أما لونها فيكون تارة صوفيا، وتارة أحمرا، وتارة أخرى أبيضا مائلا الى الاخضر الزَّيْزَفونيّ.

وحسب النماذج التي اكتشفها "أندري جودان" في جزيرة الصويرة، فإن بعض هذه الجرار كانت تتوفر على برنيق، والبعض الآخر لا برنيق لها[32]. ففي النوع الاول كانت الآنية تُغطس في برنيق أبيض لبني، كان يستعمل كلون أساسي للزخرفة، التي كانت تتشكل عموما من أشرطة مصبوغة أفقية، تعلوها في بعض الحالات خطوط رقيقة سوداء. ومن المرجح أن استعمال أشرطة أو نطاقات ذات اللون الاحمر اللامع

---

(23) Maass-Lindemann (G). Vasos fenicios de los siglos VIII-VI en España. Su procedencia y posición dentro del mundo fenicio occidental, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, t. I, op. cit, p. 237.

(24) Vuillemot(G), La nécropole punique du Phare de l'île de Rachgoun, op. cit, pl. 1, 4, 5.

(25) العزيفي (محمد رضوان)، القرابين البشرية بالعالم الفينيقي-البونيقي من خلال التراث الادبي والاركيولوجي، **المائدة المستديرة حول آداب الشرق القديم وتلاقح الحضارات**، من تنظيم كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط بتعاون مع مؤسسة كونراد أديناور الالمانية، مراكش 25-28 ماي 2000 (تحت الطبع).

(26) Harden(D.B), The pottery from the precinct of Tanit at Salambo, Carthage, op. cit, p. 59 ss, fig. 3, 1j; fig. 4, 1r.

(27) Bevilacqua(F), Mozia VII, Roma, 1972, pl. 27, 31.

(28) وكان "أندري جودان" (A. Jodin) قد قسم هذه الجرار فيما سبق الى ثلاثة أنواع، عند اكتشافها لاول مرة في جزيرة الصويرة ؛ وذلك اعتمادا على شكل العروات. انظر:

Jodin(A), Note préliminaire sur l'établissement pré-romain de Mogador, op. cit, p. 32-33, fig. 11 et pl. V.

(29) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 150, fig. 31, pl. XXXIX, XL, XLI.

(30) Gómez Bellard(C), **Céramique**, Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique,op. cit, p. 100, fig. 83.

(31) Ruiz Mata(D), Las ceramicas fenicias del Castillo de Doña Blanca, dans **Los Fenicios en la peninsula ...**, op. cit, p. 254, fig. 6, n° 7-9.

(32) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 150-151.

أو الاسمر الداكن في بعض النماذج، يوحي بأن هذه الجرار صنعت في نفس المعامل التي أعدت الخزف الفينيقي ذي البرنيق الاحمر، مما يجعل منها إحدى فروع هذا الخزف.

أما النوع الثاني عديم البرنيق[33]، فإنه يختلف عن الاول بتوفره على طين حرشاء، ذات اللون الاحمر الآجوري أو الابيض المخضر. أما الزخرفة، فقد استعملت مباشرة فوق سطح الآنية بواسطة الفرشاة على شكل أشرطة واسعة من الصباغة الحمراء مخططة بخطوط سوداء، تحيط بالبطن، وأحيانا بالعنق وفوق العروتين. وكانت الالوان المستعملة لاتتبدل كثيرا، إذ كانت تغلب عليها الخطوط السوداء والاشرطة الحمراء أو السمراء، المرسومة بشكل محكم للغاية.

وفيما يتعلق بالمراكز التي تم العثور بها على الجرار ذات العنق الضيقة، فتجدر الاشارة الى أن المقارنات في هذا المضمار ليست بالهينة، وتعتريها بعض الصعوبات، مقارنة بالانواع الفينيقية الاخرى كالخزف ذي البرنيق الاحمر والامفورات. ومع ذلك، يمكن التأكيد على أن هذا النوع كان حاضرا في جزيرة الصويرة في مستوى أركيولوجي يؤرخ بالقرن السابع قبل الميلاد. فعلاوة على إناء شبه كامل اكتشفه "بول كووبيرلي" (P. Koeberlé) عام 1953، استطاع "أندري جودان"[34] أن يعثر على 39 كسرة من أعناق الجرار ذات العنق الضيقة، إضافة الى 119 شقفة غير مضبوطة تعود الى نفس النوع[35]. كما يرجّح أن تكون من نفس النوع الكسرة الخزفية الصغيرة التي اكتشفها "ميشيل بونسيك" في مدفن رقم 30 بمقبرة جبيلة، التي وصفها بأنها كانت مصبوغة بأشرطة داكنة[36].

وخارج المغرب، تم العثور على هذه الجرار في المقبرة الفينيقية لحرق الاموات بجزيرة راشكون بالجزائر، حيث كانت جميع الاواني الخزفية الجنائزية التي اكتشفها "جورج فييمو" (G. Vuillemot) جرارا مصبوغة بخطوط أفقية. وقد أطلق عليها عالم الآثار الفرنسي اسم "أواني جمع العظام" (vases ossuaires)، لكونها كانت تستخدم كمرمدات لحفظ عظام الاموات بعد حرق جثثهم[37]. كما تم العثور على هذه الجرار في جزيرة سردينيا بمستوطنة "طاروس" (Tharros) الفينيقية[38]. واكتشفت في إسبانيا بمقبرة "كروز ديل نيكرو" (Cruz del Negro)، حيث عثر عالم الآثار الفرنسي "ج. بونصور" (G.Bonsor) على نفس المرمدات الجنائزية التي عرفتها مقبرة "راشكون"، والتي كانت تتميز ببطن كروية وعروتين مزدوجتين، وكانت مزخرفة بخطوط مصبوغة باللون الاحمر الخمري[39]. وقد درست الباحثة الاسبانية "ماريا إوخينيا أوبيت" (Maria

---

(33) Idem, Ibid, p. 151-153.

(34) Jodin(A), Note préliminaire sur l'établissement pré-romain de Mogador, op. cit, p. 33, et pl. V j.

(35) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 153.

(36) Ponsich(M), Nécropoles phéniciennes de la région de Tanger, op. cit, p. 170, pl. XLIV, fig. 62.

ومع ذلك لا نستطيع أن نجزم هل تعود كسرة مقبرة جبيلة، الى نوع الجرار ذات العنق الضيق من تصنيف "أندري جودان"، أم الى نوع الجرار ذات العنق الواسع.

وانظر أيضا :

العزيفي (محمد رضوان)، الفينيقيون بفحص طنجة وعلاقاتهم بالسكان "من خلال مقابر ناحية طنجة ومحتوياتها المؤرخة ما بين القرن السابع قبل الميلاد وأواسط القرن السادس قبل الميلاد"، رسالة مرقونة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ القديم، المرجع السابق، الجزء الاول، ص. 252-245.

(37) Vuillemot(G), La nécropole punique du Phare de l'île de Rachgoun, op. cit, p. 12-13, pl. IV et V et photo pl. VI.

(38) Acquaro(E), Tharros-VI : La scavo del 1979, **Rivista di Studi Fenici VIII**, 1980. p. 87, fig. 33.

(39) Bonsor(G), Les colonies agricoles préromaines de la vallée du Bétis, op. cit, p. 76, fig. 3.

جرار "كروز ديل نيكرو" بإسهاب[40]، وأورد في شأنها "بيسير كاطالان" (M. Eugenia Aubet) (Pellicer Catalan) أن مصدرها كان من مدينة صور، وأنها تؤرخ بالقرن السابع قبل الميلاد[41]. كما كانت نفس الجرار حاضرة ضمن الاواني الخزفية لمركز "لوس طوسكانوس" (Los Toscanos)[42]. ومما يرجح الاصل الفينيقي لهذا النوع، هو العثور على شقفات منها في فينيقيا نفسها على يد عالم الآثار الفرنسي "جورج كونتنو" (G.Contenau) منذ عام 1914[43].

2) الصنف الثاني : الجرار ذات العنق الواسعة[44] :

وهي الجرار المعروفة باسم *pithoi*، ذات الشكل البيضوي المطوّل، والمتوفرة على عروتين مزدوجتين[45]، وفي بعض الحالات على ثلاث عروات مزدوجة[46]. غير أنها تختلف عن الصنف الاول في شكل عنقها، الذي يتميز بقصر طوله وباتساع كبير لقطره بالنسبة لقطر الاناء. فقد تراوح طول هذه الاعناق حسب بعض العينات التي اكتشفها "أندري جودان" (A. Jodin) في جزيرة الصويرة، ما بين 31 مم و40 مم، بينما تراوح عرضها ما بين 130 مم و160 مم[47]. كما يختلف الصنف الثاني من هذه الجرار عن الصنف الاول في وضعية العروتين، اللتين تلتصقان مباشرة في حاشية العنق، حيث تعدان في الواقع امتدادا له[48]. أما الاحجام فهي متقاربة بين النوعين حسب النماذج المكتشفة في جزيرة الصويرة، إذ يبلغ متوسط قطرها ما بين 300 مم و320 مم، في حين يتراوح الارتفاع الكامل للجرة ما بين 330 مم و360 مم[49]. غير أن النماذج المكتشفة في المراكز الاسبانية تميزت بحجم أكبر من الصنف الاول حسب دراسة الباحثة الالمانية "كيرطا ماس–ليندمان" (Gerta Maass- Lindemann) حول الاواني الفينيقية المكتشفة بإسبانيا المؤرخة ما بين القرن الثامن قبل الميلاد والقرن السادس قبل الميلاد[50].

وفيما يتعلق بطبيعة الطين المستخدمة، فالملاحظ أنها أقل جودة من الطين الناعمة التي لاحظناها في الصنف الاول، حيث تميزت بتوفرها على بقع من السيليكوم والكلسيوم، وفقاقيع من الهواء، تبدو بالعين المجردة على سطح الاناء، مما يعطيه لمسا أحرشا ومظهرا محببا. وبسبب ذلك، لم تكن جرار الصنف الثاني

---

(40) Aubet(Ma.A), La cerámica, a torno de La Cruz del Negro (Carmona, Sevilla), **Simposi Internacional : Els Orígens del món ibèric**, Barcelona-Empúries, 1977, **Ampurias 38-40** (1976-78), p. 267 ss.

(41) Pellicer Catalan(M), Excavaciones en la necropolis punica "Laurita" del Cerro de San Cristobal (Almuñécar, Granada), op. cit, p. 49.

(42) Schubart(H) et Maass-Lindemann(G), Toscanos. El asentamiento fenicio occidental ..., op. cit, p. 71-74, fig. 1

(43) Contenau(G), Mission archéologique à Sidon (1914), op. cit, fig. 27.

(44) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 155-160, fig. 32, pl. XLII, XLIII.

(45) Ruiz Mata(D), Las ceramicas fenicias del Castillo de Doña Blanca, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, op. cit, p. 254 ; Gómez Bellard(C), **Céramique**, Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique,op. cit, p. 100, fig. 81.

(46) Schubart(H), El Asentamiento fenicio del s. VIII a. C. en El Morro de Mezquitilla (Algarrobo, Malaga), dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, op. cit, p.74, fig. 9a ; Maass-Lindemann (G), Vasos fenicios de los siglos VIII-VI en España. Su procedencia y posición dentro del mundo fenicio occidental, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, t. I, op. cit, fig. 2, n° 16, p. 236.

(47) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 155.

(48) Idem, Ibid, p. 155.

(49) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 155-157.

(50) Maass-Lindemann (G), Vasos fenicios de los siglos VIII-VI en España. Su procedencia y posición dentro del mundo fenicio occidental, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, t. I, op. cit, p. 235.

تطلى بأي برنيق، بل بصباغة تستخدم مباشرة فوق الطين. وكانت الالوان الغالبة لهذه الصباغة هي الاسود والابيض والاحمر الداكن وأحيانا الارجواني. أما الزخرفة، فكانت تتشكل من خطوط أفقية رقيقة سوداء وبيضاء. وعلى العموم تم العثور على الاصناف التي ينعدم منها البرنيق في مستويات أركيولوجية أحدث، أي لاحقة لبداية القرن السابع قبل الميلاد[51].

هذه الجرار، تم العثور عليها بكثرة في المستوى الفينيقي المؤرخ بالقرن السابع قبل الميلاد في جزيرة الصويرة، حيث اكتشف "أندري جودان" 15 عروة من هذا الصنف، الى جانب 92 شقفة مختلفة[52]. كما كانت حاضرة بمركز "كاستييو دي دونيا بلانكا" (Castillo de Doña Blanca)، ابتداء من القرن السابع قبل الميلاد. ومن خلال الاوصاف والرسوم التي قدمها مكتشف المركز "دييكو رويز ماطا" (Diego Ruiz Mata)[53]، يتبين أنها كانت طبق الاصل للصنف الثاني من الجرار المصبوغة بخطوط أفقية من تصنيف "أنــدري جودان"، كما يؤكد على ذلك الباحث الاسباني نفسه. كما تم العثور على إناء كامل من هذا النوع في مركز "شوريّراس" (Chorrearas) الفينيقي الموجود بناحية مالقة، يعتبر أقدم إناء تم اكتشافه لحد الآن في الغرب، إذ يمكن تأريخه بأواسط القرن الثامن قبل الميلاد أو بالنصف الثاني منه[54]. وعرف مركز "لوس طوسكانوس" (Los Toscanos) نفس الجرار كذلك في المستوى الاركيولوجي الفينيقي رقم IV، حيث تم تأريخه خلال مرحلة تتراوح بين سنة 700 قبل الميلاد و650 قبل الميلاد[55]. كما عرفها كذلك مركز "إــيل مورّو دي ميسكيتيا" (El Morro de Mezquitilla) المؤرخ بالقرن الثامن قبل الميلاد، حيث اكتشف عالم الآثار الالماني "هيرمانفريد شوبارت" (H. Schubart) جزءا علويا من هذه الجرار، كان مصبوغا بأشرطة واسعة من صباغة حمراء يفصل بينها خطان ضيقان من اللون الرمادي المسود[56]. وكانت حاضرة أيضا في العديد من المراكز الاسبانية المحلية التابعة للدائرة الطرطيسية التي دخلت في علاقات تجارية مع الفينيقيين، بكل من "لاكولينا دي لوس كيمادوس" (La Colina de Los Quemados) بناحية قرطبة[57]، و"كابيسو دي سان بيدرو" (Cabezo de san Pedro) بمدينة "ولبة" (Huelva)[58]. كما عرفتها المراكز المحلية لمنطقة الساحل الجنوبي الشرقي للاندلس، بكل من مركز "لا سييرّا دي كريفييينطي" (La Sierra de Crevillente) بناحية "أليكانطي" (Alicante)[59]، ومركز "لــوس سالاداريس" (Los Saladares)[60]. وتم العثور عليها

---

(51) Ruiz Mata(D), Las ceramicas fenicias del Castillo de Doña Blanca, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, op. cit, p. 254.

(52) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 155.

(53) Ruiz Mata(D), Las ceramicas fenicias del Castillo de Doña Blanca, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, op. cit, p. 254-255, fig. 6, n° 5-6 ; fig. 8, n° 1.

(54) Aubet(Ma. E), Maass-Lindemann(G), Schubart(H), Chorreras, un establecimiento fenicio al E. de la desembocadura del Algorrobo, **Noticiario arqueológico Hispánico 6**, 1979, p. 110-112, fig. 8, 3a.

(55) Schubart(H) et Maass-Lindemann(G), Toscanos. El asentamiento fenicio occidental …, op. cit, p. 74-78, fig. 2.

(56) Schubart(H), El Asentamiento fenicio del s. VIII a. C. en El Morro de Mezquitilla (Algarrobo, Malaga), dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, op. cit, p.74, fig. 9a.

(57) Luzón(J.M), Ruiz Mata(D), Las raíces de Córdoba. Estratigrafía en La colina de Los Quemados, Cordoba, 1973, pl. XXII.

(58) Blàzquez(J.M), Ruiz Mata(D), Excavaciones en El Cabezo de San Pedro (Huelva). Campaña de 1977, op. cit, p. 169, fig. 59.

(59) Gonz?lez Prats(A), Estudio arqueológico del poblamiento antiguo de la Sierra de Crevillente (Alicante), (Anejo I de la Revista **Lucentum**), Alicante 1983, p. 220-223.

في إسبانيا كذلك[61] في ساحل "الليفانطي" (Levante)، بمركز "فينار اكيل" (Vinarragell)، حيث تم تأريخها بأواخر القرن السابع قبل الميلاد[62].

وخارج إسبانيا، كانت الجرار ذات العنق الواسعة حاضرة بكثرة في مركز "راشكون" بالجزائر خلال القرنين السابع والسادس قبل الميلاد[63]. كما وجدت في قرطاجة في سياق أركيولوجي يؤرخ بالقرن الثامن قبل الميلاد، تحمل رقم 325 bis من تصنيف "سانتاس" (P.Cintas)[64]. وقد تم العثور على جرار قرطاجة بالخصوص في المستويين الاستراتيغرافيين المعروفين بتانيت I وتانيت II، المؤرخين ما بين تاريخ تأسيس قرطاجة حوالي عام 814 قبل الميلاد وبين سنة 700 قبل الميلاد[65].

وحول مصدر هذه الجرار، فلا مجال للشك في أصولها الشرقية، حيث كانت موجودة في الساحل السوري والفلسطيني منذ النصف الثاني من الالف الثانية قبل الميلاد[66]. كما كانت حاضرة ضمن المحتويات الجنائزية التي توفرت عليها مقبرة خالدة الفينيقية المكتشفة في ضواحي بيروت[67]. وعرفت بالامفورات في المدافن الفينيقية المكتشفة في لبنان بكل من "قراية" (Qrayé) و"خربة سليم" و"خويا"[68]. وتم العثور عليها في مركز تل الرقيش (Tell er Reqeish) بالساحل الفلسطيني على بعد 15 كلم من جنوب غرب غزة[69].

II – تصنيف كسرات ليكسوس ومحاولة تأريخها :

من خلال هذه المقارنات، يتبين بكل وضوح أن الكسرات المصبوغة بأشرطة أفقية وخطوط رقيقة التي اكتشفها بليكسوس كل من "طراديل" و"بونسيك" ، ترجع الى صنف الخزف الفينيقي المصبوغ. كما يتأكد

---

(60) Artega(S), Los Saladares 71, **Noticiario arqueológico Hispánico 3**, 1975, pl. XXI.

(61) يمكن إضافة بعض المراكز الاسبانية الاخرى التي تم العثور بها على كسرات من الخزف المصبوغ، بالرغم من صعوبة التأكد من نوع الاواني التي تعود إليها تلك الكسرات. من هذه المراكز نذكر مستوطنة فينيقية تؤرخ بالقرن السابع قبل الميلاد اكتشفت عند مصب نهر "فيليز" (Velez) في إقليم مالقة. هناك، وخلال بعض الحفائر التي قام بها كل من عالمي الآثار الالمانيين "هيرمانفريد شوبارت" (H. Schubart) و"هانس نييميير" (H. Niemeyer) وعالم الآثار الاسباني "مانويل بيبسير كاطلان" (M. Catalan)، تم العثور من بين العديد من اللقى الخزفية على خزف مصبوغ من النوع المزخرف بأشرطة أفقية داكنة. انظر :

Niemeyer(H.G), Pellicer Catalan(M), Schbart(H), Eine Alpunische Kolonie der Mundung des Rio Velez, Berlin, 1964.

كما نضيف القطعة الخزفية المصبوغة بخطوط أفقية سوداء التي عثر عليها "مانويل بيبسير كاطلان" (M. Pellicer Catalan) في قبر رقم 17 بالمقبرة الفينيقية لمركز "المونيكار" (Almuñécar). انظر :

Pellicer Catalan(M), Excavaciones en la necropolis punica "Laurita" del Cerro de San Cristobal (Almuñécar, Granada), Excavaciones Arqueologicas en España (Madrid, 1962), p. 24-30, fig. 27, n° 2, p. 33.

(62) Mesado(N), Vinarragell (Buriana, Castellón), **SIP 46**, Valencia, 1974, fig. 19 n°1.

(63) Vuillemot(G), La nécropole punique du Phare de l'île de Rachgoun, op. cit, p. 12-13, pl. V, n° 2 et 10.

(64) كان "بيير سانتاس" (P. Cintas) يعتبر من المتخصصين المرموقين منذ الخمسينيات من القرن العشرين في علم الآثار البونيقي، حيث قام بعدة تنقيبات أركيولوجية في قرطاجة، توجت بنشر مؤلفه الشهير "الخزف البونيقي"، الذي كان يعتبر الى عهد قريب من المراجع الاساسية في تصنيف الخزف القرطاجي. انظر :

Cintas(P), Céramique punique, op. cit, pl. XXVIII.

(65) Harden(D.B), The pottery from the precinct of Tanit at Salambo, Carthage, op. cit, p. 59 et ss ; Cintas(P), Manuel d'Archéologie punique, op. cit, t. I, p. 367-368, pl. XXXVI.

(66) Bisi(A.M), Ceramica punica. Aspetti e problemi, Napoli, 1970, p. 51.

(67) Saidah(K), Fouilles de Khaldé, **B.M.B 19**, 1966, p. 52 et ss.

(68) Vibert Chapman(S), A Catalogue of Iron Age pottery from the Cemeteries of Khirbet Silm, Joya, Qrayé and Qasmieh of South Lebanon, **Berytus 21**, 1972, P. 105 ss, p. 161 ss.

(69) Gómez Bellard(C), **Céramique**, Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique,op. cit, p. 100.

أن هذا النوع الخزفي تم توزيعه على سائر المستوطنات الفينيقية والمراكز المحلية التي أبرمت علاقات تجارية مع الفينيقيين، منذ القرن الثامن قبل الميلاد. غير أن القطع المكتشفة كانت قليلة، سواء في ليكسوس أو غيرها من المنشآت، كما أكدت على ذلك الدراسة التي قامت بها البعثة الاسبانية للمواد المحفوظة في المتحف الاركيولوجي بتطوان[70]، وأكدته كذلك الحفائر الجديدة التي تمت في اسنبار الخروب عام 1999، حيث كانت نسبة الخزف المصبوغ لا تتعدى 6% من مجموع الخزف الفينيقي[71]. ومن جانب آخر، يتبين أن الخزف المصبوغ عرف أوج انتشاره خلال القرن السابع قبل الميلاد، واستمر في الوجود خلال النصف الاول من القرن السادس قبل الميلاد. وفي هذا الصدد، نشير الى أن "الجرار المصبوغة بأشرطة وخطوط رقيقة أفقية"، المؤرخة ما بين القرن الثامن قبل الميلاد والقرن السادس قبل الميلاد، والتي تم اكتشافها مؤخرا في مركز "كَشكوش" بوادي لاو[72]، ربما تعود الى نفس النوع الخزفي الذي نحن بصدده.

صحيح أننا لم نكن نعلم بدقة صنف الجرار التي انكسرت منها شقفات ليكسوس، لكون القطع المكتشفة لم تكن تعود الى الاجزاء التي تُمكّن من التعرف على شكل الاناء، مثل العروات أو الاعناق، بل كانت تعود في معظمها حسب اللوحات المنشورة، الى بطون الاواني. غير أن الدراسة التي قامت بها "ماريا بيلين وآخرون" لمواد اسنبار الخروب المحفوظة في المتحف الاركيولوجي بتطوان منذ عام 1992، والتي لم يتم نشرها سوى في عام 2001، جاءت لتثبت أن التصنيف الذي اعتمدناه حول الاشكال المفترضة للأواني المصبوغة كان صحيحا. فقد أكدت القطعة رقم 163، التي تمثل جزءا من العنق، أنها تنتمي الى الجرار ذات العنق الضيقة المصبوغة بأشرطة حمراء وسوداء، والمعروفة لدى الاسبان بصنف جرار "كروز ديل نيكرو" (Cruz del Negro)[73] (انظر لوحة XII). كما أثبتت القطعة رقم 560، التي تمثل عروة مزدوجة ملتصقة بالكتف، والقطعة رقم 412، أن الامر يتعلق بالجرار ذات العنق الواسعة المعروفة باسم *pithoi*[74] (انظر لوحة XVI-XIV).

كما تم التأكيد من خلال دراسة الباحثين أنفسهم، أن اسنبار "البازيليك" عرف كذلك النوعين معا[75]، سواء تعلق الامر بالجرار ذات العنق الضيقة[76] (انظر لوحة XXII رقم 134)، أو بالجرار من نوع *pithoi*[77] (انظر لوحة XXII رقم 135). ونفس الظاهرة أكدت عليها الحفائر الجديدة المنجزة سنة 1999 في اسنبار الخروب (انظر لوحة XXXIV)[78].

وانطلاقا من الاوصاف التي قدمها "ميشيل بونسيك" حول هذه الكسرات، في كونها كانت من "النوع الجيد الصنع"[79]، وأنها كانت "أخزافا مصبوغة بزخارف هندسية ذات الجودة العالية في الصنع وفي استعمال

---

(70) Belèn(M), Escacena(J.L.), Rodero(A), López Roa(C), Materiales de época fenicia de las excavaciones de Tarradell conservados en el museo de Tetuán, op. cit, p. 92.

(71) Alvarez(N), Gómez Bellard(C), Habibi(M), De Madaria(J.L), La ocupación fenicia, op. cit, p. 77, fig. 1.

(72) Bokbot(Y) et Onrubia-Pintado(J), Substrat autochtone et colonisation phénicienne au Maroc, op. cit, p. 223.

(73) Belèn(M), Escacena(J.L.), Rodero(A), López Roa(C), Materiales de época fenicia de las excavaciones de Tarradell conservados en el museo de Tetuán, op. cit, p. 92, fig. 5, p. 96.

(74) Belèn(M), Escacena(J.L.), Rodero(A), López Roa(C), Materiales de época fenicia …, op. cit, p. 93, fig. 7-9.

(75) Belén(M), Escacena(J.L), López Roa(C), Rodero(A), Fenicios en el Atlántico…, op. cit, p. 352.

(76) Idem, Ibid, fig. 9, n° 134.

(77) Idem, Ibid, fig. 9, n° 135.

(78) Alvarez(N), Gómez Bellard(C), Habibi(M), De Madaria(J.L), La ocupación fenicia, op. cit, p. 77, fig. 5, n° 1-2

(79) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 70.

العجين[80]، فإننا نعتقد أنها تعود الى الصنف الاول من تصنيف "أندري جودان". وهو الصنف الذي كان يتوفر على برنيق، ويتميز بأشرطة أو نطاقات واسعة ذات اللون الاحمر اللامع أو الاسمر الداكن تعلوها في بعض الحالات خطوط رقيقة سوداء. وهذا ما يتأكد من خلال الالواح التي نشر فيها "ميشيل بونسيك" القطع الخزفية التي عثر عليها في ردم خزان معبد F[81]. كما يتأكد كذلك من خلال الاوصاف التي قدمها "طراديل" حول الكسرات التي اكتشفها في استبار الخروب، التي تميزت بتوفرها حسب قوله على "أشرطة سميكة حمراء اللون، أو مصبوغة بخطوط رقيقة، يبلغ عددها عادة خطان اثنان متوازيان أو أكثر"[82].

وقد اعتمد عالم الآثار الاسباني "دييكو رويز ماطا" (Diego Ruiz Mata) على هذه المميزات الزخرفية، ليخلص الى أن الجرار المصبوغة بأشرطة واسعة من البرنيق الاحمر المــُعَلَّمة بأشرطة سوداء أكثر ضيقا، كانت توجد في أقدم المستويات الاركيولوجية المؤرخة بنهاية القرن الثامن قبل الميلاد وبداية القرن السابع قبل الميلاد[83].

فهل يمكن الاستناد الى ذلك لاعتبار أن كسرات ليكسوس تعود الى نفس المرحلة التاريخية ؟ في الواقع، ما يمكن تأكيده هو أن العناصر الاركيولوجية التي تم تحليلها لحد الساعة، تتم بشكل واضح أن معطيات القرن السابع ق.م أضحت غير قابلة للجدال، بما فيها كسرات الخزف المصبوغ. والحالة هذه أن الحفريات الجديدة التي أنجزتها البعثة المغربية–الاسبانية عام 1999 في استبار الخروب، أكدت على هذه الكرونولوجية. فالكسرات المكتشفة في هذا الإستبار، المصبوغة بخطوط أو أشرطة أفقية ليست بالعريضة ذات اللون البني الغامق أو المحمرّ أو الاسود[84]، عرفتها بوفرة جزيرة الصويرة، ولم تعمم في مركز "كاستييو دي دونيا بلانكا" (Castillo de Doña Blanca) إلا مع نهاية القرن الثامن ق.م[85]. كما أن أهم مرحلة توزيع الجرار مصدر كسرات ليكسوس، حدثت خلال القرن السابع ق.م[86]، كما هو الشأن مثلا في مــركز "كواردامار"(Guardamar) بناحية "أليــكانطي" (Alicante)[87]، ومــركز"إيبيسا" (Ibiza)[88].

غير أن ذلك لايعني أن الخزف المصبوغ المكتشف في ليكسوس لم يكن أقدم من ذلك، خصوصا وأن "ميكيل طراديل" عثر على هذا النوع في المستوى الاستراتيغرافي رقم V من استبار الخروب. وهو المستوى الذي خلف أوان فينيقية أصبحت تؤرخ بكل تأكيد بالقرن الثامن قبل الميلاد، نذكر منها الاباريق ذات القرص والصحون المصنوعة من الخزف الفينيقي ذي البرنيق الاحمر.

---

(80) Idem, Ibid, p. 73.

(81) Idem, Ibid, pl. XXIV et XXVI.

(82) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 157.

(83) Ruiz Mata(D), Las ceramicas fenicias del Castillo de Doña Blanca, dans **Los Fenicios en la peninsula ...**, op. cit, p. 254, fig. 8, n° 1.

(84) Alvarez(N), Gómez Bellard(C), Habibi(M), De Madaria(J.L), La ocupación fenicia, op. cit, p. 77, fig. 5, n° 1-2.

(85) Ruiz Mata(D), Pérez(C), El poblado fenicio del Castillo de Doña Blanca, Puerto de Santa María (Cádiz), 1995, p. 57.

(86) Belén(M), Pereira(J), Cerámicas a torno con decoración pintada en Andaluc÷a, **Huelva Arqueológica VII**, 1985, p. 307-360.

(87) González Prats(A), La Fonteta. El Asentamiento fenicio de la desembocadura del Río Segura (Guardamar, Alicante, España). Resultados de las excavaciones 1996-97, **R.S.F XXVI, 2**, 1998, p. 203, fig. 10.

(88) Gómez Bellard(C), La cerámica fenicia de Ibiza, in Bartoloni(P), Campanella(L) (eds) : La ceramica fenicia di Sardegna. Dati, problematiche, confronti, **Coll. di Studi Fenici, 40**, Roma, 2000, p. 178.

وكيف ما كان الحال، وسواء كانت كسرات ليكسوس المصبوغة بخطوط أفقية، تعود الى نوع "الجرار ذات العنق الضيقة"، أو الى نوع "الجرار ذات العنق القصيرة والواسعة" المعروفة باسم *pithoi*، أو إليهما معا، فهذا يعني أن الامر يوحي بوجود مركز فينيقي مختص في التجارة، لأن النوعين كانا يستخدمان سواء في الغرب المتوسطي أو في الشرق الفينيقي كأواني كبيرة لتخزين البضاعة[89].

(89) Maass-Lindemann (G), Vasos fenicios de los siglos VIII-VI en España. Su procedencia y posición dentro del mundo fenicio occidental, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, t. I, op. cit, p. 235.

الفصل السابع

الخزف الفينيقي غير اللامع

الى جانب الخزف الفينيقي ذي البرنيق الاحمر، والخزف المصبوغ بخطوط أفقية، عرفت ليكسوس نوعا ثالثا من الاواني الخزفية الفينيقية، لم يكن يتوفر على أي برنيق ولا صباغة ولالمعان. وقد أطلق عليه "طراديل" اسم الخزف المخروط "الخشن" (ceramica a torno vulgar)[1]، وعرّفه أندري جودان" -عندما عثر عليه بكثرة في جزيرة الصويرة-، باسم "الخزف غير المزخرف ذو الاصول الشرقية" (Céramique sans décor de tradition orientale)[2]، أو "الخزف الفينيقي-القبرصي ذو الجوانب غير اللامعة" (Céramique phinico-chypriote à parois mates)[3]. وقد صنعت من هذا الخزف، سواء في ليكسوس أو في غيرها من المراكز الفينيقية، ثلاثة أنواع رئيسية من الاواني، وهي الامفورات، والثلاثيات الارجل، والقارورات.

I – الامفورات الفينيقية :

1) محاولات التصنيف :

خلال عملية التوسع الفينيقي في الحوض المتوسطي، قام الفينيقيون بتوزيع مواد تجارتهم بواسطة مجموعة مختلفة من جرار كبيرة الحجم، تُعرف عموما باسم "الامفورات" (amphores). وكانت هذه الامفورات تستعمل للنقل في الدرجة الاولى، لكن بعضها كان يستخدم كأداة جنائزية توضع في المدافن. وقد تم العثور على هذا المنتوج الخزفي في جل الجهات التي ارتبطت بشكل مباشر أو غير مباشر بالتجارة الفينيقية، إذ كان حاضرا في نطاق جغرافي واسع يمتد من سواحل الشرق الاوسط الى المحيط الاطلنطي المغربي والايبيري، سواء في المنشآت الفينيقية أو في المراكز المحلية التي تعاملت مع الفينيقيين. ونظرا لطول المدة الزمنية التي أُنتجت خلالها الامفورات الفينيقية، والتي عرفت سوابق قديمة في الساحل الفينيقي-الفلسطيني، وامتدادات محلية بعد انتهاء عملية التوسع الفينيقي، سوف نقتصر على دراسة الانواع التي صنعت خلال أنشط مرحلة من هذا التوسع، أي الممتدة من أوائل القرن الثامن قبل الميلاد الى أواسط القرن السادس قبل الميلاد. وهي المرحلة التي تنتمي إليها على العموم جل الاواني الخزفية الفينيقية المكتشفة بليكسوس، بما فيها الامفورات.

إلا أن القطع التي تم العثور عليها في ليكسوس لم تكن على شكل أمفورات كاملة، بل عبارة عن شقفات يعود معظمها الى أعناق وأجزاء الاكتاف. لذلك كان من الضروري الاستئناس ببعض الدراسات التصنيفية للامفورات الفينيقية، أملا في التعرف على الشكل الحقيقي للنماذج التي انكسرت منها هذه الشقفات. وفي هذا الصدد، تم الاعتماد بالدرجة الاولى على تصنيف الباحثة الالمانية "كيرطا ماس-ليندمان" (Gerta Maass-Lindemann) لهذه الامفورات، ضمن دراستها التحليلية للاواني الخزفية الفينيقية المكتشفة بإسبانيا،

---

(1) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 149.

(2) Jodin(A), Note préliminaire sur l'établissement pré-romain de Mogador, op. cit, p.31-32.

(3) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, chapitre V : Céramique phinico - chypriote à parois mates, p. 123-147.

والمؤرخة ما بين القرن الثامن قبل الميلاد والقرن السادس قبل الميلاد[4]. ويعزى هذا الاختيار الى التشابه الحاصل بين المعثورات الفينيقية المكتشفة بالمغرب وبين مثيلاتها المكتشفة بإسبانيا من جهة، ومن جهة ثانية يعزى الى عناصر المقارنة المعتمدة في تصنيف الباحثة الالمانية، مما جعل دراستها منطلقا يحتذى به لتصنيف الامفورات الفينيقية المؤرخة خلال نفس المرحلة، ومصدرا موثوقا به لمحاولة تصنيف نماذج ليكسوس.

تصنيف ماس- ليندمان" (G. Maass-Lindemann) :

قسمت "كيرطا ماس-ليندمان" الامفورات الفينيقية المؤرخة بالقرنين الثامن والسابع قبل الميلاد الى ثلاثة أنواع رئيسية، سواء المكتشفة منها في إسبانيا أو في جهات أخرى من الحوض المتوسطي.

1) الصنف الاول : Toscanos I (انظر لوحة XLVIII [I رقم 1]) : يمثل هذا النوع الامفورة الخاصة بالتخزين، التي لم تخضع لأية معالجة. ومن الناحية المرفلوجية، تتميز بمواصفات بارزة من السهل التعرف عليها، نذكر منها توفرها على حاشية متورمة على شكل اللوزة، وكتف قاربية، وعروتين سميكتين ومدورتين[5]. وقد عرف هذا النوع انتشارا كبيرا في المستوطنات الفينيقية، خصوصا بإسبانيا وشمال إفريقيا، سواء في مراكز الاستقرار أو في المدافن، سنعمل على ذكرها فيما بعد.

هذا النوع، الذي عرف بعض التغيرات الطفيفة، استمر في الاستعمال لمدة طويلة، خصوصا في الظهير المحلي القريب من المستوطنات الفينيقية[6].

2) الصنف الثاني : Toscanos II (انظر لوحة XLVIII [I رقم 2 أ]) : وقد عرف كذلك في الشرق، وتميز بانتشار كبير في الغرب[7]. وينتمي هذا الصنف من الامفورات الى خزف رفيع، حيث كانت بعض النماذج تطلى كلية بالبرنيق الاحمر، أو تصبغ بأشرطة ملونة أو نطاقات ذات صباغة أو برنيق[8]. وفي بعض عينات قرطاجة، زخرفت منطقة العروتين ابتداء من أوائل القرن السابع قبل الميلاد بزخارف عمودية ذات جمالية عالية[9] (انظر لوحة XLVIII [I رقم 2 ب]) . ويتميز هذا النوع من الامفورات بحجم أصغر من الصنف الاول، وبفوهة أوسع على شكل خاتم ذات جوانب متناسقة السُمك، وبكتف أضيق وأقل انحناء، وبعروتين مزدوجتين[10].

وقد تم العثور على هذا الصنف في أقدم المستويات الاستراتيغرافية بصور[11] وبتل سوقاس[12]، حيث كان تارة مكسوا ببرنيق أحمر، وتارة أخرى مصبوغا. أما في قرطاجة، فكانت أمفورات هذا النوع على العموم مصبوغة، ووجدت بأعداد كثيرة في مقبرة حرق الاطفال المعروفة بالتوفة (tophet)، وفي المدافن

---

(4) Maass-Lindemann (G), Vasos fenicios de los siglos VIII-VI en España. Su procedencia y posición dentro del mundo fenicio occidental, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, t. I, op. cit, p. 234-235.

(5) Maass-Lindemann (G), Vasos fenicios de los siglos VIII-VI en España. Su procedencia y posición dentro del mundo fenicio occidental, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, t. I, op. cit, p. 234, fig. 1, n° 12.

(6) Idem, Ibid, p. 234.

(7) Idem, Ibid, p. 228.

(8) Schubart(H) et Maass-Lindemann(G), Toscanos. El asentamiento fenicio occidental en la desembocadura del río de Vélez, op. cit, p. 82 ss, fig. 4.

(9) Cintas(P), Manuel d'Archéologie punique, op. cit, t. I, pl. XXXII, XXXIV.

(10) Maass-Lindemann (G), Vasos fenicios de los siglos VIII-VI en España. Su procedencia y posición dentro del mundo fenicio occidental, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, t. I, op. Cit, p. 235, fig. 2, n° 13.

(11) Bikai(P.M), The Pottery of Tyre, op. cit, pl. 14.

(12) Buhl(M.L), Sukas VII, Copenhague, 1983, p. 13, fig. 4, 39.

القديمة[13]. كما تم العثور بشكل عرضي على نفس النوع بجزيرة "موتيا" في القبور الفينيقية[14]، حيث كانت كذلك مصبوغة. وعثر عليها أيضا في مقبرة "طرايامار"(Trayamar) بإسبانيا[15]، وفي مقبرة راشكون بالجزائر[16]، حيث كانت في الحالتين مكسوة بالبرنيق الاحمر. أما العينات التي تم اكتشافها في مركز "لوس طوسكانوس" (Los Toscanos)، فكانت من النوع المصبوغ بأشرطة أفقية، وكذلك من النوع ذات البرنيق الاحمر، حيث مثلت أكبر حصة[17]. كما تم العثور عليها كذلك في المدفن الفينيقي رقم 1E بمقبرة "بوينطي دي نوي" Puente de Noy بمدينة "ألمونييكار" (Almuñécar) المؤرخة بالقرن السابع قبل الميلاد[18].

3) الصنف الثالث : Toscanos III (انظر لوحة XLVIII [I رقم 3]) : كان هذا الصنف يوجد بكثرة خلال القرن السادس قبل الميلاد بالمستوطنات الفينيقية-البونيقية بالغرب المتوسطي، مما يجعله من الناحية الكرونولوجية أحدث من الصنفين السالفين. وتتميز أمفورات هذا الصنف بتوفرها على فوهة صغيرة نسبيا، وكتف بارزة تسند عليها عروتان بيضويتان حادتان، وبطن تضيق في اتجاه الاسفل لتنتهي على شكل طرف حاد[19].

وتوجد نماذج مشابهة لهذا الصنف مصنوعة من المرمر، اكتشفها "بـيبسير كاطالان" (M. Pellicer Catalan) في مدفن رقم 3بمقبرة "ألمونييكار"[20]، و"كوليكان"(W.Culican)[21] بمقاطعة "بارباطي" (Barbate) بمنطقة قادس. وقد تم العثور على أمفورات من الصنف الثالث بشكل عرضي في المستويات الاركيولوجية السفلى لمستوطنة "طرايامار"[22]، علاوة على الكشف عن إناء كامل في مدفن رقم 4 بالمقبرة الفينيقية بنفس المركز[23]. كما كانت موجودة في المدفن الفينيقي رقم 1E بمقبرة "بوينطي دي نوي" بمدينة "ألمونييكار" المؤرخة بالقرن السابع قبل الميلاد[24]. وفي المقبرة الفينيقية لحرق الاموات المكتشفة بمركز "لاكوس" (Lagos)، عثرت الباحثة الاسبانية "ماريا إوخينيا أوبيت" (Maria Eugenia Aubet)، على جزء علوي لأمفورة من نفس النوع[25].

---

(13) Cintas(P.), Manuel d'Archéologie punique, op. cit, t. I, p. 35, pl. XXXII, XXXIV.

(14) Ciasca(A), Mozia IX, op. cit,pl. 25, tombe n° 103 ; pl. 49, tombe n° 163.

(15) Schubart(H) et Niemeyer(H.G), Trayamar. Los hipogeos fenicios y el asentamiento en la desembocadura del Río Algarrobo op. cit, pl. 12.

(16) Vuillemot(G), La nécropole punique du Phare de l'île de Rachgoun, op. cit, pl. IV-VI.

(17) Niemeyer(H.G) - Schubart(H), Toscanos, Die altpunische Factorei an der Mündung des Rio de Velez (Madrider Forschungen 6, I), Berlin, 1969, pl. 8, 862, 868.

(18) Molina Fajardo(F), Almuñécar a la luz de los nuevos hallazgos fenicios, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, vol. I, op. cit, fig. 11, n° 2, p. 209.

(19) Maass-Lindemann (G), Vasos fenicios de los siglos VIII-VI en España. Su procedencia y posición dentro del mundo fenicio occidental, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, t. I, op. cit, p. 235, fig. 2, n° 14.

(20) Pellicer Catalan(M), Excavaciones en la necropolis punica "Laurita" del Cerro de San Cristobal (Almuñécar, Granada), op. cit, fig. 8, n° 1, pl. 14.

(21) Culican(W), Almuñécar, Assur and Phoenician Penetration of the Western Mediterranean, **Levant II**, 1970, p. 29, fig. 1.

(22) Schubart(H) et Maass-Lindemann(G), Toscanos, op. cit, p. 124, fig. 17, n° 678-681.

(23) Schubart(H) et Niemeyer(H.G), Trayamar, op. cit, p. 213, pl. 18, n°632.

(24) Molina Fajardo(F), Almuñécar a la luz de los nuevos hallazgos fenicios, op. cit, fig. 11, n°1, p. 209.

(25) Aubet(Ma. E), Nueva necrópolis fenicia de incineración en Lagos (Málaga), op. cit, p. 35-36, fig. 11.

كما كانت نفس الامفورات حاضرة ضمن المعثورات الجنائزية بمدافن قرطاجة تحت إسم "الجرة على شكل القذيفة" (jarre en obus)[26]. وعرفت مدينة صور مجموعة من الامفورات شبيهة بهذا الصنف تحت إسم "جرار التخزين" (storage jars)، خصوصا تلك التي تحمل رقم SJ 4-7 من تصنيف "بيكاي" (Bikai)[27]. كما كانت حاضرة كذلك في مدفن رقم 3 بمقبرة مركز "سلاميس" (Salamis) بجزيرة قبرص[28].

من خلال هذا التصنيف، وحيث إن "كيرطا ماس-ليندمان" (Gerta Maass-Lindemann) أكدت عند مقارنتها للخزف الفينيقي بليكسوس بالخزف الفينيقي الغربي بإسبانيا، أن أعناق أمفورات ليكسوس كانت شبيهة بنوع أعناق Trayamar 1[29]، فهذا يعني أنها تنتمي الى مجموعة الصنف الاول. ومن المعلوم أن أمفورات Trayamar 1 تنتمي الى نفس صنف Toscanos I، والى نفس الانواع المكتشفة في جزيرة الصويرة (انظر لوحة XLVIII [III]).

فما هي المواصفات المرفلوجية لهذا الصنف ؟

2) المميزات المرفلوجية :

حسب دراسة الباحث التونسي فتحي شلبي للامفورات العتيقة بقرطاجة[30]، فإن أمفورات هذا الصنف الذي نعته بالصنف الاول، كانت تتميز بشكلها الشبه البيضوي، وبتضييق في اتجاه الاعلى، وبتوفرها على كتف يكاد يكون نصف كرويّ، يفرقه عن باقي الجسم زورق (carène) بارز جدا. ومن خلال المقياس الوارد في رسم رقم 1 من دراسة شلبي[31]، يتبين أن أحجام هذه الامفورات تبلغ حوالي 55 ستم في الطول وحوالي 37 ستمتر في قطر البطن. أما فتحة فوهتها فهي أسطوانية الشكل، وتبلغ حوالي عشر سنتيمترات. وهي تقريبا نفس الاحجام التي أشار إليها "أندري جودان" (A Jodin) عند وصفه لنفس الامفورات التي عثر عليها في جزيرة الصويرة، حيث أورد أن علوها يتراوح ما بين 50 سنتمتر و60 سنتمتر، وقطرها ما بين 30 سنتمتر و45 سنتمتر[32].

ومن المميزات المرفلوجية الاخرى لهذه الامفورات حسب نماذج جزيرة الصويرة، يشير عالم الآثار الفرنسي الى العروة الحلقية الشكل الشبيهة بحُذْوة الجواد[33]، والى الانعدام الشبه الكلي للعنق. وكانت دائرة هذه العروات تتراوح ما بين 43 ملمتر و85 ملمتر، في حين كان قطرها الداخلي يتراوح ما بين 12 ملمتر و25 ملمتر. كما كانت هذه العروات ملتصقة بالجهة العليا للبطن وبقاعدة كتف مدورة، تكون في بعض الحالات

---

(26) Cintas(P), Manuel d'Archéologie punique, op. cit, T. II pl. 58, 2.

(27) Bikai(P.M), The Pottery of Tyre, op. cit, p. 46, pl. n° 3.

(28) Karageorghis(V), Excavations in the necropolis of Salamis II, Nicosia 1970, pl. 223.

(29) Maass-Lindemann(G), A comparison of the phoenician pottery of Lixus with the west phoenician pottery of Spain, op. cit, p. 177-178.

(30) Chelbi(F), A propos des amphores archaïques de Carthage, **Actes du second congrès international des études phéniciennes et puniques**, Rome, 1991, t. II, p. 715-732.

(31) Idem, Ibid, fig. 1a, p. 717.

(32) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 126.

(33) Idem, Ibid, p. 130, pl. XXXIII.

شبه كرويّة الشكل[34] (انظر لوحة XLVIII [VI رقم 1-2]). هذا الشكل الشبه الكروي سيعرف تمددا تدريجيا مع العصور، لتصبح الامفورة البونيقية الحديثة بعد ذلك على شكل أنبوب أسطواني[35].

أما فتحة أمفورات جزيرة الصويرة أو فوهتها، فقد تراوح قطرها ما بين 115 ملمتر و130 ملمتر. وهي تحد بحاشية قصيرة يتراوح ارتفاعها ما بين 12 ملمتر و25 ملمتر[36]. كما يُفصل كتف الاناء عن البطن بزورق (carène) بارز. وفي بعض الحالات، كانت هذه الامفورات تطلى ببرنيق يكون لونه على العموم أصفرا باهتا أو ورديا آجوريا[37]. واعتمادا على بعض الامفورات الكاملة المكتشفة في مدفن رقم 1 بمقبرة "طرايامار" (Trayamar) بإسبانيا، تبين أنها كانت تغطى بغطاء من الخزف يتناسب مع حجم فوهة الاناء[38] (انظر لوحة XLVIII [I-II]).

ويضيف عالم الآثار الاسباني "ديكو رويز ماطا" (Diego Ruiz Mata) بعض الاوصاف المرفلوجية حول نفس الامفورات التي اكتشفها في مركز "كاستيبو دي دونيا بلانكا" (Castillo de Doña Blanca)، مميزا بين مواصفات نماذج القرن الثامن قبل الميلاد وبين نماذج القرن السابع قبل الميلاد.

ففيما يتعلق بالنوع الاول، وبالرغم من عدم الكشف عن أمفورات كاملة، فإن منقب المركز استطاع أن يعثر على مجموعة من الفوهات، كانت تنتمي حسب تصنيفه الى ثلاثة أنواع مختلفة من الامفورات :

أ- الامفورات ذات العنق القصير والاسطواني، والمزخرف في طرفه بواسطة عَصَويّتين[39] تتركان في موسطة العنق تجويفا بارزا بعض الشيء[40]. ويرجح "ديكو رويز ماطا" أن هذه الاعناق تعود الى النوع رقم 2 من تصنيف "صاكونا" (A.G. Sagona) لامفورات التخزين التي عرفها الشرق القديم[41]، والتي تتميز بعنق أسطوانية قصيرة أو مقعرة بعض الشيء، وبقعر حاد وكتف قاربية الشكل (انظر لوحة XLIX [I رقم 1-2]). انطلاقا من ذلك، يعتقد نفس المؤلف[42] أن هذه الكسرات تعود الى أصناف تم استيرادها من الساحل الفينيقي، خصوصا من فلسطين ولبنان. وهي المنطقة التي عرفت توزيعا مهما لهذا النوع من الامفورات ما بين سنة 760 و700 قبل الميلاد.

ب- الامفورات ذات العنق القصير والمتورم. وهو الشكل المميز للامفورات الفينيقية الغربية[43] (لوحة XLIX [I رقم 3-4]).

ت- الامفورات ذات العنق القصير والقليل التورم، والمائلة بشكل خفيف نحو الداخل[44] (انظر لوحة XLIX [I رقم 5-6]).

---

(34) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 126..

(35) Idem, Ibid, p. 126.

(36) Idem, Ibid, p. 126, fig. 26.

(37) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 126.

(38) Aubet(M. E), Los Fenicios en España : Estado de la cuestion y perspectivas, op. cit, fig. 8, p. 25.

(39) العصوية في الهندسة المعمارية عبارة عن حلية مقولبة على شكل عصا أو قضيب من طين أو جبس تستعمل في البناء، خصوصا لتزيين واجهة الاقواس.

(40) Ruiz Mata(D), Las ceramicas fenicias del Castillo de Doña Blanca, dans **Los Fenicios en la peninsula ...**, op. cit, p. 248, fig. 3, n° 1-2.

(41) Sagona(A.G), Levantine storage jars of the 13 th to 4 th Century B.C, **OpAth 14**, 1982, pp. 75-78, fig. 1-3.

(42) Ruiz Mata(D), Las ceramicas fenicias del Castillo de Doña Blanca, dans **Los Fenicios en la peninsula ...**, op. cit, p. 248.

(43) Idem, Ibid, p. 248, fig. 3, n° 3-4.

(44) Idem. Ibid, p. 248, fig. 3, n° 5-6.

أما النوع الثاني من الامفورات المؤرخة بالقرن السابع قبل الميلاد، فإنها تتميز بتوفرها على فوهة يبلغ متوسط عرضها ما بين 12 و13 سنتمتر، وعلى حواشي قصيرة متورمة نحو الداخل ومقعرة بعض الشيء نحو الخارج. كما تميزت بكتف قاربية على شكل طاقية كروية، وببطن ربما إجاصية الشكل، تجمعها بالكتف عروتان ثقيلتان ومتماسكتان ذات المقطع الدائري[45] (انظر لوحة XLIX [II رقم 2-4]). علاوة على ذلك، عرف المركز أمفورات أخرى تنتمي الى نفس الصنف، لكنها تختلف عن النماذج الاولى في توفرها على حواشي ضيقة وممدودة[46] (انظر لوحة XLIX [II رقم 1]). وهي النماذج التي كانت حاضرة في مركز "لوس طوسكانوس"[47]، حيث كانت الامفورات ذات الحواشي الضيقة والممدودة المكتشفة في المستوى الاستراتيغرافي رقم 2 أحدث من الامفورات ذات الحواشي القصيرة والمتورمة نحو الداخل.

هذه الامفورات، التي تعرفنا على مميزاتها المرفلوجية الدقيقة من خلال أوصاف فتحي شلبي و"أندري جودان" و"دييكو رويز ماطا" (Diego Ruiz Mata)، كانت تعرف بأسماء مختلفة من لدن علماء الآثار.فقد أطلقوا عليها تارة إسم"الامفورة ذات الكيس"(amphore à sac)[48]، وتارة أخرى "الامفورة الفينيقية" (ánforas fenicias)[49]، أو"الامفورة القاربية" (amphore carénée)[50]. وهي الامفورات التي صنفها "جورج فييمو" (G. Vuillemot) ضمن المجموعة التي أطلق عليها حرف **R1**[51]، وصنفها "فيرناند بينوا" (F. Benoit) ضمن مجموعة **A**[52]. كما أطلق عليها الباحثان الالمانيان "هيرمانفريد شوبارت" (H. Schubart) و"هانس نيمبير" (H. Niemeyer)، علاوة على "كيرطا ماس-ليندمان" ، إسم "طوسكانوس رقم 1" (Toscanos I)[53]. وهي نفس الامفورات المعروفة بصنف **F1** لدى "ريبيرا لاكومبا" (A.Ribera Lacomba)[54]، والمعروفة بصنف **I** لدى "فلوريدو نافارّو" (Florido Navarroa)[55]، وبصنف "ألمونييكار رقم 3" (Almuñécar III) لدى "مولينا فاخاردو" (F. Molin Fajardo)[56] (انظر لوحة

---

(45) Ruiz Mata(D), Las ceramicas fenicias del Castillo de Doña Blanca, dans **Los Fenicios en la peninsula ...**, op. cit, p. 260, fig. 7, n° 2, n° 4.

(46) Idem, Ibid, p. 260, fig. 7, n° 1.

(47) Schubart(H) et Maass-Lindemann(G), Toscanos, op. cit, p. 119-124.

(48) Florido Navarro(C), Anforas preromanas sudibericas, **Habis 15**, 1984, p. 421.

(49) Ramón(J), Ibiza y la circulación de ánforas fenicias y púnicas en el Mediterraneo occidental, **TMAI**, 5, 1981, p. 14.

(50) Bartoloni(P), Le anfore arcaiche dallo scarico Gosetti, Pithecusa, **R.S.F**, 15, 1987, p. 104-109.

(51) Vuillemot(G), Reconnaissances aux échelles puniques d' Oranie, op. cit, fig. 17.

(52) Benoit(F), Recherches sur l'hellinisation du Midi de la Gaule, Aix-En-Provence - Gap, 1965, pp. 56-66, pl. 41-42.

(53) Schubart(H) et Niemeyer(H.G), Trayamar. Los hipogeos fenicios y el asentamiento en la desembocadura del Río Algarrobo op. cit, pl. 13, 17, 18 ; Maass-Lindemann (G), Vasos fenicios de los siglos VIII-VI en España. Su procedencia y posición dentro del mundo fenicio occidental, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, t. I, op. cit, p. 228.

(54) Ribera Lacomba(A), Las ánforas preromanas valencianas, Valencia, 1982, p. 131,fig. 36.

(55) Florido Navarro(C), Anforas preromanas sudibericas, **Habis 15**, 1984, p. 421, fig. 1.

(56) Molina Fajardo(F), Huertas Jimenez(C), Tipologia de las ánforas fenicio-púnics : Almuñécar. arqueologia e Historia, VIII, p. 132, fig. 1.

XLVIII [IV].[58] كما تُعرف بصنف [Vuillemot R1 - Benoit A] من لدن "رامون" (J. Ramón)[57]، وفتحي شلبي[58].

وينتمي هذا النوع من الامفورات الى مجموعة من الاواني التجارية تدعى "الجرار على شكل النقانق" (sausage shaped-jars)، التي ظهرت في الشرق مع حلول عصر الحديد، في حدود نهاية الالف الثانية أو بداية الالف الاولى قبل الميلاد[59]. ومع ذلك تتوفر الامفورات السالفة الذكر على بعض الخصائص المرفلوجية، تجعلها مختلفة عن النماذج الشرقية، لاسيما التقبب الواضح للكتف وتورم الشفة. استنادا الى ذلك، يعتقد فتحي شلبي أن هذه الامفورة، التي تم العثور عليها بأعداد كبيرة جدا في البحر المتوسط الغربي، تجد جذورها في أقصى الغرب المتوسطي[60]، محددا أصلها في منطقة جغرافية تشمل إسبانيا الجنوبية، والمغرب البحري، وناحية وهران بالجزائر[61]؛ وهي المنطقة التي أطلق عليها "ميكيل طراديل" اسم "دائرة المضيق" (Círculo del Estrecho)[62].

وكان هذا النوع من الامفورات منعدما من تصنيف "بيير سانتاس" (P.Cintas) بمؤلفه "الخزف البونيقي"، إذ لاينبغي خلطه بالامفورة التي تحمل رقم[63] F. 237 التي أحال عليها "أندري جودان" عند مقارنته للامفورات التي اكتشفها في جزيرة الصويرة[64]، ولا بتلك التي تحمل رقم F. 291[65].

3) التوزيع في الحوض المتوسطي :

كانت الدراسات حول الامفورات الفينيقية شبه منعدمة قبل سنة 1958، أي قبل اكتشاف "أندري جودان" لنماذج جزيرة الصويرة الواردة في "ملاحظته الاولية حول المنشأة ماقبل-الرومانية بموكادور" (Note préliminaire sur l'établissement pré-romain de Mogador)[66]. غير أن التطورات السريعة

---

(57) Ramón(J), Ibiza y la circulación de ánforas fenicias y púnicas en el Mediterraneo occidental, op. cit, p.p. 14-15-40.

(58) Chelbi(F), Découverte d'un tombeau archaïque à Junon, **R.E.P.P.A.I, I**, 1985, p. 100.

(59) Amiran(R), Ancient pottery of the Holy Land, op. cit, pl. 79 ; Dothan(M), Porath(Y), Ashdod IV, Excavations of Area M, **The fortifications of the lower city**, 1982, p. 107, fig. 3, p. 111, fig. 5 ; Zemer(A), Storage jars in Ancient sea trade, 1977, p. 11, pl. III ; Briend(J), et Humbert(J.B), Tell Keisan (1971-1976). Une cité phénicienne en Galilée, op. cit, p. 207-208 ; Stern(E), Material Culture of the Land of the Bible in the Persian Period 538-332 B. C, 1984, p. 108-109, type H1.

(60) Chelbi(F), A propos des amphores archaïques de Carthage, op. cit, fig. 1a, p. 716.

(61) Ramón(J), Ibiza y la circulación de ánforas fenicias y púnicas en el Mediterraneo occidental, op. cit, pp. 14-16 ; Chelbi(F), Découverte d'un tombeau archaïque à Junon, op. cit, p. 101-102 ; Idem, Recension. à Di Sandro(N), Le anfore arcaiche dallo scarico Gosetti, **R.E.P.P.A.L III**, 1987, pp. 277-279 ; Bartoloni(P), Le anfore arcaiche dallo scarico Gosetti, Pithecusa, op. cit. p. 104 ss.

(62) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, pp. 227-240.

(63) Cintas(P), Céramique punique, op. cit, pl. XVIII ; Ribera Lacomba(A), Las ánforas prerromanas valencianas, Valencia, 1982, p. 22 et 95.

(64) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 123, note n° 189.
والملاحظ في هذا الصدد أن إحالة الباحث التونسي فتحي شلبي على هامش رقم 188 إحالة خاطئة، اللهم إذا كان الامر يتعلق بخطإ مطبعي. انظر :
Chelbi(F), A propos des amphores archaïques de Carthage, op. cit, p. 716, note n° 2.

(65) Cintas(P), Céramique punique, op. cit, pl. XXIII ; Saumagne(Ch), Note sur des tombeaux puniques découverts sur le flanc Sud-Ouest de la coline de Saint-Louit, **B.A.C** 1932-1933, p. 83 ss, pl. XI, fig. 86.

(66) Jodin(A), Note préliminaire sur l'établissement pré-romain de Mogador, op. cit.

التي طرأت على علم الآثار الفينيقي، مكنت الباحث في هذا المجال من بيبليوغرافية غزيرة ومتنوعة، حيث أضحى يتأكد يوما بعد يوم أن جل بلدان الحوض المتوسطي التي شملتها التوسعات الفينيقية بشكل أو بآخر،عرفت هذا النوع الخزفي.

وكان عالم الآثار الامريكي "برادوود" (R.J. Braidwood) قد أشار منذ عام 1940 الى وجود هذه الامفورات في فينيقيا، باعتبارها إحدى المنتجات الخزفية لعصر الحديد السوري-الفينيقي (Syro-Phoenician Iron Age)[67]. وحسب "فيرناند بينوا" (F.Benoit)[68]، "كانت هذه الامفورات وافرة في مراكز الساحل اللبناني، حيث تم العثور عليها في صور بتل الرشيدية (Rachidieh)، وفي مقبرة خالدة الموجودة في ضواحي بيروت، حيث اكتشفت مصاحبة للاباريق ذات القرص. كما عرفها أيضا الساحل الاسرائيلي[69] بمركز عتليت، وبتل يافا، وبتل كاسيل، وبتل أبيب، وبتل أبو هوام[70].

ودائما في الساحل السوري-الفلسطيني، تم العثور على هذه الامفورات بمركز "حازور" (Hazor)، سواء في المستوى الاستراتيغرافي رقم VI بقطاع A، المؤرخ ببداية القرن الثامن قبل الميلاد، أو في المستوى الاستراتيغرافي رقم V بقطاع B، الذي يمتد تاريخه الى حدود سنة 732 قبل الميلاد[71]. كما اكتشفت في مدينة مجدو، حيث كانت وافرة في المستويات الاستراتيغرافية I-IV، خصوصا قبيل سنة 732 ق.م وبعدها[72]. وعرفتها كذلك مدينة صور، حيث كان هذا النوع من الامفورات وافرا في المستوى الاستراتيغرافي رقم IV المؤرخ ما بين سنة 760 و740 قبل الميلاد[73]. وكانت حاضرة في مدينة "الصرفند" أو "سربتا" (Sarepta) بالمستوى الاستراتيغرافي C. 2 من استبار حرف Y المؤرخ بين 825/850 و725/750 قبل الميلاد. كما كانت حاضرة في المستوى الاستراتيغرافي C. 1 بنفس المركز، المؤرخ بين 725/750 وأواسط القرن السابع قبل الميلاد[74]. وتم العثور على أمفورات مماثلة تؤرخ بالقرن الثامن وبداية القرن السابع قبل الميلاد في مركزي "تل دروك" (Tell Darûk)[75]، و"تل عرقة" (Tell Arqa)[76]. كما عرفتها مجموعة من المراكز الفلسطينية، مثل "تل جزير" (Gezer) بالمستوى الاستراتيغرافي 5 B-A

---

(67) Braidwood(R.J), Report on twoo sondages on the coast of Syria, south of Tartous, op. cit, p. 192, fig. 5, et p. 194.

(68) Benoit(F), Recherches sur l'hellinisation du Midi de la Gaule, op. cit ; ap. Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 125, note n° 190.

(69) لكن هذه الامفورات كانت تعود الى مرحلة السيطرة الفارسية على الساحل الفينيقي-الفلسطيني.

(70) Benoit(F), Relations commerciales de Marseille grecque avec le monde occidental, **Rev. Et. Lig. XXII**, 1956, p. 324.

(71) Yadin(Y), **Hazor I**. op. cit, p. 20

(72) Sagona(A.G), Levantine storage jars of the 13 th to 4 th Century B.C, op. cit, p. 76 ; Amiran(R), Ancient pottery of the Holy Land, op. cit, pl. 79, n° 2.

(73) Bikai(P.M), The Pottery of Tyre, op. cit, pl. XIV, n° 10 et 13 ; Sagona(A.G), Levantine storage jars of the 13 th to 4 th Century B.C, op. cit, p. 76-77.

(74) Anderson(W), A stratigraphic and ceramic analysis of the late Bronze and Iron Age strata of Sounding Y at Sarepta (Sarafand, Lebanon), **Dis. Pennsylvania Univ**, 1979, pl. 36, n° 4-6-7, pl. 37, n° 9-12-13.

(75) Oldenburg(E), Rohweder(J), The excavations at Tall Darûk (Usnu ?) and Arab al-Mulk (Platos), Copenhague, 1981, fig. 33-34.

(76) Thalmann(J.P), Les niveaux de l'age du bronze et de l'age du fer à Tell Arqa (Liban), **Actes du premier congrès international des études phéniciennes et puniques**, Rome, 1983, p. 217, fig. 2. b

المؤرخ بين سنة 733 و721 قبل الميلاد[77]، و"أشدود" (Ashdod) في المستويات 1/2 و3 من قطاع حرف D المؤرخة ما بين أواسط القرن الثامن الى نهاية القرن السابع قبل الميلاد[78]، و"بيت شان" (Bethshan) في المستوى رقم IV المؤرخ بنهاية القرن الثامن قبل الميلاد[79].

أما في جزر البحر الابيض المتوسط الشرقي، فقد تم العثور كذلك على الامفورة الفينيقية في قبرص حسب مكتشفات عالم الآثار السويدي "جيرسطاد" (E.Gjerstad)[80]؛ ووجدت في جزيرة رودوس[81].

وإذا كانت الاصول الشرقية للصنف الاول للامفورة الفينيقية مسألة لاغبار عليها، فإن تاريخ ظهورها في الغرب الفينيقي كان مرتبطا بوجودها في إسبانيا، بعد العثور عليها في العديد من المراكز، سواء الفينيقية منها أو المحلية. فقد أثبتت حفريات مركز "إيل مورّو دي ميسكيتيا" (El Morro de Mezquitilla)، أن أقدم وجود لها كان خلال النصف الاول من القرن الثامن قبل الميلاد[82] (انظر لوحة XLIX [I رقم 7]). كما كانت حاضرة في مركز "شورّيراس" (Chorrearas) منذ أواسط القرن الثامن قبل الميلاد[83]، وحاضرة في مركز "لوس طوسكانوس" (Los Toscanos) خلال مرحلة تمتد من الربع الاخير للقرن الثامن قبل الميلاد الى نهاية القرن السابع قبل الميلاد[84]. وقد عرفتها كذلك المدافن الفينيقية لمركز "ألمونييكار" (Almuñécar)، المؤرخة بالارباع الثلاثة الاولى للقرن السابع قبل الميلاد[85]. وفي هذا الصدد، يعتبر "أندري جودان"[86] أن كسرات الامفورة التي اكتشفها "مانويل بيليسير كاطلان" (M. Pellicer Catalan) في مدفن رقم 19 بمقبرة "ألمونييكار"[87] كانت طبق الاصل للكسرات المكتشفة بجزيرة الصويرة. كما عثر كذلك عالم الآثار الاسباني "مولينا فاخاردو" (F. Molina Fajardo) في القطعة الارضية الموجودة في "الشارع الملكي" (Calle Real)

---

(77) Sagona(A.G), Levantine storage jars of the 13 th to 4 th Century B.C, op. cit, p. 77.

(78) Idem, Ibid, p. 77.

(79) Idem, Ibid, p. 77-78.

(80) Gjerstad(E), Swedish Cyprus expedition, t. IV, 1948, pl. 44 et 56, n°2.

(81) Jacopi, Clara Rhodos, IV, I, (1931), p. 366, fig. 412, pl. VIII ; ap. Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 132, note n° 207.

(82) Schubart(H), Morro de Mezquitilla. Informe preliminar sobre la campaña de excavaciones de 1981 en El Morro de Mezquitilla cerca de la desembocadura del río Algarrobo, op. cit, p. 88 ; Maass - Lindemann(G), *Toscanos 1971*, op. cit.

وقد أورد مكتشف المركز، عالم الآثار الالماني "هيرمانفريد شوبارت" (H. Schubart)، أن القطعة المكتشفة كانت عبارة عن حاشية تعود الى أمفورة من الصنف رقم I، التي تتميز بحواشيها العمودية وبأكتافها العالية. انظر :

Schubart(H), El Asentamiento fenicio del s. VIII a. C. en El Morro de Mezquitilla (Algarrobo, Malaga), dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, op. cit, p. 69, fig. 5f.

(83) Aubet(Ma. E), Excavaciones en Las Chorreras (Mezquetilla, Málaga), op. cit, pp. 79-108 ; Aubet(Ma. E), Maass-Lindemann(G), Schubart(H), Chorreras, **MM 16** (1975), pp. 137-178.

(84) Maass-Lindemann(G), *Toscanos 1971*, op. cit ; Schubart(H) et Maass-Lindemann(G), Toscanos. El asentamiento fenicio occidental en la desembocadura del río de Vélez, op. cit, p. 119 ss.

(85) Pellicer Catalan(M), Excavaciones en la necropolis punica "Laurita" del Cerro de San Cristobal (Almuñécar, Granada), op. cit.

(86) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 131.

(87) Pellicer Catalan(M), Excavaciones en la necropolis punica "Laurita" del Cerro de San Cristobal (Almuñécar, Granada), op. cit, fig. 32, n° 4 et 7.

بمدينة "ألمونيبكار" على عنق أمفورة من نوع ذات الحواشي المستقيمة، الاقدم من نوعها لحد الساعة [88] (انظر لوحة XLIX [I رقم 8]).

وفي إسبانيا دائما، عرفتها المدافن الفينيقية لمركز "طرايامار" (Trayamar)، المؤرخة بمرحلة تمتد من الثلثين الاخيرين للقرن السابع قبل الميلاد الى الربع الاول للقرن السادس قبل الميلاد [89]. وكانت نفس الامفورات حاضرة أيضا بمركز "كوادالورسي" (Guadalhorce) في المستوى الاستراتيغرافي VII B المؤرخ بسنة 650 قبل الميلاد، وفي المستوى الاستراتيغرافي VI A المؤرخ بسنة 600 قبل الميلاد [90]. وعرفتها كذلك المستويات الاركيولوجية المؤرخة بالقرنين السابع والسادس قبل الميلاد بمركز "إيل صيرّو ماكارينو" (El Cerro Macareno) [91]. كما تم اكتشافها في مركز "أسينيبو" (Acinipo) بناحية رندة (Ronda) ابتداء من النصف الثاني من القرن الثامن قبل الميلاد [92]. وتم اكتشافها مؤخرا في مركز "صيرّو ديل فيلار" (Cerro del Villar) من طرف عالمة الآثار الاسبانية "ماريا إوخينيا أوبيت" (Maria Eugenia Aubet) [93].

ولم يقتصر الكشف في إسبانيا عن أمفورات من هذا الصنف على منطقة الاندلس، بل تعداها ليشمل جهات بعيدة عن دائرة المضيق. فقد تم توزيعها بشكل واسع في باقي شبه جزيرة إيبيريا، حيث وصلت الى مركز "فينارّاكيل" (Vinarragell) بساحل "الليفانطي" (Levante) [94]، وعرفتها بالخصوص منطقة بلنسية [95]، وجزر البليار لاسيما جزيرة إيبيسا [96]. وقد صنف الباحث الاسباني "خوصي مريا مانيا" (J.M.

---

(88) Molina Fajardo(F), Almuñécar a la luz de los nuevos hallazgos fenicios, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, vol. I, op. cit, fig. 9, n° 1, p. 206.

(89) Schubart(H) et Niemeyer(H.G), Trayamar. Los hipogeos fenicios y el asentamiento en la desembocadura del Río Algarrobo op. cit, pl. 13, 17, 18 ; Aubet(M. E), Los Fenicios en España : Estado de la cuestion y perspectivas, op. cit, fig. 24, n° 558-559 fig. 25, n° 547-557.

(90) Arribas(A), Artega(O), El yacimiento fenicio de la desembucadura del rio Guadalhorce (Malaga) : **CPUG**, serie Monogr. II (1975) ; Idem, "Guadalhorce", **MM 17**, pp. 180-208, fig. 16.

(91) Pellicer Catalán(M), Typologia y cronologia de las anforas preromanas del Guadalquivir segun el Cerro Macareno (Sevilla), **Habis, 9** (1978; Idem, El Cerro Macareno, **(Excavaciones Arqueológicas en España 124)**, Madrid, 1983, p. 190 ss ; Idem, Las ceramicas del mundo fenicio en el Bajo Guadalquivir : evolucion y cronologia segun el Cerro Macareno (Sevilla) : **PIW**, pp. 371-406, ap. Chelbi(F), A propos des amphores archaïques de Carthage, op. cit, p. 718, note n° 27.

(92) Aguayo(P), Carrilero(M), Martinez(G), La presencia fenicia y el proceso de aculturación de las comunidades del Bronce Final de la depresión de Ronda (Málaga), **Actes du second congrès international des études phéniciennes et puniques**, Rome, 1991, t. II, p. 565.

(93) Aubet(Ma. E), Cerro del Villar-I. El asentamiento fenicio en la desembocadura del río Guadalhorce y su interacción con el hinterland, Sevilla, 1999, p. 177-181, fig. 109.

(94) Mesado(N), Vinarragell (Buriana, Castellón), **SIP 46**, Valencia, 1974, p. 68, fig. 37.

(95) Ribera Lacomba(A), Las ánforas preromanas valencianas, op. cit.

(96) Ramón(J), Ibiza y la circulación de ánforas fenicias y púnicas en el Mediterraneo occidental, op. cit. ; Idem, Sobre els origens de la colonia fenicia d'Eivissa : **EVISSA, 12** (1981), fig. 7-10-11-14.

(Maña) نماذج إيبيسا في تصنيفه للامفورات المكتشفة بالجزيرة، ضمن مجموعة حرف A الاكثر قدما[97]. ومؤخرا، تم اكتشافها في البرتغال[98].

وفي الضفة الجنوبية للبحر الابيض المتوسط، قام الفينيقيون بتوزيع هذه الامفورة على سائل بلدان شمال إفريقيا من تونس الى المغرب. ففي قرطاجة، لم يتمثل هذا الصنف سوى بنموذجين اثنين يوجدان في متحف المركز. أولهما تم العثور عليه في مدفن يؤرخ ببداية القرن السابع قبل الميلاد، نقبه الباحث التونسي فتحي شلبي بمقبرة "جينون" (Junon)[99] (انظر لوحة XLVIII [V رقم 1]). أما النموذج الثاني[100] (انظر لوحة XLVIII [V رقم 2])، فمن المرجح أنه يعود الى تنقيبات الاب "ديلاتر" (A.L. Delattre) التي أنجزها في مدافن قرطاجة منذ نهاية القرن التاسع عشر[101]. غير أن عالمة الآثار الاسبانية "ميرسيديس فيكاس" (M.Vegas)[102]، استطاعت مؤخرا أن تكتشف نماذج جديدة من هذه الامفورات بقرطاجة.

وفي الساحل الجزائري، كانت الامفورات الفينيقية حاضرة كذلك في مركزي "راشكون"[103] ومرسى مداخ"[104] من أواسط القرن السابع قبل الميلاد الى أوائل القرن السادس قبل الميلاد. أما في المغرب، فقد عرفتها كما هو معلوم جزيرة الصويرة في المستوى الاركيولوجي الفينيقي المؤرخ بالقرن السابع قبل الميلاد والثلث الاول من القرن السادس قبل الميلاد[105]، حيث عثر "أندري جودان" على كسرات من أصل حوالي 170 أمفورة فينيقية[106]. كما يورد نفس المؤلف[107] أن "ميشيل بونسيك" أخبره بأنه خلال تنقيباته بالمراكز القديمة لوادي تاهدارت الموجودة على بعد 25 كلم جنوب مدينة طنجة، عثر بالكثبان الرملية القريبة، على كسرات من نفس الامفورات الفينيقية المكتشفة في جزيرة الصويرة.

كما تم العثور مؤخرا على أمفورات فينيقية في مركز "كشكوش" بوادي لاو، وُصفت من طرف مكتشفَيْها "يوسف بوكبوط" و"خورخي أونروبيا-بينتادو" (Jorge Onrubia-Pintado)، بأنها كانت من النوع العتيق ذات الكتف القاربية الشكل والعروتين المدورتين[108]. وقد تم تأريخ هذه الامفورات، علاوة على أنواع خزفية فينيقية أخرى، بمرحلة تمتد عموما من القرن الثامن قبل الميلاد الى القرن السادس قبل الميلاد.

---

(97) Maña(J.M), Sobre tipología de ánforas púnicas, Crónica del VI Congreso Arqueológico del Sudeste Espanol , Alcoy, 1950 (1951), p. 205, fig. 1 et 2.

(98) Belèn(M), Escacena(J.L.), Rodero(A), López Roa(C), Materiales de época fenicia de las excavaciones de Tarradell conservados en el museo de Tetuán, op. cit, p. 93.

(99) Chelbi(F), Découverte d'un tombeau archaïque à Junon, op. cit, p. 100-102, fig. p. 100 (amphore phénicienne n° 3).

(100) Chelbi(F), A propos des amphores archaïques de Carthage, op. cit, p. fig. 1b, p. 717.

(101) Delattre(A.L), Musée Lavigerie de St-Louis de Carthage, Paris, 1900 ; Idem, Les tombeaux puniques de Carthage, Les tombeaux de la colline de Saint-Louis, Lyon, 1880.

(102) Belèn(M), Escacena(J.L.), Rodero(A), López Roa(C), Materiales de época fenicia de las excavaciones de Tarradell conservados en el museo de Tetuán, op. cit, p. 93.

(103) Vuillemot(G), Reconnaissances aux échelles puniques d' Oranie, op. cit, pp. 55-130, fig. 17.

(104) Idem, Ibid, pp. 131-155, fig. 17, 1 ; fig. 51.

(105) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, chapitre V : 1-Les amphores phéniciennes, pp. 123-132, fig. 25-26, pl. XXXI-XXXIII.

(106) Idem, Ibid, p. 123.

(107) Idem, Ibid, p. 43 et 130.

(108) Bokbot(Y) et Onrubia-Pintado(J), Substrat autochtone et colonisation phénicienne au Maroc, op. cit, p. 223.

وكانت هذه الامفورة حاضرة أيضا في جزر البحر الابيض المتوسط الاوسط وفي إيطاليا. فقد عرفتها جزيرة سردينيا،حيث تم العثور عليها في مركز "سولكيس" (Sulcis)[109]. كما اكتشفت في صقلية، وذلك في المركز الفينيقي الموجود بجزيرة "موتيا"[110]. وفي ساحل البحر التيريني المقابل لإيطاليا، تم العثور على نفس الامفورات في جزيرة "إيسكيا" (Ischia) بايطاليا[111]. كما تم العثور عليها في حطام إحدى السفن اكتشفت في عرض جزيرة "جيكليو" (Giglio) قبالة إقليم "طوسكانيا" بايطاليا[112].

وأخيرا نشير الى أن "فيرناند بينوا" (F.Benoit)، أورد في مؤلفه "أبحاث حول هيلنة جنوب غاليا" (Recherches sur l'hellinisation du Midi de la Gaule) أن هذه الامفورات كانت موجودة في العديد من المراكز بالساحل المتوسطي لفرنسا، حيث عرفها ساحل إقليمي "بروفانس" و"لانكدوك"[113]. غير أن هذه الاكتشافات لا تنم حسب نفس المؤلف عن وجود مستوطنات لمدينة صور في هذه السواحل، وإنما تعتبر علامة عن حدوث علاقات تجارية مباشرة أو غير مباشرة بين الفينيقيين وسكان تلك السواحل خلال القرنين السابع والسادس قبل الميلاد[114].

4) نماذج ليكسوس :

أ- مكان الاكتــشاف :

إذا كانت المراكز المتوسطية التي ولجتها بشكل أو بآخر مواد التجارة الفينيقية، قد تعرفت على الامفورات السالفة الذكر، والتي تعد بحق "الاحفور المرشد" (Le fossile directeur) للوجود الفينيقي[115]، فإن مركز ليكسوس عرف بدوره نفس الاواني الخزفية، بفضل مكتشفات "ميكيل طراديل" و"ميشيل بونسيك"، وبفضل المستجدات التي جاءت بها أعمال البعثة الاركيولوجية المغربية-الاسبانية.

ففي مؤلفه "المغرب البونيقي"، أشار "طراديل" الى العثور على الامفورة الفينيقية خلال الحفائر التي أجراها في ليكسوس، دون أن يحدد مع الاسف مكان الاكتشاف[116]. لكنه أورد في مقالته المنشورة في مجلة "هيسبيريس-تمودا" (Hespéris-Tamuda) حول الخزف ذي البرنيق الاحمر، أنه عثر بالمستوى

---

(109) Bartoloni(P), Ceramica fenicia da Sulcis, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), Collection de l'Ecole française de Rome, n° 166, Palais Farnèse, 1992, p. 191-193, fig. 1 ; Idem, Le anfore fenicie e puniche di Sardegna **StPu, 4**, Roma, 1988 ; Idem, Anfore fenicie e puniche da Sulcis : S. Antioco : area del Cronicario (Campagne di scavo 1983-1986), in **R.S.F, 16**, 1988, pp. 91-110.

(110) Ciasca(A), Scavi alle mura di Mozia (Campagna 1978), in **R.S.F, 7**, 1979, p. 212, fig. 17, pl. LXXIII, 7.

(111) Buchner(G), Die Beziehungen zwischen der euböischen Kolonie Pithekoussai auf der Insel Ischia und dem nordwest-semitischen Mittelmeerraum in der zweiten Hälften des 8. Jhs. v. Chr., en Niemeyer(H) (ed.), 1982. pp. 277-298 ; Di Sandro(N), Le anfore arcaiche dallo scarico Gosetti, op. cit.

وتوجد جزيرة إيسكيا (Ischia) غرب مدخل خليج نابلي في إيطاليا، وتبعد عن مدينة نابلي بحوالي 25 كلم. وكانت تعرف في القديم باسم Pithecoussa (Pithécusses) بعد أن أسسها الأوبيون في حوالي 770 ق.م. وتعتبر مركزا معدنيا هاما، حيث كشفت الفحوص الاركيولوجية عن عدة منشآت معدنية كانت تقوم بتحويل المعادن في عين المكان. وعلى العموم كانت "إيسكيا" محطة أساسية في طريق المعادن بالحوض المتوسطي.

(112) Bound(M), Vallintine(R), A wreck of possible etruscan origin of Giglio Island, **IJNA 12**, 1983, pp. 113 -122.

(113) Benoit(F), Recherches sur l'hellinisation du Midi de la Gaule, op. cit, pp. 58-59, pl. 41.

(114) Benoit(F), Relations commerciales de Marseille grecque avec le monde occidental, **Rev. Et. Lig. XXII**, 1956, p. 323, pl. XXX, XXXI.

(115) Chelbi(F), A propos des amphores archaïques de Carthage, op. cit, p. 718.

(116) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 195.

الاستراتيغرافي رقم V من استبار الخروب على قطع من الامفورات الفينيقية[117]. غير أنه لم يشر الى نوعية الاجزاء المنكسرة، ولم يقدم أي رسم عنها، مما كان يتعذر معه معرفة هل الامر يتعلق بقطع أعناق أو عروات أو بطون، أو غيرها من الاجزاء البارزة في هذا النوع من الاواني. وظل الامر كذلك الى أن تم نشر رسوم هذه الكسرات التي كانت محفوظة في المتحف الاركيولوجي بتطوان، في آخر مؤلّف يصدر لحد الآن عن ليكسوس[118] (انظر لوحة XXI-XX-XV-XIV-XI). فمن خلال الدراسة التي قامت بها "ماريا بيلين وآخرون" لهذه الكسرات، تبيَّن أن مجموع هذه القطع لم يكن يتعدى ثمانية أعناق، تنتمي الى الصنف رقم 1 الذي اعتمدناه، والمعروف باسم **R1** من تصنيف "فييمو" (Vuillemot)[119]. كما تبين أن قطر فوهة العنق كان يتراوح بين 10 و12 سنتمتر، وأن إحدى القطع كانت تتوفر على علامة منقوشة في الجانب الخارجي للجزء الموجود تحت الكتف[120].

بعد التأكيد على وجود الامفورات الفينيقية في استبار الخروب، نشير الى أن "أندري جودان"[121] أورد أن "طراديل" عثر على هذه الامفورات في أعلى ربوة ليكسوس، دون أن يتم كذلك تحديد المكان بدقة. غير أن محمد البكاري أورد في التقرير الاخباري الذي أعده ضمن الجزء السابع للنشرة الاثرية المغربية[122]، أن الاستبارات التي شملت أسس قطاع المنازل، كشفت عن الامفورات الفينيقية. وقد تأكد ذلك بالفعل بفضل دراسة "ماريا بيلين وآخرون"[123] للمواد التي اكتشفها "طراديل" في هذا الاستبار. من خلال ذلك، تم تحديد أربعة أعناق وعروات تنتمي الى الصنف الاول من الامفورات الفينيقية المتميزة بالكتف القاربية الشكل (Trayamar 1)، والمؤرخة خلال القرن الثامن قبل الميلاد والنصف الاول من القرن السابع قبل الميلاد[124] (انظر لوحة XXIII وXXVI). كما تبين أن هذه الامفورات كانت حاضرة كذلك في استبار "البازيليك" بعد نشر رسوم المواد الخزفية التي كانت محفوظة في المتحف الاركيولوجي بتطوان، مع ترجيح تأريخها بالقرن السابع قبل الميلاد[125] (انظر لوحة XXII رقم 127-128).

بعد أعمال "طراديل"، سيتم التعرف على المزيد من كسرات الامفورات الفينيقية بفضل المعلومات التي حصل عليها "ميشيل بونسيك" من حفرياته في قطاع حي المعابد. وأول معطى أفاد به عالم الآثار الفرنسي في هذا الباب، هو تأكيده على أن أقدم المستويات الاستراتيغرافية التي كانت توجد مباشرة فوق الصخر الام، كانت تضم العديد من أعناق الامفورات الفينيقية[126].

---

(117) Tarradell(M), Nuevos datos sobre la ceramica pre-romana de barniz rojo, op. cit, p. 250.

(118) Belèn(M), Escacena(J.L.), Rodero(A), López Roa(C), Materiales de época fenicia de las excavaciones de Tarradell conservados en el museo de Tetuán, op. cit, p. 93, fig. 4-7-8-13-14.

(119) Idem, Ibid, p. 93.

(120) Idem, Ibid, p. 93, fig. 4, p. 95.

(121) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 130.

(122) Bekkari(M), L'archéologie marocaine en 1966-1967, **B.A.M**, t. VII, 1967, p. 656.

(123) Belén(M), Escacena(J.L), López Roa(C), Rodero(A), Fenicios en el Atlántico. Excavaciones españolas en Lixus : Los conjuntos "C. Montalbán" y "cata basílica", op. cit, p. 350, n° 13-14-63-64-65.

(124) Rodero(A), Las anforas prerromanas en Andalucía, **Epigrafia e Antichità. 13. Fratelli Lega.** Faenza, 1995, p. 41-75.

(125) Belén(M), Escacena(J.L), López Roa(C), Rodero(A), Fenicios en el Atlántico. Excavaciones españolas en Lixus : Los conjuntos "C. Montalbán" y "cata basílica", op. cit, p. 352, fig. 9, n° 127-128.

(126) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 3.

ففي الاستبار رقم 8 الذي أجراه في المبنى A، اكتشف على الاقل ثلاث كسرات من هذه الأعناق، كما يتبين ذلك من خلال الرسم الذي نشر فيه بعض المعثورات الخزفية الفينيقية المكتشفة في ذات المبنى[127] (انظر لوحة XXXI).كما يذكر"ميشيل بونسيك" أن الاستبارات الستة التي أجراها في معبد F أفرزت بعض شظايا الامفورات[128]. وسيكون أكثر دقة في هذا الصدد عندما أورد أن ردم خزان معبد F، كشف عن العديد من أعناق الامفورات الفينيقية[129]، حيث عرض في الرسم الذي نشره في الموضوع صورا تخص خمسة أعناق (انظر لوحة L). وفي الاستبارات التي أنجزها في نقط متعددة بحنية معبد H، عثر في المستوى الاستراتيغرافي رقم V الموجود مباشرة فوق الصخر الام، على مجموعة من أعناق الامفورات الفينيقية[130]. غير أنه لم يشر الى عدد هذه الاعناق، ولم يقم بنشر أية صورة ولا رسم حولها.

ومؤخرا، نشير الى أن البعثة المغربية-الاسبانية التي قامت بحفريات جديدة عام 1999 في استبار الخروب، تمكنت من الكشف عن كسرات عديدة من نفس الامفورات في المستويات الاركيولوجية الفينيقية[131]. وكانت هذه الكسرات – التي تنتمي الى النوع المعروف بسلسم **R 1**[132]–، تتشكل جلها من أعناق تتميز باختلاف أشكالها، منها الاعناق الطويلة والضيقة (انظر لوحة LI رقم 1-3)[133]، ومنها الاعناق المستقيمة وذات المقطع الداخلي الشبه المثلثي (انظر لوحة LI رقم 4)، ومنها الاعناق ذات الجوانب الخارجية المحدّبة والمقطع الداخلي المكوَّر(انظر لوحة LI رقم 5-6). وأخيرا منها الاعناق ذات الجوانب الخارجية المقعرة والمقطع الداخلي الشبه المثلثي (انظر لوحة LI رقم 7-9). أما قطر هذه الاعناق فقد تراوح ما بين 10 و13 سنتمتر. وتميزت بتوفرها على كتف بارزة قاربية الشكل، وعلى عروتين مدورتين، وعلى قاعدة شبه مقعرة تنتهي بطرف مقرّن بعض الشيء[134].

كما أن نفس البعثة عثرت على الامفورات نفسها (صنف **R 1**) في استبار "الزيتونة" الذي أنجزته في ليكسوس خلال شهري شتنبر وأكتوبر من عام 1999[135].

وفيما يلي جدولا مفصلا حول كسرات الامفورات التي اكتشفها في ليكسوس كل من "ميكيل طراديل" و"ميشيل بونسيك" والبعثة الاركيولوجية المغربية-الاسبانية :

الجزء المكتشف	مكان الاكتشاف	المكتشف	العدد	التاريخ
كسرات أعناق	استبار الخروب	طراديل	8	القرن الثامن والسابع
كسرات أعناق	استبار البازيليك	طراديل	2	القرن السابع قبل الميلاد
كسرات حواشي وأعناق وعروات	استبار قطاع المنازل	طراديل	4	القرن الثامن والسابع
كسرات أعناق	استبار الخروب 2	بعثة 1999	؟	أواسط ق 8 – أواسط 6

(127) Idem, Ibid, p. 32, fig. 6, p. 31.

(128) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, 65.

(129) Idem, Ibid, p. 73.

(130) Idem, Ibid, p. 105.

(131) Alvarez(N), Gómez Bellard(C), Habibi(M), De Madaria(J.L), La ocupación fenicia, op. cit, p. 73.

(132) Vuillemot(G), Reconnaissances aux échelles puniques d' Oranie, Autun, 1965, fig. 17, 1 ; fig. 51.

(133) Alvarez(N), Gómez Bellard(C), Habibi(M), De Madaria(J.L), La ocupación fenicia, op. cit, p. 74, fig. 4, n° 1-3, p. 76.

(134) Idem, Ibid, p. 74.

(135) Idem, Ibid, p. 187.

؟	استبار الزيتونة	بعثة 1999	؟	؟
كسرات أعناق	مبنى A (رسم)	بونسيك	3	ربما القرن الثامن
بعض الشظايا	معبد F	بونسيك	؟	؟
العديد من الاعناق (لوحة ورسم)	خزان معبد F	بونسيك	على الاقل 5	ربما القرن السابع
أعناق أمفورات	حنية معبد H	بونسيك	؟	ربما القرن السابع

ب- المواصفات ومحاولات التأريخ :

من المعلوم أنه يصعب التعرف على شكل أي إناء اعتمادا فقط على الجزء المكتشف، وبالتالي فإن إنجاز تصنيفات دقيقة للمنتوجات الخزفية، يتطلب إدراك نوع الطين المستعملة، وطريقة علاج السطح، والتقنيات المستخدمة في الصنع [136]. ومع ذلك، وبالرغم من العثور على قطع أمفورات ليكسوس في حالة مهشمة، وبالرغم من تعذر إمكانية إلصاق القطع المكتشفة، فمن الممكن أن نأخذ صورة تقريبية عن شكل الآنية من خلال الاعناق والحواشي، إسوة بما قام به مثلا الباحث الفرنسي "جان أيميريك" (Jean Aymerich) عند دراسته للمعثورات الخزفية الفينيقية التي اكتشفها في مركز مالقة [137]. هذا مع العلم أن الخروج بتصنيف دقيق لهذه الامفورات بالاعتماد فقط على دراسة أعناقها، من شأنه أن لا يتسم بالدقة المتوخاة، كما أوردت ذلك "ماريا بيلين وآخرون" عند دراستهم للمواد المحفوظة في المتحف الاركيولوجي بتطوان [138].

فمن خلال الصورة الوحيدة المنشورة عن إحدى هذه الاعناق المكتشفة في ردم خزان معبد F [139]، (انظر لوحة XXXVI)، يتبين أن الامر يتعلق بنفس الاعناق التي تميز بها الصنف الاول من الامفورات الفينيقية، حيث كانت طبق الاصل للكسرات التي زخر بها المستوى الاستراتيغرافي الفينيقي بجزيرة الصويرة [140]. فنفس القطر الاسطواني، ونفس التورم في شفة الاعناق الواردة في اللوحة رقم XXXI من مؤلف "أندري جودان" [141]، نجدهما كذلك في كسرة ليكسوس. وكان "ميشيل بونسيك" قد انتبه الى هذا التشابه، مما حدى به الى اعتبار أن هذه الأعناق تعود الى النوع الكروي الشكل المميز للقرنين السابع والسادس قبل الميلاد [142]، والمماثل للصنف رقم I الفينيقي المكتشف بمركز "الاقواس" [143] (انظر لوحة XLVIII

---

(136) Docter(R.F), Des amphores carthaginoises archïques au site de Toscanos, dans Actes du **IIIè congrès international des études phéniciennes et puniques** (Tunis, 11 - 16 Novembre 1991), Institut national du patrimoine, volume I, Tunis, 1995, p. 370.

انطلاقا من هذه المعوقات، لا نعلم مثلا هل الامفورات التي انكسرت منها شقفات ليكسوس، كانت من النوع الذي يتميز بقيعان مدورة، أو من النوع الذي تنتهي قيعانه على شكل القرن، أي بطرف حاد.

(137) Gran-Aymerich(J. M), Malaga fenicia y púnica, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, vol. I, op. cit, p. 140.

(138) Belèn(M), Escacena(J.L.), Rodero(A), López Roa(C), Materiales de época fenicia de las excavaciones de Tarradell conservados en el museo de Tetuán, op. cit, p. 93.

(139) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, pl. XXV, p. 71.

(140) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 123-132, fig. 25, p. 122, pl. XXXI, p. 124 et pl. XXXII, p. 125.

(141) Idem, Ibid, pl. XXXI, p. 124.

(142) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 73 et p. 80.

(143) Ponsich(M), Kouass, port antique et carrefour des voies de la Tingitane,op. cit, fig. 2, p. 378.

[III]). وهي الامفورات التي تتميز بغياب العنق، وتعويضه بحاشية بارزة بعض الشيء، وبوجود عرويتين مدورتين صغيرتين ملتصقتين بالبطن.

ومن خلال شكل الاعناق الخمسة الواردة في رسم رقم 25 من مؤلف "ميشيل بونسيك" ، والتي تم اكتشافها في ردم خزان معبد F[144] (انظر لوحة L)، يتجلى كذلك التشابه الكبير مع نفس الاعناق المكتشفة في جزيرة الصويرة، والواردة في رسم رقم 26 من مؤلف "أندري جودان"[145]. فنفس التورم في الحواشي، ونفس الارتفاع الذي يبلغ حوالي 25 ملمتر، كانا حاضرين في الحالتين معا.

واعتبرت عالمة الآثار الالمانية "كيرطا ماس-ليندمان" (Gerta Maass-Lindemann)، من خلال المداخلة التي تقدمت بها في الملتقى الدولي الاول حول ليكسوس[146]، أن كسرات الامفورات التي اكتشفها "بونسيك" في مبنى A تتشابه بشكل كبير مع النماذج الاسبانية. فالاعناق التي تظهر في رسم رقم 6 من مؤلف "بونسيك"[147] (انظر لوحة XXXI)، اعتبرتها شبيهة بنوع أعناق Trayamar 1، التي تتميز بالكتف الدائرية وانعدام العنق. وهو النوع الذي يوجد بكثرة حسب نفس المؤلفة في المستوطنات الفينيقية بجنوب إسبانيا[148]، وموكادور[149]، وسردينيا[150]، وربما راشكون[151]، وبشكل نادر جدا بقرطاجة[152] وفي جزيرة "موتيا"[153].

غير أن الباحث الاسباني "فيرناندو لوبيز باردو" (Fernando Lopez Pardo) يرجح أن يكون تاريخ هذه الحواشي أقدم مما نعتقد. فهو يعتبر[154] أن الحواشي الثلاثة للامفورات الفينيقية الواردة في نفس الرسم[155]، المستقيمة الشكل والمشدوفة بعض الشيء (انظر لوحة XXXI)، تعتبر طبق الاصل للصنف حرف A من أمفورات "كرمونة" (Carmona) المكتشفة بالمستوى الاستراتيغرافي رقم 23، المؤرخ بالقرن الثامن قبل الميلاد. كما يرى نفس الباحث أنها تتشابه مع الامفورات المكتشفة في مركز "تشوريراس" (Chorrearas) بناحية مالقة، المؤرخة هي كذلك بالقرن الثامن قبل الميلاد[156]. ويعتبر أنها مماثلة كذلك

---

(144) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, fig. 25, p. 82.

(145) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, fig. 26, p. 127.

(146) Maass-Lindemann(G), A comparison of the phoenician pottery of Lixus with the west phoenician pottery of Spain, op. cit, p. 177-178.

(147) Idem, Ibid, fig. 3, p. 178 ; Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, fig. 6, p. 31.

(148) Maass-Lindemann(G), Toscanos, 1971, **MF**, 6, 3, 1982, p. 62, pl. 14-16.

(149) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 123, fig. 25-26.

(150) Bartoloni(P), Anfore fenicie e puniche da Sulcis : S. Antioco : area del Cronicario (Campagne di Scavo 1983-1986), **Revista di Studi Fenici**, t. 16, 1988, p. 91, fig. 1, 2a, type Sulcis A.

(151) Vuillemot(G), Reconnaissances aux échelles puniques d' Oranie, Autun, 1965, p. 62, fig. 17, 1.

(152) Chelbi(F), Découverte d'un tombeau archaïque à Junon, **R.P.P.A.L, I**, 1985, p. 100.

(153) Siasca(A), Scavi alle mura di Mozia (Campagna 1978), **Revista di Studi Fenici**, t. 7, 1979, p. 213, pl. 73, 7, fig. 17, 1.

(154) Lopez Pardo(F), Reflexiones sobre el origen de Lixus y su Delubrum Herculis en el contexto de la empresa comercial fenicia, op. cit, p. 89.

(155) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, fig. 6, p. 31.

(156) Lopez Pardo(F), Reflexiones sobre el origen de Lixus y su Delubrum Herculis en el contexto de la empresa comercial fenicia. op. cit, p. 89.

لنماذج تم العثور عليها في مركزي "لوس طوسكانوس" (Los Toscanos) و" إيل مـــــورّو دي ميسكيتيا " (El Morro de Mezquitilla) [157].

ومما يرجح هذه الكرونولوجيا أنه بالفعل يُلمس فرق واضح بين أعناق مبنى A، التي تتميز بحواشيها المستقيمة والقصيرة والمتورمة، الشبيهة بنماذج "كاستييو دي دونيا بلانكا" (Castillo de Doña Blanca) المؤرخة بالقرن الثامن قبل الميلاد [158] (انظر لوحة XLIX [I] رقم 3-6)، وبين أعناق ردم معبد F، الشبيهة بنماذج القرن السابع قبل الميلاد بنفس المركز، والمتميزة بحواشي متورمة نحو الداخل ومقعرة بعض الشيء نحو الخارج [159] (انظر لوحة XLIX [I] رقم 2-4). كما تعتبر أعناق مبنى A بليكسوس شبيهة بالاعناق القصيرة والمستقيمة المؤرخة بالقرن الثامن قبل الميلاد، التي اكتشفها "هيرمانفريد شوبارت" (H. Schubart) بمركز "إيل مورّو دي ميسكيتيا" [160] (انظر لوحة XLIX [I] رقم 7)، و"مـولينا فاخاردو" (F. Molina Fajardo) بمركز "ألمونييكار" [161] (انظر لوحة XLIX [I] رقم 8).

ولعل أن الدراسة التي قامت بها البعثة الاسبانية للمواد المكتشفة في استبار الخروب، جاءت لتزكي الرأي الذي يعتبر أن ليكسوس عرفت من جهة أمفورات تنتمي الى القرن الثامن قبل الميلاد، وأمفورات أخرى تنتمي الى القرن السابع قبل الميلاد، مع امتدادات حتى أواسط القرن السادس قبل الميلاد. فحسب "ماريا بيلين وآخرون" ، كانت الاعناق التي تحمل رقم 555 و354 و352 تنتمي على ما يبدو الى الصنف الذي يمكن تأريخه بالمرحلة المتراوحة بين أواسط القرن الثامن قبل الميلاد -وربما قبل ذلك-، وبين الثلث الاول من القرن السابع قبل الميلاد [162] (انظر لوحة XXI-XX-XV-XIV). وبذلك تكون هذه الإعناق تنتمي الى النوع الذي يحمل رقم **[10.1.1.1]** من تصنيف "رامون" (Ramón) للامفورات الفينيقية [163]. أما الاعناق التي تحمل رقم 120 وربما 138 [164]، التي تتميز بحاشية أكثر تورما، فهي تنتمي حسب ما يبدو الى الانواع التي تحمل رقم **[10.1.2.1]** من نفس التصنيف [165]، والتي تؤرخ خلال المرحلة المتراوحة بين سنة 650/675 قبل الميلاد وبين أواسط القرن السادس قبل الميلاد (لوحة XI).

---

(157) Idem, Ibid, p. 89.

(158) Ruiz Mata(D), Las ceramicas fenicias del Castillo de Doña Blanca, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, op. cit, p. 248, fig. 3, n° 3-4.

(159) Idem, Ibid, p. 260, fig. 7, n° 2, n° 4.

(160) Schubart(H), El Asentamiento fenicio del s. VIII a. C. en El Morro de Mezquitilla (Algarrobo, Malaga), dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, op. cit, fig. 5f, p. 70.

(161) Molina Fajardo(F), Almuñécar a la luz de los nuevos hallazgos fenicios, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, vol. I, op. cit, fig. 9, n° 1, p. 206.

(162) Belèn(M), Escacena(J.L.), Rodero(A), López Roa(C), Materiales de época fenicia de las excavaciones de Tarradell conservados en el museo de Tetuán, op. cit, p. 93, fig. 7 : n° 555 ; fig. 8 : 352-354 ; fig. 13 : 562 ; fig. 14 : 607.

(163) Ramón(J), Las ánforas fenicias y púnicas del Mediterráneo central y occidental, Barcelona, 1995, p. 229 -230, fig. 389-395.

(164) Belèn(M), Escacena(J.L.), Rodero(A), López Roa(C), Materiales de época fenicia de las excavaciones de Tarradell conservados en el museo de Tetuán, op. cit, p. 93, fig. 4 : n° 120-138.

(165) Ramón(J), Las ánforas fenicias y púnicas del Mediterráneo central y occidental, Barcelona, 1995, p. 230 231, n°. 396-416, fig. 196-198.

ومن غريب الصدف أن هذه المعطيات جاءت موافقة لنتائج الحفريات التي قامت بها البعثة المغربية–الاسبانية سنة 1999 في نفس الاستبار، أي استبار الخروب[166]. فقد أفادنا التباين الحاصل في شكل أعناق الامفورات المكتشفة، في الاطلاع على التطور الكرونولوجي الذي مرت به هذه الامفورات. فالنوع المتميز بالاعناق الطويلة والضيقة (انظر لوحة LI رقم 1-2-3-5)، والذي تم اكتشافه في المستويات العميقة باستبار الخروب، يؤرخ ابتداء من أواسط القرن الثامن قبل الميلاد أو الربع الثاني من نفس القرن[167]. أما باقي الاعناق (انظر لوحة LI رقم 4-6-7-8-9)، فقد تم إنتاجها الى حدود أواسط القرن السادس قبل الميلاد[168].

وكيفما كان الحال، فإن العثور على بقايا الامفورات في ليكسوس، التي تعتبر من أهم المخلفات الفينيقية الدالة عن حدوث علاقات تجارية وعن مصالح اقتصادية للفينيقيين بالمنطقة، يعد عنصرا إضافيا يزكي الرأي الذي يرى أن بداية الاهتمام الفينيقي بالمركز كان أقدم مما كنا نتصور.

I ــ ثلاثيات الارجل :

1) المميزات المرفلوجية ومسألة الاستعمال :

حسب فرضية "أندري جودان"[169]، فإن هذا النوع من الاواني، المعروف لدى علماء الآثار باسم ثلاثيات الارجل (trépieds)، كانت له علاقة مباشرة بالامفورات، نظرا للتوافق الحاصل بين تقوس قاعدة الامفورات وقطرها، وبين قعر ثلاثيات الارجل[170]. فتحدب الاول كان يقابل تقعر الثاني، مما يعني أنهما كانا متشابهي الوضع (homothétiques) بلغة الرياضيات[171]. كما أن الأضلاع الصلبة للاناء، توحي بأنه كان يستعمل كتكأة أو دِعامة[172]، ويكفي توفر ركيزة واحدة لتثبيت الامفورة حسب الوضعية المرغوبة.

وقد استند "جودان" لترجيح هذه الفرضية على شكل ثلاثيات الارجل التي كانت مختلفة عن الصحون العادية، المتميزة برشاقتها وخفة وزنها[173]. كما استند كذلك على الوزن الثقيل لهذه الاواني، التي تستطيع تحمل ثقل أمفورة مملوءة يتراوح وزنها ما بين 30 و50 كلغرام، دون أن تتكسر[174]. غير أن العثور على نماذج مصنوعة من الحجر في الشرق الفينيقي كانت تستخدم كرحى لطحن الحبوب، حدى ببعض المهتمين الى ترجيح أن تكون ثلاثيات الارجل قد استعملت كذلك لهذه الغاية أو للطهي، خصوصا وأن علماء الآثار الاسبان والانجليز كانوا ينعتونها بالجفنات (cuenco tripode - tripod bowls)[175] أو بالقدور

---

[166] Alvarez(N), Gómez Bellard(C), Habibi(M), De Madaria(J.L), La ocupación fenicia, op. cit, p. 73-74.

[167] Ramón(J), Las ánforas fenicias y púnicas del Mediterráneo central y occidental, op. cit, p. 229 - 230, fig. 108.

[168] Idem, Ibid, p. 230 - 231, fig. 109.

[169] Jodin(A), Note préliminaire sur l'établissement pré-romain de Mogador, op. cit, p. 23, fig. 7 ; Idem, Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 133.

[170] يعتبر "أندري جودان" (A. Jodin) في هذا الصدد أن نفس الفخاريين الذين خرطوا الامفورات، أنتجوا أيضا ثلاثيات الارجل. انظر : Jodin(A), Note préliminaire sur l'établissement pré-romain de Mogador, op. cit, p. 25.

[171] والملاحظ كذلك أن عالم الآثار الالماني "هيرمانفريد شوبارت" (H. Schubart) يعتبر أن ثلاثيات الارجل كانت تستخدم كأداة لها علاقة بالاواني التي تستخدم لحزم المواد التجارية السائلة مثل الخمور. انظر : Schubart(H), Asentamientos fenicios en la costa meridional de la peninsuma iberica, **Huelva arqueologica VI**, 1982, p. 90.

[172] Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 137.

[173] Jodin(A), Note préliminaire sur l'établissement pré-romain de Mogador, op. cit, p. 23.

[174] Idem, Ibid, p. 23.

[175] Ruiz Mata(D), Las ceramicas fenicias del Castillo de Doña Blanca, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, op. cit, p. 259 ; Culican(W), Phoenicians oil bottles and tripod bowls, **Berytus 19**, 1970.

(ollas)[176]. ومع ذلك، فإن الاستعمال الحقيقي لهذه الاواني يشوبه الاختلاف بين المهتمين، إذ هناك من يعتقد أنها كانت تستخدم كأداة ممكن نقلها بسهولة لتحضير الصبغة أو الدهان أو غيرهما[177].

وحسب الاشكال الاكثر شيوعا، توصف هذه الاواني الخزفية، بكونها عبارة عن صحون مقعرة ثقيلة ذات الحاشية العمودية السميكة والقصيرة، توجد تحتها شفة تُفصل عن القعر بواسطة شق[178]. وتُسند هذه الصحون فوق ثلاثة أرجل قصيرة صلبة ذات المقطع المثلثي على شكل أهرامات صغيرة، أو ذات المقطع المربع الزوايا. ويتراوح متوسط حجم قطر هذه الصحون ما بين 230 و260 ملمتر، ويبلغ في بعض الحالات الاستثنائية 300 ملمتر. أما علوها فلا يخضع لأي مقياس قار، إذ نجد بعض النماذج المكتشفة في جزيرة الصويرة تعادل 68 ملمتر، ونماذج أخرى تبلغ 88 ملمتر[179].

وتتميز طريقة صناعة ثلاثيات الارجل بمزج تقنيتين مختلفتين، حيث يستعمل الخرط في الصحن (tournage)، في حين تخضع الارجل لعملية القولبة (modelage)، وبعد ذلك يتم إلصاقها بالجهة السفلى للإناء[180]. وينتج عن ذلك انعدام وجود وحدة متجانسة في الشكل، بحيث يتعذر العثور على أي نموذج مطابق للآخر. فالتقوسات تكون متباينة، وسمك الحواشي مختلفا، والارجل تلتصق بالصحن بلا تمييز، حيث تثبت تارة تحت الحاشية، وتارة أخرى تلصق بالثلث الاول للإناء[181].

أما حاشية الصحن، التي يتراوح علوها ما بين 20 ملمتر و35 ملمتر، فتكون تارة ذات المقطع المثلثي، وتارة أخرى تكون مدورة، أو ناتئة بحزٍّ مزدوج[182]. ومما يثير الانتباه في هذه الاواني، هو السمك الضخم لقعرها، الذي يتراوح ما بين 12 ملمتر و25 ملمتر.

وتبعا لتركيبة الطين وشوائها، يختلف اللون الخارجي ثلاثيات الارجل، من الوردي الباهت الى الاخضر الزَّيْزَفونيّ. كما تم العثور على بعض الشقفات المطلية ببرنيق سُكَّريّ اللون، شبيه بذلك الذي توفرت عليه بعض الامفورات، دون أن يُكشف لحد الساعة عن أي نموذج متوفر على زخرفة مصبوغة[183].

علاوة على هذه الانواع الكبيرة الحجم من الثلاثيات الارجل، تم العثور على بعض النماذج النادرة في القبور الفينيقية، ذات الحجم الصغير كانت مصنوعة من الخزف الرفيع[184]. والغالب على الظن أن النوعين ينحدران من ثلاثيات الارجل المصنوعة من الحجر التي عرفها الشرق القديم، بالرغم من وجود بعض الاختلافات بينهما[185]. فالانواع الخزفية تتميز بتوفرها على حاشية ثقيلة وكأنها تسقط نحو الاسفل، وعلى

---

(176) Maass-Lindemann(G), Vasos fenicios de los siglos VIII-VI en España. Su procedencia y posición dentro del mundo fenicio occidental, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, t. I, op. cit, note 134, p. 237.

(177) Gómez Bellard(C), **Céramique**, Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique,op. cit, p. 99.

(178) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 133 ; Ruiz Mata(D), Las ceramicas fenicias del Castillo de Doña Blanca, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, op. cit, p. 259, fig. 6 : 1, p. 256.

(179) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 133, note n° 211.

(180) Idem, Ibid, p. 135.

(181) Idem, Ibid, p. 137.

(182) Idem, Ibid, p. 137, fig. 28, 1-2-4.

(183) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 137.

(184) Maass-Lindemann(G), Toscanos, 1971, **MF**, 6, 3, 1982, pl. 24, K 3, 1.2.

(185) Maass-Lindemann (G), Vasos fenicios de los siglos VIII-VI en España. Su procedencia y posición dentro del mundo fenicio occidental, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, t. I, op. cit, p. 238.

أرجل تلصق في أسفلها ؛ بينما تتميز النماذج الحجرية، بحاشية خارجية ملساء، وبأرجل مُدرّجة وليست لاصقة[186].

2) التوزيع في الحوض المتوسطي :

تشير الباحثة الالمانية "كيرطا ماس-ليندمان" (Gerta Maass- Lindemann) الى أن ثلاثيات الارجل كانت حاضرة بشكل متكرر في المستوطنات الفينيقية الغربية، سواء في إسبانيا (انظر لوحة XLIX رقم 1) أو في شمال إفريقيا[187]. بل تم العثور عليها كذلك في الشرق الفينيقي، وفي مناطق أخرى من الحوض المتوسطي.

ففي إسبانيا، ورد أول ذكر لثلاثيات الارجل عام 1899، على يد عالم الآثار الفرنسي "ج. بونصور" (G. Bonsor)، بعد اكتشافها في جثوة "إنطريمالو" (Entremalo) بناحية "كرمونة" (Carmona) المؤرخة بالقرن السابع قبل الميلاد[188]. ونتيجة لتطور البحث الاركيولوجي الذي عرفته منطقة الاندلس، خصوصا بعد السبعينات من القرن العشرين، تم العثور على العديد من القطع الجديدة سواء في المستوطنات الفينيقية أو في المراكز المحلية[189]. فقد اكتشفت في مركز "لوس طوسكانوس" (LosToscanos)[190]، و"شوريّراس" (Chorrearas)[191]، و"إيل مورّو دي ميسكيتيا" (El Morro de Mezquitilla)[192] (انظر لوحة XLIX رقم 2). كما تم اكتشافها في "فينارّاكيل" (Vinarragell)[193]، وعثر عليها "دييكو رويز ماطا" (Diego Ruiz Mata) في "كاستييو دي دونيا بلانكا" (Castillo de Dona Blanca) (انظر لوحة XLIX رقم 3) ضمن الاخزاف الفينيقية المؤرخة بالقرن السابع قبل الميلاد[194].

أما في شمال افريقيا، فكانت ثلاثيات الارجل نادرة في قرطاجة، حيث لم يتم العثور حسب "بيير سانتاس" (P.Cintas)[195] سوى على نموذج واحد في مقبرة "دويميس" (Douimès) المؤرخة بالقرن السادس قبل الميلاد[196]. لكن الحفائر التي أجرتها عالمة الآثار الاسبانية "ميرسيديس فيكاس" (M. Vegas)

---

(186) Bikai(P.M), The Pottery of Tyre, op. cit, pl. 36, 20 ; pl. 9, 23, 24 ; pl. 20, 17.

(187) Maass-Lindemann (G), Vasos fenicios de los siglos VIII-VI en España. Su procedencia y posición dentro del mundo fenicio occidental, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, t. I, op. cit, p. 237, fig. 2, n° 17, p. 236.

(188) Bonsor(G), Les colonies agricoles préromaines de la vallée du Bétis, op. cit, p. 100, fig. 97 ; Cintas(P), Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc, op. cit, p. 52, fig. 1 et 54 ; Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, p. 137.

(189) Ruiz Mata(D), Las ceramicas fenicias del Castillo de Doña Blanca, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, op. cit, p. 258.

(190) Schubart(H) et Maass-Lindemann(G), Toscanos, op. cit, p. 133, fig. 19.

(191) Aubet(Ma. E), Maass-Lindemann(G), Schubart(H), Chorreras, un establecimiento fenicio al E. de la desembocadura del Algorrobo, **Noticiario Arqueológico Hispánico 6**, 1979, p. 116, fig. 10.

(192) Schubart(H) Morro de Mezquitilla, Informe preliminar sobre la campaña de excavaciones 1976, **Noticiario Arqueológico Hispónico 6**, 1979, fig. 11c, p. 195.

(193) Mesado(N), Vinarragell (Buriana, Castellón), **SIP 46**, Valencia, 1974, p. 157 ss, fig. 82.

(194) Ruiz Mata(D), Las ceramicas fenicias del Castillo de Doña Blanca, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, op. cit, p. 259, fig. 6 : 1, p. 256.

(195) Cintas(P), Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc, op. cit, p. 52.

(196) Delattre(R.P), La nécropole punique de Douïmès, fouilles de 1985-1896, op. cit, fig. 79.

في قرطاجة، كشفت عن وجود ثلاثيات الارجل في المستويات الاستراتيغرافية القديمة للمدينة[197]. كما كانت حاضرة في الجزائر، حيث عثر "جورج فيمو" (G. Vuillemot) على هذا النوع في مركزي "مرسى مداخ"[198]، و"راشكون"[199].

ولعل أن أهم منشأة كشفت عن أوفر العينات في شمال إفريقيا، مثلتها المحطة التجارية الفينيقية بجزيرة الصويرة، حيث تم العثور بها على حوالي خمسة وعشرينا نموذجا منكسرا، بفضل مكتشفات "كوبرلي" (P.Koeberlé) و"بيير سانتاس"[200] و"أندري جودان"[201]، دون أن يتم الكشف مع ذلك عن أي إناء كامل.

وحول الجذور الشرقية لهذا المنتوج، يرى "أندري جودان"[202]، أن الاناء المصنوع من الحجر الذي اكتشفه "جورج كونتنو" (G. Contenau) في صيدا[203]، والمؤرخ بالثلث الاول من عصر الحديد، يمكن اعتباره النموذج الاصلي المباشر لثلاثيات الارجل المصنوعة من الطين المكتشفة في جزيرة الصويرة. ويوصف هذا النموذج بأنه كان على شكل جفنة حجرية مسامية ذات الارجل القصيرة، كانت تستعمل ربما لطحن الحبوب، مما يجعل منها عبارة عن رحى راقدة[204]. ومن المعلوم أن الشرق الاوسط عرف ثلاثيات الارجل المصنوعة من الحجر منذ الالف الثالثة قبل الميلاد[205]. كما عرفتها بلاد الاغريق، حيث تم العثور في جزيرة "ديلوس" (Délos) الموجودة جنوب بحر إيجة، على مجموعة كاملة من ثلاثيات الارجل. وكانت هذه العينات، التي يبلغ قطرها 350 ملمتر وعلوها 90 ملمتر، مصنوعة من البازالت ؛ وكانت تصلح حسب مكتشفها "ديونا" (W. Deonna) لطحن عدة مواد فلاحية من بينها الحبوب[206].

وفي المتوسط الشرقي كذلك، عثر عالم الآثار السويدي "جيرسطاد" (E. Gjerstad)[207] في جزيرة قبرص، على نماذج مشابهة لعينات جزيرة الصويرة حسب"بيير سانتاس"، استنادا الى نوع الارجل ذات المقطع المثلثي[208].

ولم يقتصر الكشف عن ثلاثيات الارجل على العالم الفينيقي، بل عرفتها حضارات أخرى ذات جذور شرقية، نذكر منها حضارة الاتروريين. ففي المتحف الاتروري لمدينة فلورانسا، تُعرض جفنة صغيرة الحجم ذات الارجل الثلاثة، يبلغ قطرها حوالي 150 ملمتر وعلوها 40 ملمتر. مصدر هذا الاناء من مركز

---

(197) Vegas(M), **Gnomon 56** (1984), p. 378 et ss ; ap. Maass-Lindemann(G), Vasos fenicios de los siglos VIII-VI en España. Su procedencia y posición dentro del mundo fenicio occidental, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, t. I, op. cit, note 134, p. 237.

(198) Vuillemot(G), Fouilles puniques à Mersa Madakh, op. cit, fig. XXVI, p. 339.

(199) Vuillemot(G), Reconnaissances aux échelles puniques d' Oranie, op. cit, p. 69, fig. 14-18.

(200) Cintas(P), Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc, op. cit, p. 52, fig. 54.

(201) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 132, fig. 27 et 28, pl. XXXIV et XXXV.

(202) Idem, Ibid, p. 138.

(203) Contenau(G), Mission archéologique à Sidon (1914), op. cit, p. 108-154, fig. 27.

(204) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 138.

(205) Gómez Bellard(C), **Céramique**, Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique,op. cit, p. 99.

(206) Deonna(W), Exploration archéologique de Délos, fasc. XVIII, Le mobilier délien, Paris, 1938, p. 109, fig. 134-135.

(207) Gjerstad(E), Swedish Cyprus expedition, op. cit, p. 177.

(208) Cintas(P), Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc, op. cit, p. 52.

Poggio della Porcareccia، ويؤرخ بالقرنين السابع والسادس قبل الميلاد[209]. كما يتوفر متحف "فيلا جيوليا" (Villa Giulia) على إنائين من نفس النوع يؤرخان بنفس المرحلة التاريخية، مصدرهما من مقبرة "ســيرفيتري" (Cerveteri)[210].

3) نموذج ليكسوس :

لم يكتب لعلماء الآثار الذين قاموا باستبارات أركيولوجية في ليكسوس بحثا عن آثارها الفينيقية، أن يعثروا لحد الآن سوى على نموذج واحد من ثلاثيات الارجل التي مر ذكرها. وكان ذلك بفضل الحفائر التي قام بها "ميشيل بونسيك" في خزان معبد F، حيث استطاع أن يكشف عن نموذج مصنوع من الطين النضج[211] (انظر لوحة XXXVI).

ومن خلال الاوصاف التي قدمها مكتشف الاناء، يتبين أنه كان من نفس الانواع الفينيقية التي مر ذكرها. فهو مصنوع مثلها من الطين النضج، ويتميز من خلال اللوحة الوحيدة المنشورة حوله[212]، بنفس الخصائص المرفلوجية التي مر ذكرها، حيث الحاشية المتوفرة على حزّة تحيط بموسطتها، وحيث الارجل الثلاثة الصلبة والثخينة. غير أن هذه الارجل كانت ذات المقطع المربع الزوايا، الشبيهة بالاناء الذي اكتشفه "هــيرمانفريد شوبارت" (H. Schubart) في مركز "إيل مورّو دي ميسكيتيا" (El Morro de Mezquitilla) بإسبانيا[213] (انظر لوحة XLIX رقم 2)، وليس ذات المقطع المثلثي على شكل أهرامات صغيرة، كما هو الشأن مثلا في نماذج جزيرة الصويرة[214] (انظر لوحة XLIX رقم 4). ولعل أن هذه الظاهرة تزكي الملاحظة التي تمت الاشارة إليها، في كون ثلاثيات الارجل لاتخضع لوحدة متجانسة في الشكل، بحيث يتعذر العثور على نموذج مطابق للثاني.

ومن جهة أخرى، يكمن اكتشاف "بونسيك" في كونه إناء كامل، ممثلا بهذه الصفة النموذج الكامل الوحيد المكتشف لحد الساعة في المغرب.

وفيما يتعلق بمحاولة تأريخ إناء ليكسوس، تجدر الاشارة حسب ما أوردته "كيرطا ماس-ليندمان" (Gerta Maass- Lindemann)، أن ثلاثيات الارجل لاتصنف ضمن الاواني الخزفية الفينيقية القديمة المكتشفة في إسبانيا، والمؤرخة بالقرن الثامن قبل الميلاد[215]. فهي لم تظهر للوجود حسب نفس الباحثة[216] سوى مع حلول القرن السابع قبل الميلاد، لتصبح غزيرة خلال أواخر نفس القرن، وخلال القرن السادس قبل الميلاد.

---

(209) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 138, fig. 29b.

(210) Idem, Ibid, p. 139, fig. 30.

(211) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit,p. 70.

(212) Idem, Ibid, pl. XXV, p. 71.

(213) Schubart(H) Morro de Mezquitilla, Informe preliminar sobre la campaña de excavaciones 1976, **Noticiario Arqueológico Hispánico 6**, 1979, fig. 11c, p. 195.

(214) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, fig. 27, 28, pl. XXXIV.

(215) Maass-Lindemann (G), Vasos fenicios de los siglos VIII-VI en España. Su procedencia y posición dentro del mundo fenicio occidental, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, t. I, op. cit, p. 238.

(216) Idem, Ibid, p. 238.

فهل هذا يعني أن نموذج ليكسوس كان معاصرا لنماذج جزيرة الصويرة، وبالتالي يؤرخ بالقرن السابع ق.م، كما يرجح ذلك "ميشيل بونسيك" نفسه[217] ؟ أم أنه أقدم من ذلك، طبقا لقاعدة تم تأكيدها مرارا عند إعادة دراسة العديد من المنتوجات الخزفية الفينيقية بليكسوس ؟

كيفما كان الحال، فإن ثلاثيات الارجل لم تكن نادرة في ليكسوس، لان المواد الفينيقية التي اكتشفها "ميكيل طراديل" في المستويات الاركيولوجية العميقة خلال استباراته لعامي 1951 و1957، والموجودة بالمتحف الاركيولوجي بتطوان، تتضمن على الاقل حاشيتين من هذا النوع[218].

وفيما يلي الجدول المتعلق بثلاثيات الارجل المكتشفة في ليكسوس :

الجزء المكتشف	مكان الاكتشاف	المكتشف	العدد	التاريخ
إناء كامل (لوحة)	خزان معبد F	بونسيك	I	ربما القرن السابع ق.م
حاشيتان اثنتان	؟	طراديل	—	

III – القارورات الفينيقية :

إن القارورات الفينيقية، التي اكتشفت في العديد من المراكز بالغرب المتوسطي بما فيهـا ليكـسوس، تعتبر حسب الباحث الاسباني "كارلوس كوميز بيلار" (Carlos Gomoez Bellard)، واحدة من الاوانـي الخزفية المرشدة للاستيطان الفينيقي بالغرب[219]. وكانت هذه القارورات، حسب دراسة الباحثـة الالمانيـة "كيرطا ماس-ليندمان" للاواني الفينيقية المكتشفة بإسبانيا، عبارة عن قنينات صغيرة تتميـز بفوهـة ضـيقة ومتورمة نحو الخارج أو نحو الداخل[220]. كما تميزت بعنق منتفخة، وجسم بَطِنة، وبعروة صغيرة تتلتصق غالبا بالعنق. وهي تنتمي من حيث طبيعة الطين، الى مجموعة الامفورات الفينيقية التي مر ذكرها، المتميـزة بعدم توفرها على أية صباغة أو برنيق (انظر لوحة LII).

هذه القارورات، – التي وُجدت باستمرار في العديد من المنشآت الفينيقية الغربية[221]، وفي العديد من المراكز المحلية التي دخلت في علاقات مع الفينيقيين–[222]، كانت تعتبر من المنتوجات الخزفية التي صنعت في الدائرة الفينيقية الغربية[223]. غير أنه أضحى يتأكد يوما بعد يوم، أن مصدر هذا المنتوج كان من الشرق الفينيقي، بعد اكتشافها في صور، علاوة على العديد من المراكز الفينيقية الاخرى، نذكر منها مركز "أقزيب" و"جبيل" و"سربتا" (Sarepta)[224]. ومما يرجح أن الجذور الشرقية للقارورات الفينيقية أمر لا غبار عليه، أنها

---

(217) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit,p. 70.

(218) Alvarez(N), Gómez Bellard(C), Habibi(M), De Madaria(J.L), La ocupación fenicia, op. cit, p. 74.

(219) Gómez Bellard(C), **Céramique**, Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique,op. cit, p. 100.

(220) Maass-Lindemann (G), Vasos fenicios de los siglos VIII-VI en España. Su procedencia y posición dentro del mundo fenicio occidental, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, t. I, op. cit, p. 239.

(221) من بين المراكز التي عرفت هذه المنتوجات الخزفية في الغرب الفينيقي دون أن نتأكد من مؤارختها، نذكر جزيرة "موتيا"، ومالطا. انظر : Ciasca(A), Mozia VIII, Roma, 1970, pl. 19, 2 ; Idem, A. Insediamenti e cultura dei Fenici a Malta, en H. G. Niemeyer (ed.), Die Phönizier im Westen, pp. 133-151 (Maguncia, 1982), p. 146, fig. 7c.

(222) Maass-Lindemann (G), Vasos fenicios de los siglos VIII-VI en España. Su procedencia y posición dentro del mundo fenicio occidental, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, t. I, op. cit, p. 239.

(223) Culican(W), Phoenicians oil bottles and tripod bowls, op. cit, p. 5 et ss.

(224) Culican(W), Phoenicians oil bottles and tripod bowls, op. cit, pl. 1A, fig. 1B ; Gómez Bellard(C), **Céramique**, Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique,op. cit, p. 100.

تنحدر من النماذج الاصلية التي أنتجتها منطقة الشرق الاوسط منذ نهاية عصر البرونز[225]. فقد عرفتها حضارة أوكاريت الكنعانية، وكانت حاضرة في مركز "مينة-البيضاء" (Minet el-Beïda) بسوريا، وكذلك في قبرص[226]. كما تم العثور عليها أيضا في المراكز الفلسطينية المؤرخة بنهاية عصر البرونز، خصوصا خلال القرنين الحادي عشر والعاشر قبل الميلاد[227].

وعند العثور على هذه القارورات لاول مرة في الغرب الفينيقي، كان جل المتخصصين الذين قاموا بدراستها، يؤرخونها بالقرن السابع قبل الميلاد. غير أن المكتشفات الحديثة التي حصلت في مجال الخزفيات الفينيقية، خصوصا في المراكز الاسبانية، أكدت أن الفينيقيين قاموا بتوزيع هذا النوع من الاواني منذ القرن الثامن قبل الميلاد. كما أثبتت هذه المكتشفات أن الشكل المرفلوجي لهذه القارورات كان يعرف اختلافا، وإن كان طفيفا، بين نماذج القرن السابع قبل الميلاد ونماذج القرن الثامن.

وحتى نتمكن من التأكد من الصنف الذي تنتمي إليه نفس القارورات التي تم العثور عليها في ليكسوس، كان من الضروري أن نتعرف عن كثب على النوعين، قياسا بما قمنا به مثلا في شأن الاباريق ذات القرص، التي تميزت كذلك باختلاف بين نماذج القرن السابع قبل الميلاد ونماذج القرن الثامن قبل الميلاد.

1) نماذج القرن السابع قبل الميلاد :

أ- المواصفات المرفلوجية :

من الاوصاف المرفلوجية البارزة في قارورات القرن السابع قبل الميلاد، توفرها على قعر مُقَرَّن (pointu)، حسب ما لاحظه "بيير سانتاس" في شأن النماذج التي اكتشفها بجزيرة الصويرة وبمقبرة "جينون" (Junon) بقرطاجة[228] (لوحة LII رقم 1). ويضيف "أندري جودان" بعض المميزات الاخرى حول هذه القارورات، نذكر منها شكل قعرها البيضويّ، وتوفرها على طوق صغير (collerette)، وتميزها بانتفاخ في موسطة العنق[229]. كما أن لون العجين كان يختلف من الأصفر المخضرّ أو الوردي[230]، الى الصوفيّ-الوردي ؛ غير أن أغلبية القنينات كانت ذات اللون الصوفيّ[231]. ولم يتوفر أي نموذج من هذه الاواني على صباغة ما أو برنيق، ولا أية زخرفة.

---

[225] حول التطورات المرفلوجية التي عرفتها هذه القنينات في الشرق الاوسط، انظر :
C.V.A., Oxford, fasc. 2, p. 56 ; Walters, Catalogue of vases in the British Museum, I, 2e partie, c. 318, 319 ; Myres, Journal of Hellenic Studies, XVIII, 1897, p. 150 ; Palestine exploration Fund, April, 1923, pl. I, n° 8 ; Myres, Handbook of the Cesnola collection, p. 44, n° 386 ; ap. Cintas(P), Manuel d'Archéologie punique, t. I, op. cit, note 227, p. 306-307.

[226] Cintas(P), Manuel d'Archéologie punique, t. I, op. cit, p. 306-307.

[227] Garrow Duncan(J), Corpus of Palestinian pottery, pl. 50-51-52 ; ap. Cintas(P), Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc, op. cit, p. 43, note n° 2 ; Idem, Manuel d'Archéologie punique, t. I, op. cit, note n° 229, p. 307.

[228] Cintas(P), Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc, op. cit, p. 88.

[229] أورد "أندري جودان" هذه المواصفات انطلاقا من القارورات التي اكتشفها في جزيرة الصويرة. انظر :
Jodin(A), Note préliminaire sur l'établissement pré-romain de Mogador, op. cit, p. 31-32.

[230] Idem, Ibid, p. 32.

[231] Idem, Ibid, p. 143.

وكانت أحجام هذه القارورات شبه ثابتة، حيث بلغ معدل علوها حوالي 12 سنتمتر[232]. وتميزت بتوفرها على شفة حادة الزاوية تحيط بفوهة ضيقة للغاية[233]، وعلى عروة واحدة تجمع الجزء العلوي للبطن بموسطة العنق ؛ وهي عروة صغيرة للغاية لدرجة أن المرء لا يستطيع إدخال أصبعه فيها[234].

ويضيف "دييكو رويز ماطا" (Diego Ruiz Mata)[235] نفس الاوصاف المميزة لهذه القنينات، انطلاقا من النماذج المؤرخة بالقرن السابع قبل الميلاد التي عثر عليها في مركز "كاستيو دي دونيا بلانكا" (Castillo de Dona Blanca). من هذه الاوصاف يشير الباحث الاسباني الى جسمها البيضوي، والى قعرها المقرّن، والى عنقها الاسطوانية المتوفرة على انتفاخ وحرف ناتئ في جهتها السفلى، والى حاشيتها المتورمة (انظر لوحةLII رقم 3)[236]. كما يشير الى جوانبها الداخلية السميكة، والى طينها غير المصفاة[237].

ب– التوزيع في الحوض المتوسطي :

مما لاشك فيه أن أهم منشأة فينيقية خلفت أكبر العينات شبه الكاملة من القارورات الفينيقية المؤرخة بالقرن السابع قبل الميلاد، مثلتها جزيرة الصويرة بالمغرب، حيث استطاع "أندري جودان" أن يعثر على عشرين نموذجا منكسرا بالطبقة الاركيولوجية الفينيقية[238]. وقبل ذلك، كان "بيير سانتاس" قد اكتشف قارورة كاملة في شاطئ الجزيرة، يبلغ علوها 12,5 سنتمتر، كانت مصنوعة من عجين ثخينة ذات اللون الاصفر الباهت[239] (انظر لوحة LII رقم 1).

وعند اكتشاف "أندري جودان" لهذه القارورات، فإنه لم يكن متيقنا من الانتماء الفينيقي لها، سواء في "ملاحظته الاولية حول المنشأة ماقبل–الرومانية بموكادور" (Note préliminaire sur l'établissement pré-romain de Mogador)[240]، أو في مؤلفه «موكادور، وكالة فينيقية بالمغرب الاطلنطي» (Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique)[241]. ففي الحالتين، كان هذا النوع من الاواني يعتبر إما منتوجا فينيقيا أو قبرصيا[242]، أو فينيقيا – قبرصيا[243].

---

(232) Jodin(A), Note préliminaire sur l'établissement pré-romain de Mogador, op. cit, p. 32 ; Idem, Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 143.

(233) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 143.

(234) Idem, Ibid, p. 143.

(235) Ruiz Mata(D), Las ceramicas fenicias del Castillo de Doña Blanca, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, op. cit, p. 259.

(236) Idem, Ibid, fig. 7, n° 8, p. 258.

(237) Idem, Ibid, p. 259.

(238) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 141, pl. XXXVII-XXXVIII, fig. 22, p. 112.

(239) Cintas(P), Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc, op. cit, p. 43, fig. 48.

(240) Jodin(A), Note préliminaire sur l'établissement pré-romain de Mogador, op. cit, p. 31-32.

(241) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 141-143.

(242) Jodin(A), Note préliminaire sur l'établissement pré-romain de Mogador, op. cit, p. 31.

(243) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 141.

علاوة على جزيرة الصويرة، عرف المغرب القديم هذا النوع من القارورات في مدافن ناحية طنجة، حيث عثر "ميشيل بونسيك" في مدفن رقم 30 بمقبرة "جبيلة"، على قارورة فينيقية منكسرة لم يبق منها سوى قعرها المقرّن[244] (انظر لوحة LII رقم 2).

أما في الجزائر، فقد عثر عليها "جورج فيمو" (G. Vuillemot) في كل من جزيرة "راشكون[245] و"مرسى مداخ"[246]، ضمن محتوى أركيولوجي يؤرخ بالقرنين السابع والسادس قبل الميلاد.

كما كانت هذه القارورات حاضرة في أوتيكا بتونس، حيث يشير "بيير سانتاس"[247] عند اكتشافه لقارورة كاملة في جزيرة الصويرة، أن إحدى قبور أوتيكا[248] عرفت بدورها قارورة مشابهة[249]. وفي مؤلفه "موجز الاركيولوجيا البونيقية" (Manuel d'Archéologie punique)، يضيف الباحث نفسه أن قبر رقم 4 بنفس المركز، خلف قارورتين اثنتين تتميزان بقعر مقرّن[250]. ورغم أن "بيير سانتاس" كان يؤرخ القبور التي اكتشفت فيها هذه القارورات بالقرن الثامن قبل الميلاد، إلا أن المواد الجنائزية المصاحبة لهذه القارورة، تعد من أصناف الاواني الخزفية الفينيقية ذات البرنيق الاحمر المؤرخة بالقرن السابع قبل الميلاد وليس ضمن نماذج القرن الثامن قبل الميلاد. من هذه الاواني نذكر الصحون ذات الشفة الواسعة، والقناديل ذات المشعلين، والاباريق ذات القرص الاجاصية الشكل، كما يتجلى ذلك من خلال اللوحة المنشورة في مؤلف "سانتاس": "مساهمة في دراسة التوسع القرطاجي بالمغرب"[251]. أضف الى ذلك أن قارورات أوتيكا كانت من الانواع ذات القعر المقرّن المميزة للقرن السابع قبل الميلاد.

ولم تبخل قرطاجة من التعرف بدورها كذلك على نفس النوع، حيث عثر "بيير سانتاس"[252] في مقبرة "جينون" (Junon) على عدة نماذج من القارورات الفينيقية تؤرخ بالقرن السابع قبل الميلاد[253]. كما اكتشف "بول كوكلير" (P. Gauckler) في مدفن رقم 316 بمقبرة "درميش" (Dermech)، على قارورة من نفس الصنف أطلق عليها اسم "الابريق ذي القاعدة المقرّنة"، كانت مصاحبة لمجموعة من المحتويات الجنائزية نذكر منها الابريق ذي القرص[254].

---

(244) Ponsich(M), Nécropoles phéniciennes de la région de Tanger, op. cit, p. 169-170, fig. 62, p. 172, pl. XLIV, p. 171.

وانظر أيضا :

العزيفي (محمد رضوان)، الفينيقيون بفحص طنجة وعلاقاتهم بالسكان "من خلال مقابر ناحية طنجة ومحتوياتها المؤرخة ما بين القرن السابع قبل الميلاد وأواسط القرن السادس قبل الميلاد"، رسالة مرقونة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ القديم، المرجع السابق، الجزء الاول، ص. 240–244.

(245) Vuillemot(G), La nécropole punique du Phare de l'île de Rachgoun, op. cit, p. 19, pl. IX, n° 18.

(246) Vuillemot(G), Fouilles puniques à Mersa Madakh, op. cit, p. 325, fig. XIX, 14, et fig. 20.

(247) Cintas(P), Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc, op. cit, p. 43.

(248) يتبين من خلال رسم رقم 49 المنشور في مؤلف "بيير سانتاس" (P. Cintas) "مساهمة في دراسة التوسع القرطاجي بالمغرب"، أن الامر يتعلق بقبر رقم XXIV. انظر :

Cintas(P), Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc, op. cit, fig. 49, p. 121.

(249) Cintas(P), Deux campagnes de recherches à Utique, **Karthago II**, 1951, tombeau XXXIV, p. 64-65.

(250) Cintas(P), Manuel d'Archéologie punique, t. I, op. cit, p. 306.

(251) Cintas(P), Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc, op. cit, fig. 49, p. 121.

(252) Idem, Ibid, p. 43.

(253) Cintas(P), Céramique punique, op. cit, p. 463 et 565 ; Idem, Cintas(P), Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc, op. cit, fig. 50, p. 121.

(254) Gauckler(P), Nécropoles puniques de Carthage, op. cit, t. I, p. 137, pl. XCVIII.

علاوة على شمال إفريقيا، يورد "خوسي ماريا بلاسكيس" (J.M. Blazquez)[255] أن الباحث الاسباني "خ. مالوكير" (J. Maluquer) عثر في قرية بمنطقة "كاطالونيا" بإسبانيا على قارورة فينيقية، كانت طبق الاصل للقارورة الكاملة المؤرخة بالقرن السابع قبل الميلاد، التي اكتشفها "أندري جودان" في جزيرة الصويرة[256].

وفي الحوض المتوسطي الشرقي، كانت هذه القارورات حاضرة في فينيقيا، حيث استطاع عالم الآثار الفرنسي "جورج كونتنو" (G. Contenau) أن يكتشف خلال الحفائر التي تم إنجازها في صيدا عام 1914، مجموعة من الكسرات تعود الى نفس القنينات. ومن المرجح أنها كانت من نماذج القرن السابع قبل الميلاد، حيث يتجلى من خلال الرسم المنشور حولها، أنها كانت تتوفر على قعر مقرّن مثل نماذج موكادور[257].

كما تم العثور على قارورات مماثلة في قبرص، بعد اكتشاف أعداد كبيرة منه[258]، بفضل البعثة الاركيولوجية السويدية التي قامت بأعمال التنقيب في الجزيرة عام 1948، تحت رئاسة عالم الآثار "جيرسطاد" (E. Gjerstad).

2) نماذج القرن الثامن قبل الميلاد :

أ- المواصفات المرفـلوجية :

بفضل التطور الذي عرفته التنقيبات الاركيولوجية الجديدة في العديد من المراكز الفينيقية والمحلية، خصوصا في صور وفي إسبانيا، تمكن علماء الآثار من الكشف عن قارورات فينيقية أقدم من النماذج السالفة الذكر. غير أن المواصفات المرفلوجية لهذه القارورات الجديدة، التي تؤرخ عموما بالقرن الثامن قبل الميلاد، لم تكن تختلف كثيرا عن مثيلاتها المؤرخة بالقرن السابع قبل الميلاد، حيث كانت تتميز بنفس الاحجام وبنفس شكل البطن وبنفس العروة الصغيرة التي تجمع البطن بالعنق.

ومع ذلك تميزت قارورات القرن الثامن قبل الميلاد ببعض الاختلافات، نذكر منها فيما يتعلق مثلا بالنماذج المكتشفة في مركز "كاستييو دي دونيا بلانكا" (Castillo de Doña Blanca)، توفرها على أعناق مخروطية الشكل[259]. كما كانت هذه الاعناق تارة منتفخة في جزئها الاسفل (انظر لوحة LII رقم 4 [ب-ت])[260]، وتارة أخرى مقعرة (انظر لوحة LII رقم 4 أ)[261]. كما تميزت باختلاف في شكل فتحة الفوهة، حسب النماذج التي اكتشفها في سردينيا عالم الآثار الايطالي "بييرو بارطولوني" (Piero Bartoloni)[262]. وهي الفوهة التي توفرت على حاشية متورمة نحو الخارج في النماذج التي اكتشفها "دييكو رويز ماطا" (Diego Ruiz Mata) في مركز "كاستييو دي دونيا بلانكا"[263].

---

(255) Blàzquez(J.M), Tartessos y los orígines de la colonización fenicia en Occidente, op. cit, note 1, p. 181.

(256) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, pl. XXXVII.

(257) Contenau(G), Mission archéologique à Sidon, op. cit, fig. 27.

(258) Gjerstad(E), Swedish Cyprus expedition, t. IV, 1948, fig. XLV.

(259) Ruiz Mata(D), Las ceramicas fenicias del Castillo de Doña Blanca, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, op. cit, p. 248.

(260) Idem, Ibid, fig. 3, n° 9-10, p. 249.

(261) Idem, Ibid, fig. 3, n° 11, p. 249.

(262) Bartoloni(P), Ceramica fenicia da Sulcis, op. cit, p. 198.

(263) Ruiz Mata(D), Las ceramicas fenicias del Castillo de Doña Blanca, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, op. cit, p. 248.

ولعل أن أهم خاصية انفردت بها هذه القارورات عن نماذج القرن السابع قبل الميلاد، عدم توفرها على قعر مقرّن، حيث كانت جميع العينات المكتشفة لحد الآن، سواء الكاملة منها أو المنكسرة، تُسند على قاعدة مستوية على شكل قدم صغيرة، تكون تارة عريضة وتارة أخرى ضيقة. أما نوع العجين المستعمل في هذه الاواني، فهو يتميز مثل النماذج السابقة بقلة صفائه مقارنة بالعجين المستعمل في الاواني ذات البرنيق الاحمر، وبتوفره على حبيبات تطفو أحيانا على سطح الآنية.

ب- التوزيع في الحوض المتوسطي :

كان عالم الآثار البريطاني "كوليكان" (W. Culican)، يعتقد عند دراسته لبعض النماذج من هذه القارورات، أن بداية ظهورها حدث مع حلول القرن السابع قبل الميلاد، وأن مصدرها كان من المجال الفينيقي الغربي[264]. غير أن عالمة الآثار الايطالية "أنا ماريا بـيزي" (A.M. Bisi) قدمت بعض العناصر الجديدة، أثبتت من خلالها أن هذه القارورات تؤرخ بمرحلة أقدم من تلك التي اقترحها "كوليكان". فقد استندت في ذلك على العثور على بعض النماذج المكتشفة في مجموعة من المدافن في جزيرة "إيسكيا" (Ischia) بإيطاليا تؤرخ بالربع الاخير من القرن الثامن قبل الميلاد، استنادا الى الخزف الكورنثي القديم الذي كان يصاحبها[265]. كما اعتمدت على الكشف بمدفنين بمقبرة "سان مونطانو" (S. Montano) في "لاكو أمينو" (Lacco Ameno) بجزيرة "إيسكيا"، عن قارورتين شبيهتين بالنماذج الفينيقية المكتشفة بمركز أقزيب بفينيقيا، والمؤرخة بالقرن الثامن قبل الميلاد[266]. وهذا يعني أن المنبع الاصلي لهذه القارورات مثله الشرق الفينيقي، حيث كانت حاضرة في جميع المراكز التي ولجتها التجارة الفينيقية.

وفي هذا الصدد، يرى عالم الآثار الايطالي "بييرو بارطولوني" (Piero Bartoloni) أن هذه القارورات كانت مصاحبة دوما للمسلك "الاستيطاني" الفينيقي المتجه من الشرق نحو الغرب[267]. فقد ظهرت مع بداية التوسعات الفينيقية، وتوقف توزيعها مع السيطرة الاقتصادية القرطاجية على الحوض المتوسطي الاوسط والغربي[268]. وكان "بارطولوني" قد اكتشف في مركز "سولكيس" (Sulcis) بجزيرة سردينيا، ثلاث عشرة كسرة من هذه القارورات تعود الى أربعة نماذج، تؤرخ بنهاية القرن الثامن قبل الميلاد والنصف الاول من القرن السابع قبل الميلاد[269] (انظر لوحة LII رقم 5).

علاوة على النماذج المكتشفة في إيطاليا وسردينيا، عرفت منطقة الحوض المتوسطي الاوسط عينات أخرى من القارورات الفينيقية المؤرخة منذ القرن الثامن قبل الميلاد، تم العثور عليها في كل من جزيرة موتيا بصقلية وبجزيرة مالطا[270] (انظر لوحة LII رقم 8 و10). ومؤخرا، تم العثور عليها لاول مرة بقرطاجة في المستويات الاركيولوجية للقرن الثامن قبل الميلاد[271].

---

(264) Culican(W), Phoenicians oil bottles and tripod bowls, op. cit, p. 5 et ss.

(265) Bisi(A.M), Le componenti mediterranee e le costani tipologiche della ceramica punica, in **Simposio de colonizaciones (Barcelona-Ampurias 1971)**, Barcelona, 1974, p. 15 ss.

(266) Idem, Ibid, p. 20.

(267) Bartoloni(P), Ceramica fenicia da Sulcis, op. cit, p. 198.

(268) Idem, Ibid, p. 198.

(269) Bartoloni(P), Ceramica fenicia da Sulcis, op. cit, p. 198, fig. 3. n°16, p. 197.

(270) Ramón(J), Cuestiones de comercio arcaico : frascos fenicios de aceite perfumado en el Mediterraneo central y occidental, **Ampurias 44**, 1982, p. 33, fig. 4.

(271) Vegas(M), La cerámica fenicia del siglo VIII en Cartago, **Actas del IV congreso internacional de Estudios fenicios y púnicos**, t. III, Cádiz, 2000, fig. 4, 27.

ولعل أن أكثر المراكز التي خلفت لحد الآن أكبر عدد من القارورات الفينيقية المؤرخة بالقرن الثامن قبل الميلاد، مثلتها المنشآت الفينيقية في إسبانيا، والتجمعات المحلية التي دخلت في علاقات تجارية مع الفينيقيين بنفس البلد. فقد كانت حاضرة في مركز " إيل كارامبولو" (El Carambolo)[272] المحلي (انظر لوحة LII رقم 9). كما استطاع "دييكو رويز ماطا"، أن يكتشف بالمستويات الإستراتيغرافية المؤرخة بالقرن الثامن قبل الميلاد في "كاستييو دي دونيا بلانكا" مجموعة من هذه القارورات[273] (انظر لوحة LII رقم 4). ورغم أنها عرفت جدالا بين المهتمين في مسألة انتمائها الى هذه المرحلة القديمة، إلا أن معطيات القرن الثامن قبل الميلاد أضحت من البديهيات في هذا المركز. ومما ينم عن ذلك، أن النماذج المكتشفة في "كاستييو دي دونيا بلانكا" كانت مشابهة للقارورات التي تم العثور عليها في المستوى الاستراتيغرافي الفينيقي رقم III بصور، المؤرخ ما بين سنة 740 قبل الميلاد و700 قبل الميلاد[274] (انظر لوحة LII رقم 7).

كما اكتشفت في العديد من المستوطنات الفينيقية بإسبانيا مجموعة أخرى من القارورات الفينيقية المؤرخة بالقرن الثامن قبل الميلاد. ففي مركز "شورّيراس" (Chorreras)، ظهرت هذه القارورات على الاقل منذ أواسط القرن الثامن قبل الميلاد، أو منذ النصف الثاني من نفس القرن[275]. كما تم العثور عليها خلال نفس المرحلة في مركز "لوس طوسكانوس" (Los Toscanos)[276]. وفي مركز "إيل مورّو دي ميسكيتيا" (El Morro de Mezquitilla)، عثر عالم الآثار الالماني "هيرمانفريد شوبارت" (H. Schubart) في المستوى الاستراتيغرافي الفينيقي المؤرخ بالقرن الثامن قبل الميلاد، على عدة نماذج كاملة من نفس القارورات[277] (انظر لوحة LII رقم 6).

3) نماذج ليكسوس :

لم نكن نعلم هل "القارورات القاربية الشكل" (botellitas carenadas)[278] التي أشار "ميكيل طراديل" (M. Tarradell) الى وجودها في ليكسوس، تعود الى نفس النماذج التي سلف ذكرها، أم يتعلق الامر بنوع خزفي مغاير. خصوصا وأن عالم الآثار الاسباني، لم يشر في أي مجال آخر من مؤلفه "المغرب البونيقي"، ولا في أية نشرة أخرى، الى ما يوحي باكتشافه للقارورات الفينيقية بليكسوس. غير أنه بعد نشر المواد الخزفية المحفوظة في المتحف الاركيولوجي بتطوان، تبين أن استبار الخروب كان يتوفر على كسرة من هذه القارورات في الطبقة الاركيولوجية رقم 24، تشتمل على الجزء العلوي من العنق، إضافة الى

---

(272) Ramón(J), Cuestiones de comercio arcaico : frascos fenicios de aceite perfumado en el Mediterraneo central y occidental, op. cit, p. 33, fig. 4 ; Lopez Pardo(F), Reflexiones sobre el origen de Lixus y su Delubrum Herculis en el contexto de la empresa comercial fenicia, op. cit, fig. 8, p. 91.

(273) Ruiz Mata(D), Las ceramicas fenicias del Castillo de Doña Blanca, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, op. cit, p. 248, fig. 3, n° 9-10-11, p. 249..

(274) Bikai(P.M), The Pottery of Tyre, op. cit, fig. V, 9-11.

(275) Aubet(Ma. E), Maass-Lindemann(G), Schubart(H), Chorreras, un establecimiento fenicio al E. de la desembocadura del Algorrobo, **Noticiario Arqueológico Hispánico 6**, 1979, p. 114, fig. 10, 36.

(276) Schubart(H), Niemeyer(H.G), Pellicer Catalan(M), Toscanos, La factoria paleopúnica en la desembocadura del Río Vélez. Excavaciones de 1964 **(Excavaciones Arqueológicas en España 66)** , 1969, p. 128, pl. XVI, 1298 ; Schubart(H), Maass-Lindemann(G), Toscanos. El asentamiento fenicio occidental en la desembocadura del río de Vélez, op. cit, p. 118-119, fig. 13, 458-460.

(277) Schubart(H), El Asentamiento fenicio del s. VIII a. C. en El Morro de Mezquitilla (Algarrobo, Malaga), dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, op. cit, p. 74, fig. 9 f-g-h, p. 75.

(278) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 202.

وهكذا نلاحظ في الختام أن القارورات التي اكتشفها "ميشيل بونسيك" في قطاع حي المعابد، تنم مرة أخرى عن آفاق القرن الثامن في ليكسوس، وبالتالي تعتبر من المنتوجات الفينيقية أصلا ومصدرا. هذا بالرغم مما أبدته "كيرطا ماس-ليندمان" (Gerta Maass- Lindemann) من ملاحظات حول الاصول الطرطيسية المتأثرة بالحضارة الفينيقية لهذه القارورات، خلال مداخلتها في الملتقى الدولي حول ليكسوس تحت عنوان : "مقارنة لخزف ليكسوس الفينيقي بخزف إسبانيا الفينيقي"[298].

---

[298] وبذلك، تعتبر "كيرطا ماس-ليندمان" (Gerta Maass- Lindemann) أن هذه القارورات، شأنها شأن جل الاواني الخزفية المكتشفة في ليكسوس، تعود الى مرحلة لاحقة للقرن السابع قبل الميلاد. انظر :

Maass-Lindemann(G), A comparison of the phoenician pottery of Lixus with the west phoenician pottery of Spain, op. cit, p. 180.

الفصل الثامن

المعثورات الاركيولوجية غير الخزفية ومسألة أصولها الفينيقية

إذا كانت أعلى نسبة من المعثورات الاركيولوجية المكتشفة لحد الساعة بليكسوس تمثلها الاواني الخزفية، فقد خلفت ليكسوس الى جانب ذلك مجموعة من المواد والمآثر التي تحظى ببعض العناصر التي لها علاقة بالفينيقيين، سواء كانت مرتبطة بمخلفاتهم المبنية، أو مخلفاتهم المكتوبة، أو وصلت الى المركز عن طريق تجارتهم أو عن طريق تأثيراتهم الحضارية. صحيح أن هذه المعثورات تعد قليلة جدا لحد الساعة، غير أن إدراجها في هذا العمل يعزى بالاساس الى انعدام التعرض لها بشكل مستفيض ضمن الدراسات الحديثة التي أشارت بطريقة أو بأخرى الى المرحلة الفينيقية لليكسوس.

وتتكون هذه المخلفات في جانبها المبني من المساكن الفينيقية التي تم اكتشافها لاول مرة، ومن الاسوار المعروفة بالاسوار ماقبل-الرومانية أو "السيكلوبية". كما تتكون من مجموعة من الكتابات الفينيقية الـمُخَرْبَشة فوق الاواني الخزفية، ومن نقيشة تضم حروفا ذات أصول فينيقية، اكتشفها "هنري دي لامارتينيير" (La Martinière) . أما المواد غير الخزفية التي وصلت الى ليكسوس عن طريق التجارة الفينيقية، فتمثلها بالخصوص خنفساءٌ مصرية اكتشفها "ميكيل طراديل" (M. Tarradell)، ومغرفة برونزية مستوردة من قبرص.

I ـ المباني الفينيقية أو ذات التأثير الفينيقي :

1) المساكن الفينيقية :

لم يكن يخطر على بال "ميكيل طراديل" (M. Tarradell) أنه كان بصدد الاعلان عن اكتشافه لأقدم المساكن الفينيقية بليكسوس، عندما أورد ما يلي خلال وصفه لمحتويات استبار الخروب : «***في قاع الاستبار، وفي العديد من الحجرات، تتراءى بقايا جدران مشيدة بحجارة ذات أحجام أكبر، توجد مسندة فوق الصخر الام ؛ وهي تنتمي الى المرحلة الاولى من الحياة في المدينة***».

إنها أول إشارة تلمح الى توفر ليكسوس على بنية معمارية فينيقية، كما وردت في كتاب "ليكسوس، تاريخ المدينة ودليل الخرائب وقطاع ليكسوس بالمتحف الاركيولوجي بتطوان" الذي ألفه "ميكيل طراديل" (M. Tarradell) عام 1959[1]. وكان نفس المؤلف قد أشار كذلك الى وجود هذه المخلفات في كتابه "المغرب البونيقي"، لما لاحظ أن المستوى الاستراتيغرافي رقم V من استبار الخروب كان يحوي بعض الجدران المشيدة بحجارة كبيرة، مرجحا أنها من بقايا أسس مبان تم هدمها عند تشييد المستوى الموالي[2] .

هذه الشهادات الثمينة، التي تنم عن توفر ليكسوس عن مبان تنتمي الى أقدم مرحلة من تاريخها، تم تأكيدها خلال عام 1999، بفضل حفائر البعثة المغربية-الاسبانية في استبار الخروب. فقد كشفت هذه التنقيبات الجديدة التي شملت نفس القطاع الذي نقبه "ميكيل طراديل" (M. Tarradell)، عن وجود جدران أخرى مسندة على الصخر الام. هذه الجدران، التي تحمل رقم VI وXI وXIII وXIV وXV في كراسات حفائر

---

(1) Tarradell(M), Lixus. Historia de la ciudad. Guia de las ruinas y de la seccion de lixus del museo arqueologico de Tetuán, op. cit, p. 55.

(2) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 147.

البعثة، كانت تنتمي الى المرحلة الفينيقية المؤرخة بالقرن الثامن قبل الميلاد (انظر لوحة LIII)[3]. وهي بقايا جدران لا يتعدى أقصى ارتفاعها مترا واحدا، في حين لا تقتصر في بعض الاحيان سوى على صف واحد أو صفين من الحجارة، الامر الذي تتعذر معه معرفة هل استعملت في هذه الجدران مواد أخرى الى جانب الحجارة مثل الركائز الخشبية، كما كان الشأن في فن البناء الفينيقي[4]. وقد شيدت هذه الجدران بترتيب حجارة كبيرة متواجهة بشكل غير منتظم، تمسك بها للتدعيم بعض الحجارات الصغيرة بدون ملاط[5]. وينتمي نوع الاحجار المستعملة، الى الصخور الجيرية المستجلبة من جوار ليكسوس. وهي حجارة ذات أحجام مختلفة تتراوح ما بين 0,20 متر الى 0,80 متر، مع وفرة في الكتل التي يتراوح حجمها بين 0,60 متر و0,70 متر. وبالرغم من هذه الاحجام الكبيرة، فإن سمك الجدران لم يكن يتعدى 50 سنتمتر، وتميزت بصفوفها الافقية[6].

وقد مكنتنا هذه المخلفات من أخذ صورة تقريبية حول شكل المساكن التي شيدها الفينيقيون بليكسوس، حيث يتبين أن تصميمها العام كان مربع الشكل، ومنقسما الى مجموعة من الغرف. كما كشفت حفائر 1999 عما يوحي بتوفر هذه المساكن على علامات التبليط، بعد العثور على طبقة من التراب المدكوك والمُصلّب، والمتوفر على بقايا كثيرة من الكاربون، الذي ينم عن بداية وجود المزبلات الفينيقية في تلك الجهة[7]. وبذلك، تضيف هذه المكتشفات إسهاما مكملا لما دأبت تكشف عنه الاكيولوجية الفينيقية في أقصى الغرب المتوسطي، في شأن الحضور الكبير لهذا النوع من البنايات[8].

علاوة على ذلك، كشفت حفائر 1999 في استبار الخروب عن استعمال الحديد في البناء خلال المرحلة الفينيقية، بعد العثور على غُثاء معدن الحديد في عين المكان. ونشير في هذا الصدد أن الظاهرة نفسها كانت حاضرة في مركز "إيل مورّو دي ميسكيتيا" (El Morro de Mezquitilla)، وفي مراكز أخرى فينيقية بالساحل الاندلسي الاسباني[9].

---

(3) Pascual(I), De Madaria(J.L), La Arquitectura, **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4**, 2001, p. 46, pl. 1.

(4) نشير في هذا الصدد أن فن البناء الفينيقي كان يستعمل الى جانب الحجارة، ركائز خشبية في وضعية أفقية، كما أكدته مكتشفات "طرايامار" (Trayamar) باسبانيا و"شالة" بالمغرب. انظر :

Niemeyer(H.G), Schubart(H), Trayamar. Die phönizischen Kammergräber und die Niederlassung an der Algarrobo-Mündung, **Madrider Beiträge, Bd 4,** Mainz, 1975, p. 112-122 ; Boube(J), Les origines phéniciennes de Sala de Maurétanie, **Bulletin archéologique du C.T.H.S,** n° 17, Année 1981, Fasc. B, 1984, p. 158-166.

ومن المعلوم أن الفينيقيين كانوا مشهورين باستعمال هذه التقنية، لدرجة أن سليمان اعتمد على بنائين من صور وجبيل في إطار علاقته مع حيرام ملك صور لاستخدامها في تشييد هيكل "أور شليم". وتوضح لنا العديد من مقتطفات التوراة هذه الحقيقة، نورد منها ما يلي :

سفر الملوك الاول، الاصحاح الخامس : 17-18 : « ***وأمر الملك أن يقلعوا حجارة كبيرة حجارة كريمة لتأسيس البيت حجارة مربعة. فنحتها بنّاؤوا سليمان وبنّاؤوا حيرام والجبليون وهيأوا الاخشاب والحجارة لبناء البيت*** ».

سفر الملوك الاول، الاصحاح السادس : 36 : « ***وبنى الدار الداخلية ثلاثة صفوف منحوتة وصفًا من جوائز الارز*** ».

سفر الملوك الاول، الاصحاح السابع : 12 : « ***وللدار الكبيرة في مستديرها ثلاثة صفوف منحوتة وصف من جوائز الارز*** ».

(5) Pascual(I), De Madaria(J.L), La Arquitectura, op. cit, p. 48.

(6) انظر جدولا وصفيا للبنيات المعمارية المنتمية الى المرحلة الفينيقية بليكسوس عند :
Pascual(I), De Madaria(J.L), La Arquitectura, op. cit, p. 48.

(7) Idem, Ibid, p. 49.

(8) Aranegui(C), Tarradell-Font(N), Lixus colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Apuntes para una Historia de la investigación arqueológica, op. cit, p. 26.

(9) Caruana Clemente(I), Izquierdo peraile(I), Varia. Objetos diversos hallados en las excavaciones recientes, **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico- mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4,** 2001, cap. XV, p. 246.

2) أسوار ما قبل - الرومان ومسألة جذورها الفينيقية :

ضمن خرائب ليكسوس، مثلت هذه الاسوار المعروفة بالاسوار "السّيكلوبية"[10] أهم مجموعة واضحة للعيان، حيث تم العثور عليها في أعلى ربوة الشميس، بالجهة التي خلفت أقدم الآثار الاركيولوجية بالمركز[11] (انظر لوحة ت بالالوان رقم 2). ويبدو أن السور "**ذات الصخر الكبيرة**" التي كانت تحيط بمدينة "تشومس" حسب وصف عبد الله البكري، تمثل نفس الاطلال[12]. وقد أثارت هذه الاسوار انتباه مكتشفي المركز منذ القرن التاسع عشر، خصوصا انتباه كلّ من "شارل تيسوت" (Ch. Tissot)، الذي قام بوصف ورسم الاجزاء التي كانت ظاهرة في عصره، و"هنري دي لامارتينيير" (Henri de la Martinière)، الذي أنجز عدة استبارات بالمكان لمحاولة تحديد تصميمها العام[13].

وقد أجمع الباحثان معا على أن جزءا من هذه الاسوار، الذي تم تعريفه فيما بعد باسم "**قطاع الكتل الحجرية الضخمة**"[14]، كان فينيقيا[15]، ممثلا بذلك حسب "تيسوت" (Tissot) نموذجا فريدا للسور الفينيقي القديم بالغرب. غير أن "طراديل" (M. Tarradell) يعتبر، اعتمادا على الاستبارات التي قام بها في الواجهة الخارجية للسور الغربية، أن تاريخ التشييد لم يكن سابقا للنصف الثاني من القرن الثاني قبل الميلاد[16]. ومع ذلك فإنه يصعب التأكد من هذا التاريخ حسب امحمد بيهيل[17]، كما يصعب التمييز بين القطاعات القديمة والحديثة للسور، لأن طريقة البناء كانت غير متجانسة، ولأن المبنى تعرض لعدة تبديلات واستصلاحات.

أما عالم الآثار الفرنسي "أندري جودان" (A. Jodin)، فيرى[18] أن هذا السور له جذور إغريقية– بونيقية، وأنه شيد تبعا لتقنية "ترتيب الحجارة بالتدعيم" (Appareil à crochet)[19]، التي نجدها في بعض المنشآت المغربية القديمة، مثل ضريح "المغوغة الصغيرة" في ناحية طنجة[20]، وضريح "سوق جمعة الكور"

---

(10) يقسم "طراديل" (Tarradell) أسوار ليكسوس السيكلوبية الى قطاعين كبيرين : القطاع الغربي والقطاع الشرقي. ويعتبر القطاع الغربي المحيط بمنطقة الهري في أعلى تل الشميس أهم ما يمكن مشاهدته في خرائب ليكسوس، حيث يبلغ طول السور أربعون مترا ويناهز علوه خمسة أمتار. وهو سور مشيد بكتل حجرية ضخمة تم ترتيبها بدون ملاط، تبلغ أحجامها أحيانا 3,50م×1,05م و2,85م×1,10 و6,30م×0,65. وقد قارن "طراديل" (Tarradell) تقنية البناء المستعملة في ليكسوس مع تقنية مشابهة عرفتها مدينة Hippo Regius (Hippone) بالقرب من عنابة بالجزائر، ومدينة تدمر بسوريا.

(11) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 159.

(12) "مدينة "تشُومُس" مدينة ميمون بن القاسم. وهي مدينة أولية عليها سور صخر كبيرة". انظر :
البكري(عبد الله)، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، الجزائر، مطبعة الحكومة، 1857، ص. 114.

(13) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 159.

(14) إن قطاع "الكتل الحجرية الضخمة" (secteur des grands blocs)، الموجود تقريبا في موسطة السور قبالة البحر، يعتبر أكثر جهات السور ضخامة، حيث كان يمثل حصنا يبلغ طوله أربعين مترا، وينتأ نحو الخارج بما يعادل 13,50 متر. انظر :
Behel(M), Fortifications pré-romaines au Maroc : Lixus et Volubilis, Essai de comparaison, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), Collection de l'Ecole française de Rome, n° 166, Palais Farnèse, 1992, p.245.

(15) Tissot(Ch), Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie tingitane, op. cit, p. 207 ; De La Martinière(H), Notice sur le Maroc, fasc. tiré de **La Grande Encyclopédie**, Paris, 1897, p. 39, fig. 2.

(16) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 162.

(17) Behel(M), Fortifications pré-romaines au Maroc : Lixus et Volubilis, Essai de comparaison, op. cit, p.245.

(18) Jodin(A), La datation du mausolée de Souk-el-Gour, **B.A.M**, t. VII, 1967, p. 246.

(19) يورد "أندري جودان" (A. Jodin) أن هذه التقنية تم استخدامها في بلاد الاغريق، علاوة على حضورها في بعض المنشآت العمرانية للمدن المغربية خلال العصر الموريطاني (Jodin(A), La datation du mausolée de Souk-el-Gour, **B.A.M**, t. VII, 1967, p. 229). وبذلك يعتبر أن تصميم الضريح كان من عمل مهندسين وفنانين إغريقيين–بونيقيين (Idem, Ibid, p. 256).
غير أن "كرسيا بييدو" (Antonio Garcia y Bellido) يذكر أن تقنية "ترتيب الحجارة بالتدعيم" (Appareil à crochet)، التي عرفتها مدينة "ساكونتو" (Sagunto) بإسبانيا خلال القرن الثالث قبل الميلاد، كان مصدرها من أسيا الصغرى. انظر :
Garcia y Bellido(A), Das Artemision von Sagunt, **Madrider Mitteilungen**, t. 4, Heidelberg, 1963, p. 87 - 98.

(20) العزيفي (محمد رضوان)، هل مدافن ناحية طنجة فينيقية الاصل ؟، المرجع السابق، ص. 16-18.

الكائن ما بين فاس ومكناس[21]. بينما نلاحظ أن الباحث الفرنسي "جان بوب" (Jean Boube) له رأي آخر في الموضوع، إذ يعتبر أن هندسة البناء في المدن الموريطانية التي عرفت تقنية "ترتيب الحجارة بالتدعيم" (Appareil à crochet)، كانت بتأثير من الحضارة الاغريقية[22].

ومع ذلك، يورد "بيير سانتاس" (Pierre Cintas) في هذا الموضوع أن العديد من المنشآت التي تم تشييدها في الاراضي البونيقية، استعملت أسوارا من النوع "السيكلوبي" (cyclopéen)، وأن جذور طريقة تشييد هذه الاسوار توجد في الشرق، حيث كانت تتألف مثلها من كتل حجرية ضخمة ملتحمة بدون أي ملاط[23]. من هذه الاسوار، الشبيهة بنموذج ليكسوس، يمكن التذكير بسور مستوطنة "موتيا" (Motyé) بصقلية[24]، وأسوار مركز "كركوان" بتونس[25].

ويعتبر "سانتاس" (P. Cintas)[26] أن طريقة تشييد سور ليكسوس قلدت النماذج الفينيقية[27] في طريقة "ترتيب الحجارة الضخمة بالتدعيم" (grand appareil). وكانت أحجام الكتل الحجرية التي شيد بها السور غير متجانسة، حيث تراوح طولها عموما ما بين متر واحد ومتر ونصف، في حين كانت الكتل المكونة للزوايا أكثر حجما، حيث بلغ طولها في بعض الحالات ثلاثة أمتار وستين سنتيمترا، وعلوها متران اثنان[28]. وقد عثر "سانتاس" (P. Cintas) على أسوار من هذا النوع في قرطاجة، توفرت بعض الكتل الحجرية المكونة لها على علامات نحاتي الاحجار، على شكل نجوم أو بعض الحروف البونيقية[29]. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن هذه الكتل الحجرية كانت تنحت "بناء على طلب"، نظرا للمدة الطويلة التي تتطلبها عملية النحت والترتيب[30].

انطلاقا من هذه المقارنات، يخلص "بيير سانتاس" (Pierre Cintas)[31] الى أن أسوار ليكسوس الشهيرة، التي كانت صورها حاضرة في جل المنشورات المخصصة للمركز[32]، تتشابه مع جميع الاسوار التي كان الفينيقيون يسيجون بها مراكزهم. غير أن تاريخ تشييدها يظل من الامور العالقة حسب المؤلف نفسه،

---

(21) Jodin(A), La datation du mausolée de Souk-el-Gour, **B.A.M**, t. VII, 1967, p. 229.
وفيما يتعلق بتاريخ تشييد ضريح "سوق جمعة الكور"، نلاحظ أن "كابرييل كامبس" (G. Camps) كان يؤرخه بالعهود الاخيرة للسيطرة الرومانية على المغرب (Camps(G), Un mausolée marocain : La Grande bazina de Souk-el-Gour, **B.A.M**, t. IV, 1960, p. 88). غير أن "أندري جودان" يعتبره من المنشآت التي تم بناؤها قبل العصر الروماني، خلال مرحلة تشييد المدن المغربية الشهيرة التي عرفها العصر الموريطاني، مثل ليكسوس ووليلي وسلا وتمودا وبناصا وغيرها. (Jodin(A), La datation du mausolée de Souk-el-Gour, op. cit. p. 250 et p. 258). كما لاحظ أن ضريح "الكور" يحظى بعدة خصائص متشابهة مع الاضرحة ما قبيل-التاريخية التي عرفتها الجزائر مثل ضريح "مدراسن" و"مدفن النصرانية" (Tombeau de la Chrétienne) و"جدارات" ناحية وهران (Idem, Ibid, p. 254-255).

(22) Boube(J), Documents d'architecture maurétanienne au Maroc, **B.A.M**, t. VII, 1967, p. 311-313 et p. 318.

(23) Cintas(P), Manuel d'Archéologie punique, T. II : La civilisation carthaginoise - Les réalisations matérielles, Paris, Picard, 1976, p. 82, pl. XLVII, n° 1.

(24) Idem, Ibid, pl. XLVI, n° 3.

(25) Idem, Ibid, pl. XLVII, n° 1.

(26) Idem, Ibid, p. 84.

(27) Dunand(M), Fouilles de Byblos, Atlas, 1937, pl. VIII, fig. 3 ; Schaeffer(F.A), Rapport sur les fouilles de Ras-Shamra, **Syria**, XII, 1931, pl. XII.

(28) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 161 ; De La Martinière(H), Recherches sur l'emplacement de la ville de Lixus, op. cit, p. 140, pl. IX ; Tissot(Ch), Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie tingitane, op. cit, p. 71.

(29) Cintas(P), Manuel d'Archéologie punique, T. II op. cit, p. 84, note n° 258 et p. 85.

(30) Idem, Ibid, t. II, p. 85.

(31) Idem, Ibid, t. I, p. 248.

(32) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, pl. XVII; Idem, Lixus. Historia de la ciudad. Guia de las ruinas y de la seccion de lixus del museo arqueologico de Tetuan, op. cit, fig. 9-10.

رغم أن بعض قطاعات السور تبدو قديمة جدا، ويمكن مقارنتها بأسوار معبد مدينة "بانتاليكا" (Pantalica) بصقلية[33]، أو أسوار حصن "فينوكشيطو" (Finocchito)، أو أسوار "موتيا" (Motyé) المؤرخة بالقرن الثامن قبل الميلاد[34].

ومما يرجح أن التقنية الهندسية المستعملة في تشييد سور ليكسوس كانت مقتبسة من الشرق الفينيقي، ما أورده عالم الفينيقيات الفرنسي "جورج كونتنو" (G. Contenau) في شأن طريقة تشييد الاسوار الفينيقية، حيث يقول[35]: « ***كان الفينيقيون كلما تهيأ لهم ذلك يقومون بنحت الابنية في الصخور، ويستكملون عملهم بإضافة كتل حجرية ضخمة. ورغم أن حجم المواد لا يعتبر بالضرورة دليلا على قدم المبنى، فإن الكتل "السيكلوبية" تعد في بعض الحالات قرينة عن بناء قديم. وكانت هذه الكتل عموما مسواة للتركيب مع غيرها تسوية عجيبة، حيث كانت كل كتلة توضع بجانب الاخرى دون ملاط، مع إحكام الفاصل بينهما إحكاما يستحيل معه إدخال حد السكين بين الكتلتين. وفي كثير من الاحيان كان الفينيقيون يبالغون في تقوية هذه الاسوار، فيجمعون الاحجار الناشزة بعجينة من الرصاص يصبونها في الثقوب، فتتخذ شكلا يشبه ذنب السُنُونُوة. ومن المعتقد قديما أن نحت الكتل الصخرية كان من ابتكار الفينيقيين ؛ غير أنه تبين أن شعوبا أخرى استعملت هذه الطريقة بعدهم. وليس النتوء في الاصل سوى نحتا غير كامل يراد به توفير الوقت واليد العاملة*** ».

وفي هذا الصدد، نشير الى أن "طراديل" (M. Tarradell)، الذي ارتبط بليكسوس أكثر من غيره من الباحثين، اعتبر كذلك أن الاصول الفينيقية لتقنية ترتيب الحجارة بدون ملاط لا ينبغي نكرانها في سور ليكسوس، التي كانت لها نماذج مشابهة في مدن مغربية أخرى من العصر الموريطاني كوليلي وشالة وبناصا[36].

إلا أن هذه السور كانت لها خصوصية تميزها عن باقي الاسوار التي عرفتها مراكز المغرب القديم، خصوصا الجهة المعروفة منها باسم "**قطاع الكتل الحجرية الضخمة**". وهذا ما جعل "طراديل" (M. Tarradell) نفسه يستبعد أن يكون هذا القطاع يمثل جزءا من سور، متسائلا عن السر الذي كان من وراء تشييد هذه المنشأة المكلفة في قطاع ضيق لا يتعدى أربعين مترا[37]. فاقترح أن الامر تعلق إما بهيكل كبير، أو ببرج ضخم يمكن مشاهدته من جهة البحر، أو بمنشأة غير مكتملة البناء لظروف مجهولة[38]. وفي هذا الصدد، يرجح الباحث المغربي "امحمد بيهيل" أن يكون هذا القطاع بمثابة حزام خاص بتجمعات سكنية داخل ليكسوس، تمكنت -كما هو الشأن في وليلي- من تكوين حدودها الدفاعية من الخارج[39].

وأي ما كان الحال، وسواء كانت بعض جهات سور ليكسوس تعود الى العصر الفينيقي، وهو أمر لا نستطيع تأكيده أو نفيه، أو كانت تعود الى العصور اللاحقة، فإن التقنية المستعملة في تشييد هذه السور أو في بعض جهاتها، إنما أدخلت الى شمال إفريقيا عن طريق الفينيقيين. وهذا ما أكد عليه "ستيفان كسيل" (S.

---

(33) تعتبر مدينة "بانتاليكا" (Pantalica) من المدن المحلية السيقولية التي عاصرها الاغريق عند قدومهم الى جزيرة صقلية خلال بداية التوسع الاغريقي بالحوض المتوسطي في القرن الثامن قبل الميلاد. وهي مدينة قديمة كانت ملامحها الثقافية حاضرة منذ القرن الثالث عشر قبل الميلاد.

(34) Cintas(P), Manuel d'Archéologie punique, t. I, op. cit, p. 248.

(35) Contenau(G), La civilisation phénicienne, op. cit, p. 170-171.

(36) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 162.

(37) Idem, Ibid, p. 163.

(38) Idem, Ibid, p. 163

(39) Behel(M), Fortifications pré-romaines au Maroc : Lixus et Volubilis, Essai de comparaison, op. cit, p.247.

Gsell) الذي أشار[40] الى أن الفينيقيين نقلوا الى إفريقيا طرق البناء التي كانوا يستخدمونها في موطنهم، والتي اقتبسوها سواء من مصر أو من بلاد بابل. وهي الطريقة التي كانت ترتكز فيما يتعلق ببنايات التدعيم والاسوار وأرصفة المرافئ، على استخدام الكتل الحجرية الضخمة المربعة الزوايا المتطابقة والمسواة بدون ملاط. وأشار الباحث الفرنسي في هذا الصدد الى أن بقايا جدران من هذا النوع، التي عرفت التقنية المدعوة باسم "ترتيب الحجارة الضخمة بالتدعيم" (grand appareil)، كانت حاضرة في قرطاجة، وفي "هيبون" (Hippone) بالقرب من عنابة بالجزائر، وفي ليكسوس[41]. ونضيف في الختام أن الحجارة التي نحتها البناؤون الفينيقيون الذين أرسلهم "حيرام" ملك صور للمساهمة في تشييد هيكل سليمان في القرن العاشر قبل الميلاد، كانت حجارة مربعة الزوايا حسب ما ورد في سفر الملوك الاول[42] بنفس الشكل الذي لاحظه "طراديل" (M. Tarradell) في طريقة نحت سور ليكسوس[43].

II ـ الكتابات الفينيـقية أو ذات الاصول الفينيقية :

1) الخربـشات على الاواني الخـزفية :

من المعلوم أن المحطة الفينيقية بجزيرة الصويرة خلفت ما يقارب 125 كسرة خزفية كتبت عليها حروف باللغة الفينيقية[44]. وهي عبارة عن خربشات (graffiti) تم تدوينها على إحدى أطراف الآنية قبل شوائها بأبجدية صورية أو صيدونية[45]، لا تتعدى بعض الاسماء، عادة ما تكون "طيوفورية" (théophores)، أي مركبة من اسم الشخص واسم المعبود. من هذه الاسماء التي استطاع المتخصصون في علم اللغات السامية القديمة قراءتها، نذكر "ماكون"[46] و"حنون" و"عبد لبنان" و"عبد تانيت" و"بن تانيـت" و"بعل يعطـون" و"إشـمون يعطـون"، وغيرها من الاسماء الاخرى[47]، التي لا تختلف كثيرا عن اللغة العربية والعبرية.

---

(40) Gsell(S), Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord,op. cit, t. IV, p. 195.

(41) Idem, Ibid, t. IV, p. 195.

(42) ورد في الاصحاح الخامس، آية 17 و18 من سفر الملوك الاول ما يلي :
« وأمر الملك أن يقلعوا حجارة كبيرة حجارة كريمة لتأسيس البيت حجارة مربعة. فنحتها بناؤوا سليمان وبناؤوا حيرام والجبليون...».

(43) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 160.

(44) تنتمي جل هذه الكسرات الى أوان مصنفة ضمن مجموعة الخزف الفينيقي ذي البرنيق الاحمر، نذكر منها على الخصوص الصحون والجفنات. انظر :
العزيفي (محمد رضوان)، الفينيقيون في جزيرة الصويرة، المرجع السابق، ص. 59-61. وانظر أيضا :
Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, Chapitre VIII : Les graffiti phéniciens, p. 177-186, pl. LI à LIV ; Cintas(P), Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc, op. cit, 55-56, fig. 71-73-87 (a-b et c).

(45) لاينكر أحد فضل الفينيقيين على البشرية جمعاء في اكتشاف الحروف الابجدية ومساهمتهم في انتشارها لدى جل شعوب البحر الابيض المتوسط، رغم أنهم لم يتركوا وثائق مكتوبة كثيرة مقارنة مع ما خلفه معاصروهم الاغريق. ومع ذلك فإن الفينيقيين خلفوا بعض الدلائل المكتوبة، مثلتها على الخصوص الكتابات الجنائزية التي اكتشفت مدونة فوق أنصاب القبور -وهي تحمل أسماء الدفناء مصحوبة ببعض التراويل الدينية- إلى جانب كتابات مدونة على الاواني الخزفية. هذا النوع من الكتابات المعروف بالخربشات الفينيقية (Graffiti phéniciens) الذي قل ما وجد في الاقطار المتوسطية، عثر عليه بكثرة في جزيرة الصويرة. وكان أول من اكتشف هذه الكتابات الاستاذ " كوبيرلي " (Koeberlé)، حيث استطاع أن ينبش من تحت التراب ما يناهز 100 كسرة خزفية مكتوبة. وبعد ذلك تمكن "أندري جودان " (A. Jodin)، خلال الحفائر التي قام بها في الجزيرة ما بين عامي 1956 و 1958، من اكتشاف 25 كسرة مكتوبة إضافية. وكان مصدر الكسرات التي عثر عليها، إما من الصحون المصبوغة بالبرنيق الاحمر (13 كسرة) أو من الاواني (كسرتان) أو من الامفورات (تسع كسرات) أو من القناديل ذات المشعلين (كسرة واحدة). انظر :
Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 177-178.

(46) إنه اسم فينيقي معروف ؛ ويكفينا للتيقن من ذلك ذكر اسم عائلة "الماكونيين" التي حكمت قرطاجة خلال أوج عظمتها في القرن الخامس قبل الميلاد.

(47) من هذه الاسماء نذكر مثلا "جار سكن" و"حييلك بن أدون" و"حامي القرت". وعلى العموم فإن أهم دراسة لغوية توجد لحد الآن حول هذه الخربشات قام بها "فيفريي" (J.G.Février)، ونشرها باشتراك مع مؤلفين آخرين. انظر :

هذه الخربشات على الاواني الخزفية، المعروفة بين علماء الآثار باسم Graffiti phéniciens، كانت حاضرة كذلك في ليكسوس، لكن بشكل نادر مقارنة بما تم الكشف عنه في جزيرة الصويرة. الامر الذي يثير استغرابنا حول هذه الظاهرة، علما أن الكتابات الفينيقية على الاواني عرفتها بشكل وافر جل المنشآت الفينيقية بالحوض المتوسطي[48]. هذا مع العلم أن التعريف بنماذج ليكسوس لم يحصل إلا بعد مرور عدة عقود على نشر تنقيبات "ميكيل طراديل" (M. Tarradell) و"ميشيل بونسيك" (M. Ponsich). ففي المؤلف المنشور حول ليكسوس عام 2001 تحت الادارة العلمية "لكرمين أرانيكي" (C. Aranegui)، تمت الاشارة الى أن القطعة الخزفية المصنوعة من الخزف الاحمر التي اكتشفها "ميشيل بونسيك" (M. Ponsich) في مبنى A، كانت تحمل كتابة فينيقية[49] (انظر لوحة XXXI). كما تم ترجيح أن الكلمة التي تمت خربشتها فوق هذه الآنية، يمكن أن تمثل عبارة "ملقارت" حسب قراءة "باولو كزيلا" (P. Xella) لشكل الحروف[50].

ومن خلال الدراسة التي قامت بها البعثة الاسبانية للمواد المكتشفة بالمستوى الاستراتيغرافي رقم V لاستبار الخروب منذ عام 1992، تبين أن أحد الصحون كان يتضمن خربشة فوق البرنيق في الجانب الداخلي للاناء على شكل حرف الشين الفينيقية[51] (انظر لوحة XIII). كما أثبتت نفس الدراسة أن قعر إناء ينتمي الى إحدى الجفنات أو الصحون، كان يتوفر على خربشة على شكل حرف التاء الفينيقية[52] (انظر لوحة XVIII). وخلال حفائر 1999 المنجزة من طرف البعثة الاركيولوجية المغربية-الاسبانية باستبار الخروب، تم العثور على صحن مصنوع من الخزف الاحمر مخربش بحروف فينيقية[53].

من هنا، يبدو أن ملف الخربشات الفينيقية على الاواني الخزفية، ينبغي أخذه بعين الاعتبار ضمن المكتشفات الفينيقية بليكسوس رغم ضآلة المكتشفات، وبالتالي يجدر استحضار نفس الاهمية التي حظيت بها هذه المعثورات في جهات أخرى[54]. ذلك أن الاسماء الفينيقية التي تمت خربشتها فوق هذه الاواني تعكس الهمّ التجاري الذي كان يراود باستمرار التجار الفينيقيين أينما حلّوا وارتحلوا، لأن هذه الاسماء كانت تمثل على ما يبدو توقيعات الاشخاص الذين صنعوا الاواني. لذا فإن تأكيد الصانع أو المصدر الفينيقي على حق ملكيته بنقش اسمه ولقبه على الآنية، كان الغرض منه حماية الآنية وايضا حماية السلعة الموجودة داخلها في حالة وجودها. وبذلك تمثل هذه الخربشات ضمانة للجودة ووقاية من المزاحمة، خصوصا وأن السلع الفينيقية كانت

Inscriptions antiques du Maroc (Inscriptions lybiques, par G. Galand ; Inscriptions puniques et néopuniques, par J.G. Février ; Inscriptions hébraïques, par G. Vajda), Paris, Editions du C.N.R.S, 1966, p. 109-123.

(48) De Hoz(J), **Graffiti**, Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique, op. cit, p. 195-196.

(49) Aranegui(C), Tarradell-Font(N), Lixus colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Apuntes para una Historia de la investigación arqueológica, op. cit, p. 28.

(50) Xella(P), La religion phénico-punique au Maroc : Les apports de l'épigraphie, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), op. cit, p. 140.

(51) Belèn(M), Escacena(J.L.), Rodero(A), López Roa(C), Materiales de época fenicia de las excavaciones de Tarradell conservados en el museo de Tetuán, op. cit, p. 90, fig. 6, p. 97.

(52) Belèn(M), Escacena(J.L.), Rodero(A), López Roa(C), Materiales de época fenicia de las excavaciones de Tarradell conservados en el museo de Tetuán, p. 92, fig. 11 n° 514, p. 102.

(53) Aranegui(C), Tarradell-Font(N), Lixus colonia fenicia y ciudad pánico-mauritana. Apuntes para una Historia de la investigación arqueológica, op. cit, p. 28, fig. 32.

(54) Fuentes Estañol(M.J), Corpus de las inscripciones fenicias de España, **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, vol. II, op. cit, p. 5-30 ; Sanmartín Ascaso(J), Inscripciones fenicio-púnicas del sureste hisp?nico, **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, vol. II, op. cit, p. 89-103.

تعاني من منافسة قوية فُرضت عليها من طرف المنتوجات الاغريقية، التي أصبحت تحظى بطلب متزايد في الاسواق المتوسطية[55].

2) نقيشة "لامارتينيير" (La Martinière) ومسألة كتابتها الفينيقية :

من الكتابات الاخرى التي تم اكتشافها في ليكسوس، والتي تحظى ببعض العناصر التي ترجح أن تكون ذات أصول فينيقية، نضيف نقيشة عثر عليها "هنري دي لامارتينيير" (La Martinière) خلال البعثة الاركيولوجية التي قام بها الى المغرب[56]، وتولى بإرسال رشم لها الى مدينة باريز. وقد عمل الباحث الفرنسي "فيليب بيرجي" (Ph. Berger) بنشر صورة رديئة لهذا الرشم، وترجمة الكتابة التي يحويها، وتقديم تعليق موجز عنها[57] (انظر لوحة LIV). وهو التعليق الذي أورده "بيير سانتاس" (P. Cintas)[58]، ليدعم به فكرته المعروفة حول "احتفاظ مراكز أقصى الغرب المتوسطي بالطابع الفينيقي الشرقي وليس بالطابع القرطاجي"[59]. وفيما يلي الترجمة الكاملة لما أدلى به "فيليب بيرجي" (Ph. Berger)[60] حول هذه الكتابة :

« من الناحية الباليوغرافية، تمثل هذه الكتابة خاصية يجدر التنصيص عليها، حيث لم يكن شكل الحروف مرتبطا بالنوع البونيقي الانيق والممشوق، الذي نجده في كتابات قرطاجة، بل بالنوع الصيدوني. من هنا يبدو أن الحضارة الفينيقية لم تصل الى ليكسوس عبر البر، بل ولجتها مباشرة عبر البحر. إن الكتابة الفينيقية هذه التي عرفتها ليكسوس، تجعلنا نعتقد أن نقطة الاتصال في انتشار الحضارة الفينيقية، لم تمثلها قرطاجة، بل جنوب إسبانيا، التي كانت جغرافيا أقرب الى المغرب، والتي حافظت دوما على علاقات مباشرة مع ساحل فينيقيا... ».

وبعد "فيليب بيرجي" (Ph. Berger)، قام الباحث الفرنسي "موريس بيسنيي" (M. Besnier) بدراسة هذه الكتابة في مقالة عنوانها "مصنف الكتابات القديمة بالمغرب"، وردت في الجزء الاول من "الارشيفات المغربية" (Archives marocaines) عام 1904[61]. وقد اعتبر هذا المؤلف كذلك أن الحروف المستعملة في الكتابة حروف فينيقية محضة، شبيهة بالحروف الواردة في نصوص "أم الاوامد" بسوريا، المؤرخة بالقرن الثاني قبل الميلاد[62].

---

(55) Février(J.G), Inscriptions puniques et néo-puniques, **Inscriptions antiques du Maroc**, op. cit, p. 122- 123.

(56) وقد كلفته بهذه البعثة "وزارة المعارف العمومية الفرنسية" خلال أشهر يونيو ويوليوز وغشت من عام 1886.

(57) Berger(Ph), **B. A. C**, 1892, p. 62-64, pl. XIII.

(58) Cintas(P), Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc, op. cit, p. 80.

(59) لاريب أن الشك الذي كان يراود عالم الآثار الفرنسي "بيير سانتاس" (P. Cintas) حول الوجود الفينيقي بالمغرب، وعدم تمييزه بين الاصل الفينيقي والبونيقي للعديد من المواد الاثرية، كانا من وراء تقديمه للسواحل المغربية بطابع بونيقي، في حين سيتبين فيما بعد الانتماء الفينيقي الشرقي لهذه السواحل. ومرد ذلك أن "سانتاس" (P. Cintas) كان يعتبر مسبقا أن جل المراكز الساحلية المغربية كانت من تأسيس قرطاجة، مما جعله يسند إليها تواريخ حديثة، لم تكن سابقة على العموم للقرن الخامس قبل الميلاد. ولما كانت جل المعثورات الاثرية المستخرجة من هذه المراكز –كمركزي ليكسوس وموكادور–، ذات طابع شرقي، لم يكن يخطر على باله إذاك أنها كانت معثورات فينيقية وليست قرطاجية. فاعتبرها إما مقلدة للنماذج الفينيقية القديمة، أو ناتجة عن استمرار العلاقات التجارية بين فينيقيا وأقصى الغرب المتوسطي خلال العصر البونيقي. من هنا جاءت نظرية "التأخيرات المحلية" التي فسر بها "سانتاس" (P. Cintas) فكرته (Cintas(P), Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc, op. cit, p. 73 et 80.)، معتبرا أن هذه المراكز استمرت تنتج المواد الفينيقية القديمة لمدة طويلة دون أن تمنعها قرطاجة من ذلك.

(60) Berger(Ph), **B. A. C**, 1892, op. cit, p. 62.

(61) Besnier(M), Recueil des inscriptions antiques du Maroc, **Archives marocaines**, t. I, n° III, 1904, p. 367-368.

(62) Idem, Ibid, p. 368.

وتتألف كتابة ليكسوس من ثلاثة أسطر بارزة، وسطر رابع غير مقروء، وتتضمن شجرة أنساب تضم مجموعة من الاسماء، يمكن أن نستخلص منها العبارات التالية[63]، حسب ما ورد في الترجمة العبرية[64] "لموريس بيسنيي" (M. Besnier)[65] :

עב[דך]	عبدك
[פרץ] בן	بيرتس بن
צב[ח]תם בת	تسابحطام بنت

وحسب مضمون النص، فإن النقيشة تعتبر إهداء نذريا، يتميز ببعض الخصوصيات الغريبة عن العالم الفينيقي، حيث قام المنذر "بيرتس" (Perets)، وهو اسم جذوره فينيقية، بالانتساب لأمه "تسابحطام" البربرية الاصل، والى جدته من الام، وليس الى أبيه.

كما كانت كتابة ليكسوس حاضرة كذلك في مُؤَلّف "ستيفان كسيل" (S. Gsell) "التاريخ القديم لشمال إفريقيا"، حيث أوردها في سياق كان يتحدث فيه عن المراكز الغربية المحافظة على استعمال الابجدية الفينيقية القديمة المتميزة بحروفها المستقيمة والمزوّاة[66]. ومن غريب الصدف أن الكتابات التي تم الاستشهاد بها، شملت كتابات تأكد فيما بعد أنها كانت فينيقية محضة، مثل كتابات جزيرة "مالطا". كما شملت كتابات تنتمي الى تواريخ قديمة، مثل النقيشة الفينيقية الشهيرة المكتشفة بمركز "نورا" بسردينيا، والتي تم تأريخها انطلاقا من معايير إيبيغرافية محضة بأواخر القرن التاسع قبل الميلاد[67] (انظر لوحة LV). وفي هذا الصدد، يشير الباحث الايطالي "سباتينو موسكاتي" (Sabatino Moscati) في كتابه "ملحمة الفينيقيين" (L'épopée des Phéniciens)، أن هذا النوع من الكتابة كان يستعمل حروفا فينيقية ذات طابع عتيق، تتميز بخط سميك وضخم[68].

فهل يمكن الاعتماد على هذه المقارنات لاستخلاص أن نقيشة ليكسوس تعود الى نفس التواريخ، رغم أن "ستيفان كسيل" (S. Gsell) يورد أنها كانت أحدث من نماذج "مالطا" و"نورا"[69] ؟

في الواقع لانستطيع نفي أو تأكيد ذلك. غير أننا نستحضر مرة أخرى مثالا عن كيف كانت في الماضي عدة مستندات أركيولوجية تعتبر بونيقية الاصل، أو تعود الى تواريخ حديثة رغم طابعها الشرقي

---

(63) يعتبر الباحث الايطالي "باولو كزيلا" (Paolo Xella) الذي أورد نص النقيشة في مقالته حول الديانة الفينيقية-البونيقية بالمغرب انطلاقا من النقائش، أنه لا يمكن استخلاص معلومات إضافية من نص النقيشة تفيد في الجوانب التاريخية والدينية. انظر :
Xella(P), La religion phénico-punique au Maroc : Les apports de l'épigraphie, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), op. cit, p. 139.

(64) من الملاحظ أن العديد من المؤلفين المهتمين بالحضارة الفينيقية، نذكر من بينهم على سبيل الحصر فقط، العالم الفرنسي الكبير "ستيفان كسيل" (S. Gsell)، كانوا خلال القرن التاسع عشر والنصف الاول من القرن العشرين، ينسخون الكتابات الفينيقية باللغة العبرية. والغالب على الظن أن مرد ذلك يعزى الى حضور الحروف العبرية في الطابعات، والى اعتقاد لعله خاطئ مفاده أن اللغة العبرية هي أقرب اللغات السامية الى اللغة الفينيقية. غير أنه أضحى يتضح حاليا أن أقرب اللغات السامية اليها هي اللغة العربية. وكيفما كان الحال، فإن "معهد الدراسات العليا بباريس" (Institut des Hautes Etudes de Paris)، الذي يعتبر المعهد الوحيد في العالم الذي يدرّس اللغة الفينيقية، يشترط لتعلم هذه اللغة، معرفة اللغة العربية أو العبرية.

(65) Besnier(M), Recueil des inscriptions antiques du Maroc, op. cit, p. 367.

(66) Gsell(S), Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord,op. cit, t. IV, p. 181-182 ; Idem, Ibid, t. II, p. 172

(67) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 186.

(68) Moscati(S), L'épopée des Phéniciens, op. cit, p. 251.

(69) Gsell(S), Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord,op. cit, t. IV, p. 181-182 , note n° 4.

العتيق، ثم تبين في نهاية المطاف أنها كانت معثورات فينيقية وليست قرطاجية، وأن تاريخها تاريخ قديم يرتبط بأهم مرحلة نشطت فيها التوسعات الفينيقية بالحوض المتوسطي خلال القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد.

بعد ذلك، تكلف عالم الكتابات السامية القديمة الفرنسي "جامس-جيرمان فيفريي" (James-Germain Février) بدراسة هذه الكتابة. وقد حاول أول الامر أن يعثر على النقيشة أو الرشم، سواء في المغرب أو في باريز، لكنه لم يفلح، مما دفعه الى الاكتفاء بالصورة الرديئة التي نشرها "بيرجي" (Ph. Berger) لدراسة نص الكتابة. وقد أفادتنا دراسته في اقتراح ترجمة مخالفة للترجمة الاولى التي اعتمدها كل من "بيرجي" و"موريس بيسنيي" (M. Besnier)، حيث تم تبديل قراءة عبارة "ب ر تس ب ن" (P RTS B N) الواردة في السطر الثاني للكتابة، بكلمة "ج د و ب ر" (G D W B R)[70]. كما تمت ترجمة كلمة "تسابحطام" بكلمة "ص ب ج د م" (S B G D M) في السطر الثالث من النص[71].

وسواء كان "فيفريي" (J. Février) صائبا في الترجمة المقترحة أم لا، فإن ما يهمنا من دراسته، أنها انتبهت كسالفتيها من الدراسات، الى الطابع العتيق لنوع الحروف المستعملة في النقيشة[72]. وقد تم الاستناد في ذلك[73] على حروف مشابهة تم العثور عليها في كتابات فينيقية نقشت على أوان خزفية اكتشفت بالمستوطنة السامية التي عرفتها جزيرة "إيليفانتين" (Eléphantine) بالقرب من أسوان بمصر العليا، يعود تاريخها الى القرن الخامس قبل الميلاد[74].

فهل هذا يعني أن نقيشة ليكسوس تعود الى نفس تاريخ الكتابات المكتشفة بمصر ؟ لا نستطيع الادلاء بأي رأي قاطع في الموضوع يستند على معايير علمية رصينة، خصوصا وأن نفس المؤلف يفاجئنا في أمر الحروف المستعملة في هذه الكتابة، مستخلصا أنها كانت حروفا بونيقية سابقة للقرن الثاني قبل الميلاد[75]. وهو الرأي الذي يشاطره الباحث الايطالي "باولو كزيلا" (Paolo Xella)[76]، رغم أنه يعتبر أن الصورة الرديئة المتبقية من النقيشة لا تساعد على حل المشاكل العديدة المرتبطة بقراءة الحروف.

إلا أننا لا نشاطر فكرة الانتماء البونيقي لنقيشة ليكسوس، استنادا الى العديد من المقارنات بينها وبين آلاف النقائش المكتوبة بالخط البونيقي، بما فيها كتابة جنائزية مدونة باللغتين البونيقية والليبية اكتشفت بليكسوس نفسها، تؤرخ بحوالي النصف الاول من القرن الثالث قبل الميلاد[77] (انظر لوحة LVI). ومن المعلوم أن مسألة التمييز بين الخط الفينيقي والخط البونيقي تعتبر سهلة الادراك، كأن نميز مثلا في اللغة العربية بين الخط

---

(70) Galand(L), Février(J), Vajda(G), Inscriptions antiques du Maroc, op. cit. : Février(J), Inscriptions puniques et néo-puniques, p. 129.

(71) Idem, Ibid, p. 129.

(72) أورد "جيروم كاركوبينو" (J. Carcopino) بدوره الطابع العتيق للبقايا الايبيغرافية المكتشفة بليكسوس المكتوبة باللغة الفينيقية. انظر : Carcopino(J), Le Maroc antique, op. cit, p. 50.

(73) Galand(L), Février(J), Vajda(G), Inscriptions antiques du Maroc, op. cit. : Février(J), Inscriptions puniques et néo-puniques, p. 129.

(74) حول المستوطنة السامية التي عرفتها جزيرة "إيليفانتين" (Eléphantine)، والكتابات الفينيقية على الخزف المكتشفة بالمستوطنة، انظر : **Eléphantine**, Encyclopédie Universalis électronique, version 1995 ; Bordreuil(P), **Eléphantine**, Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique,op. cit, p. 149.

(75) Galand(L), Février(J), Vajda(G), Inscriptions antiques du Maroc, op. cit. : Février(J), Inscriptions puniques et néo-puniques, p. 129.

(76) Xella(P), La religion phénico-punique au Maroc : Les apports de l'épigraphie, op. cit, p. 139.

(77) نشرت هذه النقيشة لاول مرة من طرف الباحث الفرنسي "جورج مارسي" (G. Marcy)، وقام بدراستها من جديد وترجمة الجهة البونيقية منها الباحث الاسباني "خوصي ماريا صولا صولي" (J. M. Solá Solé). انظر :
Marcy(G), Les inscriptions libyques bilingues de l'Afrique du Nord, Paris, 1936, p. 90 ss, pl. 7 ; Chabot(J.B), Recueil des inscriptions libyques, Paris, 1940, p. 103 ; Solá Solé(J.M), La inscripción púnico-líbica de Lixus, **Sefarad**, XIX, 1959, p. 372.

الكوفي والخط الاندلسي، وبين الخطين المغربي والاندلسي. من خلال هذه المقارنات التي شملت عينات كثيرة من النقائش والمسلات وشواهد القبور القرطاجية، يتبين الفرق الملموس والواضح بين الكتابة الغليظة والثخينة الواردة في نقيشة ليكسوس، والكتابة الرقيقة والرشيقة التي يتميز بها الخط البونيقي (انظر لوحة LVII).

ومما يرجح الاصول الفينيقية لنقيشة ليكسوس، أن "ميكيل طراديل" (M. Tarradell)[78] أكد بدوره على أن شكل الحروف المستعملة في نقيشة ليكسوس كان ذا طابع فينيقي أكثر من أن يكون بونيقيا. ورغم أن عالم الآثار الاسباني يعتبر أن تاريخ النقيشة لم يكن يتعدى القرن الثالث قبل الميلاد[79]، فهذا لا يعني جدلا أنها لم تكن أقدم من ذلك، خصوصا وأنه قام بقارنة هذه النقيشة بخربشات موكادور، حيث لاحظ أن الحروف التي كتبت بها هذه الخربشات لم تكن قرطاجية، بل فينيقية. ومن المعلوم أن "ميكيل طراديل" (M. Tarradell) كان يعتبر إذاك، شأنه في ذلك شأن "بيير سانتاس" (P. Cintas)، أن جزيرة موكادر كانت محطة تجارية تابعة لقرطاجة. وحيث أنه أضحى من المؤكد أنها كانت وكالة مؤقتة فينيقية، تؤرخ بمرحلة تمتد من بداية القرن السابع قبل الميلاد الى أواسط القرن السادس قبل الميلاد، فانطلاقا من معيار القياس، ليس من مانع أن نعتقد بأن نقيشة ليكسوس، تعود كذلك الى العصر الفينيقي بالمركز الذي يمتد من القرن الثامن قبل الميلاد، الى أواسط القرن السادس قبل الميلاد.

وكيفما كان الحال، وسواء كانت هذه النقيشة[80] من المعثورات الخاصة بالعصر الفينيقي بليكسوس، أو كانت حديثة العهد، فإن استعمال حروف ذات طابع فينيقي قديم، ينم من جهة على قدم المركز، ومن جهة ثانية يدل على مدى تجدر الحضارة الفينيقية في ليكسوس، وليس الحضارة القرطاجية[81].

III – مواد التجارة الفينيقية :

1) الخـنفساء المصرية :

في عام 1951، وخلال أعمال الحفائر التي تمت في الاستبار رقم 15 بالمنطقة العليا لهضبة "الشميس"، عثر "ميكيل طراديل" (M. Tarradell) بمعية عالم البونيقيات "بيير سانتاس" (P. Cintas)[82]، على خنفساء مصرية، تعتبر الوحيدة من نوعها في المغرب لحد الساعة[83]، باستثناء خنفستين مجهولتي المصدر، سنوردهما فيما بعد. وقد تم الكشف عن هذه المادة الاثرية في مستوى استراتيغرافي مقلوب، خلال إزالة الانقاض من إحدى المنازل، في عمق يبلغ 1,80م. ولا ريب أن هذه الخنفساء تعد من أقدم المواد التي أفرزتها خرائب ليكسوس، رغم أنها مع الاسف الشديد لم تكتشف في طبقة أركيولوجية بكر، مما كان سيساهم في تأريخ المستويات القديمة لليكسوس. ومع ذلك تجدر الاشارة في هذا الصدد أن الاستبار رقم 15، الذي

---

(78) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 229.

(79) Idem, Ibid, p. 229.

(80) من الباحثين المحدثين الذين درسوا أيضا هذه النقيشة نذكر :
Ferron(J), Borne indicative à Lixus, **Latomus**, 26, 1967, p. 945-955 ; Garbini(G), Venti anni di epigrafia punica nel Magreb (1965-1985), Roma, 1986 (Suppl. à la **RSF**, XIV), p. 70.

(81) إذا كانت ليكسوس قد توفرت على كتابات منقوشة على الحجر، فإن "أندري جودان" (A. Jodin) يشير في مقالته "الاركيولوجيا الفينيقية بالمغرب : المشاكل والنتائج"، وفي مؤلفه "موكادور : وكالة فينيقية بالمغرب الاطلنطي"، أن ليكسوس مثلت المركز الوحيد في المغرب الذي خلف نماذج من الكتابات على الخزف من نفس نوع خربشات موكادور. انظر :
Jodin(A), l'archéologie phénicienne au Maroc : Ses problèmes et ses résultats, op. cit, p. 13 ; Idem, Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 185.

(82) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 174.

(83) توجد هذه الخنفساء معروضة في المتحف الاركيولوجي بتطوان. انظر :
Tarradell(M), Lixus. Historia de la ciudad. Guia de las ruinas y de la seccion de lixus del museo arqueologico de Tetuán, op. cit, p. 71, pl. 17.

كشف عن هذه الخنفساء، أفرز أيضا كسرات من الخزف الفينيقي ذي البرنيق الاحمر في مستوياته الاستراتيغرافية العميقة، الذي تأكد أن بعض أنواعه المكتشفة بليكسوس تؤرخ بالقرن الثامن قبل الميلاد.

وقد تمت دراسة خنفساء ليكسوس لأول مرة من طرف عالم البونيقيات "بيير سانتاس" (P. Cintas)، الذي أشار إليها في مؤلفه "محوالة لدراسة التوسع القرطاجي بالمغرب"[84]. وهي مصنوعة من عجين السِّليكون البني[85] الرمادي، وتحمل الرموز الهيروغليفية التالية : في الجهة العليا نحلة مصر السفلى قبالة حرف ♀ الذي يرمز الى القصبة[86]. وفي الجهة الوسطى علامة غير واضحة ترمز ربما الى الافعى المقدسة (Uraeus)، أو الى الربة إيزيس، أو الى صقر منشور الجناحين أمام الريشة "معت" (maât)، حسب نفس الرموز الواردة في خنفساء عثر عليها الاب "ديلاطر" (R.P. Delattre) بمقبرة "دويميس" (Douïmès) بقرطاجة[87]. وفي الجهة السفلى نجد علامة السلة "نب" (nb) الواردة في العديد من خنافس قرطاجة[88]، وعلامة "نسوت-بيت" (nswt-bit)، أي لقب "ملك مصر العليا ومصر السفلى"، علاوة على عناصر اسم "أمينوفيس الثالث" (Aménophis III)[89] (لوحة LVIII وLIX).

وكان "بيير سانتاس" (P. Cintas) أول من رجح أن تكون خنفساء ليكسوس تحمل خرطوشة الفرعون "أمينوفيس الثالث" الذي حكم مصر ما بين 1405 و1367 قبل الميلاد، وذلك بعد أن لاحظ وجود تشابه بين هذه الكتابة وكتابة مماثلة نقشت على خنفساء تم العثور عليها في قرطاجة[90] (انظر لوحة LX : الخرطوشة رقم 18). وقد تم التأكيد على هذه القراءة على يد عالم المصريات الشهير "جان لوكلان" (J. Leclant)[91] في رسالة موجهة الى "بيير سانتاس" (P. Cintas) بتاريخ 1 نوفنبر 1953.

وليس من شك أنه بالرغم من ذكر اسم الفرعون "أمينوفيس الثالث"، فإن هذه الخنفساء لم تكن معاصرة لنهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن الرابع عشر قبل الميلاد[92]. بل تعود الى عهد لاحق، كما يدل على ذلك نوع العجين المستعمل لصنعها من جهة، وطريقة نقش الرموز من جهة ثانية، التي تتميز برداءة جودتها وسوء رسمها. ويجدر التذكير في هذا الصدد أن استحضار أسماء فراعنة عاشوا خلال عصور قديمة جدا، أو تصوير خراطيشهم، كان يلاحظ باستمرار في الخنافس المصرية، مما أدى الى تخليد أسماء بعض الفراعنة

---

(84) Cintas(P), Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc, op. cit, p. 63 ss.

(85) يذكر "بيير سانتاس" (P. Cintas) بأن الخنافس التي اكتشفت في مدافن قرطاجة المؤرخة بالقرن السابع قبل الميلاد، كانت في معظمها مصنوعة من عجين السليكون الازرق الباهت أو البني. انظر :
Cintas(P), Amulettes puniques, Institut des Hautes études de Tunis, Vol. I, 1946, p. 25.

(86) Cintas(P), Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc, op. cit, p. 63.

(87) Vercoutter(J), Les objets égyptiens et égyptisants du mobilier funéraire carthaginois, Paris, 1945, n° 4.

(88) نجد هذه العلامة الهيروغليفية مثلا في الخنافس التي تحمل رقم 100 و101 و103 و104 و105 و107 في دراسة "جان لوكلان" (J. Leclant) حول "الطلاسم" المصرية في مدافن قرطاجة. انظر :
Leclant(J), Les talismans égyptiens dans les nécropoles, **Archéologie vivante**, Vol. 1, n° 2, Décembre / Février 1969, p. 95-97 et photo de p. 110.
وانظر صورة الخنفساء رقم 103 في لوحة رقم VII، الصورة رقم 4.

(89) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 175.

(90) Cintas(P), Amulettes puniques, op. cit, p. pl. IV, n° 18.

(91) Cintas(P), Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc, op. cit, p. 63, note n° 6.
وكان بيير "سانتاس" (P. Cintas) قد استند الى رأي عالم المصريات "جان لوكلان" (J. Leclant)، بعد أن راودته بعض الشكوك في أمر اسم "أمينوفيس الثالث" الوارد في خنفساء ليكسوس.

(92) الجدير بالتذكير في هذا الصدد، أن عادة نقش خراطيش الفراعنة المصريين على بعض المنتوجات المصرية، لم تقتصر على الخنافس، بل عرفتها كذلك الجرار المرمرية الجنائزية، التي اكتشفت في بعض المدافن الفينيقية، نذكر منها مدافن قرطاجة ومقبرة "المونييكار" (Almuñécar). انظر :
Cintas(P), Manuel d'Archéologie punique, t. I, op. cit, p. 435-436 ; Pellicer Catalan(M), Excavaciones en la necropolis punica "Laurita" del Cerro de San Cristobal (Almuñécar, Granada), op. cit, fig. 5, 24, 26, 34.

المشهورين لاعتبارات سحرية واجتماعية[93] (انظر لوحة LX). فخلال عصر الاسرة السادسة والعشرين، أي منذ حكم "بساميتيك الاول" (Psammétique 1er) الذي حكم ما بين 663 و609 قبل الميلاد، عرفت مصر الفرعونية إنتاج خنافس مقلدة للنماذج القديمة التي أنتجتها الاسر الاولى السابقة لتاريخ 2400 قبل الميلاد[94]. كما تم العثور في إحدى قبور قرطاجة المؤرخة بالقرن السابع قبل الميلاد، على خنفساء تحمل خرطوشة الفرعون "تحتمس الرابع" (Thoutmès IV)، الذي حكم من 1425 الى 1405 قبل الميلاد[95]، وهو أب الفرعون الذي نُقِش اسمه على خنفساء ليكسوس.

وحسب "لوكلان" (J. Leclant)، فإن شكل رموز خنفساء ليكسوس تتشابه مع النماذج المستعملة خلال الاسرتين الواحدة والعشرين والثانية والعشرين، أي خلال الفترة المتراوحة بين سنة 1085 ق.م و730 ق.م[96]. غير أن تاريخ الصنع كان حسب نفس المؤلف في عهد الاسرة الثانية والعشرين، أي خلال النصف الثاني من القرن العاشر قبل الميلاد[97]. وهذا ما حدى ببعض المؤلفين الى اعتبار أن هذه الخنفساء وصلت الى ليكسوس خلال القرن العاشر قبل الميلاد، نذكر منهم "بوساداس سانشيس" (J.L. Posadas Sanchez)[98] و"خوسي ماريا بلاسكيس" (J.M. Blazquez)[99] و "الماكرو باش" (M. Almagro Bach)[100]. إلا أن الباحث الفرنسي "ميشيل كرا" (M. Gras) يعتبر أن هذه المادة الاثرية يجدر تصنيفها ضمن ملف المنتوجات المصرية للقرن العاشر قبل الميلاد، الواردة في المستويات الاركيولوجية الفينيقية بإسبانيا وقرطاجة، المؤرخة بالقرنين الثامن والسابع قبل الميلاد[101]. ومن أشهر هذه المنتوجات الى جانب الخنافس التي تعد بالمآت، نذكر الجرار المرمرية المصرية المكتشفة بالخصوص في مقبرة "ألمونييكار" (Almunécar) الفينيقية بإسبانيا[102].

غير أن المؤلف الاسباني "فيرناندو لوبيز باردو" (Fernando Lopez Pardo) يورد في هذا المضمار[103] أن السيدة "إنكريد كامير فايلير" (Ingrid Gammer Wailler)، الخبيرة في الخنافس المكتشفة

---

(93) ومما يدل على ذلك أن الخنافس المصرية لم تكن تحمل إطلاقا أسماء الفراعنة المغمورين. انظر :
Cintas(P), Amulettes puniques, op. cit, p. 15, note n°34.

(94) Idem, Ibid, p. 14, note n°14.

(95) Idem, Ibid, p. 17.

(96) انظر الجدول العام للأسر التي حكمت مصر الفرعونية في :
Rachet(G), **Dynasties des rois d'Egypte**, Dictionnaire de la civilisation égyptienne, Larousse, 1992, p. 93.

(97) وقد وردت هذه المؤارخة عند :
Picard(G. et C), La vie quotidienne à Carthage au temps d'Hannibal, Paris, Hachette, 1958, p. 172.

(98) Posadas Sanchez(J.L), Amuletos y divinidades egipcias en el Estrecho de Gibraltar preromano. Nueva valoración de su influencia religiosa en el mundo colonial, **Actas del congreso internacional "El Estrecho de Gibraltar"**, Ceuta, Nov. 1987, Vol. I, Madrid, 1988, p. 517-527.

(99) Blàzquez(J.M), Tartessos y los orígines de la colonización fenicia en Occidente, op. cit, p. 25-26.
وقد اعتبر "خوسي ماريا بلاسكيس" (J.M. Blàzquez) أن خنفساء ليكسوس تعد واحدة من أقدم المواد الاركيولوجية حول وجود الفينيقيين بالغرب المتوسطي.

(100) Almagro Bach(M), El problema de Tartessos sgún los documentos arqueológicos, **Aspetti archeologici dell' Occidente mediterraneo (Quaderni del Centro di Studio per l'archeologia etrusco-italica, 2)**, Roma, 1978, p. 11.

(101) Gras(M), La mémoire de Lixus -De la fondation de Lixus aux premiers rapports entre Grecs et Phéniciens en Afrique du Nord-, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), Collection de l'Ecole française de Rome, n° 166, Palais Farnèse, 1992, p. 42, note n° 68.

(102) Gras(M), Rouillard(P), Teixidor(J), L'univers phénicien, Paris, Arthaud, 1989, 138 et ss ; Leclant(J), Tanis. L'or des Pharaons, Paris, 1987, p. 77 et ss.

(103) Lopez Pardo(F), Reflexiones sobre el origen de Lixus y su Delubrum Herculis en el contexto de la empresa comercial ..., op. cit, p. 86.

بإسبانيا، أحاطته علما بأن خنفساء ليكسوس لا يمكن أن تنتمي الى مجموعات الالف الثانية ق.م. كما أبلغته بأنها ليست من أصل مصري، ولا يمكن إلحاقها بأي مصنع معين، أو تحديد تاريخ دقيق لها خلال الالف الاولى قبل الميلاد. ومع ذلك فقد لاحظت تشابهها مع الخنافس المكتشفة في مغارة Gorham's Cave بجبل طارق.

أما "بيير سانتاس" (P. Cintas)، الذي درس الخنافس المصرية المكتشفة في قرطاجة في مؤلفه "التمائم البونيقية" (Amulettes puniques)[104]، فيعتقد أن خنفساء ليكسوس تعتبر من منتوجات "نوقراطيس" (Naucratis) المنسوبة الى الاسرة السادسة والعشرين التي حكمت في مدينة سايس ما بين 663 و525 ق.م، وبالتالي اعتبر أنها لا تتعدى القرن السادس قبل الميلاد[105]. وهي تشبه من حيث نوع العجين عدة نماذج تم العثور عليها في قرطاجة، والتي تعتبر تقليدا لمنتوجات الاسرة الثانية والعشرين. وفي هذا الصدد، يُلاحَظ من خلال الجدول الذي أعده نفس المؤلف حول استعمال الخنافس بقرطاجة، أن النماذج المصنوعة من عجين السِّليكون ذات التأثير المصري، تم استعمالها خلال الفترة الممتدة ما بين 700 قبل الميلاد و600 قبل الميلاد[106]. كما أن أكبر عدد من الخنافس المصرية تم العثور عليه في أقدم المدافن وليس في أحدثها[107]، مما يدل على أن رواج هذا المنتوج كان مرتبطا بالتجارة الفينيقية مع العالم المتوسطي ومع مصر بالخصوص. غير أننا نلاحظ على "بيير سانتاس"، أنه تراجع عن تأريخ خنافس قرطاجة الشبيهة بنموذج ليكسوس في مؤلفه "موجز الاركيولوجيا البونيقية" (Manuel d'Archéologie punique)[108]، حيث أضحى يرجح أنها وفدت الى قرطاجة قبل القرن السابع قبل الميلاد، وليس منذ ذات القرن، كما كان يعتقد سالفا[109]. فهل يمكن الاستناد الى هذا المعطى لترجيح أن خنفساء ليكسوس، كانت هي كذلك سابقة للقرن السابع قبل الميلاد، وبالتالي كانت معاصرة لاقدم الاواني الخزفية الفينيقية التي تأكد تأريخها بالقرن الثامن قبل الميلاد، وربما أقدم منها ؟

كيفما كان الامر، فإن خنفساء ليكسوس تنتمي الى المجموعة التي صنفها "بيير سانتاس" (P. Cintas)، ضمن الخنافس التي تحمل الخراطيش الملكية لفراعنة مصر الذين حكموا خلال عصور غابرة،

---

(104) Cintas(P), Amulettes puniques, op. cit.

(105) Cintas(P), Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc, op. cit, p. 64.

(106) وخلال المرحلة الممتدة بين 600 قبل الميلاد و400 قبل الميلاد، كانت الخنافس التي أنتجتها قرطاجة ذات تأثير مصري دائما، غير أنها كانت مصنوعة من الحجر الصلب ومن اليَنَع ومن اللازورد ومن عجين الزجاج. وما بين سنة 400 قبل الميلاد و300 قبل الميلاد، أصبح التأثير في خنافس قرطاجة تأثيرا إغريقيا، وأصبحت المادة المستعملة تتكون من اليشب الاخضر المستورد من سردينيا. وابتداء من سنة 300 قبل الميلاد، لم تعد قرطاجة تنتج سوى خنافس من النوع الرديء. انظر :
Cintas(P), Amulettes puniques, op. cit, pl V, p. 19 ; Moscati(S), L'épopée des Phéniciens, op. cit, p 231 ; Moscati(S) et Napoli(M), Phéniciens et Grecs en Méditerranée, op. cit, p. 33-35.

(107) Cintas(P), Amulettes puniques, op. cit, p.20.

(108) Cintas(P), Manuel d'Archéologie punique, t. I, op. cit, p. 443.

(109) مما كان يدفع "بيير سانتاس" (P. Cintas) وغيره من المؤلفين الذين درسوا العصر الفينيقي بالمغرب قبل الستينيات من القرن العشرين، الى إعطاء تواريخ حديثة لجل المعثورات التي لها علاقة بالعنصر الفينيقي، هو أنهم كانوا يشككون في الوجود الفينيقي الشرقي بالسواحل المغربية. فباعتقادهم أن هذه السواحل كانت مرتبطة بالحضارة القرطاجية وليس بالحضارة الفينيقية، وحيث أن قرطاجة لم تتكون كقوة تجارية إلا منذ القرن السادس قبل الميلاد، فإن هؤلاء الباحثين كانوا دائما يؤرخون هذه المعثورات بمرحلة لاحقة لذات القرن. وهكذا كانت ليكسوس نفسها تعتبر من طرف "بيير سانتاس" (P. Cintas) عاصمة البونيقيين في الغرب (Cintas(P), Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc, op. cit, p. 8.)، وجزيرة الصويرة تعتقد محطة تجارية قرطاجية لا تتعدى القرن الرابع قبل الميلاد (Idem, Ibid, p. 35-39). غير أنه نتيجة لتطور البحث الاركيولوجي في المجال الفينيقي، بدا أن العديد من المكتشفات التي تم ربطها سابقا بالقرطاجيين، إنما هي من المواد التجارية التي قام بترويجها الفينيقيون الشرقيون وليس القرطاجيون الغربيون. وحيث أنه أصبح من الثابت أن التجارة الفينيقية توقفت عن نشاطها في غضون أواسط القرن السادس قبل الميلاد، فإن هذه المواد يجدر تأريخها بمرحلة سابقة لمنتصف القرن السادس قبل الميلاد.

وحظوا بشهرة كبيرة عبر التاريخ لدرجة جعلتهم شبه مؤلهين[110]. في هذه المجموعة[111]، التي تم اكتشافها بالخصوص في مقابر العصر الفينيقي بقرطاجة[112]، نجد ذكر الفرعون "منكورع" (Mykerinos)[113] الذي حكم في أواسط الالف الثالثة قبل الميلاد، و"أمينيمحات الثالث" (Amenemhat III) (1842-1797 ق.م)[114]، و"تحتمس الثالث" (Thoutmès) (1504-1450)[115]، و"أمينوفيس" الثالث (Aménophis III)[116]، وهو نفس الاسم الذي كان واردا بخنفساء ليكسوس، و"سيتي الاول" (Séti I) (1318-1298 ق.م)[117]. هذه الخنافس، التي تم صنعها قبل وضعها في القبور بوقت وجيز، تنتمي الى طراز فني يمتد من القرن التاسع قبل الميلاد الى القرن السابع قبل الميلاد[118].

كما تم العثور على مجموعة كبيرة من الخنافس التي تحمل كتابات هيروغليفية في العديد من المدافن بمراكز فينيقية أخرى، نذكر منها مركز تل الرشيدية بالقرب من صور[119]، وجزيرة إيبيسا (Ibiza)[120] و"فيياريكوس" (Villaricos)[121] و"المونييكار" (Almunécar)[122] بإسبانيا، وجزيرة "راشكون" بالجزائر[123] (انظر لوحة LX).

---

(110) Cintas(P), Manuel d'Archéologie punique, t. I, op. cit, p. 443.

(111) تنتمي المجموعة الثانية من الخنافس المصرية المكتشفة في أقدم مدافن قرطاجة، حسب تصنيف "بيير سانتاس" (P. Cintas)، الى النوع الذي يحمل أسماء فراعنة معاصرين، أو حكموا خلال فترة زمنية قريبة من وقت نقش أسمائهم على هذه الخنافس. من بين هؤلاء نذكر : "أوسوركون الثالث" (Osorcon) الذي حكم ما بين 757 و748 ق-م، وبساميتيك الاول" (Psammétique 1er) الذي حكم ما بين 663 و609 ق-م، و"نخاو" (Néchao) الذي حكم ما بين 609 و594 ق-م. انظر :
Cintas(P), Manuel d'Archéologie punique, t. I, op. cit, p. 444-449.

(112) حوالي نصف القبور التي نقبها عالم الآثار الفرنسي "بول كوكلير" (P. Gauckler) بقرطاجة كانت تتضمن مثل هذه الخنافس، حيث قام بنشر النماذج المميزة منها في خمسة ألواح بمؤلفه "المدافن البونيقية بقرطاجة". انظر :
Gauckler(P), Nécropoles puniques de Carthage, op. cit, t. I, pl. CLXXIX à CLXXXII bis.

(113) Vercoutter(J), Les objets égyptiens et égyptisants du mobilier funéraire carthaginois, op. cit, n° 12/15, 16/18, 371/375, 376/382, 460.

(114) Idem, Ibid, n° 161.

(115) Idem, Ibid, n° 20/22, 24/29, 35, 197, 383/384, 450.
وقد تم الكشف مؤخرا على يد عالمة الآثار الاسبانية "ماريا إوخينيا أوبيت" (Maria Eugenia Aubet) في مقبرة فينيقية تؤرخ بالقرن الثامن قبل الميلاد بمركز "لاكوس" (Lagos) بناحية مالقة، على خنفساء تحمل اسم "من-خبر-رع" (Men-Kheper-Re)، كناية بأحد الالقاب التي عُرف بها الفرعون الشهير "تحتمس الثالث" (Thoutmès III). انظر :
Aubet(Ma. E), Nueva necrópolis fenicia de incineración en Lagos (M?laga), dans Actes du **IIIè congrès international des études phéniciennes et puniques** (Tunis, 11 - 16 Novembre 1991), Institut national du patrimoine, volume I, Tunis, 1995, p. 30-35, fig. 9-10, p. 32.

(116) Vercoutter(J), Les objets égyptiens et égyptisants du mobilier funéraire carthaginois, op. cit, n° 32, 155, 173, 308.

(117) Idem, Ibid, n° 30, 305, 311, 428.

(118) Cintas(P), Manuel d'Archéologie punique, t. I, op. cit, p. 444.

(119) عثر عالم الآثار اللبناني "الكوكباني" في مدفن رقم II (2) بمقبرة تل الرشيدية المؤرخة بالقرن الثامن قبل الميلاد، على جزء صغير من خنفساء مصرية، نقشت بها على ما يبدو خرطوشة الفرعون "تحتمس الثالث" (1504-1450 قبل الميلاد). انظر :
Doumet(C) et Kawkabani(I), Les tombes de Rachidieh : Remarques sur les contacts internationaux et le commerce phénicien au VIIIè siècle av. J. C, dans Actes du **IIIè congrès international des études phéniciennes et puniques** op. cit, pl. F, p. 389, pl. J, 1, p. 390.

(120) Vives y Escudero(A), Estudio de arqueología cartaginesa. La necrópolis de Ibiza, Madrid, 1917, p. 107.

(121) Astruc(M), La necrópolis de Villaricos, op. cit.

(122) Pellicer Catalan(M), Excavaciones en la necropolis punica "Laurita" del Cerro de San Cristobal (Almuñécar, Granada), op. cit, p. 62 ; pl. XIX-1 et 2 ; pl. XVIII-1 ; fig. 9-5, 24-3, 34-4.

(123) Vuillemot(G), La nécropole de Rachgoun, **Libyca**, t. III, 1955, p. 35-36, pl. XV.

من هنا يبدو أن خنفساء ليكسوس استجلبت الى عين المكان عن طريق التجارة الفينيقية، أو كانت في ملك أحد الفينيقيين الذين مرّوا عبر ليكسوس، أو كانوا يقطنون بها، أو ربما مات بها[124]. غير أننا لا نعلم بدقة هل تم استيرادها مباشرة من مصر أم من فينيقيا، إذ يشير "جورج كونتنو" (G. Contenau) في هذا الصدد، أن الفينيقيين لم يقتصروا على محاكاة أسلوب المصريين في مجال الاختام، بل تعدوه الى أخذ واستعمال نفس الاشكال، بعد أن تم الكشف في فينيقيا نفسها عن خنافس مصنوعة من أحجار البلاد، الى جانب النماذج المستجلبة من مصر[125]. وبالفعل، يبدو من خلال الدراسة التي أنجزها "كالينك" (K. Galling) حول الاختام الفينيقية، أنها كانت تختلف عن النماذج المصرية. فإذا كانت المواضيع المصورة بها تعرف تأثيرا مصريا واضحا، وتشبه المواضيع الواردة في العاجيات والكؤوس المعدنية الفينيقية، فإن الكتابات المنقوشة بها كانت بالحروف الفينيقية، عكس الخنافس المصرية التي كتبت باللغة الهيروغليفية[126] (لوحة LXI). وقد تم الكشف على يد عالم الآثار اللبناني "الكوكباني" بمقبرة "تل الرشيدية"[127] المؤرخة بالقرن الثامن قبل الميلاد عن مجموعة جديدة من الخنافس الفينيقية، التي كانت بدورها مختلفة عن النماذج المصرية[128] (لوحة LXI).

من هنا يبدو أن خنفساء ليكسوس، التي نقشت بها كتابات هيروغليفية، كان مصدرها أحد المعامل المصرية، وأنها وصلت الى الساحل الاطلنطي للمغرب عبر التجار الفينيقيين[129]. ومما يرجح ذلك، أن جل الخنافس التي صُنعت من نوع العجين الذي عرفه نموذج ليكسوس، كانت تتضمن خصائص الصناعة المصرية، حيث استعمال نفس تقنية النقش، واستعمال الكتابة الهيروغليفية. وكانت هذه النماذج تؤرخ في قرطاجة حسب "فيركوطير" (J. Vercoutter) خلال القرنين السابع والسادس قبل الميلاد[130]. وبذلك تكون خنفساء ليكسوس مختلفة عن النماذج المصنوعة من حجر اليَنَع التي عرفت قرطاجة أعدادا قليلة منها خلال نفس المرحلة، والتي كانت تستورد مباشرة من فينيقيا[131]. وكيفما كان الحال، فإن هذه الخنافس مثلت واحدة من المنتوجات التجارية المتنوعة التي قام الفينيقيون بتسويقها عبر العديد من البقاع التي شملتها تجارتهم، سواء في الشرق الاوسط، حيث تم العثور على العديد منها في المراكز العبرية والآرامية، أو في المستوطنات الفينيقية المنتشرة عبر ضفاف الحوض المتوسطي[132].

---

(124) لا نستطيع أن نجزم هل كان مصدر خنفساء ليكسوس أحد القبور الفينيقية بالمستوطنة، رغم أن العثور عن مئات الخنافس المشابهة في القبور الفينيقية، خصوصا في مدافن قرطاجة القديمة، ينم عن أهمية هذه المواد في الاثاث الجنائزي، حيث كانت تمثل الى جانب الاواني الطقسية، المواد الوحيدة التي كانت تصاحب الدفين في مثواه الاخير. كما كانت هذه الخنافس تكتشف في نفس القبور معلقة بعنق الدفناء، مما يدل على أنها كانت بمثابة بطاقة تعريفية بهؤلاء، حسب "بول كوكلير" (P. Gauckler). انظر :

Gauckler(P), Les fouilles de Tunisie, **Revue archéologique**, 1902, II, p. 374 ; ap. Cintas(P), Amulettes puniques, op. cit, p. 15, note 32.

(125) Contenau(G), La civilisation phénicienne, op. cit, p. 197.

(126) Moscati(S), L'épopée des Phéniciens, op. cit, p 112-115, fig. 24-26.

(127) توجد هذه المقبرة على بعد أربع كيلومترات جنوب مدينة صور بقرية تل الرشيدية، حيث تم الكشف بالصدفة عام 1975 عن مجموعة من المدافن تعود الى عصر الحديد الفينيقي. وقد تكلف عالم الآثار اللبناني "الكوكباني" بالتنقيب في القبور التي حملت رقم I وII(1) وII(2) وIII، في حين تكلف زميله حافظ شهاب بالتنقيب في القبور التي حملت رقم IV وV. انظر :

Doumet(C) et Kawkabani(I), Les tombes de Rachidieh : Remarques sur les contacts internationaux et le commerce phénicien au VIII^{e} siècle av. J. C, op. cit, volume I, p. 379, pl. A et B, p. 380.

(128) Idem, Ibid, volume I, p. 391; pl. K, p. 390.

(129) يعتبر " فرانسوا فييار" (F.villard) الذي أورد بدوره خنفساء ليكسوس في مقالته حول "الخزف الاغريقي بالمغرب"، أن هذه الخنفساء تمثل مادة تم استيرادها من مصر بعد مرور وقت طويل على صنعها. انظر :

Villard(F), Céramique grecque du Maroc, **B.A.M**, t. IV, 1960, p. 21, note n° 3.

(130) Vercoutter(J), Les objets égyptiens et égyptisants du mobilier funéraire carthaginois, op. cit ; ap. Moscati(S), L'épopée des Phéniciens, op. cit, p 231.

(131) Idem, Ibid, p 231.

(132) Moscati(S) et Napoli(M), Phéniciens et Grecs en Méditerranée, op. cit, p. 15.

أما الغاية الاولية من إنتاج الخنافس، فكانت بدون شك استخدامها لختم الوثائق، بنفس الدور الذي كانت تلعبه أختام "عيلام"، التي أورد في شأنها "جورج كونتنو" (G. Contenau) ما يلي :

« .... إن المصورات التي قام صاحب الختم بنقشها، كانت تمثل الاشياء المتشفع بها، والتي كانت تحظى بقيمة تعويذية قبل أن ترقى الى مكانة العلامة الشخصية. وقد أدت هذه الفكرة الى نشأة الختم، الذي يستعمل لطبع أدوات الفرد وحمايتها. .... ولم يكن الختم يحمل بشكل ظاهر، بل كان يحمل بواسطة رباط يشد في العنق، مستورا تحت الثياب ...»[133].

وقبل استخدام الخنافس المصرية، كان الفينيقيون يستعملون الاختام الاسطوانية ذات المصدر العراقي لختم وثائقهم. ويبدو أن المرحلة التي خلف خلالها الختم المصري نظيره العراقي وذاع استعماله، ميزت الانتقال من عصر البرونز الى عصر الحديد، نتيجة لانتشار الكتابة الابجدية[134]. وهي المرحلة التي عرفت اختفاء الطين كمادة أولية للكتابة، على حساب ورق البردي، بعد أن انعدمت الفائدة من استعمال الاختام الاسطوانية التي كانت تُلفُّ فوق الطين. حينئذ، بدأت الخنافس ذات الجذور المصرية تعرف انتشارا واسعا في فينيقيا، واستمرت في الاستعمال الى حلول عصر المسيح[135]، الى جانب النماذج المحلية. وكانت هذه الخنافس تصنع عموما إما من عجين السّليكون المنحوت بالسكين أو المُقوّلب، والذي يكون تارة مبرنقا وتارة أخرى بدون لمعان، وإما تصنع من الحجر المنحوت[136].

ولم يكن دور الخنافس مقتصرا على وظيفة الختم كما مر ذكره، بل استعملت أيضا كحلقة أو نَوْط، أو كعنصر مكون للعقود والقلادات، أو على شكل فص الخاتم المتحرك، أو مرصعة في مسد معدني خاص[137] (انظر لوحة LXII رقم 1-2-7-10). كما أنها حظيت في الوقت ذاته بوظيفة التميمة[138] ذات القيمة السحرية والتبشيرية، كما يُفهم ذلك من الاشكال التصويرية التي حوتها هذه الخنافس[139]. ولا ريب أن الفينيقيين اقتبسوا من مصر استعمال الخنافس، لانها تمثل رمزا للتحول الدائم للاشياء، وبالتالي إشارة الى رفض الموت[140]. ذلك أنه من عادة هذه الحشرة، القيام بدحرجة الحبيبات الصغيرة ودفنها لوضع بيضها[141]. وكانت الخنفساء تصور مجسدة، حيث كان يتم إبراز جل الاعضاء الرئيسية في الحشرة، نذكر منها الكَوْسَل[142] (corselet) والغِمْدَين[143] (élytres)، اللذين كانا يبدوان في غالب الاحيان مطويين في وضعية الاكل، والقوائم التي كانت ترسم جانبيا (انظر لوحة LXII رقم 1 و 2). أما أسفل الحشرة، فكانت

---

(133) Contenau(G), Manuel d'Archéologie orientale, I/IV, Paris, 1927-1947, t. I, p. 408.

(134) Moscati(S), L'épopée des Phéniciens, op. cit, p 112.

(135) Contenau(G), La civilisation phénicienne, op. cit, p. 198, fig. 54.

(136) Cintas(P), Amulettes puniques, Institut des Hautes études de Tunis, Vol. I, 1946, p. 112 et ss.

(137) Idem, Ibid, p. 11.

(138) كان الفينيقيون، مثل المصريين، يلجئون الى استعمال التمائم أو التعويذات لطابعها الوقائي، بغية إبعاد الخطر أو الشر الذي يهددهم أو يهدد مبغاهم. وكانت هذه التمائم ذات أشكال مختلفة، نذكر منها تلك التماثيل أو الاقنعة الصغيرة المصنوعة من عجين السّليكون المبرنق أو عجين الزجاج، أو من عاج أو عظم، والتي تصور أشكالا مصغرة لبعض المعبودات أو لبعض الحيوانات أو الحشرات أو الرموز. انظر :
Gsell(S), Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord,op. cit, t. IV, p. 423-424.

(139) Moscati(S), L'épopée des Phéniciens, op. cit, p 112.

(140) Pierret(P), **Scarabée**, Dictionnaire d'Archéologie égyptienne ; Rachet(G), **Scarabée**, Dictionnaire de la civilisation égyptienne, op. cit, p. 223.

(141) Cintas(P), Amulettes puniques, op. cit, p. 11.

(142) وهي في الحشرات الحلقة العليا من مقدم الجوشن.

(143) الغمد هو حافظ الاجنحة في العديد من الحشرات.

مستوية، وتنحت بها مصورات تختلف من عصر لآخر، نذكر منها معرجة النهر وأسماء الاشخاص والفراعنة والزخارف الزهرية وصور المعبودات وعبارات المتمنيات[144].

وبذلك مثلت الخنفساء طلسما مزدوج المنافع، إذ يجمع بين القدرات الحامية التي حظيت بها الحشرة نفسها، وبين القدرات الوقائية للمصورات المنحوتة في الاسفل. وإذا كانت هذه الخنافس تدفن مع الميت، فلكون الدفين وضع فيها أمنيته، بعد أن وقع اختياره خلال حياته على الفرعون الذي سيتشفع به، وعمل على حمل اسمه معلقا على عنقه بشكل دائم. وكمثال عن الدور الوقائي والحمائي لهذه الخنافس، خصوصا فيما يتعلق بتلك التي كانت تحمل أسماء بعض الفراعنة المشهورين مثل نموذج ليكسوس، أن الانواع التي حملت اسم "تحتمس الثالث" (Thoutmès)[145] عرفت ما لايقل عن عشرة آلاف عينة، حسب دراسة الباحث "جايكير" (B. Jaeger).

من تم يبدو أن هذه الخنافس لم تكن تحظى بأية قيمة، إلا بالنسبة لحاملها وحده، الذي من المرجح أنه إما قام باختيارها بمحض إرادته، وإما أنه تسلمها من أحد الكهنة أو العرافة، الذين عينوا له نوع الخفساء[146]. ويعتبر "جان لوكلان" (J. Leclant)[147] أن هذه المواد الصغيرة، وبعد أن كانت تستعمل فيما مضى كطلاسم وأختام أو وثائق نذرية، تحولت خلال مرحلة "العصر الحديث" من تاريخ مصر الفرعونية[148] الى تمائم محضة لاستعمالات الاحياء والاموات على السواء. ويبدو أن الفينيقيين الذين استوردوا هذه المادة من مصر، استخدموها لنفس الغاية.

ومن خلال معاينة قمت بها لخنفساء ليكسوس المعروضة بالمتحف الاركيولوجي بمدينة تطوان، تبين لي أنها لم تكن تختلف عن سائر الخنافس المشار إليها سالفا[149]. كما أنها كانت شبيهة من حيث الحجم والشكل بالنموذجين اللذين قام عالم الآثار الفرنسي "أندري جودان" (A. Jodin) باقتنائهما عام 1964 من أحد تجار مدينة الرباط، صحبة مجموعة من مكونات العقود البربرية[150]. ويبدو من خلال بقايا تربة الحمري بالخنفستين، أن مصدرهما كان من جهة ما بالساحل الاطلنطي المغربي أو ظهيره الممتد من جنوب طنجة الى ناحية الدار البيضاء. كما انتبه نفس الباحث[151] الى كون هاتين المادتين الأثريتين تصنفان فعلا ضمن مجموعة الخنافس التي تم العثور عليها بأعداد كثيرة في قرطاجة، وفي أهم المراكز الفينيقية بالحوض المتوسطي.

وقد بلغ طول الخنفساء الاولى 15 مم، وعرضها 10 مم، وسمكها 6 مم (انظر لوحة LXIII رقم 1). كما كان لونها أزرقا فيروزيا، وشكلها يتميز بنفس المظهر المربوع المعتاد في سائر الخنافس الاخرى ؛

---

(144) Cintas(P), Amulettes puniques, op. cit, p. 11, note n° 26.

(145) Jaeger(B), Essai de classification et datation des Scarabées Menkheperre, **Orbis Biblicus et Orientalis**, Séries Archaeologica 2, Editions Universitaires, Fribourg, Suisse, 1982.

والغالب على الظن أن هذا الرقم لم يبلغه أي فرعون من فراعنة مصر. وهو رقم له علاقة بالشهرة التي حظي بها "تحتمس الثالث"، بفضل انتصاراته العسكرية الكثيرة، والصيت الدولي الذي آلت إليه مصر في عهده، مما حدا بالعديد من المؤرخين المحدثين الى نعته بنابوليون مصر.

(146) Cintas(P), Manuel d'Archéologie punique, t. I, op. cit, p. 444.

(147) Leclant(J), Les talismans égyptiens dans les nécropoles, op. cit, p. 95.

(148) يقصد "جان لوكلان" (J. Leclan) بالعصر الحديث (La Basse Epoque)، المرحلة الممتدة من سنة 1085 قبل الميلاد، الى حدود القرن الرابع قبل الميلاد.

(149) على سبيل المقارنة، كان طول بعض خنافس جزيرة "إيبيسا" (Ibiza) باسبانيا يبلغ الاحجام التالية : 19,5مم، 17,5مم، 15مم، 14مم، 11مم، 10مم. انظر:

Vives y Escudero(A), Estudio de arqueología cartaginesa. La necrópolis de Ibiza, op. cit, p. 107.

(150) Jodin(A), Bijoux et amulettes du Maroc punique, **B.A.M**, t. VI, 1966, p. 85.

(151) Jodin(A), Bijoux et amulettes du Maroc punique, op. cit, p. 85.

أي أن تصميمه كان إهليلجي الشكل، مسطحا من الاسفل، ومنتفخا من جهة الظهر[152]. كما كانت هذه الخنفساء مخرومة بثقب يخترق طولها من جهة الى أخرى، يبلغ قطره 1,5 مم، مما يجعل منها إحدى مكونات العقود، أو العنصر الاساسي المكون للعقد. وقد صنعت هذه الخنفساء مثل نموذج ليكسوس من مادة السليكون المزجج، وكانت مطلية من جميع الجهات ببرنيق أزرق مخضر. وتحت بطنها نقشت خرطوشة إهليلجية يتوسطها حرف هيروغليفي على شكل سهم، اعتبره "أندري جودان" (A. Jodin) يرمز الى الشجرة[153].

أما الخنفساء الثانية، فكانت أصغر حجما من الاولى، حيث بلغ طولها 13,5 مم وعرضها 9 مم وسمكها 5 مم، وتوفرت بدورها على علامة هيروغليفية، قد تكون حسب نفس المؤلف ترمز الى الريشة[154] (انظر لوحة LXIII رقم 2).

من خلال هذه الاوصاف، ورغم أن "أندري جودان" (A. Jodin) يرجح تأريخ الخنفساء الاولى بالقرنين السادس والخامس قبل الميلاد، والخنفساء الثانية بالقرنين الخامس والرابع قبل الميلاد، مع إبداء كامل تحفظه في المسألة[155]، فمما لا شك فيه أنهما تنتميان الى نوع الخنافس التي وصلت الى المغرب عبر التجارة الفينيقية. كما أنهما تنتميان مثل نموذج ليكسوس الى نوع الخنافس المصرية المصدر، بحكم توفرهما على حروف هيروغليفية، مما يمكن الاستناد إليه لاعطائهما تاريخا أقدم. غير أن أهم معطى يمكن أن نستفيد منه من خلال استحضار هاتين المادتين الأثريتين، هو أنهما مكننا من أخذ فكرة حول حجم خنفساء ليكسوس، التي لم يكن طولها يتعدى سنتيمترين وعرضها سنتيمترا واحدا، وبالتالي تعتبر واحدة من المواد الكلاسيكية للتجارة الفينيقية، المتميزة بصغر حجمها وبارتفاع قيمتها. وهي القيمة التي تعكسها مسألة الثقب الوارد في خنفساء الرباط التي جعلتها تتحول مع الزمن الى حلية تعويذية تعلق على الصدور.

2) المغرفة البرونزية المستوردة من قـبرص :

علاوة على الخنفساء السالفة الذكر، عرفت ليكسوس مادة أخرى رفيعة القيمة تم استجلابها بفضل التجارة الفينيقية، تتمثل في مغرفة مصنوعة من البرونز كانت مودعة في المتحف الاركيولوجي بالرباط منذ عام 1959. وكان مصدر هذه المغرفة بكل تأكيد من التنقيبات التي أجراها بليكسوس عالم الآثار الاسباني "سيسار لويس دي مونطالبان" (C. L. de Montalban) ما بين عام 1925 و1935. وهي تدشن مجموعة مواد البذخ الاستشراقية (art orientalisant) التي عرفتها مستوطنة ليكسوس، والتي ساهمت أعمال الحفائر التي يقوم بها معهد علوم الآثار والتراث بمقبرة رقادة، في تقديم سياقات ثقافية هامة في شأنها[156].

وكانت هذه المغرفة، التي درستها بإسهاب "كريسطيان بوب بيكو" (Ch. Boube-Piccot) عام 1994[157]، مصنوعة من البرونز، ويبلغ طولها 45 سنتمتر[158] (انظر لوحة ت بالالوان رقم 3). وهي تتألف من مغرفة عميقة ومقبض طويل ينتهي برأس إوز، تتميز بحالة جيدة من الصيانة. وحسب ما يبدو، تنتمي هذه المادة الى مجموعة أدوات المائدة القبرصية المصنوعة من البرونز المؤرخة بالقرن السابع قبل

(152) Idem, Ibid, p. 85-87, pl. XII, p. 86.
(153) Idem, Ibid, p. 87.
(154) Idem, Ibid, p. 87-89.
(155) Idem, Ibid, p. 90.
(156) Aranegui(C), Tarradell-Font(N), Lixus colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Apuntes para una Historia de la investigación arqueológica, op. cit, p. 28.
(157) Boube-Piccot(Chr), Un puisoir chypriote d'époque archaïque à Lixus (Maroc), **RA 1**, p. 3-18.
(158) Aranegui(C), Tarradell-Font(N), Lixus colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Apuntes para una Historia de la investigación arqueológica, op. cit, fig. 36, p. 29.

الميلاد، والتي تم العثور على نماذج مشابهة لها في جزر قبرص ورودوس وساموس، وفي جبيل[159]. كما تم اكتشافها كذلك في جنوب شبه الجزيرة الايبيرية، رغم أنها كانت مختلفة عن نموذج ليكسوس[160].

---

(159) Boube-Piccot(Chr), Un puisoir chypriote d'époque archaïque à Lixus, op. cit, p. 7, fig. 6-7-9.

(160) Aranegui(C), Tarradell-Font(N), Lixus colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Apuntes para una Historia de la investigación arqueológica, op. cit, p. 28.

خـاتـمة

من خلال اللوحة الواردة في "معجم الحضارة الفينيقية والبونيقية" حول أنواع الاواني الخزفية المكتشفة بالغرب المتوسطي[1] (انظر لوحة LXIV)، يتبين أن النماذج العشرة المصورة في اللوحة كانت حاضرة في ليكسوس، باستثناء نموذج واحد[2]. وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على أن ليكسوس تتوفر على جميع المظاهر الحضارية المميزة لسائر المنشآت الفينيقية الاخرى، التي مثل المنتوج الخزفي بها أهم مادة مكتشفة، باعتباره المرشد الرئيسي لدراسة عملية التوسع والاستيطان الفينيقيين.

من هذا المنتوج نُذكّر بالخزف الفينيقي ذي البرنيق الاحمر، الذي يصنف ضمن الاخزاف الرفيعة الفينيقية المشابهة للخزف الآتيكي ذي البرنيق الاسود، أو للخزف الأريتيني الروماني. وهو الخزف الذي شكل أكثر الانواع تمثيلية في ليكسوس وأوفرها عددا وتنوعا، كما هو الشأن في معظم المستوطنات الفينيقية. فجل الاواني المعهودة التي صنعها الفينيقيون من هذا النوع كانت حاضرة في ليكسوس، مثل الاباريق ذات القرص[3]، والصحون التي كانت كسراتها المكتشفة في جل الاستبارات تعد بالمآت[4]، والقناديل خصوصا ذات المشعلين منها[5]، والجفنات[6] (انظر جدول I).

علاوة على الخزف ذي البرنيق الاحمر، عرفت ليكسوس النوع الثاني الشهير من الاخزاف الفينيقية، وهو الخزف المصبوغ المتعدد الالوان. وكانت الكسرات الكثيرة المكتشفة في العديد من الاستبارات التي قام بها "ميكيل طراديل" و"ميشيل بونسيك"[7] تعود الى نوع من الجرار الكبيرة الشبيهة بالامفورات، والمصبوغة بأشرطة سميكة وخطوط رقيقة متعددة الالوان[8] (انظر جدول II).

---

(1) Gómez Bellard(C), **Céramique**, Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique,op. cit, fig. 78 - 87, p. 100.

(2) وهو النوع الذي ينتمي الى مجموعة الاباريق ذات العنق النّفلي (Oenochoés à col tréflé)، التي تصنف ضمن الخزف الفينيقي ذي البرنيق الاحمر، والذي يحمل رقم 79 في اللوحة. ومع ذلك من المحتمل أن تكون ليكسوس قد عرفت هذا النوع، استنادا الى ما أورده محمد حبيبي في مقالته حول الخزف الفينيقي ذي البرنيق الاحمر بليكسوس، حيث أشار الى وجوده في استبار الخروب (Habibi(M), La céramique à engobe rouge phénicien de Lixus, op. cit, p. 146). غير أن هذه المعلومة لم ترد بتاتا لدى "ميكيل طراديل" (M. Tarradell) ولا لدى "ميشيل بونسيك" (M. Ponsich)، مما جعلني أتحفظ في إلحاق مجموعة الاباريق ذات العنق النّفلي ضمن تصنيف الخزف الفينيقي المكتشف بليكسوس.

(3) تم اكتشاف كسرات من الاباريق ذات القرص في استبار الخروب وفي قطاع المنازل وفي مبنى حرف A ومبنى حرف B وفي خزان معبد F وفي حنية معبد H. كما تم العثور عليها خلال الحفائر الجديدة التي قامت بها البعثة الاركيولوجية المغربية-الاسبانية في ليكسوس.

(4) عثر "ميكيل طراديل" (M. Tarradell) على كسرات كثيرة من الصحون الفينيقية ذات البرنيق الاحمر في جميع الاستبارات التي أنجزها بليكسوس. كما كانت حاضرة كذلك في الاستبارات التي قام بها "ميشيل بونسيك" (M. Ponsich) في حي المعابد، بكل من مبنى A ومبنى B وردم خزان معبد F وحنية معبد H. وكشفت عنها مؤخرا استبارات البعثة المغربية-الاسبانية.

(5) اكتشفت القناديل الفينيقية ذات المشعلين في استبار الخروب واستبار رقم 10 وفي مبنى A وردم خزان معبد F وحنية معبد H، وفي استبار الخروب الذي أنجزته البعثة المغربية-الاسبانية عام 1999.

(6) كانت كسرات وحواشي الجفنات حاضرة في العديد من الاستبارات التي أنجزت في ليكسوس، حيث تم العثور عليها من طرف "ميكيل طراديل" (M. Tarradell) دون أن يحدد أمكنة اكتشافها. كما عثر عليها "ميشيل بونسيك" (M. Ponsich)، في خزان معبد F ومحور حنية معبد H ومبنى A. وكشفت عنها كذلك حفريات البعثة الاركيولوجية المغربية-الاسبانية خلال سنة 1999، سواء في استبار الخروب أو استبار الزيتونة.

(7) تم العثور على هذه الكسرات في جل الاستبارات التي قام بها "ميكيل طراديل" (M. Tarradell). كما اكتشفها "ميشيل بونسيك" (M. Ponsich) في مبنى B وفي ردم خزان معبد F، واكتشفتها البعثة المغربية-الاسبانية في استبار الخروب خلال حملة 1999.

(8) غير أننا لا نعلم هل كانت هذه الجرار من النوع المعروف باسم "الجرار ذات العنق الضيقة"، أو من النوع المعروف باسم "الجرار ذات العنق القصيرة والواسعة"، المشهورة باسم *pithoi*.

أما النوع الثالث ، فيمثله خزف أكمد لم يكن يتوفر على أي برنيق ولا صباغة. وكانت الاواني الثلاثة المميزة لهذا النوع حاضرة كذلك في ليكسوس، وهي الامفورات، التي دلت على وجودها العديد من الكسرات وخصوصا الاعناق[9]، والثلاثيات الارجل الممثلة بنموذج واحد كامل[10]، وقارورات العطر الممثلة بنموذج كامل وثلاثة نماذج منكسرة[11] (انظر جدول II).

غير أن ما يثير انتباهنا في المنتوج الخزفي المكتشف في ليكسوس، هو ما أورده "ميكيل طراديل" حول غياب الخزف الاغريقي الرفيع من المستويات الاستراتيغرافية الفينيقية[12]، عكس ما هو عليه الحال في العديد من المنشآت الاخرى، نخص بالذكر منها محطة جزيرة الصويرة. الامر الذي سيؤكده فيما بعد الباحث الفرنسي "ميشيل كرا" (Michel Gras) المتخصص في الدراسات الاغريقية، عندما أشار في هذا الباب أن ليكسوس لم تفرز لحد الساعة أي معثور إغريقي يعود الى العصر العتيق[13]. كما ستأكده كذلك عالمة الآثار الاسبانية "كرمين أرانيكي" (Carmen Aranegui) في المؤلَّف الذي صدر عن ليكسوس تحت إدارتها العلمية سنة 2001[14]. غير أن "ميشيل بونسيك" (M. Ponsich) يذكر أن أقدم المستويات الاستراتيغرافية بليكسوس عرفت بعض القطع من الخزف الآتيكي المستورد ذي الرسوم الحمراء[15]. ومن المعلوم أن نفس المؤلف عثر في خزان معبد F على أخزاف آتيكية ذات الزخرفة النباتية[16]، دون أن يشير الى تاريخها. فهل تعود هذه الانواع الى نفس النماذج التي عرفتها جزيرة الصويرة، والمؤرخة بالقرن السابع والنصف الاول من القرن السادس قبل الميلاد[17] ؟ لا نستطيع تأكيد ذلك، رغم أن كلاً من "أرمان لوكي" (A. Luquet) و "أندري جودان" (A. Jodin) يذكران أن الخزف الاغريقي العتيق الآتيكي والايوني كان حاضرا ضمن الخزف الفينيقي المكتشف في أقدم مستويات ليكسوس[18].

---

(9) وجدت هذه الكسرات في استبار الخروب، وفي أسس قطاع المنازل، وفي مبنى A، وفي خزان معبد F، وفي حنية معبد H. كما تم التأكيد على الحضور الوافر للامفورات الفينيقية بليكسوس بفضل نتائج حفريات 1999.

(10) تم العثور على هذا الاناء من طرف "ميشيل بونسيك" (M. Ponsich) في خزان معبد F.

(11) اكتشفت هذه القارورات كذلك في خزان معبد F.

(12) كان هذا الخزف غائبا مثلا من المستوى الاستراتيغرافي رقم V من استبار الخروب. انظر :

Tarradell(M), Nuevos datos sobre la ceramica pre-romana de barniz rojo, op. cit, p. 250.

(13) Gras(M), La mémoire de Lixus -De la fondation de Lixus aux premiers rapports entre Grecs et Phéniciens en Afrique du Nord-, op. cit, p. 41.

(14) Aranegui(C), Tarradell-Font(N), Lixus colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Apuntes para una Historia de la investigación arqueológica, op. cit, p. 26 ; Aranegui(C), Conclusiones, **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico- mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4**, 2001, cap. XVII, p. 253.

(15) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 3.

(16) Idem, Ibid, p. 73, pl. XXVI, p. 77.

(17) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 53-76.

(18) Luquet(A), La céramique préromaine de Banasa, **B.A.M,** t. V, 1964, p. 134 ; Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 55.

وأي ما كان الحال[19]، فإن المعثورات الفينيقية المكتشفة لحد الساعة بليكسوس لم تكن تقتصر على المنتوج الخزفي، بل هناك بعض المواد أو المآثر المكتشفة التي لها علاقة بشكل أو بآخر بالفينيقيين. من هذه المواد نشير الى الخنفساء المصرية الشهيرة، التي وصلت الى ليكسوس عن طريق التجارة الفينيقية، الى جانب المغرفة البرونزية المستوردة من قبرص. كما نذكر بالخربشات الفينيقية، وبالنقيشة المكتشفة على يد "هنري دي لامارتينيير" (Henri de la Martinière)، والتي تتشابه كتابتها مع الحروف الفينيقية الشرقية. كما نشير الى المساكن التي كان يقطنها المستوطنون الفينيقيون الاوائل، والاسوار المعروفة بالاسوار ما قبل-الرومانية، والتي يجدر الاخذ بعين الاعتبار مسألة جذورها الفينيقية. وأخيرا نستحضر معبد H الذي يفترض "ميشيل بونسيك" (M. Ponsich) أن بقاياه تعود الى معبد ملقارت.

فهل يمكن اعتبار أن المواد السالفة الذكر هي كل ما تختزنه ليكسوس عن ماضيها الفينيقي ؟

في الواقع لا نعتقد ذلك، إذا علمنا أن المواد المكتشفة لحد الساعة لا تمثل سوى القسط الضئيل مما يمكن أن يوفره المركز، لكون التنقيبات الاركيولوجية لم تشمل سوى نقطا معدودة ومحددة[20]. فالمقبرة الفينيقية التي من المفروض أن توجد في ليكسوس لم يتم الكشف عنها بعد[21]. كما أن بعض المحتويات التي

---

[19] من المعلوم في هذا الصدد أن "طراديل" (M. Tarradell) كان قد عثر في استبار الخروب على قطعة خزفية آتيكية بالمستوى الاستراتيغرافي رقم IV، تم تأريخها خلال القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد. كما عثر في الطبقة الاركيولوجية السفلى بالاستبار رقم 12 الذي قام به في الفناء المعمد لدار "مارس" (Mars) و"ريا" (Rhéa)، على قطعتين من الخزف الاغريقي المصبوغ. غير أنه لم يقدم مع الاسف أية معلومة حول تاريخ هاتين القطعتين، لما نعلمه من أهمية الخزف الاغريقي في تأريخ المستويات الاستراتيغرافية، واكتفى بتقديم بعض الاوصاف المرفولوجية لهما. فكانت الشقفة الاولى تحتوي على عروة مصبوغة ببرنيق أسود تحيط بها زخارف على شكل بويضات مصبوغة بالاحمر. أما الشقفة الثانية فكانت أحجامها صغيرة جدا، جزأها الداخلي مصبوغ بالاحمر والخارجي بالاحمر الفاتح مع زخارف سوداء. كما عثر في الاستبار رقم 15، الذي تم إنجازه في أعلى منطقة بليكسوس على كمية من الكسرات الخزفية الآتيكية ذات اللون الاسود تم تأريخها بالقرن الرابع أو الخامس قبل الميلاد. انظر :

Tarradell(M), Marruecos p• nico, op. cit, p. 155.

كما عثر في الاستبار رقم 15، الذي تم إنجازه في أعلى منطقة بليكسوس على كمية من الكسرات الخزفية الأتيكية ذات اللون الاسود تم تأريخها بالقرن الرابع أو الخامس قبل الميلاد.

[20] من جانب آخر، فإن الكسرات العديدة المتناثرة في متاحف تطوان وطنجة والعرائش، تتطلب دراستها من جديد على ضوء النتائج التي حققتها الابحاث الاثرية الفينيقية في العديد من البقاع المتوسطية وخصوصا في المراكز الاسبانية.

[21] لم يتمكن "ميكيل طراديل" (M. Tarradell) بالرغم من حجم الحفائر التي أنجزها بليكسوس من الكشف عن أي قبر يعود الى المستويات الاستراتيغرافية القديمة، أي الى الحقبة الفينيقية. ويعتقد الباحث الاسباني في هذا الصدد أن المقبرة الفينيقية توجد في مكان ما بالمركز، لاستبعاد أن تكون السيطرة الرومانية اللاحقة قد استطاعت أن تمحو بقايا هذه المقبرة بشكل كلي (Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 166). من هنا يعترف "طراديل" (M. Tarradell) بأن مركز ليكسوس ما زال ينتظر المزيد من الحفريات حتى يتسنى الالمام بشكل مقنع بحالة المستوطنة الفينيقية. ومما يرجح أن ليكسوس وناحيتها تحتاج الى القيام بالمزيد من الابحاث الاركيولوجية بحثا عن المدافن القديمة، أن عالم الآثار الفرنسي "رايمون توفنو" (R. Thouvenot) يورد أنه عثر عام 1934 على مجموعة من القبور "ذات الحجرة" في مدينة العرائش (Thouvenot(R), Les antiquités préislamiques dans la zone espagnole de l'empire chérifien, **Bulletin de l'enseignement publique**, 1934, p. 10). وتعزى صعوبة تحديد موقع المقبرة الفينيقية، الى كون المنشأة السابقة للقرن الخامس قبل الميلاد كانت موجودة في هضبة الهري، كما أبانت عن ذلك الاستبارات القياسية التي تمت بانتظام في عين المكان منذ عام 1950. وهذا يعني حسب "طراديل" (M. Tarradell) (Idem, Ibid) أنه ينبغي البحث عن موقع المقبرة أو المقابر الخاصة بهذه المنشأة في القطاع المحيط مباشرة بهذه الهضبة وغير بعيد عنها. وبما أن تلال ليكسوس تتميز بحدود واضحة، فمن الارجح الاعتقاد بأن الساكنة الفينيقية للمركز لم تكن تضطر لدفن موتاها في منطقة بعيدة بحكم قرب الاراضي الصالحة لذلك من محل سكناهم. وحيث أن "طراديل" (M. Tarradell) لم يعثر في ليكسوس سوى عن مقبرتين اثنتين واسعتين في كل من القطاع الشرقي والغربي للمدينة تجمعان على السواء قبور العصر البونيقي-الموريطاني والعصر الروماني، فإنه يرجح أن تكون المقبرة الفينيقية في نفس مكان المقبرتين أو على مقربة منهما، حيث تعتبر المقابر الحديثة في الغالب امتدادا للقديمة.

توجد عادة في المدافن الفينيقية مثل الحلي[22] وبيض النعام[23] لم تعرف منهما ليكسوس على ما يبدو نماذج واضحة التصنيف. هذا إذا استثنينا قطعة من بيض النعام تم اكتشافها مؤخرا باستبار الخروب عام 1999 على يد البعثة الاركيولوجية المغربية-الاسبانية[24]. وبذلك نعتقد أن أهم إسهام يفيد به هذا البحث، هو تصنيف وتبويب المعثورات الخزفية التي اكتشفها كل من "ميكيل طراديل" (M. Tarradell) و"ميشيل بونسيك" (M. Ponsich)، لتكون منطلقا لكل دراسة جديدة حول المرحلة الفينيقية بليكسوس. علاوة على استحضار ما

---

[22] تتوفر ليكسوس على علامات متعددة توحي بأن مستوياتها القديمة لم تكن خالية من الحلي الفينيقية. وفي هذا الباب، يشير "أندري جودان" (A. Jodin) في مقالته "حلي وتمائم المغرب البونيقي" (Bijoux et amulettes du Maroc punique, op. cit, p. 56) أن "ميكيل طراديل" (M. Taradell) عثر في مقابر ليكسوس، على العديد من الحلي المصنوعة من الذهب والفضة. ورغم أنه أورد هذه المعلومة في سياق خاص بالحلي الفينيقية الاصل المكتشفة بالمراكز المغربية، غير أنه لم يضف ما من شأنه أن يفيدنا في التعرف على شكل ونوع وتاريخ هذه الحلي المفترضة. فهل تعود بعض هذه الحلي الى القرط الذهبي الذي اكتشفه "طراديل" بالمدفن المعروف باسم القنطرة (Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 169) ؟. وكانت هذه الحلية على شكل هلال يضم صورة للربة تانيت منقوشة على شكل نقط. وهوقرط شبيه بنموذج مصدره جزيرة إيبيسا (Ibiza) (Vives y Escudero(A), Estudio de arqueología cartaginesa. La necrópolis de Ibiza, Madrid, 1917, Lám. IX, núm. 19)، وبنموذج آخر يوجد في المتحف الاثري بطنجة، تم العثور عليه إما في مدينة طنجة أو في ضواحيها، والذي كان مصدره كذلك من أحد المدافن.

كما يشير "ميشيل بونسيك" (M. Ponsich) في مؤلفه "أبحاث أركيولوجية بطنجة وناحيتها" (Recherches archéologiques à Tanger et dans sa région, op. cit, p. 142)، عندما كان بصدد تقديم الانواط المكتشفة في مقابر العصر الفينيقي بناحية طنجة، أن ليكسوس عرفت نماذج فضية من الانواع المعروفة باسم "الانواط ذات الصاع" (Pendeloques à boisseau). وقد ذكر بأن هذه الانواط اكتشفت في مقابر ليكسوس ما قبل-الرومانية المؤرخة بالقرن الرابع قبل الميلاد، وأن أحجامها كانت شبيهة بنماذج قرطاجة. غير أن "ميشيل بونسيك" (M. Ponsich) لم يقدم معلومات إضافية حول هذا النوع من الحلي الذي عرف رواجا تجاريا واسعا منذ العصر الفينيقي، تخص عدد النماذج المكتشفة بليكسوس وأشكالها. والغالب على الظن أن إحالته على الكتاب الذي كان سيصدره بمعية "ميكيل طراديل" (M. Taradell) (Ponsich(M), Recherches archéologiques à Tanger et dans sa région, op. cit, p. 142, note n° 81.)، يعني ضمنيا أنه كان يتوفر على ملف جاهز حول هذا المنتوج، الامر الذي لم نعثر له على أي أثر في منشوراته اللاحقة، خصوصا في مؤلفه "ليكسوس، حي المعابد". وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على أن العديد من المواد التي من المحتمل أن تكون منتوجات فينيقية، قد ضاعت بشكل أو بآخر.

وفي سلسلة "أخبار أركيولوجية وتراثية" (Nouvelles archéologiques et patrimoniales) التي يصدرها الاساتذة الباحثون بالمعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث منذ عام 1997، يذكر الاستاذان "حسيني" (H. Hassini) و"مليلو" (B. Mlilou)، أنهما تمكنا من العثور "في المقبرة الفينيقية بليكسوس" على نوط من نوع الانواط ذات الصاع (pendeloque à boisseau)، وذلك من جراء الامطار الطوفانية التي عرفها المغرب عام 1996 (Hassini(H) et Mlilou(B), Une pendeloque à boisseau trouvée à Lixus, **Nouvelles archéologiques et patrimoniales**, n° 1, Avril 1997, Publications de l' **I.N.S.A.P**, Rabat, 1997, p. 10.). وقد تم الكشف عن هذه الحلية التي توجد في حالة جيدة من الصيانة، في قبر من نوع المدافن على شكل الصندوق (tombe en caisson). وحسب الوصف الذي يقدمه المكتشفان، فإن هذا النوط يتكون من جزأين بارزين، تربطهما حليقتان صغيرتان. الجزء الاول على شكل قرط طويل مفتوح وممدود يبلغ طوله 35 مم وعرضه 15 مم، والجزء الثاني يتألف من صاع مربع الزوايا يبلغ طوله 20 مم وعرضه 7 مم. وبذلك يصل الطول الاجمالي للحلية 51 مم ووزنها 3,70 غرام. انطلاقا من هذه الاوصاف، يمكن على ما يبدو تصنيف هذا المعثور ضمن مجموعة الانواط ذات الصاع الفينيقية الاصل. وعند مقارنة نموذج ليكسوس بالانواع التي اكتشفها "ميشيل بونسيك" (M. Ponsich) بكثرة في مقابر العصر الفينيقي بناحية طنجة، يستنتج الباحثان "حسيني" (H. Hassini) و"مليلو" (B. Mlilou)، أن معثورهما ينتمي الى الانواع الصغيرة الحجم من تصنيف "بونسيك" (M. Ponsich). ذلك أن النماذج الكبيرة التي تعود الى مرحلة قديمة، كانت أحجامها تتراوح ما بين 55 مم و 66 مم، ووزنها يتراوح ما بين 5 و 6 غرام. من هذا المنطلق، تم اعتبار أن نوط ليكسوس ينتمي الى عصر أحدث من عصر نماذج ناحية طنجة، وبالتالي تم تصنيفه استنادا الى حجمه ضمن الحلي القرطاجية المؤرخة بالقرن الرابع قبل الميلاد.

[23] يشير "ميكيل طراديل" (M. Tarradell) أنه عثر في المستوى الفينيقي بليكسوس على قطع من بيض النعام. إلا أن أغلبية المكتشفات كانت في حالة مسحوقة، مما كان يتعذر معه في العديد من الحالات تحديد شكل الأنية. انظر :

Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 157.

[24] Caruana Clemente(I), Izquierdo peraile(I), Varia. Objetos diversos hallados en las excavaciones recientes, **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico- mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4**, 2001, cap. XV, p. 240, foto 8, p. 245.

أضيف من مستجدات في مجال المخلفات الاركيولوجية الفينيقية، بفضل الحفائر الجديدة التي شملت ليكسوس على يد البعثة الاركيولوجية المغربية-الاسبانية خلال سنتي 1995 و1999، سواء في استبار الخروب أو استبار الزيتونة.

فهل تمكننا المعطيات المصدرية والاركيولوجية التي تم تفصيلها في الجزئين الاول والثاني من الخروج ببعض الاستنتاجات التاريخية والحضارية حول ليكسوس خلال المرحلة الفينيقية ؟

الجزء الثالث

ليكسوس خلال الحقبة الفنيبيقية الهوية – المجال – الاقتصاد – التأسيس والمعبد

مقدمة

مما لاشك فيه، أن محاولة كتابة تاريخ ليكسوس خلال الحقبة الفينيقية التي نتوخاها في هذا الجزء، استنادا للمصادر القديمة التي تعكس الجذور الفينيقية لليكسوس، واعتمادا على دراسة مخلفات الفينيقيين بعين المكان، لا يمكن أن تكون سوى محاولة تمهيدية، وتصورا أوليا، واجتهادا ذاتيا. ويعزى ذلك بالاساس الى انعدام أية دراسة منوغرافية شاملة اعتمدت المنهج الاستقرائي الذي يوضّف في آن واحد المعطيات الإيستوريغرافية والمصدرية والأركيولوجية والمعرفية، للخروج باستنتاجات تاريخية حول هذه الحقبة.

ولتسطير الخطوط العريضة لتاريخ ليكسوس خلال الحقبة الفينيقية، تجدر الاجابة عن مجموعة من التساؤلات تطرح نفسها عادة في كل بحث مونوغرافي، والتي تتمحور حول مسألة الهوية والمجال والاقتصاد والتأسيس والدين. من هذه التساؤلات نذكر ما يلي :

ماذا يعني اسم ليكسوس، وما هو ارتباطه بالاسم الحالي للنهر، وعلاقته مع اسم "تَشُمِّسْ" الوارد في المصادر العربية للقرون الوسطى، ومع اسم "مقام شمش" المنقوش على واجهة بعض مسكوكات ليكسوس؟

هل كانت ليكسوس أرضا خلاءً عند قدوم الفينيقيين، أم كانت توجد بها نواة سكانية محلية ؟

ما هو النموذج الذي تنتمي إليه ليكسوس ضمن نماذج المنشآت الفينيقية التي أسسها الفينيقيون فيما وراء البحار ؟

هل تتوفر ليكسوس على المؤهلات الطوبوغرافية التي كان يبحث عنها الفينيقيون لتشييد مستوطناتهم؟

أين كان يوجد موقع المنشأة الفينيقية في ربوة تشميس؟ هل في الاعلى أم عند الضفة ؟

هل كانت ليكسوس تتوفر على مجال إقتصادي صالح للاستغلال الذي تتطلبه إقامة المنشآت الفينيقية، يؤمن لسكانها أسباب العيش ؟ وما هي الموارد التي تم استغلالها خلال الحقبة الفينيقية ؟

هل كانت ليكسوس تتوفر على منطقة نفوذ إقليمية تابعة لمجالها، تسمح لها بالقيام بنشاط اقتصادي ؟

متى أسست ليكسوس، وما هي علاقة هذا التأسيس بمعبد ملقارت الذي تحدثت المصادر القديمة عن وجوده في المدينة على صيغة معبد هرقليس ـــ هرقل ؟

هذه هي مجمل القضايا التي نتوخى توضيحها في الجزء الثالث من هذه الدراسة، كمحاولة لتسليط الاضواء حول الحقبة الفينيقية بليكسوس، ووضع اللبنات الاولى لكتابة تاريخ ليكسوس خلال هذه الحقبة. وذلك بالاعتماد على توظيف جميع المعطيات المصدرية والاركيولوجية والمعرفية المتوفرة، سواء المتعلقة منها مباشرة بليكسوس، أو المرتبطة بالدراسات الفينيقية ومستجداتها.

الفصل التاسع

الطوبونـــيميا

إذا كانت العديد من المنشآت الفينيقية لم تخلف إشارات عن أسمائها في المصادر المكتوبة، فإن اسم ليكسوس ورد بشكل مثير للانتباه في هذه المصادر. فقد ورد بأشكال متعددة سواء في المصادر الاغريقية-الرومانية التي تعرضت بشكل أو بآخر للمغرب القديم، أو في النقود التي تم سكها في المدينة، أو في النصوص الاسلامية الصادرة خلال العصر الوسيط. ولم تعرف أية مدينة من مدن المغرب القديم استعمال صيغ مختلفة ومتغيرة مثل ما عرفته مدينة ليكسوس، حيث اختلفت الاسماء التي أطلقت عليها باستعمال مشتقات عديدة من المصدر "ل ك س" (LKS) من جهة، واستعمال مشتقات كثيرة كذلك من مصدر " **ش م س**" (SHMS) من جهة ثانية.

I ــ ليكسوس- أولوكس- ليكسا - لِكْسْ ... :

من الملاحظ أن الصيغة التي وردت على شكل "ليكسوس" ($\lambda\iota\xi o\sigma$)، تعد أكثر الصياغ شيوعا ؛ وهي التي تحولت في النطق اللاتيني الى كلمة "ليكسوس" (*Lixus*) و"ليكسو" (*Lixu*) و"ليكسوس" (*Lixos*). وقد أطلقت هذه الصيغة سواء على المدينة أو على النهر الذي اقترن ذكره بشكل وثيق بالمدينة[1].

وأما النهر، فقد ورد ذكره على الصيغة الاغريقية "ليكسوس" ($\lambda\iota\xi o\sigma$) لدى حنون[2]، وفي الرحلة المنسوبة الى "سكيلاكس" (Scylax)[3]، ولدى "اصطيفانوس البيزنطي" (Stéphane de Byzance) نقلا عن "الاسكندر بوليهسطور" (Alexandre Polyhistor)[4]، ولدى "استرابون" (Strabon)[5]. كما ورد على الصيغة اللاتينية "ليكسو" (Lixo) لدى "بومبونيوس ميلا" (Pomponius Méla)[6]، و"ليكسوس" (Lixus) لدى "بلينيوس" (Pline)[7]، ولدى "سيليوس إيطاليكوس" (Silius Italicus)[8]. علاوة على صيغة ليكسوس القريبة من الاسم الحالي للنهر، وردت صيغة أخرى على شكل "ليدزا" ($\lambda\iota\delta\zeta\alpha$) أو "ليكسا"

---

(1) من أهم المراجع التي أوردت مجمل الاسماء التي أطلقت على النهر والمدينة، نذكر :
Tissot(Ch), Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie tingitane, op. cit, p. 203-205 ; Roget(R), Index de topographie antique du Maroc, op. cit, p. 49-51 ; Besnier(M), Géographie ancienne du Maroc, op. cit, p. 335-336 ; Desanges(J), Lixos dans les sources littéraires grecques et latines, op. cit, p. 1-6 ; Idem, Sources littéraires antiques sur Lixos, op. cit, p. 405-409.

(2) الفقرة السادسة والسابعة من رحلة حنون.

(3) Periple de Scylax, 112.

(4) الاسم الحقيقي للمؤلف الاغريقي "الاسكندر بوليهسطور" (Alexandre Polyhistor) هو "إسكندر ميندوس" (Alexandre de Myndos) ؛ وقد عاش في القرن الاول قبل الميلاد. انظر :
Alexandre Polyhistor, ap. St. de Byzance, in, Roget(R), Le Maroc chez les auteurs anciens, op. cit, p. 21.

(5) Strabon, XVII, 3, 2 et 8.

(6) Pomponios Mela, III, 10.

(7) Pline, Histoire Naturelle, V, 4 et 9.

(8) Silius Italicus, 3, 258.

($\lambda\iota\xi\alpha$) لدى "اصطيفانوس البيزنطي" (Stéphane de Byzance) نقلا عن "هيكاتيوس الميليتي" (Hécatée de Milet)[9]. كما وردت صيغة ثانية لدى "بطلموس" (Ptolémée) على شكل "ليكس" ($\lambda\iota\xi$)[10].

كما أورد المؤلفون الكلاسيكيون صيغا أخرى مختلفة تماما عن صيغة اللكوس، نذكر من بينهم "يوليوس هونوريوس" (Julius Honorius) الذي أطلق على نهر اللكوس اسم "نهر الهيسبيريديس" (Fluvius Hesperides)، أو "جغرافي رافينا" (Géographe de Ravenne) الذي أطلق عليه اسم (La Turbulenta) أو (Davina)[11]. وبذلك يعد واد اللكوس أهم نهر من الانهار المغربية يرد ذكره بشكل مستفيض في المصادر القديمة، مما يعكس مكانته وأهميته كعنصر أساسي في تشييد ليكسوس.

أما فيما يتعلق بالمدينة، فعموما كان الاسم الذي أطلق عليها لايختلف كثيرا عن الاسم الذي نُعت به النهر. فقد ورد هذا الاسم على الصيغة الاغريقية "ليكسوس" ($\lambda\iota\xi o\sigma$) في الرحلة المنسوبة الى "سكيلاكس")[12]، ولدى "إيراطوسطين" (Eratosthène)[13]، ولدى "استرابون" (Strabon)[14]. كما ورد باللاتينية على شكل "ليكسوس" (Lixos) لدى "بومبونيوس ميلا"[15]، و"بلينيوس"[16]، وعلى شكل "ليكسوس" (Lixus) لدى "بلينيوس"[17] و"سيليوس إيطاليكوس" (Silius Italicus)[18].

ولم يقتصر الاقدمون على معرفة مدينة ليكسوس بالاسماء التي مر ذكرها، بل نجدهم يطلقون عليها أشكالا أخرى. ففي "لائحة المناصب العليا" (Notitia dignitatum) التي تم تدوينها ما بين سنة 395 و425 ميلادية، نجد إشارة الى اسم "أولوكوس" (Aulucos)، باعتبارها إحدى الحاميات العسكرية الرومانية التي كانت تحت إمرة "قائد الفصيلة الاولى الهرقلية"[19]. ويرى "شارل تيسوت" (Ch. Tissot) أن المقصود بأولوكوس في هذه اللائحة هو مركز ليكسوس[20]، معتبرا أن الكلمة قريبة من النطق الحالي للنهر، وأنها

---

(9) Héctée de Milet ; ap. Desanges(J), Sources littéraires antiques sur Lixos, op. cit, p. 405.

(10) Ptolémée, IV, I, 2.

(11) وردت هذه الصيغ لدى "موريس بيسنيي" (M. Besnier). انظر :
Besnier(M), Géographie ancienne du Maroc, op. cit, p. 335.

(12) Periple de Scylax, 112.

(13) Eratosthène ; ap. Strabon, XVII, 3, 2 et 8.

(14) Strabon, Ibid.

(15) Pomponius Méla, III, 10.

(16) Pline, Histoire Naturelle, V, 3, 4.

(17) Pline, Histoire Naturelle, V, 5 ; XIX, 63.

(18) Silius Italicus, 5, 400.

(19) تشير "لائحة المناصب العليا" الى أن "كونت" موريطانيا باعتباره القائد العسكري الاعلى، كانت تحت إمرته سبعة ضباط مكلفين بقيادة المراكز الحدودية. من بين هؤلاء القياد ورد قائد حامية "أولوكوس". انظر :
Notitia dignitatum, oc., XXVI, 5 ; XXVI, 15 ; ap. Tissot(Ch), Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie tingitane, op. cit, p. 307-308.

(20) Tissot(Ch), Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie tingitane, op. cit, p. 308.

متشابهة مع الصيغة التي أوردها البكري على شكل "نهر واولكس"[21]. وفي هذا الصدد، نشير الى أن الادريسي أورد كذلك نفس الكلمة المذكورة في لائحة المناصب العليا، على صيغة "أولكس"[22]، مما يرجح أن الامر يتعلق بليكسوس سواء المدينة أو النهر.

ومن جهة أخرى نجد شكلين آخرين لهذا الاسم.الشكل الاول ورد على صيغة "ليكسا" (λιξα /Lixa)، عند "اصطيفانوس البيزنطي" (Stéphane de Byzance) نقلا عن "الاسكندر بوليهسطور" (Alexandre Polyhistor)[23]، وورد في لائحة الابرشيات[24].أما الشكل الثاني فكان على شكل "ليكس" (λιξ /Lix)، وورد عند "بطلموس"(Ptolémée)[25]، وفي"دليل أنطونينوس"(Itinéraire d'Antonin)[26]، وعند "بوليـيوس صوليـنوس" (Julius Solinus)[27]، و"بوليوس هونوريوس"[28]، و"جغرافي رافينا" (Géographe de Ravenne)[29].

ويبدو أن هذه الصيغة الاخيرة تعد أقرب الصيغ الى النطق العادي، وربما أقربها الى النطق الذي أطلقه الفينيقيون على المركز. فعلى واجهة النقود التي ضربت في ليكسوس خلال العصر الموريطاني، ورد اسم المدينة سواء على صيغة "ليكس" (LIX) أو "ليكس" (LIXS) باللاتينية، وعلى صيغة "لكش" (LKŠ) بالبونيقية الحديثة[30]. وفي هذا المضمار، يشير "شارل تيسوت"[31] الى وجود مدالية تحمل الترجمة الاغريقية لنفس الاسم[32]، مما ساعد على توثيق نطق الكلمة، التي قد تكون حسب المؤلف نفسه[33] على شكل "ليكّس"

---

[21] البكري(عبد الله)، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، الجزائر، مطبعة الحكومة، 1857، ص. 110 و114.

وقد علق "دي سلان" في ترجمته للبكري على هذه الكلمة، مبرزا أن حرف الواو المضاف الى "لكس" إنما هو اسم موصول في البربرية، يعني "الذي هو". انظر:

El Bekri, Description de l'Afrique septentrionale, trad. de Slane, Edition revue et corrigée, Paris, 1965, p. 215, n° 1.

[22] أورد محمد الادريسي ما يلي في هذا الصدد : « ***من بلاد مكناسة في جهة الغرب، الى قصر عبد الكريم ثلاث مراحل. وقصر عبد الكريم يسكنه قوم من البربر يسمون دنهاجة. وهي مدينة صغيرة عامرة بأخلاط دنهاجة. وهي على نهر اولكس...***». انظر :

الادريسي(محمد)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، بدون تاريخ، المجلد الاول، ص. 246.

[23] Alexandre Polyhistor ; ap. St. de Byzance, in Roget(R), Le Maroc chez les auteurs anciens, op. cit, p. 21.

[24] Thronos Alexandrenos, 143 : Lixa ; ap. Chourtois(Ch), Les vandales et l'Afrique, Paris, 1955, n° 6, pp. 327-328.

[25] Ptolémée, IV, 1, 7.

[26] Itinéraire d'Antonin, 7, 2.

[27] Julius Solinus, 2, 4, 3.

[28] Julius Honorius, Cosmographia, V, 4.

[29] Géographe de Ravenne, III, 11.

[30] Mazard(J), Corpus nummorum Numidiae Mauretaniaeque, Paris, 1955, n° 630-642.

[31] Tissot(Ch), Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie tingitane, op. cit, p. 203.

[32] لم يضف "شارل تيسوت" (Charles Tissot) أية معلومة إضافية حول هذه المدالية تتعلق بتاريخ الصنع ومكانه، ولا بتاريخ الاكتشاف. كما أنه لم يقدم إضاحات أخرى تفيدنا في أخذ فكرة حول الشكل المرفلوجي للمدالية، ونوع المعدن المستعمل. ومن جهة أخرى، لا نعلم هل كانت الكتابة المستعملة تقتصر على الخط الاغريقي، أم كانت كتابة مزدوجة اللغة، تتضمن حروفا فينيقية أو بونيقية الى جانب الحروف الاغريقية.

[33] Tissot(Ch), Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie tingitane, op. cit, p. 203.

(λιξ /Lix). وبذلك تمثل هذه الكلمة حسب "موريس بيسنيي" (M. Besnier) الترجمة الاغريقية للتسمية التي استعملها الفيـــنيقـــيون [34]. كـما يعلق "شارل تيسوت" على الفرق الحاصل بين صيغة "لكس" وصيغة "أولكس"، معتبرا أن إضافة "أو" (Au) الى كلمة "لكس" حصلت في العهود المتأخرة من السيطرة الرومانية على موريطانيا الطنجية، مما يوحي بحدوث انبعاث للعنصر المحلي، الذي أخذ يسترجع مكانته في الطوبونيميا [35].

علاوة على الصيغ السالفة، نجد شكلين آخرين في المصادر القديمة تم مزجهما بليكسوس، وهما "لينكس" (Lynx) و"ترينكس" (Trinx). وقد ورد الشكلان معا لدى "استرابون" [36]، الذي استند في الصيغة الاولى على "أرطيميدور" (Artémidore) [37]، وأورد أن الصيغة الثانية كانت تمثل الاسم الذي أطلقه المحليون على ليكسوس. وقد أثار هذان الاسمان جدالا بين المحدثين [38]، كما أثير من قبل حسب ما يفهم من "استرابون" نفسه، الذي تمسك في نهاية المطاف برأي "إيراطوسطين" الذي ينقد "أرطيميدور"، ويعتبر أن الاسم الحقيقي للمدينة هو ليكسوس (Lixus)، مما يعني ضمنيا أن "لينكس/ترينكس" غير ليكسوس.

وهكذا يبدو مما سلف، واستنادا لورود عبارة "لكس" في نقود ليكسوس المكتوبة باللغة البونيقية الحديثة [39]، أن هذه العبارة كانت تمثل الاصل في الشكل الاغريقي (λιξοσ) واللاتيني (Lixus). كما يمكن اعتبار أن اسم النهر كان سابقا لاسم المدينة [40]، بدليل أن "اصطيفانوس البيزنطي" (Stéphane de Byzance)، الذي اهتم بعلم الاشتقاق، أورد نقلا عن "الاسكندر بوليهسطور" (Alexandre Polyhistor)،

---

(34) Besnier(M), Géographie ancienne du Maroc, op. cit, p. 336.

(35) من الملاحظ في هذا الصدد أن النصوص الاسلامية تعكس بدورها هذا الانبعاث، بدليل هيمنة الطوبونيميا البربرية بمنطقة ليكسوس. فالبكري يشير الى مدينة القصر الكبير بصيغة سوق كتامة، ويشير الى رباط حارة الاحشيش (البكري(عبد الله)، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، المصدر السابق، ص. 114). ويشير الاستبصار الى مصب واد اللكوس بصيغة بحيرة أمسنا الموجودة قرب تشمس (كتاب الاستبصار في عجائب الامصار (مجهول)، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، الدار البيضاء، دار النشر المغربية، 1985، ص. 140). ويذكر الادريسي أن أرض تشميس «***لها قرى عامرة بأصناف من البربر قد أفنتهم الفتن وأبادتهم الحروب المتوالية***» (الادريسي(محمد)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المصدر السابق، المجلد الثاني، ص. 530).

(36) Strabon, XVI, 3, 2.

(37) Strabon, XVI, 3, 3 et XVII, 3, 6.

(38) يعتبر "شارل تيسوت" (Ch. Tissot) مثلا أن الاسماء الثلاثة (لينكس-ترينكس-ليكسوس) أسماء مترادفة، وأن "ترينكس" ليست إلا الشكل البربري للينكس، مع إضافة حرف التاء للتأنيث ؛ وهو أمر عاد في اللهجات البربرية. أما استبدال حرف اللام بحرف الراء، فهو كذلك أمر وارد كذلك في لهجات جبال الريف. انظر :

Tissot(Ch), Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie tingitane, op. cit, p. 204-205.

أما "استيفان كسيل" (S. Gsell)، فإنه يرى على العكس من ذلك أن المقصود بكلمة "ترينكس" (Trinx) مدينة أخرى دون ليكسوس، لانها حسب قول "استرابون" (Strabon) كانت توجد بالقرب من رأس "كوطيس"، أي رأس اسبارتيل، مرجحا أ، الامر يتعلق ربما بمدينة "كوطا". أما كلمة "لينكس" (Lynx)، فقد تكون حسب نفس المؤلف الاسم الفينيقي لكلمة "ترينكس" (Trinx). انظر :

Gsell(S), Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord, op. cit, t. II, p. 170.

أما "جيهان ديزانج"، فإنه يعتقد أن "ترينكس" (Trinx) ربما كانت المدينة الليبية التي أشار إليها "سكيلاكس"، والموجودة على الضفة اليسرى لواد اللكوس. انظر :

Desanges(J), Recherches sur l'activité des Méditérranéens aux confins de l'Afrique, op. cit, p. 113-114.

(39) Mazard(J), Corpus nummorum Numidiae Mauretaniaeque, op. cit, p. 189-192.

(40) لا نستغرب من ذلك، نظرا لاستمرارية الطوبونيميا البربرية الى يومنا هذا في جل أسماء الاماكن والانهار والجبال.

أن اسم المدينة "ليكسا" ($\lambda\iota\xi\alpha$) مشتق من اسم النهر "ليكسوس" ($\lambda\iota\xi o\sigma$)[41]. من هنا يبدو أنه من المنطقي افتراض أن كلمة ليكسوس غير فينيقية الاصل، على العكس مما يراه المستشرق الالماني "موفيرس" (Movers) في كون الكلمة لها اشتقاقا فـــــينيقيا[42]. أو على خلاف ما كان يعتقده كل من "شارل تيسوت"[43] و"ستيفان كسيل" (S.Gsell) من كون "لينكس" (Linx) تمثل الاسم الفينيقي لكلمة "ترينكس" (Trinx)[44]. كما أنه من المستبعد أن تكون كلمة ليكسوس إغريقية الاصل، كما يوحي بذلك "أنطونيو بلاسكيس" (A.Blazquez)، لمّا إعتبر أن ثلاثة شعوب بآسيا الصغرى، التي كانت تقطن بالمنطقة ذات التأثير الاغريقي، عُرفت بإسم ليكسوس[45].

وهكذا يتبين على ما يبدو أنه لا مناص من التسليم بالاصل المحلي لكلمة "لكس"[46]. وإذا كان الامر كذلك، فماذا يمكن أن تعني هذه الكلمة بالبربرية أو بإحدى لهجاتها ؟ في الواقع لا نستطيع الجزم في الموضوع، على أن "جورج مارسي" (G.Marcy)، وهو متخصص في اللغة الامازيغية ولهجاتها، يرى أن كلمة "لكس" في لهجة الاهكار يمكن أن تعني الوحل[47]، وبالتالي فإن أسيف "أولكس" أو "وَ أولكس" هو وادي الوحل والمياه المليئة بالطمي. وترجيحا لهذه القراءة، يورد "إيميل لاووست" (E.Laoust) أن كلمة "إيلوك" لها علاقة بما معناه "الرمال المتحركة، أو الاوحال العميقة التي تبتلع كل من يلجها"[48]. كما أن كلمة "ألاكو" تعني الوحل أو الطين التي تترسب في قعر المياه، وكلمة "ألكسيس" (Alxix) تعني التربة المُغْبَرَّة في لهجة آيت مرغاد[49]. وبذلك تنسجم هذه التفاسير مع طبيعة نهر "اللكوس" أو "أسيفْ أولوكوس" الذي نعته السكان القدامى للمنطقة باسم "الواد الغريني"، أو تتناسب مع البيئة المرتبطة بالنهر المتميزة بتربتها الخصبة.

II ـــ الشُمَيّس – تشميس – مقام شمش :

مع نهاية السيطرة الرومانية، تختفي صيغة ليكسوس من المصادر الاغريقية-الرومانية، لتبزغ من جديد في العصر الاسلامي، لكن على صيغة "تَشَمُّس" أو "تُشَمَّس" أو "تَشَمُّس" أو "تِشَمُّس" أو "تَشُومِّس" أو

---

(41) Alexandre Polyhistor ; ap. St. de Byzance, in Roget(R), Le Maroc chez les auteurs anciens, op. cit, p. 21.

(42) Movers(K), Die Phönizier, t. II, op. cit, p. 540.

غير أن هذه المعلومة التي تعرفنا عليها من خلال "ستيفان كسيل" و"بيير سانتاس" ،لم تقدم إضاحات حول المصدر الفينيقي المفترض، ولا حول اشتقاق الكلمة. انظر :

Gsell(S), Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord, op. cit, t. I, p. 361, note n° 13 ; Cintas(P), Manuel d'Archéologie punique, T. II, op. cit, p. 246.

(43) Tissot(Ch), Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie tingitane, op. cit, p. 204.

(44) Gsell(S), Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord,op. cit, t. II, p. 170.

(45) Blazquez(A), Las costas de Marruecos en la antigüedad, op. cit, p. 403.

(46) Carcopino(J), Le Maroc antique, op. cit, p. 24.

(47) Marcy(G), Notes linguistiques autour du périple d'Hannon, op. cit, p. 60-62.

(48) Laoust(E), Contribution à une étude de la toponymie du Haut Atlas, Paris, Librairie orientaliste Paul Geuthner, 1942, p. 63.

(49) Haddachi(A), Dictionnaire de Tamazight. Parler des Ayt Merghad (Ayt Yaflman), Imprimerie Beni Snasen, Salé, 2000, p. 21.

"تشُمِّش" أو "شُمُّس". فقد وردت عند ابن حوقل[50] في القرن العاشر الميلادي، ثم عند البكري[51] في القرن الحادي عشر، ثم عند الادريسي[52] في أواسط القرن الثاني عشر، وفي الاستبصار[53] في أواخر نفس القرن. كما وردت خلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر لدى ياقوت الحموي[54]، الذي أشار إليها نقلا عن ابن حوقل في مؤلفه معجم البلدان. ووردت كذلك خلال نفس المرحلة لدى ابن سعيد المغربي[55]، الذي تحدث عن "تشمس" قائلا في شأنها بأنها كانت مدينة في عهد العلويين[56]، ثم أصبحت قرية. وفي الذخيرة السنية لابن أبي زرع، الذي توفي سنة 1326 ميلادية، وردت إشارة إلى حملة قام بها "النصارى" على «مدينة العرائش وشُمُّسْ في سنة ثمان وستين وستمائة من شهر محرم»[57].

وخلال القرن الخامس عشر، وردت ليكسوس في "الروض المعطار" للحميري على صيغة "تشومس"، باعتبارها مدينة للمغرب في جهة أصيلة[58]. بعد ذلك لانجد أي ذكر لليكسوس في المصادر العربية، سوى في الاشارة التي وردت في معاهدة الصلح التي وقعها محمد الشيخ الوطاسي في 27 غشت

---

(50) « *وادي سفدد، وهو واد كبير عظيم غزير الماء، يحمل المراكب، عذب، ومنه شرب أهل تشمّس. وهي مدينة لطيفة قديمة أزلية أولية جاهلية. وعليها سور من البناء الاول. تركب وادي تشمّس هذا المعروف بسفدد، وبينها وبين البحر نحو ميل. ويمد سفدد شعبتان تقع فيه : إحداهما من بلد صنهاجة من جبلي البصرة، والثانية من بلد كتامة. وكلتاهما ماء كثير...*». انظر :

ابن حوقل(أبو القاسم)، كتاب صورة الارض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1979، ص. 80.

(51) « *مدينة "تشُومّس" مدينة ميمون بن القاسم. وهي مدينة أولية عليها سور صخر كبيرة آهلة كثيرة المياه والثمار*». انظر :

البكري(عبد الله)، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، المصدر السابق، ص. 114.

(52) أورد محمد الادريسي ما يلي في أمر "تشمس" : « *من مدينة طنجة ينعطف البحر المحيط الاعظم آخذا من جهة الجنوب الى ارض تشمس. وتشمس كانت مدينة كبيرة، ذات سور من حجارة تشرف على نهر سفدد...*» انظر :

الادريسي(محمد)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المصدر السابق، المجلد الثاني، ص. 530.

(53) ورد في الاستبصار (المصدر السابق، ص. 140) ما يلي : « *مدينة تشُمُّس : وهي مدينة قديمة أزلية فيها آثار للاول. وهي على نظر واسع كثيرة الخصب والزرع...*». كما ورد في المصدر نفسه (ص. 189) ما يلي: « *مصب نهر لُكّس في البحر على 15 ميلا أو نحوها* [من قصر صنهاجة]. *على المدخل حصن كبير قديم يسمى تشُمُّس قدمنا ذكره. وكان ادريس بن القاسم بن ابراهيم العلوي قد أحيا رسمه وأظهره. فهو الى الآن معمور ويسكنه المتعيشون من البحر. وهو كثير الامراض وفي الهواء وخم الماء. ومنه تشحن المراكب بالزرع*».

(54) « *تُشُمَّسَ : بضمتين، وتشديد الميم، والسين المهملة : مدينة قديمة بالمغرب، عليها سور من البناء القديم، تركب وادي شفدد، وبينها وبين البحر المغربي نحو ميل، ويمد وادي شفدد شعبتين تقع إليه إحداهما من بلد صنهاجة من جبلي البصرة. والثانية من بلد كتامة. وكلاهما ماء كثير. وفيه يحمل أهل البصرة تجاراتهم من المراكب ثم يخرجون الى البحر المحيط، ويعودون الى البحر الغربي فيسيرون حيث شاؤوا منه. وبين مدينة تشمس هذه وبين مدينة البصرة دون مرحلة على الظهر، وهي دون طنجة بأيام كثيرة*». انظر :

الحموي(ياقوت)، معجم البلدان، دار صادر ودار بيروت، بيروت، 1979، المجلد الثاني، مادة : تُشُمَّسُ، ص. 32.

(55) « *مصب نهر القصر، وهو مشهور عند المسافرين في البحر المحيط. وعلى جانبه الجنوبي عند البحر العرائش، وعلى جانبه الشمالي تشمس. وكانتا مدينتين في مدة العلويين، ثم صارتا قريتين. ومن هذا المصب الى مدينة ارياد على البحر المحيط عشرون ميلا*». انظر :

ابن سعيد(علي)، كتاب الجغرافيا، تحقيق، اسماعيل العربي، المكتب التجاري، بيروت، 1970، ص. 138.

(56) المقصود بالعلويين في هذا السياق هم الادارسة.

(57) « *وفيها* [أي في سنة 668 هجرية] *دخل النصارى حصن العرائش وحصن شمس بالسيف، فقتلوا الرجال وسبوا النساء والاموال وأحرقوها وارتحلوا في الاجفان*». انظر :

ابن أبي زرع(علي)، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور، الرباط، 1972، ص. 121.

(58) « *تشُومّس مدينة في المغرب في جهة أصيلة. وهي مدينة قديمة، فيها آثار كثيرة للاول وهي على نظر واسع كثير الخصب والزرع والضرع* ». انظر :

الحميري(محمد بن عبد المنعم)، الروض المعطار في خبر الاقطار، مرجع سابق، ص. 141.

1489 مع البرتغاليين. وقد وقعت المعاهدة في "شميس" بعد إنهاء الملك المغربي لحصار جزيرة مليحة المعروفة لدى البرتغال بجزيرة "كراسيوسا" (Isla Graciosa)[59]. هذه الواقعة، نجدها واردة كذلك عند الحسن الوزان[60] ومحمد الكراسي في "عروسة المسائل"، وفي رسالة بعثها ملك البرتغال "جواو الثاني" الى البابا "إينوسينطي الثامن" (Innocente VIII).

وهكذا نلاحظ أن المصادر الاسلامية التي تعرضت بشكل أو بآخر لمدينة ليكسوس، اقتصرت على استعمال الاسماء المشتقة من المصدر "شمس". وهو الاسم الذي مازال يستعمل الى يومنا هذا، إذ تُعرف حاليا الربوة التي توجد فوقها أطلال ليكسوس بربوة الشميس[61]. فهل هذا يعني أن مصدر هذا الاسم مصدر عربي، وأنه لم يظهر إلا مع قدوم العرب الى المنطــقة ؟ أم أن كلمة الشميس لها جذور ترجع الى العصر القديم ؟

لمحاولة الاجابة على هذا التساؤل، يجدر التذكير في هذا الباب أن مجموعة من النقود البرونزية التي تعود الى عهد بوخوس الثالث أو يوبا الثاني[62]، سواء البلدية منها أو الملكية، كانت تحمل باللغة البونيقية الحديثة عبارة "مقام شمش" (MQM ŠMŠ)[63]. وقد تم العثور على هذه المسكوكات بوفرة في جل حواضر المغرب القديم خلال العصر البونيقي–الموريطاني، بكل من ليكسوس وزيليل (الدشر الجديد) وتمودا وبناصا وتموسيدا ووليلي وسلا[64]، مما يدل على الرواج الكبير الذي حظيت به هذه النقود. وكان باحث النميات الفرنسي "جان مازارد" (J.Mazard)، الذي درس المجموعات النقدية لكل مدن "موريطانيا الطنجية"، أول من سلّم بانتماء هذه النقود الى ليكسوس، بعد أن خلص الى انعدام وجود أية مدينة تحمل اسم "مقام شمش"، تثبتها الأبحاث الاركيولوجية وتوردها النصوص القديمة[65]. بينما كانت المسكوكات الاخرى تنتسب جميعها الى أسماء مدن أشارت المصادر الادبية الى وجودها بشكل واضح.

---

(59) وهي جزيرة صغيرة توجد في المجرى الاسفل لواد اللكوس بين تشمس والقصر الكبير.

(60) الوزان(الحسن)، وصف إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الاخضر، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1983، الجزء الاول، ص. 310.

وتجدر الاشارة أن الوزان يذكر المعاهدة وأسباب وظروف عقدها، لكنه لا يشير الى مكان إبرامها. وفي الهامش رقم 101 من المصدر المذكور نقرأ : « عقدت هذه المعاهدة يوم الخميس 30 رمضان 894 هجرية الموافق ليوم 27 غشت 1489 بمدينة تشميش. وربما كانت هي المدينة القديمة المهجورة التي مازالت أطلالها باقية على مقربة من الجزيرة على الضفة اليمنى لنهر اللكوس».

(61) من الملاحظ أن نفس الاسم كان واردا في بعض المصادر الاسلامية، التي أطلقت على مدينة ليكسوس اسم شُمّس.

(62) أي أنها كانت تؤرخ بالقرن الاول قبل الميلاد.

(63) Mazard(J), Corpus nummorum Numidiae Mauretaniaeque, op. cit, n° 643-648.

(64) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 175 ; Marion(J), Notes sur les séries monétaires de la Mauritanie tingitane, **B.A.M**, t. IV, 1960, p. 449 ; Idem, Les monnaies de Shemesh et des villes autonomes de Maurétanie tingitane au musée Louis Chatelain à Rabat, **Antiqités afriquaines**, t. 6, 1972; Akerraz(A) et autres, Recherches archéologiques récentes à Dchar Jdid (Zilil) : Les découvertes monétaires, in **Bulletin de la société française de numismatique**, février, 1989, p. 514.

(65) Mazard(J), Corpus nummorum Numidiae Mauretaniaeque, op. cit, p. 189.

وفيما يتعلق بمعنى عبارة "مقام شمش" الواردة في هذه النقود، كان الباحث الفرنسي يترجمها بعبارة "مدينة الشمس"[66]، معللا رأيه بوجود تطابق صوتي ومعنوي بين كلمة "شمش" و"تشميس" أو "الشميس"، الاسم الذي يطلق حاليا على الربوة الصخرية التي شيدت بها ليكسوس، والذي يعني "المشمسة"[67]. وحيث أن ليكسوس كشفت عن مسكوكات معاصرة لمسكوكات "مقام شمش"، تحمل اسم "ليكس" (LIX) باللاتينية أو "لكش" (LKŠ) بالبونيقية الحديثة، اعتبر "مازارد" أن حضور العملتين لا يمكن تفسيره سوى بتوفر المدينة على دارين منفصلتين للسكة. وقد رجح في هذا الصدد أن عبارة "مقام شمش" كانت تمثل حيا من أحياء المدينة، اعتبره بدون شك الحي الفينيقي[68]. وقد نتج عن هشاشة الحجج التي ارتكز عليها "مازارد" عدم اعتماد نظريته في مسألة نقود "مقام شمس"، دون أن يتمكن مع ذلك جل المهتمين إذاك من تقديم بديل مقنع لمسألة هذه النقود.

وفي السبعينيات من القرن العشرين، تم التحقيق في الموضوع من جديد، من خلال دراسة واسعة لنقود "مقام شمش" المعروضة في المتحف الاركيولوجي بالرباط، قام بها الباحث الفرنسي في النميات "جان ماريون" (J.Marion)[69]. وقد أسفرت هذه الدراسة على التأكيد على الفرضية السابقة، التي ترى بأن هذه المسكوكات تم ضربها بليكسوس[70]. انطلاقا من ذلك، واستنادا الى ترجمة "مقام شـــــــمش" بمدينة الشمس، حاول "ماريون" أن يفسر لماذا حملت هذه المدينة خلال نفس العصر اسمين مختلفين، في الوقت الذي كانت جميع المدن المعاصرة لها تحمل اسما واحدا دون غيره. فهل هذا يعني أن اسم ليكسوس ينتمي الى

---

[66] وهو الرأي الذي رجحه كذلك "ستيفان كسيل" (S. Gsell)، الذي يرى أن منشأة ليكسوس كانت تدعى من طرف الفينيقيين "مدينة الشمس"، الامر الذي يمكن تفسيره بأهمية عبادة أحد الآلهة الشمسية، والذي قد يكون ملقارت. انظر :

Gsell(S), Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord,op. cit, t. II, p. 174.

[67] Mazard(J), Corpus nummorum Numidiae Mauretaniaeque, op. cit, p. 189.

[68] Idem, Ibid, p. 189.

[69] Marion(J), Les monnaies de Shemesh et des villes autonomes de Maurétanie tingitane au musée Louis Chatelain à Rabat, op. cit , p. 59-127.

[70] وقد اعتمد "جان ماريون" (J. Marion, Ibid, p. 72) في ذلك على الملاحظات التالية :

- التقارب الحاصل بين كلمة "شمش" الواردة في النقود، واسم "تشميس" الذي تعرف به ربوة ليكسوس حاليا، والذي عرفت به كذلك في المصادر العربية خلال العصور الوسطى. وفي هذا الصدد، نشير الى أن مجموعة من المؤلفين مثل "هينريخ بارث" (Heinrich Barth) و"شارل تيسوت" (Ch. Tissot) و"هنري دي لامارتينيير" (Henri de la Martinière) و"ستيفان كسيل" (S. Gsell) و"لويس شاطلان" (L. Chatelain) و"رايموند روجي" (Raymonde Roget) كانوا يقرنون تشميش بليكسوس (Barth(H), Geogr. graeci min. t. I, édition Didot, p. 90-112 ; Tissot(Ch), Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie tingitane, op. cit, p. 205 ; De La Martinière(H), Recherches sur l'emplacement de la ville de Lixus, op. cit, p. 134-148 ; Gsell(S), Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord,op. cit, t. II, p. 172-174 ; Chatelain(L), Le Maroc des Romains, Paris, 1944, p. 53 ; Roget(R), Index de topographie antique du Maroc, op. cit, p. 52).

- وجود نقد لشمش يتضمن حروف ل ك متبوعة بحرف ش على ما يبدو. وبذلك يرى ماريون أن الامر يتعلق بنقد مولّد (hybride) يقرن بشكل واضح شمش بليكسوس.

- وجود نقد مولّد ثان يتوفر في وجهه الاول على الصور والكتابات الخاصة بمسكوكات ليكسوس، وفي الوجه الثاني على الصور والكتابات المتعلقة بمسكوكات "مقام شمش".

اسم مدينة ليبية، ومقام شمش ينتمي الى مدينة بونيقية كانت تجانبها، على شكل حي مستقل كما يرى "مازارد")[71] ؟

في الواقع يجدر استبعاد هذا الاحتمال، إذ نجد مثلا أن مدن وليلي وسلا وطنجة وتموسيدا لم تتغير أسماؤها لما جاورت المدينة الرومانية سالفتها الموريطانية وأحلت في محلها.كما أن الاعتقاد بوجود مدينة محلية بليكسوس يتناقض حسب "مـــــاريون"[72] مع الايستوريوغرافيا القديمة التي قدمت ليكسوس كمستوطنة فينيقية قديمة ومشهورة وليس كمدينة ليبية. والدليل على ذلك أن سكيلاكس وصفها في عهده باعتبارها "مدينة للفينيقيين" حسب تعبيره[73]. كما أن حفائر "ميكيل طراديل" و"ميشيل بونسيك" أثبتت بشكل واضح حسب "مـــاريون"[74] أن ليكسوس أنشأها البحارة الفينيقيون بالتأكيد في أرض خلاء (ex nihilo) وليس بالقرب من مدينة محلية كانت موجودة من قبل.

ورغم أن مسألة انتماء نقود "مقام شمش" لليكسوس أمر يتفق عليه معظم الدارسين، ورغم أن العناصر التي تم تحليلها تعتبر كافية لترجيح هذا الانتماء، فإن الباحث في النميات "جاك أليكساندروبولوس" (J.Alexandropoulos)[75] يعتبر أن هذه النقود تشتمل أيضا على ما يبرر عدم سكها في مدينة ليكسوس[76]. ومع ذلك فإنه يقر بأن إسهامه حول سك العملة في ليكسوس، يدخل في إطار الفرضيات،

---

(71) Mazard(J), Corpus nummorum Numidiae Mauretaniacque, op. cit, p. 189.

(72) Marion(J), Les monnaies de Shemesh et des villes autonomes de Maurétanie tingitane au musée Louis Chatelain à Rabat, op. cit , p. 73.

(73) Periple de Scylax, 112.

(74) Marion(J), Les monnaies de Shemesh et des villes autonomes de Maurétanie tingitane au musée Louis Chatelain à Rabat, op. cit , p. 73.

(75) Alexandropoulos(J), Le Monnayage de Lixus : Un état de la question, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), Collection de l'Ecole française de Rome, n° 166, Palais Farnèse, 1992.

(76) يلاحظ على "جاك أليكساندروبولوس" (J. Alexandropoulos) أنه لم يدحض فرضية ربط ليكسوس بمقام شمش، لكنه يُذكّر بأن هذه الفرضية تصطدم بمجموعة من المعوقات، وأن هذه المعوقات تعتبر كثيرة للغاية حتى يظل المرء مصرا على اعتبار أن هذه النقود تم سكها بليكسوس دون أي تمحيص. من هذه المعوقات يذكر الباحث الفرنسي :

– أن العنصر الطوبونيمي، الذي كان يعتبر دائما عنصرا فاصلا في مسألة انتماء هذه النقود الى ليكسوس، بحكم تشابه عبارة "مقام شمش" الواردة في هذه النقود مع اسم "تشميش" الذي يطلق على أطلال ليكسوس، يحتاج الى التأكيد بشكل أو بآخر، رغم أن هذا العنصر يعتبر عنصرا معقولا.

– أن العناصر التصويرية أو المسكوكاتية المتشابهة في سكة "لكش" و"مقام شمش"، والتي تم الاعتماد عليها لاستنتاج أن المجموعتين تعود الى مدينة واحدة، تعتبر عناصر ضعيفة. من هذه العناصر يحيل "جاك أليكساندروبولوس" على نقدين اعتبرهما "جان ماريون" مولّدين (hybrides)، أي أنهما كانا يشتملان على وجه ضُرب بسكة ليكسوس، ووجه آخر ضُرب بسكة "مقام شمش"(Marion(J), Les monnaies de Shemesh et des villes autonomes de Maurétanie tingitane au musée Louis Chatelain à Rabat, op. cit , p. 72). وهذا يدل على أن الامر يتعلق بدار واحدة للسكة، وبالتالي يتناقض مع نظرية "ماريون" الذي يفترض وجود دارين مختلفتين للسكة بليكسوس. وكان "ماريون" نفسه) قد تراجع عن اعتبار النقد الاول نقدا مولدا، نظرا لكونه كان في حالة من التلف لا تسمح بالخروج باستنتاجات مقنعة. وهذا ما حدى "بجاك أليكساندروبولوس" الى نقد فكرة النقود المولدة، سواء لدى النقد الاول أو الثاني (Alexandropoulos(J), Le Monnayage de Lixus : Un état de la question, op. cit, p. 250).

وبالتالي لا ينبغي أخذه بمثابة استنتاج نهائي، اعتبارا لكون موضوع العملات في المغرب القديم ما يزال يفتقر الى المعطيات الكافية، حتى يتمكن المرء من اقتراح أي طرح مقنع[77].

ونحن من جهتنا، ودون أن ندحض فرضية "أليكساندروبولوس" التي تشك في انتماء نقود "مقام شمش" لليكسوس، والتي لها ما يبررها، نرجح الرأي الذي كان واردا منذ عهد "موليير" (L.Muller) ثم "مازارد" (J.Mazard). وهو الرأي الذي يرجح أن هذه النقود تم سكها في مدينة ليكسوس، وأنها ضربت من طرف أحد معابد المدينة، وخصوصا معبد الاله الفينيقي "شَمَش"[78].

– صعوبة الاعتقاد بمسألة التغيير الجدري لاسم السك الذي كانت المدن تطلقه على عملتها، دون أن يتوفر أي نقد من هذه النقود على ما يوحي بهذه التسمية المزدوجة، ولا عن شكل تصويري مشترك واضح المعالم، ينم على أن الامر يتعلق دائما بمدينة واحدة. ويقترح "جاك أليكساندروبولوس" في هذا الامر، أن هذه النقود، لو كانت تحتوي على شروح مزدوجة تحت مواضيع تصويرية ثابتة، لكان الامر أهون لان يصدق (Idem, Ibid, p. 251).

– اختلاف المعبودات الواردة في المجموعتين النقديتين، مع العلم حسب "جاك أليكساندروبولوس" أن التبديلات التي كانت تطرأ بصفة عامة على نقود شمال إفريقيا لم تكن تمس المعبودات المصورة عليها.

– عدم إشارة نقود ليكسوس الى السلطة الملكية، في حين عرفت نقود "مقام شمش" حضور ملكين اثنين، مما حدى بالباحث الفرنسي أن يرى في ذلك علامة عن وجود علاقة مختلفة اتجاه السلطة الملكية، مما يوحي حسب الباحث نفسه بوجود نظامين مختلفين، أي مدينتين مختلفتين ؟

– التداول النقدي لمسكوكات "مقام شمش" يعرف نقصا تصاعديا كلما تم الاتجاه من وليلي الى ليكسوس. فبعد القيام بإحصاء المعثورات النقدية المكتشفة في مدينة وليلي باعتبارها أبعد مركز في اتجاه الجنوب، تبين "لجاك أليكساندروبولوس" (Idem, Ibid, p. 251) أن عدد نقود "مقام شمش" يصل الى 84 نقدا مقابل 9 نقد من نقود ليكسوس. بمعنى أن نسبة نقود "مقام شمش" المكتشفة بوليلي بلغت 90% مقابل 10% فقط بالنسبة لنقود ليكسوس. وبعد إحصاء نفس المعثورات في مدينتي بناصا وتموسيدا، اللتين يوجد موقعهما أكثر شمالا، أصبح عدد نقود "مقام شمش" يبلغ في بناصا 78 نقدا مقابل 26 نقدا من نقود ليكسوس، مما يجعل النسبة المائوية تنتقل الى 75%–25%. وهي نفس النسبة تقريبا التي تم رصدها في تموسيدا، التي كشفت عن 14 نقدا من نقود "مقام شمش" و5 نقود من ليكسوس. أما عند القيام بإحصاء نفس المسكوكات بليكسوس، لاحظ "أليكساندروبولوس" أن من مجموع 28 نقد الذي يمثل العدد الاجمالي لنقود موريطانيا المكتشفة هناك، بلغ عدد نقود ليكسوس 12 نقدا، في حين لم يتم الكشف عن أي نقد من نقود "مقام شمش". وقد دل ذلك على أن نسبة نقود "مقام شمش" تعرف تراجعا كلما تم الصعود نحو الشمال، حيث يلاحظ كيف تم الانتقال من نسبة 90% بوليلي الى 0% بليكسوس.

[77] ومع ذلك، يدعو "أليكساندروبولوس" الى التريث في الخروج باستنتاجات واضحة، علما أن الدراسات حول التداول النقدي بالمغرب القديم لم تعتمد سوى عناصر محدودة من حيث الكم، الامر الذي لا يمكّن من الخروج بخلاصات نهائية. بمعنى أنه لايمكن أن نرفض نهائيا مسألة قرن ليكسوس بمقام شمش، نظرا لتوفر المسألة على براهين ترجح ذلك. ومع ذلك، ومن باب الاحتراس، يجدر مؤقتا ترك هذا الملف تحت الدرس، نظرا لكونه ملفا معقدا، وليس يسيرا كما يبدو لاول وهلة. وهذا ما حدى بالباحث الفرنسي، احتراما لما هو متعارف ومتداول، أن يستمر في ربط نقود "مقام شمش" بمدينة ليكسوس. انظر :

Alexandropoulos(J), Le Monnayage de Lixus : Un état de la question, op. cit, p. 249 et 251.

[78] ويمكن الاستناد في ذلك الى العناصر التالية :

– وجود تكامل في الاشكال التصويرية التي برزت في النوعين النقديين، نظرا لتمثيلهما معا لعناصر اشتهرت بهما مدينة ليكسوس (Lopez Pardo(F), Reflexiones sobre el origen de Lixus y su Delubrum Herculis en el contexto de la empresa comercial fenicia, op. cit, p. 100, note n° 70). ففي مسكوكات "لكش"، نجد تصوير عناقيد العنب، والسنابل، وسمك التون، وصورة معبود فينيقي له علاقة "بملقارت" أو "بعل"، أو "بكوزور" لاعتباره مكتشف الصيد البحري. ومن المؤكد أن هذه العناصر تعتبر من الموارد التي اعتمدت عليها مدينة ليكسوس والتي كانت من دعائم ازدهارها وشهرتها. ويرى "ماريون" (J. Marion) في هذا الصدد أن هذه الرموز، وإن كانت تعكس الحالة الاقتصادية للمدينة وبعض منتوجاتها المحلية، فهي لم تكن تخلو من رموز دينية، حيث ترتبط صورة عناقيد العنب بأسطورة "ديونيسوس"، وصورة "السنابل" بفكرة الخصوبة (Marion(J), Les monnaies de Shemesh et des villes autonomes de Maurétanie tingitane au musée Louis Chatelain à Rabat, op. cit , p. 66-67). كما أن مسكوكات "مقام

من خلال ما سبق، يتبين أن كلمة "تشميس" التي أوردتها المصادر العربية، تنحدر من إسم كانت تعرف به ليكسوس قبل قدوم العرب الى المنطقة. وهي الكلمة التي استمرت في الوجود الى يومنا هذا على صيغة الشميس، سواء عرفت بعض التحريف أو مثلت الاسم الاصلي للمكان. والحالة هذه، أن هذا الاسم كان متداولا في ليكسوس على الاقل منذ القرن الاول قبل الميلاد، أي منذ عهد سك العملة التي ورد فيها اسم "مقام شمش". وسواء كان المقصود بهذه الصيغة مدينة الشمس أو معبد الاله شَمَشْ، فهذا يعني أن الاشتقاق اللغوي اشتقاق فينيقي [79]. فكلمة مقام تعني "المكان" أو "الحرم" في الفينيقية كما في العربية ، وكلمة شمش لها علاقة بالشمس سواء كان كوكبا أو إلهً.

غير أننا لا نستطيع أن نثبت هل مثلت صيغة "مقام شمش" الاسم الفينيقي الذي أطلقه الفينيقيون على منشأتهم أو على معبدهم منذ عهد التأسيس، أم أن الاسم الذي كان مستعملا منذ البداية هو "لكش" [80]. كما لانعلم لماذا احتفظ السكان الى يومنا هذا باسم "شمش/تشمش"، وتم الاستغناء عن اسم ليكسوس، الذي تم تخصيصه لتسمية النهر.

شمش" توفرت بدورها على صور لعناقيد العنب والسنابل، وصور لمعبود فينيقي له علاقة "بيعل" أو "ملقارت" أو "كوزور" أو "أوقيانوس" أو "شمش". بالاضافة الى صور لنجم له ستة أشعة يرمز الى الشمس، وصور لمتعرجة النير التي تشير بدون شك الى واد اللكوس.

– وجود تشابه بين صورة الشخص الملتحي التي نقشت على إحدى وجوه نقود "مقام شمش"، وبين القناع البرونزي المكتشف بليكسوس والمؤرخ بالقرن الاول ق.م، وبين الفسيفساء التي تمثل الاله أوقيانوس المؤرخة بالقرن الثاني أوالثالث الميلادي، المكتشفة في نفس المدينة.

– توفر نقود "لكش" على العناصر الشمسية الواردة في نقود "مقام شمش"، المتمثلة في صورة الكرة الشمسية المجنحة التي تظهر في مذبح بالوجه الثاني لبعض نقود "لكش" (El Harif(F-Z) et Giard(J-B), Préliminaires à l'établissement d'un corpus des monnaies de Lixus, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), Collection de l'Ecole française de Rome, n° 166, Palais Farnèse, 1992, p. 268, fig. 3). ويعتبر هذا المعطى من البراهين التي يمكن الاستناد إليها حسب "جاك أليكساندروبولوس" نفسه، لترجيح فرضية ربط نقود "مقام شمش" بمدينة ليكسوس (Alexandropoulos(J), Le Monnayage de Lixus : Un état de la question, op. cit, p. 250).

– انطلاقا من التنظيم العام لوجوه النقود، واعتمادا على كتابات الشروح الواردة سواء في نقود "لكش" أو "مقام شمش"، نلاحظ أن تكرار مجموعة من المواضيع الواردة في المجموعتين، مثل سنابيل القمح وعناقيد الكروم وأسماك التون والنجم ذي الاشعة والاهلة، يدل على أن هذه النقود تنتسب الى نفس عائلة المسكوكات التي أنتجتها ضفتا منطقة مضيق جبل طارق (Alexandropoulos(J), Contribution à la définition des domaines monétaires numides et maurétaniens, **Actes du VII^{e} colloque du groupe de contact interuniversitaire d'études phéniciennes et puniques**, Louvain-La-Neuve, mai 1987 (sous presse), ap. Idem, Le Monnayage de Lixus : Un état de la question, op. cit, p. 253, note n° 30). وحيث أنه لم يتم الكشف عن أية دار للسكة في مدينة وليلي، ولا في أية مدينة أخرى في مستوى أهمية ليكسوس، فمن المنطقي اعتبار أن نقود "مقام شمش" تنتسب الى ليكسوس، باعتبارها أهم مدينة ذات الجذور الفينيقية في منطقة دائرة مضيق جبل طارق.

– استعمال بعض الحروف الفينيقية التقليدية القديمة في كتابة شروح نقود "مقام شمش" يدل على أنها تنتمي الى مدينة ليكسوس وليس الى مدينة أخرى. ذلك لأن العصر الموريطاني لم يفرز لحد الآن أية مدينة تعرف تأثيرا فينيقيا أكثر من ليكسوس، لدرجة تجعلها تحافظ على استعمال الحروف الفينيقية القديمة إبان انتشار عادة الكتابة البونيقية-الحديثة.

[79] تعتبر الكتابة البونيقية الحديثة التي نقشت بها عبارة "مقام شمش" شكلا متطورا للكتابة البونيقية، المنحدرة بدورها من الكتابة الفينيقية الواردة من الشرق. كما أن اللغة البونيقية التي كانت متداولة في ليكسوس خلال عصر سك هذه العملة، ليست إلا استمرارية في النطق والنحو للغة الفينيقية، التي لاتختلف كثيرا عن اللغة العربية.

[80] استعملت أقدم المصادر المكتوبة التي ذكرت مدينة ليكسوس الصيغة المشتقة من المصدر "لكس" وليس من المصدر "شمس". من هذه المصادر نذكر "هيكاتيوس الميليتي" (Hécatée de Milet) و"سكيلاكس" (Scylax).

فهل هذا يعني أن ليكسوس عُرفت منذ القديم باسمين مختلفين ؟ لانستبعد ذلك لأن مجموعة من المدن كانت فعلا تُعرف في آن واحد أو على التتابع باسمين مختلفين، إما لاعتبارات سياسية أو ثقافية أو دينية. فمدينة فاس كانت تعرف في عهد ادريس الثاني باسمين مختلفين، هما فاس والعالية. كما أن مدينة سوسة التي أسسها الفينيقيون بإقليم الساحل في تونس كانت تحمل لمدة طويلة اسم "حضريم" (Hadrim)، الذي يعني على ما يبدو "المكان المسور"، ومدينة "الكف" (Keff) كانت تحمل اسم "سيكا" (Sicca) الى غاية القرن الثاني عشر الميلادي. كما أن المدينة المنورة كانت تعرف قبل الهجرة باسم يثرب، ومدينة "لينينكراد" (Léningrad) كانت تعرف قبل الثورة الروسية باسم "سانت بـيتيرسبورك" (Saint Pétersbourg).

الفصل العاشر

مسألة ليكسوس المحلية

لمعرفة طبيعة المنشأة التي أقامها الفينيقيون بربوة ليكسوس، لابد من التأكد هل كانت الارض خلاء عند قدومهم، أم كانت معمورة بالسكان. ذلك أنه لايمكن الالمام بالمدى الحقيقي للاستراتيجيات التي نهجها التوسع الفينيقي في استغلال المجال وتسييره، وإدراك التغيرات الاجتماعية-الاقتصادية والثقافية المرتبطة بإنشاء أقدم المستوطنات والمنشآت الفينيقية بشمال إفريقيا، إلا إذا تم تحديد الآفاق المحلية ما قبيل-التاريخية (protohistorique)[1]، والتأكد من وجود هذه الآفاق أو انعدامها.

صحيح أن ليكسوس اشتهرت في الايستوريوغرافيا القديمة والحديثة بنشأتها كمستوطنة أسسها الفينيقيون. لكن بروز بعض المعالم الحضارية المحلية في العديد من جهات المغرب القديم المنتمية لعصر البرونز ولعصر ما قبيل-التاريخ، حدت بمجموعة من الباحثين المتخصصين في هاتين الحقبتين لطرح مسألة ليكسوس المحلية. وذلك استنادا لكون ليكسوس تتوفر بدورها على مجموعة من المظاهر الاركيولوجية، توحي بوجودها كتجمع سكاني سابق لقدوم الفينيقيين. وبالتالي تم اعتبار أن تمييز الكيان المحلي ماقبل-الفينيقي، الذي يطلق عليه بعض الباحثين اسم "ماقبيل-الليبي" (protolibyque)، أو "الليبي"[2]، يعد من الأولويات التي تتطلبها الأبحاث الاركيولوجية المستقبلية في ليكسوس.

فهل تتوفر ليكسوس على ما يفيد بوجود كيان محلي بها سابق للمرحلة الفينيقية أو معاصر لها ؟

I ـ المخلفات المحلية المفترضة السابقة لقدوم الفينيقيين أو المعاصرة لهم :

خلفت ليكسوس ضمن أطلالها مجموعة من الآثار الجنائزية والمعمارية، لاعلاقة لها حسب بعض المؤلفين بالحضارات الاجنبية الوافدة على المركز كالفينيقية أو الرومانية، بل اعتبرت من تشييد السكان المحليين. كما أفرزت مستوياتها الاركيولوجية القديمة منتوجا خزفيا مصنوعا باليد، كان مختلفا بدوره عن الخزف الفينيقي المخروط الذي كان يرافقه باستمرار في نفس المستويات. ونظرا لتشابه بعض أنواعه مع النماذج المحلية التي تم اكتشافها في العديد من مغارات عصر البرونز بالمغرب، تم اعتباره كذلك من المخلفات المحلية بليكسوس. وقد استند بعض الباحثين المحدثين على هذه المعطيات، للإقرار بأن ليكسوس كانت موجودة على شكل تجمع سكاني محلي قبل قدوم الفينيقيين إليها.

---

[1] لفهم مسألة الجذور المحلية لمركز ليكسوس، ينبغي الاخذ بعين الاعتبار وجود عصر البرونز بالمغرب، كما أكد على ذلك منذ مدة كل من "كابرييل كامبس" (G. Camps) و"جورج سوفيل" (G. Souville). انظر :

Camps(G), Les traces d'un âge du bronze en Afrique du Nord, **Revue Afriquaine 104**, Alger, 1960, p. 31-55 ; Idem, Aux origines de La Bérbérie - Monuments et rites funéraires protohistoriques, Arts et métiers graphiques, op. cit ; Souville(G), Recherches sur l'existence d'un âge du bronze au Maroc, **Atti del VI congr. intern. sci. prehist. e protost.** (Roma, 1962), t. II, Florence, 1965, p. 419-424 ; Idem, Témoignages sur l'âge du bronze au Maghreb occidental, **C.R.A.I.**, 1986, p. 97-114.

[2] Bokbot(Y) et Onrubia-Pintado(J), Substrat autochtone et colonisation phénicienne au Maroc, op. cit, p. 219.

فما هي هذه المخلفات ؟ وهل كانت كلها مخلفات محلية ؟ وهل كانت فعلا تنتمي الى المرحلة ماقبل- الفينيقية بليكسوس، حتى نُسلّمَ بالاصل المحلي لليكسوس ؟

1) المدافـــن الميكاليتية :

في الحقيقة يلاحظ أن ما يدعى بالمدافن الميكاليتية، أي المبنية بالحجارة الضخمة، لم تـــشمل منطقـــة اللكوس السفلى بنفس الشكل الذي شملت مناطق أخرى من شمال المغرب كمنطقة مزورة مثلا. لكن هذا النوع من المنشآت لم يكن منعدما بناحية ليكسوس، حيث أشار "بالاري" (P.Pallary)[3] عام 1907 الـــى وجـــود مجموعة من المدافن من نوع "دولمن" (Dolmen) بين مدينة العرائش وأطلال ليكسوس، بكل من تل "بيضة" وربوة "دوار دان". وقد تم نبش بعض هذه المدافن، مما أدى الى الكشف عن مجموعة من الاسوار، وعـــن طبقة سميكة من بقايا الحلزون بداخل القبور. وحسب "جورج سوفيل" (G.Souville)[4] ، فإن هذه المخلفات تعود الى مجموعة من مدافن صغيرة من نوع "دولمن" تم قلبها، مرجحا أن الامر يتعلق في الواقع بمجموعة من الثوابيت أو من النواويس تعود الى العصر الروماني.

ومن جهة أخرى، يشير "م. أنطوان" (M.Antoine)[5] الى وجود نصبين توأمين من نوع "المنهير" (Menhir) بالعرائش، دون أن نعلم حسب "يوسف بوكبـــوط" و"خـــورخي أونروبيـــا-بينطـــادو" (Jorge Onrubia-Pintado) هل كان مصدرهما من ليكسوس أم لا[6].

أما داخل أطلال ليكسوس، فيشير "بالاري" إلى وجود مجموعة من المدافن من نوع "الدولمن" كانت ما تزال تستعمل خلال العصر الروماني، ملاحظا أن طريقة الدفن المتبعة بها كانت محلية[7] . غير أن الاقتناع الذي كان يراود العديد من المؤلفين بأن تاريخ مثل هذه المخلفات يرجع الى عهود حديثة، ما فتئ يحذر منـــه "كابرييل كامبس" (G.Camps)[8] ، مبرزا أن تأريخ التشييد يجب أن يكون استنادا الى أقدم المواد المكتـــشفة وليس الى أحدثها، رغم أن استعمال مدافن الدولمن قد استمر لمدة طويلة بعد تشييدها[9] . فهل هذا يعنـــي أن جميع المدافن الموجودة داخل أسوار ليكسوس، والتي وصفها بعض الباحثين بأنها كانت ذات طابع ميكاليتي، تعود الى السكان المحليين المعاصرين للفينيقيين الأوائل الوافدين على ليكسوس، أو السابقين لهم ؟

وفي هذا الصدد، نلاحظ أن "طراديل" نفسه، أشار كذلك الى الكشف بليكسوس عن مدفنين ميكاليتين تم تشييدهما بكتل حجرية ضخمة[10] . أما المدفن الأول المعروف باسم "دولمن" ، الذي تم إفراغه من محتوياتـــه

---

(3) Pallary(P), Recherches préhistoriques effectuées au Maroc, **L'Anthropologie 18**, 1907, p. 308.

(4) Souville(G), Atlas préhistorique du Maroc, 1. Le Maroc atlantique, Paris, 1973, p. 42.

(5) Antoine(M), La préhistoire du Maroc atlantique et ses incertitudes, **Bulletin de la société d'Histoire naturelle du Maroc**, 1945, p. 361-389.

(6) Bokbot(Y) et Onrubia-Pintado(J), La basse vallée de l'oued Loukkos à la fin des temps préhistoriques, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), Collection de l'Ecole française de Rome, n° 166, Palais Farnèse, 1992, p. 19.

(7) Pallary(P), Recherches préhistoriques effectuées au Maroc, **L'Anthropologie 25**, 1915, p. 195.

(8) Camps(G), Aux origines de La Bérbérie - Monuments et rites funéraires protohistoriques, op. cit, p. 140 -143.

(9) يبدو أن هذه القاعدة لم تطبق بما فيه الكفاية في شمال إفريقيا، حيث تم التشديد دوما على أحدث المواد.

(10) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 167.

بشكل كلي، فيوجد في المقبرة الغربية بالمنحدر الغربي لربوة الشميس المطل على مصب اللكوس[11]. وهـو يُذكّر بالفعل ببعض المباني الجنائزية من نوع الدولمن التي عرفتها شمال إفريقيا، المتميزة بتوفرها على حجرة جنائزية شبه مستطيلة مشيدة ببلاطات كبيرة منتصبة بشكل عمودي، تغطيها بلاطة واحدة ضخمة. وكانت هذه الحجرة متجهة نحو الشمال الغربي، ويبلغ طولها 2,80م وعرضها 1,20م عند المدخل و1,05م فـي قـاع الحجرة وارتفاعها متران[12] (انظر لوحة LXV). وقد شيدت جدران هذه الحجرة ببلاطات كبيـرة الحجـم منحوتة بشكل جيد، بلغ طول بلاطة الجدار الايمن 2,80م وعرضها 0,50م، وطول بلاطة الجدار المقابـل 2,30م وعلوها 1,10م وعرضها 0,90م. كما كان غطاء المدفن يتكون كذلك من بلاطة واحدة ذات أحجـام كبيرة تميزت بشكل شبه هرمي في الجزء المقابل للواجهة[13]. وتجدر الاشارة في هذا الصدد أن هناك تشابها بين هذا المدفن، وبين المدفن الذي اكتشفه "ميشيل بونسيك" في بلاد الغيات الخمـيس، علـى بعـد بـضعة كيلومترات من ليكسوس، والذي اعتبره ينتمي الى المرحلة البونيقية[14].

أما المدفن الثاني[15]، فيوجد في المقبرة التي أطلق عليها "ميكيل طراديل" اسم المقبرة الشرقية، علـى بعد حوالي مائة متر من السور المعروفة بالسور الشرقية[16]. وهو شبيه بالنموذج السالف الذكر، حيـث تـم تشييده كذلك بكتل حجرية كبيرة. وقد اكتشف هذا المدفن على يد "شارل تيـسوت" (Ch.Tissot) ، وتم نبشه من طرف "هنري دي لامارتينيير" (Henri de la Martinière). ولمّا اعتبر الباحثان معا أن المبنـى يعـد منشأة دينية، سيتبين فيما بعد أن الامر يتعلق بمدفن ميكاليتي، يتألف من حجرة جنائزية أو على الارجح مـن ممر يكاد يكون تحارضيا، لكون غطائه يوجد في نفس مستوى سطح الارض[17]. ويبلغ طول المبنى خمسة أمتار ونصف، وعرضه حوالي متر و30 سنتمتر، وعلوه متر و40 سنتمتر. وتتكون جوانب الممـر مـن بلاطات ضخمة مرتبة بشكل عمودي، ومنحوتة بشكل منتظم، حيث يبلغ طول بلاطة الغطاء من جهة المدخل أكثر من ثلاثة أمتار[18]. أما السقف فيتألف من أربع أو خمس بلاطات مستعرضة متجاورة، مما جعله يعرف

---

(11) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 167.

(12) Idem, Ibid, p. 167, pl. XVIII.

(13) Tarradell(M), Dos sepulturas púnicas en Lixus, **Bol. de la Sociedad Científica Hispano-Marroquí de Alcazarquivir, 2**, 1950.

(14) Ponsich(M), Une tombe pré-romaine aux environs de Lixus, **B.A.M**, t. V, 1964, p. 339, pl. I ; Idem, Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc : Région de Lixus, **B.A.M,** t. VI, 1966, p. 399, pl. XI.

(15) من الملاحظ أن المعلومات التي تقدم بها يوسف بوكبوط و"خورخي أونروبيا-بينطادو" (Jorge Onrubia Pintado) حول المدفن الثاني من نوع "دولمن" (Dolmen) الوارد لدى "طراديل" (M. Tarradell)، لا يوجد أي ذكر لها في مؤلف الباحث الاسباني. فلم نعثر في كتاب "المغرب البونيقي" عن أية إشارة الى توفر السفح الشرقي من ربوة الشميس على مدفن يتألف من حجرة واحدة يبلغ طولها متران ونصف، وعرضها نصف المتر، ويتكون غطاؤها كذلك من بلاطة واحدة كبيرة، كما ورد في مقالة الباحثَيْن (Bokbot(Y) et Onrubia .(Pintado(J), La basse vallée de l'oued Loukkos à la fin des temps préhistoriques, op. cit, p. 19.

(16) Tarradell(M), Dos sepulturas púnicas en Lixus, op. cit.

(17) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 168.

(18) Idem, Ibid, p. 169.

من طرف سكان المنطقة نظرا لشكله باسم "القنطرة"[19] (انظر لوحة ت بالالوان رقم 5). ويبدو أن المبنى كان يتوفر على بهو أمام الباب، وأنه كان محاطا بسور حول أطرافه الثلاثة المقابلة لهذه الباب[20].

هذه المنشأة، التي تصنف ضمن المباني ذات الممرات المغطاة، تمثل حسب "يوسف بوكبوط" و"خورخي أونروبيا-بينطادو" نموذجا فريدا من نوعه في المغرب[21]، وأنها كانت تشكل جزءا من مجموعة من المنشآت الميكاليتية[22]، نظرا لمعاينتهما بالتل الذي شيد عليه المبنى، لمجموعة من البلاطات الكبيرة كانت من نفس صنف بلاطات المدفن.

والغالب على الظن أن القبر قد نهب وتم إفراغه من محتوياته منذ مدة. إلا أنه كان ما يزال يضم عند اكتشافه من طرف "لامارتينيير" بعض المحتويات، نذكر منها بعض نقود ليكسوس ونقد مسكوك بطنجة، الى جانب كسرات من بلسميات شبيهة بتلك التي اكتشفها "طراديل" في مدافن المقبرة الغربية[23].

وكان داخل المبنى يضم ناووسا مربعا صغير الحجم مشيدا ببلاطات منحوتة. وقد تم العثور داخل الناووس على إناء خشن يحتوي الى جانب رماد الميت على قرط ذهبي على شكل هلال يضم صورة للربة تانيت منقوشة على شكل نقط[24]. وهوقرط شبيه بنموذج مصدره جزيرة إيبيسا[25]، وبنموذج آخر يوجد في المتحف الاثري بطنجة، تم العثور عليه إما في مدينة طنجة أو في ضواحيها، والذي كان مصدره كذلك من أحد المدافن.

ويقترح "طراديل"[26] تأريخ المدفنين، سواء من خلال شكل البناء أو من خلال المحتويات الجنائزية، بمرحلة تمتد من بداية القرن الثالث قبل الميلاد الى حلول القرن الاول الميلادي.

وفي نفس المكان الذي يوجد فيه المدفن المعروف باسم "القنطرة"، اكتشف "ميكيل طراديل" عام 1949 أربعة أقبية تشكل مجموعة واحدة، كانت مهدمة نظرا لفقدانها لبلاطات الغطاء[27]. ويبلغ طول هذه المجموعة سبعة أمتار ونيف، وتضم أربعة قبور ملتحمة ببلاطتين من كل جانب، يبلغ طول كل قبر 2,50م[28]. ولم

---

(19) Bokbot(Y) et Onrubia-Pintado(J), La basse vallée de l'oued Loukkos à la fin des temps préhistoriques, op. cit, p. 19 ; Aranegui(C), Tarradell-Font(N), Lixus colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Apuntes para una Historia de la investigación arqueológica, op. cit, fig. 27, p. 26.

(20) Tarradell(M), Dos sepulturas púnicas en Lixus, op. cit.

(21) Bokbot(Y) et Onrubia-Pintado(J), La basse vallée de l'oued Loukkos à la fin des temps préhistoriques, op. cit, p. 19.

(22) في إطار التعاون الاركيولوجي المغربي-الاسباني، اقترح الباحثان "يوسف بوكبوط" و"خورخي أونروبيا-بينطادو" (Jorge Onrubia-Pintado) مشروع دراسة المباني الميكاليتية بليكسوس، بتعاون مع "سيلصو مارتين دي كوزمان" (Celso Martín de Guzman)، الاستاذ بجامعة "كومبلوطينصي" (Complutense).

(23) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 169.

(24) Idem, Ibid, p. 169.

(25) Vives y Escudero(A), Estudio de arqueología cartaginesa. La necrópolis de Ibiza, Madrid, 1917, Lám. IX, núm. 19.

(26) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 169.

(27) Tarradell(M), Hipogeos de tipo púnico en Lixus, **Ampurias XII**, 1950, p. 250.

(28) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 168.

تعرف هذه القبور عادة الدفن سوى في حالة واحدة، في حين كانت عادة حرق الاموات هي الغالبة، حيث كان القبر الواحد يستعمل لوضع رماد عدة أموات. وقد عُثر على الرماد محاطا بالأغطيات كالبلسميات الخزفية التي تعود حسب "طراديل" الى العصر القرطاجي المتأخر[29]. وقد تم الكشف في هذه القبور على محتويات مختلفة ومتباينة المصدر، منها بعض المواد الرومانية، مما يزكي فكرة استعمالها من جديد، ومنها بعض المواد المحلية التي كان يستعملها الاهالي، نذكر منها رأسا حجريا صغيرا مصنوعا من الصوّان وجد في كل من قبر رقم 3 ورقم 4[30].

وقد استند يوسف بوكبوط و"خورخي أونروبيا-بينطادو" على هذه المواد المحلية[31]، لتصنيف الاقبية الاربعة ضمن المدافن الميكاليتية ماقبل-التاريخية التي عرفتها ليكسوس[32]. لكن "طراديل"[33] كان يصنفها ضمن المدافن المعروفة باسم "لوكولي" (Loculi) الشبيهة بالنماذج التي عرفتها مدينة قادس[34]. وهي نفس الملاحظة التي أوردها "بيير سانتاس" (P.Cintas) في الصفحات المخصصة لليكسوس بمؤلفه "موجز الاركيولوجية البونيقية" (Manuel d'Archéologie punique)[35]. فقد اعتبر أن هندسة هذه القبور تجعلها تقترب أكثر من نماذج قادس المؤرخة بالقرن الخامس ق.م ، وليس من أنواع مدافن القرن السابع قبل الميلاد وما قبلها، التي عرفها كل من الشرق الاوسط وقرطاجة، وذلك بالرغم من الطابع العتيق لمنظرها.

2) البنايات الميكاليتية :

من خلال المداخلة التي تقدم بها يوسف بوكبوط و"خورخي أونروبيا-بينطادو" في الملتقى الدولي الاول حول ليكسوس في موضوع "الوادي الاسفل لنهر اللكوس عند نهاية عصور ما قبل التاريخ"[36]، نلمس كيف أنهما كانا يصران على اعتبار أن العلامات الجنائزية السالفة الذكر تنتمي الى المرحلة السابقة لقدوم الفينيقيين الى ليكسوس. وبحثا عن المساكن التي من المفترض أن تكون قد عاصرت هذه المخلفات، والتي تزكي في نظرهما مسألة الجذور ما قبل-الفينيقية لليكسوس، فإنهما لم يبخلا في تقديم كل ما يوحي بذلك من خلال ما ورد في المنشورات الاركيولوجية المتعلقة بليكسوس[37]. هذا بالرغم من اعترافهما بأن مساكن الهواء الطلق التي تنتمي الى عصر البرونز، ما زالت مجهولة بسبب نقصان الاستكشافات الممنهجة[38].

---

(29) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 168.

(30) Idem, Ibid, p. 168.

(31) وقد استندا في ذلك بالخصوص على كون "ميكيل طراديل" (M. Tarradell) كان يرى أن الكشف عن رأسين ميكروليتيين من الصوان منحوتين بشكل سيئ بمدفن رقم 3 و4 يعتبر أمرا غريبا. انظر :
Bokbot(Y) et Onrubia-Pintado(J), La basse vallée de l'oued Loukkos à la fin des temps préhistoriques, op. cit, p. 19 ; Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 168.

(32) Bokbot(Y) et Onrubia-Pintado(J), La basse vallée de l'oued Loukkos à la fin des temps préhistoriques, op. cit, p. 19.

(33) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 167.

(34) Garcia y Bellido(A), Fenicios y Carthagineses en occidente, Madrid, 1942, p. 254-260.

(35) Cintas(P), Manuel d'Archéologie punique, t. I, op. cit, p. 248.

(36) Bokbot(Y) et Onrubia-Pintado(J), La basse vallée de l'oued Loukkos à la fin des temps préhistoriques, op. cit.

(37) تجدر الملاحظة أن المساكن الوحيدة المحتملة التي يمكن إلحاقها بمرحلة ما قبيل التاريخ حسب يوسف بوكبوط و"خورخي أونروبيا-بينطادو" (Jorge Onrubia Pintado)، لا تتوفر عليها سوى ليكسوس. انظر :

فقد استندا أول الامر على "ر. لانتيي" (R.Lantier) عندما لاحظ منذ عام 1943 أن ليكسوس كانت تشتمل ضمن أطلالها على« *بقايا أسوار تتميز في طريقة تدعيم الحجارة، بتوفرها على أسس عموبية من الكتل الحجرية الضخمة* »[39]. ومن المحتمل أن الوصف الذي أورده لانتيي" يتعلق بالجزء الجنوبي للسور الشرقية التي تحدث عنها "طراديل"[40]. وهي السور التي تتكون من كتل حجرية كبيرة غير منتظمة، دون أن تتوفر على أية علامة للنحت، والتي صنفها الباحث الاسباني ضمن النوع الذي يعرف بالاسوار "السيكلوبية"[41]. ولم تكشف الاستبارات التي أنجزت بالجهة الخارجية لهذه السور سوى عن قطع خزفية يصعب تأريخها. أما المستويات الاستراتيغرافية القريبة من أسس البناء، فقد كشفت بفضل تنقيبات "طراديل" عن مخلفات تقتصر على مواد خزفية تتألف من خزف مخروط، الى جانب خزف مُقَولَب. وتحت هذه المستويات، برزت عناصر سابقة لزمن تشييد السور، حيث كانت الطبقة الاركيولوجية المتعلقة بهذه المرحلة تتشكل حسب كلام عالم الآثار الاسباني من "*أكبر وفرة للخزف ذي التقليد النيوليتي*"[42]. ولعل أن هذا التصريح كان من العناصر التي استند إليها يوسف بوكبوط و"خورخي أونروبيا-بينطادو" لاعتبار أن هذه السور تعد واحدة من آثار المباني ماقبل-التاريخية بليكسوس. غير أن ما أورده "طراديل" في مسألة غلبة الخزف ذي التقليد النيوليتي في أسس السور الشرقية، تعتبر الاشارة الوحيدة الواردة لديه حول هذه الظاهرة، وبالتالي لايجدر اعتمادها كأساس يطبق على مركز ليكسوس برمته[43]. كما أن مفهوم الخزف "ذي التقليد النيوليتي" ينبغي مراجعته، لان جميع الانواع الخزفية غير المخروطة التي كانت تصاحب الخزف الفينيقي

Bokbot(Y) et Onrubia-Pintado(J), La basse vallée de l'oued Loukkos à la fin des temps préhistoriques, op. cit, p. 19.

(38) Idem, Ibid, p. 19.

(39) Lantier(R), Découvertes archéologiques au Maroc espagnol, **B.C.T.H**, 1943-1945, p. 234.

وقد اعتقد "ر. لانتيي" (R. Lantier) بأن هذا النموذج من البناء، يشكل في شمال إفريقيا، كما هو الشأن في إسبانيا، تقليدا خاصا بالحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط.

(40) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 164-165.

(41) Idem, Ibid, p. 165.

(42) Idem, Ibid, p. 165.

(43) من باب الامانة العلمية، وتأكيدا على أن البنايات التي كانت تنعت بالميكاليتية أو بالسيكلوبية من لدن علماء الآثار الذين نقبوا في ليكسوس ليست بالضرورة بنايات تنتمي الى عصر ما قبيل-التاريخ بليكسوس، ارتأيت أن أقوم بالترجمة الكاملة لما أورده "ميكيل طراديل" (M. Tarradell) في هذا الباب :

« *أسفرت الاستبارات التي أنجزت في الجزء الخارجي للسور عن وجود أول مستوى استراتيغرافي يتوفر على مواد مختلطة دون قيمة بالنسبة للتأريخ، مبينا المرحلة الرومانية. أما المستويات القريبة من أسس البناء، فقد تميزت لسوء الحظ بفقرها، خصوصا فيما يتعلق بالمواد المعروفة كرونولوجيا، مما تعذر معه الوصول الى الدقة المرغوب فيها، بالرغم من التدقيق المستعمل سواء عند تتبع المستويات الاستراتيغرافية التي لها علاقة بالسور، أو عند جمع المواد المكتشفة. وتتكون هذه المواد فقط من الخزف، سواء الخزف المخروط لكنه من النوع العادي، الى جانب بعض الاخزاف المصبوغة بخطوط أفقية ذات اللون البنفسجي، وأخزاف أخرى ذات البرنيق الاحمر. بعد هذا المستوى، برزت بعض العناصر السابقة لتاريخ بناء السور، والتي لا تختلف عن أخزاف الطبقة السابقة، باستثناء وفرة أكبر في الاواني ذات التقليد النيوليتي. وهكذا لا نتوفر على ما يؤكد هل شيدت هذه السور خلال نفس العصر الذي شيدت فيه السور الغربية* ». انظر:

Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 165.

كانت تعتبر دائما منتوجات محلية. في حين سيتبين فيما بعد أن العديد من هذه المنتوجات لم تكن بالضرورة محلية رغم صنعها باليد وليس بالمخرطة.

ومن جهة أخرى، نلمس من خلال المقالة السالفة الذكر[44] أن بعض جهات الجدران التي اكتشفها "ميكيل طراديل" بالمستوى الاستراتيغرافي رقم V باستبار الخروب، والتي شيدت بحجارة كبيرة، تم اعتبارها بنايات محلية. غير أن عالم الآثار الاسباني يشير بصحيح العبارة في هذا الموضوع أن هذه الجدران كانت "***بمثابة أسس بناء منشآت هدمت من جراء البنايات اللاحقة***"[45].

كما اعتمد الباحثان لتدعيم فرضية وجود مبان ميكاليتية بليكسوس[46]، على مجموعة من الملاحظات أدلى بها "ميشيل بونسيك" خلال الاستبارات المتعددة التي أنجزها بالمركز. من هذه الملاحظات نشير الى ما أورده في شأن بعض التقنيات المستعملة في بناء الاسوار والجدران المؤرخة بالمرحلة ما قبل الرومانية بليكسوس، والتي اعتبرها غريبة عن الطريقة المتبعة في البناء الشرقي.

ففي مقالة تم نشرها بسلسلة "ملفات التاريخ والاركيولوجيا" (Dossiers Histoire et Archéologie)، يذكر "بونسيك" أنه عثر بليكسوس على مبان قديمة جدا من النوع "الميكاليتي"، تدل عن استقرار محلي قديم بهضبة الشميس[47]. ومن خلال لوحة تم نشرها بالمقالة السالفة الذكر، قام نفس المؤلف بعرض صورة لسور اعتبره "***السور القديم الميكاليتي لليكسوس***"[48] (انظر لوحة LXVI). كما أشار الى أن ولوج ليكسوس من جهة ريفها كان يتم عبر باب مشيدة بترتيب الحجارة بالطريقة "الميكاليتية"، كانت سابقة لسور المدينة البونيقية. وكانت هذه الباب مفتوحة على طريق تحيط بها "قبور قديمة جدا"[49].

ومن جهة أخرى، اعتمد يوسف بوكبوط و"خورخي أونروبيا-بينطادو"[50] على العديد من الامثلة التي قدمها "ميشيل بونسيك" من جراء تنقيباته في قطاع حي المعابد، حول وجود بنيات ذات قرابة ميكاليتية. فالجدران الجانبية للمعبد حرف B تم تشييدها حسب نفس المؤلف على شكل صفوف متراكبة من كتل حجرية كبيرة غير منتظمة ومتلاحمة بدون ملاط[51]. كما اعتبر أن معبد حرف A يتألف بشكل متكرر من كتل حجرية ميكاليتية متراكبة دون أن تتوفر هي كذلك على أي ملاط[52].

---

(44) Bokbot(Y) et Onrubia-Pintado(J), La basse vallée de l'oued Loukkos à la fin des temps préhistoriques, op. cit, p. 20.

(45) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 147.

(46) Bokbot(Y) et Onrubia-Pintado(J), La basse vallée de l'oued Loukkos à la fin des temps préhistoriques, op. cit, p. 20.

(47) Ponsich(M), Implantation rurale du Maroc phénicien, **Dossiers Histoire et Archéologie (Les Phéniciens à la conquête de la Mediterranée)**, n° 132, Novembre, 1988, p. 86.

(48) Idem, Ibid, pl. p. 87.

(49) Idem, Ibid, p. 86.

(50) Bokbot(Y) et Onrubia-Pintado(J), La basse vallée de l'oued Loukkos à la fin des temps préhistoriques, op. cit, p. 20.

(51) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 34.

(52) Idem, Ibid, p. 29.

3) المواد المعدنية المنتمية لعصر البرونز :

الى جانب العناصر الجنائزية والمعمارية التي مر ذكرها، تتوفر ليكسوس على علامات أخرى يمكن إضافتها حسب يوسف بوكبوط و"خورخي أونروبيا-بينطادو" الى ملف الاستقرار ما قبل الفينيقي بالمركز[53]. من هذه العلامات، نشير الى الكشف بمنطقة الوادي الاسفل لنهر اللكوس عن مادتين معدنيتين تنتميان الى عصر البرونز.

وفيما يتعلق بالمادة الاولى، فقد وردت أول إشارة إليها لدى الباحث الاسباني "صايص-مارتين" (M.Saez-Martin) خلال المؤتمر الدولي الثاني الافريقاني حول عصور ماقبل-التاريخ المنعقد عام 1955[54]. فمن خلال الدراسة التي قام بها فيما بعد "رويز- كالفيز بريبيكو" (M.Ruiz-GalvezPriego)[55]، تبين أن الامر يتعلق بصفيحة سيف مصنوع من البرونز[56] (انظر لوحة ت بالالوان رقم 4). وهي صفيحة رقيقة جدا يبلغ طولها 571 ممتر، تتكون مقدمتها من لسَيّن مستطيل يتوفر على حزّتين تصلحان لاستقبال براشيم التثبيت[57]. كما تتوفر الصفيحة في موسطتها على عِرق عريض، يمتد من منطقة تماس اللّسيّن بالصفيحة الى طرفها. ويتشابه هذا السيف مع نموذج "روزنووين" (Rosnoën) الذي اكتشفت نماذج قليلة منه في شبه الجزيرة الايبيرية، والذي ينتمي من الناحية الكرونولوجية الى المرحلة الانتقالية التي تفصل عصر البرونز الاوسط بعصر البرونز الحديث في حدود سنة 1000 قبل الميلاد. وبذلك يمثل هذا السيف أحد الدلائل حول حضور مصب اللكوس في التيارات التجارية التي كانت تنشط خلال أواخر عصر البرونز، والتي تم توثيقها في مجالات أطلنطية أخرى[58]. ويجدر التذكير في هذا الصدد، أن عادة إلقاء السيوف في الانهار، كانت من الطقوس القديمة التي مارستها الشعوب المحلية للواجهة الاطلنطية الاوروبية[59].

أما المادة المعدنية الثانية، فقد أشار إليها "جورج سوفيل" (G.Souville) في مقالته حول "تأثيرات شبه الجزيرة الايبيرية في الحضارات مابعد-النيوليتية بالمغرب"[60]. فبعد أن أورد أن المتحف الاركيولوجي بتطوان يتوفر على فأس مسطحة مجهولة المصدر، تبين حسب "كوزالبيص-كرافيوطو" (-E.Gozalbes

---

(53) Bokbot(Y) et Onrubia-Pintado(J), La basse vallée de l'oued Loukkos à la fin des temps préhistoriques, op. cit, p. 24.

(54) Idem, Ibid, p. 24.

(55) Ruiz Gálvez(M), Espada procedente de la ría del Lucus en el Museo de Berlín Occidental, **Homenaje al Prof. M. Almagro Basch II**, Madrid, 1983, p. 63-68.

(56) Aranegui(C), Belén(M), Fernández Miranda(M), Hernández(E), La recherche archéologique éspagnole à Lixus : Bilan et perspectives, op. cit, p. 28, fig. 35, p. 29.

(57) Bokbot(Y) et Onrubia-Pintado(J), La basse vallée de l'oued Loukkos à la fin des temps préhistoriques, op. cit, p. 24.

(58) Aranegui(C), Belén(M), Fernández Miranda(M), Hernández(E), La recherche archéologique éspagnole à Lixus : Bilan et perspectives, op. cit, p. 28.

(59) Ruiz Gálvez(M), Espada procedente de la ría del Lucus en el Museo de Berlín Occidental, op. cit.

(60) Souville(G), Influences de la pénincule ibérique sur les civilisations postnéolithiques du Maroc, dans **Miscelania en homenaje al abate Henri Breuil**, 1965, p. 417.

(Graviotoأن الامر يتعلق بفأس برونزية اكتشفت بليكسوس. ويبلغ طول هذه الفأس 11,4 سنتمتر، وعرضها 2,5 سنتمتر، وسمكها لايتعدى سنتيمترا واحدا ؛ كما تتوفر على حد معقوف بعض الشيء (4 سنتمتر)، ويبلغ وزنها 305 غرام.[61]

وحسب ما توصل إليه كل من يوسف بوكبوط و"خورخي أونروبيا-بينطادو" [62]، فإن هاتين المادتين تمثلان الدليل الوحيد المعروف لحد الآن الذي يشهد على استعمال أدوات مصنوعة من البرونز في الحوض الاسفل لوادي اللكوس خلال العصر ماقبل-الفينيقي.

4) الخزف المصنوع باليد وفرضية الاصل المحلي :

بالمستويات الاستراتيغرافية السفلى التي كشفت عن الخزف الفينيقي، تم العثور على مجموعة كبيرة من الكسرات الخزفية لم تكن مخروطة، بل تنتمي الى أوان خشنة مصنوعة باليد، أي مُقَوْلَبَة (modelée)[63]. ونظرا لهذه الخصوصية، كانت جميع النماذج التي اكتشفها كل من "ميكيل طراديل" و"ميشيل بونسيك" تعتبر محلية الاصل :

أ- مكان الاكتشاف :

عثر "ميكيل طراديل" على الخزف المصنوع باليد في العديد من الاستبارات التي أجراها بليكسوس (انظر جدول III). وقد أورد في شأنه ما يلي[64] :

– في الطبقة رقم 5 من استبار الخروب : «لا تتألف المواد الاركيولوجية سوى من الخزف، الذي ينتمي الى الانواع الاربعة التي عرفتها ليكسوس القديمة وهي : الخزف الاحمر، والخزف المصبوغ بأشرطة عريضة أو خطوط رقيقة، والخزف المخروط "الخشن"، ***والخزف المقولب ذو التقليد النيوليتي***»[65].

– في المستوى العميق من استبار المخيم : «بعد أربعة أمتار من الحفر، بدأت تبرز الاخزاف الخاصة بأعمق المستويات بالمدينة، وهي الخزف الاحمر، ***والخزف ذو التقليد النيوليتي***، والخزف المخروط الخشن»[66].

---

(61) Gozalbez-Gravioto(E), Las edades del cobre y del bronce en el N.O. de Marruecos, **Cuadernos de la biblioteca española de Tetuan**, 12, 1975.

(62) Idem, Ibid.

(63) حول المراحل التقنية التي يقطعها الخزف المصنوع باليد، انظر :

Camps(G), Aux origines de La Bérbérie - Monuments et rites funéraires protohistoriques, op. cit, chapitre II : La technique, p. 230-245, fig. 86-87-88.

(64) عمدت على الترجمة الحرفية لسياق النص المتعلق بالكشف عن الخزف المحلي، تلافيا لكل تأويل مغرض من شأنه أن يؤثر على النسبة الحقيقية التي مثلها هذا الخزف مقارنة بالخزف الفينيقي. وفي هذا الصدد نشير مثلا أن "يوسف بوكبوط" و"خورخي أونروبيا-بينطادو" (Jorge Onrubia-Pintado) يعتبران بدون أي سند معقول أن الخزف "ذا التقليد النيوليتي" كان هو الخزف الغالب في المستوى الاستراتيغرافي الاخير بليكسوس. انظر :

Bokbot(Y) et Onrubia-Pintado(J), La basse vallée de l'oued Loukkos à la fin des temps préhistoriques, op. cit, p. 20.

(65) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 149.

(66) Idem, Ibid, p. 152.

– في المستوى العميق لاستبار رقم 10 : «عرف هذا الاستبار في مستوياته العميقة نفس الاخـزاف الحاضرة في الاستبارين السالفي الذكر. وتلافيا للرتابة المرتبطة بهذا الوصف، لانعتقد أنه من اللازم القيام بوصف دقيق لهذه المواد. غير أنه تجدر الاشارة الى أن هذا المستوى خلف جزءا صغيرا من قنديل بونيقي ذي المشعلين، علاوة على الخزف الكامباني، والخزف ذي البرنيق الاحمر، ***والخـزف المحلـي "ماقبـل-التاريخي"***»[67].

– في المستوى العميق للاستبار رقم 13 : «ابتداء من هذه النقطة الى القعر، تم العثور على المـواد الخزفية الكلاسيكية المكتشفة في المستوى القديم للمدينة، وهي الخزف الكامباني A، والخـزف ذو البرنيـق الاحمر، و ***الاواني ذات التقليد النيوليتي***»[68].

– في الاستبار رقم 15 : «في أسفل طبقة، الموجودة مباشرة فوق الصخر الام، تم الكشف عن أوان من الخزف الاحمر و ***ذات التقليد النيوليتي***»[69].

– في أسس السور الشرقية : «بعد هذا المستوى [أي ما قبل الاخير]، برزت بعض العناصر السابقة لتاريخ بناء السور، والتي لا تختلف عن أخزاف الطبقة السالفة، باستثناء وفرة أكبر في ***الاواني ذات التقليـد النيوليتي***»[70].

وبعد الكشف عن الخزف المصنوع باليد خلال الاستبارات التي أنجزها "ميكيل طراديل" ، تم العثور كذلك على نفس المنتوج في الحفائر التي قام بها "ميشيل بونسيك" (M.Ponsich) بقطاع حي المعابد، وذلـك كما يلي :

– في الاستبار رقم 8 بالمبنى A : الى جانب الانواع الخزفية الفينيقية (الابـاريق ذات القـرص-الامفورات-القناديل ذات المشعلين) أورد "ميشيل بونسيك" أنه عثر على« ***خزف غيـر مخـروط يتميـز بزخرفة هندسية مشرطة ذات شكل خاص وذات التقليد المحلي العتيق***»[71] (انظر جدول III).

– في الطبقة رقم 3 من الاستبار رقم 1 بمبنى B : وقد تحدث "بونسيك" عن وجود الخزف المصنوع باليد في هذه الطبقة –التي تمثل أعمق مستوى استراتيغرافي– كما يلي : «المواد تعتبر نادرة ويغيـب منهـا الخزف الروماني، ولا تتألف سوى من كسرات من ***الخزف المحلي الصعبة التأريخ***، لكنها كلها مـا قبـل رومانية، من بينها كسرتان من الخزف الاحمر، وعنق إبريق ذي القرص، علاوة على أعداد كبيـرة مـن الخزف العادي بدون برنيق»[72].

– في معبد F : من خلال الاستبارات المتعددة التي قام بها "بونسيك" في جهات مختلفة من المعبد (في الحنية–تحت المنصة–في المُصلّى–في الرواقات)، أشار الى عثوره على الخزف المصنوع باليد في الـسياق التالي: «كشفت ستة من هذه الاستبارات عن وجود نفس المواد الخزفية العتيقة التي نجدها باستمرار في جميع

---

(67) Idem, Ibid, p. 153.

(68) Idem, Ibid, p. 153.

(69) Idem, Ibid, p. 155.

(70) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 165.

(71) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 32, fig. 6, p. 31.

(72) Idem, Ibid, p. 36.

الاستبارات التي بلغت حدا من العمق. وتتكون هذه المواد من الخزف الفينيقي ذي البرنيق الاحمر العالي الجودة المؤرخ بالقرنين السابع والسادس قبل الميلاد، مختلطا مع ***الخزف الاسمر الشبكي الشكل من الانتاج المحلي***، ومع كسرات الامفورات»[73].

– في ردم خزان معبد F : لم يشر "بونسيك" الى الخزف المصنوع باليد خلال تعداده للانواع الخزفية الفينيقية المستخرجة من ردم خزان معبد F[74]. لكن من خلال رسم رقم 22، يتبين أن هذا الخزف كان حاضرا في قطاع حي المعابد، خصوصا النوع الشبكي[75] (انظر لوحة LXVII وجدول III) .

– في حنية معبد H : بالمستوى الاستراتيغرافي رقم V الموجود مباشرة فوق الصخر الام، أورد "بونسيك" أنه عثر على « ***قطع من الخزف الملعقي (spatulé) من النوع الشبكي الشكل، المتوفر على زخرفة هندسية منقوشة***». وقد اكتشف هذا النوع الى جانب الخزف الفينيقي المتألف من الصحون ذات البرنيق الاحمر، والاباريق ذات القرص، والقناديل، وأعناق الامفورات[76] (انظر لوحة XXXII وجدولIII)

كما أورد محمد حبيبي[77]، أن "بونسيك" أشار ضمن سجل الصناديق الموجودة في مستودعات متحف القصبة بطنجة، المشتملة على المعثورات المكتشفة في محور حنية معبد H، الى اكتشافه ***لقطعة بطن من الخزف المقولب***، الى جانب الكسرات الفينيقية الكثيرة التي تعود الى أنواع مختلفة من الاواني، مثل الاباريق ذات القرص والقناديل ذات المشعلين والصحون.

– في غرب حي المعابد : يورد "يوسف بوكبوط" و"خورخي أونروبيا-بينطادو"[78] أن "ميشيل بونسيك" عثر في الطبقة رقم 2 بالاستبار حرف E المقام داخل مجموعة من الحجرات الموجودة غرب حي المعابد[79]، على كسرة تنتمي الى الخزف المعروف حسب "كابرييل كامبس" (G.Camps) "***بالخزف ذي الخربشات à graffito***"[80] (انظر جدول III).

وفيما يلي جدولا مفصلا حول الخزف المصنوع باليد الذي اكتشفه كل من "ميكيل طراديل" و"ميشيل بونسيك" :

---

(73) Idem, Ibid, p. 65.

(74) Idem, Ibid, p. 65-73.

(75) Idem, Ibid, fig. 22, p. 76.

(76) Idem, Ibid, p. 105, pl. XXXVI, p. 104.

(77) Habibi(M), A propos du temple H et du temple de Melkart-Héraclès à Lixus, **L'Africa Romana**, t. X, (11-13 déc. 1992), 1994, p. 235.

(78) Bokbot(Y) et Onrubia-Pintado(J), La basse vallée de l'oued Loukkos à la fin des temps préhistoriques, op. cit, p. 21.

(79) لم نتمكن من التعرف على مكان الاكتشاف إلا بفضل مفتاح رسم رقم 1 الوارد في المقالة السالفة الذكر. انظر :
Bokbot(Y) et Onrubia-Pintado(J), La basse vallée de l'oued Loukkos à la fin des temps préhistoriques, op. cit, fig. 1 n° 2, p. 22.

(80) Camps-Fabrer(H), Matière et art mobilier dans la préhistoire nord-africaine, 1966, Paris (Mémoire du C.R.A.P.E., 5), p. 396 ; Camps(G), Aux origines de La Bérbérie - Monuments et rites funéraires protohistoriques, op. cit, p. 393.

التسمية حسب المكتشفين	مكان الاكتشاف	المكتشف	العدد	التاريخ
الخزف المقولب ذو التقليد النيوليتي	استبار الخروب	طراديل	؟	؟
الخزف ذو التقليد النيوليتي	استبار المخيم	طراديل	؟	؟
الخزف المحلي ماقبل-التاريخي	استبار رقم 10	طراديل	؟	؟
الاواني ذات التقليد النيوليتي	استبار رقم 13	طراديل	؟	؟
الاواني ذات التقليد النيوليتي	استبار رقم 15	طراديل	؟	؟
الاواني ذات التقليد النيوليتي	أسس السور الشرقية	طراديل	؟	؟
الخزف المشرط ذو التقليد المحلي العتيق	مبنى حرف A	بونسيك	؟	؟
كسرات من الخزف المحلي	مبنى حرف B	بونسيك	؟	؟
الخزف الاسمر الشبكي من الانتاج المحلي	معبد حرف F	بونسيك	؟	؟
الخزف الشبكي	ردم خزام معبد F	بونسيك	؟	؟
الملعقي الشبكي ذو الزخرفة الهندسية المنقوشة	حنية معبد H	بونسيك	؟	؟
قطعة بطن من الخزف المقولب	حنية معبد H	بونسيك	؟	؟
الخزف ذو الخربشات	غرب حي المعابد	بونسيك	؟	؟

ب ـــ صعوبة التصنيف والتشكيل المرفلوجي :

أول ما يثير انتباهنا عند دراسة الخزف المصنوع باليد المرافق للخزف الفينيقي بليكسوس، أنه عُرف من طرف مكتشفيه بأسماء مختلفة. فقد أطلق عليه "طراديل" تارة اسم الخزف المقولب ذو التقليد النيوليتي، ومرّة الخزف المحلي ما قبل-التاريخي، وتارة أخرى الخزف المصنوع باليد ذو الزخرفة الهندسية المشرطة[81]. كما عُرف من طرف "بونسيك" باسم الخزف المشرط ذي التقليد المحلي العتيق، والخزف الاسمر الشبكي، والخزف المقولب، والخزف الملعقي الشبكي ذي الزخرفة الهندسية المنقوش[82]. وعرف من طرف "أندري جودان" (A. Jodin) باسم الخزف البربري القديم[83].

وتعني هذه الاسماء المختلفة، أن الاخزاف المقولبة تفتقر الى الاصدارات الكافية والمصنفات الوصفية، عكس ما تميزت به الانواع الفينيقية المعاصرة. كما تنم عن قلة اهتمام الباحثين بهذا النوع، حيث ما فتئ هؤلاء يتناسونه بمجرد الكشف عن الخزف المخروط المستورد[84]. وسوف تعكس هذه التسميات المختلفة حقيقة لم

---

(81) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 157.
وقد عرّف "طراديل" (Tarradell) هذا الخزف باسم "الخزف المحلي ذي التقليد النيوليتي" من الناحية المنطقية فقط، ذلك أن الاشكال المطابقة ولا الانواع السابقة لم تكن معروفة إذاك في المغرب بما فيه الكفاية.

(82) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 105.

(83) Jodin(A), Les grottes d'El Khil à Achakar, **B.A.M**, t. III, 1958-1959, p. 306.

(84) Bokbot(Y) et Onrubia-Pintado(J), La basse vallée de l'oued Loukkos à la fin des temps préhistoriques, op. cit, p. 21.

يتم الكشف عنها سوى في العقود الاخيرة، وهي أن الخزف المصنوع باليد أو المقولب كان ينتمي الى أنـواع مختلفة شكلا ومصدرا، وأن جميع النماذج المكتشفة لم تكن بالضرورة محلية الاصل.

وإذا كان هذا الخزف يعرف كذلك من طرف "كابرييل كامبس" (GabrielCamps) باسم "الخـزف المشرط أو المطبوع"[85]، فلكونه يتميز بتوفره على زخرفة نجدها تتكرر باستمرار في جل الاواني تقريبـا. ويتم إنجاز هذه الزخرفة بعد إثبات شريط أو فتيلات بارزة أفقية من عجين طري تحيط بقاعدة العنق أو بأعلى البطن[86]، مما يعطي للآنية مسندا ناتئا. بعد ذلك تطبع الزخرفة بواسطة رأس قضيب ذي المقطع المستدير، حيث نتوفر على تناوب أنصاف أقمار متراكبة[87] أو دوائر محفورة، بعـد الاقتلاعـات المتكـررة مـن الشريط[88]. كما يمكن أن نتوفر على نفس الزخرفة بعد قرص الفتيل عندما يكـون عجينـا بـين الابهـام والسَّبَّابة[89]، أو نتوفر على خطوط متشابكة بعد تشريط الاناء بالظفر[90] أو بمخراز خاص[91] (انظر لوحة LXVIII).

وبعد أن قام مؤخرا الباحثان يوسف بوكبوط و"خورخي أونروبيا-بينطادو" بدراسة الخـزف غيـر المخروط الوافد من الطبقات العميقة بليكسوس[92]، أثارت انتباههما كسرتان اثنتان من مجمـوع الكـسرات المدروسة، لإنتمائهما الى نوع مجهول لحد الساعة بشمال إفريقيا، وهو المعروف بالخزف "ذي الخربشات" (à graffito)[93]. وكان مصدر الكسرة الاولى من أعمق طبقة بمعبد حرف H[94]؛ وهـي كـسرة مقولبـة ومصقولة وذات اللون الاسود اللامع، ومتوفرة على زخرفة على شكل مثلثات ذات التزابيع تحيط بحاشـية الآنية (انظر لوحة XXXII). أما الكسرة الثانية التي كان مصدرها من غرب حي المعابد، فكانت بدورها من نفس الصنف السابق[95]، حيث كانت مقولبة مثلها ومصقولة وذات اللون الاسود اللامع، ومزخرفـة كـذلك بحزات تم تشريطها بعد الشواء (انظر جدول III). ولا نلاحظ أي اختلاف بين النوعين إلا في شكل الزخرفة

(85) Camps(G), Aux origines de La Bérbérie - Monuments et rites funéraires protohistoriques, op. cit, p. 321.

(86) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 166 ; Idem, Les grottes d'El Khil à Achakar, op. cit, p. 306.

(87) Cintas(P), Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc, op. cit, p. 41.

(88) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, pl. XLVIII, p. 170.

(89) Bokbot(Y) et Onrubia-Pintado(J), La basse vallée de l'oued Loukkos à la fin des temps préhistoriques, op. cit, p. 21.

(90) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 166

(91) Idem, Ibid, pl. XLVI, p. 167.

(92) Bokbot(Y) et Onrubia-Pintado(J), La basse vallée de l'oued Loukkos à la fin des temps préhistoriques, op. cit, p. 21.

(93) Camps-Fabrer(H), Matière et art mobilier dans la préhistoire nord-africaine, op. cit, p. 396 ; Camps(G), Aux origines de La Bérbérie - Monuments et rites funéraires protohistoriques, op. cit, p. 393.

(94) Bokbot(Y) et Onrubia-Pintado(J), La basse vallée de l'oued Loukkos à la fin des temps préhistoriques, op. cit, p. 21, fig. 1, n° 1, p. 22 ; Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, pl. XXXVI, p.104.

(95) Bokbot(Y) et Onrubia-Pintado(J), La basse vallée de l'oued Loukkos à la fin des temps préhistoriques, op. cit, p. 21, fig. 1, n° 2, p. 22.

التزيينية، حيث لم تكن المثلثات في القطعة الثانية تتوفر على ترابيع، بل مجزأة الى شرائط متوازية مخططة بالتناوب.

ويعتبر الباحثان المغربي والاسباني أن هذا النوع من الزخرفة يتشابه مع النقش المستعمل على بيض النعام[96]. كما يعتقدان أن هناك تشابها كبيرا بين كسرتي ليكسوس والخزف "الشاصتي" (Céramique chasséenne)[97] المميز للعصر النيوليتي الاوسط بجنوب فرنسا، وبين خزف حضارة "ماطيرا" (Matéra) المميز للعصر النيوليتي الاوسط بجنوب إيطاليا. وإذا كنا نستبعد وجود علاقةٍ مّا بين الكسرتين وبين نماذج هاتين الحضارتين، فإن شقفتي ليكسوس تحظيان في المقابل ببعض الشبه مع بعض الانواع الخزفية ماقبل-الفينيقية المكتشفة بجنوب شبه الجزيرة الايبيرية.

علاوة على الخزف المطبوع والخزف المشرط والشبكي والخزف ذي الخربشات، فإن باقي الاخزاف المقولبة التي تم العثور عليها في الطبقات العميقة بليكسوس، كانت ملساء على العموم، وبعض الكسرات كانت مصقولة. ويعتقد يوسف بوكبوط و"خورخي أونروبيا-بينطادو" أن هذه التقنية في الصقل كانت تنعدم من المستويات القديمة للعصر النيوليتي، ولم تبرز بجلاء إلا مع حلول عصر المعادن[98]. ويطلق "كابرييل كامبس"[99] على هذا النوع إسم "الخزف الاملس" (Céramique lisse)، ويعتبر أن بداية صنعه كانت خلال عصر البرونز ما بين سنة 1500 قبل الميلاد و1200 قبل الميلاد. كما يرى أن هذا الخزف، الذي عرفته ليكسوس في أعمق مستوياتها الاستراتيغرافية، يشكل النموذج الاصلي للخزف البربري المقولب، الذي استمر في الوجود بدون تغييرات كبيرة الى يومنا هذا.

وعموما، يقسم يوسف بوكبوط و"خورخي أونروبيا-بينطادو" الخزف المصنوع باليد المكتشف في الطبقات السفلى بليكسوس، الى ثلاثة أنواع رئيسية، وهي الاواني ذات الزخرفة المنقوشة، والاواني الملساء أو المصقولة، والاواني المزخرفة عن طريق التشريط أو الطبع أو إلصاق فتائل مزخرفة أو مجتمعة (انظر جدول III)[100]. أما أشكال هذه الاواني، فإنها لم تعرف تنوعا كبيرا[101]، حيث تم العثور على مجموعة من القصعات النصف الكروية أو المخروطية الشكل، ومجموعة من الكؤوس الكبيرة على شكل حرف S،

---

(96) Idem, Ibid, p. 21.

(97) نسبة الى مركز "شاصتي-لو-كامب" (Chassey-le-Camps) بمقاطعة "الصون واللوار" (Sône-et-Loire) بفرنسا.

(98) Bokbot(Y) et Onrubia-Pintado(J), La basse vallée de l'oued Loukkos à la fin des temps préhistoriques, op. cit, p. 20-21 ; Camps-Fabrer(H), Matière et art mobilier dans la préhistoire nord-africaine, 1966, Paris (Mémoire du C.R.A.P.E., 5).

(99) Camps(G), Aux origines de La Bérbérie - Monuments et rites funéraires protohistoriques, op. cit, p. 399 - 400.

(100) ومن بين الاواني المزخرفة بالفتائل، يمكن إضافة نموذج وظيفي يتوفر عند جوانبه أو حواشيه على مقبض خاص على شكل هلال. انظر :
Bokbot(Y), Habitats et monuments funéraires du Maroc protohistorique, thèse de doctorat, 2 vol., Aix - en-Provence, Université d'Aix-Marseille I, 1991, p. 163-167.

(101) أنظر الاشكال الاثنى عشر الاساسية المميزة للاواني المقولبة عند :
Camps(G), Aux origines de La Bérbérie - Monuments et rites funéraires protohistoriques, op. cit, fig. 90, p. 271.

ومجموعة من الاواني المقوسة ذات الشكل الكروي، علاوة على الخزف الدقيق (microcéramique)[102] ذو الاستعمال المنزلي(انظر جدول III). ويجدر التذكير في هذا الصدد أن جميع الكسرات المكتشفة في ليكسوس كانت تنتمي الى أوان ذات القعر المسطح[103]، مما يعني أنها كانت تستعمل لطهي الاطعمة. وسنرجع فيما بعد الى أهمية هذه الملاحظة.

ت ـ الخزف المحلي والخزف الفينيقي : النسبة المائوية المغلوطة :

لما اعتبر "يوسف بوكبوط" و"خورخي أونروبيا-بينطادو" أن جميع الاواني المصنوعة باليد المكتشفة بليكسوس كانت محلية، استندا على نسبة هذا الخزف مقارنة بالخزف المخروط الفينيقي، للتمييز بين الآفاق المحلية الموجودة قبلا حسب رأيهما، وبين المرحلة الاستيطانية اللاحقة[104]. وبالتأكيد، فإن الاجابة الموضوعية حول مسألة ليكسوس المحلية لن تتأتى، حسب تعقيب "موريس لونوار" (M.Lenoir) على مداخلة الباحثيْن في "الملتقى الدولي السادس حول تاريخ وآثار إفريقيا الشمالية"[105]، سوى إذا تمت دراسات إحصائية حول النسب الخاصة بالخزف المحلي مقارنة بالخزف الفينيقي[106]. وهي التي تمكن لوحدها من التعرف من جهة على "نوعيات الاتصال وسياق التحولات" التي جمعت المجتمعات المحلية والفينيقيين، ومن جهة ثانية تمكن من إدراك الطبيعة الحقيقية للمستوطنات الفينيقية المشيدة بالسواحل المغربية. غير أن المنطلق ذاته في اعتماد هذه النسبة يجب مراجعته من الاساس، لكون مفهوم الخزف المصنوع باليد أو المقولب المكتشف في المنشآت الفينيقية كان مفهوما خاطئا.

فاستنادا لتفوق الخزف المصنوع باليد على الخزف المخروط الفينيقي، اعتبر الباحثان السالفي الذكر أن ليكسوس كانت موجودة كتجمع سكاني محلي قبل قدوم الفينيقيين إليها. صحيح أن هذا التفوق كان واردا، لكن ليس بالشكل الذي كان يرجحه "يوسف بوكبوط" و"خورخي أونروبيا-بينطادو" ، إذ لم يكن الخزف المصنوع باليد أو المقولب كله خزفا محليا كما سنرى ؛ كما أن الشّقّ المحلي منه كان ضئيلا. وكان الباحثان المغربي

---

[102] Bokbot(Y) et Onrubia-Pintado(J), La basse vallée de l'oued Loukkos à la fin des temps préhistoriques, op. cit, p. 21, fig. 1, p. 22.

[103] Camps(G), Aux origines de La Bérbérie - Monuments et rites funéraires protohistoriques, op. cit, p. 148.

[104] هذا مع العلم أن "يوسف بوكبوط" و"خورخي أونروبيا-بينطادو" (Jorge Onrubia Pintado) كانا يشددان على الصعوبات التي تعتري الباحث في التعرف على النسبة المائوية الحقيقية للاخزاف المقولبة وللاخزاف الفينيقية المخروطة المكتشفة بليكسوس. فقد أوردا في هذا الصدد ما يلي : « ***لانستطيع انطلاقا من الوضعية الحالية للمعلومات الاركيولوجية المتوفرة حول ربوة الشميس، تحديد النسبة المائوية الحقيقية للاخزاف المقولبة وللاخزاف المخروطة*** ». انظر :

Bokbot(Y) et Onrubia-Pintado(J), Substrat autochtone et colonisation phénicienne au Maroc, op. cit, p. 225.

[105] Idem, Ibid, p. 230.

[106] من المعلوم أن الدراسات الاحصائية التي تمت في طبقات أركيولوجية متجانسة وواضحة التأريخ بإسبانيا، أسفرت على نتائج معبرة. انظر :
Ruiz Mata(D), Aportacíon al análisis de la presencia fenicia en Andalucia sudoccidental, según las excavaciones del Cabezo de San Pedro (Huelva), S. Bartolomé (Almonte, Huelva), Castillo de Doña Blanca (Puerto de Santa Mría, Cádiz) y El Carambolo (Camas, Sevilla), dans **Homenaje a L. Siret**. Cuevas del Almanzora, Junio, 1984, Sevilla, consejería de Cultura de la Junta de Andalucía, 1986, p. 537-555 ; Idem, Las ceramicas fenicias del Castillo de Doña Blanca, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, op. cit, p. 241-263.

والاسباني قد أوردا في هذا الموضوع أن « ***المستوى الاستراتيغرافي حرف D، أي الطبقة الاخيرة، شمل كذلك الأصناف المشار إليها في الطبقة السابقة***[107] ***غير أن الخزف "ذا التقليد النيوليتي" كان هو الخزف الغالب***»[108]. كما ذكرا في مجال آخر[109] أن أغلبية المواد الخزفية المستخرجة من الطبقة الاركيولوجية الموجودة في مستوى أسس بناء مبنى حرف B، كانت تشكلها كسرات من الخزف المحلي ما قبل الروماني. وإجمالا، تم الادلاء على لسانهما بما يلي: «***تعتبر المستويات التي تهمنا بالنسبة للمرحلة المتعلقة بهذه الدراسة هي المستويات العميقة، خصوصا المستوى الاخير، لانه كان يتألف في غالبيته من الخزف المقولب***»[110]. وفي مضمار آخر، أوردا كذلك ما يلي : «***وقد تبين بالفعل أن جل الاستبارات التي قام بها "ميكيل طراديلو"ميشيل بونسيك" ، أبرزت أن الاصناف الخزفية الفينيقية "العتيقة" كانت تعاصر خزفا مقولبا وافرا***».

والحاصل أن هذه التصريحات لم ترد بتاتا سواء لدى "ميشيل بونسيك" أو لدى "ميكيل طراديل" ، الذي لم يشر في جميع إصداراته المتعلقة بليكسوس الى تفوق نسبة الخزف المحلي سوى في حالة واحدة. وهي الاشارة التي أوردها عندما كان بصدد الحديث عن المواد الخزفية المكتشفة في المستوى الاستراتيغرافي الموجود تحت أسس بناء السور المعروفة بالسور الشرقية[111]. أضف الى ذلك أن بعض الاستبارات التي وصلت الى الصخر الام، لم تكشف إطلاقا عن أي نوع من الخزف المحلي، في حين كان الخزف الوحيد المستخرج من هذ الاستبارات هو الخزف الفينيقي. ففي الاستبار رقم 11 المعروف باسم استبار "البازيليك"، يلاحَظ أن أقدم مستوى أثري أفرز حسب ما ورد على لسان "طراديل": "***وفرة كبيرة تقتصر فقط على الخزف الاحمر. وهذا يدل على أننا في منطقة كانت آهلة بالسكان خلال أقدم عصر بليكسوس***"[112]. كما أشار المؤلف نفسه الى أن أقدم مستوى أثري في الاستبار رقم 12 المنجز في دار "مارس وريا"، لم يخلف سوى الخزف المخروط الخشن، مع بعض الكسرات من الخزف الاحمر وكسرات أخرى من الخزف المصبوغ ذي الخطوط الرقيقة السوداء المتوازية[113].

غير أن مواقف "يوسف بوكبوط" و"خورخي أونروبيا-بينطادو" سيتم التحفظ في شأنها بعد اكتشافهما لمركز "كشكوش"، حيث ورد على لسانهما أنه من الاعتباط اعتبار أن مجموع الخزف المقولب المكتشف بليكسوس هو خزف محلي[114]. وذلك بالنظر الى وجود عدة علامات في مراكز فينيقية أخرى تنم عن إنتاج

---

(107) وهذه إشارة الى الخزف الفينيقي.

(108) Bokbot(Y) et Onrubia-Pintado(J), La basse vallée de l'oued Loukkos à la fin des temps préhistoriques, op. cit, p. 20.

(109) Idem, Ibid, p. 20.

(110) Idem, Ibid, p. 20.

(111) أورد "ميكيل طراديل" (M. Tarradell) في هذا الصدد ما يلي : "***بعد هذا المستوى، برزت بعض العناصر السابقة لتاريخ بناء السور، والتي لا تختلف عن أخزاف الطبقة السابقة، باستثناء وفرة أكبر في الاواني ذات التقليد النيوليتي***". انظر : Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 165.

(112) Idem, Ibid, p. 153.

(113) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 155.

(114) Bokbot(Y) et Onrubia-Pintado(J), Substrat autochtone et colonisation phénicienne au Maroc, op. cit, p. 224, note n° 8.

خزف عاد مصنوع باليد في ورشات فينيقية محضة. ويمكن تطبيق هذه الظاهرة على مجموعة من الصحون الواسعة التي عرفتها ليكسوس، المتميزة بانعدام الاتقان وبقعر مثقوب في عدة جهات[115]، والتي كانت طبق الاصل لقطع تم اكتشافها في مستويات أركيولوجية فينيقية بمركزي "إيل مورّو دي ميسكيتيا" (El Morro de Mezquitilla) و"كاستيبو دي دونيا بلانكا" (Castillo de Doña Blanca). وقد اعتبر الباحث الاسباني "دييكو رويز ماطا" (Diego Ruiz Mata) أن هذه الصحون المثقوبة تنم عن نشاط معدني مرتبط بشكل وثيق بعملية تقليص مادة النحاس من المعادن[116].

كما يمكن تطبيق نفس الحالة على مجموعة من القدور المصنوعة باليد، التي تم اكتشافها مغروسة عموديا تحت أقدم مستوى استراتيغرافي بمركز "إيل مورّو دي ميسكيتيا" (El Morro de Mezquitilla). وقد اعتبر "هيرمانفريد شوبارت" (H.Schubart) ، مكتشف المركز، أن هذه القدور كانت من صنع السكان الفينيقيين الاوائل بعين المكان، لتخزين بعض المواد الغذائية قد تكون اللحوم[117]. ويورد عالم الآثار الالماني أنه خلص الى هذه النتيجة، نظرا لانعدام وجود نظائر لهذه القدور في مصنفات الخزف المحلي للمراكز المؤرخة بعصر البرونز الحديث الموجودة بالظهير القريب من مستوطنة "إيل مورّو دي ميسكيتيا" الفينيقية[118].

انطلاقا من هذه الملاحظات، فإن القنديلين ذوَيْ المشعلين المصنوعين باليد، والمقلدين للنماذج الفينيقية المخروطة، اللذين عثر عليهما "بونسيك" في ردم خزان معبد F[119]، يمكن اعتبارهما كذلك من صنع السكان الفينيقيين المستقرين بليكسوس، وليس من صنع السكان المحليين (انظر لوحة XLIV). ذلك أنه لم يتم الكشف عن أية محاولة لتقليد الخزف الفينيقي ضمن مصنفات الخزف المحلي، سواء المكتشف في ليكسوس أو في المراكز ما قبيل-التاريخية الموجودة بالمنطقة. وقد عرفت المحطة التي أنشأها الفينيقيون في جزيرة الصويرة تقليد نفس القناديل ذات المشعلين، حيث عثر "أندري جودان" في الطبقة الاركيولوجية الفينيقية المؤرخة بالقرنين السابع والسادس قبل الميلاد على قناديل ثخينة مصنوعة باليد تكاد تكون طبق الاصل للنماذج المخروطة المعاصرة لها[120]. ومن المعلوم أن المركزلم يبرز أية علامة عن وجود تجمع محلي بالجزيرة خلال المرحلة الفينيقية، حتى نقر بأن هذه القناديل كانت بمثابة تقليدات محلية[121].

---

(115) Bokbot(Y), Habitats et monuments funéraires du Maroc protohistorique, thèse de doctorat, 2 vol., Aix - en-Provence, Université d'Aix-Marseille I, 1991, p. 166.

(116) Ruiz Mata(D), Huelva : un foco temprano de actividad metalúrgica durante el Bronce final, **Tartessos. Arqueología protohistórica del bajo Guadalquivir**, Aubet(M.E), coord., Sabadell, éd. Ausa, 1989, p. 237-238.

(117) Schubart(H), El Asentamiento fenicio del s. VIII a. C. en El Morro de Mezquitilla (Algarrobo, Malaga), dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, op. cit, p. 66, 74, fig. 2, 10, 11, pl. III.

(118) Idem, Ibid, p. 78.

(119) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, pl. XXVI, p. 77.

(120) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 167, pl. XLVII, p.168.

(121) وكان "أندري جودان" (A. Jodin) قد تساءل هل كانت هذه القناديل مستوردات فينيقية أم منتوجات محلية. انظر: Idem, Ibid, p. 167.

استنادا لهذه المعطيات، يتجلى أن نسبة الخزف المحلي كانت ضئيلة في ليكسوس مقارنة بالخزف الفينيقي المستورد. بل إن بعض الانواع التي كانت تُعدّ أخزافا محلية محضة، لها بعض الحظوظ لأن تكون بدورها مستوردات جاءت من الخارج. فالكشف بجنوب إسبانيا على خزف مشابه لخزف ليكسوس المعروف "بذي الخربشات" (à graffito) أو باسم "الخزف المنقوش" (انظر لوحة XXXII)، يثير مسألة انتمائه الاجنبي، ومسألة الدور الذي قام به الفينيقيون في توزيعه[122]. وبالفعل تم العثور بإقليم الاندلس جنوب إسبانيا على مجموعة من الاواني المنقوشة، المنتمية لعصر البرونز الحديث المحلي، مرافقة باستمرار للاواني الخزفية المقولبة والمصقولة ذات الزخرفة الشبكية المصبوغة، المميزة للمستويات الاركيولوجية المحلية الخاصة بالمرحلة المستشرقية[123].

ومما يدل على أن الخزف الفينيقي كان منذ الوهلة الاولى لقدوم الفينيقيين أوفر بكثير من الخزف المحلي، تعقيب "طراديل" على "بيير سانتاس" في أمر الاستراتيغرافية العامة لليكسوس، الذي ورد فيه : « **تحت هذا المستوى** [أي ما قبل الاخير] ***يوجد دائما مستوى آخر تتألف عناصره الاخيرة من الخزف الاحمر، والخزف المصبوغ ذي الاشرطة أو الخطوط المتوازية، بينما يوجد الخزف المحلي أو ذي التأثير ما قبل التاريخي أو النيوليتي بأعداد قليلة*** »[124].

وهكذا نستخلص من هذه المقارنات، أن الخزف المصنوع باليد الذي اكتشفه كل من "ميكيل طراديل" و"ميشيل بونسيك" لم يكن كله خزفا محليا، وأن نسبته كانت ضئيلة. واستنادا لذلك، لايمكن الاقرار بوجود تجمع سكاني محلي بليكسوس سابق لقدوم الفينيقيين أو معاصر لهم، وذلك للاعتبارات التالية :

- لو كانت ليكسوس تعرف تجمعا سكانيا محليا قبل قدوم الفينيقيين، لكانت نسبة الخزف المحلي تمثل نسبة كبيرة.
- لوكانت ليكسوس تعرف منذ نشأتها تعايشا بين المحليين والفينيقيين، لكانت نسبة الخزف المحلي تعادل الخزف الفينيقي.

أما مردّ وجود الخزف المحلي بأعداد قليلة منذ الوهلة الاولى الى جانب الخزف الفينيقي، فيمكن أن يكون قد نتج عن ثلاث حالات :

---

(122) نشير في هذا الصدد أن اللوحة التي نشر من خلالها "ميشيل بونسيك" (M. Ponsich) هذا الخزف، كانت تشير في مفتاحها الى ما يفيد بانتمائه المحلي. انظر :

Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, pl. XXXVI, p. 104.

(123) Pellicer Catalan(M), El bronce reciente y los inicios del Hierro en Andalucía occidental, **Tartessos. Arqueología protohistórica del bajo Guadalquivir**, Aubet(M.E), coord., Sabadell, éd. Ausa, 1989.

ومع ذلك، فإن يوسف بوكبوط و"خورخي أونروبيا-بينطادو" (Jorge Onrubia Pintado) يعتبران أنه بالرغم من كون الاواني ذات الزخرفة المنقوشة لم تكن غائبة من قوائم الخزف المحلي المرافق للمخلفات الفينيقية في العديد من المنشآت الفينيقية-البونيقية بالساحل الاندلسي، فإن ذلك لا يعني أن الاواني المشابهة الحاضرة في ليكسوس كانت ناتجة عن حدوث مبادلات خاصة بهذه السلعة مرتبطة بالبحارة الفينيقيين. انظر :

Bokbot(Y) et Onrubia-Pintado(J), Substrat autochtone et colonisation phénicienne au Maroc, op. cit, p. 224, note n° 9.

(124) Tarradell(M), Nuevos datos sobre la ceramica pre-romana de barniz rojo, op. cit, p. 252.

– إما أن السكان المحليين قدموا للعيش داخل المنشأة الفينيقية منذ تأسيسها، وعملوا على إنتاج خزفهم المحلي بعين المكان.

– إما أن ليكسوس كانت في الاصل نواة محلية صغيرة، أدمج سكانها في المنشأة الفينيقية التي حلت محلها. فاستمر هؤلاء في إنتاج خزفهم المحلي ولو بشكل ضئيل خلال المرحلة الفينيقية.

– إما أن الفينيقيين قاموا منذ البداية باقتناء بعض الاواني الخزفية من الجوار المحلي، لقلة الخزف المستورد الفينيقي الكافي لتغطية حاجاتهم اليومية. ومن المعلوم أن المستويات الاستراتيغرافية التي كشفت عن الخزف الفينيقي، تم اكتشافها في نقط متعددة من المركز داخل مساحة شاسعة، مما يوحي بأن ليكسوس عرفت منذ نشأتها جالية سكانية فينيقية كثيفة.

II – إسهامات البعثة المغربية – الاسبانية وحقيقة الخزف المصنوع باليد:

إذا كان الخزف المحلي المحض لا يمثل سوى نسبة قليلة من مجموع الخزف المكتشف في ليكسوس، فإن المستجدات التي حصلت مؤخرا في مجال الدراسات الفينيقية، أضحت تبين يوما بعد يوم أن الخزف المصنوع باليد كان وافرا في المنشآت الفينيقية، وأنه لم يكن بالضرورة خزفا محليا، وأن أعدادا منه كانت من إنتاج المستوطنين الفينيقيين أنفسهم. وتكمن أهمية هذه المعطيات في إعادة النظر في هوية العديد من المنشآت التي كانت تعتبر فيما مضى منشآت محلية، نظرا لتوفرها على نسبة عالية من الخزف المصنوع باليد. وفي هذا الصدد نحيل مثلا على مركز "كاستييو دي دونيا بلانكا" ، حيث كان الخزف المصنوع باليد هو الغالب خلال عصر التأسيس في النصف الاول من القرن الثامن قبل الميلاد. وما أن حل القرن السابع قبل الميلاد، حتى أضحى الخزف المخروط هو الغالب، ليصبح خلال النصف الثاني من القرن نفسه يمثل حوالي % 90 من مجموع الاواني الخزفية[125]. ومن المعلوم أن هذه المنشأة كانت تعتبر ذات أغلبية سكانية محلية، وأن تشييدها بخليج قادس كان يفسّر بارتباطه بقادس، الى أن تبين فيما بعد أنها كانت مستوطنة فينيقية.

وفيما يتعلق بليكسوس، فإن النتائج التي خلصت إليها البعثة الاركيولوجية المغربية–الاسبانية كانت موافقة لنفس التصور الجديد. وذلك من خلال إعادة دراسة الكسرات الخزفية التي اكتشفها "ميكيل طراديل" في استبار الخروب واستبار البازيليك واستبار قطاع المنازل ما قبل–الرومانية، وبفضل الحفائر الجديدة التي شملت استبار الخروب واستبار الزيتونة.

1) الخزف المصنوع باليد في استبار الخروب :

قبل الشروع في الحفائر الجديدة بليكسوس، كان من أولويات البعثة الاركيولوجية المغربية–الاسبانية منذ سنة 1992، دراسة المواد الاثرية المحفوظة في المتحف الاركيولوجي بمدينة تطوان، والتي اكتشفها "ميكيل طراديل" منذ الخمسينيات من القرن العشرين. وفي هذا الاطار، قامت "ماريا بيلين وآخرون" بدراسة

---

(125) Ruiz Mata(D), Las ceramicas fenicias del Castillo de Doña Blanca, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, op. cit, p. 242 ; Idem, Aportacíon al análisis de la presencia fenicia en Andalucia sudoccidental, según las excavaciones del Cabezo de San Pedro (Huelva), S. Bartolomé (Almonte, Huelva), Castillo de Doña Blanca (Puerto de Santa Mría, Cádiz) y El Carambolo (Camas, Sevilla), dans **Homenaje a L. Siret**. Cuevas del Almanzora, Junio, 1984, s. c., 1986, p. 547.

الكسرات الخزفية المكتشفة في المستوى الاستراتيغرافي رقم V من استبار الخروب[126]. من خلال ذلك، تبيّن أن هذه الكسرات كانت تتألف من 284 قطعة خزفية : 85 قطعة كانت من النوع المصنوع باليد بنسبة 18,43%، و226 قطعة كانت من النوع المخروط، بنسبة 81,56%. وتنتمي هذه الكسرات الى الطبقات الاركيولوجية المرقمة من 26 الى 22[127] (انظر لوحة XXI-XI). غير أن أهم ما كشفت عنه هذه الدراسة هو إبراز أن نسبة الخزف المصنوع باليد كانت في الطبقات القديمة أوفر من الخزف المخروط. الامر الذي يرجح، كما هو الحال في المراكز الفينيقية بإسبانيا، أن هذه الظاهرة لا يمكن تفسيرها سوى باستبدال تدريجي للنوع المقولب بالنوع المخروط. وهذا يعني أن الخزف المصنوع باليد لايمكن ربطه سواء كليا أو جزئيا بالتجمعات السكانية المحلية، لا في الجانب المغربي ولا في الجانب الاسباني[128].

وأول ملاحظة تثير الانتباه كذلك في هذا الخزف، أنه يتشابه مع نظيره في ايبيريا. ومن الاشكال التي تم رصدها، نذكر الجفنات والاواني على شكل حرف S، والقناديل، والقدور القاربية الشكل، والقدور "ذات الحلمات" (marmites à mamelons)، والجرار ذات العروات، والطنجرات ذات القعر المسطح، والصحون، وربما الاواني من نوع "شاردون" (chardon)، علاوة على كسرات مزخرفة بالبصم الاصبعي[129]. ومن الملاحظ أن هذه الكسرات تنتمي في معظمها الى أوان تستعمل في المطبخ، بدليل توفر بعضها على علامات استعمال النار لطهي المأكولات[130].

ويجدر التذكير في هذا الصدد، أن العديد من المستوطنات الفينيقية بالغرب المتوسطي كشفت عن خزف مصنوع باليد، كان مثارا لطرح مجموعة من الفرضيات حول سر وجوده في هذه المستوطنات. من هذه المراكز التي أفرزت خزفا مصنوعا باليد كبديل للخزف المخروط الذي أنتجه نفس المستوطنين، نذكر مركز "إيل مورّو دي ميسكيتيا" بإسبانيا. هناك، في أقدم مستوى استراتيغرافي، الذي ينتمي الى مرحلة تأسيس المستوطنة، كان من الضروري صناعة عدد من الاواني الفخارية كانت مختلفة عن المنتوجات المحلية للظهير. ومن النماذج الاخرى المشابهة، نشير الى الدور الذي قام به الخزف المصنوع باليد المكتشف في مركز "لوس طوسكانوس" الاسباني في استكمال الخزف المخروط الفينيقي[131].

وقد انطلقت مجمل الدراسات التي اهتمت بالموضوع من منظور مغلوط، مفاده أن المستوطنين الساميين الذين ولجوا الغرب المتوسطي، كانوا في مرحلة متطورة حضاريا، لدرجة أن الخزف المصنوع باليد كان شبه مجهول بينهم. واستنادا على هذه الفرضية غير المبرْهَنة، أضحى كل منتوج خزفي غير مخروط، يعتبر دليلا عن حدوث اتصالات مع التجمعات السكانية المحلية التي لقيها الفينيقيون في الامكنة التي قادتهم

---

(126) Belèn(M), Escacena(J.L.), Rodero(A), López Roa(C), Materiales de época fenicia de las excavaciones de Tarradell conservados en el museo de Tetuán, **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4**, 2001, p. 83-105.

(127) Idem, Ibid, p. 86, cuadro 3.

(128) Idem, Ibid, p. 94.

(129) Idem, Ibid, fig. 8, p. 99, fig. 10, p. 101, fig. 11, n° 513-516, fig. 13, n° 585, fig. 14, n° 604-606.

(130) Idem, Ibid, p. 87.

(131) Schubart(H), El Asentamiento fenicio del s. VIII a. C. en El Morro de Mezquitilla (Algarrobo, Malaga), dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, op. cit, p. 66, 70, 74, 78.

إليها أنشطتهم التجارية[132]. وبالتالي تم اعتبار إما أن هذه الاواني كانت تستعمل لحمل المنتجات الاستهلاكية التي يحتاجها المعمّرون الفينيقيون[133]، وإما أنها كانت من مخلفات اليد العاملة المحلية التي كانت تشتغل لدى الجاليات الاجنبية المستقرة على الساحل[134]. وهذا يعني حسب هذا الطرح، أن الاواني التي استعملها الفينيقيون في مستوطناتهم لم تكن تتألف فقط من الخزف ذي البرنيق الاحمر، أو من الخزف المصبوغ، أو من الخزف المخروط الكامد، أو غيرها من الاخزاف الكلاسيكية المرتبطة بالاستيطان الفينيقي. بل نتجت عن هذا الاعتقاد أحيانا استنتاجات تاريخية مغلوطة، نذكر منها مثلا تجربة عالم الآثار الاسباني "رويس ماطا" عند محاولته لتعريف طبيعة منشأة "كاستييو دي دونيا بلانكا"، التي عرفت في مستوياتها القديمة نسبة مرتفعة من الخزف المصنوع باليد. فقد اعتبرها في البداية تجمعا سكانيا محليا، ثم قرية محلية تأوي حيا فينيقيا، وفي الاخير اعتبرها مستوطنة فينيقية يمكن اقترانها بقادس نفسها[135].

استنادا الى مثل هذه المغالطات، ونظرا لعدم الكشف في ليكسوس عن تجمع ما قبل تاريخي في المجال القريب، اعتبر كل من "يوسف بوكبوط" و"خورخي أونروبيا-بينطادو" أن الخزف المصنوع باليد الذي كان حاضرا الى جانب الخزف المخروط، إنما ينتمي الى السكان المحليين الذين كانوا بعين المكان قبل قدوم الفينيقيين[136]. غير أنه إذا اعتبرنا، من الناحية النظرية أن المجتمعات المهاجرة كانت تسعى الى نشر أنماط العيش المستعملة في المدن الام، فمن المنطقي أن يكون الفينيقيون قد نقلوا تقاليدهم الفخارية الى الغرب. صحيح أنهم نقلوا معهم الامفورات للتخزين والتجارة، والصحون ذات البرنيق الاحمر للاكل، والاباريق ذات القرص لحمل السوائل، والقنينات لحمل العطور، والقناديل للاضاءة. لكن ذلك لا يعني أن الفينيقيين لم يكونوا يحتاجون الى أوان لطهي الطعام مثل القدور والطنجرات، التي لم تكن بالضرورة تحتاج الى صناعة متقنة. والحالة هذه أن هذه الاواني المصنوعة باليد، أي غير المخروطة، كانت حاضرة في ليكسوس، كما كانت حاضرة أيضا

---

(132) عندما كان الباحثون يعتقدون أن جميع الاواني الخزفية المقولبة المكتشفة بليكسوس كانت محلية، طرحت مجموعة من الفرضيات لتفسير وجود هذا الخزف الى جنب الخزف الفينيقي المخروط، نذكر منها ما يلي :

– إما أن مصدر هذا الخزف كان من تجمع سكاني محلي كان موجودا بموقع ليكسوس، ثم أدمج فيما بعد في المستوطنة الفينيقية، والذي كان سكانه ما يزالون يستعملون فخارهم المحلي.

– إما أن الامر يتعلق بمنتوج الساكنة المحلية التي انتقلت الى العيش في المستوطنة الفينيقية.

– إما أن هذا الخزف لا يمثل سوى جزءا من الاواني التي قام المعمرون الفينيقيون باقتنائها من أهالي المنطقة لاستكمال تجهيزاتهم.

– إما أن الامر يتعلق بوجود نواة مستقلة محلية بعين المكان دخل الفينيقيون في علاقة مع ساكنتها، أو ربما تعايشوا معها. انظر :

Aranegui(C), Belén(M), Fernández Miranda(M), Hernández(E), La recherche archéologique éspagnole à Lixus : Bilan et perspectives, op. cit, p. 11.

(133) Schubart(H) et Maass-Lindemann(G), Toscanos. El asentamiento fenicio occidental en la desembocadura del río de Vélez, op. cit, p. 146.

(134) Martín Ruiz(J.M), Cerámicas a mano en los yacimientos fenicios de Andalucía, **IV congreso internacional de Estudios fenicios y púnicos, t. IV, Cádiz, 2000**, p. 1628.

(135) Ruiz Mata(D), La fundación de Gadir y el Castillo de Doña Blanca : contrastación textual y arqueológica, **Complutum 10**, p. 279-317.

(136) Bokbot(Y) et Onrubia-Pintado(J), La basse vallée de l'oued Loukkos à la fin des temps préhistoriques, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), Collection de l'Ecole française de Rome, n° 166, Palais Farnèse, 1992, p. 19 et p. 24.

في سائر المستوطنات الفينيقية[137]. كما أن هذه الاواني كانت متجانسة من الناحية المرفلوجية في جل المراكز الفينيقية. وهذا يعني أنها لو كانت تنتمي الى المحليين القاطنين بالجوار، لكانت كل مجموعة خزفية تتميز بخصوصيات تختلف من مستوطنة فينيقية الى أخرى. أي أن الخزف المصنوع باليد المكتشف في غرب الاندلس، سيكون مختلفا مثلا عن نظيره في شرق الاندلس، وعن نظيره في المغرب.

من هنا يبدو أن الخزف المصنوع باليد المكتشف بالمستوطنات الفينيقية، كان بدوره خزفا فينيقيا لا أقل ولا أكثر[138]. وإلا كيف يمكن أن ندرك مثلا وجود أوان مخروطة الى جانب أوان مصنوعة باليد، ضمن محتويات معبد فينيقي تم اكتشافه مؤخرا في مركز "سالتيو" (Saltillo) بمنطقة كرمونة[139]؟ كما أن القدور الخشنة المزخرفة بالحزّات أو بالبصم الاصبعي فوق الكتف المكتشفة بليكسوس كانت طبق الاصل للنماذج الحاضرة في جنوب شبه الجزيرة الايبيرية[140].

غير أن ذلك لا يعني أن جميع الاواني المصنوعة باليد كانت كلها فينيقية، بل من المنطقي أن تكون بعضها مستوردات محلية. وفي حالة ليكسوس، يبدو أن النماذج الشبيهة بخزف عصر البرونز المغربي هي التي يجدر اعتبارها من المنتجات المحلية، لأنه من الطبيعي أن تحدث علاقات تجارية بين العنصر الاجنبي والعنصر المحلي. أي أن الانواع التي تتميز بخصوصيات مختلفة عن النماذج المكتشفة في سائر المستوطنات، والتي تعرف أقل تمثيلية عددية، هي التي تحظى بأن تكون من الناحية النظرية محلية الاصل. وفي هذا الصدد، نذكر أن ليكسوس لم تكشف سوى عن عينات معدودة تخضع لهذا المعيار[141]، والتي يمكن نعتها فعلا بالاخزاف المحلية المحضة.

ومما لاشك فيه أن هذه الاخزاف تنتمي لنفس الانواع التي اكتشفها "أندري جودان" في الطبقة الاركيولوجية الفينيقية بجزيرة الصويرة، والتي أورد في شأنها ما يلي[142]: « ***عندما نقارن المراكز المختلفة التي خلفت آثارا فينيقية، سواء في شمال إفريقيا كما في إسبانيا، نلاحظ أن الخزف المستورد الاحمر أو غيره كان دائما مصحوبا بخزف أكثر خشونة، مصنوع باليد ومتوفر على زخرفة عالية***». وكان نفس المؤلف قد لاحظ منذ عام 1957 وجود شبه بين هذا الخزف وبين خزف عصر البرونز الاوروبي[143]، موضحا بأنه استطاع أن يميز عدة نماذج مختلفة يمكن تصنيفها حسب الزخرفة وشكل العروات وتركيبة

---

[137] لم تكن هذه الاواني تثير انتباه المتخصصين بالآثار الفينيقية، لانهم كانوا يعتقدون مسبقا أنها تنتمي الى الاهالي. انظر : Belèn(M), Escacena(J.L.), Rodero(A), López Roa(C), Materiales de época fenicia de las excavaciones de Tarradell conservados en el museo de Tetuán, op. cit, p. 88.

[138] Idem, Ibid, p. 88.

[139] Belén(M), Anglada(R), Escacena(J.L), Jiménez(A), Lineros(R), Rodríguez(I), Arqueología en Carmona (Sevilla). Excavaciones en la Casa-Palacio del Marqués de Saltillo. Consejería de Cultura de la Junta de Andalucía, Sevilla, 1997, p. 145-172.

[140] Ladrón de Guevara Sánchez(I), Aportación al estudio de la cerámica con impresiones digitales en Andalucía, Servicio de publicaciones, Universidad de Cádiz, Cádiz, 1994.

[141] Belèn(M), Escacena(J.L.), Rodero(A), López Roa(C), Materiales de época fenicia de las excavaciones de Tarradell conservados en el museo de Tetuán, op. cit, fig. 11, n° 513 y 585. p. 102.

[142] Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 166

[143] Jodin(A), Note préliminaire sur l'établissement pré-romain de Mogador, op. cit, p. 37.

العجين. وهي نفس الانواع التي عثر عليها "بيير سانتاس" كذلك في المركز نفسه الى جانب الاواني الفينيقية، عندما اكتشف « ***مجموعة كبيرة من كسرات الاواني المصنوعة بطين سيئة الشواء، وثخينة وخشنة، ومقولبة وليست مخروطة*** »[144]. وتميزت أربعة من هذه الكسرات بتوفرها مثل نماذج ليكسوس على زخرفة مطبوعة إما بقضيب خاص أو بالاصبع[145]، في حين تضمنت ثلاثة كسرات أخرى زخرفة مشرطة[146]. كما تم العثور في الطبقة الفينيقية بالجزيرة، على قدور كبيرة ذات القعر المنبسط، تتميز زخرفتها بتوفرها على فتائل مقرصة بالاصبع أو مشرطة أو مخددة (انظر لوحة LXVIII). ومن الواضح أن تشابه هذا النوع مع خزف المراكز ما قبيل-التاريخية بالمغرب مثل مركز الخيل ودار السلطان وتمارة، يبطل كل احتمال لاعتباره خزفا صنعه الفينيقيون باستعجال. فتبعا لصنف خزف موكادور المصنوع باليد، ونظرا لعدده القليل، واعتمادا على المستوى الإستراتيغرافي الذي اكتشف به، من المفترض أنه كان يقتنى من أهالي المنطقة، ثم ينقل الى الجزيرة[147].

كما كان هذا الخزف حاضرا كذلك في المنشأة التي أسسها الفينيقيون بجزيرة راشكون بالجزائر، بعد أن عثر عليه "جورج فييمو" (G.Vuillemot)[148] ممزوجا بالاواني الفينيقية المستوردة ضمن محتويات مقبرة المركز المؤرخة بالقرن السادس قبل الميلاد[149]. كما تم اكتشافه كذلك في مركز "مرسى مداخ" بالجزائر، حيث كانت الزخرفة من نفس النوع الحاضر في ليكسوس وموكادور، أي الزخرفة المشرطة والمطبوعة[150].

وإذا كان "طراديل" يحبذ أن يطلق على هذا الخزف اسم "الخزف المقولب ذو التقليد النيوليتي" أو "الخزف المحلي ماقبل-التاريخي"، فلكون جذوره كانت تنتمي بالفعل الى العصور النيوليتية. وفي هذا الصدد، يورد "بيير سانتاس" (P.Cintas)[151] أن الزخرفة المستعملة في الخزف المقولب الذي اكتشفه بجزيرة الصويرة، كانت معروفة منذ العصر النيوليتي بالمغرب، حيث كانت مشابهة لنفس الزخرفة التي عرفتها الكسرات الخزفية التي عثر عليها "رولمان" (R.Ruhlmann) بمغارة دار السلطان، المنتمية الى العصر النيوليتي ذي التأثير الايبيري-الموري[152]. كما كانت بعض كسرات ليكسوس المشرطة والمطبوعة مشابهة كذلك للخزف المحلي المكتشف في أحدث الطبقات الإستراتيغرافية للعديد من المراكز ماقبيل-التاريخية بالمغرب[153]، نذكر منها مغاور الخيل برأس أشقار[154] ومغارة "غار الاكحل" بالقرب من سبتة[155] ومغارة

---

(144) Cintas(P), Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc, op. cit, p. 41.

(145) Cintas(P), Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc, op. cit, fig. 41-42-43-44, p. 119.

(146) Idem, Ibid, fig. 45-46-47, p. 119.

(147) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 166-168.

(148) Vuillemot(G), La nécropole punique du Phare de l'île de Rachgoun, op. cit, p. 25-29, pl. XI.

(149) Camps(G), Aux origines de La Bérbérie - Monuments et rites funéraires protohistoriques, op. cit, p. 321.

(150) Vuillemot(G), Fouilles puniques à Mersa Madakh, op. cit, p. 320.

(151) Cintas(P), Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc, op. cit, p. 42.

(152) Ruhlmann(A), La grotte préhistorique de Dar Es-Soltan, **Hespéris** t. XI, 1951, fig. 59, n° 1-2-3.

(153) وقد تم العثور على هذا النوع بالطبقة الاستراتيغرافية الموجودة فوق تلك التي تضمنت الخزف الجرسي الشكل. انظر :
Bokbot(Y) et Onrubia-Pintado(J), La basse vallée de l'oued Loukkos à la fin des temps préhistoriques, op. cit, p. 20.

"كهف تحت الغار" بالقرب من تطوان[156] (انظر لوحة LXVIII). كما عثر "دوفايي" (DeWailly) فـي كهف البارود بناحية بن سليمان على نفس الخزف، حيث أشار الى تشابه طريقة زخرفته مع كسرات جزيرة الصويرة[157]. وتم اكتشافه كذلك في تمارة حسب "أندري جودان"[158]، ومؤخرا عثر عليه كل من "يوسف بوكبوط" و"خورخي أونروبيا-بينطادو") في مركز كشكوش[159]، وفي كهف القنادل بناحية وادي لاو[160].

وحين اعتقد العديد من الباحثين أن هذا الخزف لم يعد يُنتج بعد العصر النيوليتي، نجد أنه على العكس من ذلك استمر في الوجود خلال العصر الفينيقي، بل خلال عهود متأخرة من العصر البونيقي[161]. فقد عثر عليه "بيير سانتاس" في ناحية وهران بالجزائر في منزل بونيقي[162]. كما أن مجموعة مهمة مـن الانـواع المكتشفة في ليكسوس كانت حاضرة كذلك في المنشآت الحديثة التي أفرزت خزفا بونيقيا، مثل سـيدي عبـد

---

(154) Jodin(A), Les grottes d'El Khil à Achakar, op. cit, p. 306, pl. XII ; Gilman(A), The Later prehistory of Tangier, Morocco, Cambridge, Peabody Museum-Harvard University (American School of Prehistoric Research, bul. 29), 1975, p. 81-82, 96-100 ; Bokbot(Y), Habitats et monuments funéraires du Maroc protohistorique, op. cit, p. 121-136.

ويجدر التذكير في هذا الصدد أن أحدث الطبقات الاركيولوجية بمغاور الخيل كانت تتضمن أخزافا تتميز، كما هو الشأن في بعض نماذج ليكسوس، بكونها كانت مقولبة ومزخرفة بالاصبع، أطلق عليها "أندري جودان" (A. Jodin) اسم الخزف البربري القديم. وكانت الاواني المتعلقة بهذا النوع تزخرف بواسطة فتيل من العجين يحيط بقاعدة الاناء أو بأعلى البطن، ويقرص بمسافة منتظمة بين الابهام والسّبّابة. انظر :

Jodin(A), Les grottes d'El Khil à Achakar, op. cit, p. 303.

(155) Tarradell(M), Noticia sobre la excavacion de Gar Cahal, **Tamuda**, t. II, Simestre II, 1954 ; Bokbot(Y), Habitats et monuments funéraires du Maroc protohistorique, op. cit, p. 95-106 ; Bokbot(Y) et Onrubia Pintado(J), La basse vallée de l'oued Loukkos à la fin des temps préhistoriques, op. cit, fig. 2, p. 23 ; Onrubia Pintado(J), Les tessons peints de Ghar Cahal (Maroc septentrional). Encore des recherches sur l'antiquité de la céramique modelée et peinte en Afrique du Nord, **L'homme méditerranéen, mélanges offerts au professeur G. Camps**, Aix-en-Provence, Presse de l'université de Provence, 1995, p. 127-142.

(156) Tarradell(M), Avance de la primera campaña de excavaciones en Caf Taht El Gar, **Tamuda**, Vol. III, Semestre II, 1955 ; Idem, Caf Taht el Gar, cueva neolítica en la región de Tetuàn (Marruecos), **Ampurias, 19-20**, 1957-1958, p. 137-166 ; Bokbot(Y), Habitats et monuments funéraires du Maroc protohistorique, op. cit, p. 109-119 ; Bokbot(Y) et Onrubia-Pintado(J), La basse vallée de l'oued Loukkos à la fin des temps préhistoriques, op. cit, fig. 2, p. 23.

(157) De Wailly(A), Le site de Kef El Baroud (Région de Ben Slimane), **B.AM**, t. IX, 1973-1975, p. 75, pl. XVIII, p. 95, pl. XIX, p. 96.

(158) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 166, note n° 261.

(159) Bokbot(Y) et Onrubia-Pintado(J), Substrat autochtone et colonisation phénicienne au Maroc, op. cit, p. 222-223.

(160) Idem, Ibid, p. 225, note n° 10.

(161) يلاحظ "كابرييل كامبس" (G. Camps) أن الخزف المشرط والمطبوع كان شبه منعدم الوجود بشمال إفريقيا خارج المغرب وناحية وهران بالجزائر. انظر :

Camps(G), Aux origines de La Bérbérie - Monuments et rites funéraires protohistoriques, op. cit, p. 321.

(162) Cintas(P), Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc, op. cit, p. 42, note n° 4.

السلام دالبحر وأمسا[163]. بل استمرت الزخرفة المشرطة والمقرصة في الاستعمال الى يومنا هذا، كما هو الشأن في بعض الاواني المصنوعة باليد بمنطقة الاوراس بالجزائر ومنطقة البهاليل بالمغرب[164].

وهكذا نلاحظ أن الخزف المصنوع باليد المكتشف بالمستويات الاستراتيغرافية السفلى لاستبار الخروب، والذي ينتمي الى نفس الصنف الذي أنتجه المغرب القديم من العصر النيوليتي الى العصر البونيقي، هو وحده الذي يجدر تصنيفه بالخزف المحلي. غير أن ذلك لاينبغي تفسيره حسب فرضية "يوسف بوكبوط" و"خورخي أونروبيا-بينطادو" بأنه كان ينتمي الى مرحلة لاحقة للعصر الكالكوليتي وسابقة للمنشأة الفينيقية، أي الى عصر البرونز[165]. وفي هذا الصدد، كان "بيير سانتاس" قد أدلى بملاحظة وجيهة عند اكتشافه للخزف المحلي بجزيرة الصويرة المتوفر على نفس الزخرفة الحاضرة في الخزف النيوليتي، حيث يقول[166] : « ***رغم أن التقنية المستعملة في هذه الزخرفة كانت معروفة بشكل جيد منذ العصر النيوليتي المغربي، فإنني لا أعتقد أن كسراتنا كانت قديمة بهذا المقدار. صحيح أنها ذات تأثير نيوليتي، لكنها حديثة، لأنها تتميز بصنع أكثر إتقانا، وتستعمل طرقا متطورة***»[167]. وانسجاما مع نفس الفكرة، يورد "كابرييل كامبس" (G. Camps) استنادا الى "ستيفان كسيل" (S. Gsell)، أن هذا الخزف حافظ منذ عصور ما قبل التاريخ الى يومنا هذا، على نفس الاشكال المنبثقة من نفس التقنيات.

من هنا يبدو من المنطقي أن تكون المجموعة المحلية من الخزف المصنوع باليد المكتشف بليكسوس معاصرة للخزف الفينيقي، وليست معاصرة لنماذج العهود النيوليتية السابقة. ومما يرجح ذلك، أن استبارات "ميكيل طراديل" (M.Tarradell) و"ميشيل بونسيك" لم تكشف عن أي مستوى استراتيغرافي محلي سابق للمستوى الفينيقي، الذي كان يوجد مباشرة فوق الصخر الام.

2) الخزف المصنوع باليد في استبار البازليك واستبار قطاع المنازل :

من خلال الدراسة التي قامت بها "ماريا بيلين وآخرون"[168] للمواد الاثرية التي اكتشفها "طراديل" في استبار البازليك، تبين كذلك حضور الخزف المصنوع باليد بكثرة. ومن الانواع التي أفرزتها هذه الدراسة نذكر مجموعة من الصحون، توفرت إحداها على زخرفة بخطوط متعرجة (zig-zag) كانت حاضرة في ليكسوس ضمن منشورات "طراديل"[169] (انظر لوحة XXII رقم 125). وقد تم العثور كذلك على مثل هذه الزخرفة في المركز الطرطيسي "صيرّو ماكارينو" (El Cerro Macareno) بمنطقة إشبيلية، ضمن

---

(163) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 83, fig. 13, p. 91-92 ; Bokbot(Y), Habitats et monuments funéraires du Maroc protohistorique, op. cit, p. 163-173, 183-188.

(164) Camps(G), Aux origines de La Bérbérie - Monuments et rites funéraires protohistoriques, op. cit, p. 322.

(165) وقد استند الباحثان في ذلك الى تشابه الخزف المحلي بليكسوس مع الخزف النيوليتي والكالكوليتي الحديث المكتشف في مجموعة من المغاور بالشمال الغربي للمغرب وبالساحل الاطلنطي. انظر :
Bokbot(Y) et Onrubia-Pintado(J), La basse vallée de l'oued Loukkos à la fin des temps préhistoriques, op. cit, p. 20.

(166) Cintas(P), Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc, op. cit, p. 42.

(167) Camps(G), Aux origines de La Bérbérie - Monuments et rites funéraires protohistoriques, op. cit, p. 148.

(168) Belén(M), Escacena(J.L), López Roa(C), Rodero(A), Fenicios en el Atlántico. Excavaciones españolas en Lixus : Los conjuntos "C. Montalbán" y "cata basílica", op. cit, p. 352, fig. 9.

(169) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, fig. 37.

منتوجات أوائل القرن السابع قبل الميلاد[170]. وهذا يعني أن جزءا مهما من الخزف المصنوع باليد المكتشف في ليكسوس لم يكن محليا، بل مستوردا من الخارج.

ومن خلال الدراسة التي قام بها المؤلفون أنفسهم للمواد الاثرية التي اكتشفها "طراديل" في استبار قطاع المنازل ماقبل الرومانية، تبين كذلك نفس التشابه الحاصل بين الخزف المصنوع باليد في ليكسوس وبين خزف جنوب إسبانيا المكتشف في المراكز الطرطيسية، وبينه وبين الخزف المصنوع باليد المكتشف في المستوطنات الفينيقية بجنوب إسبانيا[171]. ومن أهم الاصناف المكتشفة نذكر الجفنات، والصحون ذات القعر المستوي، والقدور التي تستخدم في المطبخ، والاواني على شكل حرف S، والاناء شاردون[172]. كما كانت بعض الاشكال تزخرف بالحزّ، وأشكال أخرى تتوفر على عروات على شكل الحلمات (mamelons). وحسب المعطيات المستقاة حاليا من المستوطنات الفينيقية بجنوب إسبانيا، فإن هذا النوع من الخزف كان يرافق باستمرار المنتوجات الخزفية الفينيقية المخروطة، سواء ذات البرنيق الاحمر أو غيرها. الامر الذي جعل "ماريا بيلين وآخرون"[173]، ينقدون فرضية "يوسف بوكبوط" و"خورخي أونروبيا-بينطادو" التي ترى أن هذا الخزف يعكس وجود تجمع ما قبل-فينيقي بليكسوس[174]. فالخزف المصنوع باليد كان يستعمل باستمرار في المستوطنات الفينيقية بإسبانيا كما في شمال إفريقيا، دون أن يعني ذلك بالضرورة وجود تجمع سكاني محلي غير فينيقي في هذه المنشآت، ولا يعني استقرارا حتميا لهذه التجمعات المفترضة سابقا لقدوم الجاليات السامية[175]. ومع ذلك، فإن الكشف عن منتوجات نيوليتية واضحة في المستويات الاركيولوجية الفينيقية بليكسوس لا تنفي أن تكون هذه المنشأة قد عرفت جالية متعددة الاعراق، كانت الغلبة فيها للجالية الفينيقية، كما كان الحال في مستوطنات فينيقية أخرى بالغرب[176].

وفيما يخص علاقة ليكسوس بالعالم الطرطيسي التي تمت ملاحظتها من خلال بعض الخزف المصنوع باليد، والتي يمكن تفسيرها بالقرب الجغرافي، نشير الى أن العلاقات مع شبه جزيرة إيبيريا كانت

---

(170) Pellicer Catalán(M), Escacena(J.L), Bendala(M), El Cerro Macareno, **(Excavaciones Arqueológicas en España 124)**, Madrid, 1983, p. 68, fig. 70 n° 501-502.

(171) Belén(M), Escacena(J.L), López Roa(C), Rodero(A), Fenicios en el Atlántico. Excavaciones españolas en Lixus : Los conjuntos "C. Montalbán" y "cata basílica", op. cit, p. 342.

(172) Idem, Ibid, p. 342-45.

(173) Idem, Ibid, p. 345.

(174) Bokbot(Y) et Onrubia-Pintado(J), La basse vallée de l'oued Loukkos à la fin des temps préhistoriques, op. cit, p. 20.

(175) Belén(M), Escacena(J.L), López Roa(C), Rodero(A), Fenicios en el Atlántico. Excavaciones españolas en Lixus : Los conjuntos "C. Montalbán" y "cata basílica", op. cit, p. 345 ; Schubart(H), El Asentamiento fenicio del s. VIII a. C. en El Morro de Mezquitilla (Algarrobo, Malaga), dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, op. cit, p. 78.

(176) Belén(M), Escacena(J.L), López Roa(C), Rodero(A), Fenicios en el Atlántico. Excavaciones españolas en Lixus : Los conjuntos "C. Montalbán" y "cata basílica", op. cit, p. 354.

موجودة منذ العصر الكالكوليتي كما يشهد على ذلك وجود الخزف الناقوسي الشكل بأقصى شمال المغرب[177]. كما ينم عن وجود طريق بحرية قديمة تجمع بين ليكسوس وقادس[178].

3) الخزف المصنوع باليد المكتشف في استبار الخروب لعام 1999 :

أكد استبار الخروب الذي أنجزته البعثة الاركيولوجية المغربية-الاسبانية في ليكسوس خلال عام 1999، أن الخزف المصنوع باليد كان كذلك وافرا مقارنة بالخزف المخروط، حيث بلغت نسبته في المستويات الفينيقية السفلى 63% من مجموع الخزف المكتشف[179]. كما كان هذا الخزف ينتمي الى أشكال مختلفة، يمكن حصرها على الاقل في ثلاثة أصناف رئيسية كبرى، وهي[180] :

أ- الخزف المصقول :

باستثناء حاشية صحن صغير، كانت أغلبية الاواني تنتمي الى أشكال عالية، تتميز بحواش مستقيمة تكاد تكون عمودية، سواء كانت مفتوحة نحو الخارج، أو مقلوبة نحو داخل الاناء[181]. وبالرغم من عدم العثور على أوان كاملة، فمن المحتمل أن يكون الامر يتعلق بالاناء "شاردون" (Chardon) (انظر لوحة LXIX)[182]. كما تجدر الاشارة كذلك الى وجود بعض الاشكال القصيرة والمفتوحة، تنتمي ربما الى جفنات كبيرة ذات الحاشية المتورمة (انظر لوحة LXIX)[183].

ب- الخزف الخشن :

وهو ينتمي الى نوعين، نوع غير مزخرف ونوع آخر مزخرف. وقد تميز النوع الاول بصنعه باستمرار من عجين لونها رمادي غامق، أو ضارب الى السواد إن صح القول[184]. كما كانت هذه الطين خشنة عند اللمس، لانها لم تكن مصقولة في أغلبية الحالات. أما أشكال الاواني، فكانت عموما تتألف من قدور متوسطة الحجم، ذات قاعدة منبسطة ومتماسكة. كما كان بعضها يحتفظ بعلامات الحصيرة التي وضعت فوقها الآنية لقولبتها. وتجدر الاشارة كذلك أن القدور التي تم صنعها بإتقان، توفرت تارة على عروات مكورة ذات المقطع الدائري، وتارة أخرى احتوت على "حلمات" (mamelons) (انظر لوحة ت بالالوان رقم 6)[185].

وأما النوع المزخرف، فقد تشكل بصفة عامة من طنجرات، كانت بعضها قاربية الشكل. وتمت الزخرفة بالبصم الاصبعي بالقرب من الحاشية أو في جهة موسطة البطن، وأحيانا في الحاشية نفسها، حيث تكون الزخرفة على شكل حزّات واسعة وعميقة (انظر لوحة ث بالالوان رقم 1)[186]. كما تم العثور على

---

(177) Poyato(C), Hernando(A), Relaciones entre la Península Ibérica y el Norte de Africa : marfil y campaniforme. **Congreso Internacional "El Estrecho de Gibraltar"**, 1988, p. 317-329.

(178) Belén(M), Escacena(J.L), López Roa(C), Rodero(A), Fenicios en el Atlántico. Excavaciones españolas en Lixus : Los conjuntos "C. Montalbán" y "cata basílica", op. cit, p. 354.

(179) Alvarez(N), Gómez Bellard(C), Habibi(M), De Madaria(J.L), La ocupación fenicia, op. cit, p. 77.

(180) Idem, Ibid, p. 77.

(181) Idem, Ibid, p. 77.

(182) Idem, Ibid, fig. 7, n° 1, p. 78.

(183) Idem, Ibid, fig. 7, n° 6- 7 , p. 78.

(184) Alvarez(N), Gómez Bellard(C), Habibi(M), De Madaria(J.L), La ocupación fenicia, op. cit, p. 78.

(185) Idem, Ibid, fig. 11-13, p. 81.

(186) Idem, Ibid, fig. 10-12, p. 81.

نوع من الاواني تتميز بتوفرها على عروات على شكل قوس مفتوح نحو الاسفل. علاوة على ذلك، اكتشفت أنواع أخرى أكثر إتقانا تميزت بتوفرها على عروات دائرية واسعة[187].

وتعد الاشكال المشابهة لهذا النوع قليلة بالمغرب[188]. وفي هذا الصدد، نحيل على بعض الشقفات غير المنشورة التي عثر عليها "يوسف بوكبوط" و"خورخي أونروبيا-بينطادو" في مركز "كشكوش" بناحية شفشاون[189]. فقد كان الخزف المصنوع باليد المكتشف هناك، يتألف بالخصوص من أوان ذات السطح المستوي والقدم المتماسكة. أما الزخرفة، فكانت على شكل حزّات أو بصمات تهم جسم الآنية، أو على شكل فتائل ملصقة بها. كما كانت بعض الاواني تتوفر، مثل نماذج ليكسوس، على عروات على شكل أهلة متجهة نحو الاسفل.

كما يوجد تشابه بين الخزف المقولب المكتشف في استبار الخروب بليكسوس وبين خزف جزيرة الصويرة، رغم أنه يؤرخ بمرحلة لاحقة[190]. فقد تم العثور هناك على نفس القدور والاواني، خصوصا على نفس الزخرفة بالبصم الاصبعي أو بالحزّات، سواء في جسم الآنية أو في حاشيتها[191]. كما عرفت جزيرة الصويرة بعض القطع غير المنشورة، تميزت بتوفرها على نفس العروات الدائرية المكتشفة بليكسوس[192].

وقد عرف هذا النوع استمرارية في الزمان الى عهود متأخرة، كما يدل على ذلك وجوده في المستويات البونيقية-الموريطانية بمركز أمسا بناحية تطوان، حيث تم العثور على أوان تتميز بعروات على شكل أهلة متجهة نحو الاسفل[193]. الامر الذي يرجح أن تكون هذه الاواني من المنتجات المحلية[194].

ومما لاشك فيه أن هذه الانواع المزخرفة تنتمي الى نفس الخزف الذي أطلق عليه "ميكيل طراديل" اسم "الخزف ذو التقليد النيوليتي"، الذي كان حاضرا في مختلف الاستبارات التي قام بها في ليكسوس. ومن المعلوم أن هذا الخزف كان موجودا في المستويات الاستراتيغرافية العميقة والوسطى، الى جانب المنتجات الفينيقية المحضة[195]. كما أن العديد من النماذج المشابهة يمكن مشاهدتها في الرسوم الواردة في الدراسة التي قامت بها "ماريا بيلين وآخرون"[196] للمواد الاثرية التي اكتشفها "طراديل" في ليكسوس.

---

(187) Idem, Ibid, fig. 8, n° 4 et 6, p. 79.

(188) Idem, Ibid, p. 78.

(189) Bokbot(Y) et Onrubia-Pintado(J), Substrat autochtone et colonisation phénicienne au Maroc, dans : **L'Afrique du Nord antique et médiévale. VI^{e} Colloque internationa sur l'histoire et l'archéologie de l'Afrique du Nord** (Pau, 1993), Productions et exportations africaines-Actualités archéologiques, Paris, 1995.

(190) Alvarez(N), Gómez Bellard(C), Habibi(M), De Madaria(J.L), La ocupación fenicia, op. cit, p. 80.

(191) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 166-169 ; Lopez Pardo(F), Informe preliminar sobre el estudio del material cerámico de la factoría de Essaouira (antigua Mogador), **Complutum Extra 6, I**, 1996, p. 342 y 345.

(192) Alvarez(N), Gómez Bellard(C), Habibi(M), De Madaria(J.L), La ocupación fenicia, op. cit, p. 80.

(193) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 83.

(194) Alvarez(N), Gómez Bellard(C), Habibi(M), De Madaria(J.L), La ocupación fenicia, op. cit, p. 80.

(195) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 157.

(196) Belén(M), Escacena(J.L), López Roa(C), Rodero(A), Fenicios en el Atlántico. Excavaciones españolas en Lixus : Los conjuntos "C. Montalbán" y "cata basílica", op. cit, p. 342 y 345.

ويرى "ألفاريس وآخرون" [197] أن هذا الخزف يعرف تشابها واضحا مع الاخزاف التي تم العثـور عليها بجنوب إسبانيا، وذلك سواء في الطبقات الاركيولوجية المحلية أو الفينيقية. فقد كان وافرا في المراكـز الطرطيسية، حيث استطاعت الباحثة "لادرون دي كيفارا" (I. Ladrin de Guevara) أن تحـصـي وجـود الاواني الخزفية المزخرفة بالبصم الاصبعي في 24 مركز [198]. كما كان موجودا في المستوطنات الفينيقية، لكن بشكل منعزل ؛ مما يدعو إلى عدم خلطه مع الاخزاف الفينيقية المصنوعة باليد، التي تتميز غالبا بشوائبها المتأكسد، وبصناعتها المتقنة [199].

غير أن القضية التي لم يتم البث فيها هي مسألة مصدر هذا المنتوج في إسبانيا [200]. فحسب البعض، مثل هذا الخزف استمرارية للمنتجات المحلية، مع أنه لم يتم الكشف عن نماذج سابقة واضحة في المراكـز الاندلسية المنتمية لعصر البرونز. وحسب البعض الآخر، فإن هذا الخزف ولج منطقـة الانـدلس بواسـطة مجموعات بشرية قدمت من الميسيتا الاسبانية، من منطقة "لاس كوكوطاس" (Las Cogotas). ومع ذلـك، فإن هذا المركز ما قبل-التاريخي الموجود في ناحية "آفيلا" (Avila)، لم يكشف بدوره عن نماذج كافية. أما الباحثة "لادرون دي كيفارا" (Ladron de Guevara)، فإنها تعتقد أن هذا الخزف ورد الـى إسـبانيا مـن المتوسط الشرقي، وأن مصدره كان من صنف يعرف باسم *Coarse Ware* [201]. الامر الذي يفسر وجوده في آن واحد بمنطقة الاندلس كما في شمال المغرب.

ومع ذلك، يبدو أن هذه الفرضيات الثلاث لا تستند الى براهن دامغة. مع أن التوزيع الكبير لهذا النوع الخزفي يرجح الاخذ بعين الاعتبار فرضية الاصل المحلي في إطار المجال الطرطيسي، كما هـو الـشأن بالنسبة للنوع المعروف باسم "الخزف الشبكي المصقول"، الذي لم يكن حاضرا بالمراكز الفينيقية، سواء فـي إسبانيا أو في المغرب باستثناء قطعة اكتشفت في موكادور [202].

ت- الخزف ذو الزخرفة المنقوشة :

ضمن هذا النوع، لم يتم العثور سوى على بعض الكسرات، الى جانب طنجرة شبه كاملة (انظر لوحة LXX ولوحة ث بالالوان رقم 2) [203]. وهي قطع مصنوعة بإتقان كبير، تتميز بجوانب داخلية رقيقة نوعـا

---

(197) Alvarez(N), Gómez Bellard(C), Habibi(M), De Madaria(J.L), La ocupación fenicia, op. cit, p. 80.

(198) Ladrón de Guevara Sánchez(I), Aportación al estudio de la cerámica con impresiones digitales en Andalucía, Servicio de publicaciones, Universidad de Cádiz, Cádiz, 1994.

(199) Alvarez(N), Gómez Bellard(C), Habibi(M), De Madaria(J.L), La ocupación fenicia, op. cit, p. 80.

(200) Ladrón de Guevara Sánchez(I), Aportación al estudio de la cerámica con impresiones digitales en Andalucía, op. cit, p. 19-36.

(201) Idem, Ibid.

(202) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, pl. XLVI, p. 167.

(203) Alvarez(N), Gómez Bellard(C), Habibi(M), De Madaria(J.L), La ocupación fenicia, op. cit, fig. 9, p. 80, fig. 14, p. 81.

ماء، وبزخرفة تشمل المساحة الخارجية للاناء برمتها بواسطة حزّات رشيقة تشكل أشرطة مـن الزخـارف الهندسية العادية[204]. وتنتمي هذه القطع الى منتوج خزفي مميز للعالم الطرطيسي، حيث نجده حاضرا بشكل كبير في ولبة، وفي "كاستيو دي دونيا بلانكا"، وفي "إيل بيرويكـو" (El Berrueco)، وفـي "بيخيـر دي لافرونطيرا" (Vejer de la Frontera) بمنطقة قادس، وفي "صيرّو ماريانـا" (Cerro Mariana)، وفـي "كاندول" (Gandul)، وفي "مونطيمولين" (Montemolin) بمنطقة إشبيلية، وفـي "أسـينيبو" (Acinipo) بمنطقة مالقة[205]. وقد نتجت عن بعض الاكتشافات الجديدة، إضافة مراكز أخـرى سـواء فـي ظهيـر قادس[206]، أو في جهة الاندلس الشرقية، كما هو الشأن في مركز "إيـل صـيرّو كابيانيـا" (el Cerro Capellania) بمنطقة مـالقة[207]، وفي قرية "سان بابلو" (San Pablo) في خليج مالقة نفسها[208].

وخارج اسبانيا، تم العثور على هذا النوع الخزفي بمركز كشكوش بالمغرب[209]. كما تـم اكتـشافه مؤخرا في أقدم المستويات الاركيولوجية بقرطاجة[210]، مما يساعد على فهم وجوده في المراكز الفينيقية بشبه الجزيرة الايبيرية وبليكسوس نفسها[211].

وهكذا نلاحظ من خلال الحفائر الجديدة التي أنجزت في اسنبار الخروب، أن الخزف المصنوع باليد المكتشف في ليكسوس لم يكن كله خزفا محليا، بل كان ينقسم في الواقع الى ثلاثة أنواع مختلفة[212]:

– مجموعة أولى كانت شبيهة بنماذج اكتشفت في كثير من المراكز الطرطيسية، من صيرّو ماكارينو" (El Cerro Macareno) بمنطقة إشبيلية، الى "نيبيلا" (Niebla) بمنطقة ولبة. وذلك سواء تعلـق الامـر بالانواع الخشنة أو بالانواع المزخرفة.

---

(204) Idem, Ibid, p. 80.

(205) Escacena(J.L), Del Rio(A), Luna(Mª.A), Cerámica tartéssica con decoración grabada. Nuevos testimonios, **Anales de Arqueología cordobesa, 9**, 1998, p. 9-23.

(206) Prada Junquera(M), Un nuevo yacimiento del Bronce Final tartésico : el Cortijo Vaina (Cádiz), **Boletín de la Asociación Española de Amigos de la Arqueología 35**, 1995, p. 125 ; Bueno Serrano(P), Tartessos y fenicios : protagonistas de un acercamiento entre culturas, **CNA XXIV**, vol. 3, p. 45-55.

(207) Martín Cordoba(E), Aportación a la documentación arqueológica del Cerro de Capellanía, **Mainake XV - XVI**, 1995, p. 30.

(208) Efren(L), Suarez(J), Mayorga(J), Un poblado indígena del Siglo VIII a.c. en la bahía de Málaga. La intervención de urgencia en la plaza de San Pablo, in **M.E. Aubet (coord) : Los Fenicios en Málaga**, Universidad de Málaga, Thema n° 6, Málaga, 1997, fig. 6.

(209) Bokbot(Y) et Onrubia-Pintado(J), Substrat autochtone et colonisation phénicienne au Maroc, op. cit, p. 223.

(210) Mansel(K), Verzierte handgemachte Keramik des 8 und 7. Jhs. v.Chr. aus Karthago. Ein Beitrag zur Keramik nichtpunischer tradition, **in R.Rolle-K.Schmidt (eds) : *Archaölogische Studien in Kontaktzonen der Antiken Welt***, Veröff.Joachim Jungius-Ges. Wiss., 87, 1998, p. 560-561 ; Aranegui(C), Conclusiones, **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico- mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4**, 2001, cap. XVII, fig. 2, p. 253.

(211) Alvarez(N), Gómez Bellard(C), Habibi(M), De Madaria(J.L), La ocupación fenicia, op. cit, p. 80.

(212) Alvarez(N), Gómez Bellard(C), Habibi(M), De Madaria(J.L), La ocupación fenicia, op. cit, p. 82.

– مجموعة ثانية أقل وفرة كانت حاضرة باستمرار في المحطات الفينيقية، نذكر منها على وجه الخصوص القدور. ومن المعلوم أن هذه القدور كانت تعتبر منذ مدة من طرف "هيرمانفريد شوبارت" (H. Schubart) على أنها منتوجات صنعها السكان الفينيقيون في مستوطناتهم[213].

– مجموعة ثالثة أكثر خشونة، كانت حاضرة كذلك في المنشآت الفينيقية. وهي المجموعة التي أضحت تعتبر منتوجات محلية، سواء قدمت من القرى المحلية المجاورة، أو صنعت من لدن المحليين أنفسهم الذين كانوا يتعايشون مع الفينيقيين داخل المستوطنات، مثل النساء والعمال[214].

وكيفما كان الحال، فإن العثور على هذه المنتجات سواء في ليكسوس أو في كشكوش أو في موكادور، يفتح المجال لطرح عدة فرضيات. وعلى ما يبدو، فإن هذه الانواع الخزفية كانت منعدمة في المستويات ماقبل الفينيقية، عكس ما كان يعتقده كل من "يوسف بوكبوط" و"خورخي أونروبيا-بينطادو"[215]. وبالتالي فمن المحتمل اعتبار ببساطة أنها لم تكن تمثل سوى جزءا من المكونات الثقافية المادية للفينيقيين المستقرين في ضفتي مضيق جبل طارق. كما أن القطع ذات الانتماء الطرطيسي الواضح، خصوصا تلك التي تنتمي الى الخزف ذي الزخرفة المنقوشة، عرفت توزيعا من طرف الفينيقيين، نظرا لقيمتها وأصالتها. وهذا ما يفسر الكشف عن هذا الخزف في المستويات الفينيقية السفلى بقرطاجة.

غير أن هذه المعطيات لاتنفي الاخذ بعين الاعتبار مسألة الثقافة المادية للسكان المحليين بشمال المغرب عند قدوم المستوطنين الفينيقيين. صحيح أن الطبقات الاستراتيغرافية لعصر البرونز الحديث تنعدم من ليكسوس، لكن ذلك لايعني أن المنطقة الموجودة بين طنجة وواد اللكوس وواد لاو كانت خالية من السكان. فالمدافن الكثيرة التي عرفت عادة الدفن المقرفص في ناحية طنجة، سواء بعين دالية أو جبيلة أو غيرهما، كانت مدافن محلية محضة[216]. كما أن العديد من محتويات هذه المدافن، خصوصا الحلي الفينيقية، تنم عن حدوث تثاقف قوي بالحضارة الفينيقية[217]. لكن الى جانب الخزف الفينيقي أو ذي التأثير الفينيقي، كانت توجد أعداد كبيرة من المنتجات المصنوعة باليد المحلية المحضة مثل الصحون والجفنات[218]. وهذا يجعلنا نعتقد أن المجموعات السكانية المستقرة بالمنطقة منذ القرن الثامن ق.م على الاقل، كانت مرتبطة بالثقافة الطرطيسية، ومتوفرة على ثقافة مادية متشابهة نوعا ما. ولايمكن تفسير وجود العدد الكبير من الخزف المصنوع باليد في ليكسوس إلا انطلاقا من هذه المعطيات. وإلا ينبغي الاعتقاد بأن المستوطنين الفينيقيين الاوائل قدموا الى

---

(213) Schubart(H), El Asentamiento fenicio del s. VIII a. C. en El Morro de Mezquitilla (Algarrobo, Malaga), dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, op. cit, p. 74-78.

(214) Martín Ruiz(J.A), Indicadores arquelógicos de la presencia indígena en las comunidades fenicias de Andalucía, **Mainake XVII-XVIII**, 1996, p. 79-82.

(215) Bokbot(Y) et Onrubia-Pintado(J), Substrat autochtone et colonisation phénicienne au Maroc, op. cit.

(216) El Azifi(M.R), Les nécropoles de la région de Tanger sont - elles phéniciennes ? Actes du **IIIè congrès international des études phéniciennes et puniques** (Tunis, 11 - 16 Novembre 1991), Institut national du patrimoine, volume I, Tunis, 1995, p. 401-414.

(217) العزيفي (محمد رضوان)، الفينيقيون بفحص طنجة وعلاقاتهم بالسكان "من خلال مقابر ناحية طنجة ومحتوياتها المؤرخة ما بين القرن السابع قبل الميلاد وأواسط القرن السادس قبل الميلاد"، المرجع السابق ؛ نفسه، السلع المتبادلة بين الفينيقيين والمغاربة القدماء، كأقدم نموذج عن علاقات المغرب التجارية مع العالم المتوسطي، المرجع السابق.

(218) Ponsich(M), Nécropoles phéniciennes de la région de Tanger, op. cit, fig. 35 et 37.

ليكسوس من إسبانيا صحبة مجموعة هامة من الطرطيسيين. ولا تعتبر هذه الفرضية فرضية تافهة[219]، خصوصا إذا اعتقدنا، استنادا لما رجحه "فيرناندو لوبيز باردو" في أمر موكادور[220]، أن الاواني المصنوعة باليد كانت من عمل النساء.

4) الخزف المصنوع باليد المكتشف في استبار الزيتونة :

كما كان الامر في استبار الخروب لعام 1999، كانت نسبة الخزف المصنوع باليد المكتشف في استبار الزيتونة نسبة عالية كذلك، حيث بلغت 58% من مجموع الخزف المكتشف. ومن بين الاواني الكاملة المكتشفة، نذكر بقدر على شكل حرف S، من نوع القدور "ذات الحلمات" (marmites à mamelons) والزخرفة بالجهة القريبة من الفوهة[221].

وهكذا تمكننا هذه الملاحظات التي تم التوصل إليها من خلال دراسة الكسرات المحفوظة في المتحف الاركيولوجي بتطوان، أو من خلال استباري الخروب والزيتونة المنجزين عام 1999، أن الكشف عن الخزف المصنوع باليد في ليكسوس لا يعني وجود منشأة محلية سابقة أو معاصرة لقدوم الفينيقيين. كما يؤكد حضور الخزف المصنوع باليد في ليكسوس، سواء بالجزء العلوي لربوة الشميس أو بسفوحها الجنوبية، أن المستويات الإركيولوجية السفلى التي تنتمي الى مرحلة التأسيس، تميزت بمعاصرة هذا الخزف للنوع المخروط[222]. كما يُستنتج من خلال الدراسة المقارَنة التي خضع لها الخزف المصنوع باليد، أن جزءا منه يعتبر خزفا محليا، وجزءا آخر يحظى بتأثيرات طرطيسية، وجزءا ثالثا يحظى بتأثيرات خاصة بالمنشآت الفينيقية الغربية، كما هو الشأن بالنسبة للخزف ذي الزخرفة المنقوشة الذي اكتشف في إسبانيا وكذلك في قرطاجة. ومن ناحية أخرى، يتبيّن عند مقارنة الخزف المخروط بالخزف المصنوع باليد، أن نسبة النوع المخروط لم تكن تمثل سوى ثلث الاواني التي كان يستعملها المستوطنون الفينيقيون الاوائل عند تأسيس مستوطنتهم. لكن مع حلول القرن السابع قبل الميلاد، سيحدث استبدال تدريجي للنوع المقولب بالنوع المخروط، مما سيؤدي الى انعكاس الوضعية وبلوغ الخزف المخروط نسبة الثلثين.

III – الرد على فرضيات كيان ما قبل – الفينيقي في ليكسوس :

انطلاقا من الاعتبارات السالفة، يجدر بنا أن نتساءل حول حقيقة كيان ما قبل–الفينيقي لليكسوس الذي افترضه مجموعة من الباحثين. فهل تمكننا المخلفات المحلية التي أفرزتها ليكسوس من مدافن وبنايات ومواد معدنية وخزف، من التأكيد على وجود نواة حضرية محلية دخل الفينيقيون في علاقة مع سكانها ؟ أم أن ليكسوس كانت أرضا خلاء عند قدوم الفينيقيين الاوائل إليها، وبرزت منذ الوهلة الاولى كمنشأة فينيقية ؟

---

(219) Alvarez(N), Gómez Bellard(C), Habibi(M), De Madaria(J.L), La ocupación fenicia, op. cit, p. 82.

(220) Lopez Pardo(F), Informe preliminar sobre el estudio del material cerámico de la factoría de Essaouira (antigua Mogador), op. cit, p. 365.

(221) Alvarez(N), Gómez Bellard(C), de Madaria(J.L), La ocupación fenicia, **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4,** 2001, p. 187, fig. 2.

(222) Aranegui(C), Conclusiones, **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico- mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4,** 2001, cap. XVII, p. 253.

1) ليكسوس المنشأة الحضرية المحلية (فرضية "بوكبوط" و"بينطادو") :

يعتقد كل من يوسف بوكبوط و"خورخي أونروبيا-بينطادو" أن الكشف عن الانواع الخزفية المحلية المنتمية أكثر الى عصر البرونز، وحضور مجموعة من بنيات المساكن المنتسبة الى الحضارة الميكاليتيـة، والعثور على معالم جنائزية من نوع "الدولمن"، معناه أن ليكسوس عرفـت اسـتقرارا محليـا قبـل قـدوم الفينيقيين[223]. وبالتالي لا يستبعدان[224] أن يتم العثور في ليكسوس عن المساكن القديمة للسكان المحليين عند مجيء الفينيقيين، كما يفترض "ش. شيفمان" (Ch.Chifman)[225]. ولتوضيح ذلك، يؤكدان أن الاستبارات التي قام بها "ميكيل طراديل" و"ميشيل بونسيك" في عين المكان لم تتسم بالدقة الكافية حتى تتمكن من إبراز نوع من الاستقرار ما قبيل-تاريخي[226] على شكل مساكن موسمية كما كان الحال في كشكوش، التي لم تحـتفظ سوى بعلامات ضئيلة عن وجود هذه المساكن[227]. ويرجحان أن مكان التجمع السكاني ما قبل-الفينيقي الذي لا نعلم شيئا عن طوبوغرافيته، كان يشمل مرتفعات ربوة "الهري"، نظرا للكشف عن بعض المعالم الجنائزية الميكاليتية في أعلى ربوة الشميس[228]. ويعتبران من جهة أخرى أن « ***توفر ليكسوس علـى بنيـات ذات الطابع العتيق نسبيا لا يدعو الى الدهشة، لان وجود هذه البنيات كان مصاحبا لمواد أركيولوجية أقرب الى عصر البرونز بدلا من انتمائها الى المدينة البونيقية، حسب ما كان يعتقد*** »[229].

غير أن البراهين الاركيولوجية التي تم الكشف عنها لحد الآن تعتبر غير كافية لرسم الخطوط الاولى للأصول ماقبيل-التاريخية لليكسوس، التي تعد أصولا غامضة، ومعالمها المكونة غير واضحة، إن لم نقـل مجهولة أو منعدمة[230]. فقد مر بنا من خلال دراسة الخزف المحلي، كيف أن نسبته كانت قليلـة مقارنـة بالخزف الفينيقي المستورد. كما أن الاعتماد على وجوده الى جانب الخزف الفينيقـي لا يعنـي إطلاقـا أن ليكسوس عرفت منشأة محلية مستقرة. وذلك نظرا لعدم الكشف عن أي مستوى استراتيغرافي يتوفر على مواد

---

(223) Bokbot(Y) et Onrubia-Pintado(J), La basse vallée de l'oued Loukkos à la fin des temps préhistoriques, op. cit, p. 21.

(224) Idem, Ibid, p. 24.

(225) Chifman(Ch), Naissance de la puissance carthaginoise, Moscou, 1963, p. 23.

(226) من المؤكد أن تمييز وتشخيص المجتمعات ماقبيل-التاريخية التي عرفتها منطقة شمال إفريقيا، أضحى من المراحل الضرورية لفهم نماذج الاستيطان وطرق مراقبة الاراضي والمدى الحقيقي للتغيرات الثقافية والتحولات الاجتماعية-الاقتصادية المرتبطة بنشأة أقدم المستوطنات الفينيقية بحواشي الحوض المتوسطي الغربي.

(227) Bokbot(Y) et Onrubia-Pintado(J), Substrat autochtone et colonisation phénicienne au Maroc, op. cit, p. 224.

(228) Idem, Ibid, p. 224.

(229) Bokbot(Y) et Onrubia-Pintado(J), La basse vallée de l'oued Loukkos à la fin des temps préhistoriques, op. cit, p. 20.

(230) يرى يوسف بوكبوط و"خورخي أونروبيا-بينطادو" (Jorge Onrubia-Pintado) أن الآفاق الثقافية المحلية، التي يمكن تسميتها مؤقتا بماقبل-البربرية، لا يمكن فهمها سوى في إطار ظاهرة بزوغ التجمعات السكانية مابعد-النيوليتية، وطفو الحضارات ماقبيل-التاريخية بشمال إفريقيا الغربية. ويبدو من أول وهلة أنه يجدر وضع هذه العناصر في الفضاء الثقافي الذي له علاقة بعصر البرونز الاطلنطي الاوروبي في مظهره الجنوب الايبيري. ومع ذلك، ينبغي انتظار القيام بأبحاث جديدة حول مركز ليكسوس، تتم معالجتها من وجهة نظر ماقبيل-تاريخية محضة، حتى نتمكن من أجوبة مقنعة حول المشاكل الثقافية والكرونولوجية التي تثيرها فرضيتهما. انظر :

Bokbot(Y) et Onrubia-Pintado(J), Substrat autochtone et colonisation phénicienne au Maroc, op. cit, p. 224-225.

أركيولوجية محلية أوفر من المواد الفينيقية، علما بأن الخزف الفينيقي كان يوجد مباشرة فوق الصخر الام[231]. ناهيك الى أن الكسرات الخزفية المصنوعة باليد، ليس بالضرورة أن تكون كلها من إنتاج محلي، إذ منها من تحظى بأن تكون مستوردة من جنوب إسبانيا مثل الخزف المعروف "بذي الخربشات" (à graffito)، ومنها من كانت من إنتاج نفس السكان الفينيقيين المستقرين بليكسوس.

وحيث أن العديد من الانواع الخزفية المحلية المكتشفة في ليكسوس كانت طبق الاصل للنماذج المكتشفة في الجوار المحلي، خصوصا في مركز كشكوش بوادي لاو، فالمرجح أن هذه الانواع تم اقتناؤها من الاهالي على يد فينيقيي ليكسوس، دون أن يتطلب الامر بالضرورة وجود تجمع سكاني محلي سابق لتشييد المركز. ومن المعلوم في هذا الصدد أن المنطقة الممتدة شمال ليكسوس، عرفت استقرارا سكانيا كثيفا منذ عصور ما قبل التاريخ، كما تشهد على ذلك مجموعة من المراكز السطحية، كانت تجمع بينها على ما يبدو طريق تمتد من ليكسوس الى مزورة ثم الى ناحية طنجة[232] (انظر لوحة LXXI). وقد أثبت "ميشيل بونسيك" أن هذه المنطقة عرفت خلال العصر النيوليتي، أي قبل المرحلة الفينيقية، مجموعة سكانية مهمة كانت تزاول نشاط الصيد البحري بساحل البحر، وتمارس الفلاحة وتربية الماشية بداخل الاراضي[233]. ويبدو أن هذه التجمعات استمرت في الوجود خلال العصر الفينيقي-البونيقي، كما يشهد على ذلك الكشف عن مجموعة من أعناق الامفورات، علاوة على أمفورة كاملة، التي لا نعلم هل تعود الى المرحلة الفينيقية أو البونيقية[234].

من هنا يبدو أن فكرة اقتناء الفينيقيين للمنتوجات المحلية من الظهير القريب لليكسوس فكرة واردة، كما استنتج ذلك "ميكيل طراديل" منذ الخمسينيات من القرن العشرين. فقد اعتبر أن الخزف المكتشف في المستويات الاستراتيغرافية السفلى المصاحب للخزف الفينيقي، يدل على بدء الحياة المنظمة بليكسوس، حينما تحتم الامر على سكانها أن يستخدموا الاواني الفخارية المحلية، لانعدام المنتوج الكافي لتغطية متطلباتهم من الاواني المنزلية[235]. ومما يرجح ذلك، أن كسرات الاواني الخزفية المحلية القليلة التي عثر عليها كذلك كل من "بيير سانتاس" و"أندري جودان" في الطبقة الفينيقية بجزيرة الصويرة، كانت تنتمي الى قدور ذات القعر

---

(231) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p.3.

(232) Ponsich(M), Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc : Région de Lixus, op. cit, p. 382.

وقد بلغ عدد المراكز ما قبل-التاريخية الحاضرة في الاطلس الاركيولوجي الذي أنجزه "بونسيك" (M. Ponsich) حول ناحية ليكسوس، ما يناهز خمسة عشر مركزا. وهي تحمل الارقام والاسماء التالية : رقم 10 (عين الشجرة) — رقم 14 و15 (سيدي عبد الرحيم) — رقم 18 (بلاد غياط الخميس) — رقم 24 و28 (هضبة سيدي بوجاري) — رقم 30 (سي احساين) — رقم 31 (الكريمدة) — رقم 63 (مزورة) — من رقم 64 الى رقم 66 (شمال مزورة) — رقم 72 (بلاد الصومعة) — رقم 82 (ثلاثاء ريسانة) — رقم 84 (سيدي بوطريق).

أما المعثورات التي اكتشفت في هذه المراكز، فهي تتألف من مدافن على شكل "كرومليك" (Cromlech)، مثل ضريح مزورة الشهير، ومن مدافن من نوع "دولمن" (Dolmen)، ومن فأس نيوليتية مصقولة، ومن أعداد كبيرة من الصوان المنحوت، منها من يعود الى العصرين الباليوليتي والنيوليتي. انظر :

Idem, Ibid, p. 398, 399, 401, 405, 417, 420, 422.

(233) Ponsich(M), Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc : Région de Lixus, op. cit, p. 382.

(234) Idem, Ibid, p. 397, 412, 413, 420, pl. XIX, p. 421.

(235) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 157 ; Idem, Guía arqueológico del Marruecos español, op. cit, p. 25 ; Idem, Aportación a la cronologia de la cerámica de barniz rojo, op. cit, p. 30.

المسطح والعروات الواسعة، وتحمل علامات استعمال النار[236]. ومن المعلوم أن جزيرة الصويرة لم تبرز أية علامة عن وجود تجمع محلي بها خلال المرحلة الفينيقية، مما يعني أن الخزف المحلي المرافق للخزف الفينيقي، تم اقتناؤه كذلك من السكان المحليين المستقرين بمكان ما باليابسة أو الوافدين عليها عند انعقاد يوم السوق. وقد تم اعتماد هذا الخزف لتغطية أو استكمال الاحتياجات المطبخية اليومية التي يتطلبها مقام الجالية الفينيقية المستقرة بالجزيرة. هذا مع التذكير بأن مجموعة من الاواني الخزفية المصنوعة باليد التي كانت تحمل علامات الطهي بالنار، من المحتمل جدا أن تكون قد صنعت من طرف المستوطنين الفينيقيين أنفسهم، سواء في ليكسوس كما سلفت الاشارة الى ذلك، أو في جزيرة الصويرة.

أما فيما يتعلق بالمدافن الميكاليتية المكتشفة بليكسوس، والتي استند إليها يوسف بوكبوط و"خورخي أونروبيا-بينطادو" لاعتبارها من الشواهد الدالة عن وجود تجمع سكاني محلي سابق للمنشأة الفينيقية، فإننا لانتوفر على أي دليل مقنع لتأكيد ذلك، لانه من المحتمل جدا أن تكون هذه المدافن قد شيدت في عين المكان خلال المرحلة اللاحقة للعصر الفينيقي. فمن جهة، كانت بعض المدافن مشابهة لنماذج عرفها ظهير ليكسوس المحلي المؤرخة بعصور حديثة، كما هو الشأن بالنسبة لمدفن بلاد الغيات الخميس[237]. ومن جهة ثانية، يلاحظ أن جل المواد الاثرية المكتشفة بداخل هذه المدافن سواء في المدفن المعروف باسم "الدولمن" أو المعروف باسم "القنطرة"، كانت تنتمي الى عصور حديثة[238]. وكان "طراديل" قد اقترح تأريخ المدفنين، سواء من خلال شكل البناء أو من خلال المحتويات الجنائزية، بمرحلة تمتد من بداية القرن الثالث قبل الميلاد الى حلول القرن الاول الميلادي[239]. كما أن الاقبية الاربعة التي اعتبر "ميكيل طراديل" أنها كانت من نوع لوكولي[240]، فإنها لا تحظى كذلك بما ينم عن انتمائها الى عصور سابقة لقدوم الفينيقيين، لانها عرفت عادة حرق الاموات، التي كانت غريبة عن الطقوس المحلية المستعملة في أرض المغارب خلال عصور ما قبل التاريخ[241]. واستنادا الى المواد الجنائزية المكتشفة بداخلها، اعتبر "طراديل" أن هذه المدافن ترجع الى العصر القرطاجي المتأخر[242].

---

(236) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 166 ; Cintas(P), Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc, op. cit, p. 41.

(237) Ponsich(M), Une tombe pré-romaine aux environs de Lixus, **B.A.M**, t. V, 1964, p. 339, pl. I ; Idem, Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc : Région de Lixus, **B.A.M**, t. VI, 1966, p. 399, pl. XI.

(238) للتذكير أن المدافن من نوع "الدولمن" (Dolmen) التي أشار إليها "بالاري" (P. Pallary)، كانت تستعمل خلال العصر الروماني. كما أن القبر المعروف باسم "القنطرة" كان يضم عند اكتشافه من طرف "لامارتينيير" (La Martinière) بعض المحتويات الحديثة العهد نذكر منها مسكوكات وبلسميات وحلي تنتمي الى العصر الموريطاني.

(239) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 169.

(240) Garcia y Bellido(A), Fenicios y Carthagineses en occidente, Madrid, 1942, p. 254-260.

(241) من المعلوم أن سكان المغرب القديم، كسائر سكان شمال إفريقيا، كانوا يدفنون موتاهم منذ عصور ما قبل التاريخ الى عهود متأخرة، بوضعية مقرفصة أو مثنية على الطريقة الجنينية. وهذا ما يفسر لماذا كانت المدافن المحلية المعاصرة للمرحلة الفينيقية عبارة عن حفر صغيرة على شكل صناديق صغيرة الحجم لايتعدى طولها في الغالب مترا وعشرين سنتيمترا وعرضها نصف متر. وتعكس مدافن ناحية طنجة هذه الحالة بوضوح. انظر :

العزيفي (محمد رضوان)، هل مدافن ناحية طنجة فينيقية الاصل ؟، المرجع السابق، ص. 5.

(242) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 168.

كما أن البنايات ذات الطابع الميكاليني التي اعتمد عليها الباحثان لتدعيم فرضيتهما، لا تستند هي أيضا على معايير معقولة، حيث لا نتوفر على ما يشير مثلا الى أن السور المعروفة بالسور الشرقية تعد واحدة من آثار المباني ماقبل–التاريخية بليكسوس. كما أن الجدران التي اكتشفها "ميكيل طراديل" بالمستوى الاستراتيغرافي رقم V باستبار الخروب، والتي تم اعتبارها بنايات محلية من طرف يوسف بوكبوط و"خورخي أونروبيا–بينطادو" [243]، لا تحظى بما يؤكد ذلك. والحالة هذه أن "طراديل" يشير بصحيح العبارة في هذا الموضوع، أن هذه الجدران كانت "***بمثابة أسس بناء منشآت هدمت من جراء البنايات اللاحقة***" [244]. وقد تأكد مؤخرا بفضل الحفائر التي تمت في نفس الاستبار عام 1999، أن هذه الجدران كانت من تشييد المستوطنين الفينيقيين الاوائل بليكسوس (انظر لوحة LIII) [245].

وفي الختام، نشير الى أن المواد المعدنية التي اعتمد عليها كذلك كل من الباحث المغربي والاسباني لتدعيم ملف الاستقرار ما قبل الفينيقي بالمركز [246]، تعتبر علامات ضعيفة جدا، إن لم نقل منعدمة. فمن جهة، ليس لدينا ما يؤكد أن الفأس البرونزية الموجودة في المتحف الاركيولوجي بتطوان قد اكتشفت فعلا في ليكسوس [247]. ومن جهة ثانية، ليس من المنطقي أن نعتمد على هذه المادة، ولو كان مصدرها من ليكسوس، الى جانب مادة ثانية تتألف من سيف برونزية، لنقر بأن الامر يدل على وجود منشأة محلية سابقة للوجود الفينيقي بليكسوس.

2) ليكسوس المدينة الليبية–الفينيقية (فرضية "بونسيك"):

في نفس سياق الفرضية السالفة، يرى "ميشيل بونسيك" [248] أن الخزف المحلي المكتشف بليكسوس يدل على تواجد محلي يتميز بالسمات الثقافية لعصر البرونز إن لم نقل بسمات العصر النيوليتي. كما ينم هذا المنتوج حسب المؤلف نفسه، عن وجود نواة ليبية بليكسوس منذ القرن السابع قبل الميلاد على الاقل. وانطلاقا من ذلك، يعتقد الباحث الفرنسي [249] أن ليكسوس عرفت تعايشا بين الحضارة المحلية لعصر البرونز المتأخر، وبين الحضارة الفينيقية، معتبرا أنها كانت واحدة من المدن الليبية–الفينيقية التي تحدثت عنها المصادر القديمة ؛ أي أنها كانت مستوطنة أسسها الفينيقيون في مواقع محلية. ويستند في رأيه على أن ليكسوس عرفت عدة مبان قديمة جدا من النوع "الميكاليني"، المتمثلة في بعض الاسوار أو الجدران أو الابواب [250].

---

(243) Bokbot(Y) et Onrubia-Pintado(J), La basse vallée de l'oued Loukkos à la fin des temps préhistoriques, op. cit, p. 20.

(244) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 147.

(245) Pascual(I), De Madaria(J.L), La Arquitectura, **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4,** 2001, p. 46, pl. 1.

(246) Bokbot(Y) et Onrubia-Pintado(J), La basse vallée de l'oued Loukkos à la fin des temps préhistoriques, op. cit, p. 24.

(247) Gozalbez-Gravioto(E), Las edades del cobre y del bronce en el N.O. de Marruecos, **Cuadernos de la biblioteca española de Tetuan**, 12, 1975.

(248) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 131.

(249) Idem, Ibid, p. 132.

(250) Ponsich(M), Implantation rurale du Maroc phénicien, op. cit, p. 86-87.

ومع ذلك فإن هذه العناصر التي يعتمد عليها "بونسيك" تعتبر غير كافية للتأكيد على الاصل المحلي لسكن ليكسوس. هذا مع العلم أن مصطلح "ميكاليتي" المستعمل من لدن الباحث الفرنسي لا ينبغي ربطه دائما بكل ما هو محلي، لأنه عند حديثه عن جدران مبنى A، كان يعتبر تقنية بنائها من النوع "الميكاليتي" كذلك[251]. ومن المعلوم أن الاصول الفينيقية لهذه الجدران لا شك فيها كما يرى ذلك الباحث الاسباني "فيرناندو لوبيز باردو"[252].

3) إسهام مركز "كشكوش" :

من المستجدات الاركيولوجية الحديثة في مجال الدراسات الفينيقية وعلم ما قبيل-التاريخ بالمغرب، والتي يمكن أن تفيدنا في الالمام بحقيقة كيان ماقبل-الفينيقي بليكسوس، نشير الى الكشف بمنطقة وادي لاو عن مركز محلي معاصر للمرحلة الفينيقية. ويعرف هذا المركز باسم "كشكوش"، وأيضا باسم "ظهر المودن"، ويوجد فوق مصطبة صغيرة مستديرة يبلغ قطرها حوالي أربعين مترا تتميز بمنحدرات وعرة. وتطل هذه المصطبة على السهل الرسوبي لواد لاو برمته، وعلى البحر الابيض المتوسط الذي يبعد عنها بحوالي تسع كيلومترات على خط مستقيم[253].

وقد تم الكشف عن هذا المركز بفضل الحفائر الاركيولوجية التي قام بها يوسف بوكبوط و"خورخي أونروبيا-بينطادو"[254] بعين المكان سنة 1988. وهو عبارة عن تجمع سكني ما قبيل-تاريخي يتألف من عدة أكواخ شيدت جدرانها من الخشب ومن أغصان الاشجار المزينة بالطين الممزوج بالقش تسندها مجموعة من الركائز. غير أنه يتعذر في الوقت الراهن معرفة التصميم العام لهذه المساكن. أما المواد الاركيولوجية المكتشفة في مركز كشكوش، فهي تتألف من مخزون وافر ومتنوع من الخزف المقولب المحلي، الى جانب عدة أواني مخروطة فينيقية.

وفيما يتعلق بالخزف المحلي، فقد أسفرت الحفائر عن اكتشاف سلسلة من الجرار الخاصة بالتخزين ذات الفوهة الواسعة والقعر المستوي والقدم المتماسك، والمتوفرة في نقطة انثناء الكتف، على زخرفة إما بالتشريط أو بالبصم تنجز سواء مباشرة على سطح الآنية، أو على فتيل رقيق، أي طبق نفس الزخرفة التي تضمنتها العديد من كسرات الخزف المحلي في ليكسوس. غير أن الصنف المقولب الاكثر تمييزا يمثله قدح صغير ذي الزورق (caréné)، يتميز بتوفره على جوانب رقيقة وملساء وقعر ذي سُرَّة. كما يتوفر الاناء على ثُقب خاصة بالتعليق منقوبة على طول الزورق، علاوة على زخرفة هندسية منقوشة[255] على شكل مثلثات تحيط بالنصف الاعلى للإناء.

---

(251) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 29.

(252) Lopez Pardo(F), Reflexiones sobre el origen de Lixus y su Delubrum Herculis en el contexto de la empresa comercial …, op. cit, p. 92.

(253) انظر خريطة موقع كشكوش عند :
Bokbot(Y) et Onrubia-Pintado(J), Substrat autochtone et colonisation phénicienne au Maroc, op. cit, p. 221.

(254) Idem, Ibid, p. 222.

(255) من الناحية التقنية، يقصد بعبارة "الزخرفة المنقوشة" وجود زخرفة مُحَزَّزة داخل الكتلة الطينية بعد الشواء أو بعد التنشيف الكلي للعجين. وتدعى أحيانا الاخزاف ذات الزخرفة المنقوشة، بالاخزاف ذات الخربشات" (à graffito).

وفيما يخص الخزف المخروط، فإنه كان نادرا مقارنة بالخزف المحلي، حيث أفرز مصنف الاشكال الحاضرة في كشكوش ما يلي: الجفنات ذات البرنيق الاحمر الفينيقي، والجرار المصبوغة بأشرطة سميكة وخطوط رقيقة، وخصوصا الامفورات من النوع العتيق ذات الكتف الزورقية والعروتين المدورتين[256].
ومما يثير الانتباه في الاواني الفينيقية، أن الاهالي كانوا يستخدمونها من جديد ويستمرون في استخدامها مرات متعددة، بدليل الاستبدال الشبه المنظم لفتحاتها الضيقة الاصلية بحواشي غير متناسقة وواسعة، كما يشهد على ذلك صقل أمكنة الكسر، وتوفر الاواني على أثقاب الترميم.

أما مرحلة الاستقرار السكاني بهضبة كشكوش، فإنه يتعذر ضبطها لحد الساعة. غير أن العلامات الكرونولوجية التي توحي بها العديد من المواد المكتشفة، خصوصا الخزف الفينيقي وبعض الاواني المقولبة بما فيها الاناء ذي الزخرفة المنقوشة، تحثُّ على تأريخ هذه المرحلة ما بين القرن الثامن قبل الميلاد والقرن السادس قبل الميلاد[257].

ويعد الاسهام الذي يقدمه مركز كشكوش في التعرف على المكونات الاركيولوجية للآفاق ما قبل-الفينيقية لشبه الجزيرة الطنجية إسهاما جديرا بالاهتمام، لانه يمكن أن يساعد على تحديد حقيقة كيان ماقبل-الفينيقي بليكسوس. وبعد أن كنا نلمس أن يوسف بوكبوط و"خورخي أونروبيا-بينطادو" كانا يبحثان بجميع الوسائل على تدعيم فرضيتهما القائلة بوجود تجمع محلي ماقبل-فينيقي في ليكسوس[258]، بدأنا نحس ببعض التحفظ في الموضوع عند اكتشافهما لمركز كشكوش[259]. وهو التحفظ الذي لمسناه بالفعل عندما أقر الباحثان بأن المدفنين المعروفين باسم القنطرة والدولمن، والاقبية الاربعة، والسور "الميكاليتية"، والباب الميكاليتية، والجدران الميكاليتية لمعبدي B وA[260]، تعرف جدالا في مسألة أصولها ماقبل-التاريخية. كما لمسنا تحفظهما في شأن تحديد المرحلة التي عرفت وجود التجمع السكاني المحلي المحتمل بمرتفعات الشميش، حيث اعترفا بأنه من الصعب تأريخ هذه المرحلة[261].

وكدليل على هذا التحفظ، تلك الاجابة الموضوعية التي أدلى بها "خورخي أونروبيا-بينطادو" على التعقيب الذي تقدم به "موريس لونوار" (M.Lenoir) في "الملتقى الدولي السادس حول تاريخ وآثار إفريقيا الشمالية". فقد أشار في هذا الصدد ما يلي[262]: «***فيما يتعلق بتأكيننا الطموح نوعا ما حول أسبقية كشكوش على ليكسوس بالنسبة لتحديد كيان ما قبل-التاريخي السابق للوجود الفينيقي بشمال المغرب، تجدر الاشارة***

---

(256) Bokbot(Y) et Onrubia-Pintado(J), Substrat autochtone et colonisation phénicienne au Maroc, op. cit, p. 223.

(257) Idem, Ibid, p. 223.

(258) ويمكن تتبع ذلك من خلال مقالتهما حول الوادي الاسفل لنهر اللكوس في نهاية عصور ما قبل-التاريخ التي تقدما بها في الملتقى الدولي الاول حول ليكسوس. انظر:

Bokbot(Y) et Onrubia-Pintado(J), La basse vallée de l'oued Loukkos à la fin des temps préhistoriques, op. cit.

(259) أورد الباحثان ما يلي في هذا الصدد: «***فرغم أننا حاولنا أن نبرز في مقالة سابقة البراهين الاركيولوجية، التي ترجح رغم ضعفها وجود استقرار سكاني محلي تحت المستويات الفينيقية بربوة "تشميس" وخصوصا في هضبة الهري، إلا أن قبول هذه الفرضية لم يلق بعد الآذان الصاغية***». انظر:

Bokbot(Y) et Onrubia-Pintado(J), Substrat autochtone et colonisation phénicienne au Maroc, op. cit, p. 223.

(260) Idem, Ibid, p. 224.

(261) Idem, Ibid, p. 224.

(262) Idem, Ibid, p. 230-231.

أولا الى أن الطابع المحلي للتجمع السكاني بكشكوش لا يخامره أدنى شك. أما في ليكسوس، فإن غياب ملاحظات استراتيغرافية دقيقة، لايمكننا في الوقت الراهن من تشخيص الوجود المفترض لمنشأة تقتصر على تجمع سكاني محلي، رغم أن المواد الاركيولوجية الواردة من الطبقات السفلى بمختلف الاستبارات، توحي بوجود هذه المنشأة».

ومن الواضح أن هذا التحفظ يعزى بالخصوص الى مسألة أساسية كشف عنها مركز وادي لاو المعاصر لليكسوس، وهو أن نسبة الخزف المحلي المكتشف بكشكوش، والذي كان شبيها لنفس الخزف المكتشف في المستويات العميقة بليكسوس[263]، كانت نسبة كبيرة مقابل الخزف الفينيقي. أي عكس ما كان عليه الامر في ليكسوس، حيث كانت نسبة الخزف الفينيقي المستورد تفوق بكثير نسبة الخزف المصنوع باليد. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن كشكوش كان مركزا محليا[264]، بينما كانت ليكسوس منشأة فينيقية. صحيح أن هذه المنشأة يمكن أن تكون قد شيدت في مكان كان يعرف تجمعا محليا صغيرا، لكنها سرعان ما تحولت الى منشأة استيطانية شاسعة المساحة.

من خلال ما سبق، يتبين أننا لا نتوفر على ما يثبت أن ليكسوس كانت في بدايتها على شكل مدينة محلية قائمة الذات دخل الفينيقيون في مفاوضات معها. فالمخلفات المحلية المفترضة من مدافن وبنايات ميكاليتية ومواد معدنية، لا تحظى بأي عنصر معقول يمكن الاستناد إليه لاعتبارها من مخلفات الحقبة السابقة للعصر الفينيقي بليكسوس. كما أن فرضية الاصل المحلي للخزف المصنوع باليد المقولب الذي كان يرافق الخزف الفينيقي المخروط في المستويات الاستراتيغرافية الفينيقية، أضحت فرضية متجاوزة بفضل المستجدات

---

(263) Idem, Ibid, p. 224.

(264) مكنت الابحاث التي قام بها يوسف بوكبوط و"خورخي أونروبيا-بينطادو" (Jorge Onrubia-Pintado) في وادي لاو، من الكشف عن تجمع سكني يبدو بدون أدنى شك أن سماته كانت محلية، وأنه كان معاصرا للانتشار التجاري الفينيقي نحو حواشي البحر الابيض المتوسط الغربي. ومع أننا لانعلم شيئا في الوقت الراهن عن طبيعة ومدلول ومدى العلاقات التي جمعت المعمرين الفينيقيين بالمجموعة البشرية المستقرة بهضبة كشكوش، إلا أن مصنفات المواد المكتشفة في هذا المركز تدل عن وجود علاقات ربما غير عرضية كانت تجمع السكان المحليين مع المعمرين الفينيقيين. غير أنه لم يتم الكشف عن أية علامة لمنشأة تقترن بالفينيقيين في منطقة وادي لاو الاسفل، التي يبدو أنها كانت تحظى بالعديد من المؤهلات الطوبوغرافية التي كان يفضلها التجار والوكلاء الفينيقيون لاستقرارهم المجالي. ومن المعلوم أن نماذج استغلال المجال من طرف الفينيقيين خلال المرحلة الاولى من توسعاتهم، أصبحت تعرف بالتفصيل في إسبانيا. ومن المؤكد أن هذا الغياب، الذي ينبغي تفسيره بالعوامل الجيولوجية-الايكولوجية (الجغرافيا القديمة للساحل-الظروف الملاحية ...) وبالعوامل الاجتماعية-الاقتصادية (الكثافة السكانية المحلية-موارد الظهير ...)، يدعو الى ضرورة التعمق في دراسة عوامل ودينامية ومرحلة التوسع والاستيطان الفينيقي بالمغرب. وفي انتظار ذلك، يجدر القول بأن المظاهر المكونة للكيان المحلي المستقبل للمحفزين الاوائل الوافدين من الخارج، بدأت ترسم بنوع من الوضوح في شبه الجزيرة الطنجية. غير أنه يصعب في الوقت الراهن معرفة هل هذا الكيان -الذي يمكن تسميته بحضارة البرونز الحديث الليبي- يرجع تشكّله الى أنساق التطور المحلي، أو الى المؤثرات الايبيرية الاطلنطية والمتوسطية الجنوبية، الحاضرة بدون انقطاع في شمال غرب المغرب منذ العصر الكالكوليتي على الاقل. وكيفما كان الحال، فإن كشكوش يعتبر أول مركز يجعل مسألة تشخيص الكيان ماقبيل-التاريخي السابق مباشرة لقدوم الفينيقيين بشبه الجزيرة الطنجية، يجاوز مرحلة الملاحظات الصعبة التحقيق التي تمت على الارض، ومرحلة الاوصاف الاركيولوجية التي طالها الخداع مرارا، ومرحلة تجديد البناء التاريخي الإيراداوي. انظر :

Bokbot(Y) et Onrubia-Pintado(J), Substrat autochtone et colonisation phénicienne au Maroc, op. cit, p. 226-227 ; Onrubia Pintado(J), Modalidades, implicaciones y significación de las relaciones prehistóricas ibero-magrebíes. Problemas y perspectivas, Actas del Congreso internacional **"El Estrecho de Gibraltar"** (Ceuta, Noviembre 1987), vol. 1, Madrid, UNED, 1988, p. 147-171.

الاركيولوجية التي شملت العديد من المستوطنات الفينيقية بما فيها ليكسوس نفسها. فقد أثبتت الحفائر الجديدة التي شملت ليكسوس عام 1999، أن الخزف المصنوع باليد لا يمكن اعتباره كليا خزفا محليا، وأن جزءا مهما منه كان إما مستوردا أو من صنع المستوطنين الفينيقيين أنفسهم. ومن تم فإن الفرضيات المرتبطة بوجود كيان ماقبل-فينيقي بليكسوس، سواء على شكل منشأة حضرية محلية أو على شكل مدينة "ليبية-فينيقية" تستدعي المراجعة، خصوصا بعد اكتشاف مركز كشكوش المحلي المعاصر للمرحلة الفينيقية بليكسوس.

ومما يرجح أن ليكسوس لم تكن في الاصل منشأة محلية، أن الرحلة المنسوبة الى "سكيلاكس" (Scylax)، التي تعتبر أقدم وثيقة تشير نصا الى ليكسوس كمدينة فينيقية، قد أشارت في نفس الفقرة الى وجود مدينة للمحليين بالقرب منها[265]. ويرى "بيير سانتاس"، أن نشأة هذه المدينة كانت بتحفيز من الاستقرار الفينيقي بليكسوس، مرجحا أن السكان المحليين، الذين استمالتهم منشأة الفينيقيين بالمنطقة، قدموا للاستقرار بجوارها[266]. وإذا كانت الاركيولوجية المغربية لم تكشف لحد الساعة عن التجمع الذي تحدث عنه "سكيلاكس"، والذي كان ربما واحدا من الجهات التي مولت السكان الفينيقيين لليكسوس ببعض الاواني المصنوعة باليد[267]، فإن العديد من المؤلفين[268] قد رجحوا أن هذه المدينة كانت توجد في الموقع الحالي لمدينة العرائش. وذلك استنادا لكون الاراضي الخصبة لمنطقة العرائش عملت دون شك على جلب ساكنة للاستقرار بالمنطقة منذ القدم. كما أن الرأس البحري الذي شيدت فوقه المدينة يمثل ملجأ طبيعيا يحمي المكان من الرياح الغربية والشمالية الغربية المريعة، ويشكل ربما ذاك الميناء الذي خص به "سكيلاكس" (Scylax) المدينة المجهولة الاسم التي كانت تقابل مدينة ليكسوس الفينيقية.

وهكذا يبدو من خلال هذه الملاحظات أن الوجود الفينيقي بليكسوس لم يكن على شكل مجموعة من "المستأجرين" (*inquilini*) يقومون بتنشيط العمليات التجارية حول معبدهم الموجود في الوسط المحلي، كما يرجح ذلك الباحث الاسباني "فيرناندو لوبيز باردو"[269]. بل كان هذا الوجود أهم من ذلك بكثير.

---

[265] يورد "سكيلاكس" في هذا الباب ما يلي : « ***بعد الأنيدس، يوجد نهر كبير آخر يدعى ليكسوس، ومدينة للفينيقيين وهي ليكسوس، ثم مدينة أخرى يقطنها الليبيون توجد بعد هذا النهر، وميناء*** ». انظر :

Périple de Scylax, 112 ; ap. Desanges(J), Recherches sur l'activité des Méditerranéens aux confins de l'Afrique, op. cit, p. 414.

[266] ويستدل "بيير سانتاس" (P. Cintas) على ذلك بانعدام وجود آثار ما قبل-تاريخية أو ماقبيل-تاريخية على ضفاف بحيرة اللكوس. انظر :

Cintas(P), Manuel d'Archéologie punique, T. I, op. cit, p. 247, note n° 7.

[267] لم يمثل هذا التجمع السكاني المفترض الجهة الوحيدة التي ربما مولت ليكسوس ببعض ما تحتاج إليه، لأن الظهير الشمالي لليكسوس عرف بدوره بفضل تنقيبات "ميشيل بونسيك" (M. Ponsich) عدة تجمعات محلية مستقرة بالمنطقة منذ العصر النيوليتي. انظر :

Ponsich(M), Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc : Région de Lixus, op. cit.

[268] Barth(H), Wanderungen durch die Küstenländ des Mittelmeeres, ausgefürt in den Jahren 1845, 1846 und 1847, I, p. 21 ; Tissot(Ch), Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie tingitane, Mémoires des savants étrangers, 1ère série, t. IX, Paris, 1878, p. 221 ; Roget(R), Index de topographie antique du Maroc, op. cit, p. 63.

[269] Lopez Pardo(F), Reflexiones sobre el origen de Lixus y su Delubrum Herculis en el contexto de la empresa comercial fenicia, op. cit, p. 93.

الفصل الحادي عشر

المنشأة الفينيقية فيما وراء البحار وطبيعة التوسع الفينيقي

يبدو من خلال ما سبق، أن المعطيات المتوفرة ترجح أن يكون الفينيقيون قد أسسوا منشأتهم في أرض خلاء، أفضل من الاعتقاد بوجود تجمع سكاني محلي بليكسوس دخل الفينيقيون في علاقة معــه. غيــر أن المعلومات المصدرية والاركيولوجية المتوفرة في الوقت الراهن حول المرحلة الفينيقية بليكسوس، تعد غيــر كافية لاخذ صورة متكاملة حول هذه المنشأة، وبالتالي فمن السابق لاوانه مناقشة هذه المسألة بجميع مظاهرها. وعموما تعد المعطيات المتعلقة بالغرب الفينيقي شحيحة جدا في هذا الباب، خصوصا في موضوع علاقــات المنشآت الفينيقية بمؤسسيها. وذلك بالمقارنة مع الزخر الهائل من الوثائق المصدرية التي توفرها منطقة الهلال الخصيب حول مسألة تنظيم التجارة، وعلاقة بعض الامبراطوريات الكبرى بالعديد من المراكز التجارية التي تم تأسيسها خارج حدودها[1].

ومع ذلك، واعتمادا على مجموعة من المعطيات المتعلقة بنوعية اقتصاديات الشرق الاوسط القــديم التي ورثتها فينيقيا وخصوصا مدينة صور، واستنادا لطبيعة ميكانزمات ومحفزات الانتــشار الفينيقــي فــي الحوض المتوسطي، الذي أفضى الى خلق مجموعات مختلفة من المنشآت، فمن الممكــن رســم الخطــوط العريضة للوضعية التي من الممكن أن عرفتها ليكسوس من حيث طبيعتها ووظيفتها.

ولمعرفة هل كانت ليكسوس خلال المرحلة الفينيقية على شكل مدينة للاستقرار مثــل قرطاجــة، أو مستوطنة تجارية مثل قادس، أوكانت على شكل وكالة تجارية مثل جزيرة الصويرة، يجدر ربطها بالظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية التي تحكمت في عملية التوسع الفينيقــي بــالحوض المتوســطي والساحل الاطلنطي، وشكلت مجموعة مهمة من النماذج المختلفة من المنشآت الساحلية. ولمعرفة حالة هــذه المنشآت، يجدر مقارنتها قبل كل شيء بالوضعية التي كانت عليها المدينة الفينيقية، باعتبارها إحدى المكونات الاساسية الفاعلة في الحضارة الفينيقية، ومقارنتها كذلك بنماذج الوكالات التجارية التي عرفها الشرق الأوسط القديم والمعروفة باسم "القاروم".

I ـــ المدينة الفينيقية في الشرق :

تقدم مصادر الشرق الاوسط القديم كمًّا وافرا من المعلومات، تفيدنا في أخذ صورة حول المدن الفينيقية الشرقية من حيث وضعيتها المعمارية وعلاقاتها الخارجية وأنشطتها الاقتصادية ومعتقداتها الدينيــة. وتعتبــر صور أهم مدينة ورد ذكرها في هذه المصادر، باعتبارها رائدة المدن الفينيقية في الشرق، والمنشطة الرئيسية لعملية التوسع الفينيقي نحو الغرب. ويعد الكتاب المقدس، باعتباره مرآة للعلاقات التي كانت تجمــع فينيقيــا بجيرانها، أوفر المصادر الشرقية ذكرا لهذه المدن، وخصوصا لمدينة صور.

---

[1] حول تنظيم التجارة في منطقة الشرق الاوسط القديم خلال الالف الثانية قبل الميلاد، والتي تأثرت بها المؤسسات التجارية الفينيقية ابتداء من الالف الاولى قبل الميلاد، انظر :

Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 230.

فمن خلال الإصحاح السادس والعشرين من سفر حزقيال، تبدو صور من بين الأوصاف التي شملتها، على شكل مدينة متحصنة مشيدة فوق جزيرة صخرية، تتوفر على ميناء مفتوح على جميع مراكب الامم وبضائعها. كما يصورها نفس الإصحاح كأهم وسيط تجاري بين آسيا والبحر الأبيض المتوسط، مما جعلها معرضة لأطماع القوى الكبرى الداخلية. وعند سقوطها على يد الملك الكلداني "نبوخذ نصر"، نلمس الضرر الذي لحق بجميع المتعاملين معها حسب نص التوراة، مما يدل على هيمنتها على البحر، وينم عن صدى تجارتها الدولية[2]. وفي التنبئ الثاني ضد صور الوارد في الإصحاح السابع والعشرين من نفس السفر[3]، تُمثَّل صور استعارة على شكل سفينة يوجهها ملاحون مهرة، ويدافع عنها محاربون أشداء. كما يعطينا هذا الاصحاح صورة حول نطاق تجارة صور، وحول المدن الفينيقية الاخرى التي اتجرت تحت هيمنتها مثل صيدا وأرواد وجبيل. كما يوافينا بمعلومات حول الآفاق الجغرافية لتجارتها، وحول البضائع المتبادلة في عهود بداية التوسع الفينيقي نحو الغرب[4]. وبذلك تتحدد المعالم الاساسية للمدينة الفينيقية المجسدة

---

[2] ورد في الاصحاح السادس والعشرين من سفر حزقيال (من آية 15 الى آية 18) مايلي :

{15} هكذا قال السيد الرب لصور. أما تتزلزل الجزائر عند صوت سقوطك عند صراخ الجرحى عند وقوع القتل في وسطك. {16} فتنزل جميع رؤساء البحر عن كراسيهم ويخلعون جببهم وينزعون ثيابهم المطرزة. يلبسون رعدات ويجلسون على الارض ويرتعدون كل لحظة ويتحيرون منك. {17} ويرفعون عليك مرثاة ويقولون لك كيف بدت يا معمورة من البحار المدينة الشهيرة التي كانت قوية في البحر هي وسكانها الذين أوقعوا رعبهم على جميع جيرانها. {18} الآن ترتعد الجزائر يوم سقوطك وتضطرب الجزائر التي في البحر لزوالك. لأن هكذا قال السيد الرب. حين أصيرك مدينة خربة كالمدن غير المسكونة حين أصعد عليك الغمر فتغشاك المياه الكثيرة.

انظر : الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس في العالم العربي، كوريا، 1976، ص. 1217.

[3] ورد في الاصحاح السابع والعشرين من سفر حزقيال (من آية 1 الى آية 23) مايلي :

{1} وكان إليَّ كلام الرب قائلا. {2} وأنت يا ابن آدم فارفع مرثاة على صور. {3} وقل لصور أيتها الساكنة عند مداخل البحر تاجرة الشعوب الى جزائر كثيرة هكذا قال السيد الرب. يا صور أنت قلت أنا كاملة الجمال. {4} تخومك في قلب البحور. بناؤوك تمموا جمالك. {5} عملوا كل ألواحك من سرو سنير. أخذوا أرزا من لبنان ليصنعوه لك سواري. {6} صنعوا من بلوط باشان مجاذيفك. صنعوا مقاعدك من عاج مطعم في البقس من جزائر كتيم. {7} كتان مطرز من مصر هو شراعك ليكون لك راية. الأسمانجوني والأرجوان من جزائر أليشة كانا غطاءك. {8} أهل صيدون وإرواد كانوا ملاحيك. حكماؤك يا صور الذين كانوا فيك هم ربابينك. {9} شيوخ جبيل وحكماؤها كانوا فيك قلافوك. جميع سفن البحر وملاحوها كانوا فيك ليتاجروا بتجارتك. {10} فارس ولود وفوط كانوا في جيشك رجال حربك. علقوا فيك ترسا وخوذة. هم صيروا بهاءك. {11} بنو إرواد مع جيشك على الاسوار من حولك والأبطال كانوا في بروجك. علقوا أتراسهم على أسوارك من حولك. هم تمموا جمالك. {12} ترشيش تاجرتك بكثرة كل غنى بالفضة والحديد والقصدير والرصاص أقاموا أسواقك. {13} ياوان وتوبال وماشك هم تجارك. بنفوس الناس وبآنية النحاس أقاموا تجارتك. {14} ومن بيت توجرمة بالخيل والفرسان والبغال أقاموا أسواقك. {15} بنو ددان تجارك. جزائر كثيرة تجار يدك. أدوا هديتك قرونا من العاج والآبنوس. {16} آرام تاجرتك بكثرة صنائعك تاجروا في أسواقك بالبهرمان والأرجوان والمطرز والبوص والمرجان والياقوت. {17} يهوذا وأرض إسرائيل هم تجارك. تاجروا في سوقك بحنطة مِنّيت وحلاوى وعسل وزيت وبلسان. {18} دمشق تاجرتك بكثرة صنائعك وكثرة كل غنى بخمر حلبون والصوف الابيض. {19} ودان وياوان قدموا غزلا في أسواقك. حديد مشغول وسليخة وقصب الذريرة كانت في سوقك. {20} ددان تاجرتك بطنافس للركوب. {21} العرب وكل رؤساء قيدار هم تجار يدك بالخرفان والكباش والاعتدة. في هذه كانوا تجارك. {22} تجار شبا ورعمة هم تجارك. بأفخر كل أنواع الطيب وبكل حجر كريم والذهب أقاموا أسواقك. {23} حَرّان وكنة وعدن تجار شبا وأشور وكلمد تجارك. {24} هؤلاء تجارك بنفائس بأردية أسمانجونية ومطرزة وأصونة مبرم معكومة بالحبال مصنوعة من الأرز بين بضائعك.

انظر: الكتاب المقدس، المصدر السابق، ص. 1218-1219.

[4] تتحدد "ترشيش" التي كانت تعد خزانا للمعادن في المتوسط الشرقي، في مكان غير محدد من آسيا الصغرى. أما "ياوان" فيقصد بها الجزر الاغريقية بقبرص وبأيونيا. وتوجد "توبال" في آسيا الصغرى في جبل طاوروس. أما مشيك فهي موشكو الاكادية، وتتحدد "موسري" بين أرمينيا وسيليقيا. بعد ذلك نجد ذكر "رودوس" التي زودت صور بالعاج والآبنوس، ثم "أدوم" أو "أرام" التي زودتها بالسيلان والارجوان

في صور، التي كان مجالها التجاري يهم المستوى الدولي، وصناعتها تحظى بطلب عالمي، وتزودها سائر أمم المعمور بجميع منتوجاتها. كما يتبين من خلال نفس الاصحاح، أن تجارة صور كانت في آن واحد تجارة بحرية وبرية، بعد فتح طرق في اتجاه الشرق على يد ملكها حيرام الاول في القرن العاشر قبل الميلاد. وفضلا عن ذلك، كانت المدينة الفينيقية تتوفر على أسواق لعرض السلع، نذكر منها تلك الاشارة الى سوق صور الكبير[5]، الذي يبدو أنه كان بالقرب من الميناء، الذي أسسه لاريب حيرام الاول. كما اعتبر بعض المحدثين[6] أن الامم التي اتجرت مع صور كانت تمثل في الواقع مجموعة من "الوكلاء" الذين كانوا يعملون تحت وصايتها في بلادهم الاصلية، بنفس مفهوم مؤسسة "تمَقَارُوم" التي عرفتها بلاد ما بين النهرين خلال الالف الثانية قبل الميلاد[7]. أما فيما يتعلق بالبضائع المذكورة في سفر حزقيال، فإنها تمثل خليطا من مواد البذخ والمواد الاستهلاكية.

والياقوت. ثم "جودا" وإسرائيل التي زودتها بالزيت والحبوب، ثم دمشق التي زودتها بالخمر والصوف. ثم "أوزال" و"سبأ" و"رمح" التي زودتها بالتوابل والاحجار الكريمة. وأخيرا "حران" و"كنيم" و"عدن" و"آشور" و"كلماد" الموجودة بأعالي العراق التي زودت صور بالثياب الرفيعة. انظر :

Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 103.

(5) سفر حزقيال، الاصحاح السابع والعشرون، آية 17.

(6) من أهم الدراسات التي تحدثت عن تجارة صور من خلال سفر حزقيال نذكر :

Barnett(R.D), Ezekiel and Tyre, Eretz-Israel, IX, pp. 6-13 (Jerusalem, 1969) ; Bunnens(G), Commerce et diplomatie phéniciens au temps de Hiram I de Tyr, **Journal of the Economic and Social History of the Orient**, XIX, 1976, pp. 1-31 ; Lipinski(E), Products and brokers of Tyre according to Ezekiel 27, **Studia Phoenicia III**, pp. 213-220, (Leuven, 1985).

(7) "التمقاروم" كلمة أكادية تعني التاجر، الذي كان يقوم بالتبادل التجاري ويسافر بتجارته من مكان لآخر ويتعامل احيانا مع وكلاء تجاريين او يمول تجارة الآخر. ومنذ اواسط الالف الثالثة قبل الميلاد أصبح يلاحظ في ميزوبوتاميا وجود صفقات تجارية للقطاع الخاص، وفي نفس الوقت كان المعبد والقصر يأخذان فوائد من الربى، او يقومان بوظيفة البنك. وهذا يدل على ان الدولة والمبادرة الحرة كانا يتعايشان في تنظيم التجارة منذ القدم. عناصر النظام الراسمالي هذه حولت "التمقاروم" الى تاجر قوي ثابت السكن، له وكلاء في الخارج، يمول مؤسسات تجارية أو يقرض الآخرين. ويبيّن قانون حمورابي هذا التعايش بشكل واضح، حيث يشير الى وجود تجارة الدولة من جهة، والتجارة الحرة من جهة اخرى، التي كانت الدولة تحفزها، والتي اصبحت من دعائم القوة الاقتصادية لحمورابي، لمّا استطاع بعض التجار الاقوياء في عهده ان يسيطروا على التجارة البرية للبلاد. وهذا ما يفهم من الرسائل التجارية المكتشفة بنينوة وسيبار واور ولارسا وبابل. كما يلاحظ من جهة اخرى ان القطاع الخاص يصبح قويا عند ضعف المعبد. وابتداء من القرن الرابع عشر قبل الميلاد، نجد في اوكاريت مثلا وفي مدن اخرى الجمع بين التجارة والديبلوماسية، حيث كان التاجر الى جانب اشغاله العمومية، يكلف من طرف الدولة بالبيع والشراء باعتباره مبعوثا لها. هناك كانت مسؤولية التجارة من اختصاص الدولة ؛ وكان التجار يؤدون لها ضرائب عن بضاعتهم. لكن التاجر كان يعفى من الضرائب في حالة تموين البلاط. وكان للتجار الاوكاريتيين وسطاء او مبعوثون في الخارج، او شركاء يراسلونهم في الصفقات وفي القروض وفي الديون. كما كانوا ينتمون الى عائلات معينة وقليلة من المدينة. غير ان تمقاروم اوكاريت لم يكن يعمل دائما لصالح القصر بتمويله بالمال عندما ترسله الدولة للقيام بالتجارة، بل كان يعمل أيضا لصالحه الخاص. وهذا يعني أن الشرق الاوسط عرف تعايش القطاع العام والخاص. كما يعني ان مجال القطاع الخاص كان اوسع مما يمكن تصوره، وأنه كان محفزا من لدن القصر نفسه.

حول التجارة في الشرق الاوسط القديم، انظر :

Polanyi(K), Arensberc(C.M), Pearson(M.W), (eds.), Comercio y mercado en los imperios antiguos, Barcelona, 1976 ; Polanyi(K), Traders and Trade, in, Sabloff(J.A), Lamberg Karlovsky(C.C), (eds.), 1975, pp. 133-154 ; Leemans(W.F), Old Babylonian Letters and Economic History. A Review Article with

من خلال هذه الاوصاف، التي لم يتم انتقاؤها سوى من مصدر واحد، والتي لا تمثل سوى جزءا من الحالة التي كانت عليها أهم المدن الفينيقية، فإن المنشآت التي أسستها هذه المدن نتيجة عملية الانتشار الفينيقي في الحوض المتوسطي، لم تبلغ البتة ذاك المستوى الذي كانت عليها المدن الام، باستثناء طبعا قرطاجة التي يعكس إسمها "القرية الحديثة" أنها صممت منذ البداية لتكون خليفة لمؤسستها صور، على شكل مدينة جديدة أو عاصمة جديدة.

ولم تكن هذه المنشآت طبق الاصل للمدن الفينيقية في الشرق، لأن كل مجموعة تم تشييدها لهدف معين، وتم تصميمها لتوزيع دوائر نفوذ وفقا لتقسيم فينيقي دقيق لاستغلال المجال بالبحر الابيض المتوسط والمحيط الاطلنطي. ولكي تتضح لنا الرؤيا حول النوع الذي تنتمي إليه ليكسوس، باعتبارها واحدة من هذه المنشآت، يتوجب الالمام من جهة بطبيعة التوسع الفينيقي، ومن جهة ثانية بأنواع هذه المنشآت وأشكالها. وقبل ذلك، وحيث أن الحضارة الفينيقية اقتبست من الشرق العديد من مظاهرها التي برزت في الغرب، يجدر التعريف بنموذج الوكالة التجارية التي عرفتها منطقة الشرق القديم، والمعروفة باسم "القاروم".

II ــ كَانِشْ : نموذج الوكالة التجارية في الشرق القديم أو "القارُومْ" :

يقصد بكلمة "قاروم" (Kàrum) الواردة في المصادر البابلية-الآشورية، والتي تتضمن معنى الميناء، تلك المقاطعات أو المراكز الموجودة خارج المدن الكبرى، والتي كانت وظيفتها القيام بالمعاملات التجارية[8].

ومن بين أشهر المراكز التجارية العديدة التي أسسها الآشوريون في آسيا الصغرى مابين القرنين العشرين والتاسع عشر قبل الميلاد، والتي تفيدنا في معرفة تنظيم التجارة الدولية، نذكر مركز "كَانِش" (Kanesh) في كابادوسيا بتوركيا. وكانت هذه المراكز شبيهة "بالاسواق" التي عرفتها بلاد ما بين النهرين، حيث كان يقطنها تجار اغتنوا بفضل البيع والشراء وبفضل القروض المقدمة وبفضل استثمار الاموال. كما شكلوا مؤسسة عائلية وراثية، وكانوا يعملون بصفتهم وسطاء بين آشور وأمير "كانش" المسيطر على مناجم النحاس[9].

وعند دراسة وثائق هذا المركز، كان الاعتقاد السائد حسب مدرسة "بولانيي" (Polanyi)[10] بأن تجار كانش لم يكونوا يعملون لحسابهم الخاص، وأنهم كانوا يعينون من طرف الدولة، ويرثون المهنة، وتتكون مداخيلهم من العمولات ومن الفوائد. أي أن النظام التجاري الذي عرفه كانش هو نظام "التجارة بالمعاهدة" الذي تقوم فيه الدولة بجميع العمليات. غير أن بعض الوثائق الجديدة، إلى جانب بعض المعطيات الاركيولوجية،

Digression on Foreign Trade, **Journal of the Economic and Social Historvy of the Orient, XI**, 1968. pp. 171-226 ; Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 88-90.

(8) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 86.

(9) Idem, Ibid, p. 90-91.

(10) يُعتبر "كارل بولانيي" (Karl Polanyi) (1887-1964) الهنغاري الاصل أحد المتخصصين في التاريخ والانطروبولوجية الاقتصادية، وأحد المؤسسين لاقتصاديات الشرق الاوسط القديم، الذي ورثت منه فينيقيا عددا من الانماط بما فيها مفهوم الوكالة التجارية أو "القاروم". من أهم مؤلفاته Trade and Market in the Early Empire الذي نشره عام 1957، و Dahomey and the Slave Trade : an Analysis of an Archaic Economy المنشور في عام 1966، حيث قام بوضع الحجر الاساسي للمدرسة التي تدعى *substantiviste* التي تتناقض مع المدرسة المعروفة باسم *formaliste*، التي ترى أن النظرية الاقتصادية ينبغي أن تأخذ بعين الاعتبار جميع الانواع المحتملة للأنظمة الاقتصادية. غير أن "بولانيي" يعتبر على العكس من ذلك أن الميكانزمات الاقتصادية مثل النقد والأسواق والتجارة الخارجية وموانئ التجارة، كانت تؤدي وظيفتها بطريقة مختلفة تماما عن الميكانزمات الاقتصادية التي تصفها الادبيات الاقتصادية الليبرالية.

أظهرت أن المركز كان يضم مساكن وأحياء يقطنها تجار أجانب دون الآشوريين. كما كان يضم أيضا مؤسسات تجارية (بيت قاروم) تراقبها عائلات قوية من التجار. كما أبرزت هذه المعطيات طريقة تطور المركز من مركز يقطنه تجار فرادى، الى مركز تقطنه عائلات بأكملها، أي أنه تحول من مركز تجاري الى مستوطنة حقيقية[11].

أما عن العلاقة الفعلية التي جمعت آشور بمراكزها الأناضولية، فاننا لا نعرفها بدقة، باستثناء توفرنا على دلائل عن وجود عائلات حقيقية من التجار كعائلة "إي‹مدي إيلوم" (Imdi-Ilum)، التي كانت تراقب مؤسسات تجارية ضخمة وتتوفر على وثائق خاصة وممتلكات ووكلاء في آشور، وبالتالي استطاعت أن تجمع ثروة هامة من الفضة. وهذا يدل على تعايش "التجارة بالمعاهدة" مع المبادرة الحرة. والغالب على الظن ان المبادرة الحرة كانت هي الاهم، نظرا لتوفرنا على وثائق تشير الى "البيع بأي ثمن"، أي بالمخاطرة، وقلة الطلب على التصدير، وانخفاض الاسعار وتقلباتها، وتذبذبات في العرض والطلب. بمعنى أن الامر كان ينم عن وجود تجارة السوق بكل مفاهيمها، خصوصا وان الفضة كانت تستعمل كنقد، اي كوسيلة غير مباشرة للتبادل، وأن تجار كانش لم يمثلوا موظفي الدولة. كما تم التأكيد على أن مركز كانش لم يشيد فقط لتزويد آشور بالمعادن، بل كان مركز تجارة حرة، يستفيد منها التجار القاطنون به، الذين كانوا يؤدون الضرائب لآشور. إنه النظام الرأسمالي بكل مفاهيمه[12].

ومما لا شك فيه أن المنشآت التجارية التي أسسها الفينيقيون فيما وراء البحار، اقتبست بعض المفاهيم من الوكالات التجارية المعروفة بالقاروم، التي كانت تعج بها منطقة الشرق الاوسط القديم[13]، خصوصا في مسألة تحول القاروم من مركز تجاري الى مستوطنة حقيقية. ولا ننسى أن الفينيقيين قد ورثوا العديد من المفاهيم الاقتصادية والمظاهر الحضارية التي كانت سائدة منذ مدة في المنطقة.

III ـ طبيعة التوسع الفينيقي :

يرى العديد من المؤلفين أن طبيعة التوسع الفينيقي كانت طبيعة تجارية محضة، مستندين بالخصوص على نص "توقديدس" (Thucydide) المتعلق بالوجود الفينيقي بصقلية، الذي أورد فيه أن قدوم الفينيقيين الى الجزيرة كان فقط للقيام بالتجارة مع السكان المحليين[14]. من هذا المنطلق، يعتبر "سباتينو موسكاتي" (S. Moscati) مثلا أن التوسع الفينيقي كان في بدايته توسعا تجاريا بالدرجة الاولى، بدون وجود نوايا للسيطرة على الاراضي، وبدون رغبة في تشييد منشآت قارة[15]. كما يرى "جيروم كاركوبينو" (J. Carcopino) أن القرطاجيين مثل الفينيقيين، باعتبارهم تجارا حتى النخاع، لم يكونوا يستقرون سوى في نقط مختارة من

---

(11) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 92.

(12) Idem, Ibid, p. 93.

(13) حول مراكز "القاروم" التي عرفتها منطقة الشرق القديم، سواء في بلاد بابل أو آشور أو كاريت، انظر :
Bunnens(G), L'expansion phénicienne en Méditerranée (Essai d'interprétation fondé sur une analyse des traditions littéraires), op. cit, p. 275-280.

(14) يقول المؤرخ الاغريقي في هذا الصدد : « ***كان الفينيقيون يقطنون هنا وهناك في كل صقلية .... وذلك لتسهيل علاقاتهم التجارية مع الصيقوليين...*** ». انظر :
Thucydide, La guerre du Péloponnèse, Livre VI, ch. I, 2.

(15) Moscati(S), L'épopée des Phéniciens, op. cit, p. 147.

السواحل، حيث كانوا منشغلين بجلب زبنائهم أكثر من اهتمامهم ببسط سيطرتهم [16]. كما وصف "بيير سانتاس" (P. Cintas) التجار الفينيقيين، بأنهم كانوا في آن واحد مِقدامين وخجولين، وبأنهم علّموا جميع السواحل المتوسطية بمحطاتهم، دون أن يتجرءوا على المغامرة نحو داخل الاراضي، وأنهم كانوا مستعدين دائما للرسو في السواحل الاقل أمنا، لكنهم كانوا متأهبين للعودة الى أعالي البحار عند الاحساس بأدنى خطر [17].

والحالة هذه، أن هذه الاوصاف تجعل من التجار الفينيقيين مجرد بحارة عرضيين يتنقلون بسفنهم عبر سواحل البحر الابيض المتوسط، ويترددون على شعوبه عبر شبكة من المحطات الموسمية لاستنفاذ سلعتهم ثم يعودون الى ديارهم. غير أن طبيعة الوجود الفينيقي بالغرب المتوسطي، الذي تجسد على شكل تشييد منشآت مثل ليكسوس، كان أهم من ذلك بكثير. فإذا كان الدافع الاساسي للتوسع الفينيقي، كما تجمع عليه النصوص المتوفرة وتشهد عليه المعطيات الاركيولوجية الحديثة، هو البحث عن المعادن بناء على مستلزمات الصناعة الفينيقية وطلب الأسواق الشرقية، فإن نقل هذه المعادن –سواء على شكلها الخام أو المتحول– يقتضي أن يكون بكميات كبيرة حتى تُضمن مردوديته. كما أن إنتاج المعدن يتطلب عدة عمليات تقنية من استخراج وصهر وخلط وترويج. وهذا التنظيم يتطلب وجود إدارة تقوم بكل هذه المراحل، مما يجعلها في غير قدرة مؤسسة القطاع الخاص المتمثلة في التجار أو"التَّمقاروم"، بل في يد الدولة، أي دولة صور. هذا علاوة على أن تجارة المسافات الطويلة كانت تهم عدة تخصصات، من منتجين وصناع وعمال وناقلين ومنجميين وتجار وتقنيين وبحارة، مما يدل على أن قيمة السلعة كانت مهمة وقادرة على تغطية النفقات. وهذا يعني أن الوجود الفينيقي في المناطق التي حُددت لهذه الغايات، كان يتطلب توسعا ترابيا وفلاحيا واستعماريا وتجاريا وديمغرافيا وتدخليا في بعض الاحيان [18]. وفي هذا الصدد لاينبغي غض الطرف عن مظهر يتم السهو عن ذكره باستمرار عند دراسة موضوع التوسع الفينيقي نحو الحوض المتوسطي، وهو أن السياسة التجارية لصور أبانت على طول تاريخها عن تطلعات ترابية وتوسعية واضحة [19].

وتفيدنا مجموعة من المعطيات المصدرية والاركيولوجية في بلورة هذه الصورة الغافلة في الماضي حول الوجه الآخر للتوسع الفينيقي. فحسب الجغرافي الاغريقي "استرابون" (Strabon)، كان الصوريون يمتلكون قبل عصر "هوميروس" (Homère)، أي قبل القرن العاشر قبل الميلاد، « ***أحسن جهات ايبيريا وليبيا*** » [20]. والتملك هنا يعني السيطرة الترابية على أجزاء من الساحل وربما من الداخل، كما يرى الباحث الايطالي "سباتينو موسكاتي" (S.Moscati) [21]، رغم أنه يرجح أن التوسع كان لاغراض تجارية. ويلمح "استرابون" (Strabon) في فقرة أخرى [22] الى حدوث حرب بين الصوريين وبين سكان طرطسوس، انتهت على ما يبدو باندحار السكان المحليين وخضوعهم للصوريين، حسب "أنطونيو كارسيا بيبدو" (A. Garcia y

---

(16) Carcopino(J), Le Maroc antique, op. cit, p. 16.

(17) Cintas(P), Manuel d'Archéologie punique, t. I, op. cit, p. 430.

(18) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 75-76.

(19) Idem, Ibid, p. 289.

(20) Strabon, III, 2, 14.

(21) Moscati(S), L'épopée des Phéniciens, op. cit, p. 310.

(22) Strabon, III, 4, 5.

Bellido)[23]. كما أورد الجغرافي الاغريقي في صدد حديثه عن حالة المغرب القديم، أن بعـض القبائـل المحلية قامت بتخريب المنشآت الفينيقية التي أسستها صور على طول الساحل الاطلنطي[24]. ولا ريب أن هذا التخريب المفترض، يوحي بوجود نوع من عدم الاستقرار في العلاقات بين الفينيقيين والمحليين، ويرجح أن دافع هذه المواقف يعزى الى كون المنشآت الفينيقية كانت تقام في بعض الحالات من غير رضـى الـسكان الاصليين.

هذه الاشارات، التي تلمح الى حدوث بعض المواقف الاستعمارية والتدخلية التي كان يقتضيها التوسع الفينيقي أحيانا، أكدتها مجموعة من المكتشفات الاركيولوجية التي أجريت بالخصوص في جزيرة سردينيا[25]. فقد عكست كثافة المنشآت الفينيقية المتمركزة بجنوب غرب الجزيرة خلال القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد، من "كاكلياري" (Cagliari) إلى "طاروس" (Tharros)، فكرة السيطرة الترابية على جزء من الساحل[26]. هذا التمركز لا نجد أي نظير له بالحوض المتوسطي سوى في ساحل أقاليم مالقة وغرناطة وألميرية بإسبانيا، ولا يمكن تفسيره سوى بتنفيذ سياسة إقليمية حقيقية تتمثل في التحكم على ظهير الجزيرة[27]. ومما يؤكد ذلك أن مستوطنة "سولكيس" (Sulcis)، التي تعد أهم منشأة فينيقية بالجزيرة، عملت ابتداء من القرن السابع قبـل الميلاد على تشييد شبكة واسعة من المنشآت المحصنة على شكل حزام دفاعي خلفي لتأمين مراقبتها الترابيـة المباشرة لظهيرها الغني بالرصاص والفضة[28]. ويعتبر حصن "مونطي سيراي" (Monte Sirai)، الذي تم تشييده فوق قرية محلية (Nuragha) بعد تخريبها أو مغادرتها، أهم منشأة عسكرية فينيقية يفرزها الفحـص

---

(23) Garcia y Bellido(A), Fenicios y Carthagineses en occidente, op. cit, p. 26.

(24) أورد "استرابون" في هذا الصدد ما يلي : « *وتشبهها، الخرافة التي تحكي أن الخلجان التي توجد بعد خليج المحطات كانت بها في الماضي منشآت صورية أصبحت الآن مهجورة ؛ وقد خرب الفاروزيون والنيكريتيون أكثر من ثلاث مائة مدينة عن آخرها* ». انظر :
Strabon, XVII, 3, 3 ; ap. Roget(R), Le Maroc chez les auteurs anciens, op. cit, p. 23.

(25) حول المكتشفات الاركيولوجية الفينيقية بجزيرة سردينيا، انظر بالخصوص :
Acquaro(F), La Sardegna fenicia e punica : fra storia e archeologia, **Balletino d'Arte 31-32**, pp. 49 - 56, (Roma, 1985) ; Barreca(F), La Sardegna fenicia e punica, Sassari, 1974 ; Idem, Nuove scoperte sulla colonizzazione fenicio-punica in Sardegna, **H.G, Niemeyer (ed.)**, 1982, pp. I81-184.

(26) Moscati(S) et Napoli(M), Phéniciens et Grecs en Méditerranée, op. cit, p. 52.

(27) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 211.

(28) من هذه المنشآت نذكر "مونطي سيراي" (Monte Sirai)، و"باني لوريكا" (Santadi)، و"مونطي كروبو" (Monte crobu)، و"كورونا أروبيا" (Corona Arrubia)، و"سا طوريطا دي سيروسي" (Sa Turrita de Seruci)، و"بورتو بينو" (Porto Pino). انظر :
Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 213.

الاركيولوجي لحد الساعة[29]. ويتم هذا النموذج من المنشآت حسب "ماريا إوخينيا أوبيت" (Maria Eugenia Aubet) عن عزم "سولكيس" على بسط سيطرتها على مناطق كانت خاضعة من قبل للمحليين[30].

وهكذا أبرزت المكتشفات الاركيولوجية التي شملت مؤخرا جزيرة سردينيا، أن طبيعة التوسع الفينيقي كانت معقدة ومتغايرة، وأنها لم تكن دائما بالشكل المسالم الذي اعتقده العديد من المؤلفين، وأن الانتشار الفينيقي كان يتم وفق سياسة محكمة شبه استعمارية تستخدم جميع الوسائل لضمان مصلحته الاقتصادية والتجارية. فالوجود الفينيقي في سردينيا، الذي برز على شكل تأسيس مستوطنات كثيرة، كان يهدف منذ البداية الى الاسراع لاخضاع الساحل والاودية الساحلية تحت الوصاية الفينيقية، بغية الاحراز على استقلال اقتصادي وترابي فيما يخص الداخل، وضمان استغلال فلاحي ومعدني بشكل سلمي من منطق القوة، وليس من منطق الانسياق السلمي لمصالح المحليين.

لكن التوسع الفينيقي كان له وجه آخر كذلك، يتميز بالقيام فقط بالعمليات التجارية في بعض النقط المخصصة لهذه الغاية. ولعل أن تجارة الفينيقيين مع بعض قبائل المغرب القديم التي كانت تقام في جزيرة "قرنة" (Cerné) حسب الرحلة المنسوبة الى "سكيلاكس" (Scylax)، يمكن أن تمثل نموذجا حول هذا النوع من التعامل[31]. فقد ورد في نص الرحلة ما يلي[32] : « ***التجار هم الفينيقيون ؛ عندما يصلون الى جزيرة قرنة، فإنهم يرسون بسفنهم المستديرة وينصبون الخيام بقرنة. وأما الحمولة، فإنهم بعد سحبها من مراكبهم، يقومون بنقلها عبر زوارق صغيرة الى البر. في البر يوجد الايثيوبيون. وهم الايثيوبيون مع من تقام المبادلات. (الفينيقيون) يبيعون (سلعهم) مقابل جلود الغزلان، والاسود، والفهود، وجلود الفيلة وأنيابها، و(جلود) الحيوانات الأليفة. الايثيوبيون يستعملون جلودا مرقطة (؟) يتزينون بها، وعوضا عن الكؤوس، يستعملون قارورات من عاج ؛ وتستعمل نساؤهم للزينة حلقات من عاج ؛ بل حتى جيادهم تزين بالعاج... التجار الفينيقيون يجلبون إليهم الزيت المعطرة، وحجر مصر (اليشب الاسمر ؟) والرّتّ (؟) ...، والخزف الآتيكي، والاقداح. وبالفعل فإن هذه الاواني الخزفية تباع في موسم الاقداح. هؤلاء الايثيوبيون يأكلون اللحم ويشربون الحليب ؛ ويصنعون خمرا كثيرا مستخرجا من كرمتهم ؛ هذا الخمر أيضا يصدره الفينيقيون...*** ».

وتعليقا على هذا النص، يلاحظ "موريس بيسنيي" (M. Besnier)، أن التجار الفينيقيين الذين سارعوا الى البحث عن بعض المواد الثمينة من الساحل الاطلنطي للمغرب، مثل جلود وفراء الحيوانات والعاج

---

(29) حول مركز "مونطي سيراي" (Monte Siraï) والتحصينات العسكرية الفينيقية بسردينيا، انظر :

Barreca(F), Le fortificazioni fenicio-puniche in Sardegna, **Atti del I Convegno Italiana sul Vicino Oriente Antico**, pp. 115-128 (Roma. 1978) ; Bondi(S.F), Monte Sirai nel quadro della cultura fenicio punica di Sardegna, **Egitto e Vicino Oriente, VIII**, 1985, pp. 73-90.

(30) ومع ذلك يبدو أن المحطة العسكرية "لمونطي سيراي" حافظت في البداية على علاقات سلمية مع محليي الداخل، لانعدام علامات دالة عن حدوث حروب بين الطرفين. كما أن ساكنتها المؤلفة ربما من العسكريين والجنود، كانت مهمة اعتمادا على ما كشفت عنه مقبرة عتيقة لحرق الاموات تم العثور عليها بالقرب من الحصن تؤرخ بالقرنين السابع والسادس قبل الميلاد. انظر :

Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 213-214.

(31) العزيفي (محمد رضوان)، السلع المتبادلة بين الفينيقيين والمغاربة القدماء، كأقدم نموذج عن علاقات المغرب التجارية مع العالم المتوسطي، المرجع السابق.

(32) Scylax, 112 ; ap. Desanges(J), Recherches sur l'activité des Méditérranéens aux confins de l'Afrique, op. cit, p. 414.

والخمور، مقابل العطور الفينيقية والزجاجيات والاخزاف الرفيعة، لم يحاولوا أن يتوغلوا داخل الاراضي، ولا أن يخضعوا المحليين. كانت تكفيهم فقط مجموعة متصلة من المحطات، ترسو فيها سفنهم وتقام بها الصفقات التجارية[33].

غير أن التبادل التجاري بين الفينيقيين والشعوب المتوسطية الذي كشفت عنه بعض النصوص، وإن اعتبرناه يمثل العامل الرئيسي للتوسع الفينيقي، لم يكن تبادلا متساويا ولا عادلا. فعلاوة على أن البضاعة التي تقايض بها الفينيقيون في جزيرة "قرنة" لم تكن لتعادل قيمة العاج ولا قيمة فراء وجلود الحيوانات، فإن "ديودور الصقلي" (Diodore de Sicile) يكشف عن نفس الظاهرة في سياق آخر، لما أورد أن كميات الفضة الهائلة التي كان الفينيقيون يستنفذونها من إسبانيا، لم تكن تعادل قيمة السلع الفينيقية الهزيلة. فقد أشار في هذا الباب[34]: ***«تتوفر بلاد الإيبيريين على أوفر وأجمل معادن الفضة تعرف لحد الآن ... وكان المحليون يجهلون استعمالها. لكن الفينيقيين الذين جاءوا للقيام بالتجارة، ...اشتروا هذه الفضة مقابل كمية صغيرة من البضائع. وبعد نقلها إلى إغريقيا وآسيا، والشعوب الأخرى، حصلوا هكذا على ثروات كبيرة ...»***. كما ورد في "المنسوب الى أرسطو" (Pseudo-Aristote) أن الفينيقيين حصلوا على شحنات كبيرة من الفضة، مقابل الزيت وبضاعة زهيدة القيمة[35].

هذه الاشارات، تبين أن نظام المبادلات الذي أقره الفينيقيون في علاقاتهم التجارية مع الشعوب التي تعاملوا معها لم يكن متساويا، وأن كمية السلع التي كانوا يستوردونها من المحليين لم تكن تحدد حسب ما يوفره هؤلاء، كما يرى "خوسي ماريا بلاسكيس" (J.M.Blazquez)[36]. بل على العكس من ذلك، توضح المعطيات المصدرية المتوفرة أن محرك هذه المبادلات كان يتحكم فيه دوما الطلب الفينيقي. فعلاوة على تحكمهم في الطلب على المواد المعدنية، استطاع الفينيقيون أن يخلقوا كذلك طلبا على مواد البذخ الفينيقية الصغيرة في مكان لم يوجد فيه هذا الطلب، مثل القطع العاجية المزخرفة، والحلي الذهبية والفضية، والجرار البرونزية، والرخاميات، وقارورات العطر والبلاسم ودهانات التجميل[37]. أي أننا أمام نظام تجاري استعماري نموذجي، يتميز بتوزيع مواد ذات قيمة زهيدة خاصة "بالتصدير"، مقابل استيراد مواد أولية تعتبر استراتيجية في اقتصاد البلد المستوطن. كما ينم تبادل الفضة والنحاس والقصدير بالخمر والزيت والعطور، عن توفر الفينيقيين على نمط تجاري منظور، وعن سلطة غير متساوية وعن حالة استعمارية نموذجية[38].

---

[33] Besnier(M), La géographie économique du Maroc dans l'Antiquité, op. cit, p. 286-287.

[34] Diodore de Sicile, V, 35 ; ap. Gsell(S), Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord. t. I, op. cit, p. 403

[35] Pseudo-Aristote, De mirabilis auscult, 135.

[36] يعتقد الباحث الاسباني "خوسي ماريا بلاسكيس" (J.M. Blàzquez) في مؤلفه "طرطسوس وجذور الاستعمار الفينيقي بالغرب"، أن الفينيقيين لم يسيطروا على الاراضي التي كانت تنتج المعادن، وبالتالي فإن المعدن (القصدير) الذي كانوا يتسلمونه من المحليين كان يتوقف على الكمية التي يقدمونها طواعية للفينيقيين، دون أن يكون مرتبطا بالطلب الفينيقي. انظر :

Blàzquez(J.M), Tartessos y los orígines de la colonización fenicia en Occidente, op. cit, p. 50.

[37] Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 251.

[38] هذه الحالة التي يتم فيها التبادل بين المجتمعات الغير المتساوية، لا تفضي سوى الى نتيجتين استعماريتين نموذجيتين، وهما التغيير الاجتماعي في وسط المجتمع المحلي من جهة، بمجرد انضمام بعض الطبقات السكانية الى التيار التجاري الفينيقي واستفادتها من الوضعية ؛ ومن جهة ثانية تؤدي الى استنفاد موارد المنطقة على الأمد البعيد. انظر :

Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 253.

هذه الوضعية التي تميز بها التوسع الفينيقي، والتي لم تكن دائما ذات صبغة تجارية مسالمة وبريئة، سيتم تجسيدها على الخريطة المتوسطية، حيث أصبحت جل السواحل والجزر الجنوبية للبحر الابيض المتوسط الغربي تحت السيطرة الفينيقية، خصوصا خلال القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد. كما أن كثافة المستوطنات الفينيقية بالغرب، تبين أن عملية التوسع في الحوض المتوسطي لم تكن عبارة عن حملة بسيطة، كتلك التي كانت نحو البحر الاحمر، أوكانت على شكل استيطان محلي كالذي عرفه خليج الاسكندرونة، بل كانت بمثابة هجرة لمجموعات مهمة من السكان الفينيقيين[39].

كما تميز التوسع الفينيقي بظاهرة شبيهة نوعا ما بما حدث في الاستعمار الاغريقي، حيث قامت بعض المنشآت عندما تصبح قوية بخلق منطقة نفوذ خاصة بها[40]، وذلك بعد القيام بدورها بتشييد مجموعة من المراكز التابعة لها[41]. من أهم هذه المنشآت نذكر مدينة قرطاجة، التي عملت منذ البداية على تهييء كل من جزيرة صقلية وشمال تونس لتصبح تحت سيادتها، ومدينة قادس التي ستقوم بدورها حسب "ماريا إوخينيا أوبيت" بخلق عدة نماذج من المستوطنات التابعة لها[42]. وبذلك أصبح مجال الانتشار البحري الفينيقي يتضمن سبع نطاقات من التشييدات الفينيقية وهي (انظر لوحة LXXII) :

– المجموعة الاولى : وتمثل أقدم المستوطنات الفينيقية وأبعدها حسب الايستوريوغرافيا القديمة، وهي ليكسوس وقادس وأوتيكا، مما يوحي بأن الفينيقيين اختاروا منذ بداية توسعهم الاستقرار في المناطق الإكثر غربا، وفي المراسي الموجودة مباشرة في الطرق المؤدية الى مضيق جبل طارق والمحيط الاطلنطي[43].

– المجموعة الثانية : وقد تأسست حسب المصادر التاريخية في القرن التاسع قبل الميلاد، بتشييد "أوزا" (Auza) من طرف "إيتوبعل" (887 ــ 856 ق.م)، وقرطاجة من طرف "عليشة" عام 814 أو 813

---

(39) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 146.

وقد لعبت كيتيون في هذه العملية دور مقدمة القنطرة. كما قامت بعض المدن مثل ممفيس بمصر خلال رحلة الرجوع بنفس المهمة. وفي هذا الصدد، أشار هيرودوت الى المستعمرة التي شيدها الفينيقيون بمنفس، مبينا أن سكانا من مدينة صور استقروا في أحد أحيائها وشيدوا معبدا هناك لعشتروت. انظر :

Hérodote, II, 112.

(40) خلال عملية الاستيطان الاغريقي، كانت المستوطنة الام تقوم بدورها بتشييد مراكز أخرى تابعة لها. فقد قامت مدينة "جيلا" (Gela) التي أسسها بصقلية معمرون قدموا من جزيرتي رودوس وكريت، بتشييد مدينة "أكريجانت" (Agrigente). كما سيؤسس سكان مدينة "كوميس" (Cumes) بدورهم مدينة "نابولي"، وسكان "ميكارا" (Mégare) سيعملون على تشييد مدينة "سلينونت" (Sélinonte). انظر :

Poëte(M), Introduction à l'urbanism, Paris, Editions anthropos, 1974, p. 234-235.

(41) Cintas(P), Manuel d'Archéologie punique, t. II, op. cit, p. 55-56 ; Idem, Céramique punique, op. cit, p. 575.

(42) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 289.

(43) وقد تأسست قادس حسب "فايوس باتركلوس" ثمانين سنة بعد سقوط طروادة (1190 أو 1184 قبل الميلاد)، أي في سنة 1110 أو 1104 قبل الميلاد، فوق جزيرة صغيرة التحمت بالبر قبالة مصب نهر "كواداليطي" (Guadalete). أما ليكسوس فقد تأسست حسب قراءة لنص "بلينيوس" (Pline) قبل قادس، ويمكن اعتبارها بذلك أقدم مستوطنة فينيقية بالغرب. في حين تأسست أوتيكا حسب الاقدمين في حوالي عام 1101 قبل الميلاد لتدعيم الطريق الفينيقية نحو المحيط. غير أن الاركيولوجية لم تظهر لحد الآن اي دليل مادي يعود الى ما قبل القرن الثامن قبل الميلاد في كل هذه المستوطنات الثلاث. وسنرجع الى مسألة تأسيس ليكسوس في الفصول الموالية.

ق.م، باعتبارهما مستوطنتين صوريتين كقادس وأوتيكا. وقد قامت أوتيكا بمساعدة لاجئي صور عند تشييدهم لمدينتهم، التي أطلقوا عليها اسم "المدينة أو العاصمة الجديدة" لاعتبارات سياسية واضحة[44].

–المجموعة الثالثة تمثلها مستوطنات الساحل الشرقي للاندلس، التي لمّح "أفيينوس" (Avienus) الى وجودها عندما أبرز في قصيدته Ora maritima أن الساحل الممتد بين ألميرية ومالقة كان يعرف "حشدا من الفينيقيين"[45]. وعلاوة على أن المصادر القديمة أشارت الى وجود ثلاثة تجمعات فينيقية هناك، وهي "مالكـا" (Malaka) و"سيكسي" (Sexi) و"أبديرا" (Abdera)، فإن الاستكشافات الاركيولوجية قد أثبتت أن المنطقة مثلت واحدة من أكثر التجمعات الفينيقية كثافة بالبحر الابيض المتوسط الغربي[46].

– المجموعة الرابعة توجد في صقلية، حيث نعلم من خلال المؤرخ الاغريقي "توقديدس" (Thucydide) أن الفينيقيين كانوا يقطنون في كل الجزيرة قبل مجيء الاغريق. وعند وصول هؤلاء في نهاية القرن الثامن قبل الميلاد، اضطر الفينيقيون الى مغادرة أغلبية مناطق الجزيرة وتجمعوا في غربها بموتيا وصولونتو وبانورمو[47]. وكانت "موتيا" أهم مركز استراتيجي هناك[48]، نظرا لمراقبتها لمضيق قرطاج وتشييدها في جزيرة قريبة من الساحل[49].

– المجموعة الخامسة تمثلها الجزر الموجودة بين صقلية وشمال إفريقيا، وهي جزيرة "مالطا" و"كوزو" و"بانتيلاريا" (Pantellaria) و"لامبيدوزا" (Lampeduza). ففيما يتعلق بمالطا، يخبرنا ديودور الصقلي أن الفينيقيين بعد أن أصبحوا سادة الغرب سيطروا على الجزيرة، التي تتوفر على موانئ جيدة[50]. وقد كشفت المعثورات الاركيولوجية عن وجود فينيقي بمالطا منذ نهاية القرن الثامن قبل الميلاد على أقل تقدير[51]. أما "كوزو" التي يتشابه اسمها مع كلمة "كاولوس" (Gaulos) ذات الإصل الفينيقي[52]، و"بانتيلاريا" التي عرفت قديما باسم "إيرانيم" (Iranim)، فإنهما توحيان بانتماء فينيقي عتيق[53].

---

[44] كما هو الشأن بالنسبة للمجموعة الاولى، فإن أقدم المعثورات الاركيولوجية بقرطاجة لا تتعدى أيضا القرن الثامن قبل الميلاد. ويمكن أن نرى في تأسيس هذه المجموعة مؤشرا لمرحلة جديدة في التوسع الفينيقي، باعتبار أن ولوج الطرق الاطلنطية أصبح مراقبا بشكل كلي للقيام بالتجارة البحرية. ويتوافق ذلك مع ما أورده "استرابون" (Strabon) في كون الفينيقيين كانوا قد استقروا خلال القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد في إيبيريا وليبيا (Strabon, III, 2, 14)، وأنهم تجاوزوا عمودي هرقليس وأسسوا مدنا في تلك الجهات وفي ليبيا بعد حرب طروادة بقليل (Strabon, I, 3, 2).

[45] Avienus, Ora Maritima, v. 440 et 459-460.

[46] Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 144.

[47] يورد المؤرخ الاغريقي "توقديدس" (Thucydide) في كتابه "حرب البيليبونيز" الذي ألفه في القرن الخامس قبل الميلاد ما يلي "

« كان الفينيقيون يقطنون هنا وهناك في كل صقلية بعد استقرارهم في الرؤوس المتوغلة في البحر وفي الجزيرة الصغيرة القريبة من الساحل، وذلك لتسهيل علاقاتهم التجارية مع الصيقوليين. وعندما قدم الاغريق الى صقلية بأعداد كبيرة، غادر الفينيقيون أغلبية المناطق التي استقروا بها وتجمعوا في موتيا وصولوييس وبانورمو .....ولأن المسافة من هناك بين صقلية وقرطاجة تعتبر الاكثر قربا ». انظر:

Thucydide, La guerre du Péloponnèse, Livre VI, ch. I, 2.

[48] Diodore de Sicile, XVI, 48, 2 ; 51, 1.

[49] وقد أكدت المعطيات الاركيولوجية أن تأسيس "موتيا" كان في نهاية القرن الثامن قبل الميلاد، بينما كانت أقدم الدلائل في "باليرمو" لا تتعدى القرن السابع ق.م، في حين لم يكتشف بعد مكان "صولونتو". انظر :

Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 145.

[50] Diodore de Sicile, V, 12, 3.

[51] Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 145.

– المجموعة السادسة، التي تعتبر حسب المؤلفين القدامى من تشييدات صورية أو صيدونية، فتمثلها "لبدة الكبرى" (Leptis Magna) و"هيبون" (Hipone) و"حضرموت" بتونس. غير أن هذه المراكز لم تفرز لحد الساعة دلائل أركيولوجية تعود الى عصر التوسعات الفينيقية باستثناء لبدة الكبرى[54].

–المجموعة السابعة تمثلها جزيرة سردينيا، حيث أثبتت المعثورات الأثرية وجود معمرين فينيقيين منذ القرن السابع قبل الميلاد بكل من "نورا" (Nora) و"سولكيس" (Sulcis) و"طاروس" (Tharros) و"بيتيا" (Bithia) و"كاراليس" (Caralis)، أي في الجهة الجنوبية الغربية للجزيرة. بل اكتشفت بعض المواد الأركيولوجية في "سولكيس" (Sulcis) و"طاروس" (Tharros) تؤرخ بالقرن الثامن قبل الميلاد[55].

وهكذا نلاحظ أن التوسع الفينيقي في الحوض المتوسطي لم يكن دائما توسعا تجاريا كما يعتقد، بل كان توسعا استيطانيا واستعماريا شبيها نوعا ما بالتوسع الاغريقي[56]، بدليل أنه أفرز مجموعة من مستوطنات الاستقرار ومن المراكز الثابتة. إلا أنه يصعب مع ذلك تحديد الطبيعة الحقيقية لهذه المنشآت، كما أننا لانستطيع في العديد من الحالات التمييز في المنشأة الواحدة بين مراحلها التطورية وانتقالها من مرحلة الوكالة التجارية الى مرحلة المستوطنة، باستثناء حالة قرطاجة التي بزغت على شكل مدينة منذ الوهلة الاولى. من هنا يتحتم علينا معرفة الاشكال والانواع المختلفة لهذه المنشآت حتى تتوضح لنا الرؤيا حول نموذج ليكسوس.

IV – نماذج المنشآت الفينيقية :

لا ريب أن توجيه وتطور المنشآت التجارية التي أسستها مدينة صور بالغرب، تكوّن تبعا للأهداف المسطرة لكل منشأة على حدة، وتشكل حسب الإمكانيات الاقتصادية لكل جهة. وهكذا، فإن الاهداف الاقتصادية المتوخاة مثلا من تأسيس قادس لا يمكن أن تمثل نفس الاهداف التي كانت من وراء تأسيس قرطاجة أو إيبيسا، وربما ليكسوس. من هنا تكمن الصعوبة التي تقترن بتحديد أنماط هذه المنشآت، رغم أن هناك من يحاول تبسيط قراءة نموذج المنشأة الفينيقية بالغرب، بالاستناد إما الى مفهوم الاستعمار الاغريقي، مقترحا أن المنشآت الفينيقية كانت على نمط "الأمبوريوم" (emporium)[57] أو المستوطنة (colonie)، أو بالاستناد الى المفهوم الشرقي للموانئ التجارية في الاراضي الاجنبية، مقترحا أنها كانت شبيهة "بالقاروم". كما أن هناك من يقترح فكرة المراحل التطورية التي مرت منها المنشأة الفينيقية بالغرب، باعتبار أن المحطة التجارية تحولت فيما بعد الى مستوطنة أو مدينة[58].

ففيما يتعلق بمقارنة المنشآت الفينيقية بمثيلاتها الاغريقية، يجدر التذكير أن التوسع الاغريقي نحو الغرب مثل ظاهرة فلاحية صرفة وذات أهداف استعمارية، مما جعله يتميز بحركة سكانية تتجه نحو اقتناء

---

(52) تعني كلمة Gaulos المشتقة من كلمة Golah الفينيقية، نوعا من المراكب التجارية.

(53) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 145.

(54) Idem, Ibid, p. 145.

(55) Idem, Ibid, p. 146.

(56) حول طبيعة الاستعمار الاغريقي، انظر :

Poëte(M), Introduction à l'urbanism, op. cit, p. 232-237.

(57) يطلق مصطلح "أمبوريوم" (emporium) عموما على المحطة أو المدينة التي تم السماح للأجانب بتأسيسها مع منحهم حق التجارة، مقابل أداء ضريبة لصاحب الارض الاصلية.

(58) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 286-287.

أراض جديدة للاستغلال الفلاحي، نتيجة حدوث مشاكل ديمغرافية وغذائية في البلد الاصلي. وهكذا فإن مصطلح "استعمار" في هذه الحالة يكون من النوع السياسي، اعتبارا لكونه يؤدي الى هجرة مجموعات من السكان الى مناطق جديدة، حيث يقوم المعمرون من خلال المستوطنات (apoikiai) بالحفاظ على الروابط الجماعية للمدينة الام، عبر اللغة والثقافة والمؤسسات السياسية. كما أن المستوطنة الاغريقية، أو المدينة-الدولة المكتفئة ذاتيا، كانت تتميز بتوفرها على أراض فلاحية خاصة (la chora)، حيث كان الاستقلال الذاتي للبنية الاستيطانية وسيادتها يتوقف على تنظيمها الترابي. غير أن المستوطنة الفينيقية فيما وراء البحار تعتبر مخالفة للنموذج الاغريقي، لأن الفينيقيين لم يكونوا يبحثون دائما عن الاستيلاء على الاراضي، بل أساسا عن المواد الاولية في أماكن تتميز قدر الامكان بإمكانيات مرفئية، وتضمن زبناء محليين لتبادل البضائع. وبإبراز الطابع التجاري الصرف للتوسع الفينيقي، اعتبرت المنشآت الفينيقية بالغرب بمثابة محطات ملاحية عادية أو وكالات تجارية، لا تمارس أي نشاط اقتصادي آخر دون التجارة. ولم تحظ أية منشأة فينيقية غربية بدرجة المستوطنة عند تأسيسها سوى قرطاجة، نظرا لارتباط جذورها بظاهرة الاستيلاء السياسي على الارض.

من هنا يبدو أن المفهوم الشرقي للمستوطنة، أي الميناء التجاري (*port of trade*) أو "القاروم"، يمثل أقرب النماذج لبعض المنشآت الفينيقية بالغرب، نذكر منها على سبيل المثال قادس. ذلك أن هذا النموذج من المراكز، كان يسير من طرف تجار محترفين يزاولون نشاطهم لحساب الدولة، ويتعاملون مع السلطات المحلية أو مع الاهالي بناء على معاهدات وأثمنة متفق عليها. وكان الميناء التجاري المتوفر على المخازن الكبرى، يقوم بدور المكان المركزي للاستغلال والتوزيع في سوق الموارد الطبيعية لجهة ما، ممثلا أهم محور يقوم بالوساطة في التجارة الخارجية البعيدة المدى. كما كانت ساكنته تتألف من التجار المحترفين ومن الموظفين الساميين ومن الشركات التجارية، والتي كانت تعتاد الاستقرار في المناطق المعرضة للهجوم، على الساحل أو على ضفاف الانهار، ذات الظهير الغني بالموارد. وكان نشاط هذا المركز مرتبطا بسوق مركزي المتمثل في صور، ويعمل تحت وصاية مؤسسة المعبد، باعتباره الكيان المسؤول عن التجارة، والمكان الذي يلتقي فيه التجار والاهالي، والممثل للسلطة السياسية لصور[59].

وهناك نظرية أخرى تبناها العالم البريطاني "كارطن" (Curtin)[60] يمكن من خلالها تفسير وظائف وطبيعة المنشآت الفينيقية بالغرب، وهي نظرية "الانتشار التجاري" (Diaspora commerciale). ويُعرِّف "كارطن" هذا النموذج على شكل شبكة من المجتمعات المتخصصة ذات العلاقة المتبادلة اجتماعيا والمتناثرة في التخصص، والتي أقامتها أقليات ثقافية، استطاعت مع الزمن أن تشكل نوعا من الاحتكار على المجتمع المحلي أو المضيف. وتعتبر هذه النظرية أن المستوطنات التي نشأت نتيجة للإنتشار التجاري منذ العصر القديم، كانت دائما على شكل مراكز متخصصة وذات وظائف متعددة، تمكنت على مر العصور من تكوين شبكة لها علاقة متبادلة، والتي كانت تستفيد من العلاقات المختلفة لكل مستوطنة مع المجال المحيط بها. وقد ساعد ذلك منطقيا على بروز نسق التدرج الوظيفي، ثم على تبلور ظاهرة التبعية السياسية لبعض المراكز اتجاه المراكز الاخرى فيما بعد، كما حدث على ما يبدو بالنسبة للشبكة التجارية لقادس ولدائرة قرطاجة. وبالرغم من استقلالها النسبي، كانت مراكز الانتشار التجاري ترتبط بشكل أو بآخر بالمدينة الام حسب

---

(59) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p.287.

(60) Curtin(P.D), Cross-cultural Trade in World History, Cambridge, 1984.

"كارطن"، مما جعل أن اضمحلال إحدى الشبكات التجارية من هذا النوع وانحطاطها يحدث عموما عندما لم تعد التجارة مهمة بالنسبة للمدينة الام.

أما فيما يتعلق بالتطور الداخلي للمنشآت الفينيقية بالغرب، فهناك من يرى حسب "ماريا إوخينيا أوبيت"[61]، أنها تدرجت من صنف الوكالة التجارية أو المنشأة المؤقتة على شكل فرع تجاري بالخارج المعروف بكلمة *comptoir* لدى الفرنسيين، والموجه نحو اقتناء المواد الاولية ونحو النشاط الصناعي، الى صنف المستوطنة التجارية (*emporion*)، أو المركز الذي يقوم بإعادة التوزيع، المتوفر على مخازن البضائع والمأهول بتجار من أرومات مختلفة، والمشيد بجانب المعبد.

غير أن هذه التعريفات لاتنطبق بحذافيرها على عموم المنشآت الفينيقية التي تم تشييدها في الحوض المتوسطي. وهكذا نلاحظ مثلا أن نموذج المحطة التجارية أو الامبوريوم الميركانتيلي لا ينطبق على صنف منشآت الاندلس الشرقية، حيث كان الزبون المحلي ضعيفا إن لم نقل منعدما[62]. بينما نجد أن قادس، التي اعتبرت على الخصوص الحاضرة التجارية النموذجية في أقصى الغرب، كانت تدعى من طرف "ديودور الصقلي" (Diodore de Sicile) "بوليس أبويكوس" (πολισ αποικοσ) أي "المدينة المستوطنة"، بعد تأكيد هذا المؤلف على أن هدف صور لم يكن الاستعمار، بل التجارة[63].

كما نلاحظ كذلك أن توفيق ونجاح الفينيقيين في بعض المناطق بالغرب، ساعد على تطور عدد من المحطات أو الوكالات مثل "إيبيسا" أو "موتيا"، الى أن تحولت الى مدن حقيقية أومستوطنات. وفي هذه الحالة، نلاحظ أن النسق التطوري كان معاكسا للنموذج الاغريقي الذي كان فيه الاستعمار والاستيطان الفلاحي سابقا للتجارة، في حين كانت التجارة هي المحفزة الاساسية لتدرج بعض المنشآت الفينيقية من مرحلة المحطة الى مرحلة المستوطنة أو المدينة.

وهكذا يمكن اعتبار أن الغرب المتوسطي عرف عدة نماذج من المنشآت الفينيقية، تحددت خصوصياتها الاساسية تبعا لاصولها الاجتماعية–السياسية، ولوظيفتها الاستراتيجية، أو تبعا لعلاقتها مع الظهير الخاص باستغلالها الاقتصادي. ويمكن جمع هذه النماذج في ثلاثة أنواع كبرى[64]، لعبت فيهما قرطاجة وقادس وربما ليكسوس المحور الرئيسي، حيث ستشرع دوائر نفوذهما في خلق عدة نماذج من المستوطنات، المتجهة بدرجة أكبر أو أصغر نحو الاستغلال المكثف للموارد والمواد الاولية.

1) النموذج الارستقراطي لقرطاجة :

تعتبر قرطاجة مستوطنة أرستقراطية أكثر من اعتبارها من نوع "الأمبوريوم" (*emporion*) التجاري، حيث التحقت منذ وقت مبكر بصنف المدينة، وسارعت من خلال مؤسساتها المدنية والدينية المحافظة، الى احتكار النشاط الاقتصادي والانيولوجي لاراض شاسعة بالغرب. كما أن طبقتها المسيرة،

---

(61) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 286-287.

(62) Idem, Ibid, p. 288-289.

(63) Diodore de Sicile, 25 : 10, 1 ; 5 : 58, 2-3 ; 5 : 74, 1.

(64) يقسم محمد السيد غلاب أنواع المنشآت الفينيقية الى أربعة أقسام وهي : المؤسسات التجارية، والمحطات التجارية، والمستعمرات، ومجالات الاستغلال الاقتصادي. انظر :

غلاب(محمد السيد)، الساحل الفينيقي وظهيره في الجغرافيا والتاريخ، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الاولى، 1969، 485-486.

المرتبطة كثيرا بالدولة، والمرتبطة بالارض ابتداء من القرن السادس قبل الميلاد، عملت على تحويل العاصمة الشمال-الافريقية الى دولة أرستقراطية، نابعة من نفس الأصول الملكية لصور مدينتها الام. ذلك أن تأسيس قرطاجة كان عملا مؤسساتيا من فعل مجموعة من الارستقراطيين الصوريين، الذين أصبحوا ملاكين لاراض شاسعة تبعا لوضعهم الاجتماعي، والذين سيحرصون على استئناف روابط صداقة متينة مع صور، والحفاظ عليها حتى حلول العصر الهلينستي. وهكذا نلاحظ أن قرطاجة بزغت، على العكس مما كان يعتقد، بشكل مختلف تماما عن المراكز الفينيقية الاخرى المعاصرة لها بالحوض المتوسطي. فقد أبرزت المعطيات الاركيولوجية المتوفرة التي تخص القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد، أنها بلغت خلال وقت وجيز صنف المدينة الاستيطانية المزودة بمؤسسات مدنية ودينية وعسكرية لم تتخذها المراكز الفينيقية الاخرى إلا بعد مرور وقت طويل على تشييدها. كما مكنتنا نفس المعطيات من تغيير النظرة المنقطعة والذاتية للمؤرخين الكلاسيكيين أعدائها التقليديين الذين تعرضوا لها، ومن تعويض الفراغ الناجم عن ضياع حوليات وكتابات المدينة.

2) النموذج التجاري لقادس :

كانت قادس بمثابة مدينة تجارية كبرى، تم تأسيسها لاستغلال الموارد المعدنية لمنطقة الاندلس السفلى المعروفة باسم "طرطسوس" (Tartessos)، حيث أقامت معها علاقة تجارية مباشرة. ونظرا لارتباط هذه التجارة بمصالح العرض والطلب، فإنها أفرزت في نهاية المطاف نسقا من العلاقة المتبادلة بين الفينيقيين والمحليين. وعلى نمط مجتمع صور واقتصادها، كان النشاط التجاري للمستوطنة على ما يبدو في يد مجموعة من التجار الخواص الاقوياء، والوكلاء المفوضين من طرف الدولة، الذين كانوا مرتبطين بالمؤسسات السياسية لصور عبر معبد ملقارت [65]. وأصبح هؤلاء "الامراء التجار" حسب إحدى تعابير التوراة [66]، المكلفين بأساطيل تجارية هامة، يعملون لصالحهم الخاص بعد مرور وقت وجيز، كما يعملون لصالح مؤسسة الدولة المتمثلة في ملك صور [67].

---

(65) خلفت الايستوريوغرافيا الاسبانية الحديثة كتابات غزيرة ومتنوعة حول مكانة قادس في التوسع الفينيقي بالغرب، نذكر من بينها الى جانب بعض الاصدارات باللغات الاخرى ما يلي :

Bunnens(G), le rôle de Gadès dans l'implantation phénicienne en Espagne, dans : Aubet(M.E) y Del Olmo Lete(G), **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, Sabadell, Editorial Ausa, 1986 ; Corzo(R), Paleotopografía de la bahia gaditana, **Cades 5**, 1986, pp. 5-14 ; Corzo(R), Cádiz y la arqueologia fenicia, **Anales de La Real Academia de Bellas Artes de Cádiz 1**, 1983. pp. 29 ; Corzo(R), Panorama arqueológico de la ciudad de Cadiz, **Primeras Jornadas de Arqueológia de las Ciudades Actuales**, pp. 75-79, (Zaragoza, 1983) ; Escacena(J.L), Gadir, **Aula Orientalis 3**, 1985. pp. 39-58 ; Gavala Laborde(J), El origen de las islas gaditanas, Cadiz, 1971.

(66) ورد ذكر الطبقة التجارية الفينيقية في سفر إشعياء (الاصحاح الثالث والعشرون، آية 8) على صيغة "الامراء التجار" أو "التجار الرؤساء". كما ورد ذكرهم في سفر حزقيال "بأمراء البحر" (الاصحاح السابع والعشرون، من آية 8 الى 24). والمقصود بهم النخبة التجارية بالمدينة التي أطلق عليها المؤرخ الاغريقي "فلافيوس أريانوس" فيما بعد "الصوريون المهمون"، ونعتهم بوليبيوس "بأسياد قرطاجة"، أي مجلس العشرة الذي مثل في قرطاجة قاعدة السلطة السياسية التي تحمّلها في بعض الظروف الخاصة عضوان اثنان منهم وهما "الشوفيت".

(67) من المعلوم أن المحيط الاقتصادي للدولة والمحيط الاقتصادي للقطاع الخاص كانا يتداخلان في صور وفي المدن الفينيقية الاخرى. كما أن اقتصاد صور كان متوقفا على نجاح أوليكارشيتها في الخارج. انظر :

وقد انحصر عمل قادس حسب "ماريا إوخينيا أوبيت"[68] من جهة في خلق منـــاطق خاصــــة بهـــا للإستغلال التجاري (المغرب الاطلنطي وناحية وهران)، ومن جهة ثانية في المراقبة التدريجيـــة لاســـتغلال معادن الوادي الكبير الاسفل والاتجار بها. كما ساهمت خصوصيات المجتمع الطرطيـــسي المتـــألف مـــن جماعات كثيفة ومنظمة نسبيا، في تحديد طابع قادس ووظيفتها التجارية، حيث تبين أن عدم سيطرتها علـــى الظهير الطرطيسي، يعزى لكونه كان مأهولا بساكنة متطورة منذ مدة. ولهذا السبب كانت العلامات الوحيـــدة التي نعرفها حول الانظمة الدفاعية الفينيقية أو تحصيناتها، تقتصر على مدينة قادس نفسها[69].

3) مستوطنات الاستغلال الفلاحي بالساحل الشرقي لاسبانيا :

تميز الوجود الفينيقي في منطقة الاندلس الشرقية بتطبيق استراتيجية ترابية حقيقيـــة موجهـــة نحـــو السيطرة على الظهير، انطلاقا من وحدات متفرقة للإستغلال الفلاحي، تم تشييدها بمنطقة قليلة السكان. فقـــد قامت مستوطنات "لوس طوسكانوس" (Los Toscanos)، و"إيل مـــورّو دي ميـــسكيتيا" (El Morro de Mezquitilla) و"ألمونييكار" (Almuñécar)، بتطوير إنتاج متخصص خلال وقـــت وجيـــز، وشـــكلت مجموعات صغيرة تستغل منطقة واحدة واسعة خاصة بالاستغلال الزراعي والرعوي. كما نمَّـــت القبـــور الفينيقية المكتشفة "بألمونييكار"، و"طرايامار" (Trayamar) عن وجود طبقة اجتماعيـــة غنيـــة تتـــألف مـــن الاوليكارشية التجارية الفينيقية ومن ملاكي الاراضي، حيث أصبحت متخصصة في توجيه البعثات التجارية، وتنظمت نوعا ما على شكل شركات عائلية.

ومن جهة أخرى، أبان تشييد خطوط من التحصينات بمركز "لوس طوسكانوس" ، خصوصا ابتـــداء من القرن السابع قبل الميلاد، على لزوم مراقبة المنطقة وحمايتها في وقت متقدم من تاريخ تشييد المركز[70]. وقد تمت ملاحظة نفس الاستراتيجية في جنوب غرب سردينيا، كما سبقت الاشارة الى ذلك، حيث أقدمت أهم المستوطنات الفينيقية بالجزيرة منذ بداية تشييدها، وهما "سولكيس" (Sulcis) و"طاروس" و(Tharros)، على المراقبة التدريجية للمنطقة الفلاحية والمنجمية، من خلال تشيد شبكة من المنشآت الثانوية بالـــداخل، والتـــي تحولت فيما بعد الى تحصينات للمراقبة الترابية.

ونظرا لمجاورة النموذج الاسباني للسواحل المغربية، وإمكانية اعتباره مـــن أقـــرب النمـــاذج الـــى ليكسوس، يجدر تسليط بعض الاضواء على المنشآت الفينيقية بإيبيريا، حيث تمكن المعطيات المتوفرة حسب "ماريا إوخينيا أوبيت"[71] من رسم الخطوط العريضة لطبيعة هذه المنشآت ووظائفها وتحديد نماذجها[72].

Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 290.

(68) Idem, Ibid, p. 290.

(69) Idem, Ibid, p. 290.

(70) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 290.

(71) Aubet(M. E), Los Fenicios en España : Estado de la cuestion y perspectivas, op. cit, p. 27.

(72) نجد بعض المعلومات حول الوظائف الحضرية للمنشآت الفينيقية بإسبانيا، وحول تنظيمها للمجال عند :

Gras(M), Rouillard(P), Teixidor(J), L'univers phénicien, op. cit, p.62-67.

أ- لغــز الكشــافة :

بالرغم من المكتشفات العديدة التي شملت شبه الجزيرة الايبيرية في المجال الفينيقي، والتي توجـت بالعثور على ما يفوق عشرين منشأة فينيقية بالساحل الشرقي لمنطقة الاندلس[73]، فإن "ماريا إوخينيا أوبيـت" تعتبر أنه من الصعب الخروج بخلاصات نهائية حول الوظائف الاقتصادية لهذه المنشآت[74]. كما ترى أنــه من العسير حل اللغز الذي يحوم حول تشييد هذا الزخر من المنشآت شرق مضيق جبل طارق حيث توجـد ندرة في المراكز المحلية، مقابل ضعف واضح غرب المضيق، حيث تتكاثر التجمعات الطرطيسية. غير أن "مانويل بيسير كاطلان" (M. Pellicer Catalan)، في محاولة لإيجاد بعض الاجوبة لهذه المسألة، يرى أن المجتمع الطرطيسي المنظم في منطقة الاندلس الغربية منذ القرن الحادي عشر قبل الميلاد، كان يحـد مـن استيطان فينيقي ترابي بالمنطقة، ويجعله يقتصر على استيراد مقنن لمعادنه الغنية، الامر الـذي حـتم علـى الفينيقيين ايجاد مستوطنة محصنة طبيعيا لتقوم بهذا الدور، والذي مثلته قادس المحمية في جزرها الثلاث[75]. وقد استند في ذلك على نص رواية تأسيس قادس الواردة لدى "استرابون" (Strabon)[76]، معتبرا أن البعثات المتكررة التي قامت بها صور لاستكشاف مكان التأسيس، تعزى بالاساس الى رفض الطرطيسـيين لهـذا الاستقرار.

كما اعتبر نفس المؤلف[77] أن الصعوبات الملاحية لعبور مضيق جبل طـارق خـلال الظـروف المناخية المعاكسة، عندما تهب الرياح الغربية القوية، تجعل الدائرة الغربية للمنشآت الفينيقيـة غيـر محميـة ومعزولة عن أي عدوان طارئ من قبل السكان المحليين لمنطقة طرطسوس. فكان البديل اللوجيستيكي الذي فكر فيه الفينيقيون مسبقا، يتمثل في وجودهم الكثيف في الدائرة الشرقية، مما ينم عن إقامة استراتيجية استيطانية محكمة بأقصى الغرب. وبهذا التصور يمكن تفسير توفر هذه الدائرة على أكبر حشد اسـتيطاني فـي شـبه الجزيرة الايبيرية، بوجود ما يناهز عشرين تجمعا سكانيا فينيقيا، كان متمركزا في ساحل يتميز بتوفره علـى عدد مهم من الوديان والخلجان القريبة من سهول خصبة، وعلى ظهير خال من الموارد المعدنية، باسـتثناء الحديد[78]. ومما شجع على هذا الاستقرار، أن الساحل الممتد من الجزيرة الخضراء الى "أدرا" (Adra) على طول يناهز 250 كلمتر، لم يكن يضم مراكز محلية تنتمي الى عصر البرونز الحـديث، باسـتثناء بعـض العلامات في "لامونتيا" (La Montilla) بمصب واد "كواديارو" (Guadiaro)، وفي "سيركا نيبيلا" (Cerca

---

(73) يذكر الباحث الاسباني "مانويل بيسير كاطلان" (M. Pellicer Catalan) أن السواحل الجنوبية لشبه الجزيرة الايبيرية كشفت عن حوالي ثلاثين منشأة فينيقية، الى جانب المستوطنات الاربعة الكلاسيكية الواردة في المصادر القديمة، وهي "كادر" (Gadir) و"مالكا" (Malaka) و"سيكسي" (Sexi) و"أبديرا" (Abdera). انظر :

Pellicer Catalan(M), Distribución y función de los asentamientos fenicios en Iberia, dans Actes du **IIIè congrès international des études phéniciennes et puniques** (Tunis, 11 - 16 Novembre 1991), Institut national du patrimoine, volume II, Tunis, 1995, p. 297.

(74) Aubet(M. E), Los Fenicios en España : Estado de la cuestion y perspectivas, op. cit, p. 27.

(75) Pellicer Catalan(M), Distribución y función de los asentamientos fenicios en Iberia, op. cit, p. 299.

(76) Strabon, III, 5, 5.

(77) Pellicer Catalan(M), Distribución y función de los asentamientos fenicios en Iberia, op. cit, p. 299.

(78) Idem, Ibid, p. 299.

بالمجرى الاوسط لواد "فيليز" (Vélez)، وفي "ألمونييكار" (Almuñécar) و"صالوبرينيا" (Salobreña) [79]. بينما يلاحظ أن الساحل الممتد من "أدرا" (Adra) الى واد "سيكورا" (Segura) بمدينة "أليكانطي" (Alicante)، المتوفر على عدد مهم من التجمعات السكانية المحلية، كان يعرف نقصانا في المستوطنات الفينيقية. هذا بالرغم من كون المنطقة تعد واحدة من أغنى المناطق الايبيرية في معدن النحاس والفضة والرصاص والحديد [80].

هذه المعطيات، جعلت "مانويل بيبسير كاطلان" (M. Pellicer Catalan) [81] يعتقد أن المنشآت الفينيقية بالدائرة الشرقية كانت تجمعات للاستيطان الدائم، حيث كانت تتعاطى بشكل مكثف للاستغلال الزراعي والرعوي من النوع التحويلي والتجاري. وهذا يعني أن الدائرة الشرقية كانت تمثل المكمل اللوجيستيكي الضروري لحماية الدائرة الغربية، وممونها الذاتي، ومجال احتياطها من العناصر البشرية ومن المراكب ومن المدخرات والمؤن.

ب- التعريف :

تم تعريف هذه المنشآت لمدة طويلة باسم "المحطات" (Comptoirs-Factorias)، مما يعني أنها كانت تقتصر على الوظيفة التجارية، وبالتالي كان مجال عملها مجالا محدودا في المكان. وذلك اعتبارا لكون المحطة أو الوكالة كانت بمثابة منشأة تجارية خاصة للتجار الأجانب ومزودة بالمخازن [82]. كما كانت موجهة في بدايتها لتبادل البضائع، وكان يقطنها بشكل مرحلي أو دائم عملاء تجاريون. وعلى العموم، تمثل المحطة حسب تعريف "كارطن" (Curtin) [83] إقامة مؤقتة، ولا تضم أراض تحت سيطرتها.

غير أن المعطيات الاركيولوجية المتوفرة، تبين بجلاء أن هذا التعريف لا ينطبق تماما حسب "ماريا إوخينيا أوبيت" [84] على الخصوصيات العامة التي تتميز بها منشآت الساحل الشرقي الاسباني، في حين ينطبق على ما يبدو على بعض المراكز الفينيقية مثل موكادور أو "لابينيا نيكرا دي كريفييينطي" (La Peña negra de Crevillente) [85]. ومما يرجح ذلك أن المدافن الفينيقية المكتشفة في "ألمونييكار" (Almunécar)، وفي "لوس طوسكانوس" (LosToscanos)، وفي "طرايامار" (Trayamar)، توحي بالاستقرار وبوجود تنظيم إداري معقد للغاية. من هنا، نجد أن مجموعة من المؤلفين أمثال "بوندي" (S.F Bondi)، و"أنا ماريا بيزي"

---

(79) Schubart(H), Hallazgos fenicios y del bronce final en la desembocadura del Río Guadiaro (Cádiz), Anuario arqueológico de Andalucía, II, Sevilla, 1987, pp. 200-227 ; Gran Aimerich(J.M), Excavaciones arqueológicas en la región de Velez-Málaga. Campaña de 1973, **Noticiario arqueológico Hispánico**, n° 12, Madrid, 1981, p. 301 ss ; Molina Fajardo(F) y Otros, Almuñecar. Arqueología e Historia, Granada, 1983 ; Pellicer Catalan(M), Salobreña : Prehistoria y Antigüedad, Granada, 1992.

(80) Pellicer Catalan(M), Distribución y función de los asentamientos fenicios en Iberia, op. cit, p. 300.

(81) Idem, Ibid, p. 300.

(82) Aubet(M. E), Los Fenicios en España : Estado de la cuestion y perspectivas, op. cit, p. 27.

(83) Curtin(P.D), Cross-cultural Trade in World History, op. cit, p. 4 et 38.

(84) Aubet(M. E), Los Fenicios en España : Estado de la cuestion y perspectivas, op. cit, p. 27.

(85) تعتبر "ماريا إوخينيا أوبيت" أن التجار الفينيقيين الذين كانوا يترددون على موكادور، قد وفدوا إليها من ساحل منطقة الاندلس (Idem, Ibid, p. 27).

(A.M.Bisi)، و"هانس نييميير" (H.Niemeyer)، قاموا بالبحث عن وصفات أخرى عند محاولتهم لتحديد مفهوم المحطة، مقترحين أن هذا النوع من المنشآت نتج عن مرحلتين متواليتين ومختلفتين.

وهكذا يلاحظ "بوندي" أن المراكز الفينيقية بالغرب عرفت قفزة نوعية خلال القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد، عندما تحولت المحطات التجارية الاصلية الى مراكز حضرية حقيقية[86]. كما تؤيد "أنا ماريا بيزي" بدورها فكرة المرحلتين في تطور المراكز الاسبانية، حيث ترى أن المرحلة الاولى كانت خلالها المنشآت على شكل وكالات أو موانئ تجارية، بينما أصبحت خلال المرحلة الثانية –التي امتدت على طول القرن السابع قبل الميلاد– على شكل مستوطنات ذات طابع حضري[87]. غير أنها تعتبر أن هذه المراكز الحضرية لم تعمل على تطوير أي توسع ترابي على نمط المستوطنات الاغريقية، ولم تبلغ درجة المستوطنة، إذ لم تتعد في تطورها مستوى "الامبوريوم" (emporium) الذي تم تخصيصه لاهداف تجارية محضة[88]. أما "هانس نييميير"، فإنه ينفي أن تكون المنشآت الفينيقية الاسبانية قد هدفت الى خلق ظهير ترابي خاص بها، أو ما يعرف في ظاهرة التوسع الاغريقي باسم chora، مقارنة بالمستوطنات الاغريقية بصقلية. بينما يعتبر نفس المؤلف أن البنيات الاجتماعية والاقتصادية التي أفرزها "لوس طوسكانوس" خولت لهذا المركز ابتداء من القرن السابع قبل الميلاد ولوج درجة ماقبل–المدينة الساحلية[89].

ومن الفرضيات الاخرى التي رجحها كذلك عدد كبير من الباحثين في تعريف منشآت شرق الاندلس، نشير الى مفهوم "الميناء الحر"، أو "الميناء التجاري" (*port of trade*)[90]. فحسب مدرسة "بولانيي" (Polanyi)، كان الميناء التجاري عبارة عن مقاطعة مرفئية، تم إنشاؤها في بلاد أجنبية على ضفاف أحد الانهار أو على شاطئ البحر، للقيام بالمبادلات التجارية. كما تم تجهيز هذا الميناء بمجموعة من المخازن أو المستودعات التجارية، وكانت ساكنته قليلة العدد، ومتخصصة بشكل رفيع، ولا تنتمي الى جنس واحد[91]. وعموما، كان الميناء التجاري مكانا محايدا، ومنطقة حرة، ويسوده اقتصاد ما قبل–ميركانتيلي[92].

ومن التعريفات الاخرى المقترحة في شأن المراكز الفينيقية بشرق إسبانيا، نذكر اسم "المدينة التجارية"[93]، حيث اعتبر بعض المؤلفين أن هذه المراكز تم إنشاؤها خصيصا لتطعيم الطلب الآشوري على الفضة. فحسب هذه الفرضية، كانت وظيفة هذه المنشآت تقتصر على تصريف معدن الفضة الوارد من منطقة

---

(86) Bondi(S.F), Note sull'economia fenicia - I : Impresa privata e ruolo dello stato, **Egitto e Vicino Oriente I** (1978), p. 142.

(87) Bisi(A.M), L'espensione fenicia in Spagna, dans **Convegno Fenici e Arabi nel Mediterraneo**, Roma, 1983, p. 103-106.

(88) Idem, Ibid, p. 140-142.

(89) Niemeyer(H.G), Die Phönizier und die Mittelmeerwelt im Zeitalter Homers, **Jahrbuch des Römisch Germanischen Zentralmuseums, 31**, 1984, pp. 55-58.

(90) Aubet(M. E), Los Fenicios en España : Estado de la cuestion y perspectivas, op. cit, p. 28.

(91) Revere(R.B), Tierra de nadie : Los puertos comerciales del Mediterraneo oriental, in Polanyi(K), Arensberg(C.M), Pearson(H.W), **Comercio y mercado en los Imperios antiguos**, Barcelona, 1973, p. 115.

(92) Belshaw(C.S), Comercio tradicional y mercados modernos, Barcelona, 1973, p. 115.

(93) Aubet(M. E), Los Fenicios en España : Estado de la cuestion y perspectivas, op. cit, p. 28.

طرطسوس في اتجاه الشرق. وهذا يعني حسب هذا الرأي أن هذه المراكز كانت غير مبالية بالسيطرة الترابية، نظرا لعدم إسهام أراضيها في خلق منتوجات كافية يمكن تخصيصها للتبادل[94].

مقابل هذه الفرضيات، لا نجد سوى ثلاثة مؤلفين فقط الذين تجرءوا على استعمال كلمة "مستوطنة" (colonie) تعريفا بهذه المنشآت. فدَحْضاً للفكرة التي تنسب الى التوسع الفينيقي نحو الغرب طابعا يقتصر فقط على التجارة انطلاقا من محطات ملاحية عادية، يرى "بونديأن هذا التوسع عرف في جنوب شرق سردينيا وفي الساحل المتوسطي لمنطقة الاندلس ظاهرة حقيقية للإستيطان. وقد لاحظ أن هذه الظاهرة همت أراض كانت فيها المنشآت الفينيقية كثيفة، بينما كانت الساكنة المحلية ضئيلة[95]. انطلاقا من هذه الملاحظة، يبدو من المنطقي أن مصطلح "مستوطنة" يقتضي السيطرة الكلية على الاراضي، موازاة مع توغل اقتصادي واحتكار منافذ الموارد المنجمية بالداخل.

وانطلاقا من نفس الملاحظات، تبنى الباحث البريطاني "ويطاكر" (C.R.Whittaker)[96] نفس الفرضية[97]. كما تبناها كذلك الباحث البلجيكي "كوي بونينس" (G.Bunnens).

وهكذا يتبين من خلال ما سبق، أن مفهوم المستوطنة ومفهوم الاراضي التابعة لها (chora)، تعني ضمنيا الاستحواذ المنظم للظهير المباشر، وضرورة حماية هذه الاراضي، وربما الاستعانة باليد العاملة المحلية في الزراعة[98]. الامر الذي يفسر فكرة تشييد نظام دفاعي في قادس وفي "لوس طوسكانوس" منذ العهود الاولى من حياة المنشأة. وفي هذا الصدد، لا ينبغي أن ننسى أن موقع "لوس طوسكانوس" كان موجودا بسهل خصب يحظى بإمكانيات زراعية وفيرة، ويعرف ساكنة محلية قليلة. وكانت هذه الساكنة متجمعة بمركز "سيركا نييبلا" (Cerca Niebla) أو "فيليز مالقة" (Vélez Malaga)، على مسافة غير بعيدة عن المنشأة الفينيقية. وبذلك كان مركز "لوس طوسكانوس" يراقب الممر الاستراتيجي لمنطقة "زافارايا" (Zafarraya) الذي يؤدي الى الاراضي الغنية بالداخل، بنفس الشكل الذي كان يقوم به كل من مركز "صيرّو ديل فييار" (Cerro del Villar) عبر واد "كوادالورسي" (Guadalhorce)، ومركز "مالقة" عبر نهر "واد المدينة" (Guadalmedina)[99].

ت ــ الديمغرافيا والمساحة :

في غياب وجود إحصائيات دقيقة ومتعددة، فمن الملاحظ أن عدد السكان الشرقيين الذين استقروا في كل واحدة من هذه المراكز المرفئية، كان نسبيا ضئيلا مقارنة بعدد سكان المستوطنات الاغريقية الكبرى

---

(94) Frankenstein(S), The Phoenicians in the Far West : a Function of Neo-Assyrian imperialism, dans : Larsen(M.G) (ed.), **Power and Propaganda. A Symposium in Ancient Empires. Mesopotamia 7**,(Copenague, 1979), pp. 263-294.

(95) Bondi(S.F), I Fenici in Occidente, in **Forme di contatto e processi di transformazione nelle società antiche**, Pisa-Roma, 1983, p. 380-381.

(96) Whittaker(C.R), The Western Phoenicians : Colonisation and Assimilation, in **Proceedings of the Cambridge Philological Society 200** (1974), pp. 58-79.

(97) Bunnens(G), le rôle de Gadès dans l'implantation phénicienne en Espagne, op. cit.

(98) Pellicer Catalan(M), Distribución y función de los asentamientos fenicios en Iberia, op. cit, p. 301.

(99) Aubet(M. E), Los Fenicios en España : Estado de la cuestion y perspectivas, op. cit, p. 29.

بالغرب المتوسطي[100]. ومع ذلك، فإن المساحة الترابية المستغلة في بعض المراكـز مثـل "شـوريّراس" (Chorrearas)، الذي بلغت مساحته عشر هكتارات[101]، توحي بأن الجالية السكانية التي وفدت لاول مرة على الساحل الشرقي لمنطقة الاندلس، لم تكن زهيدة بالشكل الذي يتبادر الى الذهن.

ويُعتقد أن القرن السابع قبل الميلاد عرف هجرة كثيفة من السكان الفينيقيين نحو المحطات الإسـبانية الصغيرة، وخصوصا الصوريين منهم. ويعلل "مانويل بيبسير كاطلان" (M. Pellicer Catalan)[102] هذه الظاهرة بكون الاراضي المستعمرة الشاسعة بالسواحل الجنوبية الاسبانية خلال القرن الثامن قبل الميلاد، كانت تحظى بإمكانيات مهمة لتغذية وإسكان وتوفير العمل الزراعي والرعوي للمهاجرين الشرقيين وللمحليين على السواء. وانطلاقا من العمليات الحسابية التي اعتمدها "هانس نييمير" (H.Niemeyer)، المحددة لعدد السكان الفينيقيين بمركز "لوس طوسكانوس" في 200 نسمة في الهكتار الواحد[103]، حاول نفس المؤلـف[104] أن يحدد عدد السكان الفينيقيين الذين هاجروا من صور الى الساحل الاسباني خلال القرن السابع قبل الميلاد فيما يناهز 10.000 نسمة. وكان عدد نفس السكان يراوح خلال القرن السالف 4500 نسمة، موزعين على عشر منشآت فينيقية[105].

وفيما يلي جدولا تقريبيا حول عدد السكان الفينيقيين في كل منشأة، وحول مساحتها ورقعة الأراضي التابعة لها[106]:

الاراضي التابعة كم^2	عدد السكان	المساحة بالهكتار	الواد	المنشأة
5	1200	6	Guadarranaque	Cerro del Prado
8	450	2,25	Guadiaro	La Montila
3	-	-	Guadalmansa	El Torreon
5	-	-	Fuengirola	Los Boliches
10	200	1	Guadalhorce	Cerro del Villar
3	-	-	Guadalmedina	Malaga

(100) Idem, Ibid, p. 27.

(101) Pellicer Catalan(M), Distribución y función de los asentamientos fenicios en Iberia, op. cit, p. 298.

(102) Idem, Ibid, p. 302, 303.

(103) Niemeyer(H), El yacimiento fenicio de Toscanos. Urbanística y función, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, t. I, op. cit. pp. 109-126.

(104) Pellicer Catalan(M), Distribución y función de los asentamientos fenicios en Iberia, op. cit, p. 303.

(105) Idem, Ibid, p. 303.

(106) Idem, Ibid, p. 302.

1	50	0,2	Guadalmedina	Loma
6	2000	10	Velez	Toscanos
2	2000	10	Algarrobo	Morro-chorreras
1	-	-	Torrox	Faro de Torrox
2	-	-	Higueron	Frigiliana
2	1200	6	Seco	Almuñecar
1	-	-	Guadalfeo	Penon de Salobrena
3	-	-	Adra	Adra (Montecristo
5	-	-	Aguas	Cabezo Negro
5	-	-	Antas	Garrucha
10	-	-	Almanzora	Villaricos
-	-	-	Segura	La Fontela

وهكذا يمكن اعتبار أن مجموع الاراضي الصالحة للزراعة التي كانت تستغلها المنشآت الفينيقية بالدائرة الشرقية لمضيق جبل طارق، كانت تناهز حوالي 110 كلمتر مربع. أي أن مساحتها الاجمالية كانت أوسع من المساحة التي وفرتها فينيقيا نفسها[107].

ث ـ الاهـداف الاقتصادية :

هناك إجماع شبه كلي على أن الدافع الاساسي للتوسع الفينيقي بساحل إقليم الاندلس كان يمثله التزود بمعدن الفضة، بغية الاستجابة للطلب المتزايد الوارد من الشرق خلال القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد[108]. وقد أكدت هذه الفرضية مجموعة من الحفائر المنجزة في المراكز المنجمية بمنطقة طرطسوس، مثل "ألمونطي" (Almonte)، و"ولبة-المدينة" (Huelva-ciudad) وجهة "ريوتينتو" (Riotinto). الامر الذي خول مصداقية كبرى لما أورده "ديودور الصقلي" (Diodore de Sicile) حول غنى إيبيريا بمعدن الفضة، وحول الارباح التي حققها الفينيقيون من وراء ذلك، والتي مكنتهم من تأسيس مستوطنات جديدة بالبحر الابيض المتوسط، واكتساب نوع من الاحتكار في توزيع المعدن على منطقة بحر إيجة وآسيا[109].

---

(107) Idem, Ibid, p. 302.

(108) Aubet(M. E), Los Fenicios en España : Estado de la cuestion y perspectivas, op. cit, p. 29.

(109) Diodore de Sicile, V, 35, 4-5.

وإلى جانب توفر هذه المنشآت على مصانع صهر المعادن لنقلها الى الشرق، فإنها كانت تعرف كذلك نشاطا مهما في فن صياغة المعادن[110]. وقد أكدت على ذلك الاواني البرونزية المحتوية على نسبة عالية من الزنك، والمُقَصَّلات، والقوالب الفضية المكتشفة في المقبرة الطرطيسية بمركز "لاخويا" (La Joya) بناحية "ولبة" (Huelva)[111]. كما أثبتت ذلك أيضا الاباريق المعدنية الوفيرة المعروفة باسم الاباريق الطرطيسية، والتي تم توزيعها على منطقة الجنوب الغربي الاسباني برمتها، والتي كانت تختلف عن الاباريق المعدنية القبرصية والاترورية[112].

علاوة على ذلك، يفترض أن تكون المنشآت الفينيقية بشبه الجزيرة الايبيرية قد قامت بنشاط كثيف في قطع الاشجار بغابات السفوح الجنوبية للمرتفعات الاندلسية، للحصول بالخصوص على أخشاب الصنوبر والبلوط، التي تتطلبها صناعة المراكب، والتي تستخدم في هندسة البناء الشرقية، وتستعمل كوقود في أفران صهر المعادن وفي أفران الفخار[113].

وهكذا نلاحظ أن التوسع الفينيقي أفرز في الواقع نموذجين رئيسيين مختلفين من المنشآت. النموذج الاول كان متمركزا في الحوض المتوسطي الاوسط، الذي استعمل منذ وقت مبكر مظاهر ثقافية وايديولوجية مشابهة للنموذج الذي تم إدخاله الى قرطاجة. وينم هذا النوذج عن رغبة في البقاء الدائم بالغرب، مما جعله يتبنى مرتبة المستوطنة منذ الوهلة الاولى، التي تم التعبير عنها من خلال مجموعة من المظاهر كتشييد المعابد والنطاقات المقدسة للتضحية بالقرابين البشرية المعروفة باسم "التوفة" (tophet)[114]، والسيطرة الترابية، واستعمال الانظمة الدفاعية فيما بعد. أما النموذج الثاني فتمثله مجموعة المنشآت الموجودة في أقصى الغرب، التي تميز بها الاستيطان الفينيقي الاصلي بطابعه المؤقت أو الانتقالي، نظرا لضآلة مدافنها ومحدودية امتداد رقعة مستوطناتها وتوفرها على مخازن البضائع وغياب النطاقات المقدسة منها[115]. هذه المجموعة، الممثلة بأوتيكا وبمستوطنات شبه الجزيرة الايبيرية والمغرب الاطلنطي، لم تكشف لحد الآن عن أي أثر لمدافن

---

[110] Pellicer Catalan(M), Distribución y función de los asentamientos fenicios en Iberia, op. cit, p. 301.

[111] Garrido(P.J), Ortea(E.M), Excavaciones en la necropolis de "La Joya", Huelva, **Excavaciones Arqueologicas en España 96**, (Madrid, 1978).

[112] Garcia y Bellido(A), Los bronzes tartessicos, **V Simposio Internacional de Prehistoria peninsular** (Jerez, 1968), Barcelona, 1969, p. 162-163..

[113] Pellicer Catalan(M), Distribución y función de los asentamientos fenicios en Iberia, op. cit, p. 301.

[114] تعتبر عادة التضحية بالابناء عن طريق الحرق من أكثر المظاهر الثقافية تمييزا للمراكز ذات الاصول الفينيقية بالحوض المتوسطي الاوسط، حيث تم الكشف عنها في "قرطاجة" و"سوسة" بتونس، وفي "قسطنطينة" بالجزائر، وفي "سبراطة" بليبيا، وفي "موتيا" (Motyé) بصقلية، وفي "سولكيس" (Sulcis) و"طاروس" (Tharros) و"مونطي سيراي" (Monte Siraï) بسردينيا. وقد عُرفت هذه العادة لدى المتخصصين باسم "التوفة" (Tophet). وهو مصطلح استعمل من لدن علماء الآثار، إشارة لتلك الامكنة المقدسة الموجودة في ضاحية المراكز السالفة الذكر، حيث يقام طقس التضحية بالاطفال حرقا، وتدفن بقاياهم المحروقة في مرمدات خاصة. انظر :

العزيفي (محمد رضوان)، القرابين البشرية بالعالم الفينيقي-البونيقي من خلال التراث الادبي والاركيولوجي، **المائدة المستديرة حول آداب الشرق القديم وتلاقح الحضارات**، من تنظيم كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط بتعاون مع مؤسسة كونراد أديناور الالمانية، مراكش 25-28 ماي 2000 ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة: ندوات ومناظرات رقم 124، 2005، ص. 93 - 107

[115] وبهذا المدلول نجد مثلا أن المستوطنة الفينيقية بمالطا، باعتبارها معبرا ومرسى للسفن خلال العصر العتيق، تقترب من النموذج الغربي أكثر من تشابهها مع مجموعة المستوطنات الفينيقية للمتوسط الاوسط. انظر :

Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 195.

"التوفة"، وتميزت بعلاقتها الوطيدة بصور، وبرزت حسب المصادر المكتوبة أكثر ارتباطا باقتصاد المعبد، وخصوصا معبد ملقارت[116]. ومن المعلوم أن الإلاه ملقارت، المحور المركزي ورمز الملكية، كان في صور كما في قادس وربما في ليكسوس، يقوم بتنسيق النشاط التجاري، أي النشاط الاقتصادي كله.

فإلى أية مجموعة يمكن تصنيف منشأة ليكسوس الفينيقية ؟

---

[116] تعتبر "ماريا ايوخينيا أوبيت" (M.E. Aubet) أن دائرة السكان الفينيقيين الذين استقروا بأقصى الغرب، سواء بالساحل الشرقي لمنطقة الاندلس أو بقادس أوموكادور أوليكسوس أوإيبيسا، تميزت بمنتوج صناعي متناسق نوعا ما، وبنفس النموذج الاستيطاني، وباتباعها لطرق تجارية متجانسة جدا. وبالرغم من وجود بعض الملامح "الغربية" التي تتجلى على الخصوص في بعض الأشكال الخزفية النادرة مثل الاواني ذات الأرجل الثلاثة والقناديل ذات المشعلين والامفورات وغيرها، فإن المجتمع الفينيقي المنتمي لهذه الدائرة، الذي كان ربما مرتبطا بقادس، حافظ دائما على روابط وثيقة جدا بمدينة صور. بمعنى أن الثقافة المادية الفينيقية لشبه الجزيرة الايبيرية وللمغرب الاطلنطي كانت شرقية أكثر، أو إن صح التعبير صورية أكثر من ثقافة مجموعات المتوسط الأوسط. انظر :

Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 270.

الفصل الثاني عشر

طبيعة المنشأة الفينيقية بليكسوس ووظيفتها

يبدو لاول وهلة أن النصوص التاريخية القديمة التي تعرضت بشكل أو بآخر لليكسوس، لاتقدم معلومات مباشرة حول الماضي الفينيقي للمدينة، ولا تفيد في شيء فيما يخص وضعيتها الطوبوغرافية والمعمارية والاقتصادية. غير أنه بعد قراءة في هذه النصوص من منظور المضطلع بالحضارة الفينيقية، وبعد وضعها في سياق الدور الذي لعبته ليكسوس بالساحل الاطلنطي للمغرب على مر العصور، نتمكن من أن نستشف بعض ملامحها خلال المرحلة الفينيقية.

ففيما يتعلق بوضع ليكسوس كمنشأة فينيقية، تعد الرحلة المنسوبة الى "سكيلاكس" (Scylax) أقدم وثيقة تشير نصا الى أن ليكسوس كانت "**مدينة للفينيقيين**"[1]. وحيث أن المعلومات المتعلقة بالساحل الاطلنطي للمغرب الواردة في الرحلة معلومات سابقة للقرن السادس قبل الميلاد، فهذا يعني أن الحالة التي وصفتها الرحلة تعود الى المرحلة الفينيقية بليكسوس، أي الى العهد الذي كانت فيه تابعة لفينيقيي الشرق وليس للقرطاجيين[2]. وفي هذا الصدد نشير الى أن المعلومات التي أوردها "سكيلاكس" حول المنطقة الممتدة من خليج السرت الى عمودي هرقليس، والتي يعتبر المؤلف أراضيها تابعة لنفوذ قرطاجة، كانت معلومات منبعها المصادر البونيقية. وأما المعلومات المتعلقة بما وراء عمودي هرقليس، فإن المصادر المعتمدة فيها هي مصادر فينيقية أو قادسية أو ليكسوسية كما يرى "جيهان ديزانج" (J.Desanges)[3]، لأن هذا النطاق كان تابعا دائما لنفوذ الفينيقيين. كما أن الوجود القرطاجي في الساحل المغربي عموما، وفي واجهته الاطلنطية خصوصا يعتريه غموض كبير، بالرغم من توفر وثيقة رحلة حنون، التي لا ينبغي اعتبارها بمثابة استيطان تاريخي لقرطاجة بهذا الساحل. وبالفعل، فإن الاستكشافات الاركيولوجية بالمغرب لم تفرز لحد الساعة أي دليل مادي ملموس ينم عن توسع قرطاجي شبيه بالتوسع الذي قام به الفينيقيون من قبل. بل حتى الحفائر الجديدة التي أنجزتها البعثة الاركيولوجية المغربية-الإسبانية في ليكسوس، كشفت عن فراغ أركيولوجي بين العصر الفينيقي والعصر البونيقي-الموريطاني[4]. وهذا يعني أن ليكسوس التي نعتها "سكيلاكس" بمدينة الفينيقيين لايمكن إلا أن تكون سابقة للعصر القرطاجي، وأنها كانت إذاك على شكل منشأة فينيقية معروفة[5].

---

(1) Périple de Scylax, 112 ; ap. Desanges(J), Recherches sur l'activité des Méditérranéens aux confins de l'Afrique, op. cit, p. 414 ; Gsell(S), Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord, op. cit, t.II, p. 172.

(2) Ponsich(M), Fouilles puniques et romaines à Lixus, op. cit, p. 17.

(3) Desanges(J), Recherches sur l'activité des Méditérranéens aux confins de l'Afrique, op. cit, p. 116.

(4) وهي المرحلة التي نعتتها "كرمين أرانيكي" (C. Aranegui) بالقرون الغامضة في ليكسوس. انظر :

Aranegui(C), Conclusiones, **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico- mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4**, 2001, cap. XVII, p. 254.

(5) الى جانب "سكيلاكس" (Scylax)، يمكن اعتبار أن نص رحلة حنون نفسه يتضمن ما يفيد بوجود ليكسوس خلال المرحلة الفينيقية، رغم أنه لم يشر نصا الى وجودها. فإذا اعتبرنا أن النص قد ذكر حرفيا واد ليكسوس، وأنه تحدث عن مجموعة بشرية بإسم لا يختلف عن النهر و لا

غير أنه من الصعب معرفة هل كانت هذه المنشأة على شكل مستوطنة (colonie) أو أمبوريوم (emporium) أو وكالة تجارية (comptoir) أو ميناء تجاري (قاروم–karum) أو ميناء للتوقف، أو غيرها من التعريفات التي اقترحها الباحثون في شأن المنشآت الفينيقية[6]. ذلك أن هذه التعريفات يعتريها إبهام كبير في تحديد مدلولها بدقة. كما أنه من المجازفة تطبيق هذه الاصطلاحات على منشأة لم يتم حفرها بالكامل، إذا ما قورنت مثلا ببعض المراكز الاسبانية، التي نتوفر في شأنها على معطيات أركيولوجية تكاد تكون كاملة، مثل "لوس طوسكانوس" (LosToscanos)، و"إيل مورّو دي ميسكيتيا" (El Morro de Mezquitilla)، و"شورّيراس" (Chorrearas)[7]. مع أن بعض الباحثين الاسبان[8] يرون أنه بالرغم من الحفائر التي شملت الساحل المتوسطي لمنطقة الاندلس من مصب واد "كواديانا" (Guadiana) الى مصب واد "سيكورا" (Segura) بناحية "أليكانطي" (Alicante)، والتي ساهمت بشكل كبير في الاطلاع الدقيق على توزيع المنشآت الفينيقية بإسبانيا، فإن خصوصيات كل واحدة من هذه المنشآت تعد غير واضحة. فالمساحة الحضرية لمعظم المراكز وبنيتها يتعريهما غموض كبير، كما يجهل البعد الحقيقي لتوسعها الترابي واستغلال الموارد في حالة وجوده، وتحاليل البيئة الحيوانية والمنتوج الخزفي. علاوة على أنه لا يوجد أي مركز فينيقي تم تنقيبه بشكل شامل، وتم نشر تقارير حفائره حسب المواصفات المطلوبة. اعتبارا لذلك، يرى كل من "مانويل بيبسير كاطلان" (M. Pellicer Catalan)[9]، و"ماريا إوخينيا أوبيت" (Maria Eugenia Aubet)[10] أنه من السابق لأوانه تقديم إطار صحيح حول الوظيفة العامة لمنشآت الاندلس، بالرغم من المحاولات التي قام بها مجموعة من الباحثين، باقتراح أنها كانت على شكل مستوطنات، أو وكالات تجارية، أو موانئ تجارية، أو مراكز لاستغلال الاراضي، أو مراكز اقتصادية متنوعة الطبيعة.

عن المدينة، وأن هذه المجموعة لها من المعرفة الملاحية واللغوية والاثنوغرافية والطوبونيمية الكافية بالساحل الاطلنطي المغربي، فإن ذلك يرجح وجود مستوطنة ليكسوس الفينيقية قبل حدوث الرحلة وخلالها.

(6) من بين أهم الباحثين الذين اقترحوا هذه التعاريف نشير الى "كوليكان" (W. Culican)، و"إيسيرلين" (B.S.J. Isserlin)، و"أنا ماريا بيزي" (A.Ma. Bisi)، و"كوي بونينس"(G.Bunnens)، و"ماريا إوخينيا أوبيت" (Maria Eugenia Aubet)، و"هانس نييميير" (H. Niemeyer)، و"هيرمانفريد شوبارت" (H. Schubart) وآخرون. انظر :

Culican(W), Aspects of the Phoenician Settlement in the West Mediterranean, **Abr-Nahrain 1**, 1959 - 1960, pp. 36-55 ; Isserli(B.S.J), Phoenician and punic rural settlement and agriculture : some archaeological considerations, **I Congresso Internazionale di Studi Fenici e Punici,** (1970), 1983, pp. 157-163 ; Bisi(A.M), L'espensione fenicia in Spagna, op. cit, p. 140-142 ; Bunnens(G), le rôle de Gadès dans l'implantation phénicienne en Espagne, op. cit, p. 187-192 ; Aubet(M. E), Los Fenicios en España : Estado de la cuestion y perspectivas, op. cit, p. 28-29 ; Niemeyer(H), El yacimiento fenicio de Toscanos. Urbanística y función, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica,** t. I, op. cit. pp. 109-126 ; Schubart(H), Artega(O), El mundo de las colonias fenicias occidentales, **Homenaje a L. Siret,** Sevilla, 1986, p. 499-525.

(7) يعتبر "مانويل بيبسير كاطلان" (M. Pellicer Catalan) أن هذه المراكز الثلاثة تعد الوحيدة التي تتوفر على معلومات كافية لمحاولة تعريف طبيعتها. أما المنشآت الفينيقية الاخرى، فإنها لم تفرز سوى بعض الطبقات الاستراتيغرافية، وبعض المعطيات المتناثرة. انظر :

Pellicer Catalan(M), Distribución y función de los asentamientos fenicios en Iberia, op. cit, p. 300.

(8) Idem, Ibid, p. 297.

(9) Idem, Ibid, p. 297.

(10) Aubet(M. E), Los Fenicios en España : Estado de la cuestion y perspectivas, op. cit, p. 27.

ومن جهة أخرى، يلاحَظ أن بعض المنشآت الفينيقية، التي يمكن تصنيفها بدقة خلال القرن الثامن قبل الميلاد على شكل موانئ تجارية، تطورت خلال القرن السابع قبل الميلاد الى صنف الوكـالات التجاريـة، وربما الى صنف المستوطنة. وفي هذا الصدد، يشير "مانويل بيبسير كاطلان" الى أن "لوس طوسكانوس" ، و"صيرّو ديل فيار" (Cerro del Villar)، و"إيل مورّو دي ميـسكيتيا" ، و"ألمونييكـار" (Almuñécar)، كانت قد ولجت خلال القرن السابع قبل الميلاد درجة المستوطنة[11].

من هنا تكمن الصعوبة التي تعتري ليكسوس عندما نحاول القيام بالتعريف المناسب لوضعيتها كمنشأة فينيقية[12]. ومع ذلك، واستنادا لنماذج التشييدات الفينيقية التي عرفها الحوض المتوسـطي، واعتمـادا علـى مجموعة من المعطيات الاركيولوجية والمصدرية المتعلقة بليكسوس، يمكن تقديم بعض الفرضـيات حـول طبيعة هذه المنشأة ووظيفتها.

I – البحث عن التعريف :

يتبين من خلال النماذج الثلاثة للمنشآت الفينيقية التي تم تحليلها في الفصل السابق، أن ليكسوس لم تكن تنتمي الى صنف منشآت المتوسط الاوسط، أي الى صنف النموذج الارستقراطي لقرطاجة، أو الى إحـدى فروعه الموجودة في صقلية وسردينيا. ويعزى ذلك الى انعدام أية إشارة في الايسوريوغرافيا القديمة الى رواية التأسيس المرتبطة بشكل أو بآخر بليكسوس. كما يعزى أيضا الى عدم اكتشاف لحد الساعة أي نـوع مـن المظاهر الحضرية والادارية والعسكرية التي تميزت بها قرطاجة ومستوطنات المتوسـط الاوسـط، مثـل المؤسسات السياسية و"التوفة"[13] والتحصينات العسكرية.

وإذا كان الامر كذلك، فمن المنطقي أن تكون ليكسوس تنتمي بحكم موقعها الى أحد النموذجين اللذين عرفهما أقصى الغرب المتوسطي، وهما نموذج مستوطنات الاستقرار والاستغلال الفلاحي بشرق إسـبانيا، والنموذج التجاري لقادس. والحالة هذه، أن المتمعن في البعد الاستراتيجي لليكسوس في عملية التوسع الفينيقي المرتبط بمؤسسة المعبد، وفي طوبوغرافية موقعها ومؤهلات تشييدها المتوفرة على مجال محلـي وإقليمـي لنشاطها الاقتصادي، يخالجه الاعتقاد بأن ليكسوس تتوفر على عناصر حاضرة في النموذجين معا. فهي من

---

(11) وقد استند في ذلك على الخصوصيات الاستيطانية لهذه المنشآت، المتمثلة في وحدتها الطوبوغرافية، وفي اتساع رقعتها، وفي عدد سكانها الكافي، وفي نظامها الدفاعي، وفي تنوع الانشطة الاقتصادية للمستوطنين، وفي السيطرة الترابية للظهير المحيط بها للحصول على الموارد. وفي هذا الصدد عمل عالم الآثار الالماني "هانس نييميير" (H. Niemeyer) على إحصاء مؤهلات نشأة المدينة أو المستوطنة، وقام بتطبيقها على "لوس طوسكانوس" (Los Toscanos)، ليخلص الى أن هذا المركز كان يضم عناصر "ماقبل المدينة" (pseudociudad). انظر :
Pellicer Catalan(M), Distribución y función de los asentamientos fenicios en Iberia, op. cit, p. 300-301 ; Niemeyer(H), El yacimiento fenicio de Toscanos. Urbanística y función, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, t. I, op. cit. pp. 109-126.

(12) يورد "أندري جودان" أن التعرف على حالة المنشآت الفينيقية الاولى بالمغرب تعتريه صعوبة كبيرة، لان قرطاجة نفسها والمدن الفينيقية الشرقية لا يُعرف عنها الكثير. انظر :
Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 47.

(13) لانعتقد أن انعدام الكشف عن مدافن التضحية بالابناء البكر المعروفة باسم "التوفة" (tophet) بمركز ليكسوس يعود الى ضئالة الحفائر، لأن المنشآت الفينيقية بإسبانيا نفسها، التي بلغ الحفر الاركيولوجي بها درجة من الدقة والشمولية، لم تكشف هي أيضا عن أية مقبرة من هذا النوع. ولعل أن هذه الملاحظة تزكي الفرضية التي يمكن من خلالها اعتبار نموذج المنشأة الفينيقية بليكسوس ينتمي الى مجموعة أقصى الغرب.

جهة تتشابه مع منشآت شرق الاندلس من حيث الموقع الطوبوغرافي، حيث شيدت مثلها فوق تل منخفض، وعند مصب أحد الانهار، وبالقرب من أراض فلاحية خصبة. ومن جهة ثانية، تتشابه مع قادس من حيث موقعها الاستراتيجي والمحصن، وبعدها التجاري، وخلقها لمنطقة نفوذ تابعة لها. بمعنى أن ليكسوس تحظى بعناصر تجعل منها مستوطنة للاستقرار والنشاط الفلاحي والسمكي، ومن جهة ثانية تتوفر على ما يوحي بأنها كانت على شكل "أمبوريوم تجاري".

1) ليكسوس، مستوطنة للاستقرار السكاني :

صحيح أن المعطيات الاركيولوجية المتوفرة لحد الساعة لم تكشف عن آثار مبنية واضحة المعالم تنتمي الى المرحلة الفينيقية بليكسوس[14]، باستثناء الشواهد الدّالة عن المساكن التي كان يقطنها المستوطنون الاوائل (انظر لوحة LIII)[15]، ومخلفات المعبد الفينيقيي المفترض، الذي تحوم كثير من الشكوك حول انتمائه الحقيقي[16]. فلم يتم العثور على الشوارع ومستودعات التخزين التجاري والتحصينات الدفاعية[17]، على غرار ما تم الكشف عنه مثلا في المنشآت الفينيقية بإسبانيا أو صقلية[18]. كما لم يتم الكشف عن المقبرة الفينيقية، الامر الذي يثير استغرابنا[19]، إذا علمنا أن العديد من المنشآت الاسبانية مثل "ألمونييكار"، و"لوس طوسكانوس"، و"طرايامار"، كانت تتوفر على مدافن مهمة[20].

---

(14) ومع ذلك، يعتبر محمد البكاري في التمهيد الذي أدلى به في تقديم مؤلف "ميشيل بونسيك" (M. Ponsich) "المدافن الفينيقية بناحية طنجة"، أن الاستبارات المنجزة في ليكسوس مكنت من الكشف عن طراز معماري يؤرخ بالقرنين السابع والسادس قبل الميلاد. انظر :
Ponsich(M), Nécropoles phéniciennes de la région de Tanger, op. cit, p. 9.

(15) Pascual(I), De Madaria(J.L), La Arquitectura, **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4,** 2001, p. 46, pl. 1.

(16) فيما يتعلق بمخلفات المباني، لم يفرز المستوى الاستراتيغرافي رقم V من استبار الخروب سوى آثارا ضئيلة، تتألف من قطع بعض الجدران المشيدة بحجارة كبيرة، والتي تعود لاريب حسب "طراديل" (M. Tarradell) الى أسس مبان تم هدمها عند تشييد المستوى الموالي. ومما لا شك فيه أن انعدام العثور على مباني المرحلة الفينيقية مرده فقط ضآلة الحفائر في ليكسوس، خصوصا وأن الاواني الخزفية الفينيقية المكتشفة بوفرة، والتي تأكد تاريخها بالقرن الثامن ق.م، ترجح أن مخلفات هذه المرحلة كانت موجودة، لكنها لم تكتشف بعد. انظر :
Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 147.

(17) ألا يمكن اعتبار أن انعدام المباني من ليكسوس خلال العصر الفينيقي يعزى الى تشييدها بالتراب، بعد الكشف عن مبان مشيدة بالتراب في مركز كشكوش بوادي لاو الاسفل المؤرخ ما بين القرن الثامن قبل الميلاد والقرن السادس قبل الميلاد، وبعد العثور على دلائل عن استعمال التراب في جزيرة الصويرة خلال المرحلة الفينيقية ؟ انظر :
Lenoir(M), L'architecture de terre dans le Maroc antique (VIIIe s.av. J-C - Ve s.ap. J-C), **L'architecture de terre en Mediterranée**, Publications de La Faculté des Lettres de Rabat, Série Colloques et Séminaires, n° 80, 1999, p. 72-74.

(18) يمكن مقارنة مثلا انعدام الآثار الفينيقية المبنية في ليكسوس بما خلفته مستوطنة "لوس طوسكانوس" (Los Toscanos) بفضل حفائر "هانس نييميير". انظر :
Niemeyer(H), El yacimiento fenicio de Toscanos. Urbanística y función, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, t. I, op. cit.

(19) لا نعتقد أن عدم العثور على المقبرة الفينيقية بليكسوس يرجع الى انعدامها أصلا، بل الى وجودها في منطقة أخرى، علما أن العديد من المراكز الفينيقية بما فيها صور نفسها كانت تدفن موتاها في مكان بعيد عن التجمع السكني. انظر :
Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 258-259.

(20) Aubet(M. E), Los Fenicios en España : Estado de la cuestion y perspectivas, op. cit, p. 27.

غير أن ذلك لا يعني أن ليكسوس لم تكن تتوفر على مثل هذه المخلفات، لأن الفحص الأثري الذي هم المركز على طول القرن العشرين، لم يشمل سوى نسبة ضئيلة جدا مما توفره المساحة الكبيرة الذي احتوتها المنشأة الفينيقية. كما أن رقعة الاستبارات التي أنجزت في ليكسوس كانت صغيرة جدا، وشملت مناطق بعيدة عن بعضها البعض، الامر الذي يتطلب القيام بمسح أركيولوجي شامل على كل امتداد المساحة المفترضة للمنشأة الفينيقية، حتى نستطيع الالمام بمداها الحقيقي، والتمكن من التحديد الدقيق لوظيفتها وطبيعتها ومكانتها الاقتصادية. مع أنه لا ننتظر أن تكشف لنا ليكسوس تلك الحالة المتطورة التي كانت عليها المدن الفينيقية في الشرق، والتي يمكن التعرف على بعض ملامحها المعمارية من خلال النصوص والمنحوتات الآشورية، حيث كانت تتوفر على عدة طبقات، وكانت أسوارها ذات أبراج، ومنازلها ذات أعمدة، وتتوفر على نوافذ كبيرة[21]. وكيف ما كان الحال، فإن ذلك لا يمنع من تقديم بعض الافتراضات حول هذه المنشأة، بناء على المعطيات الاركيولوجية والمصدرية المتوفرة رغم محدوديتها، علما أن أهم المراكز الفينيقية الكبرى مثل صور وقرطاجة وقادس، لم تكشف هي أيضا عن البنايات الخاصة بالعصر الفينيقي.

ففيما يتعلق بالعناصر التي توحي بأن ليكسوس كانت مستوطنة فينيقية للاستقرار السكاني، نشير الى أنها كانت توجد في منطقة غنية فلاحيا، لكنها خالية من المعادن[22]. والقاعدة في المنشآت الفينيقية التي شيدت في المناطق غير المعدنية مثل قرطاجة ومناطق الساحل الشرقي الاسباني، هي أنها كانت منشآت للاستقرار، وإن كانت تعرف اختلافا بين مناطق الاستقرار الدائم مثل قرطاجة ومناطق الاستقرار الانتقالي مثل منشآت إسبانيا[23].

وإذا كانت العديد من المنشآت الفينيقية قد عرفت ظاهرة التدرج الوظيفي من درجة المحطة التي كانت عليها خلال القرن الثامن قبل الميلاد إلى درجة المستوطنة التي ولجتها في القرن السابع قبل الميلاد[24]، فإننا نفاجأ بأن ليكسوس بزغت لأول وهلة على شكل مستوطنة ذات الامتداد الواسع. وهذا يعني ضمنيا أن المكان كان أرضا خلاء عند قدوم الفينيقيين، حيث لم يتطلب الأمر تلك المرحلة الأولى من تشييد محطة صغيرة بعد مفوضات طويلة مع المحليين[25]. فقد أبانت جميع الاستبارات أن ليكسوس ظهرت ابتداء من القرن الثامن قبل الميلاد، المقابل لاقدم طبقة أركيولوجية، كمنشأة فينيقية شاسعة المساحة وقائمة الذات، حيث كانت الآفاق الثقافية

---

(21) Moscati(S), L'épopée des Phéniciens, op. cit, p. 83-85 ; Gsell(S), Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord,op. cit, t. II, p. 83 ; Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 32-35.

(22) ومع ذلك، فإننا نتوفر على ما يوحي بأن ليكسوس كانت تعرف نشاطا معدنيا ما. فقد تم العثور في مستوياتها الاستراتيغرافية الفينيقية على مجموعة من الصحون الواسعة المتميزة بانعدام الاتقان وبقعر مثقوب في عدة جهات، كانت طبق الاصل لقطع تم اكتشافها في مستويات أركيولوجية فينيقية بمركزي "ايل مورّو دي ميسكيتيا" (El Morro de Mezquitilla) و"كاستييو دي دونيا بلانكا" (Castillo de Doña Blanca). وقد اعتبر الباحث الاسباني "دييكو رويز ماطا" (Diego Ruiz Mata) أن هذه الصحون المثقوبة تنم عن نشاط معدني مرتبط بشكل وثيق بعملية تقليص مادة النحاس من المعادن. انظر :

Bokbot(Y), Habitats et monuments funéraires du Maroc protohistorique, op. cit, p. 166 ; Ruiz Mata(D), Huelva : un foco temprano de actividad metalúrgica durante el Bronce final, **Tartessos. Arqueología protohistórica del bajo Guadalquivir**, Aubet(M.E), coord., Sabadell, éd. Ausa, 1989, p. 237-238.

(23) Pellicer Catalan(M), Distribución y función de los asentamientos fenicios en Iberia, op. cit, p. 299-300.

(24) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 286-287.

(25) Cintas(P), Manuel d'Archéologie punique, t. I, op. cit, p. 225.

الفينيقية واضحة في معثوراتها الخزفية. وقد أكد استبار "الزيتونة" الذي أنجزته مؤخرا البعثة المغربية الاسبانية على هذه الظاهرة، لمّا أثبت أن المستوطنة الفينيقية بلغت منذ نشأتها رقعة شاسعة، تمتد من أعلى قمة هضبة الشميس الى سفحها الجنوبي[26]. ونظرا لاكتشاف البقايا الاركيولوجية الخاصة بهذه المرحلة في نقط متعددة من المركز، سواء في منطقة حي المعابد الموجودة في أعلى جهة من ربوة ليكسوس[27]، أو في السفح الجنوبي[28]، فإن ذلك ينم عن الامتداد الكبير لرقعة المكان المسكون ابتداء من تاريخ التشييد. وبالفعل، فإن اختيار ربوة الشميس الشاسعة الاطراف عوض إحدى الرؤوس البحرية المتميزة عموما بمساحة ضيقة، يعتبر في حد ذاته علامة على رغبة الفينيقيين في إقامة مستوطنة كبيرة منذ نشأتها الأولى[29]. ويمكن تشبيه ذلك بما حدث مثلا في "كاستييو دي دونيا بلانكا" (Castillo de Doña Blanca)، الذي عرف استقرارا فينيقيا فوق هضبة مستوية منذ أواسط القرن الثامن قبل الميلاد، على رقعة تبلغ مساحتها على الاقل خمسة هكتارات[30].

وكان "ميكيل طراديل" قد أورد أن ظاهرة الامتداد الذي عرفته ليكسوس في رقعتها لم تكن متوقعة[31]، حيث لاحظ أن المواد المكتشفة في جميع النقط التي شملتها الحفائر، كانت متشابهة، وعرفت نفس التسلسل الكرونولوجي. وبذلك اعتبر بحق أن الأمر لم يكن يتعلق بنواة أولية صغيرة تتطور ببطئ لكي تأخذ مدى أوسع وتتحول الى المدينة الكبيرة المعروفة، بل نجد أنفسنا وبدون سوابق واضحة، أمام نواة حضرية واسعة تبلغ مساحتها 400م على 300م، كما ورد على لسان عالم الآثار الإسباني[32]. وهي مساحة كان "طراديل" يعتبرها هائلة، إذا أخذنا بعين الاعتبار البلاد والمرحلة التاريخية[33]. وبالفعل، تعد هذه الظاهرة متميزة في عملية التوسع الفينيقي بأقصى الغرب، حيث كانت معظم المنشآت الفينيقية التي تم استكشافها بمثابة منشآت ساحلية صغيرة[34].

---

(26) Aranegui(C), La campaña de Excavaciones de 1999, op. cit, p. 111.

(27) جل المواد الاركيولوجية التي تم الكشف عنها في هذه الجهة من المدينة كانت بفضل أعمال "بونسيك" (M. Ponsich).

(28) أهم المواد الاثرية التي تم العثور عليها في السفح الجنوبي لربوة ليكسوس كانت بفضل أعمال "طراديل" (M. Tarradell) في استبار الخروب.

(29) López Pardo(F), Los enclaves fenicios en el Africa noroccidental : del modelo de las escalas náuticas al de colonización con implicaciones productivas, **Gerion 14**, 1996, p. 255, nota n° 1.

(30) Ruiz Mata(D), Pérez(C), El poblado fenicio del Castillo de Doña Blanca, Puerto de Santa María (Cádiz), op. cit.

(31) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 156.

(32) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 156 ; Idem, Notas acerca de la primera época de los Fenicios en Marruecos, op. cit, p. 77-78.

(33) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 156 et 222.

غير أن محمد حبيبي يعتبر أن المعطيات المتوفرة حاليا تتعذر معها الاجابة بشكل موضوعي حول مسألة امتداد النواة القديمة لليكسوس الفينيقية على مساحة واسعة جدا كما كان يراها "طراديل" (M. Tarradell)، مما يستدعي القيام باستبارات ممنهجة للوصول الى استنتاجات دامغة لتحديد امتداد رقعة المدينة خلال العصر الفينيقي، وللتمكن من الالمام بتطورها في الزمان والمكان. انظر :

Habibi(M), La céramique à engobe rouge phénicien de Lixus, op. cit, p. 153.

(34) López Pardo(F), Los enclaves fenicios en el Africa noroccidental : del modelo de las escalas náuticas al de colonización con implicaciones productivas, **Gerion 14**, 1996, p. 255.

ويرجح "طراديل" في هذا الصدد أن قطاع "البازيليك" كان يمثل منطقة كثيفة السكان خلال أقدم عصر عاشته ليكسوس، نظرا لاكتشاف كسرات لا تحصى من الخزف الفينيقي ذي البرنيق الأحمر في هذا القطاع[35]. كما يعتبر بعض الباحثين الاسبان أن ظاهرة التوسع العمراني السريع بليكسوس منذ نشأتها، تمثل أول عصر مزدهر بالنسبة لتاريخ المدينة، الذي امتد الى حدود القرن الخامس قبل الميلاد[36]. كما يرجحون أن يكون هذا "الأوج" مرتبطا بانطلاقة صناعات تمليح السمك التي اشتهرت بها ليكسوس على مر تاريخه[37]. ويتساءل "ميشيل بونسيك"[38] في هذا الصدد ما إذا كان التوسع الفينيقي قد استطاع أن يؤصل مدينة قوية من الناحية الاقتصادية، لدرجة جعلتها تحظى بشهرة كبيرة خلال وقت وجيز ؟

كيفما كان الحال، فإن الإعداد الكبيرة من الكسرات الخزفية المستخرجة من الطبقة الاركيولوجية السفلى بليكسوس، مثلت أهم ما يمكن الاستناد إليه لتوجيه الأبحاث حول المستوطنة الفينيقية بليكسوس، رغم أننا لا نتوفر على إحصائيات دقيقة حول أعدادها ونسبها[39]. ولا ينبغي أن نقزم من دور الخزف في تشكيل نمط النشاط الاقتصادي أو طبيعة التجمع السكاني، علما بأن الأنواع الخزفية الفينيقية تنتمي إلى نوعين كبيرين: النوع الاول تمثله الأواني التي تستعمل في النقل والتخزين مثل الامفورات، وبالتالي تنم عن النشاط التجاري للمركز. ويتألف النوع الثاني من الاواني التي تصلح للاستخدام اليومي سواء في المائدة أو المطبخ، مثل الصحون والجفنات والباتيرات[40]، والتي تشير الى الطابع الاستيطاني للمنشأة الفينيقية[41].

---

(35) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 153.

(36) Aranegui(C), Belén(M), Fernández Miranda(M), Hernández(E), La recherche archéologique éspagnole à Lixus : Bilan et perspectives, op. cit, p. 10.

(37) Aranegui(C), Belén(M), Fernández Miranda(M), Hernández(E), La recherche archéologique éspagnole à Lixus : Bilan et perspectives, op. cit, p. 10.

(38) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 3.

(39) عندما نقارن الدراسات الاحصائية التي شملت المنتوج الخزفي الفينيقي المكتشف بالمستوطنات الاسبانية، بما قام به كل من "ميكيل طراديل" (M. Tarradell) و"ميشيل بونسيك" (M. Ponsich)، حيث كانت تنعدم في دراستهما لمنتوج ليكسوس أية محاولات إحصائية، نلمس الصعوبات التي تعترينا عندما نريد القيام ببعض الاستنتاجات الموضوعية المتعلقة بالمرحلة الفينيقية بليكسوس. ويجدر التذكير في هذا الصدد أن دراسة النسب المائوية التي كان يمثلها كل نوع خزفي حسب وجوده استراتيغرافيا في طبقات أركيولوجية متجانسة وواضحة التأريخ بإسبانيا، قد أسفرت عن نتائج معبرة. انظر بالخصوص :

Ruiz Mata(D), Aportacion al análisis de la presencia fenicia en Andalucia sudoccidental, según las excavaciones del Cabezo de San Pedro (Huelva), S. Bartolomé (Almonte, Huelva), Castillo de Doña Blanca (Puerto de Santa Mría, Cádiz) y El Carambolo (Camas, Sevilla), op. cit.

(40) بل توجد بعض الاواني الخزفية التي تقدم معلومات حول طريقة تخزين المواد الغذائية ونوعية المواد المستهلكة. فقد عثر "هيرمانفريد شوبارت" (H. Schubart) تحت أقدم مستوى استراتيغرافي بمركز "إيل مورّو دي ميسكيتيا" (El Morro de Mezquitilla) على مجموعة من القدور المصنوعة باليد والمغروسة عموديا، اعتبرها من صنع السكان الفينيقيين الاوائل بالمكان لتخزين بعض المواد الغذائية قد تكون اللحوم. انظر :

Schubart(H), El Asentamiento fenicio del s. VIII a. C. en El Morro de Mezquitilla (Algarrobo, Malaga), dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, op. cit, p. 66, 74, fig. 2, 10, 11, pl. III.

(41) Gran-Aymerich(J. M), Malaga fenicia y púnica, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, vol. I, op. cit, p. 137 y 140.

وفيما يتعلق بالنوع الثاني، وحسب ما تم الكشف عنه لحد الآن، فإنه كان يمثل الاغلبية الكبرى من الخزف الفينيقي. ولعل أن العثور على الخزف الاحمر الفينيقي بأعداد كبيرة في كل المستويات العميقة للاستبارات التي أنجزها "طراديل" و"ميشيل بونسيك" في نقط متعددة من مركز المدينة، أو أنجزتها البعثة المغربية–الاسبانية خلال عامي 1995 و1999، يدل على أن ساكنة ليكسوس لم تكن ساكنة عرضية، بل ساكنة مستقرة تستخدم جميع مستلزمات الاستهلاك اليومي التي كانت تستورد من الشرق الفينيقي. كما يوحي هذا الكشف بأن عدد السكان الفينيقيين الاوائل بليكسوس كان مرتفعا نسبيا، نظرا لاستخدام نفس الاواني الخزفية الفينيقية التي تم العثور عليها في معظم المستوطنات الفينيقية الكبرى بشكل كثيف[42]. ومما يرجح هذه الفرضية أن أكثر نسبة من الاواني الخزفية من نوع الخزف الفينيقي ذي البرنيق الاحمر كانت تتصدرها الاواني التي تستخدم في المائدة، مثل الصحون والقصعات والزبديات والكؤوس وغيرها. وفي هذا الصدد استطاع "ميكيل طراديل" أن يبرز أن أغلبية القطع المنكسرة تعود الى صحون وباتيرات ذات الاحجام المختلفة، يغلب عليها النوع المتميز بالحاشية المفتوحة، أو الواسعة، أو الحاشية الشبيهة باللوزة[43].

وفيما يتعلق باستعمالات الصحون والجفنات[44]، فالغالب على الظن أنها كانت تستخدم لمتطلبات المائدة الفينيقية، اللهم إذا كانت تحظى باستعمالات أخرى كما يعتقد "أندري جودان" (A.Jodin)، لما رجح أن تكون قد استعملت كأساس لحمل القناديل، انطلاقا من ملاحظة تمت معاينتها في بعض القبور البونيقية[45]. ونظرا لوجودها بأعداد كبيرة سواء في ليكسوس أو في المراكز الاسبانية التي كانت بحق مستوطنات للاستقرار، ونظرا لنوع البرنيق الجيد الذي طليت به، تعتبرها الباحثة الالمانية "كيرطا ماس–ليندمان" (Gerta Maass-Lindemann) من الخزف الرفيع الذي يستخدم في المناسبات[46].

وبشكل أقل كثافة تبرز الطسوت الواسعة والقليلة العمق وذات الحاشية المستقيمة[47]. ومن المعلوم، كما تلاحظ "كيرطا ماس–ليندمان" أن النوع الذي يجمع الباطيرات أو الجفنات (cuencos) والطسوت، يعد من الاواني الخزفية التي كانت منعدمة ضمن محتويات المدافن الفينيقية، ولم يتم الكشف عنها سوى في مراكز الاستيطان الفينيقي[48]. كما نذكر كذلك الاباريق ذات القرص الرفيعة القيمة التي كانت تستخدم في الاستعمالات اليومية، وخصوصا في المائدة الفينيقية، نظرا لحملها لزيت الزيتون حسب الاب "ديلاتر" (Delattre)[49] و"كارلوس كوميز بيبار" (Carlos Gomoez Bellard)[50]. وهذا يعني أن فينيقيي

---

(42) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 206.

(43) Idem, Ibid, p. 202.

(44) مما لاشك فيه أن الانواع الصغيرة من الجفنات، التي تنعدم منها الحاشية، كانت تستخدم لشرب السوائل.

(45) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 82.

(46) Maass-Lindemann (G), Vasos fenicios de los siglos VIII-VI en España. Su procedencia y posición dentro del mundo fenicio occidental, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, t. I, op. cit, p. 231.

(47) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 202.

(48) Maass-Lindemann (G), Vasos fenicios de los siglos VIII-VI en España. Su procedencia y posición dentro del mundo fenicio occidental, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, t. I, op. cit, p. 233.

(49) كان الاب "ديلاتر" (Delattre) يطلق على الاباريق ذات القرص المكتشفة لاول مرة في قرطاجة اسم "حقات الزيت" (Aryballes). انظر: Delattre(R.P), Musée Lavigerie de S[t] Louis de Carthage, Paris, 1900, p. 166.

(50) Gómez Bellard(C), **Céramique**, Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique,op. cit, p. 99.

ليكسوس، إن هم لم يتوانوا على استعمال أوانيهم الكلاسيكية المجلوبة من الشرق الفينيقي، والتي لـم تـستطع أواني المحليين استبدالها، فلكونهم كانوا يعلمون أنهم سيمكثون في المكان الى الابد[51].

ومن جانب آخر، كشفت الدراسات والحفائر الاركيولوجية الحديثة التي قامت بها البعثة الاركيولوجية المغربية-الاسبانية في ليكسوس، أن جزءا مهما من الخزف المصنوع باليد كان مـن صـنع المـستوطنين الفينيقيين، وأن أغلبية الاواني المنتمية لهذا النوع كانت تستخدم في المطبخ. فكانت القدور المـصنوعة باليـد شبيهة بتلك التي اكتشفها "هيرمانفريد شوبارت" (H.Schubart) مغروسة بشكل عمودي تحت أقدم مـستوى استراتيغرافي بمركز "إيل مورّو دي ميسكيتيا" (El Morro de Mezquitilla)، والتـي كانـت تـستعمل لتخزين بعض المواد الغذائية مثل اللحوم[52]. كما كانت مجموعة من الاواني المصنوعة باليد مثل الجفنـات والاواني على شكل حـرف S، والقـدور القاريبـة الـشكل، والقـدور "ذات الحلمـات" (marmites à mamelons)، والجرار ذات العروات، والطنجرات ذات القعر المسطح[53]، تنتمي الى أوان تستعمل فـي المطبخ، بدليل توفر بعضها على علامات استعمال النار لطهي المأكولات[54].

وهكذا تنم مصنفات وأنواع الخزفيات المكتشفة في ليكسوس، المتنوعة الاستعمال والوظيفـة، عـن الطابع الدائم والاستيطاني للجالية السكانية المستقرة بالمركز. فإذا كان المستوطنون الفينيقيون قد نقلوا معهـم الجرار للتخزين والتجارة، والصحون ذات البرنيق الاحمر للاكل، والاباريق ذات القرص لحمل الـسوائل، والقنينات لحمل العطور، والقناديل للاضاءة، فإنهم في ذات الوقت كانوا يصنعون أوان مقولبة في عين المكان لاتحتاج الى صناعة منقنة مثل القدور والطنجرات لطهي طعامهم.

ومما يرجح أن ليكسوس كانت واحدة من المستوطنات الفينيقية في منطقة "دائرة المضيق"، هو الكشف بها عن الصنف الاول من الامفورة الفينيقية، التي تعتبر "الاحفور المرشد" (Le fossile directeur) للوجود الفينيقي في تلك المنطقة[55]، حيث يتبين في أغلب الاحيـان، أن التوزيـع المهـم لهـا بجـل المـستويات الاستراتيغرافية[56]، يدل على تأصل الاستيطان الفينيقي.

---

[51] يرى "أندري جودان" (A. Jodin) أن البحارة الفينيقيين، بعد قيامهم بعدة توقفات في العديد من المحطات البحرية بما فيها قرطاجة، عملوا على جلب أدواتهم المنزلية وإنزالها بسواحل المحيط الاطلنطي مباشرة من المتوسط الشرقي. انظر :
Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 118-119.

[52] Schubart(H), El Asentamiento fenicio del s. VIII a. C. en El Morro de Mezquitilla (Algarrobo, Malaga), dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, op. cit, p. 66, 74, fig. 2, 10, 11, pl. III.

[53] Belèn(M), Escacena(J.L.), Rodero(A), López Roa(C), Materiales de época fenicia de las excavaciones de Tarradell conservados en el museo de Tetuán, op. cit, fig. 8, p. 99, fig. 10, p. 101, fig. 11, n° 513 - 516, fig. 13, n° 585, fig. 14, n° 604-606.

[54] Idem, Ibid, p. 87.

[55] Chelbi(F), A propos des amphores archaïques de Carthage, op. cit, fig. 1a, p. 718.

[56] Maass-Lindemann(G), *Toscanos 1971*, op. cit ; Schubart(H) et Niemeyer(H.G), Trayamar. Los hipogeos fenicios y el asentamiento en la desembocadura del Río Algarrobo op. cit ; Pellicer Catalan(M), Excavaciones en la necropolis punica "Laurita" del Cerro de San Cristobal (Almuñecar, Granada), op. cit ; Garrido Roiz(J.P), Orta Garcia(E.M), Excavaciones en la necropolis de la "joya" (Huelva) II : **(Excavaciones Arqueológicas en España 96)** , Madrid, 1978 ; Pellicer Catalan(M), Typologia y cronologia de las anforas

فهل يجدر استنادا لما سبق، أن نأخذ بعين الاعتبار من جديد ما صرحت به المصادر التي اعتمدها "بلينيوس" (Pline)، والتي تذكر أن « *مدينة ليكسوس كانت قوية جدا وأكبر من قرطاجة الكبيرة*»[57]؟ وفي هذا الصدد ينبغي ألا يثار استغرابنا من هذه التصريحات[58] رغم ما أبداه المؤرخ الروماني من تحفظ في شأنها[59]، لأن "طراديل" نفسه كان قد اندهش من العثور على نفس المحتويات الاركيولوجية بجل الاستبارات التي قام بها، سواء في الجهات العليا للمدينة أو عند سفوحها[60].

ولا ريب أن أول ملاحظة جلية يمكن تسجيلها في هذا الشأن من خلال هذه الآفاق الاركيولوجية الواسعة للقرن الثامن قبل الميلاد وبداية القرن السابع قبل الميلاد، هي أن ليكسوس برزت حسب "فيرناندو لوبيز باردو")[61] كمنشأة استيطانية مشابهة من حيث المميزات والكرونولوجية لمستوطنتي "إيل موروّ دي ميسكيتيا" و "لوس طوسكانوس" وغيرهما من المستوطنات الفينيقية.

والغالب على الظن أن طابع المستوطنة الذي تميزت به ليكسوس، نجم عن حدوث ظاهرة تعمير كثيف خلال القرن الثامن قبل الميلاد. وفي هذا الصدد، نشير الى أن الاحداث التي عرفتها فينيقيا بسبب استفحال الضغط الآشوري، أدّت الى حدوث هجرات فينيقية كثيفة نحو مناطق الغرب المتوسطي. ولم تكن فكرة الهجرة نحو الغرب والاستقرار في تلك الربوع وليدة أحداث القرن الثامن قبل الميلاد، بل توجد عدة قرائن حول حدوثها من قبل. فمن المعلوم أن التناحرات الاجتماعية والسياسية التي عرفتها صور في الربع الاخير من القرن التاسع ق.م، قد أدت الى فرار مجموعة من المحتجين الى شمال إفريقيا وتأسيس مدينة قرطاجة في تونس[62]. كما أن حملة "تكلات بلسار الثالث" (745-727 ق.م) على فينيقيا في أواسط القرن الثامن قبل الميلاد أحدثت بدورها هروب بعض الفينيقيين نحو الغرب المتوسطي، من جرّاء السيطرة الترابية

---

preromanas del Guadalquivir segun el Cerro Macareno (Sevilla) : **Habis, 9** (1978), p. 365-400 ; Florido Navarro(C), Anforas preromanas sudibericas, op. cit ; Molina Fajardo(F), Huertas Jimenez(C), Tipologia de las ánforas fenicio-púnics : Almuñecar, op. cit, p. 131-157 ; Gonzalez Prats, Las importaciones y la presencia fenicia en la sierra de Crevillente (Alicante) : **AuOr, 4** (1986), p. 279-302.

(57) Pline, Histoire Naturelle, V, 4.

(58) اعتمدت على مثل هذه النصوص من الكتابات القديمة، محاولة مني لرد الاعتبار لليكسوس خلال العصر الفينيقي، كمستوطنة كانت لا ريب في نفس مستوى المستوطنات الاخرى التي شيدها الفينيقيون بالحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط، والتي تم تضخيم مكانتها من طرف الايستوريوغرافية الحديثة. انظر :

العزيفي (محمد رضوان)، مستوطنة ليكسوس الفينيقية في الكتابات القديمة والحديثة "محاولة لرد الاعتبار"، المرجع السابق.

(59) يعتبر "بلينيوس" (Pline) أن ما أورده الكتاب الاغريق حول ليكسوس هو بمثابة "افتراءات" و"شائعات" كانت تصدق "بجشع" كبير من طرف معاصريه. انظر :

Pline, Histoire Naturelle, V, 4.

(60) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 156.

(61) Lopez Pardo(F), Reflexiones sobre el origen de Lixus y su Delubrum Herculis en el contexto de la empresa comercial..., op. cit, p. 90-91.

(62) تعكس رواية "جوستينيوس" (Justin) المتحدثة عن أحداث تأسيس قرطاجة تفاصيل هذه التناحرات. انظر :

Justin, XVIII, 4-6.

وانظر الترجمة العربية لهذه الرواية عند :

صفر (أحمد)، مدنية المغرب العربي في التاريخ، تونس، دار النشر بوسلامة، 1959، ص. 86-90.

الأشورية على شمال فينيقيا[63]. وكان من البديهي أن يهاجر هؤلاء الى المنطقة التي تعرف حياة مسالمة، والتي توفر أكثر فرص النجاح. ولم تكن تنعم بتلك المواصفات سوى منطقة أقصى الغرب المتوسطي البعيدة عن مناطق النفوذ والصراع، خصوصا وأن السفن الفينيقية العائدة الى موانئ صور وصيدا وأرواد وغيرها كانت تنقل أخبار الاستقرار الذي كان ينعم به الغرب[64]. وتؤكد المصادر القديمة على حدوث هذه الهجرات، حيث تشير التوراة مرارا الى اضطرار صور للقيام بالهجرة بسبب الخطر الآشوري. فقد ورد مثلا في هذا الباب على لسان النبي العبري "إشعياء" ما يلي : « ..***تنقلها رجلاها بعيدا للتغرب***»[65]. كما تبين التوراة أن أهم منطقة كانت تتجه إليها هذه الهجرات توجد في أقصى الغرب المتوسطي، حيث يأمر "إشعياء" سكان صور قائلا : « ***اعبروا الى ترشيش***»[66]. كما يشير "ديودور الصقلي" (Diodore de Sicile) بدوره الى إرسال جاليات فينيقية الى الغرب المتوسطي، لكن ليس بسبب الخطر الآشوري، بل بفضل الغنى الذي وصل إليه الفينيقيون، حيث يقول : «... ***وبعد القيام بهذه التجارة لمدة طويلة ازداد الفينيقيون قوة مكنتهم من ارسال عدة جاليات الى صقلية والجزر القريبة منها، وجاليات أخرى الى ليبيا وسردينيا وايبيريا...***»[67].

ويبدو أن حدوث هذا التعمير لم يكن ممكنا لولا توفر منطقة ليكسوس على إمكانيات هامة للاستغلال الفلاحي، وربما لاستغلال الثروات البحرية، الى جانب بعض الانشطة الصناعية المرتبطة بالصيد البحري. ويرى "فيرناندو لوبيز باردو" أن معمّري ليكسوس قد وفدوا عليها من الهجرات الفينيقية الكثيفة نحو الغرب التي عرفها القرن الثامن قبل الميلاد، والتي كان يتعذر استقطابها من طرف "كادير" (Gadir) أو من طرف الوسط المحلي[68].

غير أن الهدف الاساسي من تشييد ليكسوس لا يكمن فقط في ايجاد مستوطنة فينيقية للتعمير والاستيطان، واستقطاب الافواج النازحة من المهاجرين الجدد. فشمال وادي اللكوس كان ينعم هو أيضا بأراض خصبة يمكن استعمارها، حيث كانت سهول ناحية طنجة مثلا صالحة لهذه الغاية. والحالة هذه أن الوجود الفينيقي اقتصر هناك على مقايضة الحلي والاواني الخزفية الفينيقية بالمواد الفلاحية التي كان ينتجها المحليون[69]. كما أن الارتياد الفينيقي على منطقة "النشر الجديد والاقواس" ـ التي كانت تحظى كذلك بأراض مسقية ـ كان متمركزا حول الصيد البحري والصناعات المرتبطة به[70]. من هنا يبدو أن اختيار موقع ليكسوس كان يحكمه شيئ أهم من استقطاب فائض ساكنة آتية من الشرق. فالامكانيات الهامة التي كان يوفرها

---

(63) Cintas(P), Manuel d'Archéologie punique, t. I, op. cit, p. 34-35.

(64) Cintas(P), Manuel d'Archéologie punique, t. I, op. cit, p. 371.

(65) سفر إشعياء : الاصحاح الثالث والعشرون : 7.

(66) سفر إشعياء : الاصحاح الثالث والعشرون : 6.

(67) Diodore de Sicile, V, 20, 35.

(68) Lopez Pardo(F), Reflexiones sobre el origen de Lixus y su Delubrum Herculis en el contexto de la empresa comercial..., op. cit, p. 94.

(69) العزيفي (محمد رضوان)، الفينيقيون بفحص طنجة وعلاقاتهم بالسكان "من خلال مقابر ناحية طنجة ومحتوياتها المؤرخة ما بين القرن السابع قبل الميلاد وأواسط القرن السادس قبل الميلاد"، المرجع السابق ؛ نفسه، السلع المتبادلة بين الفينيقيين والمغاربة القدماء، كأقدم نموذج عن علاقات المغرب التجارية مع العالم المتوسطي، المرجع السابق.

(70) Ponsich(M), Kouass, port antique et carrefour des voies de la Tingitane,op. cit.

المكان كميناء بحري ونهري، الضروري بالنسبة للنشاط التجاري الفينيقي، كانت لاريب حاسمة في انتقاء ليكسوس لتشييد منشأة ذات بعد تجاري واستراتيجي شبيه نوعا ما بما كانت عليه قادس في إسبانيا. الامر الذي يوحي بأن ليكسوس كانت تتوفر كذلك على خصوصيات نموذج الامبوريوم التجاري. فما هي العناصر المصدرية والاركيولوجية التي يمكن أن توجهنا في هذه الفرضية ؟

2) ليكسوس، الأمبوريوم التجاري :

إن الاشارات المتعددة الواردة في رحلة حنون حول الليكسيين[71] -الذين ليسوا إلا السكان الفينيقيين لمستوطنة ليكسوس الذين كانوا يرعون أغنامهم عند رسو حنون بالقرب من مدينتهم-[72] تفيدنا في أخذ فكرة عن البعد التجاري لليكسوس. فهي توحي بوجود مستوطنة فينيقية تحظى بدراية لا بأس بها بالساحل الإطلنطي للمغرب، بفضل سكانها الذين ورثوا من أجدادهم الفينيقيين المؤهلات الملاحية والتجارية الضرورية[73]. كما نلمح نفس الاشارات الى أن مجال إبحار ليكسوس كان يتعدى جزيرة موكادور ليصل ربما في حده الاقصى الى حوض سوس، مما يرجح أن الفينيقيين أعدوا ليكسوس لتكون لها دائرة نفوذ تجاري بالساحل الاطلنطي المغربي، بنفس المعنى الذي كان لمستوطنة قادس بالساحل الاطلنطي الايبيري. فنص الرحلة لم يقدم لنا الليكسوسيين بمثابة مترجمين فقط، بل قدمهم على شكل بحارة ومرشدين أيضا. وإذا كانوا قد دأبوا على تعلم لغة القبائل المحلية الى جانب لغتهم الاصلية، وتمكنوا من تجميع المعلومات الكافية حول الشواطئ الاطلنطية للمغرب، فإن هؤلاء البحارة فعلوا ذلك لأغراض تجارية، وليس فقط لأغراض استكشافية. وهذا يوحي بأن ليكسوس كانت تتوفر على أسطول تجاري بما يلزمه من طاقم ومعدات، وعلى ميناء نشيط[74].

ومن خلال رحلة "بوليبيوس" (Polybe)[75]، ونظرا للاستناد إلى ليكسوس دون غيرها من المراكز الاخرى كمنطلق لتحديد مواقع مجموعة من المعالم بالساحل الاطلنطي للمغرب[76]، يبدو أن الدور الذي قامت به سالفا في تنظيم التجارة على الساحل الاطلنطي، سوف يستمر خلال العصر البونيقي. ومما يرجح أن تكون ليكسوس قد توفرت على دائرة تابعة لنفوذها التجاري بالساحل الاطلنطي للمغرب منذ عصور قديمة، أن "بوليبيوس" أشار الى خليج يدعى "خليج ساكيكي" (Sinum Sagigi)، يوجد مباشرة جنوب ليكسوس[77]. ومن المرجح أنه نفس الخليج الذي أطلق عليه "استرابون" (Strabon) اسم "خليج الوكالات التجارية"، أي

---

(71) ورد اسم الليكسيين في رحلة حنون في الفقرات رقم 6 و7 و8.

(72) Rebuffat(R), Les nomades de Lixus, **Bulletin archéologique du comité des traveaux historiques et scientifiques,** n° 18, 1988. p. 77-85.

(73) يرى "أندري جودان" أن ليكسوس كانت تقوم بتنشيط التجارة على الساحل الاطلنطي للمغرب الى أن جاء حنون. كما أنها كانت على معرفة بهذا الساحل. انظر :
Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 191-192.

(74) العزيفي (محمد رضوان)، الفينيقيون بالساحل الاطلنطي للمغرب من خلال رحلة حنون، المرجع السابق.

(75) انظر الفقرات المتعلقة بليكسوس في رحلة "بوليبيوس" (Polybe) عند :
Desanges(J), Recherches sur l'activité des Méditérranéens aux confins de l'Afrique, op. cit, p. 416.

(76) تم الاعتماد على ليكسوس كمنطلق لتحديد المسافة الفاصلة بينها وبين نهر أم الربيع، وبينها وبين مضيق جبل طارق، وبينها وبين ميناء "روتوبيس" (Rutubis) الموجود في مدينة الجديدة أو في ناحيتها.

(77) يورد "بوليبيوس" (Polybe) ما يلي في شأن هذا الخليج : « ***ابتداء من هناك*** [أي من ليكسوس]، ***يوجد الخليج الذي يدعى ساكيكي*** ». انظر :
Desanges(J), Recherches sur l'activité des Méditérranéens aux confins de l'Afrique, op. cit, p. 416.

خليج محطات التجارة الفينيقية التي كانت تمثل المجال الاقليمي للنشاط الاقتصادي لليكسوس. كما أن تـذكير "استرابون" [78] بالعدد الكبير للمنشآت الفينيقية التي حواها هـذا الخليـج، انطلاقـا مـن روايـة أشـاعها "إيراطوسطين" (Eratosthène)، والتنصيص على أصولها الصورية، واندثارها عن آخرها، يـوحي بـأن ليكسوس، التي كتب لها البقاء وحدها دون المراكز الاخرى، كانت تعرف نوعا من السيادة والنفوذ على سائر المنشآت الفينيقية التي كان يعرفها الساحل الاطلنطي للمغرب. ونحن لا نستغرب من ذلك، لأن مـن عـادة المستوطنات الفينيقية الكبرى مثل قرطاجة وقادس أن تعمل على خلق دوائر نفوذهما، بتأسيس عدة نماذج من المنشآت الجديدة [79].

كما أن مجموعة من الاساطير التي أوردتها المصادر الاغريقية-الرومانية حول ليكسوس، تعكـس رغبة المدينة في الحفاظ على مجال نفوذها التجاري بالساحل الاطلنطي للمغرب. من بين هذه الاساطير نذكر أسطورة التنين الحارس لحدائق "الهيسبيريديس" (Hesperides) [80]، وأسطورة أسماك *lolligines* المجنحة المغرقة للسفن [81]، اللتين تعكسان فكرة استحواذ ليكسوس على استغلال خيرات المنطقة، وترهيب المنافسين من الدنو من مجال نفوذها التجاري. وإذا صح ذلك، فهذا يعني أن ليكسوس كانت تتـوفر علـى الاسـس الاقتصادية اللازمة لنشأتها كأمبوريوم تجاري، تبعا لنوع الوظيفة التي سطرها الفينيقيون لمنشآتهم ذات البعـد التـجاري، كما ترى الباحثة الاسبانية "ماريا إوخينيا أوبيت" (Maria Eugenia Aubet) [82].

علاوة على المعطيات المصدرية، يمكن إضافة بعض العناصر الاركيولوجية التي توفرها ليكسوس نفسها، لتدعيم الفرضية التي تجعل منها مستوطنة تجارية الى جانب اعتبارها مستوطنة للتعميـر الـسكاني. فالجرار الكبيرة الحجم من نوع *pithoi*، التي تم اكتشافها في جل الاستبارات التي أنجزها كل مـن "ميكيـل طراديل" و"ميشيل بونسيك"، وقامت بها مؤخرا البعثة الاركيولوجية المغربية-الاسبانية، توحي بوجود مركز فينيقي مختص في التجارة. ذلك أن هذا النوع الخزفي كان يستخدم سواء في الغرب المتوسطي أو في الشرق الفينيقي كأواني كبيرة لتخزين ونقل البضاعة [83]. ومما يرجح هذا الاستعمال أن بعض النماذج كانت تتـوفر على عروتين مزدوجتين [84]، وفي بعض الحالات على ثلاث عروات مزدوجة [85]، مما يعني أن الآنية كانت

---

[78] يورد "استرابون" (Strabon, XVII, 3, 2, 3, 8) ما يلي في هذا الباب :

« يمتد جنوب ليكسوس و كوطيس خليج يدعى خليج الوكالات التجارية، يتوفر على منشآت لتجار فينيقيين...». «وتشبهها، الخرافة التي تحكي أن الخلجان التي توجد بعد خليج المحطات كانت بها في الماضي منشآت صورية أصبحت الآن مهجورة ؛ وقد خرب الفاروزيون والنيكريتيون أكثر من ثلاث مائة مدينة عن آخرها...». « ينقد أرطيميدور ايراطوسطين ...؛ ولأنه يدعي بأن مدنا فينيقية كثيرة كانت موجودة في الماضي وتم تخريبها عن آخرها، بينما لا يمكن أن نجد أي أثر عنها...».

[79] Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 289.

[80] Pline, Histoire Naturelle, V, 2-4.

[81] Pline, Histoire Naturelle, XXXII, 15.

[82] Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 195.

[83] Maass-Lindemann (G), Vasos fenicios de los siglos VIII-VI en España. Su procedencia y posición dentro del mundo fenicio occidental, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, t. I, op. cit, p. 235.

[84] Ruiz Mata(D), Las ceramicas fenicias del Castillo de Doña Blanca, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, op. cit, p. 254 ; Gómez Bellard(C), **Céramique**, Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique,op. cit, p. 100, fig. 81.

تستخدم لنقل بضاعة ثقيلة[86]. بل أبرزت الدراسة التي قامت بها "ماريا بيلين وآخرون" للمواد الاثرية التي اكتشفها "طراديل" في استبار "البازيليك"، أن ليكسوس عرفت جرارا من هذا النوع لها ثلاث عروات ملتصقة من كل جانب[87] (انظر لوحة XXII رقم 135).

كما نشير كذلك الى الامفورات الفينيقية الكبيرة الحجم[88] التي كشفت ليكسوس على عدد من قطعها، دون أن يتم العثور لحد الساعة على أي نموذج كامل. ومن المعلوم أن الامفورة الفينيقية تنتمي الى صنف الاواني الخزفية التي كانت تستخدم لنقل البضاعة[89]، وبالتالي تنم عن النشاط التجاري للمركز الذي وجدت به. وبذلك مثلت "الحاوية" (container) المثالية للنقل عبر البحار خلال عصر التوسعات الفينيقية، بنفس الشكل الذي ستمثله فيما بعد الامفورة الرومانية الى حدود نهاية عصر الامبراطورية[90]. وهذا ما يفسر توفرها على فوهة ضيقة، التي تسمح حسب ما لاحظه "ميكيل طراديل" من إغلاقها بسهولة وبسرعة[91]. كما كانت حواشي وعروات هذه الامفورات تُحَزُّ بالمنشار في بعض الحالات، مما يعطي الانطباع بأن الامر يتعلق بإحدى وسائل المراقبة التي تمكن من تعليم محتوى البضاعة التي تتضمنها[92]. ومن حسن الصدف أن ليكسوس نفسها كشفت عن هذه الظاهرة، بعد أن تبين أن إحدى القطع المنتمية للامفورات الفينيقية كانت تتوفر على علامة منقوشة في الجانب الخارجي للجزء الموجود تحت الكتف[93].

---

(85) Schubart(H), El Asentamiento fenicio del s. VIII a. C. en El Morro de Mezquitilla (Algarrobo, Malaga), dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, op. cit, p.74, fig. 9a ; Maass-Lindemann (G), Vasos fenicios de los siglos VIII-VI en España. Su procedencia y posición dentro del mundo fenicio occidental, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, t. I, op. cit, fig. 2, n° 16, p. 236.

(86) يرى "جان أيميريك" أن الجرار من هذا النوع التي كانت مصبوغة بخطوط أفقية، كانت من النوع التي يتم غلقه، والتي تستخدم عادة في النقل والتخزين. انظر :

Gran-Aymerich(J. M), Malaga fenicia y púnica, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, vol. I, op. cit, p. 140.

كما يبدو أن هناك علاقة وثيقة بين عدد العروات وبين طبيعة المادة المحمولة. انظر :

Belén(M), Pereira(J), Cerámicas a torno con decoración pintada en Andalucía, **Huelva Arqueológica VII**, 1985, p. 323, fig. 5-9-16.

(87) Belén(M), Escacena(J.L), López Roa(C), Rodero(A), Fenicios en el Atlántico. Excavaciones españolas en Lixus : Los conjuntos "C. Montalbín" y "cata basílica", op. cit, p. 352, fig. 9, n° 135.

(88) يرى "دوكتير" (Docter) أن هناك فرقا بين الامفورات الكبيرة الحجم ذات الكتف البارزة التي كانت تستعمل للنقل، وبين الامفورات الصغيرة الفاخرة التي كانت تستعمل في المآدب، من صنف سانتاس رقم 235 و238 bis، أو من صنف II من تصنيف "ماس-ليندمان" (Maass-Lindemann). انظر :

Docter(R.F), Des amphores carthaginoises archïques au site de Toscanos, op. cit, p. 373.

(89) Gran-Aymerich(J. M), Malaga fenicia y púnica, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, vol. I, op. cit, p. 137.

(90) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 132.

(91) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 195.

(92) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 129.

(93) Belén(M), Escacena(J.L.), Rodero(A), López Roa(C), Materiales de época fenicia de las excavaciones de Tarradell conservados en el museo de Tetuán, op. cit, p. 93, fig. 4, p. 95.

وقد عرفت بعض المستوطنات الفينيقية نسبة عالية من هذه الامفورات، بلغت مثلا في مركزي "شورّيراس" (Chorrearas) و"صيرّو ديل فيار" (Cerro del Villar) 70% من مجموع الاواني الخزفية الفينيقية. وإذا كان الاعتقاد السائد بأن الامفورات الفينيقية استعملت خصيصا لنقل الزيت والخمر الى المجتمعات المتوسطية عبر التجارة الفينيقية[94]، فإن العثور على أمفورة فينيقية تحتوي على مصبرات السمك بمركز "أسينيبو" (Acinipo) بناحية رندة (Ronda)، يجعلنا نعتقد بأنها كانت تروج سلعا أخرى دون الخمر والزيت[95]، بما فيها السمك المملح أو مصبراته. وقد تأكد ذلك بعد اكتشاف أمفورات فينيقية كبيرة بمركز "ألمونيكار" (Almuñécar)، تحتوي على بقايا كثيرة من سمك التون والإبْزَميس[96].

الى جانب جرار النقل والتخزين من نوع *pithoi*، والى جانب الامفورات، عرفت ليكسوس أوان خزفية أخرى يعد وجودها علامة من علامات التجارة الفينيقية[97]، نذكر منها القارورات المعروفة بقارورات العطر الفينيقية[98]. وكانت هذه القارورات حسب "هيرمانفريد شوبارت" (H.Schubart) تستخدم كأداة لحزم المواد التجارية السائلة مثل البلسم والعطور[99]. كما يعتبر "فيرناندو لوبيز باردو" (Fernando Lopez Pardo) استنادا الى "رامون" (Ramon) أن هذه القارورات كانت تستعمل لحفظ الزيت المعطر[100]. بينما

---

(94) يشير الباحث الالماني "هيرمانفريد شوبارت" (H. Schubart) أن الامفورات الفينيقية كانت تستخدم كأداة لحزم المواد التجارية السائلة مثل الخمور. كما يذكر "دوكتير" (Docter) بأنها كانت تستعمل لنقل بعض المواد مثل الزيت والخمر. انظر :

Schubart(H), Asentamientos fenicios en la costa meridional de la peninsuma iberica, **Hueiva arqueologica VI**, 1982, p. 90 ; Docter(R.F), Des amphores carthaginoises archïques au site de Toscanos, op. cit, p. 376.

(95) وقد تم العثور على هذه الامفورة بداخل كوخ ينتمي الى عصر البرونز المتأخر، المؤرخ ابتداء من القرن الثامن قبل الميلاد. انظر :

Aguayo(P), Carrilero(M), Martinez(G), La presencia fenicia y el proceso de aculturación de las comunidades del Bronce Final de la depresión de Ronda (Málaga), op. cit, p. 570-571.

(96) وكانت هذه الامفورات تنتمي الى صنف رقم VI من تصنيف "مولينا" (Molina) للامفورات الفينيقية والبونيقية المكتشفة بمركز المونيكار. انظر :

Pellicer Catalán(M), Sexi fenicia y púnica, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, op. cit, p. 107.

(97) انظر مجموعة الاواني الخزفية الفينيقية التي تعتبر من علامات التجارة الفينيقية عند :

Gras(M), Rouillard(P), Teixidor(J), L'univers phénicien, op. cit, ch. IV, Le commerce phénicien - Le signe de l'échange, pp. 92-97.

(98) عثر "ميشيل بونسيك" (M. Ponsich) على أربعة نماذج من هذه القارورات في أقدم طبقة أركيولوجية بالاستبارات التي أجراها في معبد F. انظر :

Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 65.

(99) Schubart(H), Asentamientos fenicios en la costa meridional de la peninsuma iberica, op. cit, p. 90.

(100) Lopez Pardo(F), Reflexiones sobre el origen de Lixus y su Delubrum Herculis en el contexto de la empresa comercial, op. cit, p. fig. 8.

غير أن الباحث الاسباني "كارلوس كوميز بيبار" يرى في "معجم الحضارة الفينيقية والبونيقية" أن هذه القنينات كانت تستعمل لجمع الزيت. انظر :

Gómez Bellard(C), **Céramique**, Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique,op. cit, p. 100.

يعتبر عالم الآثار الايطالي "بييرو بارطولوني" (Piero Bartoloni)[102] أنها كانت تستخدم لحمـل الـدهان[101] (porta-unguenti).

وكيفما كان الحال، تجدر الاشارة في هذا الصدد أن "سكيلاكس" (Scylax) أورد أن التجار الفينيقيين الذين كانوا يقايضون سلعهم بسلع أهالي جزيرة قرنة –التي لم تكن بعيدة عن منطقة ليكسوس–[103]، كـانوا يحضرون لهم العطر، ضمن مجموعة من المواد التجارية الاخرى[104]. ولا غرو أن نذكر بالشهرة الكبيرة التي حظي بها الفينيقيون في تجارة العطور[105]. غير أن السؤال الذي يطرح نفسه، هو هـل وجـود هـذه القارورات في ليكسوس كان يقتصر فقط على الاستعمال اليومي للجالية الفينيقية، أم أن ليكسوس كانت تقـوم بتوزيع هذه السلعة المطلوبة في الاسواق المحلية، كما نفهم ذلك من نص الرحلة المنسوبة الى "سكيلاكس" ؟

II ـ البعد المؤسساتي والتجاري :

نظرا لعدم ورود أية رواية للتأسيس ترتبط بليكسوس، فإننا لا نعلم هل كان تشييد المستوطنة مخططا أم لا من طرف الفينيقيين كما هو الشأن بالنسبة لقرطاجة[106] وقادس[107]، حيث تخبرنا الايـستوريوغرافيا القديمة بوجود أساطير تتعلق بتأسيس المدينتين. كما لا نعلم شيئا عن المؤسسات السياسية التي كانـت تـسير ليكسوس، ولا عن علاقتها بمؤسسيها، ولا نعلم هل كان ينشطها القطاع الخاص الفينيقي أم القطاع العام.

غير أن تنصيص المصادر القديمة على حضور مؤسسة المعبد في ليكسوس، المتجسدة فـي معبـد ملقارت الذي يرمز الى المؤسسة المسؤولة في صور عن تنشيط تجارة أعالي البحـار[108]، يـوحي بـأن ليكسوس كانت واحدة من المستوطنات ذات البعد التجاري التي أسستها مدينة صور. ومما يـرجح ذلـك أن المصادر المتعلقة بالمغرب القديم أوردت بشكل أو بآخر أن الساحل الاطلنطي كان مرتبطا بصور. كمـا أن

---

[101] لانعلم هل يقصد بهذا الدهان إحدى مواد التجميل، أم دهان يصلح لاستعمالات أخرى.

[102] Bartoloni(P), Ceramica fenicia da Sulcis, op. cit, p. 198.

[103] يعتبر "روني روبيفا" أن كل ما ورد عند "سكيلاكس" حول تجارة الفينيقيين مع أهل جزيرة "قرنة" (Cerné) يتوافق بشكل جيد مع موقع "جزيرة سيدي يوسف" التي تبعد عن مصب واد سبو بحوالي 23 كلم. ومن بين ما اعتمد عليه لترجيح ذلك أن تَحَدُّثَ النص عن وجود جزيرة قرنة في منطقة تكثر فيها الكروم، يتطابق تماما حسب الرأي نفسه مع ما أوردته العديد من النصوص، التي أشارت الى العنب في رأس "سبارتيل"، وفي ناحية العرائش، وفي منطقة شمال غرب المغرب بصفة عامة. انظر :

Rebuffat(R), Recherches sur le bassin du Sebou II : Le périple d'Hannon, op. cit.

[104] Scylax, 112.

[105] العزيفي (محمد رضوان)، السلع المتبادلة بين الفينيقيين والمغاربة القدماء، المرجع السابق، ص. 212، هامش 17.

[106] حول رواية تأسيس قرطاجة انظر :

Justin, XVIII, 4-6 ; Frezouls(E), Une nouvelle hypothèse sur la fondation de Carthage, **Bulletin de Carrespondance Héllénique, LXXIX**, 1955. pp. 153-176 ; Moscati(S), L'épopée des Phéniciens, op. cit, p. 162-166 ; Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 196-199.

[107] من المؤلفين القدامى الذين خلفوا لنا أوفر المعلومات حول أصول قادس، نذكر "استرابون" (Strabon) و"فيليوس باتركولوس" (Velleius Paterculus) اللذين عاشا خلال القرن الاول الميلادي، واعتمدا على روايات مؤرخين ورحالة أكثر قدما. انظر :

Strabon, 3 : 5, 5 ; Velleius Paterculus, Hist. Rom., 1 : 2, 3.

وفيما يتعلق بالدراسات الحديثة التي عالجت موضوع رواية تأسيس قادس، انظر بالخصوص :

Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, 130-132.

[108] سوف نقدم المعلومات المتعلقة بمعبد ملقارت وعلاقته بتنشيط تجارة صور في الحوض المتوسطي في الفصل السادس عشر.

الحديث عن تماثل ليكسوس مع اثنتين من أهم المستوطنات التي أسستها مدينة صور، وهما قرطاجة وقادس، تجعلنا نفترض أن ليكسوس شيدت كذلك من طرف صور وفق بعد استراتيجي محدد، ممثلة واحدة من أهم وأقدم المنشآت الصورية.

1) ليكسوس وصور :

«كان تاريخ صور ومصيرها هي وبناتها المستوطنات الغربية يندمج مع تاريخ ملقارت ومصيره».

بهذه العبارة تفسر الباحثة "ماريا إوخينيا أوبيت" (Maria Eugenia Aubet) العلاقة التي كانت تجمع صور بمستوطناتها، التي يقوم فيها معبد ملقارت أي "ملك القرية" أو "سيد صور" بدور أساسي في الربط بينهما[109]. فعندما كان الصوريون يقومون بتأسيس مستوطنة لهم أو محطة تجارية، فإن من عادتهم تشييد معبد على شرف ملقارت، بهدف ربط الصلة الدينية بين المستعمرة والمدينة الام، وتأمين وصاية معبد صور على المشروع، وضمان تدخل الملكية في كل نشاط تجاري بعيد المدى، وإضفاء الشرعية على مؤسستهم، وضمان العلاقات التجارية السلمية مع المحليين[110]. لذا كانت جل مستوطنات صور مرتبطة بمعبد ملقارت، وخصوصا القديمة منها، مما يجعلنا نعتقد أن توسع صور نحو الغرب تزامن مع النشر التدريجي لعبادة ملقارت.

ويتبلور هذا الارتباط بملقارت بشكل واضح في قرطاجة حيث تندمج رواية تأسيس المدينة بملقارت[111]، وأيضا في قادس حيث كان المعبد سابقا لتشييد المدينة[112]؛ كما يتجسد هذا الارتباط في كل من أوتيكا[113] وليكسوس[114]. من هنا نلاحظ أن صورة ملقارت كانت مرتبطة بالمصالح الاقتصادية والسياسية لصور، مما جعله يتحول الى الإلاه الضامن لمشاريعها البحرية. لذلك لا نستغرب عندما حملت عليشا معها المواد الخاصة بملقارت، عند تفكيرها في تأسيس قرطاجة[115]، مما يؤكد على حضور القصر والمعبد في رواية تأسيس "المدينة الحديثة"[116]، الامر الذي يفسر إرسال قرطاجة سنويا منذ تأسيسها والى حدود العصر الهلينستي لعُشُر مداخيلها هبة لمعبد ملقارت بصور[117].

---

(109) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 135.

(110) Idem, Ibid, p. 136.

(111) Justin, XVIII, 4-6.

(112) Strabon, 3 : 5, 5.

(113) Pline, Histoire Naturelle, XVI, 216.

(114) Idem, Ibid, XIX, 63.

(115) يجدر التذكير هنا بأن عليشا كانت زوجة عاشربس أو زكربعل، الكاهن الاعظم لمعبد ملقارت بصور، أي الشخصية الاولى في الهرم الاجتماعي للمدينة بعد الملك.

(116) ترى "ماريا إوخينيا أوبيت" (Maria Eugenia Aubet) أن استعمال عبارة "قرط حدشت" سواء في "كيتيون" بقبرص أو في قرطاجة بما معناه "صور الجديدة"، يرجح أن التوسع الفينيقي كان مرتبطا بصور دون باقي المدن الفينيقية الاخرى. انظر :
Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 44.

(117) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 137 ; Gsell(S), Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord, t. I, p. 396.

هذا الارتباط الوثيق بين صور وملقارت وبين تأسيس المستوطنات، لا يمكن تفسيره إلا بوصاية ملك صور على المشاريع البحرية الفينيقية، وبالمساهمة المالية لمعبد ملقارت في تجارة الغرب[118]، التي كانت تعود الى المعبد وبالتالي الى القصر من فائض أرباح المستوطنات. وفي المناطق البعيدة التي كانت تتوفر على معبد لملقارت، فإن مهمته هناك كانت محددة، إذ تمثلت في توطيد وصاية معبد صور ووصاية الملكية على المشروع التجاري، وتحويل المستوطنة الى امتداد لصور. بل من المحتمل أن المستوطنات الصورية الاولى بالمتوسط مثل قادس وليكسوس كانت في بدايتها عبارة عن معابد صرفة تسيرها مجموعة كهنوتية مرتبطة مباشرة بمصالح صور[119]. وكيفما كان الحال، فإن صور كانت خلال القرن الثامن قبل الميلاد، أي خلال حدوث أهم مرحلة للتوسع، تعرف نوعا من السيادة على فينيقيا برمتها، مما يجعل منها المدينة المبادرة والفاعلة في تشييد أهم المستوطنات[120].

من خلال ما سلف، يبدو أن ليكسوس التي عرفت بدورها حضورا واضحا لمعبد ملقارت، كما أوردته المصادر القديمة وأفرزته المعطيات الاركيولوجية كما سنرى، تعتبر واحدة من أشهر المستوطنات التي كانت تابعة كذلك لصور. الامر الذي ينسجم تماما مع ما أورده "استرابون" (Srabon) سالفا في كون المنشآت الفينيقية التي كانت توجد بالساحل الاطلنطي للمغرب، كانت من تأسيس مدينة صور[121]. ولا يمكن تفسير تشييد الفينيقيين لمذبح أو معبد لملقارت بليكسوس خلال قدومهم لاول مرة الى الساحل الاطلنطي المغربي، إلا في إطار نفس السياسة التي نهجتها صور ومعبدها في التوسع التجاري الفينيقي.

وإذا كان حضور ملقارت بليكسوس يوحي بأن هذه المستوطنة كانت من تأسيس صور – نظرا لكون ملقارت لم يكن يعبد سوى في هذه المدينة دون غيرها من المدن الفينيقية الاخرى –[122]، فإن المعطيات الاركيولوجية المستخلصة من ليكسوس نفسها جاءت لتؤكد على هذه التبعية. فقد أثبت المنتوج الخزفي الفينيقي المكتشف في المستويات الاستراتيغرافية العميقة، خصوصا في اسثبار الخروب، أن أغلبه كان مستوردا من

---

(118) ألا يمكن أن نشبّه الدور الذي كان يقوم به معبد ملقارت في المشروع التجاري الفينيقي بدور الأبناك الحالية، التي تقرض المشاريع الاقتصادية وتستفيد من مداخيل الفوائد؟

(119) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 242.

(120) Cintas(P), Manuel d'Archéologie punique, t. I, op. cit, p. 90.

وحول الدور الرائد الذي قامت به صور في عملية التوسع الفينيقي نحو الغرب وتأسيس المستوطنات، انظر :

Bunnens(G), L'expansion phénicienne en Méditerranée (Essai d'interprétation fondé sur une analyse des traditions littéraires), op. cit, p. 291-299.

وترى "ماريا إوخينيا أوبيت" (Maria Eugenia Aubet) أن عملية التوسع الفينيقي لم تكن تنظمها سوى مدينة صور أو ربما مملكة صور–صيدا. انظر :

Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 29.

(121) Strabon, XVII, 3, 3 ; ap. Roget(R), Le Maroc chez les auteurs anciens, op. cit, p. 23.

(122) حول ملقارت إله صور، انظر :

Bonnet-Tzavellas(C), Le dieu Melqart en Phénicie et dans le bassin méditerranéen : culte national et officiel, **Studia Phoenica II**, pp. 195-207, Leuven, 1983 ; Dussaud(R), Melqart, **Syria XXV**, 1946-48, pp. 205-230 ; Picard(C.G.CH), Hercule et Melqart, **Hommages à Jean Bayet. Coll. Latomus LXX**, Bruxelles-Berchem, 1964, pp. 569-578 ; Xella(P), Le polythéisme phénicien, **Studia Phoenicia IV**, pp. 29-39, Namur, 1986 ; Aubet(Ma. E), Tiro y las colonías fenicias de occidente, op. cit, p. 132-137.

مدينة صور. ولعل أن الاستبار الاستراتيغرافي الذي أنجزه "بيكاي" (Bikai) في أعلى منطقة بصور ما بين سنة 1973 و 1974، وخصوصا الطبقات III- II من هذا الاستبار، المؤرخة ما بين 740 ق.م و 700 ق.م، كان حاسما في التأكيد على علاقة ليكسوس الوطيدة بصور، شأنها شأن العديد من المستوطنات القديمة التي تم تشييدها في الحوض المتوسطي. فقد كانت جل الانواع الخزفية المكتشفة بصور مشابهة تماما لمستويات الاستقرار الاكثر قدما بالمستوطنات الفينيقية بجنوب إسبانيا[123]، وبالطبقة رقم V باستبار الخروب بليكسوس. من بين هذه الانواع التي تنتمي بالخصوص الى الخزف الفينيقي ذي البرنيق الاحمر، نذكر الأباريق ذات القرص والأباريق ذات العنق النَّفَلي (Oenochoés à col tréflé) والقناديل ذات المشعل الواحد، والصحون ذات الحاشية البارزة، والصحون ذات الارجل الثلاثة، والجفنات[124]. كما نشير كذلك الى الامفورات الفينيقية التي تحمل رقم 7-4 SJ من تصنيف "بيكاي"[125]، وقارورات العطر التي كانت مشابهة تماما لنماذج ليكسوس[126].

وبالرغم من هذه العناصر المصدرية والاركيولوجية، تظل العلاقة بين ليكسوس وصور غير واضحة المعالم في جانبها السياسي، حيث نجهل جهلا تاما نوع المؤسسة التي كانت تقوم بتسيير شؤون المستوطنة، والطريقة التي كانت ترتبط بها مع المدينة الام. فهل كانت تتوفر على حكام من نوع القضاة أو "الشَّبَت"[127]، وعلى مجلس للشيوخ كما يعتقد "ستيفان كسيل" (S.Gsell) في أمر المستوطنات الفينيقية[128]؟ ونشير في هذا الصدد الى أن صور كانت تُحكم خلال العصر الكلداني بالشوفيت الممثلين لملك بابل وملك صور المسبي في بابل، الامر الذي حدا بالباحثة "ماريا إوخينيا أوبيت" الى الاعتقاد بأن بعض المستوطنات الغربية كقرطاجة كانت تحكم في البداية من طرف الشوفيت باسم ملك صور[129]. كما أن مستوطنة قادس وربما إيبيسا كانت خلال العصر البونيقي تتوفران على حكومة من القضاة أو "الشوفيت"، تسير الامور السياسية بهما بمساعدة مجلس للشيوخ، كما كان الحال في قرطاجة[130]. وكيفما كان الحال فإن مهمة الحاكم الملحق بالمؤسسات الاستعمارية هي مرآة لمؤسسة شرقية تعود الى أوائل الالف الاولى قبل الميلاد على الاقل، والتي كان الغرض منها تأمين الروابط الادارية بين المستعمرة والمدينة الام. ففي مستوطنة "كيتيون" (Kition) التي أسسها الفينيقيون بجزيرة قبرص، نتوفر على ما يثبت وجود حاكم إداري في أواسط القرن الثامن قبل الميلاد يدعى "عبد حيرام"، كان يحمل لقب "Sokhen" المطابق للامير أو الحاكم المحلي. وكانت مهمة هذا الحاكم

---

(123) إنها نفس الاشكال التي نجدها مثلا في الطبقة رقم I "بطوسكانوس" (Toscanos) أو "شوريراس" (Chorreras) بناحية مالقة.

(124) Bikai(P.M), The Pottery of Tyre, Warminster, 1978, pl. 8 A, e.f. h., p. 38 ; Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 297-298.

(125) Bikai(P.M), The Pottery of Tyre, op. cit, p. 46, pl. n° 3.

(126) Idem, Ibid, fig. V, 9-11.

(127) "شبت" كلمة فينيقية مرادفة لكلمة "شابيتوم" الاكادية ولكلمة "شوفيت" العبرية، أي القضاة الذين حكموا دولة اسرائيل. انظر : Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 128.

(128) Gsell(S), Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord,op. cit, t. II, p. 292.

(129) هذا بالرغم من كون بعض المؤلفين يحددون ظهور الشوفيت في قرطاجة بعد القرن الخامس أو الثالث قبل الميلاد. انظر : Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 128.

(130) Bunnens(G), L'expansion phénicienne en Méditerranée, op. cit, p. 289 ; Lipinski(E), Vestiges phéniciens d'Andalousie, **Orientalia Lovaniensia Periodica 15** (1984), p. 93-100.

تزويد صور بالنحاس، وإدارة المستوطنة، وضمان الروابط السياسية بالمدينة الام ؛ مع أن هيمنة ملك صور على مستعمرة "كيتيون" كانت مطلقة[131].

ولعل أن العنصر الوحيد الذي يمكن أن يفيدنا في مسألة المؤسسات السياسية بليكسوس، ولو أنه عنصر متأخر من الناحية الكرونولوجية، تمثله مجموعة النقود التي تحمل عبارة " م ب ع ل ل ك ش " باللغة البونيقية. وحسب "جاك أليكساندروبولوس" (J.Alexandropoulos)[132]، نقرأ هذه العبارة بما معناه "بعول ليكسوس" أو "صادر عن بعول ليكسوس"، أي مواطنو ليكسوس. كما يمكن أن تتضمن حسب محمد فنطر ما معناه "خاص ببعول لكش"، أي "ملك لأسياد ليكسوس"[133]. وهذا يوحي حسب هذه القراءة بأن السلطة التي كانت مسؤولة عن سك العملة في ليكسوس مثلتها طبقة الاعيان، التي ربما كانت تحكم الى جانب الملك. فهل هذا يعني أن ليكسوس ورثت قسطا من مؤسسات صور، وبالتالي عرفت مجلسا على غرار مجلس الشيوخ الذي كان موجودا في سائر المدن الفينيقية، والذي كانت سلطته تضاهي أحيانا سلطة الملك[134] ؟

وإذا كان الامر كذلك، فهذا يعني أن دور القطاع الخاص كان حاضرا في المستوطنات الفينيقية الى جانب دور القطاع العام. غير أن الحديث عن هذه المسألة يقتضي الدخول في نقاش محفول بالصعوبات، نظرا

---

(131) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 128.

(132) Alexandropoulos(J), Le Monnayage de Lixus : Un état de la question, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), Collection de l'Ecole française de Rome, n° 166, Palais Farnèse, 1992, p. 249.

(133) Fantar(Mh), La religion phénicienne et punique de Lixus : témoignages de l'archéologie et de l'épigraphie, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), Collection de l'Ecole française de Rome, n° 166, Palais Farnèse, 1992, p. 120.

(134) كان ملوك صور يستشيرون في الشؤون السياسية والتجارية "مجلسا للشيوخ" أو ممثلي العائلات القوية بالمدينة، التي ولجت أعلى المراتب الأجتماعية ربما بفضل احتراف التجارة. وكانت هذه المؤسسة موجودة في فينيقيا منذ أواسط الالف الثانية قبل الميلاد، كما نفهم ذلك من مراسلات صور وجبيل مع فراعنة العمارنة، حيث تم نعتها باسم "المدينة" أو "هم". وفي عهود أحدث، أصبح مجلس الشيوخ أقوى مما كان عليه في السابق، وبدأ يحظى بنفس سلطة الملك. وهو المجلس الذي أطلق عليه اسم "أسياد المدينة" في جبيل، و"كبار المدينة" في شومور، و"رجال أرواد" في أرواد. كما عرف هذا المجلس في التوراة باسم "الامراء التجار" في سفر إشعياء، وباسم "أمراء البحر" في سفر حزقيال. والمقصود بهم النخبة التجارية بالمدينة التي أطلق عليها "أريانوس" (Arianus) فيما بعد "الصوريون المهمون"، ونعتهم "بوليبيوس" (Polybe) "بأسياد قرطاجة"، أي مجلس العشرة الذي مثل في قرطاجة قاعدة السلطة السياسية، التي تحملها في بعض الظروف الخاصة عضوان اثنان منهم وهما "الشوفيت".

مجلس الشيوخ هذا نجده واردا في ألواح العمارنة تحت اسم "شيبوتو" بالاكادية. كما نجده في رواية "ونامون" عندما قام ملك جبيل "زكربعل" باستشارة مجلس عرف باسم "الموعد"، في أمر طلب تسليم "ونامون" الى الحكر. كما أكدت عن وجوده ما بين القرن السابع قبل الميلاد والقرن الثالث قبل الميلاد المصادر الآشورية والعبرية والاغريقية في صور وجبيل وقرطاجة، باعتباره مجلسا يهتم بالشؤون الدينية وبالضرائب. بل أكدت كتابة مدينة "ساريبتا" (Sarepta) الفينيقية أن لجنة تتكون من عشرة أفراد كانت تحكم أراضي المدينة. وفي المعاهدة المبرمة بين الملك الآشوري "أسرحدون" و"بعل" ملك صور، يورد ذكر "شيوخ بلدك" تحت اسم "بارشاموتو" (Parshamutu).

غير أننا لا نعلم بدقة ما هي مهمة هذا المجلس وما هي مسؤولياته السياسية، وهل كانت وظيفته استشارية أو كان يمثل جزءا من الحكومة. لكنه من الثابت أنه تألف من الضباط الكبار ومن النبلاء، على نمط المدن الميزوبوتامية خلال العصر الكلداني. وكان أعضاء هذا المجلس يدعون بالفينيقية "شبت"، المرادفة لكلمة "شابيتوم" الاكادية ولكلمة "شوفيت" العبرية. انظر :

Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 126-128.

للغياب الشبه التام للمعلومات المتعلقة بهذا الموضوع، بحكم ارتباطه بالاطار العام الذي تطورت فيه ظـاهرة الاستيطان الفينيقي. أي أنه يتطلب معرفة هل هذه الظاهرة كانت مرتبطة بمؤسسة الدولة، أو على العكس من ذلك، كانت مرتبطة بطبقة أوليكارشية تجارية قوية[135].

وفيما يتعلق بالفرضية الاولى، فمن المعلوم أن تنظيم تجارة المسافات الطويلة، المتميزة بإرسال بعثات متكررة، والمتوفرة على مستوطنات ثابتة، يقتضي بالضرورة أن مدينة صور، كانت على معرفة سابقة بمـا تختزنه المناطق التي تريد استغلال خيراتها قبل الانـدفاع في مغامرة استيطانية باهضة الثمن. الامر الـذي يعكس حسب "ماريا إوخينيا أوبيت"[136] وجود مؤسسة موجهة، أي وجود نشاط منظم من طـرف الدولـة. وعلى العموم، فمن المعتاد أن تكون تجارة المسافات الطويلة في يد مؤسسة تراقبها الدولة، أو علـى الاقـل خاضعة لمصالحها. ومن المعلوم أن وجود الدولة كان في مقدورها تحمل مراقبة تجارة أعالي البحار، كمـا كانت تملي نوعية البضائع المتبادلة، وتقر مستحقاتها[137]. وفي هذه الحالة، يمثل التاجر طبقة مهنية متخصصة في خدمة صور.

أما الفرضية الثانية، فإنها تعتبر أن عملية التوسع الفينيقي نشطها القطاع الخاص، وأنها كانت علـى شكل مؤسسة متجهة نحو جمع الفوائد من لدن طبقة برجوازية ميركانتيلية قوية ومنظمة حول شركات تجارية أو شركاء مساهمين، وحول سفانين وملاحين، قادرين على تمويل المصاريف المرتفعة للنقل الذي تمليه أسفار المسافات البعيدة[138]. وهذا يقتضي أن مدينة صور عرفت طبقة أوليكارشية تجارية، تمتلك أسطولا بحريـا خاصا بها، ورأس مال خاص، ووكلاء في الغرب[139]. وإذا كان "استرابون قد لمّح الى أن قـادس كانـت

---

(135) حول مسألة القطاع العام والقاع الخاص في التجارة الفينيقية، انظر :

Bondi(S.F), Note sull'economia fenicia - I : Impresa privata e ruolo dello stato, op. cit, p. 143 ; katzenstein(H.J), The Phoenician term habūr in the Report of Wen-Amon, in **Atti del I Congresso internazionale di studiu Fenici e Punici,** Roma 1983, Vol. II, pp. 599-602 ; Frankenstein(S), The Phoenicians in the Far West : a Function of Neo-Assyrian imperialism, op. cit, pp. 287-289 ; Bunnens(G), L'expansion phénicienne en Méditerranée, op. cit. p. 79 ; Liverani(M), La dotazione dei mercanti di Ugarit, **Annali dell'Instituto di Numismatica 26** (1979), p. 20 ; Polanyi(K), Arensberc(C.M), Pearson(M.W), (eds.), Comercio y mercado en los imperios antiguos, op. cit, pp. 72 - 74, 112, 164-170, 306-307.

(136) Aubet(M. E), Los Fenicios en España : Estado de la cuestion y perspectivas, op. cit, p. 29.

(137) Curtin(P.D), Cross-cultural Trade in World History, op. cit, p. 14.

(138) Aubet(M. E), Los Fenicios en España : Estado de la cuestion y perspectivas, op. cit, p. 29.

(139) وقد ارتكز المدافعون عن هذه الفرضية على أن مجموعة من المنشآت الفينيقية بناحية وادي "فيليز" (Vélez) و"وادي الخروب" (Algarrobo)، طورت بعض الانشطة الهامة في المجال المعدني والسمكي والزراعي والرعوي. وهذا يوحي بتمتع هذه المراكز بنوع من الاستقلال الاقتصادي منذ وقت مبكر، مما يرجح وجود نمط من التوسع الغير المنتظر على نطاق صغير، والمنظم من لدن مجموعات صغيرة من التجار. ومن المعلوم في هذا الصدد، أن الفينيقيين كانوا يتوفرون عند استقرارهم بإسبانيا، على قرون طويلة من التجربة في مجال المبادلات، ويحظون بتجارة منظمة بشكل رفيع، وبتقاليد نقابية متينة. انظر :

Warning Treumann(B), The Ancient Word I, 1978, p. 17-20 ; Tsirkin(Y.B), Economy of the Phoenicians Settlements in Spain, in Lipinski(E), **State and Temple Economy in the Ancient Near East II**, Leuven, 1979, pp. 547-564 ; Aubet(M. E), Los Fenicios en España : Estado de la cuestion y perspectivas, op. cit, p. 29.

تتوفر على طبقة من التجار الاغنياء تمتلك سفنا تجارية كبرى[140]، واستطاعت مدافن "ألمونيكار" (Almuñécar) و"طرايامار" (Trayamar) و"لوس طوسكانوس" (LosToscanos) أن تعكس الوضعية الاجتماعية لهذه الطبقة[141]، فإن ليكسوس لم تستطع أن تثبت ما إذا كانت تتوفر بدورها على وكلاء تجاريين أقوياء يشرفون على تنشيط التجارة بأمر من صور أو تحت وصايتها.

2) ليكسوس في تماثل مع قرطاجة :

« بالتأكيد سنندهش أقل من القصص الخيالية الهائلة لإغريقيا حول هذه المواضيع وحول نهر ليكسوس، إذا خطر ببالنا أن كتابنا، رووا مؤخرا في الموضوع نفسه بعض الحكايات تكاد تكون أقل غرابة : فمدينة ليكسوس كانت قوية جدا وأكبر من قرطاجة الكبيرة ؛ بالاضافة الى ذلك كانت توجد قبالة قرطاجة...، علاوة على حكايات أخرى تعجل كورنيليوس نيبوس بتصديقها ».

من خلال هذا الكلام الذي أورده "بلينيوس" (Pline)[142]، يسترعي انتباهنا كيف أن ليكسوس كانت خلال ماضيها تعتبر قوية في نظر بعض المؤلفين القدامى وذات مساحة كبيرة، لدرجة أنهم كانوا يقرنونها بقرطاجة. وإذا كان "كورنيليوس نيبوس" (Cornelius Népos)، المؤرخ اللاتيني الذي عاش في القرن الاول قبل الميلاد[143]، متيقنا من المعلومات التي أوردها ومصدقا لها رغم نقد "بلينيوس" ، فذلك يعزى لاريب الى أن ذاكرة ليكسوس استطاعت أن تبقى حية خلال عصر أوج الانتاج التاريخي الروماني. صحيح أننا غير متيقنين من المرحلة التي كانت فيها ليكسوس قوية وكبيرة حسب ما رواه "كورنيليوس نيبوس" ، لكن

---

(140) يورد "استرابون" (Strabon, II, 3, 4) ما يلي :

« في هذه المدينة [قادس] بالفعل، بينما يجهز الاغنياء سفنا كبيرة للابحار، يقوم الفقراء باستئجار مراكب صغيرة... ».

(141) أكدت قبور "طرايامار" و"ألمونييكار" و"لوس طوسكانوس"، على وجود تجار متخصصين في شبه الجزيرة الايبيرية، وذوي رتبة مسيطرة على النشاط الاقتصادي والتجاري لهذه الشبكة الاستيطانية. بل تنم نماذج "طرايامار" عن أهمية المؤسسات الخاصة أو الشركات الموحدة، التي تبوأت في فينيقيا أعلى مرتبة اجتماعية. ومن خلال وثائق الشرق القديم، كانت هذه الشركات التجارية، المؤلفة عموما من عائلات تنتمي الى الاوليكارشية الميركانتيلية القريبة جدا من القصر والمعبد، تدعى "حِبْروم" (hibrum) التي تعني الجمعية التجارية أو الاتحاد العائلي. وتجدر الاشارة في هذا الصدد أن كلمة "عائلة" أو "بيت" (bit, bitum) بالاكادية تعني أيضا "شركة"، وأن كلمة "أخ" أو "أخوة" بالاوكاريتية تعني أيضا "شريك" أو "شركة". من هنا يبدو أن المدافن الفينيقية ومحتوياتها المكتشفة في إسبانيا، توحي بوجود وكلاء تجاريين في الغرب ذوي مرتبة اجتماعية مرموقة، ومجموعات عائلية من أعلى النخب تتوفر على مقر دائم في ناحية مضيق جبل طارق. وربما مثلت هذه المجموعات جزءا من شركات تجارية موحدة تحظى بالمقدرة والنفوذ الكافيين لِتَمَكُّنها من الاحراز على مواد البذخ مثل الجرار المرمرية الواردة من مصر، والتي تعتبر في الشرق بمثابة قطع خاصة بالدورات التبادلية التي كانت تقام بين البيوت الملكية لصور والسامرة وآشور. انظر :

Culican(W), Almuñécar, Assur and Phoenician Penetration of the Western Mediterranean, **Levant II**, 1970 ; Maass-Lindemann(G), Toscanos 1971, und die importdatierte westphönikische Grabkeramik des 7/6 Jhs. v. Chr., **Madricler Forschungen VI, 3**, 1982 ; Pellicer Catalan(M), Excavaciones en la necropolis punica "Laurita" del Cerro de San Cristobal (Almuñécar, Granada), **Excavaciones Arqueologicas en España**, (Madrid, 1962) ; Schubart(H) et Niemeyer(H.G), Trayamar. Los hipogeos fenicios y el asentamiento en la desembocadura del Río Algarrobo **(Excavaciones Arqueológicas en España 90)**, Madrid, 1976 ; Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 273-275.

(142) Pline, Histoire Naturelle, V, 2-4 ; ap. Desanges(J), Sources littéraires antiques sur Lixos, op. cit, p. 407.

(143) مؤرخ لاتيني عاش خلال القرن الاول قبل الميلاد (99 ق.م – 24 ق.م)، وصاحب كتاب " *De excellentibus ducibus* " (حياة القادة الكبار).

مقارنة ليكسوس بقرطاجة دون سواها من العواصم الشهيرة، سواء من حيث القوة الاقتصادية والتوسع العمراني، أو من حيث استراتيجية الموقع الذي كان «***يوجد قبالة قرطاجة***»، توحي بأن ليكسوس كانت تمثل خلال العصر الفينيقي نوعا من "قرط حدشت" في أقصى الغرب الفينيقي. وهذا أمر لاينبغي الاستغراب منه، علما أن المنشآت الفينيقية المكتشفة في إسبانيا، والتي يفوق عددها العشرين، لايوجد أي ذكر لها في الايستوريوغرافيا القديمة، في حين تعد حصة المصادر القديمة التي أفرزت بشكل أو بآخر الجذور الفينيقية بليكسوس أوفر بكثير مما ساقته نفس المصادر حول المنشآت المكتشفة باسبانيا باستثناء قادس.

وهذا يعني، كما يرى "جيهان ديزانج" (JehanDesanges)[144]، أن التصور الفينيقي لتوزيع مجال النفوذ، كان يهدف من وراء اختيار موقع ليكسوس، الى توفر مستوطنة فينيقية في موسطة الساحل الاطلنطي الافريقي، بنفس التصور الذي كان من وراء تأسيس قرطاجة في موسطة الساحل المتوسطي، وقادس في موسطة الساحل الاطلنطي الايبيري.

غير أن مضاهاة ليكسوس بمنشأة ذات أهمية كبرى لم تكن تقتصر على قرطاجة وحدها، بل نجدها تهم منشأة أخرى ذات أصل فينيقي وذات شهرة كبيرة في الايستوريوغرافيا القديمة، وهي قادس. الامر الذي يوحي بأن ليكسوس كانت تمثل إحدى أقطاب الثالوث الفينيقي الاستيطاني في الغرب المتوسطي الذي سارع الفينيقيون الى تشكيله منذ بداية توسعاتهم البحرية.

3) ليكسوس وقادس، مسألة التبعية :

لاريب أن روابط من نوع خاص كانت تجمع ليكسوس وقادس خلال العصر الفينيقي. فعندما أراد "استرابون" أن يحدد موقع ليكسوس، فإنه أقام قياساته الحسابية بالنسبة لمدينة قادس[145]. الامر الذي ينم، كما يلاحظ "جيهان ديزانج" (JehanDesanges)[146]، على الارتباط المتين الذي كان يقترن بالمدينتين في ذاكرة المصادر الادبية القديمة، بحكم الدور المهم الذي لعبته كل واحدة منهما في عملية التوسع الفينيقي. كما أن القياسات الحسابية الدقيقة والصحيحة التي أوردها "استرابون" في شأن ليكسوس وقادس، تعكس بدورها الروابط التي كانت تجمع المستوطنتين الفينيقيتين في التصور الهندسي للحواشي الغربية للعالم المأهول. هذه الروابط تتجلى في مجال آخر لدى "استرابون"[147] نفسه في رواية منقولة عن "بوسيدونيوس" (Poseidonios) ورد فيها أن بحارة قادس الاكثر فقرا كانوا يردون باستمرار على مشارف نهر ليكسوس لصيد السمك، وأنهم كانوا أحيانا يتجاوزون مجازفة هذه النواحي التي كانت مألوفة لديهم. وعندما استحضر "بلينيوس الشيخ" (Pline l'Ancien) معبد ملقارت بليكسوس باعتباره معبدا قديما، فإنه لم تفته الفرصة لكي يقارنه بمعبد قادس، معتبرا معبد المدينة المغربية أقدم من نظيره بالمدينة الاسبانية[148].

---

(144) Desanges(J), Lixos dans les sources littéraires grecques et latines, op. cit, p. 6.

(145) Strabon, XVII, 3, 2 ; ap. Roget(R), Le Maroc chez les auteurs anciens, op. cit, p. 22.

(146) Desanges(J), Lixos dans les sources littéraires grecques et latines, op. cit, p. 5.

(147) Strabon, II, 3, 4.

(148) Pline, Histoire Naturelle, XIX, 63 ; ap. Desanges(J), Sources littéraires antiques sur Lixos, op. cit, p. 407 ; Roget(R), Le Maroc chez les auteurs anciens, op. cit, p. 35.

ومع ذلك فإن العديد من الباحثين المحدثين لم ينتبهوا الى صدى هذا الارتباط بين ليكسوس وقادس الوارد في ذاكرة الايستوريوغرافيا القديمة، والذي ينم عن المكانة التي حظيت بهما كل من المستوطنتين في اقتسام المجال إبان مزاولة الفينيقيين لانتشارهم في الواجهة الاطلنطية الافريقية والاوروبية. بل دأب معظم هؤلاء الباحثين، وجلهم من الاسبان، على مطاوعة الرأي الذي كان يتبنى منذ مدة فكرة أهمية قادس على حساب ليكسوس في عملية التوسع الفينيقي نحو أقصى الغرب.

ففي هذا الباب، يرى مثلا الباحث الاسباني "فيرناندو لوبيز باردو" (Fernando LopezPardo) أن تشييد ليكسوس يندرج ضمن سياسة تشييد المستوطنات الفينيقية التي كانت تراقبها وتوجهها مدينة قادس[149]. ويبرر ذلك بكون اختيار موقع ليكسوس يكمن في كونه كان يوجد في الطريق "المجهولة للجنوب"[150]، حيث كانت المصالح التجارية لقادس[151]. وهي المصالح التي كانت تتطلب، حسب الباحث نفسه، تشييد منشأة لدعم التجارة الفينيقية، نظرا لكون المجال غير المراقب كان شاسعا. وبذلك يرى "فيرناندو لوبيز باردو"[152] أن تشييد ليكسوس كان يندرج ضمن الاستراتيجية التجارية المعهودة في التوسع الفينيقي، حيث يبدو أن مجموعة قوية من التجار الفينيقيين كانت تسير مسار هذا التوسع برمته، بشكل يجعله مرتبطا بمجموعة من المعابد، خصوصا معبد ملقارت. وهي المعابد التي كان دورها ربط علاقات التبعية لمدة طويلة اتجاه "كادير" (Gadir)، التي تقوم بدورها بهمزة الوصل بصور.

وفيما يتعلق بالمعثورات الفينيقية المكتشفة بليكسوس، نلاحظ باستغراب كيف يجعلها مرتبطة بقادس، حيث يصرح في هذا السياق قائلا : « ***في ليكسوس نمت المواد الاركيولوجية مرة أخرى عن العلاقات المتينة بقادس وبالمستوطنات الاسبانية فيما يخص القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد***»[153]. وهذا ما حدا بباحث إسباني آخر، وهو "رويز ماطا" (D.RuizMata) الى اعتبار أن ليكسوس -وموكادور أيضا- كانت تابعة بشكل مطلق لكادير[154].

ونقزيما لدور ليكسوس على حساب قادس، يرى "فيرناندو لوبيز باردو" في سياق آخر، أن مسألة التوأمة بين ليكسوس وقادس، التي نستشفها من خلال النصوص الادبية، كانت بمثابة ظاهرة تم خلقها لاحقا، وبالتالي يعتبر أنه من المستحيل أن ينسب لليكسوس أي امتياز على قادس في النسق الاستيطاني الفينيقي بالغرب. بل ينفي حتى فكرة المعاصرة الحاصلة بين ليكسوس وقادس، ويستبعد أية مقارنة في الاهمية الاقتصادية بينهما[155].

---

(149) Lopez Pardo(F), Reflexiones sobre el origen de Lixus y su Delubrum Herculis en el contexto de la empresa comercial ..., op. cit, p. 90.

(150) Idem, Ibid, p. 94.

(151) Idem, Ibid, p. 94.

(152) Idem, Ibid, p. 94.

(153) Idem, Ibid, p. 94, note n° 38.

(154) Ruiz Mata(D), Las ceramicas fenicias del Castillo de Doña Blanca, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, op. cit, p. 260.

(155) Lopez Pardo(F), Reflexiones sobre el origen de Lixus y su Delubrum Herculis en el contexto de la empresa comercial fenicia, op. cit, p. 91, note n° 24.

وفي هذا السياق، يعتبر الباحث الاسباني[156] أن قادس تأسست قبل ليكسوس، نظرا للعلاقة التي ربطت قادس بطرطسوس (Tartessos)، ولارتباط رواية تأسيسها بالوحي الالهي. ويعزز رأيه هذا بكون طرطسوس مثلت نقطة الجذب، وقادس لعبت دور المستوطنة ومرسى الشحن، الذي تم تشييده في أحسن موقع للاتجار مع طرطسوس. ويضيف في هذا الصدد بأن ليس هناك أي مجال آخر لتشبيه هذا الاجتذاب الحاصل بين الجانبين، بحيث لايوجد جنوب مضيق جبل طارق، حسب رأيه، ما يمكن أن يستميل مصالح التجار الفينيقيين عند بداية توسعاتهم بشكل أقوى مما كانت توفره طرطسوس.

وبذلك يخلص "فيرناندو لوبيز باردو" إلى كون مسألة البعد المتساوي بين قادس وليكسوس انطلاقا من مضيق جبل طارق، الواردة لدى "استرابون"[157] وربما لدى "سكيلاكس" (Scylax)[158]، لا يمكن تفسيرها بتقسيم مجالي للمحيط الاطلنطي بين المدينتين. كما يشك في قضية أهمية وأسبقية تأسيس معبد ليكسوس على حساب معبد قادس الشهير.

من هنا نلاحظ كيف يرفض الباحث الاسباني فكرة اقتسام المستوطنتين الفينيقيتين للمجال بالساحل الاطلنطي المقابل لهما، الناتج عن تقسيم مزدوج الاتجاه للتوسع الفينيقي بأقصى الغرب، والمتميز بوجود معبدين توأمين، يراقب الاول المنطقة الموجودة شمال المضيق، والثاني المنطقة الموجودة جنوبه.

ولم يكن هذا الرأي فريدا من نوعه، بل كان يندرج ضمن مجموعة من الدراسات الحديثة التي تعرضت بشكل أو بآخر لليكسوس خلال العصر الفينيقي، والتي كانت مجحفة نوعا ما في حقها، حيث كانت تعمل بقصد أو بغير قصد على التقليل من مكانتها مقارنة بموقف الدراسات نفسها من المستوطنات الفينيقية الأخرى المعاصرة لها. الامر الذي يحز إلى محاولة إعادة الاعتبار للدور الذي ربما لعبته ليكسوس على طول الساحل الاطلنطي للمغرب باعتبارها أهم مستوطنة فينيقية بالمنطقة[159].

ولا شك أن ندرة النصوص القديمة المتحدثة عن ليكسوس كمستوطنة فينيقية، وعدم الاطلاع الكافي على ما يوفره المركز من معلومات أركيولوجية تنتمي الى العصر الفينيقي، كان من وراء فراغ المجال أمام الكتابات الأجنبية الحديثة، لتؤول ما تريد تأويله وتستنبط ما تريد استنباطه في شأن المرحلة الأولى من تاريخ ليكسوس. ففي مسألة التأسيس، التي يعتمد فيها جل المؤرخين على المصادر التاريخية، نلاحظ باستغراب كبير كيف يحافظ بعض الباحثين المحدثين على سنة 1110 قبل الميلاد كتاريخ مرجعي لتأسيس قادس في إسبانيا[160]، في حين يحددون تاريخ تأسيس ليكسوس بالقرن الخامس أو القرن السادس قبل الميلاد[161] أو

---

(156) Idem, Ibid, p. 91, note n° 24.

(157) Strabon, XVII, 3, 2

(158) Scylax, 112.

(159) حاولت أن أرد الاعتبار لما عانت منه ليكسوس من تقزيم على حساب قادس، في المقالة التي تم نشرها في مجلة المصباحية. انظر : العزيفي (محمد رضوان)، مستوطنة ليكسوس الفينيقية في الكتابات القديمة والحديثة "محاولة لرد الاعتبار"، المرجع السابق.

(160) من المؤرخين الذين يميلون إلى هذا الاحتمال نذكر "كرسيا بيبيدو"(Antonio Garcia y Bellido) و"بيير سانتاس" (P. Cintas). انظر : Garcia y Bellido(A), Fenicios y Carthagineses en occidente, op. cit, p. 5-28 ; Cintas(P), Manuel d'Archéologie punique, t. I, op. cit, p. 248-269.

غير أننا نلاحظ أن "ماريا إوخينيا أوبيت" (Maria Eugenia Aubet) تجعل تاريخ تأسيس قادس في حدود 1104 أو 1103 قبل الميلاد. انظر :

بالقرن السابع على أكبر تقدير[162]. هذا مع العلم أن رواية "بلينيوس الشيخ" السالفة الذكر[163] تورد أن ليكسوس كان بها معبد لهرقل أقدم من معبد قادس. وبالطبع، ليس من المنطقي أن نعتمد على هذه الرواية لنقرر أن ليكسوس تأسست قبل قادس، لكن من حقنا أن نشك أيضا في قدم تأسيس قادس، لأن المدافعين عن قدم هذه المدينة اعتمدوا من بين ما اعتمدوا عليه على رواية أخرى مفادها أن قادس تأسست ثمانين سنة بعد حرب طروادة الأسطورية[164].

أما فيما يخص مكانة ليكسوس خلال العصر الفينيقي، فإننا نلاحظ أنها عرفت تسترا أو تنكرا من طرف المؤرخين المحدثين، ودائما على حساب شقيقتها الفينيقية قادس. ألم يكن "بيير سانتاس" (Pierre Cintas) مجحفا في حق ليكسوس عندما خصص لها ثلاث صفحات فقط في كتابه "موجز الاركيولوجيا البونيقية" (Manuel d'Archéologie punique)[165]، مقابل اثنين وعشرين صفحة مخصصة لقادس وحدها[166]؟

إنها الملاحظة نفسها التي تبرز أيضا في كتاب "ماريا إوخينيا أوبيت" (Maria Eugenia Aubet) "صور والمستوطنات الفينيقية بالغرب" (Tiro y las colonias fenicias de occidente)، الذي يعتبر من أهم المنشورات في موضوع التوسع الفينيقي. فمقابل خمسة و عشرين صفحة مخصصة لقادس[167] لم تتحدث عالمة الآثار الإسبانية عن ليكسوس سوى في حدود ثلاث صفحات، اعتبرت فيها المدينة المغربية تابعة لمجال تجارة قادس في المحيط الاطلنطي المغربي. ولم تقتصر هذه الصفحات على الاحاطة بليكسوس وحدها، بل كانت تخص أيضا المحطة الفينيقية بجزيرة الصويرة[168]. وفي الاصدار الجديد لنفس الكتاب، شددت "ماريا إوخينيا أوبيت" من جديد على أن ليكسوس كانت تابعة "للنطاق الثقافي القادسي"[169]. وفي مجال آخر، اعتبرت أن نشأتها كانت ذات علاقة بمصالح قادس وبمبادرة منها[170].

ولا شك أن هذا التصور كان ينضوي تحت الرؤية الإستعمارية التي درس بها تاريخ المغرب خلال مرحلة ما قبل الاستقلال، خصوصا من طرف المؤرخين الإسبان. و قد أفرز هذا التصور بوضوح الدور المبالغ الذي حاول معظم الباحثين –الإسبان وغيرهم– إسناده إلى إسبانيا في توجيه و تنظيم التوسعات الفينيقية

Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 81-93.

(161) Cintas(P), Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc, op. cit, p. 62-64.

(162) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 222-223

(163) Pline, Histoire Naturelle, XIX, 63 ; ap. Desanges(J), Sources littéraires antiques sur Lixos, op. cit, p. 407 ; Roget(R), Le Maroc chez les auteurs anciens, op. cit, p. 35.

(164) Velleius Paterculus, I, 2-3

(165) Cintas(P), Manuel d'Archéologie punique, t. I, op. cit, p. 246-248

(166) Idem, Ibid,p.248- 269.

(167) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 229-253.

(168) وهذا ما يفهم من خلال عنوان المبحث. انظر :
Idem, Ibid, " El comercio atlantico: Lixus y Mogador", p. 253-255.

(169) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, Barcelona, 1994, p. 257-258.

(170) Aubet(Ma. E), Cádiz y el comercio atlántico, **IV congreso internacional de Estudios fenicios y púnicos, t. IV, Cádiz, 2000**, vol. I, p. 35.

نحو السواحل المغربية[171]. ذلك أنهم كانوا يربطون دائما قدوم التجار الساميين إلى أقصى الغرب المتوسطي بغنى معادن إيبيريا، وكأن أراضي شمال إفريقيا -خصوصا المغربية منها- كانت خالية من كل ما يمكن أن يثير انتباه البحارة القدامى[172]. وفي هذا الصدد يقول "ميكيل طراديل": « ***إن المد الذي قام به العالم الفينيقي نحو شمال غرب المغرب يجب النظر إليه تبعا للعمل الفينيقي في الأندلس*** »[173].

ولعل أن أكبر مبالغة قام بها المؤرخون المحدثون في شأن تأثير إسبانيا على المغرب خلال العهد الفينيقي كانت عند حديثهم عن مدينة قادس، حيث كانت تعتبر في العديد من الحالات همزة الوصل الرابطة بين فينيقيا والمغرب. كما اعتبر بعضهم أمثال " فرانسوا فيلار" (F.Villard)[174] و"خوصي ماريا بلاسكيس" (J.Ma.Blazquez)[175] أن الملاحة البحرية عبر الشواطئ المغربية كانت في يد فينيقيي قادس. بل يعتقد "بونسيك" أن ليكسوس تأسست من طرف فينيقيي قادس[176]. وأكثر من ذلك، ذهب المطاف أحيانا ببعض الباحثين إلى الاعتقاد بأن عددا من المراكز المغربية القديمة إنما أسست من طرف فينيقيي إسبانيا، نذكر من هذه المراكز مركز " بناصا " بسهل الغرب[177]، والمحطة الفينيقية بجزيرة الصويرة، التي يعتبرها "خوسي ماريا بلاسكيس" مستعمرة قادسية للبحث عن الذهب[178].

وهكذا كان دور ليكسوس منعدما في نظر هؤلاء، رغم وجودها فوق التراب المغربي، ورغم أن محتوياتها الأثرية الفينيقية التي اكتشفها نفس المؤلفين كانت تفيدهم إذاك بمعلومات أوفر من معثورات قادس، التي كانت معثورات مشتتة دون أن يتعدى أقدمها القرن الثامن قبل الميلاد[179].

ويزيد "ميكيل طراديل" في التقليل من مكانة ليكسوس بالمغرب على حساب قادس قائلا : « ***إن الدور الأساسي للإستعمار الفينيقي ـ البونيقي في أقصى الغرب لعبته الأراضي الجنوبية الإيبيرية خصوصا الساحل الأندلسي، حيث مثلت كادير (قادس) حاضرة هذه المجموعة، واعتبرت في الحقيقة العاصمة***

---

(171) حاولت أن أحيط بهذه القضية عندما تعرضت للصعوبات البيبليوغرافية التي تواجه الباحث في تاريخ المغرب خلال العصر الفينيقي. انظر : العزيفي (محمد رضوان)، الفينيقيون بفحص طنجة وعلاقاتهم بالسكان "من خلال مقابر ناحية طنجة ومحتوياتها المؤرخة ما بين القرن السابع قبل الميلاد وأواسط القرن السادس قبل الميلاد"، المرجع السابق، الجزء الاول، ص. 21-26.

(172) اعتبر "كابرييل كامبس" (G. Camps) مثلا أن التأثير الحضاري لإسبانيا على المغرب حصل منذ العصر "الكالكوليتي" ؛ أي قبل مجيء الفينيقيين بقرون عديدة. انظر :

Camps(G), Aux origines de La Bérbérie, op. cit, p. 397.

(173) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 25.

(174) Villard(F), Céramique grecque du Maroc, op. cit, p. 19.

(175) Blàzquez(J.M), Tartessos y los origines de la colonización fenicia en occidente, op. cit, p. 233

(176) Ponsich(M), Recherches archéologiques à Tanger et dans sa région, op. cit, p. 396

(177) Luquet(A), La céramique préromaine de Banasa, op. cit, p. 121-122

(178) Blàzquez(J.M), Tartessos y los origines de la colonización fenicia en occidente, op. cit, p. 54.

(179) Bunnens(G), le rôle de Gadès dans l'implantation phénicienne en Espagne, op. cit, 189.

وكمثال عن ضعف المخلفات الاركيولوجية في قادس، أنها لم تكشف لحد الساعة عن أية مقبرة فينيقية. ويعد تاج العمود الايوني المؤرخ بالقرن الثامن أو السابع قبل الميلاد من العناصر النادرة المكتشفة في المدينة، رغم أنه يعد العنصر الهندسي الديني الوحيد المعروف في شبه جزيرة إيبيريا، والذي يعتبر من بقايا أحد المعابد. انظر :

Pellicer Catalan(M), Excavaciones en la necropolis punica "Laurita" del Cerro de San Cristobal (Almuñecar, Granada), op. cit, p. 49 ; Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 236 - 237.

الفينيقية لأقصى الغرب بالنسبة للجهة الأوروبية والإفريقية »[180]. كما يعتبرها في مجال آخر[181] «***العاصمة المعنوية والاقتصادية للعالم الفينيقي الغربي*** ».

ويبدو أن العامل الذي كان من وراء مغالات هؤلاء الباحثين في دور قادس يكمن في كونهم أسقطوا على العصر الفينيقي الحالة المزدهرة التي عرفتها المدينة الإسبانية خلال العصر الروماني[182]. ولم يسلم من هذه الزلة حسب علمنا سوى الباحث البلجيكي "كوي بونينس" (G.Bunnens) الذي كان موضوعيا في إحدى مقالاته عندما قال في شأن قادس : « ***اشتهرت قادس بكونها أقدم المراكز الفينيقية وأهمها بإسبانيا، غير أن دورها في تحرك التوسع الفينيقي لم يكن واضحا*** »[183]. وهذا ما جعل المؤلفين الإغريق واللاتينيين، يتابع نفس المؤلف، يسقطون على ماض سحيق حالة المدينة التي كانت أمام أعينهم[184].

وكيفما كان الحال، فإن هذه المواقف لم تكن تحركها دائما أهداف معينة، بل كانت ناتجة أيضا عن اعتقاد خاطئ خالج معظم الباحثين الأجانب لمدة طويلة، مفاده أن الساحل الاطلنطي للمغرب الذي شيدت به ليكسوس، لم يكن يوفر للفينيقيين الإمكانيات الهائلة التي حظيت بها شبه جزيرة إيبيريا. ذلك لأنهم كانوا يعتبرون أن بلاد "ترشيش"(Tarshish) التي تحدثت عنها المصادر التاريخية كأهم منطقة صدر منها الفينيقيون ما كانوا يحتاجونه من معادن، تشمل إسبانيا فقط[185].

---

(180) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 61.

(181) Idem, Ibid, p. 212.

(182) من أكثر المؤلفين الإسبان تركيزا على قضية اهتمام "الملاحين القادشيين" بالساحل الأطلنطي المغربي خلال العصور القديمة نذكر " أنطونيو كارسيا بييدو". انظر :

Garcia y Bellido(A), Fenicios y Carthagineses en occidente, op. cit, p. 176-186.

(183) Bunnens(G), le rôle de Gadès dans l'implantation phénicienne en Espagne, op. cit, p. 187- 192, voir notament p. 187.

(184) Idem, Ibid, p. 189.

(185) ورد إسم " ترشيش" في العديد من المصادر التي تشير إلى موضوع التوسع الفينيقي في الحوض المتوسطي. فنجده مكتوبا بحروف فينيقية قديمة على نصب تذكاري اكتشف في " نورا" بجزيرة سردينيا. كما ورد في حوليات الملك الآشوري "أسرحدون" المتحدثة عن إخضاعه لبعض " البلدان الغربية". كما أشير إليه مرات عديدة في التوراة، لكن بمعان مختلفة. فأحيانا يقصد به نوع من أنواع بعض المراكب، وفي أغلب الحالات يضفى عليه معنى جغرافي ؛ و في حالات أخرى يحمل معنى اسماء أشخاص، أو توصف به بعض أنواع الأحجار الكريمة. أما المؤلفون القدامى الذين حاولوا البحث عن معنى هذا الإسم فإنهم اختلفوا بدورهم في إيجاد تفسير يتفق عليه الجميع. فمرة نجدهم يقرنون ترشيش بقرطاجة، ومرة أخرى يفسرونه بالبحر أو بإفريقيا، أو يقرنونه بمدينة طرسوس بسيليقيا. كما هناك من حدد مكان ترشيش بإيثيوبيا أو ببلاد سبأ أو بقبرص أو برودس. بل منهم من حدد مكانه بالهند في أقصى الشرق، أو بمنطقة " الهسبيريديس"(Hésperides) التي ترمز إلى أقصى الغرب. و في بداية القرون الوسطى حدد بعض المؤلفين المسيحيين منطقة ترشيش في إسبانيا ؛ ومنهم من جعل من ترشيش مدينة أترورية. أما الجغرافيون العرب الذين أوردوا بدورهم هذا الإسم كابن حوقل والبكري والإدريسي فإنهم قرنوا ترشيش بتونس. وهكذا نلاحظ أن اسم ترشيش حوى تأويلات وتفسيرات مختلفة ومتباينة، مما يدل على اندثار المعنى الأصلي للكلمة. غير أن التأويل الأكثر قبولا من لدن المؤلفين المحدثين ـــ رغم محدوديته ـــ هو الذي يحدد ترشيش في إسبانيا الجنوبية، التي عرفت عند الإغريق باسم " طرطسوس"(Tartessos). وقد اعتمدوا في تأويلهم هذا على ما اشتهرت به إسبانيا من غنى في إنتاج المعادن، الشيء الذي ركزت عليه العديد من أسفار التوراة عندما اعتبرت أن ترشيش كانت منطقة معدنية هامة. ومع ذلك فإن هذا التفسير يظل في مجمله قابلا للنقاش وفي مستوى التأويلات الأخرى. ومن أهم المراجع التي تعرضت لموضوع ترشيش نذكر :

Lenermant(F), Tarshish, étude d'ethnographie et de géographie biblique, dans **Revue des questions historiques**, T. XXXII, 1882, p. 5-40 ; Oppert(G), Tharshish und ophir, dans **Zeitschrift für Ethnologie,**

غير أنه إذا صح أن تعبير "ترشيش" أو "طرطسوس" يهم خصوصا الجزء الجنوبي لإسبانيا، فهذا يعني منطقيا أن الفينيقيين كانوا يتجرون أيضا مع السواحل المغربية. فإضافة إلى كون بعض المواد المستوردة من ترشيش كان أصلها من المغرب حسب "بلاسكيس"[186] كالعاج والقردة[187]، فإن جل المؤرخين القدامى كانوا يربطون وجود الفينيقيين في أقصى الغرب بإبحارهم في الضفتين الأوروبية والإفريقية، أمثال "استرابون"[188] و"بلينيوس"[189] و"ديودور الصقلي"[190].

وإذا كانت قادس تعتبر منظمة هذه التجارة في السواحل الإسبانية، فليس من مانع أن نعتبر أن ليكسوس قامت بالدور نفسه في السواحل المغربية وفق نفس السياسة الاقتصادية التي نهجتها فينيقيا في علاقتها بترشيش. هذا بالطبع إذا اعتبرنا أن مفهوم ترشيش قد مثل بالنسبة للفينيقيين ما مثلته كلمة "عمورو" بالنسبة لسكان الرافدين، حيث كان يقصد بها الغرب في بعض الحالات أو البلدان الغربية في حالات أخرى[191].

وإذا كان هذا التأويل صحيحا، فإن "سانتاس" (Cintas) لم يكن مبالغا عندما أعطى تحديدا واسعا لبلاد ترشيش، نلمس فيه أنه كان يشمل السواحل المغربية أيضا. فهو يقول في هذا الصدد معتمدا على دراسة "للونرمان" (Le Normant) ما يلي :

«تحمل كلمة ترشيش معنى غامضا..فهي تمثل مجموعة من الأراضي التي اعتبرت الحد الغربي للبحر الأبيض المتوسط ، بنفس المعنى الذي مثله إسم "الهند الغربية" بالنسبة للمحدثين حيث كان يقصد به بصفة عامة -ولمدة ثلاثة قرون- كل القارة الأمريكية إضافة إلى الجزر التابعة لها»[192].

T.XXXV, 1903, p. 50-72, 212-18 ; Movers(F.C), Die Phônizier, T. II - 2, Berlin, 1850, p. 594 ; Le Page(R), Were was Tarshish ? dans **Proceeding of the society of biblical archeology**, T.XVI, 1893, p.104-8, 138-41 ; Muller(W.M), Tarshish, dans **J.Hastings (éd), A dictionary of the bible**, T. IV, 1902, p. 683- 85 ; Covey-Crump(W.W), The situation of Tarshish, dans **Journal of Theological studies**, T.XVII, 1916, p. 280-90 ; Schulten(A), Tartessos, 2è éd, Hambourg, 1950, p. 27-30 ; Sola- Solé(J.Ma), Miscelania pùnico-hispana, T. II. 5 ; Idem, Tarshish y los comienzos de la colonizacion fenicia en occidente, dans **Sefarad**, T.XVII, 1957, p. 23-35 ; Täckholm(U), el concepto de Tarshish en el antiguo testamento y sus problemas, dans **Tartessos y sus problemas**, Barcelona, 1969, p. 79-90 ; Cintas(P), Manuel d'archéologie punique, T. I, op. cit, p. 279-82 ; Blàzquez(J.Ma), Tartessos y los orígines de la colonización fenicia en occidente, op. cit, p. 11- 21 ; Bunnens(G.), L'expansion phénicienne en mediterranée, op. cit, p. 331-348 ; Aubet(M.E), Tiro y las colonias fenicias en occidente, op. cit, p. 184-186.

(186) Blàzquez(J.Ma), Tartessos y los orígines de la colonización fenicia en occidente, op. cit, p. 18.

(187) سفر الملوك الأول، الاصحاح العاشر : 22.

(188) Strabon, I : 3-20.

(189) Pline, Histoire naturelle, 19-63.

(190) Diodore de Sicile : 5-20.

(191) Bunnens(G.), L'expansion phénicienne en mediterranée, op. cit, p. 348.

(192) Lenermant(F), Tarshish, étude d'ethnographie et de géographie biblique, op. cit, ap. Cintas(P), Manuel d'archéologie punique, T. I, op. cit, p. 276, note n° 121.

ونحن لا نستغرب من هذا المدلول، لأن قدوم الفينيقيين إلى أقصى الغرب لربط علاقات تجارية هامة مع أهالي ناحية طنجة[193]، وتأسيس ليكسوس، وتشييد محطة تجارية في جزيرة الصويرة[194]، لا يمكن تفسيره إلا باعتبار المغرب إحدى المناطق الغربية التي ربما شملها مفهوم ترشيش.

حقا إن إسبانيا الجنوبية كانت تمثل أهم سوق تعامل معها التجار الفينيقيون منذ إبحاراتهم الأولى، لأنها اعتبرت الممول الأساسي للمعادن التي يحتاجها الشرق الأوسط كالفضة والنحاس والقصدير والذهب[195]. وهذا ما أشارت إليه العديد من النصوص التي ركزت على ثروات ترشيش أو طرطسوس الوفيرة[196]. كما أبرزت هذه النصوص أيضا أن تأسيس أقدم المستوطنات الفينيقية كان مرتبطا بتلك التجارة، مما جعل مقر هذه المستوطنات في أقصى الغرب وليس في مكان آخر، بالرغم من المسافة الطويلة الفاصلة بينها وبين ساحل فينيقيا.

وبالطبع، فإن إشارات المؤلفين القدامى التي تحدثت عن هذه المراكز خصت بالذكر قادس في إسبانيا وليكسوس في المغرب. وفي هذا الصدد، نشير باستغراب الى أن "ميكيل طراديل"، الذي كان يميل الى ترجيح الرأي القائل بتبعية ليكسوس لقادس، نراه في مجال آخر يعتبر حسب قوله[197] ***« أن هناك عدة عوامل تجعلنا نعتقد أن ليكسوس مثلت في الجنوب ما كانت عليه قادس في الشمال ؛ أي أنها كانت بمثابة المركز الرئيسي المنظم للمراكز الأخرى».***

بل إذا أخذنا بعين الاعتبار رواية "بلينيوس الشيخ" السالفة الذكر وصدقناها، فإن ليكسوس تعتبر أقدم محطة فينيقية على الإطلاق. وقد تكفينا هذه المعلومة إذا كانت صحيحة لإبراز أن وجود ليكسوس على الساحل الاطلنطي لا يمكن تفسيره إلا بتوفر المغرب على ثروات لم تكن أقل قيمة من موارد إسبانيا.

---

(193) العزيفي (محمد رضوان)، الفينيقيون بفحص طنجة وعلاقاتهم بالسكان "من خلال مقابر ناحية طنجة ومحتوياتها المؤرخة ما بين القرن السابع قبل الميلاد وأواسط القرن السادس قبل الميلاد"، المرجع السابق.

(194) نفسه، الفينيقيون في جزيرة الصويرة، المرجع السابق.

(195) تعتبر تجارة المعادن من بين الركائز الرئيسية التي اعتمد عليها اقتصاد الفينيقيين. ذلك لأنهم كانوا يحققون أرباحا طائلة من وراء بحثهم و نقلهم و توزيعهم لأهم المعادن التي كانت تتطلبها صناعتهم و تحتاجها صناعات الحضارات المتقدمة في الشرق الأوسط كالحضارتين الأشورية و المصرية. و قد أوضحت العديد من حوليات الملوك الأشوريين ما وصلت إليه المدن الفينيقية من غنى ووفرة في المعادن الثمينة كالذهب والفضة و القصدير و النحاس. من هذه الحوليات نذكر حوليات "آشور ناصر بال الثاني" و"تكلات بلسار الثالث" و"أسرحدون" و"آشور بانيبال". كما وردت في التوراة عدة إشارات حول تجارة المعادن الفينيقية نجدها في سفر الملوك الأول وسفر إرمياء وسفر حزقيال. فيما يخص أهمية تجارة المعادن عند الفينيقيين، انظر :

العزيفي (محمد رضوان)، السلع المتبادلة بين الفينيقيين والمغاربة القدماء، كأقدم نموذج عن علاقات المغرب التجارية مع العالم المتوسطي، المرجع السابق، ص. 208-211.

(196) أوضح إشارة تتحدث عن تصدير الفينيقيين لمعادن إسبانيا نجدها عند "ديودور الصقلي". يقول المؤرخ الإغريقي بهذا الصدد في كتابه تاريخ العالم : ***« تتوفر بلاد الإيبيريين على أوفر وأجمل معادن الفضة تعرف لحد الآن ... وكان المحليون يجهلون استعمالها. لكن الفينيقيين الذين جاءوا للقيام بالتجارة، ... اشتروا هذه الفضة مقابل كمية صغيرة من البضائع . وبعد نقلها إلى إغريقيا وآسيا، والشعوب الأخرى، حصلوا هكذا على ثروات كبيرة ... »***. انظر :

Diodore de Sicile, V, 35.

(197) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 221.

من هنا يبدو جليا أن الفرضية التي تعتبر أن ليكسوس كانت تابعة لنفوذ قادس خلال المرحلة الفينيقية لا تستند الى أساس علمي مقبول. فنظرا لارتباط ليكسوس المباشر بصور [198]، ونظرا لماضيها العريق الذي عكسته الايستوريوغرافية الاغريقية-الرومانية، لدرجة جعلتها في تناظر مع قادس ومع قرطاجة، فمن المنطقي أن يكون الهدف من تأسيسها اقتسام المجال مع قادس وليس الانضواء تحت نفوذها. وذلك وفقا للبعد الاستراتيجي المزدوج المسار الذي خطط له الفينيقيون عند إبحارهم في كل من الواجهة الاطلنطية الاوروبية والافريقية، بإيجاد منشأتين متشابهتين في الاهداف، لكنهما مختلفتين في الآفاق. وبذلك نجد تبريرا معقولا لتركيز "استرابون" [199] وربما "سكيلاكس" [200]، على مسألة البعد المتساوي بين قادس وليكسوس انطلاقا من مضيق جبل طارق.

وقد كشفت نتائج الحفائر الجديدة التي قامت بها البعثة المغربية-الاسبانية في ليكسوس عن بعض العناصر التي تصب في هذا الاتجاه، والتي تلخّصها مديرة البعثة الاسبانية "كرمين أرانيكي" (C.Aranegui) في العبارات التالية [201] : « ***يتبين من المعطيات المتوفرة، أن ليكسوس تحظى بخصوصيات أركيولوجية مميزة للمنشآت الفينيقية الغربية، الامر الذي ينبغي أخذه بعين الاعتبار اتجاه الفرضية القائلة بأن ليكسوس كانت من تأسيس قادس. ذلك أن ليكسوس تجلّت كمنشأة فينيقية موازية للمنشآت الموجودة شمال مضيق جبل طارق، لكن وضعيتها الاجتماعية-الثقافية وتطلعاتها الاستيطانية كانت مختلفة*** ».

وإذا كانت ليكسوس تتوفر على عناصر مصدرية وأركيولوجية كافية لاعتبارها إحدى المنشآت الفينيقية ذات البعد الاستيطاني من جهة وذات البعد التجاري من جهة ثانية، فإن عناصر المستوطنة الفينيقية لا تكتمل إلا إذا توفرت مؤهلات مضبوطة للتشييد من حيث الموقع والطوبوغرافيا، ومن حيث توفر مجال محلي وإقليمي واضح للنشاط الاقتصادي.

---

[198] يرى مجموعة من المؤلفين الاسبان المحدثين أن ليكسوس كانت مرتبطة مباشرة بالشرق الفينيقي. انظر :

Aranegui(C), Tarradell-Font(N), Lixus colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Apuntes para una Historia de la investigación arqueológica, op. cit, p. 30.

[199] Strabon, XVII, 3, 2

[200] Scylax, 112.

[201] تجدر الاشارة أنني لم أقم بالترجمة الحرفية لما خلصت إليه عالمة الآثار الاسبانية "كرمين أرانيكي" (C. Aranegui)، وذلك بغية تقريب القارئ من المعنى المقصود. انظر :

Aranegui(C), Conclusiones, **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico- mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4,** 2001, cap. XVII, p. 254.

الفصل الثالث عشر
مؤهلات التشييد : الموقع والمجال الاقتصادي

بتأملنا في الظروف الطوبوغرافية لموقع ليكسوس، نلمس بوضوح أنه يخضع لنفس المتطلبات التي كان الفينيقيون يفضلونها لتأسيس مستوطناتهم، خصوصا تلك التي شيدوها بشبه الجزيرة الايبيرية، سواء للاستقرار السكاني أو للقيام بالتجارة. فهي تعتبر من المنشآت المشيدة فوق تل قليل الارتفاع، وبالقرب من مصب نهر صالح للملاحة، والذي كان يشكل في مجراه الاسفل خليجا كبيرا يصلح لاستعماله كمرسى[1]. كما شيدت فوق ربوة كانت خلال العصر الفينيقي على شكل شبه جزيرة، مما يجعل منها مكانا محصنا ومحميا من أي هجوم محتمل (انظر لوحة أ رقم 1)[2]. كما توفرت ليكسوس بحكم وجودها بمنطقة غنية بالموارد الفلاحية والبحرية والغابوية، على مجال محلي يؤهلها للقيام بنشاط اقتصادي.

I ـ الطوبوغرافيا :

من المعلوم أن الفينيقيين كانوا يختارون مناطق محددة للاستقرار، مثل الجزر القريبة من السواحل[3]، وأشباه الجزر، والرؤوس الساحلية المتوفرة على مراسي طبيعية[4]، والخلجان المحمية من الرياح والتيارات، ومصبات الانهار، والمسالك المؤدية نحو مداخل الأراضي[5]. وحسب طوبوغرافية الموقع، تندرج ليكسوس ضمن مجموعة المنشآت التي تم تشييدها عند مصب الانهار وداخل خليج محمي بشكل جيد، والتي نجد عدة نماذج مماثلة لها، سواء في إسبانيا، حيث كانت جل المنشآت المشيدة في شرق الاندلس يصب بجانبها نهر صغير، أو في فينيقيا نفسها، كما هو الشأن في "أوشو"، أي صور البرية[6]. غير أن ليكسوس تعتبر المنشأة الفينيقية الوحيدة المعروفة أركيولوجيا بالمغرب، التي تم تشييدها عند مصب نهر صالح للملاحة على طول عشرات الكيلومترات نحو داخل الاراضي[7]، والتي توفرت لديها إمكانيات فلاحية إضافية الى جانب الموارد البحرية[8].

---

(1) يرى "ميشيل بونسيك" (M. Ponsich) أن ليكسوس تعكس الصورة النموذجية التي تعرف عن المراكز البحرية الفينيقية-البونيقية، المحمية عن الغمرات البحرية، والقريبة من مصبات الانهار، والمشيدة فوق مرتفع صالح لتشييد مدينة ذات الانحدار الجيد المتجه من الشرق الى الغرب. انظر :

Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 12 et p. 18.

(2) Aranegui(C), Presentación, **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4**, 2001, fig. 1, p. 1.

(3) وهي الحالة التي يمكن تطبيقها على مجموعة من المراكز الفينيقية نذكر منها صور وأرواد وصيدا وموتيا وقادس وموكادور وراشكون.

(4) وكانت الرؤوس البحرية توفر للمراكز الفينيقية مينائين اثنين : أولهما في الشمال والثاني في الجنوب، حيث تستطيع المراكب الفينيقية أن ترسو بكل أمان حسب هل تكون الغلبة للرياح الشمالية أو الجنوبية. انظر :

Contenau(G), La civilisation phénicienne, op. cit, p. 32.

(5) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 142.

(6) Idem, Ibid, p. 32.

(7) هذا إذا استثنينا طبعا المعثورات الفينيقية المكتشفة في مركز شالة، إذ لا نعلم هل تنم هذه المعثورات عن وجود منشأة فينيقية بعين المكان، أم أنها تمثل علامة عن التجارة الفينيقية مع المحليين. كما أن الكشف عن خزف مقلد للخزف الفينيقي بمركز بناصا، يوحي بوصول التجار

1) المجرى الاسفل لوادي اللكوس :

أ- مصب اللكوس عند قدوم الفينيقيين :

مما لاشك فيه أن إقامة الفينيقيين لمنشأة مثل ليكسوس بجوار دلتا نهري، لا يمكن أن يكون اختيارا عفويا. فالتشييد جنب الواد يعني أولا إمكانية السير نحو عاليته، وأحيانا القيام بالملاحة فيه إذا كان ذلك ممكنا، حيث يمثل النهر بالاتجاه نحو عاليته أحسن طريق للمواصلات، نظرا لامكانية الاقتراب من موارد المناطق الداخلية وإقامة العلاقات التجارية مع المحليين. وتعتبر أهمية الانهار بالنسبة للتجارة القديمة من المسائل المعروفة، ويعكسها بشكل واضح الشرق الاوسط القديم، حيث نجد أن كلمة "قاروم" التي تطلق على السوق والتاجر، يقصد بها أيضا المرسى النهري. وهذا يعني أن النهر كان ميسرا للوصول الى الموارد، ويمثل معبرا مساعدا للتوغل التجاري، ويساعد على نقل البضائع ؛ أي أنه يؤدي الى استقلال اقتصادي للمركز. كما أن النهر ينم أيضا عن وجود أراض خصبة، وبالتالي يمكن من القيام بزراعة مسقية[9].

من هنا يبدو أن اختيار الفينيقيين لموقع ليكسوس ضمن مجموعة المنشآت الفينيقية المشيدة بجنب الانهار، كان اختيارا يخضع لجميع المعايير المطلوبة، الامر الذي يفسر المكانة التي حظيت بها المدينة على طول تاريخها، والدور الذي لعبته خلال مرحلة التوسع الفينيقي بالساحل الاطلنطي للمغرب[10]. فالمجرى الاسفل لوادي اللكوس يُحد بهضبة بليبوسينية[11] ضيقة، مكونة ربوة صخرية عند الضفة اليسرى لمصب النهر، شيدت فوقها مدينة العرائش الحالية. أما الجهة الشمالية والشرقية للمصب فتحدها مجموعة من الكثبان المتحجرة التي التحمت مع العصور بالاراضي الميوسينية[12] لهضبة منطقة "الساحل"[13]. بين هاتين الكتلتين المرتفعتين، يسري واد اللكوس في مجراه الاخير نحو المصب[14]. وهو من الانهار المميزة للمغرب الاطلنطي، ليس فحسب بحكم وفرة مياهه مقارنة بالوديان المتوسطية لإفريقيا الشمالية، بل أيضا بحكم انتظام جريانه، مما جعل منه نهرا صالحا للملاحة الى حدود مدينة القصر الكبير[15]. وتعكس المصادر الاسلامية للقرون الوسطى أهمية نهر اللكوس، سواء فيما يتعلق بوفرة مياهه واستخدامه في الملاحة ومياهه الصالحة للشرب، حيث يورد مثلا ابن حوقل في القرن العاشر الميلادي ما يلي : « ***وادي سفدد، وهو واد كبير عظيم***

الفينيقيين الى حوض سبو. وكيف ما كان الحال، فإن هذه الدلائل إنما تؤكد على الطريق الجنوبية التي اتبعها التوسع الفينيقي بالساحل الاطلنطي للمغرب لبلوغ جزيرة الصويرة، التي تمثل لحد الساعة نقطة النهاية بالنسبة للتجارة الفينيقية بالمغرب، التي أفرزتها المعطيات الاركيولوجية.

[8] Aranegui(C), Belén(M), Fernández Miranda(M), Hernández(E), La recherche archéologique éspagnole à Lixus : Bilan et perspectives, op. cit, p. 10.

[9] Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 260.

[10] Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 133.

[11] أي أنها تعود الى عصر "البليوسين" (Pliocène)، وهو آخر عصور الزمن الجيولوجي الثالث.

[12] يمثل عصر "الميوسين" (Miocène) الحقبة الثالثة للزمن الجيولوجي الثالث.

[13] تمثل دراسة هذا النطاق ضرورة ملحة كما يرى "ميكيل طراديل" (M. Tarradell)، نظرا لتشييد مركز ليكسوس الفينيقي فوق إحدى تلك الكثبان. انظر :

Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 134.

[14] Cintas(P), Manuel d'Archéologie punique, t. I, op. cit, p. 247, fig. 1.

[15] Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 134.

غزير الماء، يحمل المراكب، عذب، ومنه شرب أهل تشمّس...»[16]. كما يعتبر الحوض الاسفل لوادي اللكوس منطقة سهلية واسعة، ممثلة بذلك طريقا طبيعية للتوغل نحو الاراضي الخصبة الداخلية.

وبما أن منسوب المياه يكاد يكون متساويا عند المجرى الاسفل على طول يناهز ثلاثين كيلومترا[17]، فقد عمل النهر على تكوين منعطفات كبيرة بين أراض مستنقعية، أثارت انتباه الاقدمين منذ مدة. فقد وصف المؤرخ الروماني "بلينيوس" (Pline) المجرى الاسفل لوادي اللكوس قائلا[18]: « *يتوغل البحر هناك داخل مصب نهري، مكونا منعطفا متعرجا* ». ويبدو أن أغلبية هذه المنعطفات حديثة التكوين من الناحية الجيولوجية، دون أن نتيقن مع ذلك من تصور الحالة التي كان عليها المجرى الاخير المكون للمصب، ولا حدود الشاطئ القديم خلال الالف الاولى قبل الميلاد، رغم أن "جيروم كاركوبينو" (J.Carcopino) يورد في مؤلفه "المغرب القديم" أنّ نهري اللكوس وأبي رقراق ابتعدا عن كل من ليكسوس وشالة بحوالي كيلومتر واحد[19]. ومن ثم لا نعلم هل أن المنطقة النصف الدائرية المنحصرة بين العرائش وليكسوس وربوة رقادة، كانت في بداية ملئها بالترسبات، أم أنها على العكس من ذلك كانت ما تزال على شكل خليج يوفر للمراكب إمكانيات أفضل للرسو مما سيكون عليه الحال فيما بعد. وكان "ميكيل طراديل" (Miguell Tarradell) قد طرح هذا التساؤل منذ مدة، معتبرا أن الاقرار فيه ينبغي أن يكون على يد علماء الجيولوجيا دون غيرهم[20].

وبالفعل، قام مؤخرا الباحث الاسباني "كرمونا كونزاليس" (P.Carmona Gonzalez) بدراسةٍ بالبيوجغرافية للمجال المحيط بليكسوس، لمحاولة معرفة التطورات التي طرأت على مصب نهر اللكوس، بالاعتماد على مجموعة من العناصر المرفلوجية والكارطوغرافية، ومجموعة من المعطيات المستمدة من جهات أخرى مشابهة[21]. وقد أفضت هذه الدراسة الى التأكيد على أن الغمر البحري الهلوسيني توغل بالمنطقة عبر حلق (bocana-goulet) يوجد موقعه بنفس الموقع الحالي. غير أن عرض ومميزات هذا الحلق لا يمكن تحديدهما سوى بالنظر لوضعية النتوءات الساحلية البليستوسينية، والتي لم تكن بارزة بين المكونات التلية الحديثة على الاقل بالنسبة للجهة الشمالية للمصب. الامر الذي حدى بالباحث الاسباني للاعتقاد بأن هذا الحلق كان أوسع، وأن المصب كان مفتوحا على البحر خلال عصر البرونز والعصرين الفينيقي والروماني، بنفس الشكل الذي كان عليه الحال مثلا مصب واد "كوادالورسي" (Guadalhorce) بإسبانيا[22].

---

(16) ابن حوقل(أبو القاسم)، كتاب صورة الارض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1979، ص. 80.

(17) تصل حركة المد في واد اللكوس الى حدود مدينة القصر الكبير. وحول الخصوصيات الهيدرولوجية والهيدروديناميه للحوض الاسفل لواد اللكوس، انظر :

Bouhmadi(B), Benavente(J), Cruz-Sanjulián, San-Romá(A), Caracterización hidrodinámica e hidroquímica de los aquíferos de la cuenca baja del río Loukkos (Marruecos), **Boletín Geológico y Minero 106-2**, 1995, p. 161-177.

(18) Pline, Histoire Naturelle, V, 2.

(19) Carcopino(J), Le Maroc antique, op. cit, p. 17.

(20) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 134.

(21) Carmona González(P), El estuario del Oued Loukkos y la evolución reciente del litoral de Lixus (Marruecos), **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4**, 2001, p. 9-13.

(22) Carmona González(P), El estuario del Oued Loukkos y la evolución reciente del litoral de Lixus, op. cit. p. 12.

(انظر لوحة VII). وهذا يعني أن ليكسوس كانت تطل على خليج واسع مفتوح على البحر، بدليل وجود مصانع تمليح السمك عند قدم تل الشميس. وأما عملية ترسب هذا الخليج، فقد حدثت بعد العصور القديمة، بسبب تكوّم (agglomération) المصب إثر تكوين كثبان حديثة أو حواجز عند جهته الشمالية، وبسبب امتلاء الحوض المائي بالترسبات القارية والبحرية.

ومن المرجح أن عملية الطمي هذه، أدت الى نقل الوظائف المرفئية الى الجهة القريبة من الساحل حيث توجد مدينة العرائش. وهي المدينة التي كانت واردة منذ عام 1313 في أطلس "فيسكونتي" (P.Vesconte)، وفي جميع الخرائط الاسبانية والبرتغالية للقرون الوسطى والحديثة. ولعل أن العنصر الوحيد الذي نتوفر عليه حول ظاهرة الطمي التي تعرضت لها البحيرة المحيطة بليكسوس، يرجع الى القرن السابع عشر الميلادي. وقد تعرفنا على ذلك بفضل تصميم مدينة العرائش وناحيتها (المرسى–النهر–الملاحات–الغابات–الحقول) الذي أعده "خوان باوطيسطا أنطونيلي" (Juan BautistaAntonelli) عام 1611[23] (انظرلوحة ث رقم 3). من خلال هذا التصميم، يتراءى الساحل الجنوبي لمدينة العرائش، المتميز بأجرافه القوية الانحدار، وكذا الساحل الشمالي المنخفض نوعا ما. كما يتراءى الحلق البحري الذي يفصل البحر عن بحيرة شاسعة تتوفر على ملاحات ومرسى، علاوة على مجموعة من الغابات التي أصبحت مندثرة في وقتنا الحاضر. غير أن أهم ما يثير الانتباه في هذه الخريطة، هو تصويرها لعلامات دلتا داخلي ذي التصميم الاصبعي، يوجد عند رأس بحيرة واسعة جدا كانت موجودة في القطاع الحالي لآخر منعطف لنهر اللكوس. وهذا يعني أن واد اللكوس، والى حدود بداية القرن السابع عشر الميلادي، لم يكن قد وصل بعد الى الساحل الحالي، وأنه كان يتشعب الى عدة أذرع موزّعة، مشكلة بذلك جبهة الدلتا. وبتحديدنا لموقع ليكسوس في هذا التصميم، استنادا لخريطة العرائش الطوبوغرافية من مقياس 1/50.000[24]، يتبين أن ليكسوس كانت تجاور بحيرة شاسعة تبلغ مساحتها حوالي ست كيلومترات مربعة. واعتبارا لكون مساحة هذه البحيرة كانت أوسع خلال المرحلة الفينيقية، فالامر يرجح أن السفينة الفينيقية التي كانت تبحر من قدم ليكسوس، كان عليها أن تقطع حوالي أربع كيلومترات على خط مستقيم لتصل الى مدخل الحلق الفاصل بين البحيرة والمحيط ؛ وبعد ذلك عليها أن تقطع حوالي 800 متر أخرى حتى تلج مباشرة نطاق البحر.

ويبدو أن هذا المشهد الذي كان على شكل الدلتا، استمر في الوجود الى أواسط القرن السابع عشر الميلادي، كما يتبين ذلك من خلال الرسم التخطيطي لمدينة العرائش الذي أعده F.Heylan[25]. في هذا الرسم، نجد استعمال عبارة "البحيرة الكبيرة" (*laguna grande*)، قبالة البحيرة المرفئية[26] التي أطلقت عليها عبارة "مراسي السفن" (*surgideros de navios*)، والتي كانت أصغر حجما من البحيرة الاولى، وقريبة من الحلق الذي يربطها بالمحيط الاطلنطي. غير أن الامور سوف تتغير فيما بعد، كما نفهم ذلك من خلال

---

(23) Plano de Larache y sus alrededores por Bautista Antonelli, **Archivo de Simancas (Valladolid)** ; ap. Carmona Gonz?lez(P), El estuario del Oued Loukkos y la evolución reciente del litoral de Lixus (Marruecos), op. cit, fig. 2, p. 13.

(24) انظر موقع ليكسوس المحتمل في لوحة ث رقم 3.

(25) Vilar(J.A), Mapas, planos y fortificaciones hispánicas de Marruecos (S. XVI-XX), Ministerio de Asuntos Exteriores, Madrid, 1992.

(26) تجدر الاشارة في هذا الصدد، أن مرسى ميناء العرائش الحالي يوجد في هذه البحيرة. انظر لوحة ب رقم 2.

الوصف الذي قدمه "مارتين بينادور" (Martin Peinador) عام 1908 حول مدينة العرائش. فقد أورد في شأنها « ... *أنها من الممكن أن تمثل مركزا تجاريا جيدا، إذا ما تم دك الحاجز، وبالتالي يصبح اللكوس صالحا للملاحة إلى القصر الكبير، مما سيجعل منها ميناء تفريغ جميع غلات الغرب ومواشيه...»*[27].

وتؤكد هذه المعلومة أن مخرج واد اللكوس الى المحيط كان قد تحجّر مع مطلع القرن العشرين، وأن حاجز الضفة اليسرى للنهر قد تشكل، وعمل على عزل البحيرة الصغيرة المتبقية، التي تمثل المرسى الحالي لميناء العرائش (انظر لوحة ب رقم 2). كما تتوافق هذه المعطيات مع كارطوغرافية عام 1906، حيث يتبين من خلال رسم تخطيطي عسكري اسباني لمدينة العرائش[28]، أن مجرى منعطفات واد اللكوس عند المصب كان قد اكتمل نهائيا، وبدأت تظهر شبكة قنوات المد عند ضفاف النهر.

انطلاقا من هذه المعطيات، ورغم أن كلام "بلينيوس" (Pline) السالف ذكره يوحي بأن الجزء الاسفل لوادي اللكوس كان على شكل منعرجات نهرية خلال القرن الاول للميلاد، فالمرجح أن جهة المصب كانت على شكل خليج أو بحيرة خلال بداية التوسعات الفينيقية، التي سبقت عصر "بلينيوس" (Pline) بثمانية قرون على الاقل. كما يبدو أن المنعرجات التي أوردها المؤرخ الروماني كانت توجد خلف ليكسوس في اتجاه عالية النهر. فقد أثبتت بعض الدراسات الباليوجغرافية والجيومورفولوجية حول تطور مصبات العديد من الانهار التي شيدت بجوارها المراكز الفينيقية بالساحل الإسباني[29]، أن هذه المصبات كانت أكثر اتساعا من وضعيتها الحالية، وأنها كانت على شكل خلجان بحرية[30] (انظر لوحة VI وVII). وهكذا أبرز عالم الآثار الالماني "هيرمانفريد شوبارت" (H.Schubart) أن مركز "شوريّراس" (Chorrearas)، الذي كان على شاطئ البحر خلال المرحلة الفينيقية، يوجد حاليا بعيدا عن الساحل على ارتفاع يعادل 45 متر من مستوى سطح البحر. كما أن مركز "صيرّو ديل برادو" (Cerro del Prado) يوجد على ارتفاع 20 متر من سطح البحر، ومركز "صيرّو ديل فيلار" (Cerro del Villar) على ارتفاع 4 أمتار، ومركز "لوس طوسكانوس" (Los Toscanos) على ارتفاع 12 متر، و"إيل مورّو دي ميسكيتيا" (El Morro de Mezquitilla) على ارتفاع 27 متر[31]. بينما في الماضي كانت المراكب الفينيقية تلج مباشرة من جهة البحر جميع هذه المراكز.

من هنا يبدو أن المصب الاسفل لوادي اللكوس لم يكن يختلف كثيرا عن الوضعية التي عرفتها مصبات الانهار بالساحل الشرقي لمنطقة الاندلس. وفي هذا الصدد، يؤكد الباحث الفرنسي "بول شميت"

---

(27) Carmona Gonzáiez(P), El estuario del Oued Loukkos y la evolución reciente del litoral de Lixus (Marruecos), op. cit, p. 13.

(28) Vilar(J.A), Mapas, planos y fortificaciones hispánicas de Marruecos (S. XVI-XX), op. cit.

(29) Aubet(M.E), Notas sobre las colonias del sur de España y su foncíon en el marco territorial : El ejemplo del Cerro del Villar (Malaga), **Atti del II Congresso internazionale di studiu Fenici e Punici, Roma 1987**, Vol. II, Roma, 1991, p. 617-626.

(30) Schubart(H), Investigaciones geológicas y arqueológicas sobre la relacíon costera de los asentamientos Fenicios en la Andalucía mediterranea, **Atti del II Congresso internazionale di studiu Fenici e Punici, Roma 1987**, Vol. III, Roma, 1991, p. 1245-51, fig. 2 y 3.

(31) Schubart(H), Asentamientos fenicios en la costa meridional de la peninsuma iberica, op. cit, p. 84.

(P.Schmith)، الذي اهتم بدراسة الجغرافيا-التاريخية للمغرب القديم، أن مصب وادي اللكوس عرف نفس التغيرات التي عرفتها مصبات الانهار الاسبانية[32].

ومما يرجح أن الوادي الاسفل لنهر اللكوس كان على شكل خليج بحري أو ذراع بحرية خلال العصر الفينيقي[33]، أن المصادر العربية للقرون الوسطى أشارت الى أن جهة المصب كانت خلال القرن الثاني عشر الميلادي على شكل بحيرة كبيرة. فقد ورد في "كتاب الاستبصار" المنسوب لمجهول ما يلي[34]: « ***بقربها*** (تشمس)[35] ***بحيرة كبيرة تسمى أمسنا، يصب فيها البحر أعوام، وتصب هي في البحر أعوام، وينقطع البحر عنها، فتظهر فيها جزائر بينها غدران يتصيد فيها أنواع السمك***». وإذا كان الامر كذلك، فلعل أن البحيرة التي أشار إليها "هيكاتيوس الميليتي" (Hécatée de Milet) في القرن السادس قبل الميلاد تحت إسم "دوريزا" (Douriza)، التي كانت موجودة بالقرب من نهر "ليدزا" (Lidza) أي ليكسوس[36]، إنما هي بحيرة أمسنا نفسها.

ومن جهة أخرى، واستنادا الى خريطة فرنسية للعرائش تم تصميمها سنة 1700، أورد "شارل تيسوت" (C.Tissot)[37] أن أبعاد مصب اللكوس كانت أوسع بكثير مما كان عليه الحال في عهده، أي في أواسط القرن التاسع عشر. وبذلك يبدو أن مصب وادي اللكوس كان على شكل بحيرة كبيرة واسعة شبيهة

---

(32) Schmitt(P), Le Maroc d'après la "Géographie de Ptolémée", (Thèse de Doctorat de troisième cycle), Centre de Recherche A. Piganiol, Tours, 1973, p. 161-163.

(33) مما يرجح أن العديد من مصبات الانهار المغربية كانت خلال العصر القديم على شكل ذراع بحرية (bras de mer)، أن الرحالة الفرنسي "روني كايي" (René Caillé)، الذي قام برحلة استكشافية لافريقيا خلال عامي 1827-1829، أشار قائلا بعد عودته من مكناس عبر نهر سبو : « ***توقفنا بمخيم من العساكر كانوا سيلتحقون بالامبراطور ؛ وكانوا قد نشروا خيامهم بالقرب من ذراع بحرية، قال لي في شأنها مخبري بأنها تدعى سبو*** ». كما أنه اعتبر وادي أبي رقراق أيضا بمثابة ذراع بحرية، وذلك بحكم توغل مياه المحيط نحو الداخل بفعل عملية المد البحري. انظر :

Caillé (R), Journal d'un voyage à Tombouctou et à Jenné..., chapitre XXVII, 17 et 18 août 1828 ; ap. Rebuffat(R), Recherches sur le bassin du Sebou II : Le périple d'Hannon, op. cit, p. 261, note n° 15.

وفي هذا الصدد يذكر "لو كوز" في أطروحته حول سهل الغرب بأن تأثير المد البحري يبلغ مداه على طول نهر سبو الى حدود سيدي علال التازي. انظر :

Le Coze(J), Le Rharb, Paris, 1964, p. 192.

(34) كتاب الاستبصار في عجائب الامصار (مجهول)، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، الدار البيضاء، دار النشر المغربية، 1985، ص. 140.

(35) لاداعي للتذكير في هذا الصدد أن المقصود بتشمس الاسم الذي عرفت به مدينة ليكسوس الاسلامية في المصادر العربية خلال القرون الوسطى.

(36) أورد "هيكاتيوس الميليتي" (Hécatée de Milet) نقلا عن ترجمة "جيهان ديزانج" (Jehan Desanges) للمصادر الادبية القديمة حول ليكسوس، ما يلي : « ***دوريزا، بحيرة بالقرب من نهر ليدزا***». انظر :

Desanges(J), Sources littéraires antiques sur Lixos, op. cit, p. 405.

(37) Tissot(Ch), Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie tingitane, op. cit, p. 217, note n° 1.

ويعتبر "شارل تيسوت" من المصادر الاساسية التي اعتمدتها الابستوريوغرافية الحديثة في تحديد المواقع القديمة بالمغرب. وذلك ليس فحسب لاعتباره المؤلف الوحيد ضمن معاصريه الذي كان يعتمد المنهج العلمي في أوصافه، حيث لم يكن يدون سوى الاشياء التي رآها، وكان يسجل أحجام الاطلال ويضع تصاميمها، بل لكون العديد من الخرائب التي وصفها قد تعرضت للتلف، ولم تعد على الحالة التي كانت عليها منذ أكثر من قرن.

بالحوض الواسع الذي يجتازه المجرى الاسفل لواد تهدارت وواد المهرهر وواد الحشف، والـذي مـا زال مغمورا بالمياه في بعض جهاته الى يومنا هذا[38]. وهو الحوض الذي أشار "سـكيلاكس" (Scylax) الـى وجوده بجوار مدينة "بونتيون" (Pontion) تحت اسم بحيرة "كيفيسياس" (Kêphésias)[39].

وتفيدنا هذه المسألة في معرفة ما إذا كان موقع ليكسوس الحالي يمثل النقطة الاولى لاتصال البحـارة الفينيقيين باليابسة. كما تدلنا في البحث عن تحديد موقع الجزيرة الشهيرة التي شيد بها معبد ملقارت-هرقليس. ولو فرضنا أن الخليج القديم كان قد ملئ بالترسبات خلال العصر الفينيقي، فمما لا شك فيه أن مجرى اللكوس الاقرب الى البحر قد تعرض لعدة تغييرات في منعطفاته، إذ يعتبر المنعطف الكبير الذي تمر فوقه حاليا قنطرة الطريق الوطنية الرابطة بين العرائش وطنجة، منعطفا حديث التكوين[40]. ذلك أن المنعطف القديم الذي كان على شكل نصف دائرة تحيط بربوة ليكسوس، يصبح ظاهرا للعيان خلال أيام المد الكبير والمواسم المطيرة. وكان "شارل تيسوت" (Ch.Tissot) قد أكد على هذه الفرضية منذ القرن التاسع عشر، باعتقاده أن البـرزخ الضيق الفاصل بين منعطفي واد اللكوس القريبين من ليكسوس، كان في الماضي على شكل قناة إما طبيعية أو محفورة، موفرا للمراكب التي تسير نحو عالية النهر قطع حوالي 8889 متر لبلوغ مكان الرسو[41].

وفي هذا الصدد، يعتقد "ميشيل بونسيك" أن واد اللكوس كان يحيط في العصر القديم بليكسوس مـن الجنوب ومن الغرب، بما يعادل 180 درجة[42] (انظرلوحة IV). وهذا يعني أن المراكب القديمة كانت تصل الى قدم المدينة دون أن تقوم بقطع المسافة الطويلة الحالية (انظر لوحة VIII). فأين كانـت تتوقـف هـذه المراكب، وكيف كان ميناء ليكسوس خلال العصر الفينيقي ؟

---

(38) انظر موقع هذه البحيرة في الخريطة الطوبوغرافية "المنزلة" من مقياس 1/50.000. وانظر موقعها أيضا في :
العزيفي (محمد رضوان)، هل مدافن ناحية طنجة فينيقية الاصل ؟ قراءة جديدة للابحاث الاركيولوجية الفرنسية بالمغرب، **المصباحية**، مجلة تصدرها كلية الآداب والعلوم الانسانية سايس-فاس، سلسلة العلوم الانسانية، العدد الثاني، 1996، رسم رقم 1. غير أن هناك من كان يحدد موقع بحيرة "كيفيسياس" في بحيرة رأس الدورة جنوب مولاي بوسلهام، أمثال "بارط" (Barth) و"موليـر" (Müller) و"موفيرس" (Movers). انظر :
Tissot(Ch), Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie tingitane, op. cit, p. 194-195.

(39) وكان محيط البحيرة القديمة يحد تقريبا بخط يحيط بهضبة "شرف العقاب" ومرتفعات "عين دالية" من الشمال، ثم ينزل شرقا مع تلال "صاف حمام" و"سكيدلة"، ثم نحو الجنوب الغربي مع مرتفعات "الغلابات" و"العقبة الحمراء"، ليحيط بالبحيرة من الجنوب بهضبة "حد الغربية" وبرأس الاقواس. وانطلاقا مما أشار إليه المؤلف الاسباني "أنطونيو بلاسكيس" (A.Blazquez) حول مشاهدته في خريطة حربية اسبانية للمنطقة، لمساحة مائية هائلة بلغ عرضها 12,614 كلم وطولها 20 كلم، فيمكن اعتبار أن بحيرة "كيفيسياس" كانت تجمع بين خصائص البحيرة ومميزات البحيرة البحرية. وذلك نظرا لقلة عمقها، واحتوائها على النباتات المائية التي تحدث عنها سكيلاكس مثل السُعد والسَّوحر، والتي لاحظ "تيسوت" وجودها في مرجات شرف العقاب وعين شريوار. أما الجزر الكثيرة التي تضمنتها بحيرة "كيفيسياس" حسب ما ورد عند سكيلاكس (Scylax, 112)، فلعلها إشارة الى الكثبان الرملية القديمة المكونة "لجبل هوارة" أو "كديات العوينات" أو "البريبش"، أو غيرها من الاراضي المرتفعة التي لا تستطيع مياه المرجات غمرها، مما يجعلها تبدو بالنسبة للبحارة الوافدين على المنطقة من جهة البحر على شكل جزر حقيقية. انظر :
Blazquez(A), Las costas de Marruecos en la antigüedad, op. cit, p. 414 ; Tissot(Ch), Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie tingitane, op. cit, p. 198.

(40) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 134.

(41) Tissot(Ch), Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie tingitane, op. cit, p. 212-213.

(42) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 12, pl. IV, p. 15, pl. V, p. 16.

ب- المرسى الفـــينيقي :

بحثا عن الموقع المفترض للمرسى الذي كانت تتوقف فيه الراكب الفينيقية، قــام "شــارل تيـــسوت" (Ch.Tissot) بدراسة بقايا بعض الاسوار التي كان يعتقدها جزءا من حواجز ميناء المدينة، وذلك في الجزء الاسفل لمركز ليكسوس، بالمنطقة الموجودة بين النهر والطريق الوطنية الرباط-طنجة[43]. وبالرغم من كون تلك البقايا كانت إذاك في حالة أكمل مما هي عليه الآن، فيبدو أن تصميم الميناء الــذي أقامـــه الدبيلوماســـي الفرنسي في مؤلفه "أبحاث حول الجغرافيا المقارنة لموريطانيا الطنجية"[44] لم يكن يطابق الحقيقة، إذ لا علاقة له بأي نوع من الموانئ الفينيقيـــة المفترضـــة. وقـــد عمـــل "هنــري دي لامـــارتينيير" (Henri De La Martinière) على تصحيح ما خلص إليه "تيسوت" (Ch.Tissot) في مسألة ميناء المدينة، حيث استطاع أن يثبت بمعوله أن البقايا المفترضة لهذه المنشأة لم تمثل حواجز أي ميناء، بل حطام أسوار قديمة[45].

ولعل أن الخلط الذي وقع فيه "شارل تيسوت" (Ch.Tissot) عند محاولته للبحث عن الميناء الفينيقي لليكسوس، يكمن في اعتقاده أن الموانئ القديمة كانت شبيهة بالموانئ الحديثة، التي تتوفر على أرصفة تقـــوم بدور الحواجز الواقية من أمواج البحر[46]. والحالة هذه، أن المفهوم القديم لمكان الرسو لا يمكن بأية حال من الاحوال تشبيهه بالصورة التي نعرفها اليوم عن الميناء، كما يشير الى ذلك "بيير سانتاس" (P.Cintas)[47]. بل إن أهم المدن الساحلية الشهيرة في الحوض المتوسطي القديم، لم تكن تعرف هذه الارصفة، كما كان الحال مثلا في ميناء "بيري" (Pirée) الشهير بمدينة أثينا، الذي لم يكن يمثل، والى حدود القرن الخامس قبل الميلاد، سوى الشاطئ الرملي المقابل للبحر[48]. وإذا كانت بعض الموانئ القديمة تتوفر على منشآت مبنيـــة وعلـــى سقالات للمرور، فإنها لم تكن تتوفر بعد على الارصفة، لأن تقنيات تشييد البنايات والجدران تحـــت المـــاء وتمليطها لم تكن معروفة قبل القرن الرابع قبل الميلاد[49].

من هنا يبدو، واعتمادا على الدراسات المنجزة في المراسي القديمة، أن تصميم الميناء الفينيقي كـــان بمثابة تسخير للظروف الطبيعية للمكان. ففي فينيقيا، حيث كان الساحل صخريا ووعرا، فإن توفير الميناء كان

---

(43) Tissot(Ch), Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie tingitane, op. cit, p. 211-212.

(44) Idem, Ibid, fig. p. 211.

(45) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 139.

(46) كان الفينيقيون يستمدون قوتهم من اتصالاتهم البحرية ومن الامكانيات الجيدة لمراسيهم. غير أن المصادر المتعلقة بالموانئ المتوسطية قبل العصر الهلينستي والروماني تعتبر نادرة إن لم نقل منعدمة.

(47) Cintas(P), Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc, op. cit, p. 11.

(48) Cintas(P), Manuel d'Archéologie punique, t.II, op. cit, p. 167.

غير أننا لا نعتقد كما يرى "بيير سانتاس" (Idem, Ibid, p. 165) أن السفن الفينيقية كانت دائما تجر باستمرار لاخراجها من الماء، مع وضع مساحب خشبية من تحتها لتساعدها على الجر، كما نرى ذلك في الوقت الراهن بالسواحل المتوسطية التي مازالت تستخدم الزوارق أو المراكب الخفيفة في إبحارها، سواء في صقلية أو إسبانيا أو فرنسا أو تونس أو المغرب. ويعزى ذلك الى كون المراكب الفينيقية لم تكن دائما مراكب صغيرة، خصوصا مراكب الشحن التي تستعمل الملاحة التجارية في أعالي البحار. وقد أكدت على ذلك نصوص أوكاريت التي أشارت الى حدوث اصطدامات بين المراكب داخل المراسي، وأبرزته نقوش الأسرة الثامنة عشرة بمصر، وأفرزته المعثورات الاركيولوجية، حيث تبين أن سفن الألف الثانية قبل الميلاد كانت أكبر حجما من المعتاد. انظر :

Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit. p. 157.

(49) Idem, Ibid. p. 157.

يتم إما بحفر الصخر، أوبتهيئة الحشفات الصخرية أو الجزيرات لتحويلها الى حواجز مانعة للرياح والتيارات[50]. هذه المنشآت كانت تثبت فيما بينها باستمرار بواسطة جدران متراكبة، لتفرز في النهاية بنيات مينائية مغلقة، أو بحيرات يبلغ مداها أحيانا عدة كيلومترات. وقد خضعت جزيرة صور لهذا التشكيل، حيث كانت وسط صف من الحشفات الصخرية الموازية للساحل توجد حاليا تحت البحر. هذه النتوءات التي كانت تحمي المدينة من الغمرات البحرية ومن الرياح، استطاع أهل صور أن يكيفوها لتصبح ميناءً، بفضل بعض الاعمال البسيطة من التهيئة قصد تحويل الكتل الصخرية الى حواجز حامية للرياح. وبذلك توفرت صور على مينائين اثنين لا يتم الاتصال بهما من داخل صور إلا عبر البابين الوحيدتين اللتين يشملهما سور المدينة[51]. وكان الميناء الاول الموجود في الجنوب ميناء اصطناعيا[52]، حيث تم حفره في الصخر ؛ وهومتجه صوب قبرص ومصر ومحمي بشكل أفضل من الرياح والتيارات. أما الميناء الثاني الذي يوجد في الشمال، فهو طبيعي وتم تشييده بعد تهيئة الحشفات الصخرية[53]. وقد اتخذت العديد من المدن المرفئية الفينيقية نموذج صور مثل جبيل وأرواد[54] وصيدا وتل سوقاس وسربتا (Sarepta)[55] وموتيا وقادس. كما توفرت هذه المدن أيضا على مينائين اثنين[56]: ميناء مفتوح أو خارجي مخصص للمراكب التجارية، وميناء أكثر احتماء منغلق أو داخلي بالقرب من أسوار المدينة مخصص للنقل المحلي أو للمراكب الحربية[57]. ويعتبر نموذج قرطاجة أحسن مثال عن ذلك، بمنائيها التجاري والعسكري، اللذين تحدثت عنهما المصادر الادبية، حيث كان الاول مستطيلا والثاني على شكل بحيرة اصطناعية (Cothon) أي "القطن" أو"القطع"[58]. وتستطيع المراكب خلال الجو الملائم أن ترسو بكل أمان في هذه الموانئ الصخرية بعد طي أشرعتها وإخراج سلاليم الانزال

---

(50) Idem, Ibid, fig. 24, p. 158 ; Schmitt(P), Le cap Soloeis, article dactylographié, Mai 1962, p. 10 ; Contenau(G), La civilisation phénicienne, op. cit, p. 288.

(51) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, fig. 8, p. 34.

(52) كان الميناء الجنوبي المدعو بالمرسى المصري من تشييد إيتوبعل ملك صور عند مدخل المدينة في القرن العاشر قبل الميلاد. انظر :
Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 158.

(53) Idem, Ibid, fig. 4, 5, 6.

(54) كانت جزيرة أرواد مثلا تتوفر هي كذلك على حشفات صخرية تم نحتها واستصلاحها من جهة الشمال قصد تشكيل بنية مرفئية أو حاجز يربط الجزيرة بجزيرة صغيرة (بنت الأرواد)، مما أدى الى تكوين ميناء مزدوج أو قناة مابين الجزيرتين كما هو الشأن في قادس. انظر :
Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit. p. 159.

(55) من بين المكتشفات الاركيولوجية المهمة التي تم العثور عليها في مدينة "سربتا" (Sarepta)، وهي مدينة "الصرفند" الموجودة حاليا على بعد عشر كيلومترات جنوب صيدا، تشير الى الميناء الشمالي الذي كان مزودا بكتل كبرى من الحجارة المنحوتة، وبنيات أخرى مخصصة لربط السفن. انظر :
Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit. p. 297.

(56) يورد "سباتينو موسكاتي" (S. Moscati) أن المراكز الفينيقية بجزيرة سردينيا كانت تتوفر على مينائين اثنين ذوي اتجاهين مختلفين، مما يمكن من استعمالهما كيفما كان اتجاه الرياح. كما أورد أن سوق المركز كان يوجد قبالة الميناء. انظر :
Moscati(S), L'épopée des Phéniciens, op. cit, p. 287.

(57) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit. p. 159.

(58) Idem, Ibid, fig. 25, p. 159.

التي تمدها مباشرة بين مقدمة السفينة أو مؤخرتها وبين الرصيف الصخري. ومن غير ذلك فإنها تظل راسية في أعالي البحر، وتقوم بنقل حمولتها الى الشاطئ أو المدينة بواسطة زوارق صغيرة[59].

أما في الغرب المتوسطي، فإن الفينيقيين لم يتوفروا سوى على موانئ طبيعية قليلة تــذكر بظــروف صور وأرواد وغيرها من المراسي الفينيقية، باستثناء حالة قادس وموتيا ومالطا[60]. لذلك فإنهم في السواحل المنخفضة، كانوا يرسون مباشرة على الشاطئ ؛ أما في السواحل الوعرة والقوية الانحدار، فإنهم كانوا يرسون على المقدمة الصخرية، بعد اقترابهم كثيرا منها[61]. غير أن بعض المناطق كانت توفر للسفن الفينيقية إمكانية الوصول بسهولة الى اليابسة بعيدا عن نيل الرياح وعن أعين المراكب الأخرى ؛ وهي الحالة التي كانت تتميز بها مناطق شبيهة ببيئة ليكسوس أو بساحل الاندلس الشرقية، حيث الخلجان الطبيعية ومصبات الانهار[62].

من هنا يبدو أن الميناء الذي كانت ترسو فيه السفن الفينيقية بليكسوس، لم يكن يتوفر على أيــة بنيــة مرفئية، وأنه لم يمثل سوى جزءا من الرصيف النهري أو البحيري الموجود في أقرب جهــة تمكــن مــن الوصول الى المنشأة الفينيقية، وذلك بعد ولوج مصب اللكوس، الذي كان على شكل حــوض مــائي كبيــر وهادئ، مقارنة بساحل المحيط الكثير الامواج والغير الصالح للرسو[63]. ومن المعلوم أن هذا المصب، الذي وصفته المصادر العربية بأنه كان على شكل بحيرة كبيرة[64]، شكل في حد ذاته أحد المرافئ الطبيعية الجيدة

---

[59] يبدو أن فرضية "بيير سانتاس" (P. Cintas) التي تعتبر أن الميناء الفينيقي لم يكن يمثل سوى الشاطئ الرملي على شكل نصف دائرة حيث تجر المراكب الى اليابسة أو تظل بمنئى عن الماء بفعل عملية الجزر، أضحت فرضية متجاوزة بفضل الملاحظات الحديثة حول الملاحة الفينيقية. ولعل أن ما يؤخذ على فرضية "سانتاس" (Cintas) أنها كانت تعتبر المراكب الفينيقية خفيفة الوزن، وأنها لم تكن تتحمل البقاء لمدة طويلة في الماء، اعتقادا منه أن الابحار الفينيقي لم يكن يحدث سوى في النهار. غير أن مجموعة من المعطيات الاركيولوجية والمصدرية بدأت توضح أن السفن الفينيقية المستعملة في تجارة المسافات البعيدة كانت ذات أحجام واسعة، وأن قدرة حمولتها كانت كبيرة، مما يستحيل جرها الى اليابسة، وبالتالي كانت تتطلب مراسي ذات العمق الكبير للتوقف أو الافراغ. كما أثبتت نفس المعطيات أن السفن التجارية الفينيقية لم تكن بالضرورة تستعمل المساحلة، بل كانت تقوم كذلك بالملاحة في أعالي البحار، مما يضطرها أحيانا قطع مسافات طويلة من الابحار نهارا وليلا، الامر الذي ينم عن توفرخشبها على مساكة لابأس بها. انظر :

Cintas(P), Manuel d'Archéologie punique, T. II, op. cit, p. 56-57 et 166-177.

وحول التصور الجديد للتقنيات الملاحية الفينيقية وأنظمتها، انظر :

Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 146-164.

[60] حول الموانئ الطبيعية القليلة التي كانت توفرها شمال إفريقيا للبحارة الفينيقيين، انظر :

Gsell(S), Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord, op. cit, t. I, p. 35.

[61] Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 160.

[62] Idem, Ibid, p. 161.

[63] كانت مستوطنة "لوس طوسكانوس" (Los Toscanos) تتوفر على ميناء صغير عند مصب واد "فيليز" (Velez) تم تجهيزه على ما يبدو بحاجز يشبه الرصيف. انظر :

Niemeyer(H.G), Lixus : Fondation de la première expantion phénicienne, vue de Carthage, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), Collection de l'Ecole française de Rome, n° 166, Palais Farnèse, 1992, p. 54.

[64] كتاب الاستبصار في عجائب الامصار (مجهول)، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، الدار البيضاء، دار النشر المغربية، 1985، ص. 140.

والواسعة التي وفرتها الواجهة المحيطية للمغرب، وأحسن مرسى يوجد جنوب مضيق جبل طارق[65]، حيث مثل ملجأ ممتازا بالنسبة للبحارة الذين تصادفهم مشاكل ملاحية خلال مجابهتهم عباب المحيط الوعر[66]. بل لعله يعتبر أهم ميناء طبيعي على طول الساحل المغربي، علما أن ميناء العرائش الحالي يوجد على الضفة اليسرى للمصب. لذلك لم يكن ابن سعيد المغربي مبالغا لما أورد أن "***مصب نهر القصر كان مشهورا عند المسافرين في البحر المحيط***"[67]، وأنه كان بمثابة محطة تلجأ إليها المراكب "***حتى يستقيم لها الهواء في المحيط***"[68]. كما تنص نفس المصادر على طابع الميناء لمصب نهر اللكوس، حيث أورد الجغرافي محمد الادريسي في أواسط القرن الثاني عشر ما يلي: « ***مصب نهر لُكّس في البحر على 15 ميلا أو نحوها*** [من قصر صنهاجة]. ***على المدخل حصن كبير قديم يسمى تُشُمُّس قدمنا ذكره...ومنه تشحن المراكب بالزرع***»[69]. ولاريب أن ولوج ميناء المدينة، الذي كان موجودا على بعد بضعة كيلومترات داخل الاراضي، لم يمثل أدنى صعوبة بالنسبة للملاحة القدامى، سواء اعتبرنا أن المجرى الاسفل لواد اللكوس كان عبارة عن خليج واسع، أو اعتبرنا أن ولوج ميناء ليكسوس كان يتم باتباع مجرى منعطفات النهر[70] (انظر لوحة IV).

وبحثا عن مكان الميناء المفترض خلال المرحلة الفينيقية، وحيث أن الجهة الغربية لربوة الشميس لم تكن تخضع لمتطلبات الملاحة الفينيقية، نظرا لانعدام أي ملجئ للمراكب ولا للاستقرار بحكم قوة انحدار التل، قرر "ميكيل طراديل" (Miguel Tarradell) أن يعمل على فحص المنحدر الجنوبي لليكسوس، لتوفره على الظروف الملائمة لمكان الرسو. اعتبارا لذلك، رجح الباحث الاسباني[71] أن المنطقة التي أطلق عليها اسم "حقل البئر" (Campo del Pozo)، والمنحصرة بين السفح السفلي للمنحدر الجنوبي وبين النهر، تمثل لاريب المكان الاول للرسو، وموقع أقدم المساكن. وقد مثلت خرائب مصنع تمليح السمك، الموجودة غرب "حقل البئر" علامة ثمينة ترجح أن المكان الذي كانت ترسو به مراكب الصيد خلال العصر الروماني، لم يكن بعيدا عن مكان المرسى الفينيقي.

فهل هذا يعني أن المنشأة الفينيقية كانت عند ضفة النهر ؟ أم كانت في أعلى ربوة الشميس حيث تم العثور على أغزر المخلفات الاركيولوجية الفينيقية ؟

2) موقع المنشأة الفينيقية :

أ- ليكسوس "العليا" أم ليكسوس "السفلى" ؟

بحثا عن موقع المنشأة الفينيقية، كانت الحفائر الاولى التي أنجزها "طراديل" (M.Tarradell) في ليكسوس متمركزة في الجزء الاسفل للمدينة[72]، حيث قام باستبارين اثنين، أولهما يحمل رقم 1، وشمل مصنع

---

(65) بالرغم من وجود بعض المراسي الطبيعية شمال ليكسوس كشاطئ رأس أشقار ومصب واد الغريفة، إلا أنها لاتعدو أن تكون مراسي مؤقتة، الامر الذي يجعل من مصب واد اللكوس أفضل مكان يختاره الفينيقيون كمحطة تتوقف فيها سفنهم في اتجاه الجنوب خلال ملاحتهم التجارية.

(66) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 13.

(67) ابن سعيد(علي)، كتاب الجغرافيا، تحقيق، اسماعيل العربي، المكتب التجاري، بيروت، 1970، ص. 138.

(68) نفسه، المرجع السابق.

(69) الادريسي(محمد)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، بدون تاريخ، المجلد الثاني، ص. 189.

(70) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 12-19

(71) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 143.

(72) Idem, Ibid, p. 144.

تمليح السمك، والثاني يحمل رقم 2 وخص منطقة "حقل البئر" (Campo del Pozo) (انظر لوحة IX). غير أن هذه الاستبارات لم تثبت أية علامة ترجح فرضية وجود النواة الحضرية الاولى لليكسوس بالقرب من النهر، نظرا لعدم العثور عن أي أثر فينيقي في الجهة السفلى من المركز.

والحالة هذه أن العديد من المؤلفين كانوا يعتقدون وما يزالون أن النواة الاولى لجميع المنشآت الفينيقية كانت توجد بالقرب من المرسى، وبأن هذه النواة تطلبت وقتا طويلا لتنتقل الى أعلى التل[73]. وفي هذا الصدد يرى "بيير سانتاس" مثلا في شأن الموقع القديم لقرطاجة، أن الشاطئ النصف الدائري الممتد جنوب رأس سيدي بوسعيد، والذي يحيط به حزام من التلال التي تقوم بدور التحصين الطبيعي، كان يمثل المكان المتوفر على أحسن الضمانات الامنية التي كان يبحث عنها التجار الفينيقيون لتشييد منشآتهم الدائمة[74]. هذا المكان وفرته منطقة "درميش" (Dermech) حسب نفس المؤلف[75]، حيث قام البحارة الاوائل الذين كانوا يكتشفون خليج تونس، بتشييد بناياتهم الاولى بالقرب من الساحل، وعملوا على حفر مدافن أمواتهم عند سفح الربوة. فموقع "درميش" (Dermech)، الذي كشف حسب "بول كوكلير" (P.Gauckler) عن أقدم مدافن قرطاجة[76]، كان يكفي بشكل وافر للمدينة الناشئة. ولم تمتد البنايات الى المنطقة الموجودة بين مرتفع "بيرسة" (Byrsa) والميناء، إلا مع قدوم عليشة وتأسيس المدينة الجديدة "قرط حدشت". فحسب عبارة "بول كوكلير" (P.Gauckler)[77] فإنه « ***بقدر ما نتجه صوب المناطق المرتفعة، بقدر ما تصبح العهود حديثة*** ».

انطلاقا من هذه الملاحظات، يرى "بيير سانتاس" (P.Cintas) أن الموقع الذي نزل به الفينيقيون لاول مرة في ليكسوس لم يكن بالضرورة في نفس المكان الحالي للمركز، مرجحا وجوده في الجهة الشمالية لمصب نهر اللكوس. فالجزء الشرقي للشاطئ الاصطيافي لمدينة العرائش المعروف باسم "الرمل"، مثّل حسب "بيير سانتاس" (Pierre Cintas)[78] المكان الذي رست فيه المراكب الفينيقية الاولى، معتبرا أن التنقيبات الاركيولوجية يجب أن تشمل هذا القطاع، حيث من الممكن أن تكشف عن أقدم المخلفات الفينيقية بناحية ليكسوس (انظر لوحة LXXIII). كما يرى "أندري جودان" (A.Jodin)[79] كذلك أن الابحارات الفينيقية الاولى في ناحية ليكسوس شملت الشواطئ الموجودة عند مصب نهر اللكوس، التي من الممكن أن تفرز يوما ما عن آثار فينيقية. ويعتقد أن المنشأة الرئيسية تركزت بسرعة فوق الاكروبول، حيث تم العثور لحد الآن على أقدم المخلفات الفينيقية.

وترجيحا لنفس الفرضية التي ترى أن النواة الاولى للمنشآت الفينيقية كانت بالقرب من الساحل، يعتقد "هانس نييميير" (H.Niemeyer) أن مرتفع "بيرسة" (Byrsa) بقرطاجة لم يمثل النواة الاولى للمدينة، حيث يعتبر أن قرطاجة لم تؤسس في قمة تل مرتفع، بل عند الشاطئ وحول الميناء الذي تم تشييده من طرف

---

[73] Cintas(P), Manuel d'Archéologie punique, t. I, op. cit, p. 224.

[74] Idem, Ibid, p. 430.

[75] Idem, Ibid, p. 430.

[76] Gauckler(P), Nécropoles puniques de Carthage, op. cit.

[77] Idem, Ibid, p. 400 et 473 ; Idem, Fouilles de Carthage, **Revue archéologique II**, 1902, p. 369 ss.

[78] Cintas(P), Manuel d'Archéologie punique, t. I, op. cit, p. 248, n° 11.

[79] Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 40-41.

السكان الاوائل للقيام بالتجارة[80]. كما يعتقد أن مستوطنة "لوس طوسكانوس" (Los Toscanos) بإسبانيا لم تشيد بدورها في قمة المرتفع، بل على الشاطئ وحول الميناء[81]. وبذلك يفترض "هانس نيميير" (H.Niemeyer)[82] أن موقع المنشأة الفينيقية الاولى بليكسوس لم يتحدد بعد، وبأنه لم يكن في قمة التل، بل بالقرب من نهر اللكوس عند قدم ربوة "تشميس"، مرجحا أنه يوجد إما في المنحدر الشرقي، أو عند الجون بالشرق[83] (انظر لوحة LXXIII).

غير أن المكتشفات الاركيولوجية الحديثة أضحت تبين أن المواقع القديمة للعديد من المراكز الفينيقية كانت على العكس مما سلف ذكره، تتمركز منذ النشأة الاولى في قمم التلال وليس عند أسفلها. ففي شأن قرطاجة مثلا[84]، وبعد جدال عقيم حول موقع المنشأة القديمة التي شيدتها عليشة، بين من كان يحددها في "القرم" أو في "المرسى" أو في "سيدي بوسعيد" أو في ربوة "سانت لويس" (St.Louis)، أثبتت التحريات الالمانية لسنتي 1983 و1986 وجود بقايا لمساكن وأسوار تؤرخ بالقرن الثامن قبل الميلاد في المنحدرات الشرقية لربوة بيرسة[85]. كما تبين أن أقدم مدافن المدينة لم تكن في مقبرة "درميش" القريبة من الساحل، كما كان يعتقد "بول كوكلير" (P.Gauckler) و"بيير سانتاس" (P.Cintas)، بل كانت في مقبرة "جونون" (Junon) في التلال العليا لقرطاجة القريبة من تل "بيرسة" (Byrsa)[86]. علاوة على ذلك، كشف الفحص الاركيولوجي في قادس أن الأكروبول القديم للمنشأة الفينيقية، كان يوجد فوق أعلى رأس بمدينة قادس الحديثة، بالجهة المعروفة باسم "طورّي دي طابيرا" (Torre de Tavira)[87].

هذه المكتشفات جاءت لتدعم الفرضية التي كان "ميكيل طراديل" (M.Tarradell) قد رجحها منذ حوالي نصف قرن، والتي ترى أن المنشأة القديمة لليكسوس كانت في أعلى ربوة الشميس وليس في أسفلها. ومن المعلوم أن أغزر وأقدم المواد الفينيقية التي تم العثور عليها، كانت تكتشف كلما تم الصعود نحو أعلى المركز، خصوصا بعد نتائج استبار الخروب واستبار المخيم، واستبار "قطاع المنازل"، والاستبارات التي تمت في قطاع حي المعابد. ومما زاد من مصداقية هذه الفرضية أن استبار "الزيتونة" الذي أنجزته مؤخرا البعثة المغربية-الاسبانية في ليكسوس عام 1999، جاء ليثبت أن موقع المستوطنة الفينيقية كان يمتد من أعلى قمة هضبة الشميس الى سفحها الجنوبي[88]. من هنا يبدو بكل جلاء أن أقدم مستويات ليكسوس لا ينبغي البحث

---

(80) Niemeyer(H.G), Lixus : Fondation de la première expantion phénicienne, vue de Carthage, op. cit, p. 54.

(81) Idem, Ibid, p. 56.

(82) Idem, Ibid, p. 57.

(83) Idem, Ibid, fig. 2, p. 47.

(84) في الواقع لا نعلم عن قرطاجة العتيقة من الناحية الاركيولوجية سوى بعض المقابر، ومخزن للقرابين مشكوك فيه يعرف باسم Chapelle Cintas، ومقبرة القرابين البشرية التي تعرف باسم "التوفة" (tophet) الموجودة بسلامبو. بل لا نعرف حتى المكان المضبوط للمدينة القديمة، التي لا نتوفر في شأنها عن أي أثر سابق لسنة 400 قبل الميلاد، بسبب السيطرة الرومانية والتخريب الذي لحق قرطاجة عام 146 قبل الميلاد. انظر :

Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 199.

(85) Idem, Ibid, p. 201.

(86) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 76, fig. 35.

(87) Idem, Ibid, p. 236.

(88) Aranegui(C), La campaña de Excavaciones de 1999, op. cit, p. 111.

عنها في الجزء الاسفل للمركز، بل في المنطقة الممتدة بين منتصف السفح الجنوبي والجهة العليا لهضبة "الشميس". وفي هذا الصدد يجدر الاخذ بعين الاعتبار فرضية "ميكيل طراديل" (M.Tarradell) التي ترجح أن قطاع "البازيليك" كان يمثل منطقة كثيفة السكان خلال أقدم عصر عاشته ليكسوس، نظرا للعثور على كسرات لا تحصى من الخزف الفينيقي ذي البرنيق الاحمر[89].

استنادا لهذه المعطيات، يتبين أن أقدم تجمع سكاني فينيقي بليكسوس كان مستقرا في سهل الهري، أي في الهضبة الصغيرة العليا لتل "الشميس"، وفي جزء من السفح الجنوبي، دون الاقتراب من الجهة السفلى القريبة من النهر[90]. وبذلك يبدو أن الفرضية القائلة باحتمال وجود منشأة أولية في منطقة "حقل البئر" وضواحيها، بتوفرها على مقبرة في المنحدرات المحيطة بهذه المنطقة، يمكن اعتبارها كما لاحظ "طراديل" (M.Tarradell)[91] فرضية متجاوزة. وبقراءة سريعة في خريطة توزيع الاستبارات التي كشفت عن مخلفات فينيقية تؤرخ بالقرنين الثامن والسابع قبل الميلاد، يتبين بالفعل أن الموقع المفترض للمنشأة الفينيقية كان يوجد في أعلى التل، ممتدا على أحسن جهة وفرتها ربوة ليكسوس لاقامة تجمع سكاني. ذلك أنه على مجموع الاستبارات الاربعة عشر التي كشفت عن مخلفات فينيقية، نجد أن إثنى عشر من هذه الاستبارات كانت متمركزة في هضبة الهري المنبسطة، بينما كانت الاستبارات الاخرى في موسطة السفح الجنوبي القليل الانحدار (انظر لوحة IX). ومن غريب الصدف أن هذه المنطقة تعد أهم جزء في ليكسوس يتوفر على أوفر المباني العمرانية وأضخمها، مما يعني أن الاستقرار السكاني بهذا الجزء كان مستديما منذ أقدم المراحل التاريخية التي مر منها المركز.

وبالاعتماد فقط على الاستبارات التي أفرزت مستويات أركيولوجية فينيقية[92]، يلاحظ أن الموقع المفترض للمنشأة الفينيقية بليكسوس، كان يمتد من موسطة السفح الجنوبي لهضبة الشميس جنوبا الى ضريح "سيدي غزال" والسور الشرقية شمالا، ومن قطاع "البازيليك" شرقا الى قطاع المنازل وحي المعابد غربا. أي أنه كان يشمل نفس المساحة التي حددها "طراديل" (M.Tarradell)[93]، والتي تعادل حوالي 400 متر من الشمال الى الجنوب وحوالي 300 متر من الشرق الى الغرب، مما يعني أن المساحة المفترضة للموقع الفينيقي كانت تعادل تقريبا 12 هكتارا[94].

وبالطبع، عند مقارنة هذه المساحة بما كانت عليه بعض المدن الفينيقية الهامة في الشرق أو في الحوض المتوسطي الاوسط، نلاحظ أن هذه المساحة كانت صغيرة. فلا مجال مثلا لمقارنة المنشأة الفينيقية في ليكسوس بما كانت عليه مدينة "كيتيون" (Kition) بقبرص التي بلغت مساحتها 70 هكتارا، أو مدينة صور

---

(89) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 153.

(90) Aranegui(C), Belén(M), Fernández Miranda(M), Hernández(E), La recherche archéologique éspagnole à Lixus : Bilan et perspectives, op. cit, p. 11.

(91) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 156.

(92) بمعنى أن موقع المنشأة الفينيقية يمكن أن يكون أوسع من ذلك.

(93) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 156 ; Idem, Notas acerca de la primera época de los Fenicios en Marruecos, op. cit, p. 77-78.

(94) Aranegui(C), Tarradell-Font(N), Lixus colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Apuntes para una Historia de la investigación arqueológica, op. cit, p. 26.

التي بلغت مساحتها 57 هكتارا، أو مدينة موتيا بصقلية التي بلغت مساحتها 40 هكتارا[95]. لكن عندما نقارن مساحة ليكسوس بمثيلاتها من المنشآت الفينيقية المعاصرة المكتشفة بإسبانيا، نندهش لاتساع رقعتها، كما لاحظ ذلك بحق "ميكيل طراديل" (M.Tarradell)[96]، وتم تأكيده مؤخرا بفضل نتائج استبار "الزيتونة"[97]. فمساحة كل من قادس و"لوس طوسكانوس" (LosToscanos) و"إيـــل مـــورّو دي ميـــــسكيتيا" (El Morro de Mezquitilla) مثلا لم تكن تتعدى عشر هكتارات[98]. كما بلغت مـــساحة "ألمونييكـــار" (Almunécar) و"صيرّو ديل برادو" (Cerro del Prado) و"كاستيو دي دونيـــا بلانكـــا" (Castillo de Dona Blanca) ست هكتارات لكل واحدة منها، ومساحة "لامـــونتيلا" (La Montila) 2,25 هكتارا، ومساحة "صيرّو ديـــل فييار" (Cerro del Villar) هيكتارا واحدا[99].

وإذا كان علماء الآثار يستطيعون تقدير عدد سكان أي مركز من خلال مساحته، وبالاعتمـــاد علـــى الكثافة السكانية التي اعتمدها "هانس نييميير" في المنشآت الفينيقية بإسبانيا، والتي تعادل 200 نسمة في الهكتار الواحد[100]، فإن عدد سكان ليكسوس خلال المرحلة الفينيقية بلغ حوالي 2400 نسمة. وهو عدد تقريبي، علما أن المساحة المكتشفة لحد الآن يمكن أن تكون أوسع. وبالطبع، فإن هذا العدد المفترض يعتبر عددا ضـــئيلا مقارنة بالمدن الفينيقية الكبرى مثل صور، التي بلغ عدد سكانها 30.000 نسمة في حالة السلم و40.000 نسمة في حالة الحرب[101]، و"موتيا" التي بلغ عدد سكانها في القرن السادس قبل الميلاد 15.800 نسمة[102]. لكن عدد سكان ليكسوس كان على ما يبدو أكبر من عدد سكان المنشآت الفينيقية بإسبانيا، إذ لم يكن يتعدى عـــدد

---

(95) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 258.
كان عرض مدينة صور يساوي 700م/750م (Idem, Ibid, p. 31).

(96) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 156 et 222.

(97) Aranegui(C), La campaña de Excavaciones de 1999, op. cit, p. 111.

(98) Pellicer Catalan(M), Distribución y función de los asentamientos fenicios en Iberia, op. cit, p. 302 ; Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 258.

(99) من الملاحظ أن هذه الاحصائيات التي أوردها عالم الآثار الاسباني "مانويل بيسير كاطلان" (M. Pellicer Catalan) خلال المؤتمر الدولي الثالث للدراسات الفينيقية-البونيقية المنعقد بتونس عام 1991، كانت مختلفة بعض الشيء عن الاحصائيات الحاضرة في مؤلف "ماريا إوخينيا أوبيت" (Maria Eugenia Aubet) الصادر عام 1987. انظر هامش رقم 99، وانظر كذلك قصد المقارنة :
Gras(M), Rouillard(P), Teixidor(J), L'univers phénicien, op. cit, p.61.
ويمكن ملاحظة كذلك أن المساحة المتعلقة بمركز "صيرّو ديل فييار" (Cerro del Villar) أصبحت تعادل 10 هكتارات في بعض المؤلفات الحديثة، وليس هكتارا واحدا كما ورد ذلك سابقا لدى مكتشفة المركز "ماريا إوخينيا أوبيت" (Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 258). انظر :
Aranegui(C), Tarradell-Font(N), Lixus colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Apuntes para una Historia de la investigación arqueológica, op. cit, p. 26.

(100) Niemeyer(H), El yacimiento fenicio de Toscanos. Urbanística y función, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, t. I, op. cit. pp. 109-126.

(101) كانت الكثافة السكانية لمدينة صور تبلغ حوالي 520 نسمة في الهكتار الواحد. والغالب على الظن أن هذه الكثافة المرتفعة تعزى الى توفر المدينة –التي شيدت فوق جزيرة صغيرة– على بنايات من عدة طوابق. انظر :
Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 31-32.

(102) وقد تم الخروج بهذه الاستنتاجات بفضل دراسة مدافن موتيا. انظر :
Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 209.

سكان قادس و"لوس طوسكانوس" (Los Toscanos) و"إيل موروّ دي ميسكيتيا" (El Morro de Mezquitilla) 2000 نسمة في المنشأة الواحدة. كما أن عدد سكان "ألمونييكار" (Almunécar) و"صيروّ ديل برادو" (Cerro del Prado) لم يكن يتجاوز 1200 نسمة لكل واحد منهما، وعدد سكان "لامونتيلا" (La Montila) 450 نسمة، وعدد سكان "صيروّ ديل فيلار" (Cerro del Villar) 200 نسمة فقط[103].

وإذا ما تأكدت صحة هذه الاحصائيات، فإنه يجدر مرة أخرى الاخذ بعين الاعتبار مسألة اتساع رقعة ليكسوس التي أوردها المؤرخ الروماني "كورنيليوس نيبوس" (Cornelius Népos)[104]. كما تحثنا هذه الملاحظة على البحث عن الخصوصيات الطوبوغرافية التي أهلت ليكسوس لتوفرها على تلك الرقعة الشاسعة التي أثارت انتباه "طراديل" (M.Tarradell)، وعن المؤهلات التي حثت الفينيقيين لتشييد منشأتهم منذ الوهلة الاولى في أعلى ربوة الشميس وليس عند أسفلها القريب من المرسى.

وفي الواقع، لاينبغي أن نندهش من هذا الموقع، لأن الاستقرار في المنطقة العليا لتل "الشميس" تمليه أحسن الظروف التي وفرتها منطقة ليكسوس، نظرا لنقاء هوائها بحكم وجودها المرتفع عن المستنقعات التي تحف بالتل، ونظرا لاستقبالها لنسائم البحر[105]. كما تبدو الربوة التي شيدت فوقها مدينة ليكسوس خلال فصل الشتاء، وكأنها تطفو فوق منطقة رسوبية منخفضة. وأحيانا تغمر مياه النهر المنطقة برمتها عند حدوث الفياضانات المتكررة والمهولة[106]، لدرجة تجعل ربوة ليكسوس تظهر على شكل جزيرة عند رؤيتها من جهة البحر أو النهر[107] (انظر لوحة أ رقم 1). يقول "بلينيوس" (Pline) في هذا الصدد : « ***ويحتوي هذا المصب على جزيرة ؛ ورغم أنها معزولة وأكثر انخفاضا من الاراضي المجاورة لها فهي لا تغمر بمياه المد***»[108]. وهذا يعني أن المكان كان يحظى بتحصين طبيعي فريد من نوعه، وأن ليكسوس كانت تتوفر على نظام دفاعي طبيعي، متضمنا لنفس الخصائص الطوبوغرافية التي تقتضيها إقامة أية منشأة فينيقية فيما وراء البحار.

ب- التحصين الطبيعي :

من الملاحظ أن جميع المنشآت الفينيقية التي تم تشييدها للاستقرار السكاني، والتي تقتضي تملكا ترابيا ومراقبة منظمة للظهير المباشر، كانت تتطلب حماية للاراضي المحيطة بها[109]. وهذا ما يفسر لماذا كانت

---

(103) Pellicer Catalan(M), Distribución y función de los asentamientos fenicios en Iberia, op. cit, p. 302.

(104) Pline, Histoire Naturelle, V, 2-4 ; ap. Desanges(J), Sources littéraires antiques sur Lixos, op. cit, p. 407.

كما أن هذه المعطيات، التي توحي بأن ليكسوس كانت أوسع من توأمتها قادس، لا ينبغي أن تثير انتباهنا لمّا نلاحظ أن المصادر القديمة تنص على أن ليكسوس كان بها معبد فينيقي لملقارت أقدم من معبد قادس.

(105) Aranegui(C), Belén(M), Fernñndez Miranda(M), Hernández(E), La recherche archéologique éspagnole à Lixus : Bilan et perspectives, op. cit, p. 7-8.

(106) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, pl. III, p. 14.

(107) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, pl. IV, p. 15 ; Aranegui(C), Presentación, **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4**, 2001, fig. 1, p. 1.

(108) Pline, Histoire Naturelle, V, 4.

(109) Aubet(M. E), Los Fenicios en España : Estado de la cuestion y perspectivas, op. cit, p. 28.

جل المستوطنات الفينيقية تتوفر على نظام دفاعي، سواء بشكل طبيعي مثل قادس[110]، أو بتوفرها على شبكة من التحصينات، كما كان الامر في جزيرة سردينيا[111] أو في "لــوس طوســكانوس" (Los Toscanos) باسبانيا[112].

وإذا كانت التنقيبات الاركيولوجية المنجزة في ليكسوس وناحيتها لم تكشف لحد الآن عن أية علامــة عن وجود منشآت محصنة تنتمي الى المرحلة الفينيقية، فمرد ذلك أن الطوبوغرافيا كانت توفر تحصينا طبيعيا يحمي الموقع من جميع الجهات. فمن الناحية الجيومرفلوجية، شيدت ليكسوس[113] فوق مجموعة من التلال المطلة على مصب اللكوس، مكونة وحدة من الاراضي المرتفعة نسبيا، تحد من الجنوب ومن الغرب بــواد اللكوس، ومن الشمال والشرق بمجموعة من الاودية العميقة، التي تفصل تلك الكتلة الصغيرة عن باقي هضبة "الساحل"[114]. وتوجد الربوة الصخرية التي شيدت بها ليكسوس مرتفعة عن سطح البحر بعلو يناهز ثمــانين مترا داخل منطقة مستنقعية، وتبعد عن ساحل البحر بمسافة تعادل 1,500م[115]. وهي ذات تكوين جيولوجي قديم، إذ تعود الى عصر الميوسين الاسفل، وتوجد على بعد ثلاثة كيلومترات من مدينة العرائش[116]، بجوار الطريق الوطنية طنجة–الرباط، التي تخترق الاحياء الصناعية القديمة للمدينة، الممتدة بين الميناء المفتــرض شرقا وأحواض مصانع الكاروم (Garum) غربا.

ويمكن تقسيم هذه الوحدة الطوبوغرافية الى قطاعين اثنين حسب تقسيم "طراديل"[117] وهما القطــاع الشرقي والقطاع الغربي، الذي يهمنا بشكل مباشر في هذه الدراسة. ويتكون هذا القطاع الاخير، الذي يطــل مباشرة على مصب واد اللكوس، من تلين اثنين ملتحمين في جزئهما الاعلى علــى شــكل أرض منبسـطة ومتجعدة بعض الشيء. وهو القطاع الذي يطلق عليه المحليون اسم "الشميس"، بينما يطلقون علــى الــسهل الموالي اسم "الهري"، الذي يجاوره عند حدوده الشمالية ضريح سيدي احمد غزال[118].

ولا ريب أن تأسيس الفينيقيين لمستوطنة لهم بهذه الربوة لم يكن تأسيسا اعتباطيا، بل أملته مــؤهلات طبيعية واقتصادية وفرها المكان وحوتها المنطقة. فربوة "الشميس" في حد ذاتها تمثل مكانا محصنا طبيعيــا، حيث أن خطوط التسوية الظاهرة بالتصميم الطوبوغرافي الذي أعده " ميشيل بونسيك" (M.Ponsich)، تُبرز

---

(110) من المعلوم أن كلمة قادس أو "كادر" مشتقة من المصدر الفينيقي [ج د ر] الذي يعني "الجدار" أو "المكان المغلق" أو "المدينة المحصنة". انظر:

Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 230.

(111) Barreca(F), Le fortificazioni fenicio-puniche in Sardegna, op. cit.

(112) Aubet(M. E), Los Fenicios en España : Estado de la cuestion y perspectivas, op. cit, p. 29.

(113) يعد "شارل تيسوت" (Ch. Tissot) أول باحث قام بوصف مكتمل لموقع ليكسوس كما شاهده في أواخر القرن التاسع عشر. انظر :

Tissot(Ch), Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie tingitane, op. cit, p. 305 ss.

(114) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 135.

(115) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 12, fig. 2, pl. II.

(116) يذكر "بونسيك" (Ponsich) أن مركز ليكسوس يوجد على بعد أربعة كيلومترات شمال ميناء مدينة العرائش . انظر :

Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 12

(117) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 135.

(118) Idem, Ibid, p. 135.

منحدرا شديد الميلان من جهة الغرب، موفرا بذلك إمكانية دفاعية طبيعية لأي تجمع سكاني بالربوة[119] (انظر لوحة IX). كما أن المنحدرات الجنوبية لربوة "الشميس"، التي تنزل حتى ضفة النهر، تشكل حدودا طبيعية كذلك، وتمثل بالتالي حماية إضافية للمركز. ونفس الملاحظة يمكن تسجيلها من جهة الشرق، حيث تتقارب كذلك خطوط التسوية، ممثلة حماية أخرى مطلة على النهر. أما في الشمال، فإن المنخفض الخفيف الانحدار المتجه نحو الشمال-الشرقي، يسد كل منفذ محتمل نحو الجهة العليا لهضبة الهري[120].

وهكذا نلاحظ أن الظروف الطبيعية وفرت لليكسوس جميع المؤهلات لكي تكون موقعا محصنا على علو يناهز ثمانين مترا من مستوى سطح النهر، والتي تبدو من جهة البحر خلال أيام المد الكبير أو الفياضانات القوية على شكل جزيرة[121].

إضافة الى مؤهلات التشييد الطوبوغرافية، وبفضل وجود ليكسوس في منطقة غنية بالثروات الفلاحية والسمكية والغابوية، وبفضل موقعها الاستراتيجي في الطريق الفينيقية المتجهة لاكتشاف الجنوب الاطلنطي، توفرت المستوطنة الفينيقية على مجال محلي وإقليمي وافر للاستغلال الاقتصادي.

II ـ المجال الاقتصادي واستغلاله :

إلى جانب الحماية الطبيعية التي حظيت بها ليكسوس، ساعدت الموارد المتنوعة والظروف الملائمة التي توفر عليها الاقليم على الاهتمام الخارجي المبكر بالمنطقة، وعلى نمو المركز بشكل سريع. ولاريب أن أهم الموارد المحلية التي كانت تتوفر عليها ليكسوس، والتي اعتبرت من أهم مؤهلات تشييدها، شكلتها إمكانياتها الفلاحية والغابوية، ومواردها البحرية.

1) الظهير الفلاحي :

حظي وادي اللكوس وحوافيه الخصبة بمناخ رطب، تجعل منه إلى يومنا هذا حديقة غناء. كما يسمح واد اللكوس الصالح للملاحة بالتوغل داخل الاراضي في عمق عدة كيلومترات، لولوج منطقة تصلح لممارسة الفلاحة وتربية الماشية في آن واحد. غير أن المجال الفلاحي الحقيقي لليكسوس مثلته الاراضي الغنية الموجودة شمالا بهضبة "الساحل" التي تعتبر امتدادا لربوة "الشميس"، وليس جنوبا حيث وادي اللكوس، الذي كانت تكثر به الاراضي المستنقعية. وهي المنطقة التي كانت على شكل سهل خصب تتخلله مجموعة من الاودية الصغيرة المفتوحة على البحر[122]، مقارنة بمرتفعات "الساحل" المحيطة بها من الشرق ومن الشمال، والمتميزة بندرة في المواقع الاثرية.

فمن خلال مجموعة من التنقيبات بالهضبة الموجودة شمال ليكسوس، وبالسهول المرتبطة بواد سيدي عبد الرحيم وواد السواحل وواد الدالية، استطاع "ميشيل بونسيك" (M. Ponsich) أن يعثر على مجموعة من

---

(119) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 20, fig. 4.

(120) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 136.

(121) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 20, pl. III, p. 14, pl. IV, p. 15.
سنعود الى هذه الملاحظة عند طرح مسألة الجزيرة التي شيد بها معبد ملقارت حسب المصادر القديمة.

(122) تكونت هذه الاودية العميقة بفعل الترسبات التي كونتها مجموعة من الوديان الصغيرة، نذكر منها من واد النخلة وواد السواحل وواد الدالية وواد سيدي عبد الرحيم القريب من ليكسوس. انظر :
الخريطة الطوبوغرافية "العرائش" من مقياس 1/100.00 (Feuille NI - 29 - XXIV - 2).

البقايا الاركيولوجية[123] (انظر لوحة رقم LXXI). هذه البقايا اعتبرت شواهد على وجود مراكــز فلاحيــة قديمة عرفت نشاطا مكثفا، كما تثبت ذلك النقود المسكوكة بليكسوس خلال العصر ما قبل-الرومــاني. فقــد نقشت في العديد من هذه النقود أشكال تصويرية لها علاقة بالنشاط الفلاحي للمدينة وببعض منتوجاتها المحلية، مثل سنابل القمح وعناقيد العنب[124] (انظرلوحــة رقــم LXXIV). وبــذلك يعتقــد "ميــشيل بونــسيك" (M.Ponsich) أنه لاينبغي الاستغراب إذا تم الكشف في ضواحي ليكسوس عن ضيعات فلاحية كانت مجالا لزراعة الكروم والزيتون والقمح، والتي كانت تساهم لاريب في ازدهار المدينة[125]. ومما يــرجح ذلــك أن أسماء الاماكن التي كانت موضعا لهذه البقايا تحمل أسماء تعكس وفرة المنتوجات التي صورتها النقود، مثــل عين الدالية وواد الدالية وعين الزيتون وبلاد الزيتون. كما تم العثور بالقرب من هذه المراكز على قطع مــن دعامات قناة للري، وبقايا معصرات، الى جانب كسرات من أمفورات[126]. أما في مقعرات الاودية، فيبدو أن زراعة الحبوب كانت هي السائدة، نظرا لانعدام الكشف عن أية معصرة تذكر، علاوة على أن جل الاطلال المكتشفة مازالت محاطة بأراض يزرع فيها القمح. وهذا يعني حسب "ميشيل بونسيك" (M. Ponsich)، أن الامر كان يتعلق بمجموعة من الضيعات يفصلها عدد كبير من الاراضي الواسعة كانت تــصلح لزراعــة الحبوب والزيتون[127].

ومما يرجح أن المجال الفلاحي لليكسوس كان يمتد شمال المركز ولــيس فــي جهــة أخــرى، أن الاراضي المنخفضة لمصب اللكوس، والتي ما زالت تغمر بشكل كلي الى يومنا هذا، لم تكن تسمح بإمكانيــة استغلال المجال والتوسع فيه من جهة الجنوب. كما أن أراضي المرتفعات المطلة على ليكسوس من جهــة الشرق، والكثبان الرملية المحادية للساحل من جهة الغرب، كانت غير صالحة للفلاحة. وهذا ما يفسر لمــاذا كانت أبواب سور ليكسوس توجد في الاطراف الشمالية من المدينة، حــسب مــا كــشف عنــه "ميــشيل بونسيك"[128]، والتي تنطلق منها الطريق التي كانت تربط ليكسوس بزيليس وطنجيس[129] (انظر لوحة رقم LXXV).

---

(123) Ponsich(M), Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc : Région de Lixus, **B.A.M,** t. VI, 1966, fig. I, p. 380-381.

(124) El Harif(F.Z) et Giard(J.B) Préliminaires à l'établissement d'un corpus des monnaies de Lixus, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), Collection de l'Ecole française de Rome, n° 166, Palais Farnèse, 1992, p. 268, fig. 2-3-4-5-8-10.

وكانت الاشكال التصويرية التي تمثل عناقيد العنب وسنابل القمح تمثل نسبة كبيرة في مسكوكات ليكسوس الى جانب سمك التون. فمن خلال عينة نقدية حصرتها بين النقود المرقمة من 1 الى 44 من تصنيف "جان ماريون" (J. Marion)، التي ضربت في عهد "بوكوس"، تبين أن عدد النقود التي كانت تحتوي على صور لعناقيد العنب بلغ عشرين نقدا، والتي تحتوي على صور لسنابل القمح بلغ تسعة عشر نقدا. انظر : Marion(J), Les monnaies de Shemesh et des villes autonomes de Maurétanie tingitane au musée Louis Chatelain, op. cit , p. 75-81

(125) Ponsich(M), Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc : Région de Lixus, op. cit, p. 378.

(126) Idem, Ibid, p. 378, pl. XIII.

(127) Idem, Ibid, p. 378.

(128) Ponsich(M), Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc : Région de Lixus, op. cit, p. 384.

هذه المنطقة، التي مثلت الظهير الفلاحي الرئيسي لليكسوس، عرفت استقرارا سكانيا كثيفا منذ العصر النيوليتي، كما تشهد على ذلك مجموعة من المراكز السطحية التي كانت تجمع بينها طريق تمتد من ليكسوس الى مزورة ثم الى ناحية طنجة[130] (انظر لوحة رقم LXXI). وعلى ما يبدو، مارس سكان هذه التجمعات نشاط الصيد البحري بساحل البحر، وزاولوا الفلاحة وتربية الماشية بداخل الاراضي[131]. ومن المرجح أن هذه التجمعات استمرت في الوجود خلال العصر الفينيقي-البونيقي، كما توحي بذلك مجموعة من المخلفات الاركيولوجية. فقد عثر "ميشيل بونسيك" على كسرات من أمفورات نعتها بالبونيقية في المركز الذي يحمل رقم 4 (الضيعة التجريبية) وفي مركز رقم 74 (بلاد الصمعة) بأطلسه الاركيولوجي لناحية ليكسوس[132]. كما عثر على أعناق أمفورات من نفس النوع في مركز رقم 50 (الدشيوار)، وفي مركز رقم 55 (أوبيما)، علاوة على عروات من نفس الامفورات في مركز رقم 51 (عين جطي)[133]. وكتب له أن يعثر على أمفورة شبه كاملة في مركز رقم 71 (بلاد الغياط)[134]. غير أن ما يلاحظ على "بونسيك" أن تسمية بقايا هذه الامفورات بالبونيقية لا تستند على أية مقارنات تذكر، مما يجعلنا غير متيقنين من أصولها وتاريخها. فهل تعتبر قرطاجية الاصل ؟ هل هي فينيقية المصدر، خصوصا وأن استعمال مصطلح "بونيقي" كان يكتنفه كثير من الغموض في عصر "بونسيك" ؟ أم تعتبر فقط من الامفورات التي تم صنعها في مركز "الاقواس" القريب من المنطقة، والمشهور بإنتاجه لامفورات ذات التأثير الفينيقي-البونيقي[135] ؟

كيفما كان الحال، فإن استقرار الانسان في ظهير ليكسوس منذ عصور ما قبل التاريخ، والتأكيد على استغلاله لارضه، يجعلنا نرجح أن السكان الفينيقيين الذين كانوا مستقرين في مستوطنة راوح عدد سكانها على ما يبدو 2400 نسمة، كانوا على علم بالامكانيات الفلاحية التي وفرتها المنطقة، وعلى معرفة بالموارد الغذائية التي يتطلبها مقامهم. وهذا يعني أنهم استغلوا بدورهم هذا الظهير، كما يوحي بذلك حنون، الذي صادف مجموعة من سكان ليكسوس الفينيقيين يرعون ماشيتهم في ضاحية مدينتهم عندما ولج مصب اللكسوس[136]. ومن المعلوم في هذا الصدد أن جل المراكز الفينيقية التي أنشئت للاستقرار، كانت تتوفر على ظهير فلاحي

---

[129] نظرا لوجود شبه حدود طبيعية تحيط بهذا المجال، يعتقد "ميشيل بونسيك" (M. Ponsich) أن الوسيلة المثلى لاتصال سكان هذه الاودية بمدينة ليكسوس كان يتم عبر البحر، أفضل من تسلق قمم المرتفعات التي كانت تفصل بين كل قطاع. انظر :

Ponsich(M), Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc : Région de Lixus, op. cit, p. 390.

[130] Idem, Ibid, p. 382.

[131] Idem, Ibid, p. 382.

[132] Idem, Ibid, p. 397 et 420.

[133] Idem, Ibid, p. 412.

[134] Idem, Ibid, p. 420, pl. XIX, p. 421.

[135] Ponsich(M), Kouass, port antique et carrefour des voies de la Tingitane,op. cit.

وعلى أية حال، فإن الصورة الوحيدة التي وصلتنا عن شكل هذه الامفورات، لا تمكننا بدورها من الفصل في الموضوع، وإن كان شكلها الطويل وعروتاها الكبيرتان تجعلنا نميل الى اعتبارها من النماذج التي عرفت بالانواع البونيقية، والتي أنتجت مصانع مركز الاقواس عينات كثيرة منها.

[136] أورد حنون في الفقرة السادسة من رحلته ما يلي :

« وبعد أن أقلعنا من هناك، وصلنا الى النهر الكبير ليكسوس، الذي ينساب من ليبيا. وعلى ضفافه يقوم عدد من الرعاة وهم الليكسيون يرعي مواشيهم».

يؤمن الغذاء الضروري لساكنتها. فمدينة صور التي كانت مشيدة فوق جزيرة، والتي كان عدد سكانها مرتفعا، كانت تتوفر على ظهير تراقبه مدينة صور البرية الواردة في المصادر القديمة باسم "أوشو". هـذه المدينـة، الموجودة حاليا في تل الرشيدية الشهيرة بمدافنها الفينيقية، كانت تزود الجزيرة بالماء الشروب المحمول عبـر الزوارق، وبالمواد الفلاحية والاخشاب[137]. كما أن السهول الفلاحية الغنية التي كانت تشرف عليها مستوطنة قرطاجة من أعلى ربوة بيرسة خلال المرحلة الفينيقية، مثلت إحدى أعمدة ازدهارها[138]. ذلك أن المنطقـة الوسطى لظهير قرطاجةكانت تنتج الى حدود العصر الروماني كميات كبيرة من الحبوب، وعرفت ضواحيها ومنطقة الرأس الطيب حقولا وافرة المحاصيل[139]. أضف إلى ذلك ما قامت به قرطاجة من تطوير لأساليب فلاحية متقدمة ومنظمة، أدت الى اعتراف روما نفسها بأنها مدينة لها[140]. وكانت الحقول المزروعة تنتـشر بالقرب من المدينة، حيث كان العبيد يستخدمون كيد عاملة، في الوقت الذي كان المحليون الليبيـون بالـداخل يمارسون تربية الابقار والماعز والخيول[141]. كما أن أهل قرطاجة الاقوياء وذوي النفوذ، كـانوا يملكـون أراض شاسعة وضيعات فلاحية يزرعها العبيد والأسرى منذ عصر الحروب البونيقية[142]، حيث تعـددت الاشارات حول الاغنياء القرطاجيين المالكين للكرمات والزياتين وأشجار الفواكه والمراعي، وحول وجـود طبقة من النبلاء الزراعيين[143]. وهذا يعني أن قرطاجة كانت تتوفر منذ القرن السادس قبل المـيلاد علـى الاقل، على مجال فلاحي دائري مخصص لانتاج مايحتاجه السكان الحضريون[144].

وإذا كان من البديهي أن تتوفر المدن الفينيقية الكبرى من حجم صور وقرطاجة على ظهير فلاحـي لتأمين الحاجيات الغذائية للسكان، وربما لتسويق فائض الانتاج في التجارة كالزيت والخمر، فمـن الملاحـظ كذلك أن بعض المنشآت الفينيقية الصغيرة كان لها أيضا ظهير فلاحي تقوم باستغلاله. ففي الساحل الـشرقي لاسبانيا مثلا، تميز الوجود الفينيقي بتطبيق سياسة ترابية حقيقية موجهة نحو السيطرة على الظهير، واستغلاله زراعيا ورعويا وغابويا وتحويليا وتجاريا[145]. بل أبانت بعض المنشآت الدفاعية التي تم تشييدها في ظهيـر

---

(137) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 32.

(138) Idem, Ibid, p. 207.

(139) Diodore, 20 : 8, 3-4.

(140) قدمت المؤلفات الفلاحية البونيقية الشهيرة فكرة حول الاهمية التي أولتها قرطاجة للزراعة، ككتاب "الفلاحة" لماكون ، الذي أمر مجلس الشيوخ الروماني بترجمته الى اللاتينية، نظرا لأهمية المعلومات الزراعية الواردة فيه. من هذه المعلومات، التي أوردها "بلينيوس" (Pline, Histoire Naturelle, 18 : 22) تذكر بعض الارشادات حول زراعة الحبوب والكروم والزيتون، مما ينم عن تجربة واسعة في هذا المجال. وفي هذا الباب لا ننسى أن قرطاجة ساهمت في نشر زراعة الزيتون في شمال افريقيا، وقامت بانتاج الاطنان من زيت الزيتون للاستعمال المحلي والتصدير.

(141) Polybe, 12, 3 : 3-4

(142) Diodore, 20 : 13, 2 ; 20 : 69, 5 ; Appien, Pun., 15

(143) وبعيدا عن هذه المنطقة الغنية القريبة من ضواحي قرطاجة كانت تنتشر الاراضي المزروعة من طرف الليبيين الذين حافظوا على ملكية أراضيهم مقابل أدائهم لضرائب ثقيلة وتقديم نسبة مهمة من الحبوب للمدينة. انظر:
Tite-Live, 31 : 48, 1 ; Justin, 31 : 3 ; Diodore, 20 : 8, 3-4.

(144) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 207.

(145) Pellicer Catalan(M), Distribución y función de los asentamientos fenicios en Iberia, op. cit, p. 300.

منطقة الاندلس وفي ظهير المستوطنات الفينيقية بجزيرة سردينيا، عن أهمية هذا الظهير وعن وجود رغبة في حمايته[146].

من خلال هذه الملاحظات[147]، يبدو أن ظهير ليكسوس الخصب[148]، تم استغلاله كــذلك خــلال المرحلة الفينيقية، كما تثبت ذلك الاواني الخزفية المحلية المكتشفة في المستويات الاركيولوجية الفينيقية، والتي ينم وجودها عن ولوج المنتوجات الفلاحية لهذا الظهير داخل تلك الأواني. غير أننا نجهل نوعية استغلال هذا الظهير، بحيث لانعلم هل كانت أراضي الجوار تابعة فعليا لليكسوس على شكل ما يعرف باسم Chora عند الاغريق، أم أن هذه الاراضي كانت خاضعة لسيطرة السكان المحليين، الذين كانوا يقايــضون منتوجــاتهم الفلاحية بالمواد التجارية الفينيقية[149]. كما لانعلم هل كان سكان ليكسوس الفينيقيون يقومون أنفسهم بزراعــة هذا الظهير وبرعي مواشيهم فيه، أم أنهم كانوا يسخرون في ذلك اليد العاملة المحلية. وفي هذا الصدد لاحظ "ستيفان كسيل" (S.Gsell)[150] أن مجال بعض المراكز الفينيقية بشمال إفريقيا لم يكن يتضمن سوى المحيط الموجود داخل الاسوار، بينما كانت المراكز الاخرى تمتلك أراض خاصة بها.

وكيفما كان الحال، فإن المنطقة المحيطة بليكسوس كانت منطقة خصبة، وأن ذاكرة هــذه المنطقــة عكستها حسب "ميشيل بونسيك" (M.Ponsich)[151] أسطورة حديقة الهيسبيريديس[152]، التي تتــضمن مــا يوحي بتوفر ليكسوس في ماضيها الغابر على ظهير غني شبيه بالحديقة الغنّاء. كما عكست العديد من مصادر القرون الوسطى الاسلامية خصب ليكسوس ومنطقتها، نذكر منها ماورد عند البكري من كون ليكسوس كانت «***كثيرة المياه والثمار***»[153]. ونذكر كذلك إشارة لصاحب الاستبصار، الذي أورد أن ليكسوس كانت «***كثيرة الخصب والزرع***»[154]، و«***كانت منها تشحن المراكب بالزرع***»[155]. كما نورد إشارة أخــرى للحميــري مفادها أن ليكسوس كانت «***على نظر واسع كثير الخصب والزرع والضرع***»[156].

---

[146] Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 290.

[147] يلاحظ "سباتينو موسكاتي" (S. Moscati) أن كل مدينة فينيقية بالغرب، كانت تعمل على السيطرة على جزء صغير من الاراضي المحيطة بها، وفق نفس النمط الذي زاولته المدن-الدول بفينيقيا. انظر :

Moscati(S), L'épopée des Phéniciens, op. cit, p. 183.

[148] يمكن اعتبار أن هذا الظهير كان يمثل إحدى مخازن الغلال التي اشتهر بها المغرب القديم خلال العصر الروماني، والتي أشار إليها "جيروم كاركوبينو" (J. Carcopino)، أو جزءا من تلك الحديقة الكبيرة التي أوردها "هانري باسي" (H. Basset). انظر :

Carcopino(J), Le Maroc antique, op. cit, p. 40 ; Basset(H), **Revue Afriquaine**, 1921, p. 349.

[149] هناك احتمال ثالث مضمونه أن هذه الاراضي كانت تسخر للفينيقيين تبعا لعقد مبرم بينهم وبين السكان المحليين.

[150] Gsell(S), Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord,op. cit, t. II, p. 114-115.

[151] Ponsich(M), Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc : Région de Lixus, op. cit, p. 390.

[152] يقول "بلينيوس" (Pline) في هذا الصدد : « ***...على بعد 35 ألف قدم من زيليس توجد ليكسوس ؛ هناك كانوا يحددون قصور أنطايو، وصراعه مع هرقل، ومكان حدائق الهيسبيريديس*** ». انظر :

Pline, Histoire Naturelle, V, 2.

[153] البكري(عبد الله)، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، المصدر السابق، ص. 114.

[154] كتاب الاستبصار في عجائب الامصار، المصدر السابق، ص. 140.

[155] كتاب الاستبصار في عجائب الامصار، المصدر السابق، ص. 189.

[156] الحميري(محمد بن عبد المنعم)، الروض المعطار في خبر الاقطار، مرجع سابق، ص. 141.

وللتأكيد على هذا الخصب خلال المرحلة الفينيقية، والتعرف على بعض الموارد الطبيعية التي كان يتزود بها سكان ليكسوس، والالمام بالطريقة التي كانوا يستغلون بها هذه الموارد، اعتمدت الحفائر الجديدة التي تمت في ليكسوس، على مجموعة من التخصصات العلمية الحديثة، التي تساعد على قراءة أفضل للفحص الاركيولوجي[157]. ولبلورة هذه الرؤية الجديدة المتعددة التخصصات، تم توظيف علم الاركيولوجيا-النباتية (archéobotanique) وعلم الاركيولوجيا-الحيوانية (archéozoologie)، لانهما يمكنان من تحليل بقايا العظام والمحّار والبذور والكاربونات التي كانت موجودة في مركز ما. وبالتالي يمكنان من التعرف على المجال الطبيعي، وعلى كيفية تغيير المجال لاستغلاله اقتصاديا.

ولتشكيل المجال القديم لليكسوس، تمت هذه الدراسات خلال حملتي 1999 بكل من استبار الخروب واستبار الزيتونة. وذلك بعد اختيار عينات للاختبار، استخلصت من جميع الوحدات الاستراتيغرافية تقريبا، وتمت معالجتها في مختبر شعبة ماقبل التاريخ والاركيولوجيا بجامعة بلنسية[158].

أ- الدراسة الكاربولوجية (Carpologie) :

يقصد "بالكاربولوجيا" (carpologia) العلم الذي يقوم بدراسة بقايا العناصر الناتجة عن تحول النبات، وبالتالي يفيد في معرفة استعمال النبات الطبيعي وتركيبة المجال، والتعرف على البنيات الزراعية[159]. ومن خلال هذه الدراسة، يمكن التوفر على مقاربة أولية حول النشاط الفلاحي الذي مارسه التجمع السكاني الفينيقي بليكسوس. وللتمكن من ذلك، قامت البعثة المغربية-الاسبانية بتحليل ودراسة بقايا النباتات المستخلصة من المزبلة المنتمية الى المرحلة الفينيقية المكتشفة باستبار الخروب، الذي أنجزته بليكسوس عام 1999. ونتيجة لهذا العمل، تم فرز مجموعة من المواد الفلاحية، نذكر منها الشعير والقمح والجلبان واللوبياء والزيتون والعنب[160] والمصطكي والخُبّيْزى[161].

وتنتمي 77% من المواد الفلاحية المكتشفة الى الانواع المزروعة، مقابل 23% من الانواع البرية[162]. ويمثل الشعير أعلى نسبة ضمن مجموعة الحبوب، بما يعادل 44%، يليه القمح بما يعادل 41%. وتصاحب الحبوب مجموعة من البقليات التي توجد عادة ضمن المزروعات البورية، مثل الخُبّيْزى والبشنة (Phalaris)، علاوة على بقلة أخرى تدعى Lolium. كما يتم الكشف عن العدس واللوبياء، اللتان تتطلبان تربة رطبة، عن احتمال زراعتهما في أراض للري يسقيها واد اللكوس، مع أن ترجيح زراعتهما البورية يظل

---

(157) وذلك ليس فحسب من خلال دراسة الثقافة المادية التي تفرزها المعثورات الاركيولوجية، بل من خلال العلاقة الموجودة بين هذه الثقافة وبين المجال الذي تطورت فيه. انظر:

Grau Almero(I.E), Pérez Jordá(G), Iborra Eres(M^a.P), Rodrigo García(M^a.J), Rodriguez Santana(C.G), Carrasco Porras(V.M^a.S), Gestión de Recursos y economía, **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4**, 2001, cap. XIV, p. 191.

(158) Idem, Ibid, p. 191.

(159) **Paysage (Histoire du)**, Encyclopédie Universalis électronique, version 1995.

(160) غير أنه لايمكن التأكد هل يتعلق الامر بالنوع البري أم المزروع فيما يخص هاتين المادتين.

(161) Grau Almero(I.E), Pérez Jordá(G), Iborra Eres(M^a.P), Rodrigo García(M^a.J), Rodriguez Santana(C.G), Carrasco Porras(V.M^a.S), Gestión de Recursos y economía, op. cit, p. 196.

(162) Idem, Ibid, p. 197, fig. 2.

كذلك أمرا واردا[163]. أما فيما يتعلق بالثمار، فلم يتم العثور سوى على بقايا الزيتون، دون التوفر مع ذلك على معايير مضبوطة تمكن من التمييز بين الانواع المزروعة والانواع البرية. غير أن المعطيات المتوفرة، ترجح أن يكون الزيتون المزروع قد عرف انتشارا واسعا في أقصى الغرب المتوسطي خلال عصر الحديد[164]. كما تم الكشف كذلك عن المصطكي، الذي كان يستهلك إما فاكهة، أو زيتا.

وهكذا يتبيّن من خلال بقايا المواد الفلاحية المكتشفة في استبار الخروب، أن المرحلة الفينيقية بليكسوس عرفت ممارسة زراعة بورية خفيفة، تعتمد على زراعة نوعين رئيسيين من الحبوب، وهما الشعير والقمح[165]. ويبدو أن القمح كان يمثل أهم أنواع الحبوب مكانة، خصوصا وأن أراضي اللكوس الاسفل كانت توفر تربة عميقة وخصبة، على العكس مما كان عليه الامر في منطقة الإندلس الشرقية بشبه الجزيرة الايبيرية، حيث شجعت خشونة الاراضي على اعتماد زراعة الشعير[166]. أما القطانيّات، التي كانت تقل بكثير عن الحبوب، فإنها كانت تنتمي الى نفس الانواع التي تم الكشف عنها في مختلف المنشآت الفينيقية بشبه الجزيرة الايبيرية[167]. وفيما يتعلق بالزيتون، فإن نسبته كانت ضعيفة، مع أن حضوره كان منذ أقدم المستويات الاركيولوجية الفينيقية المؤرخة بالقرن الثامن قبل الميلاد[168]. ويزداد اندهاشنا من هذه المسألة عندما نلاحظ مثلا أن وجود علامات عن الزيتون في مركز "كاستييو دي دونيا بلانكا" لم تبرز إلا مع المستويات المؤرخة بأوائل القرن السادس قبل الميلاد[169]. كما لم يتم الكشف في مركز "صيرّو ديل فييار" (Cerro del Villar) سوى عن بعض البقايا المتفحمة من الزيتون في المستويات المؤرخة بأواخر القرن

---

[163] Idem, Ibid, p. 197-198.

[164] Idem, Ibid, p. 198.

[165] غير أن المعطيات المتوفرة لا تلقي جوابا عن غياب حبوب أخرى مثل الدُّخن (millet). انظر : Grau Almero(I.E), Pérez Jordá(G), Iborra Eres(Mª.P), Rodrigo García(M.J), Rodriguez Santana(C.G), Carrasco Porras(V.Mª.S), Gestión de Recursos y economía, op. cit, p. 198.

[166] Grau Almero(I.E), Pérez Jordá(G), Iborra Eres(Mª.P), Bonnet(H), Mata(C), La explotación agraria del territorio en época ibérica : los casos de Edeta y Kelin. **Museu d'Arqueologia de Catalunya, Sèrie Monografica 18**, Girona, 2000, p. 151-167.

[167] Catalá(M), La agricultura : Los recursos vegetales a partir de las semillas y frutos, en Aubet(M.E), Carmona(P), Curiá(E), Delgado(A), Parraga(M), **Cerro del Villar-I. El asentamiento fenicio en la desembucadura del Río Guadalhorce y su interacción con el hinterland**, Sevilla, 1999 ; Chamorro(J), Flotation strategy : Method and sampling plant dietary resourses of Tartessian times at Doña Blanca, in **E. Roselló y A. Morales (eds) : Castillo de Doña Blanca. Archaeo-environmental investigations in the Bay of Cádiz, Spain (750-500 B.C)**, BAR. International Series, 593, 1994, p. 21-35.

[168] Grau Almero(I.E), Pérez Jordá(G), Iborra Eres(Mª.P), Rodrigo García(Mª.J), Rodriguez Santana(C.G), Carrasco Porras(V.Mª.S), Gestión de Recursos y economía, op. cit, p. 198.

[169] Chamorro(J), Flotation strategy : Method and sampling plant dietary resourses of Tartessian times at Doña Blanca, op. cit.

السابع قبل الميلاد[170]. وهذا يعني أن الدراسات المستقبلية ينبغي أن تأخذ بعين الاعتبار مسألة تعميم زراعة الزيتون خلال عصر الحديد، الى جانب الكروم والتين واللوز، وأن إمكانية استخراج زيت الزيتون من لـدن الساكنة الفينيقية بليكسوس تعد إمكانية واردة[171].

أما بقايا العنب، فإنها لم تبرز في المستويات الاستراتيغرافية الفينيقية، مما يجعلنا نستغرب مـن هـذه الظاهرة، نظرا لمكانة الكروم في منطقة العرائش، ونظرا للكشف بوفرة عن آثار العنـب فـي المـستويات المعاصرة بالمنشآت الفينيقية لشبه الجزيرة الايبيرية، سواء في المراكز المتوسطية[172] أو الاطلنطيـة[173]. فهل هذا يعني أن زراعة الكروم عرفت في ليكسوس دينامية فلاحية مختلفة عمّا كان عليه الحال في المنشآت الايبيرية، أم أن الامر يتعلق فقط بانعدام بقايا العنب من العينة مجال الاختبار ؟ وفي هذا الصدد، يميل "بيريز خوردا" (Pérez Jorda) الى الاحتمال الثاني، خصوصا بعد التأكيد على الكشف عن هذا النوع الفلاحي في استبار الخروب ابتداء من القرن الثاني قبل الميلاد[174].

وفيما يتعلق بالنشاط الفلاحي في منطقة ليكسوس قبل قدوم الفينيقيين، فإننا نجهله. كما نجهل هل كان للفينيقيين دور في تطوير هذا النشاط. غير أنه بالقياس لما حدث في شبه الجزيرة الايبيرية، فإننـا نعتقـد أن السكان المحليين كانوا يزرعون نفس الانواع التي كانت حاضرة خلال المرحلة الفينيقية. وأمـا التغييـرات الممكنة، فلا شك أنها همت الإساليب الزراعية، نذكر منها مثلا استعمال الحديد ضـمن الادوات الفلاحيـة، وتطور الانتاج نحو التسويق[175].

ب- الدراسة الحـيوانية :

منذ بضعة سنين، لم يكن يوجد سوى عدد قليل من الباحثين الذين كانوا يؤمنون بأن دراسة بقايا العظام الحيوانية المكتشفة في المراكز الاركيولوجية، يمكن أن تفيد في إعادة تشكيل ماضي المجتمعات البشرية. ذلك

---

(170) Ros(M), Burjachs(F), Paleovegetacion del Cerro del Villar, en Aubet(M.E), Carmona(P), Curiá(E), Delgado(A), Parraga(M), **Cerro del Villar-I. El asentamiento fenicio en la desembucadura del Río Guadalhorce y su interacción con el hinterland**, Sevilla, 1999.

(171) Grau Almero(I.E), Pérez Jordá(G), Iborra Eres(M^{a}.P), Rodrigo García(M^{a}.J), Rodriguez Santana(C.G), Carrasco Porras(V.M^{a}.S), Gestión de Recursos y economía, op. cit, p. 198.

(172) Catalá(M), La agricultura : Los recursos vegetales a partir de las semillas y frutos, en Aubet(M.E), Carmona(P), Curiá(E), Delgado(A), Parraga(M), **Cerro del Villar-I. El asentamiento fenicio en la desembucadura del Río Guadalhorce y su interacción con el hinterland**, op. cit.

(173) Chamorro(J), Flotation strategy : Method and sampling plant dietary resourses of Tartessian times at Dona Blanca, op. cit ; Barros(L), Introduçao à Pré e Proto-História de Almada, Câmara Municipal, Almada, 1998.

(174) Grau Almero(I.E), Pérez Jordá(G), Iborra Eres(M^{a}.P), Rodrigo García(M^{a}.J), Rodriguez Santana(C.G), Carrasco Porras(V.M^{a}.S), Gestión de Recursos y economía, op. cit, p. 198.

(175) غير أن المعطيات المتوفرة لا تلقي جوابا عن غياب حبوب أخرى مثل الدُّخن (millet). انظر :
Grau Almero(I.E), Pérez Jordá(G), Iborra Eres(M^{a}.P), Rodrigo García(M.J), Rodriguez Santana(C.G), Carrasco Porras(V.M^{a}.S), Gestión de Recursos y economía, op. cit, p. 198.

أن علم الاركيولوجيا–الحيوانية لم يعرف تطورا ملحوظا إلا مع بروز فرضيات "الاركيولوجيا الحديثة" و"الاركيولوجيا التطورية" (Archéologie processuelle)[176].

وفي هذا الاطار، وضمن البعثة المغربية–الاسبانية المكلفة بإجراء حفائر جديدة في ليكسوس، قام الفريق المتخصص في الاركيولوجيا–الحيوانية (archéozoologie) بتحليل 876 قطعة عظمية واردة من استبار الخروب واستبار الزيتونة[177]. وتجدر الاشارة في هذا الصدد أن البقايا العظمية التي كانت تختزنها المزبلة الفينيقية المكتشفة في استبار الخروب لم تنتج عن موت طبيعية، بل كان مصدرها النفايات المنزلية، وبالتالي تنتمي هذه البقايا الى الفضالات الناتجة عن عمليات الجزارة[178]. الامر الذي يجعل منها مادة ثمينة لدراسة صنف الحيوانات التي كان يستهلكها السكان الفينيقيون لليكسوس، أو كانت تعيش في الجوار.

ومن خلال التحليلات التي أجريت على هذه العظام، تبيّن أن الحيوانات المفترضة كانت إما أليفة أو برية. وقد مثلت الابقار أعلى نسبة من الحيوانات الإليفة بما يعادل 70,1%، تليها الخنازير بنسبة 18,8%، ثم الاغنام بنسبة 5,3%، والماعز بنسبة 4,03%[179]. أما الحيوانات البرية، فقد مثلتها قطعة عظم تنتمي الى طير النَّوْرَس (la mouette)[180]، وقطعة أخرى تنتمي الى رأس فيل[181]. ويثير الكشف عن بقايا الفيل في ليكسوس خلال المرحلة الفينيقية عدة تساؤلات حول الغرض من وجوده، اللهم إذا كان الامر يتعلق باستخراج مادة العاج التي كانت تحتاجها المعامل المستشرقية بالغرب المتوسطي المتخصصة في صناعة الادوات العاجية[182].

من خلال هذه الاصناف، تبرز مكانة تربية الابقار بليكسوس خلال المرحلة الفينيقية، باعتبارها أهم المواشي التي كانت تزود سكان المستوطنة باللحوم. كما يتبين أن استهلاك العجول كان مفضلا لدى هذه الساكنة، بفضل التحليلات التي أجريت على بقايا العظام، والتي أثبتت أن سن الابقار المذبوحة كان صغيرا، وأن أغلبيتها كانت ذكورا. ولاينبغي أن نندهش من مكانة تربية الابقار في ليكسوس، نظرا لما كان يوفره المجال المجاور من إمكانيات مثالية لتطوير تربية هذا النوع. علاوة على الابقار، تميزت المرحلة الفينيقية بليكسوس باستهلاك مهم للحم الخنازير، وبشكل أقل للحم الغنم والماعز.

---

(176) Idem, Ibid, p. 204.

(177) Idem, Ibid, p. 200.

(178) Grau Almero(I.E), Pérez Jordá(G), Iborra Eres(M^{a}.P), Rodrigo García(M.J), Rodriguez Santana(C.G), Carrasco Porras(V.M^{a}.S), Gestión de Recursos y economía, op. cit, p. 204.

(179) Idem, Ibid, fig. 6, p. 200.

(180) تمثل نسبة النَّوْرَس من مجموع الحيوانات المكتشفة في المزبلة الفينيقية ما يعادل 0,34%. انظر : Idem, Ibid, fig. 6, p. 200.

(181) تمثل نسبة الفيل من مجموع الحيوانات المكتشفة في المزبلة الفينيقية ما يعادل 0,67%. انظر : Idem, Ibid, fig. 6, p. 200.

(182) Idem, Ibid, p. 201, p. 229.

2) الموارد البحرية ومسألة الجذور الفينيقية للصناعات السمكية :

تحدثت العديد من النصوص الكلاسيكية عن وفرة الإسماك فـي السـواحل الاطلنطيـة للمغـرب القديم[183]. فقد أشار المؤرخ الاغريقي "تيمايوس" (Timée)[184] أن عروض السواحل المغربية الموجـودة بعد اجتياز مضيق جبل طارق كانت تزخر بسمك التون، حيث أورد ما يلي[185] :

« يحكى أن الفينيقيين الذين كانوا يقطنون المدعوة جاديرا، والذين كانوا يبحرون ما بعد عمـودي هرقليس، وصلوا بفضل الرياح المساعدة خلال أربعة أيام الى إحدى الاماكن التي كانت توجد بهـا أعـداد وافرة من أسماك التون العجيبة بفضل طولها وسمنتها... وكانوا يصبرونها، وبعد جمعها في بعض الجرار، كانوا يحملونها الى قرطاجة، ومن تم تصديرها، أو بفضل جودتها العالية، يستهلكونها كطعام »[186].

وعند الحديث عن "الجزيرة الفردوسية" التي كانت تتوسط المحيط، شدّد "ديودور الصقلي" (Diodore de Sicile) كذلك على الثروة السمكية الهائلة التي كانت تزخر بها السواحل الاطلنطية المقابلة للمغرب. فقـد أورد في هذا الصدد ما يلي : ***« إن البحر الذي يحيط بهذه الجزيرة يتوفر على أعداد كبيرة من الاسماك، لان الاوقيانوس يعتبر بالطبيعة غنيا بالاسماك»***[187].

أما ليكسوس وناحيتها، فكانت حاضرة كذلك في ذاكرة مصادر العصر القـديم والوسـيط أيـضا، باعتبارها منطقة غنية بالاسماك. فقد أورد "استرابون" (Strabon) في نص سـبقت الاشـارة إليـه[188] أن صيادي قادس كانوا يترددون على مشارف نهر ليكسوس لصيد السمك، مما يوحي بأن سـواحل ليكـسوس

---

[183] هذه الوفرة جعلت بعض المؤلفين يعتبرون أن جودة الاسماك التي توفرت عليها السواحل الاطلنطية للمغرب، كانت من بين أهداف رحلة حنون. انظر :

Warmington(B.H), Histoire et civilisation de Carthage, Payot, Paris, 1961, p. 90.

[184] مؤرخ إغريقي عاش في "سرقوسة" (Syracuse) بصقلية ما بين 356 ق.م و260 ق.م. ألف موسوعة تاريخية من 38 جزء تتضمن أخبارا حول أصول إيطاليا وصقلية.

[185] Timée, 157, 5; Pseudo-Aristote, De mirabilis auscult, 136 ; ap. Garcia y Bellido(A), Fenicios y Carthagineses en occidente, op. cit, p. 86, note 1 ; Gsell(S), Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord, op. cit, t. IV, p. 52.

[186] تعليقا على هذا النص، نندهش عندما نلاحظ أن "أنطونيو كارسيا بيبدو" (A. Garcia y Bellido) يعتبر في مؤلفه "الفينيقيون والقرطاجيون بالغرب" (Fenicios y Carthagineses en Occidente) أن المقصود بالفينيقيين هم الصيادون المحليون لقادش وناحيتها. أما الاماكن التي وصلوها بعد أربعة أيام من الابحار، فمن الممكن تحديدها في عرض مدينة آسفي، اعتمادا على متوسط الابحار في أعالي البحار الذي يبلغ ما بين 82 و86 ميل بحري في اليوم، أي ما يعادل حوالي 136 كلم. وذلك استنادا الى تحديد المسافات الوارد في البرنامج المعلوماتي "أطلس العالم إنكارطا" (Atlas du Monde Encarta) الذي أنتجته شركة "مايكروسوفت" (Microsoft). انظر:

Garcia y Bellido(A), Fenicios y Carthagineses en occidente, op. cit, p. 180 ; Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias, op. cit, p. 151.

[187] Diodore de Sicile, V, 19, 4 ; ap. Garcia y Bellido(A), Fenicios y Carthagineses en occidente, op. cit, p. 181, note n° 2.

[188] ***« في هذه المدينة [قادس] بالفعل، بينما يجهز الاغنياء سفنا كبيرة للابحار، يقوم الفقراء باستئجار مراكب صغيرة تحمل اسم "الخيول" بسبب الصور المنحوتة على جآجئها، يستخدمونها للذهاب لصيد السمك الى حدود نهر ليكسوس بموروزيا. بل هناك بعض مجهزي السفن الذين تم التعرف على مراكبهم من خلال هذه الصور من لم يعد بعد تجاوزه نهر ليكسوس»***. انظر :

Strabon, II, 3, 4, d'après Poseidonios, ap. Desanges(J), Sources littéraires antiques sur Lixos, op. cit, p. 406.

وربما مياه النهر نفسه[189] كانت غنية بالثروة السمكية. وبالفعل فقد ذكر كل من "صاحب الاستبصار" والحميري أن مصب واد اللكوس كان «*يتصيد فيه أنواع من السمك*»[190]. كما كان سكان تشمس في عهد صاحب الاستبصار، أي في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي، يسترزقون من البحر ؛ أي أنهم كانوا يزاولون نشاط الصيد البحري[191]. كما أن أسطورة الاسماك المجنحة التي كانت توجد على مقربة من ليكسوس حسب ما أورده "بلينيوس" (Pline)[192]، تعكس بدورها وفرة الاسماك التي زخرت بها مياه ليكسوس.

من خلال هذه النصوص رغم قلتها، يتبين أن ليكسوس وفرت الى جانب مجالها الفلاحي، مجالا اقتصاديا ثانيا يتمثل في ثرواتها السمكية، التي كانت بدون شك من بين المؤهلات التي أدت الى تشييدها من طرف الفينيقيين. صحيح أننا لا نتوفر على دلائل مصدرية حول استغلال هذه الثروات خلال المرحلة الفينيقية. لكن بقراءتنا في هذه النصوص، وباستنادنا الى مجموعة من المعطيات اللاحقة للمرحلة التي تهمنا، وباعتمادنا على ما كشفت عنه بعض مستجدات الدراسات الفينيقية سواء في ليكسوس نفسها أو في جهات أخرى، يتبين أن الفينيقيين قاموا باستغلال الثروات السمكية التي توفرت عليها مياه ليكسوس وناحيتها.

فحسب ما أفرزه الفحص الاركيولوجي في إسبانيا، مثل صيد الاسماك واستغلاله الصناعي أحد الانشطة الهامة التي مارسها الفينيقيون في منشآت شرق الاندلس[193]، خصوصا صيد سمك التون والاصناف المماثلة، وسمك الحَنْش، وسمك الشبق، وسمك الإسقُمْريّ. وقد نتج عن وجود هذه الانواع من الاسماك الى جانب الملاحات التي كانت بالقرب من جل المراكز الفينيقية الاصل، تطور صناعة مهمة لتمليح السمك، اعتبرت من الانشطة المميزة لاقصى الغرب الفينيقي–البونيقي[194]. هذه الصناعة، التي بلغت أوجها خلال العصر الروماني، عُرفت في المصادر القديمة باسم صناعة "الكاروم" (garum) أو "الليكوامين" (liquamen) ؛ وهي نوع من الصلصة أو المعجون، يتم تناوله في العديد من الوجبات سواء مع الخضر أو اللحوم أو الفواكه، أو يتم خلطه بالنبيذ أو الخل أو الزيت أو الماء[195].

وفي هذا الصدد، يرجح "مولينا فاخاردو" (F.MolinaFajardo)[196] أن الشهرة التي تمتعت بها مدينة "سيكسي"، أي "ألمونييكار" (Almuñécar) خلال العصر الروماني في صناعة تمليح السمك، والتي

---

[189] من المعلوم أن مصب اللكوس يعتبر من أهم جهات المغرب شهرة بوفرة في سمك الشابل، الذي يعيش في الانهار.

[190] « *بقربها* (تشمس) *بحيرة كبيرة تسمى أمسنا، يصب فيها البحر أعوام، وتصب هي في البحر أعوام، وينقطع البحر عنها، فتظهر فيها جزائر بينها غدران يتصيد فيها أنواع السمك*». انظر :

كتاب الاستبصار في عجائب الامصار (مجهول)، مرجع سابق، ص. 140 ؛ الحميري (محمد بن عبد المنعم)، الروض المعطار في خبر الاقطار، مرجع سابق، ص. 141.

[191] ورد في الاستبصار (المصدر السابق، ص. 189) ما يلي: « *فهو الى الآن[حصن تشمس] معمور ويسكنه المتعيشون من البحر*».

[192] Pline, Histoire Naturelle, XXXII, 15.

[193] Pellicer Catalan(M), Distribución y función de los asentamientos fenicios en Iberia, op. cit, p. 304.

[194] Moscati(S), L'épopée des Phéniciens, op. cit, p. 241 ; Garcia y Bellido(A), Fenicios y Carthagineses en occidente, op. cit, p. 82.

[195] Garcia y Bellido(A), Fenicios y Carthagineses en occidente, op. cit, p. 82-83.

[196] Molina Fajardo(F), Almuñecar a la luz de los nuevos hallazgos fenicios, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, vol. I, op. cit, p. 201.

عكستها العديد من المصادر القديمة، توحي بأنها مارست هذه الصناعة خلال عهودها الفينيقية. وبذلك يعتقد نفس المؤلف أن الفينيقيين قاموا بترويج السمك المملح الى جانب المعادن، وتوزيع هاتين المادتين على مناطق الحوض المتوسطي الاوسط والشرقي. كما يعتبر "ميشيل بونسيك" (M.Ponsich) كذلك أن الصناعة السمكية مثلت الى جانب استخراج المعادن، واحدة من المصادر الرئيسية لغنى المستوطنين والتجار الساميين الذين قاموا باستغلالها منذ وقت مبكر[197]. ويعد هذا الاستغلال واحدا من الحوافز التي دفعتهم الى الاستقرار بضفتي منطقة مضيق جبل طارق، التي توفرت على أكبر عدد من مصانع تمليح السمك[198].

من هنا يمكن اعتبار أن ليكسوس، التي عرفت بدورها صناعة متطورة لتمليح السمك وتصبيره خلال العصر الروماني، قد مارست هذه الصناعة خلال مرحلتها السابقة، دون التيقن مع ذلك من حضور هذه الصناعة خلال المرحلة الفينيقية. ولا ريب أن الثروة السمكية مثلت العمود الفقري لهذه الموارد، نظرا للامكانيات الهائلة التي ما زال إقليم العرائش يتمتع بها الى يومنا هذا في مجال الصيد البحري، خصوصا صيد سمك التون في البحر وسمك الشابل في مصب النهر. والظاهر أن العرائش ورثت هذا التقليد من ليكسوس، مدينتها الام، كما يشهد على ذلك الكشف عن مصنع كبير لتمليح السمك في الجزء الاسفل من المدينة بالقرب من ضفة النهر، والذي يعتبر من أبرز أطلال المركز[199]. ويمثل هذا المصنع لوحده حوالي ربع التجمع الصناعي بليكسوس، مع طاقة استيعابية تسع لمعالجة شهريا ما يعادل 1000 م^3 من السمك، والذي كان يتطلب نفس الكمية من الملح[200]. ويكفينا علما أن هذا المصنع يعتبر أهم منشأة من نوعها في العالم القديم الغربي، حيث بلغت مساحته الاجمالية أكثر من 120.000 متر مربع[201]، تم العثور به على 11 ورشة لحد الآن، تتوفر على 151 حوض للتمليح مشيد بالملاط، يبلغ متوسط سعة كل واحد منه خمسة أمتار مكعبة[202]. وهذا يعكس صورة بسيطة حول حجم الانتاج الشهري من السمك المملح الذي كانت تصنعه معامل ليكسوس، ويبين كذلك الكمية الكبيرة من الملح التي تتطلبها تلك الصناعة. من هنا تبرز أيضا أهمية مورد الملح، الذي كان لاريب ينتج محليا، كما تشهد على ذلك الملاحات الكبرى المحيطة بمدينة ليكسوس، والتي كانت تسوفر لصناعة الكاروم ملحا صالحا للتمليح، نظرا لخلوه من نسبة مرتفعة من مادة كلورور المنغنيزيوم (Chlorure de magnésium)، التي تؤدي الى تحليل المواد العضوية بسهولة[203]. وفي هذا الباب، واستنادا لكون العديد من المراكز الفينيقية كانت تشيد بالقرب من الملاحات[204]، مثل قرطاجة وموتية وقادس وسيدي عبد السلام

---

(197) Ponsich(M), Recherches archéologiques à Tanger et dans sa région, op. cit, p. 218.

(198) Ponsich(M) et Tarradell(M), Garum et industries antiques de salaison dans la Méditerranée occidentale, Paris, 1965, p. 218.

(199) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 135.

(200) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 20.

(201) Aranegui(C), Belén(M), Fernández Miranda(M), Hernández(E), La recherche archéologique éspagnole à Lixus : Bilan et perspectives, op. cit, p. 10.

(202) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 27.

(203) وهذا ما يفسر انعدام وجود مصانع لتمليح السمك في العديد من المراكز الساحلية بشمال إفريقيا. انظر : Ponsich(M) et Tarradell(M), Garum et industries antiques de salaison dans la Méditerranée occidentale, op. cit, p. 100.

(204) Cintas(P), Manuel d'Archéologie punique, t. II, op. cit, p. 225.

د. البحر، فمن الممكن اعتبار أن فينيقيي ليكسوس قاموا بترويج ملح المنطقة تجاريا[205]. وفي هذا الصدد، يرجح "ميكيل طراديل"[206] أن الملح مثل إحدى المنتوجات الاساسية التي قايض به الفينيقيون قصدير منطقة "جزر القصدير" (Iles casséterides) بشمال غرب أوروبا، نظرا لندرة الملح بها أو انعدامه.

وأي ما كان الحال، فإن ما يثير استغرابنا، أن المصادر القديمة لم تشر إطلاقا الى وجود صناعة تمليح السمك في ليكسوس، في حين أوردت معلومات مهمة عن وجود هذه الصناعة في العديد من المراكز الاسبانية، مثل قادس، و"ألمونييكار" (Almuñécar)، و"بولونيا" (Bolonia)، و"مالقة"، و"أدرا" (Adra)، و"فيياريكوس" (Villaricos)، و"قرطخنة" (Cartagena)، وغيرها[207]. وبالرغم من سكوت هذه المصادر عن النشاط الذي زاولته ليكسوس خلال العصر الروماني في مجال تمليح السمك، وعن حجم تسويق منتوجها البحري وتوزيعه على العديد من الاقطار المتوسطية[208]، تطرح مسألة إسقاط هذه الوضعية، ولو جزئيا على العصور السابقة، بما فيها العصر الفينيقي. غير أن التحاليل التي قامت بها البعثة المغربية-الاسبانية لبقايا الاسماك والرّخويات التي تم العثور عليها في استبار الخروب لعام 1999، بالاستناد لعلم الاسماك الاركيولوجي (Ichtyologie archéologique) وعلم الرّخويات (Malacologie)، كشفت أن ليكسوس لم تكن قد طورت بعد سياسة واضحة في صناعة تصبير السمك خلال مرحلتها الفينيقية.

أ- علم الاسماك الاركيولوجي (Ichtyologie archéologique) :

لم يتطور علم الاسماك الاركيولوجي إلا مؤخرا[209]، ولم تبدأ تحليلات شوك الاسماك في تقديم استنتاجات مقنعة، إلا مع حلول الثمانينات من القرن العشرين[210]. وتكمن الصعوبات المرتبطة بهذا العلم، في الأعداد الكبيرة من الاشواك التي يتوفر عليها كل نوع سمكي، وفي تشبك هذه الاشواك. كما تكمن هذه الصعوبات كذلك في وجود أصناف متنوعة من الاسماك المحتملة أن يكون قد اصطادها سكان أي مركز أركيولوجي[211]. صحيح أن الابحاث الاثرية لم تعتمد على هذا العلم سوى منذ العقود الاخيرة ؛ ومع ذلك

---

[205] حول تجارة الملح خلال العصور القديمة بالحوض المتوسطي الغربي، انظر :

Valenti(V), Notas sobre la antigua produccion y comercio de la sal en el Mediterranéo occidental, **1er Congreso arqueológico del Marruecos Español**, 1954, p. 225-234 ; Uriel(F), Algunas consideraciones sobre la miel y la sal en el extremo del Mediterranéo occidental, **1er Congreso arqueológico del Marruecos Español**, op. cit, p. 325-336.

[206] Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 258.

[207] Garcia y Bellido(A), Fenicios y Carthagineses en occidente, op. cit, p. 82-83 et 86-87.

[208] تم التعرف على هذا النشاط بفضل الفحص الاركيولوجي. انظر بالخصوص :

Ponsich(M) et Tarradell(M), Garum et industries antiques de salaison dans la Méditerranée occidentale, op. cit.

[209] Casteel(R.W), Fish Remains in Archaeology and Paleoenvironmental Studies, London Academie Press, London, 1976.

[210] Brinkhuizen(D.C), Ichtyo-Archeologisch Onderzoek : Methoden En Toepassing Aan De Hand Van Romeins Vismaterial Uit Velsen (Nederland), Rijksuniversiteit, Groningen, 1989 ; Wheeler(A), Jones(A.K), Fishes, Cambridge University Press, Cambridge, 1989.

[211] Grau Almero(I.E), Pérez Jordá(G), Iborra Eres(Ma.P), Rodrigo García(Ma.J), Rodríguez Santana(C.G), Carrasco Porras(V.Ma.S), Gestión de Recursos y economía, op. cit, p. 204.

عرفت مجموعة من المنشآت الفينيقية المعاصرة لليكسوس بعض التجارب في هذا الباب، نذكر منها مركزي "كاستيليو دي دونيا بلانكا" و"صيرّو ديل فيلار"[212].

وبما أن ليكسوس اشتهرت في الايستوريوغرافيا القديمة والحديثة بوفرة أسماكها، وإقبال سكانها على استهلاك ثروات البحر واستغلالها صناعيا وتجاريا، فقد دأبت البعثة الاركيولوجية المغربية-الاسبانية التي قامت بحفائر جديدة في ليكسوس، على إحضار فريق من العلماء المتخصصين في علم الاسماك الاركيولوجي. وذلك بغية دراسة بقايا الاشواك المحتمل اكتشافها خلال عمليات الحفائر، وبالتالي تحديد مكانة الصيد البحري في المركز. وتتألف عينة بقايا الاسماك التي تم جمعها خلال حفائر عام 1999، من 761 قطعة سمكية. غير أن تحديد الاصناف السمكية التي خلفت هذه البقايا لم يتم بشكل موثوق به سوى من خلال 342 قطعة سمكية فقط[213]، وذلك بسبب الحالة المهشّمة التي كانت عليها معظم الاشواك والعظام موضوع التحليل. كما تجدر الاشارة أن النماذج التي تهم المرحلة الفينيقية، تم استخلاصها من المزبلة المكتشفة في استبار الخروب، موفرة نسبة 80% من العظام التي خضعت للتحليل[214].

وفيما يلي جدولا مفصلا حول الفصائل والاصناف السمكية التي تم ضبطها، من خلال بقايا الاسماك المكتشفة في هذه المزبلة :

الفصيلة	الصنف	عدد القطع المكتشفة
الأنقليسيّات [Anguillidés]	الأنقليس [Anguille]	4
الصّابوغيّات [Clupéidés]	ربما السردين	3
	الخَرْمان [aiguillette-orphie]	1
الفرخيّات [Serranidés]	القاروس [loup-bar]	2
الأسْبوريات [Sparidés]	Dicentrarchus sp	6
	sarpa	2
	boops	2
	spondyliosoma cantharus	1
	diplodus vulgaris	14
	diplodus sp	12

(212) Idem, Ibid, p. 205, note n° 2.

(213) Grau Almero(I.E), Pérez Jordá(G), Iborra Eres(Mª.P), Rodrigo García(Mª.J), Rodriguez Santana(C.G), Carrasco Porras(V.Mª.S), Gestión de Recursos y economía, p. 205.

(214) Idem, Ibid, fig. 1-26.

20	[pagre] الفَجّاج	
3	pagrus sp	
49	[pagellus erythrinus] القَريديّ	
5	[pagellus sp] القريديّ	
2	[daurade] المرجان	
31	sparidae	
7	Argyrosomos regius (corvina)	**البهاريّات [sciènidés]**
1	[Chelon labrosus] البوريّ	**البوريّات [Mugilidae]**
4	Mugil cephalus	
7	Mugilidae	
6	Scomber japonicus	**الأسقمْريّات Scombridae**
2	Scomber sp	
1	Euthynus sp	

من خلال هذا الجدول، يتبين أن الاسماك التي تم استهلاكها بكثرة في ليكسوس خلال المرحلة الفينيقية، كانت تنتمي الى فصيلة الأسبوريات (Sparidés)[215]. غير أن ذلك لا يعني أن الانواع الاخرى لم تكن حاضرة في المركز، نظرا لتعدد ووفرة الاصناف التي أفرزتها التحليلات. فقد عكست التركيبة السمكية التي تم الكشف عنها، تنوعا في الاصناف، مما يعني عدم انتمائها الى مجموعة إيكولوجية واحدة. وبالفعل، عرفت ليكسوس من جهة حضور الصنف السمكي الذي يعيش في المياه السطحية، كما عرفت كذلك الاسماك التي تعيش في قاع البحر، سواء المترددة منها على الصخور أو على مروج الطحالب أو على الرمال.

ولا يمكن تفسير هذا التنوع إلا أخذا بعين الاعتبار الوضعية الايكولوجية التي كانت عليها ليكسوس خلال المرحلة الفينيقية. فمن خلال الملاحظات الجيولوجية والمستندات الاركيولوجية والمصدرية والكارطوغرافية، يبدو أن جوار المركز عرف بحيرة ساحلية أوسع بكثير من البحيرة الحالية، أو خليجا بحريا متصلا بالمحيط عبر فتحة كونتها الكثبان الساحلية البليستوسينية. وقد هيأت هذه الظروف أن يكون تل الشمّيس على شكل جزيرة صغيرة أكثر انفتاحا على البحر من الوضعية الراهنة[216]. وفي هذه الحالة، من المرجح أن

---

[215] Idem, Ibid, p. 218.

[216] Grau Almero(I.E), Pérez Jordá(G), Iborra Eres(Mª.P), Rodrigo García(Mª.J), Rodriguez Santana(C.G), Carrasco Porras(V.Mª.S), Gestión de Recursos y economía, op. cit, p. 218.

معامل تمليح السمك التي توفرت عليها ليكسوس، كانت موجودة بالقرب من الساحل، رغم وجودهـا شبه مطمورة بترسبات مصب النهر في الوقت الحاضر.

استنادا الى هذه المعطيات، لا يجدر الاستغراب من وجود مجموعة من الاصناف السمكية التي كانت تزخر بها المياه الساحلية التي تحظى بهذه الخصائص. وهكذا فإن سمك الأنقليس أو ثعبان الماء (anguille)، الذي كان حاضرا في ليكسوس، يعد من الإسماك المهاجرة المترددة على المياه البحرية الساحلية المالحة، والتي تتوغل كذلك في مصبات الانهار[217]. كما أن أسماك القاروس (bar-loup) وأسماك المرجان (daurade) توجد بوفرة في البحيرات المالحة. علاوة على البوريّ (mulet) الذي يعتبر من الاسماك المهاجرة التي تعيش في المياه الساحلية، والتي تتوغل كذلك في البحيرات ومصبات الانهار[218]. ونفس الملاحظة تطبق على ظاهرة حضور سمك corvina الذي ينتمي الى فصيلة البهاريّات (sciènidés)، والذي يتوغل داخل المصبات النهرية والبحيرات الساحلية.

الى جانب هذه المجموعة، عرفت ليكسوس صنفا ثانيا من الاسماك تمثلها مجموعة الصّابوغيات، نذكر منها السردين والخَرْمان (aiguillette-orphie)[219]. كما نذكر مجموعة التّونيات، التي وإن اعتبرت من الانواع المهاجرة، فإنها كانت تعيش بالقرب من السواحل، علاوة على فصائل مهاجرة أخرى مثل الأسْبوريات والأسْقُمْريّات (maquereaux).

كما تم الكشف في ليكسوس عن صنف ثالث من الاسماك كان يعيش في المياه العميقة، يتألف من بعض المُغَلّفات[220] مثل سمك يدعى salpe بالفرنسية، ويتألف أيضا من الفريـديّ (pagel)، والقَجّاج (pagre) والأبْرَميس (sargos). وتعيش هذه المجموعات سواء في المياه العميقة الصخرية أو الرملية أو الطحلبية.

من خلال هذه الاستنتاجات، يبدو أن أهم إسهام قدمته الحفائر الجديدة التي تمت في ليكسوس، يتمثل في الاعتماد على عينة للاختبار، تمت بموجبها لاول مرة تحليلات لعظام الاسماك بالمغرب[221]. صحيح أن الخروج بفرضيات حول مكانة الصيد البحري ضمن الانشطة الاقتصادية التي طورها سكان ليكسوس خلال المرحلة الفينيقية، تعتريه بعض الصعوبات. ومع ذلك، تعد المعلومات المحصّل عليها في هذا الباب جديرة بالاهتمام، رغم أنها مغلومات ضئيلة وأولية. هذا مع العلم أن المعطيات الاركيولوجية المتعلقة بالاستراتيجيات التي انتهجها الفينيقيون في مجال الصيد البحري بالساحل الاطلنطي خلال الالف الاولى ق.م، تعد نادرة أو منعدمة.

ولعل أن الامر المتجليّ من خلال دراسة علم الاسماك الاركيولوجي المنجزة في ليكسوس، هو الكشف عن نشاط للصيد البحري مخصص للاستهلاك المحلي. فمن خلال حضور العدد الكبير من الاسماك

---

(217) Idem, Ibid, p. 218.

(218) Idem, Ibid, p. 218.

(219) كما يمكن إضافة سمك يشبه الأسْقُمْريّ يدعى بالفرنسية chinchard وبالاسبانية jurel. انظر : Idem, Ibid, p. 218.

(220) فصيلة من حَبْليّات الظهر تشمل الحيوانات البحرية التي غُلفت أجسامها بغلاف جيبي الشكل.

(221) Grau Almero(I.E), Pérez Jordá(G), Iborra Eres(M^{a}.P), Rodrigo García(M^{a}.J), Rodriguez Santana(C.G), Carrasco Porras(V.M^{a}.S), Gestión de Recursos y economía, op. cit, p. 220.

المهاجرة والمترددة على مصبات الانهار والبحيرات، يتبين أن سكان ليكسوس كانوا يصطادون أسماكهم، إن بالشبكة أو بالصنارة، داخل البحيرة المجاورة للمركز، دون الغمار في الاصطياد في أعالي البحار. بمعنى أن الصناعات السمكية التي تعتمد خصيصا على التمليح، مثل صناعة الكاروم، لايمكن التأكيد على وجودها على ضوء بقايا الاسماك المدروسة[222].

ومع ذلك، فإن هذه المعطيات الاولية لاتنفي أن تكون الصناعات البحرية التي طورتها ليكسوس ذات جذور فينيقية. وهي الصناعة التي تم تسويقها في التجارة حسب "موريس بيسنيي" (M.Besnier)[223]، والتي طورت لاريب مجموعة من الصناعات الاخرى الموازية، والمتمثلة في صناعة الملح والامفورات المخصصة لتصدير السمك المملح، كما بين ذلك "تيمايوس" (Timée)، عندما يورد أن السمك المملح الذي صبره فينيقيو قادس كان يصدر في "الجرار"[224]. ومن المعلوم في هذا الصدد أن صناعة تمليح السمك تعتبر واحدة من الصناعات البحرية التي كانت حاضرة في المدن الفينيقية في الشرق الى جانب صناعة صباغة الارجوان[225]. ومما يدل على الاصول الفينيقية لهذه الصناعة، أن موقعا بالساحل الغربي لمنطقة سرتة الكبرى بليبيا، كان يطلق عليه باللغة الفينيقية اسم "مقام الملاحات"[226]. من هنا، يمكن اعتبار حسب "أرمان لوكي" (A.Luquet)، أنه بالرغم من عدم الكشف بليكسوس عن أحواض التمليح المنتمية للمرحلة الفينيقية، فمن المرجح أن صيادي هذا العصر مارسوا صناعة تمليح السمك لاغراض تجارية[227]. وبذلك يرى نفس المؤلف أن المنشآت الفينيقية المفترضة كانت بسيطة، الامر الذي جعلها تندثر بسرعة. علاوة على ذلك، فإن إنتاج وتوزيع أمفورات كانت تستخدم لترويج السمك المملح منذ القرن الخامس قبل الميلاد، يدل على الجذور القديمة لهذا النوع من النشاط التجاري[228]. وبالفعل، تم العثور باستبار "الخروب" على مجموعة من الامفورات توجد معروضة بالمتحف الاركيولوجي بتطوان، لها علاقة بالصناعات السمكية[229]. وهي تؤرخ عموما ما بين القرن السادس قبل الميلاد والقرن الثالث قبل الميلاد، بحكم تشابهها مع نماذج اكتشفها "ميشيل بونسيك" في مقبرة "بلاد الغياط" شمال ليكسوس[230]. هذه الامفورات كانت وافرة بالمراكز الاطلنطية للمغرب القديم وبالمراكز الاسبانية بمنطقة الاندلس، حسب ما أفرزته الحفائر الاركيولوجية. بل تم العثور عليها

---

(222) Idem, Ibid, p. 220.

(223) Besnier(M), Géographie ancienne du Maroc, op. cit, p. 351.

(224) Timée, 157, 5.

(225) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 15.

(226) Gsell(S), Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord,op. cit, t. IV, p. 51.

(227) Luquet(A), Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc : Le Maroc punique, op. cit, p. 237.

(228) Aranegui(C), Belén(M), Fernández Miranda(M), Hernández(E), La recherche archéologique éspagnole à Lixus : Bilan et perspectives, op. cit, p. 10.

(229) Idem, Ibid, p. 11.

(230) عثر "ميشيل بونسيك" (M. Ponsich) في جثوة بلاد الغياط (مركز رقم 21 حسب أطلس ناحية ليكسوس) على أمفورة شبه كاملة، اعتبرها بونيقية الاصل. انظر:

Ponsich(M), Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc : Région de Lixus, op. cit, p. 420, pl. XIX.

في بلاد الاغريق بكل من مدينتي "أولمبيا" و"كورنثا"[231]. ولعل أن الكشف عن هذه الاواني بجهات بعيدة جدا عن مكان إنتاجها، يدل على مدى نجاح الصناعات السمكية بليكسوس. كما يمثل هذا العنصر علامة عن وجود هذا النشاط قبل إخضاعه للتصنيع، أي قبل تشييد معامل "الكاروم" (Garum)، كما تم التأكيد على ذلك بعدة جهات بشبه الجزيرة الايبيرية[232]. فقد أثبتت الحفائر الاركيولوجية التي شملت بعض المناطق التي اشتهرت بالصناعات السمكية في إسبانيا خلال العصر البونيقي[233]، مثل "سيكسي" (Sexi) ومالقة وأبديرا (Abdera)، أن الفينيقيين الذين كانوا مستقرين هناك منذ القرن الثامن قبل الميلاد، كانوا يمارسون صيد سمك التون و سمك الحَفش (esturgeon) وسمك الشّيق (murène) وأنواع سمكية أخرى تصلح للتصبير[234]. بل إن العثور على أمفورة فينيقية تحتوي على مصبرات السمك، في مركز "أسينيبو" (Acinipo) بناحية رندة (Ronda)، داخل كوخ ينتمي الى عصر البرونز المتأخر المؤرخ ابتداء من القرن الثامن قبل الميلاد، لدليل قاطع على الجذور الفينيقية لصناعة تصبير السمك، التي كانت متمركزة بين المستوطنات الفينيقية بساحل "كوسطا ديل صول" (Costa del Sol)[235].

هذه الشهرة التي حظيت بها ليكسوس في صيد الاسماك وتصنيعها، والتي لاريب أن جذورها تعود الى المرحلة الفينيقية[236]، تؤكدها كذلك مجموعة من المسكوكات التي ضربت في ليكسوس نفسها، والتي نقشت على إحدى وجوهها مصورات لسمك التون[237] (انظر لوحة رقم LXXIV). ومن المعلوم أن التون مثل أهم سمك وأجوده في التصبير والتمليح، وكان النقيع المصنوع منه يعد من أجود أنواع "الكاروم" وأكثرها طلبا في الاسواق[238]. لذلك، فإن المؤرخ الاغريقي "تيمايوس" لم يكن مبالغا لما كتب في القرن الرابع قبل

---

(231) Aranegui(C), Belén(M), Fernández Miranda(M), Hernández(E), La recherche archéologique éspagnole à Lixus : Bilan et perspectives, op. cit, p. 11.

(232) Idem, Ibid, p. 11.

(233) أي ما بين القرن الخامس والاول قبل الميلاد.

(234) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 268.

(235) Aguayo(P), Carrilero(M), Martinez(G), La presencia fenicia y el proceso de aculturación de las comunidades del Bronce Final de la depresión de Ronda (Málaga), **Actes du second congrès international des études phéniciennes et puniques**, Rome, 1991, t. II, p. 571.

(236) ترى "كرمين أرانيكي" (C. Aranegui) في هذا الباب أن ظاهرة التوسع العمراني السريع بليكسوس منذ نشأتها على يد الفينيقيين، كان مرتبطا بانطلاقة صناعات تمليح السمك. انظر :

Aranegui(C), Belén(M), Fernández Miranda(M), Hernández(E), La recherche archéologique éspagnole à Lixus : Bilan et perspectives, op. cit, p. 10.

(237) كانت الاشكال التصويرية التي تمثل عناقيد العنب وسنابل القمح تمثل نسبة كبيرة في مسكوكات ليكسوس الى جانب سمك التون. انظر :

Marion(J), Les monnaies de Shemesh et des villes autonomes de Maurétanie tingitane au musée Louis Chatelain à Rabat, op. cit ; Alexandropoulos(J), Contribution à la définition des domaines monétaires numides et maurétaniens, **Actes du VII^{è} colloque du groupe de contact interuniversitaire d'études phéniciennes et puniques**, Louvain-La-Neuve, mai 1987 (sous presse), ap. Idem, Le Monnayage de Lixus : Un état de la question, op. cit, p. 253, note n° 30 ; El Harif(F.Z) et Giard(J.B) Préliminaires à l'établissement d'un corpus des monnaies de Lixus, op. cit, p. 268, fig. 2.

(238) Garcia y Bellido(A), Fenicios y Carthagineses en occidente, op. cit, p. 82-87.

الميلاد أن السكان الفينيقيين لقادس كانوا يقطعون المسافات البعيدة للبحث عن التون، وأنهم كانوا يصبرونه للاستهلاك وللتسويق[239]. كما يمكن اعتبار حسب ما أورده "استرابون"[240]، أن سمك التون كان من بين الاسماك التي كان يتصيدها القادسيون في ناحية ليكسوس. وبالفعل، فقد أكدت نقود قادس أن شعارها كان يتألف من تونتين مطبوعتين على إحدى وجوهها، مما يعني أن التون حظي باعتباره أهم نوع سمكي كان يستخدم للتمليح خلال العصر القديم[241]. وفي هذا الصدد، يعتبر "ميكيل طراديل" أن جزءا كبيرا من السمك الذي كان يملح في جنوب إسبانيا كان مصدره من المياه المغربية[242]، التي كانت ومازالت غنية بثروتها السمكية، والتي مثلت بالنسبة للشعوب الايبيرية من مضيق جبل طارق الى لشبونة المجال المفضل للصيد في أعالي البحار، قديما وحديثا. لذلك لايجدر الاستغراب عندما نلاحظ اليوم أن صيادي قادس و"ألكاربي" (Algarbe) وولبة لم يكفوا عن الصيد في المياه المغربية الى حدود ناحية وادي الذهب وجزر الخالدات، والى حدود الرأس الاخضر أكثر جنوبا، بحثا عن الاسراب الغنية من الاسماك التي توجد في تلك الجهات[243].

غير أن ما يثير استغرابنا هو عدم الكشف في ليكسوس عن بقايا كثيرة لسمك التون في العينة التي أخضعتها للتحليل البعثة الاركيولوجية المغربية-الاسبانية. ومع ذلك، يبدو أن أهم إسهام قدمه علم الاسماك الاركيولوجي من خلال التحليلات التي شملت بقايا الاشواك المكتشفة في المزبلة الفينيقية، هو التأكيد على ما ورد في النصوص القديمة، حول غنى المياه المجاورة لليكسوس بالثروة السمكية، والتأكيد على أن هذا الغنى كان من المؤهلات التي دفعت الفينيقيين الى اختيار موقع ليكسوس للاستقرار فيه، لما يوفره من أمن غذائي وافر.

ب- علم الرّخويات (Malacologie) :

الى جانب دراسة عينة بقايا الاسماك، تم الاعتماد كذلك على دراسة بقايا الرّخويات المكتشفة في ليكسوس خلال حفائر عام 1999، وذلك بغية استكمال الصورة حول الموارد البحرية التي كانت توفرها المدينة غذاءا لسكانها الفينيقيين. وكانت هذه البقايا المتألفة من 596 قطعة، تنتمي الى صنفين :

صنف أول تمثله الرّخويات البرية بمجموع 88 قطعة[244] ؛ غير أن حضور هذا الصنف بأعداد قليلة جدا خلال المرحلة الفينيقية، يوحي بأنه كان دخيلا على ليكسوس، وبالتالي من المرجح أن الحلزون لم يستهلك خلال هذه المرحلة[245].

---

(239) Timée, 157, 5.

(240) Strabon, II, 3, 4.

(241) Garcia y Bellido(A), Fenicios y Carthagineses en occidente, op. cit, p. 178.

(242) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 255.

(243) Garcia y Bellido(A), Fenicios y Carthagineses en occidente, op. cit, p. 178.

(244) Grau Almero(I.E), Pérez Jordá(G), Iborra Eres(Mª.P), Rodrigo García(Mª.J), Rodriguez Santana(C.G), Carrasco Porras(V.Mª.S), Gestión de Recursos y economía, op. cit, p. 220.

(245) تألفت الرخويات البرية المكتشفة في ليكسوس خلال المرحلة الفينيقية من ثلاثة أنواع وهي :

- "الحلزون المسيحي" [caracol cristiano] Otala punctata: وقد تم العثور عليه خلال القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد بنموذج واحد، وخلال القرن السابع قبل الميلاد بنموذج واحد كذلك.
- Theba pisana : وقد تم العثور على ثمانية نماذج في مستويات القرن السابع قبل الميلاد.
- Rumina decollata : وقد تم العثور على نموذجين خلال القرن السابع قبل الميلاد. انظر :

أما الصنف الثاني، فتمثله الرّخويات البحرية بمجموع 508 قطعة، وتنقسم الى النوع المعروف باسم "ذوات الارجل البطنية" (gastéropodes) بمجموع 338 قطعة، والنوع المعروف باسم "ذوات الصّدَفَتَين" (bivalves) بمجموع 170 قطعة. وفيما يلي جدولا مبسطا حول أصناف وأنواع الرخويات البحرية التي تنتمي الى المرحلة الفينيقية بليكسوس :

الفصيلة والصنف	النسبة (القرن 8 و7 ق.م)	النسبة (القرن 7 ق.م)
ذوات الارجل البطنية (gastéropodes)		
الصَّحنية patella aspera [patelle]	46,377%	19%
الارجوان thais haemastoma [pourpe]	11,594%	8,965%
monodonta turbinata [peonza]	11,594%	44,138%
ذوات الصدفتين (bivalves)		
بلح البحر Mytilus edulis [moule]	28,986%	27,586%
Acanthocardia tuberculata [coque]	1,449	

من خلال قراءة أولية في هذا الجدول، وبالرغم من المعطيات التي كشفت عنها أركيولوجية الرّخويات (Malacologie)، فإن بقايا الاصناف التي تم العثور عليها، لا يمكن الاستناد إليها لتعميم نسبة استهلاك هذا النوع من المواد الغذائية على المركز برمته خلال المرحلة الفينيقية. ونظرا لصغر المساحة التي تم تنقيبها خلال حفائر 1999، يتعذر الاقرار بأن بقايا الرخويات المكتشفة كانت الوحيدة من نوعها التي عرفتها ليكسوس. غير أن المقارنات التي تمت في هذا المضمار بين ليكسوس وبين مجموعة من المراكز الاخرى المعاصرة التي خلفت بقايا الرخويات، تجعلنا نعتقد أن ليكسوس عرفت أصنافا أخرى لم تكتشف بعد[246].

وكيفما كان الحال، فإن الاصناف التي تم العثور عليها لحد الآن تعطي فكرة عن جزء من مكونات الغذاء الذي كان حاضرا في وجبات الساكنة الفينيقية بليكسوس[247]. ورغم أن المجال الاصلي لبعض هذه الرخويات كانت تمثله المياه الصخرية العميقة البعيدة عن الساحل[248]، فإن جلها يمكن جمعه من نطاقات المد

Grau Almero(I.E), Pérez Jordá(G), Iborra Eres(M^{a}.P), Rodrigo García(M^{a}.J), Rodriguez Santana(C.G), Carrasco Porras(V.M^{a}.S), Gestión de Recursos y economía, op. cit, p. 223.

(246) Grau Almero(I.E), Pérez Jordá(G), Iborra Eres(M^{a}.P), Rodrigo García(M^{a}.J), Rodriguez Santana(C.G), Carrasco Porras(V.M^{a}.S), Gestión de Recursos y economía, op. cit, p. 228.

(247) مما يدل على أن رخويات ليكسوس كانت تستهلك للتغذية، هو العثور عليها في المستويات الاستراتيغرافية لاسطبار الخروب التي كشفت عن المزبلة الفينيقية المؤرخة بالقرنين الثامن والسابع قبل الميلاد.

(248) كانت الرخويات المكتشفة بليكسوس خلال المرحلة الفينيقية تعيش إما في المجالات الصخرية، مثل الصَّحنية وبلح البحر والارجوان وmonodonta turbinata، أو تعيش في المجالات الرملية. انظر :

والجزر. ومما يرجح الوظيفة الغذائية لهذه الرخويات، الكشف عن صدفات محروقة تنتمي معظمها الى النوع المعروف باسم "الصَّحنية" (patelle)[249]، والعثور على علامات ببعض بلحات البحر (moules) تدل أنها خضعت لفعل النار[250]. ومن بين أهم الانواع استهلاكا، نشير الى "الصّحنية"[251]، حيث مثلت أهم نوع كان يستهلك خلال القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد. كما نشير الى النوع المعروف باسم monodonta turbinata [peonza][252]، الذي مثل أكثر الانواع استهلاكا خلال القرن السابع قبل الميلاد، وكذلك بلح البحر (moule)[253]. كما يمكن إضافة محار الارجوان (pourpe)، حيث يلاحظ أن أهم مرحلة استهلاكه كانت خلال القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد.

غير أن بعض هذه الرخويات كانت تستعمل للتزيين كأنواط في الأقراط، بدليل العثور على إحدى النماذج المثقوبة[254]. ونشير في هذا الصدد أن نماذج مشابهة تم العثور عليها في مراكز فينيقية معاصرة لليكسوس، مثل "كاستيو دي دونيا بلانكا" (Castillo de Doña Blanca) و"كابيسو دي سان بيدرو" (Cabezo de san Pedro) بمدينة "ولبة" (Huelva). كما أن توفر بعض محار الارجوان على علامات التهشيم، يوحي بإمكانية ممارسة سكان ليكسوس لصناعة صبغة الارجوان[255]، رغم أن العدد القليل من النماذج المهشمة، يرجح فرضية الاستعمال الغذائي لهذا النوع. ومهما كان الامر، فإن نسبة استهلاك الرخويات بليكسوس خلال المرحلة الفينيقية كانت أقل من العهود اللاحقة، الامر الذي يمكن تفسيره بعنصر الوفرة وليس بدافع العادات.

3) الموارد الغابوية :

الى جانب الامكانيات الفلاحية والوفرة السمكية، حظيت ليكسوس بتوفرها على مؤهلات أساسية كانت تحتاجها المنشآت الفينيقية، سواء العواصم الكبرى في الشرق مثل صور وجبيل وصيدا، أو المستوطنات الغربية مثل قرطاجة[256]. وتتمثل هذه المؤهلات في الثروة الغابوية التي مازالت تعد الى يومنا هذا من مميزات إقليم العرائش، لاسيما غابات هضبة "الساحل" القريبة من ليكسوس، الغنية بفلّينها وبلوطها. ولاريب أن حضور هذه الغابة التي كانت في الماضي أوسع وأغزر من حالتها الراهنة، كان من الدوافع الرئيسية التي

Grau Almero(I.E), Pérez Jordá(G), Iborra Eres(Mª.P), Rodrigo García(Mª.J), Rodriguez Santana(C.G), Carrasco Porras(V.Mª.S), Gestión de Recursos y economía, op. cit, p. 227.

(249) Idem, Ibid, p. 228.

(250) Idem, Ibid, p. 225, fig. 21.

(251) Idem, Ibid, p. 226, fig. 31.

(252) Idem, Ibid, p. 226, fig. 32.

ونشير في هذا الصدد الى حدوث خطإ مطبعي في صفحة 227، إذ يجدر تصحيح الرسم الموجود على يمين الصفحة الحامل لرقم 28 بالرقم الصحيح، وهو 32.

(253) Grau Almero(I.E), Pérez Jordá(G), Iborra Eres(Mª.P), Rodrigo García(Mª.J), Rodriguez Santana(C.G), Carrasco Porras(V.Mª.S), Gestión de Recursos y economía, op. cit, p. 226, fig. 21.

(254) Idem, Ibid, p. 225, fig. 22-23.

(255) Idem, Ibid, p. 225, fig. 29.

(256) ليست الغاية من هذه المقارنة بالمدن الفينيقية أو بالمستوطنات الكبرى أن تقوم بتلميح غير مباشر من شأنه المغالاة في مكانة ليكسوس، وجعلها في صف هذه المنشآت.

حثت المستوطنين الفينيقيين على تشييد منشأتهم والاستقرار بها، نظرا لما توفره أخشاب هذه الغابة من إمكانيات في البناء والاستعمال اليومي وربما في صناعة السفن. ويجدر التذكير في هذا الصدد بالتجربة الملاحية لليكسيين التي تعكسها العديد من مقتطفات رحلة حنون، والتي تقتضي منطقيا توفر أسطول بحري، وتوفر مرسى قريب من مجال غابوي يؤمّن الاخشاب المرغوبة والكافية لتشييد السفن واستصلاحها[257].

ولمعرفة كيف كان هذا المجال الغابوي في ناحية العرائش عند قدوم الفينيقيين، والتطور الذي عرفه ذات المجال بعد تشييد مستوطنة ليكسوس، وكيفية استغلاله من طرف السكان، اعتمدت البعثة المغربية-الاسبانية التي قامت بحفائر جديدة في ليكسوس على علم "الأنطراكولوجيا" (anthracologie). أي دراسة بقايا الاخشاب المتفحمة التي تم اكتشافها في الاستبارات التي تنتمي الى مرحلة تأسيس ليكسوس على يد الفينيقيين. ومن المعلوم أن الخشب يعد أحد الموارد الاكثر استعمالا، سواء للوقود، أو للبناء (السكن-السفن-عربات الجر-الاثاث ...الخ). الامر الذي يمكّننا من الالمام بطريقة استعمال هذه المادة، والتعرف على الانعكاسات التي أحدثتها عملية قطع الاشجار على البيئة الطبيعية[258].

ومن خلال تحليل عينات الاختبار المستخلصة من المستويات الفينيقية، وخصوصا المستخلصة من المزبلة المكتشفة في ذات المستويات، تبين حضور بعض أصناف الاشجار، مثل البلوط والفلّين والصنوبريات. وكانت هذه الاصناف تمثل جزءا من غابات مفتوحة، بدليل وجود الخَلَنْج (la bruyère) والزيتون البري والمُصْطكاء (lentisque) والقرنيات والشوكيات وبعض الورديات ؛ وهي النباتات التي يمكن أن تمثل الحواشي الشوكية للغابة. علاوة على ذلك تبين حضور شجر الدَّرْدَار والحَوَر، اللذين يوجدان عادة في الغطاءات النباتية التي تنتشر على ضفاف الانهار[259].

هذه المعطيات، تبين أن سكان ليكسوس كانوا منذ المرحلة الفينيقية يجمعون الاحطاب من الجهات المختلفة المجاورة للمركز، سواء من الجهات القريبة من النهر التي تنتمي إليها بقايا الدَّرْدَار والحَوَر والطَّرْفاء، أو من الجهات المتوفرة على الغابات التي تجاورها الاحراش. من هذه الغابات ينتمي صنفان من الاشجار : صنف كان ينبت في تربة حمضية يمثله شجر الفلّين والخَلَنْج، وصنف ثان كان ينبت في التربة الجيرية، ويمثله شجر البلّوط والسِّنْديان والمُصْطكاء والزيتون البري أو الزيتون، وأنواع أخرى مثل النَّبْقيات والبقليات[260]. أما الصنوبريات، فإنها كانت توجد عموما في المناطق الرطبة مختلطة مع البلّوط والفلّين.

---

[257] يبدو من خلال نص الرحلة أن المترجمين المنتسبين الى ليكسوس، الذين رافقوا حنون للاستدلال بهم في التعرف على السواحل الاطلنطية الموجودة جنوب نهر اللكوس، كانوا على علم ومعرفة بجميع الاماكن البحرية المذكورة في الرحلة. فالليكسيون هم اللذين أخبروا حنون أن الخليج الكبير الذي وصل إليه بعد خمسة أيام من الابحار يدعى "قرن الغرب". كما أنهم دلّوا القرطاجيين عن اسم نهر سبو (كريطيس)، وأخبروهم بأن الخليج الوارد في الفقرة السابعة عشرة يدعى "قرن الجنوب". وهذا يوحي بأن الليكسيين قد زاروا مسبقا جميع المناطق التي ولجها حنون عبر البحر. فنص الرحلة لم يقدم لنا الليكسيين بمثابة مترجمين فقط، بل قدمهم على شكل بحارة ومرشدين أيضا، وأن معرفتهم بذلك في الماضي كانت لأغراض تجارية، وليس فقط لأغراض استكشافية، وأنهم حافظوا بذلك على التقاليد البحرية الفينيقية. ولم يكن يتأتى لهم ذلك إلا بواسطة مراكبهم الخاصة، التي لاريب أنها كانت تصنع على ضفاف مدينتهم بأخشاب المنطقة.

[258] Grau Almero(I.E), Pérez Jordá(G), Iborra Eres(Mª.P), Rodrigo García(Mª.J), Rodriguez Santana(C.G), Carrasco Porras(V.Mª.S), Gestión de Recursos y economía, op. cit, p. 191.

[259] Idem, Ibid, p. 193.

[260] Idem, Ibid, p. 195.

وتمثل أشجار البلوط والسنديان والفلين أعلى نسبة من البقايا المتفحمة للأخشاب التي تم تحليلها[261].
لذا لانستغرب إذا كانت هذه الانواع تعد من الاخشاب المستحبّة، نظرا للخصوصيات التي تتميز بها باعتبارها أخشاب متماسكة وصلبة وثقيلة وصامدة. ويجدر التذكير في هذا الصدد بالصيت الذي تمتع به الفينيقيون في استخدام الاخشاب وتصنيعه وتجارته. فخشب البلوط كان يستخدم عموما لصناعة الجائزات والاعمدة، وصناعة مدارات عجلات العربات وأدوات الفلاحة. كما يعد البلوط خشبا ممتازا للوقود سواء تم استعماله كحطب أو كفحم نباتي. أما خشب السنديان، فرغم توفره على نفس المميزات التي يحظى بها البلوط، فإنه لم يكن يستعمل سوى في الحطب والحصول على الفحم المنزلي من النوع الممتاز. أما خشب الفلين، فإنه يستعمل عادة في النجارة، وفي عربات الجر، وفي تشييد السفن، وكذلك في الحطب والحصول على الفحم[262]. ومن بين الاستخدامات المختلفة لهذه الاخشاب، يجدر التذكير بالنجارة المستعملة بالضفاف، نظرا لأهلية الفينيقيين في صناعة السفن، وبحكم المكانة المرفئية لليكسوس[263].

ومن أشجار البلوط والسنديان تستخرج اللِحاء، أي قشر الشجر، والتي تستخدم لدبغ الجلود، نظرا لتوفرها على مادة العَفْص التي تستعمل لهذه الغاية، وتستخدم كذلك في التداوي بحكم خصوصياتها الإمساكية. كما يستعمل لحاء الفلين في أغراض منزلية متعددة وفي الدباغة، وتستهلك ثمار البلوط لتغذية الانسان والماشية كالخنازير والماعز. ومن أغصان السنديان يمكن الحصول على القِرْمِز الذي يستعمل في الصباغة[264].

أما من الصنوبريات، فيمكن الحصول على خشب صلب مقاوم للرطوبة، وعلى الفحم، وعلى بعض المواد الدابغة المستخرجة من لحائها. كما تستخرج منها بعض المواد الصمغية، نذكر منها القار الذي كان يستعمل لجَلْفَطَة السفن، أي لسد حزوزها ودهن هياكلها الخارجية للحفاظ على مساكتها، ودهن الجلود والامفورات لجعلها غير نافذة للمياه. كما توفر الصنوبريات بذورا صالحة للاستهلاك[265].

ويوحي الكشف عن بقايا أخشاب الزيتون والورديات، بأن الفينيقيين كانوا على ما يبدو يزرعون شجر الزيتون وبعض أشجار الفواكه مثل شجر اللوز والتفاح والاجاص، رغم أن خصوصية التركيبة الداخلية للعينات المتفحمة التي تم تحليلها لا تسمح بالتيقن هل يتعلق الامر بأنواع مزروعة أم برية. وكيفما كان الحال، فإن خشب الزيتون يعتبر من الانواع الصلبة والمتماسكة، ويتميز بمطاوعة خلال النجارة، ناهيك عن جودته في استعماله وقودا وفحما. أما أوراقه، فإنها كانت تستعمل للتداوي، وزيتونه كان يحظى بشهرة واسعة لاستخراج الزيت أو للاستهلاك[266].

---

(261) Idem, Ibid, p. 195.

(262) López Gonzalez(G), La guía de INCAFO de los árboles y arbustos de la Península Ibérica, INCAFO, Madrid, 1982.

(263) Grau Almero(I.E), Pérez Jordá(G), Iborra Eres(Mª.P), Rodrigo García(Mª.J), Rodriguez Santana(C.G), Carrasco Porras(V.Mª.S), Gestión de Recursos y economía, op. cit, p. 195.

(264) Idem, Ibid, p. 195.

(265) Grau Almero(I.E), Pérez Jordá(G), Iborra Eres(Mª.P), Rodrigo García(Mª.J), Rodriguez Santana(C.G), Carrasco Porras(V.Mª.S), Gestión de Recursos y economía, op. cit, p. 195.

(266) Idem, Ibid, p. 195.

أما شجرة المُصْطَكاء، فإنها تتوفر كذلك على خشب صلب يصلح للنجارة والوقود، إذ يوفر حطبه نارا مشتعلة ومستديمة. كما يستخرج من ثماره الصالحة للاكل نوع من الزيت، وتتوفر أوراقه الناعمة على مواد دابغة، ويستخرج من جذعه صمغ يُعلك[267].

ويتميز الخَلَنْج بخشبه الصلب والثقيل، الذي يصلح للوقود والحصول على الفحم المستخدم بالخصوص في كور الحداد. ويمكن استعمال براعمه علفا للغنم والماعز. كما أن خشب الحَوَر، الذي ينبت على ضفاف الانهار مثل الخَلَنْج، لم يكن بدوره يستعمل كثيرا في النجارة، لأنه خشب خفيف ورطب. بينما كان الدَّرْدَار يستخدم في النجارة، لأن خشبه يتميز بصلابته وتمدده وسهولة نجارته. فكان يستعمل بالخصوص في صناعة المراكب وعربات الجرّ ومقابض العُدّات. علاوة على ذلك، يوفر الدَّرْدَار حطبا جيدا وفحما ممتازا، وتيسّر أوراقه علفا مغذيا وإمكانيات تطبيبية[268].

وهكذا يتبين مما سلف، أن نوعية الاشجار التي تم رصدها في ليكسوس بفضل التحليلات الأنطراكولوجية، تنم عن استغلال المجال للاستعمال في الفلاحة وتربية الماشية والحاجة الى الاخشاب، سواء للبناء أو للوقود أو لصناعة السفن، وغيرها من الاستعمالات. كما تعكس أنواع الاشجار التي تمت معاينتها، وجود غطاء نباتي من المحتمل أن تكون ليكسوس قد عرفته في جوارها، دون التيقن من وجود أخشاب أجنبية واردة من أدوات مستوردة[269]. بل يدل الغطاء الغابوي الكثيف الذي تم الكشف عنه في ناحية ليكسوس، المتميز بحضور مهم لغابات الصنوبر والبلوط، أن المناخ الذي كان سائدا منذ المرحلة الفينيقية، كان يتميز برطوبة ملفتة للنظر[270]. الامر الذي يعطي كثيرا من المصداقية لما أورده "استرابون" (Strabon) حول المميزات المناخية الرطبة لشمال المغرب، ووفرة مياهه[271].

ومن جهة أخرى، يلاحظ أن ليكسوس كانت تعرف منظرا طبيعيا شبيها لبعض الجهات القريبة، التي خضعت لدراسات في "علم اللقح" (Palynologie)[272]. فمن خلال التحليل الذي قام به "بالوش وآخرون" للقح مَخَثَّة واد "سَخْسوخ"، تبيَّن أن المنطقة عرفت منذ أقدم مرحلة منظرا طبيعيا مفتوحا، وأن النباتات الشمسية كانت موجودة، مع حضور بارز لاشجار الفلّين، باعتباره أهم نوع ممثل في الغطاء الغابوي[273]. كما أن الغطاء النباتي المحيط بليكسوس المتميز بغابة مفتوحة قوامها البلوط والصنوبر، كان مشابها للضواحي

---

(267) Idem, Ibid, p. 195.

(268) Idem, Ibid, p. 195.

(269) Idem, Ibid, p. 195.

(270) Idem, Ibid, p. 229.

(271) Strabon, XVII, 3, 10.

(272) Ballouche(A), Lefevre(D), Carruesco(C), Raynal(J.P), Texier(J.P), Holocene environnements of coastal and continental Morocco, **Quaternary climate in Western Mediterranean**, (F. López-Vera, ed), Madrid, Universidad Autónoma, 1986, p. 517-531.

(273) Grau Almero(I.E), Pérez Jordá(G), Iborra Eres(Mª.P), Rodrigo García(Mª.J), Rodriguez Santana(C.G), Carrasco Porras(V.Mª.S), Gestión de Recursos y economía, op. cit, p. 196.

المجاورة للمستوطنات الفينيقية بإسبانيا[274]، نذكر منها مركز "صيرّو ديل فيبار" بناحية مالقة[275]، ومركز "لارابيطا" (La Rábita) بناحية "كواردامار ديل سيكورا" (Guardamar del Segura)[276]. ويبدو أن تطور الانشطة التي تمت ممارستها خلال المرحلة قيد الدرس، أدت الى إتلاف الغابة وتراجع نطاقها، بسبب الحصول على قطع أرضية صالحة للزراعة، والحاجة الى التزود بالحطب لاستعماله للوقود والفحم المنزلي، والتزود بالخشب للبناء وصناعة الادوات المنزلية والفلاحية والأثاث وصناعة السفن. علاوة على احتياجات أخرى تستخلص من أشجار الغابة، مثل الصمغ والصبغة والمواد الدابغة والالياف والعلف والثمار والمستخلصات الطبية[277].

وهكذا نلاحظ أن ليكسوس جمعت في آن واحد عدة مؤهلات نادرا ما حظيت بها المراكز القديمة الشبيهة. فهي محطة بحرية هامة، ومركز ساحلي مرتبط بصناعة تمليح السمك منذ عصور قديمة، ومركز نهري متصل من الجنوب والشرق بظهيره عبر واد اللكوس وعبر طريق قديمة برية تصل الى ثلاثاء ريصانة، ومتصل من الشمال بمجال فلاحي خصب صالح لاستقطاب تجمعات استيطانية. وهذا ما يفسر تطور المدينة وازدهارها عبر الفترات المختلفة من تاريخها، عكس ما كان عليه الامر لدى المراكز الساحلية الاخرى، التي بقيت على حالتها المتواضعة[278]. ولاريب أن المؤهلات الطوبوغرافية والاستراتيجية للتشييد، والمحفزات الاقتصادية للاستقرار، المتمثلة في توفر ليكسوس على المتطلبات الضرورية لاقامة تجمع سكاني دائم من إمكانيات فلاحية غنية وموارد بحرية وافرة وبيئة غابوية كثيفة، دفعت السكان الى البحث عن مجال إقليمي أوسع لتنشيط التجارة الفينيقية.

---

(274) يجدر التذكير أن المنشآت الفينيقية بشبه الجزيرة الايبيرية قامت بدورها بنشاط كثيف في قطع أشجار الغابات التي كانت موجودة بالسفوح الجنوبية للمرتفعات الاندلسية. وذلك للحصول على أخشاب الصنوبر والبلوط التي تتطلبها صناعة السفن، وتقتضيها هندسة البناء الشرقية، وتستعمل كوقود في أفران صهر المعادن وفي أفران صناعة الخزف. انظر :

Pellicer Catalan(M), Distribución y función de los asentamientos fenicios en Iberia, op. cit, p. 301.

(275) Ros(M), Burjachs(F), Paleovegetacion del Cerro del Villar, en Aubet(M.E), Carmona(P), Curiá(E), Delgado(A), Parraga(M), **Cerro del Villar-I. El asentamiento fenicio en la desembucadura del Río Guadalhorce y su interacción con el hinterland**, op. cit, p. 65-72.

(276) Grau Almero(I.E), Pérez Jordá(G), Iborra Eres(M^{a}.P), Rodrigo García(M^{a}.J), Rodríguez Santana(C.G), Carrasco Porras(V.M^{a}.S), Gestión de Recursos y economía, op. cit, p. 196.

(277) Idem, Ibid, p. 196.

(278) Aranegui(C), Belén(M), Fernández Miranda(M), Hernández(E), La recherche archéologique éspagnole à Lixus : Bilan et perspectives, op. cit, p. 10.

الفصل الرابع عشر
ليكسوس والتجارة الفينيقية بالساحل الاطلنطي للمغرب

إن الموقع الاستراتيجي لليكسوس في الطريق الملاحية والتجارية التي أراد الفينيقيون فتحها في اتجاه الجنوب بحثا عن الموارد التي كان يتوفر عليها المغرب القديم، مكّنها من نطـاق إقليمـي واسـع للنـشاط الاقتصادي. الامر الذي جعل منها على ما يبدو مركزا لتحصيل المنتوجات المصدرة من الساحل الاطلنطي للمغرب، أي من منطقة "خليج الوكالات التجارية" الواردة في المصادر القديمة، وإعادة توزيعها سواء صوب الاسواق الفينيقية في الشرق، أو صوب سوقها الداخلية، أو صوب الاسواق المحلية، وأسواق بعض الجهـات القريبة مثل إسبانيا. وفي نفس الوقت كانت تعد المركز الرئيسي لتجميع المواد الفينيقية المستجلبة من الـشرق الاوسط، أو بعض المواد غير الفينيقية المطلوبة في الأسواق المغربية. ذلك أن التجارة الفينيقية البعيدة المـدى كانت تفرض إيجاد بعض المراكز الهامة التي تقوم بهذه المهمة، نظرا لبعد المسافة الفاصلة بين صور وبـين جهات الاستغلال الاقتصادي، إذ لم يكن في مقدرة السفن الفينيقية الواردة من الشرق أن تقوم بمهمـة تحديـد الاسواق الجديدة والعمل على إعادة التوزيع.

وعلى العموم اتفقت جل المصادر القديمة المتحدثة عن التجارة الفينيقية مع الشعوب المتوسطية، على أنها كانت تجارة ذات وظيفتين: فمن جهة أولى كانت تجلب المعادن الثمينة التي تحتاج إليها المصانع الفينيقية وأسواق الشرق الأوسط كالفضة والذهب والقصدير والنحاس[1]، وبعض المواد الثمينة كالعاج. ومن جهة أخرى كانت تقوم بتوزيع مواد فينيقية مصنّعة كالأواني المعدنية[2]، والملبوسات الرفيعة[3]، والمواد العاجية[4].

---

[1] من أهم الحوليات الأشورية التي أشارت الى غنى المدن الفينيقية بالمعادن الثمينة، نذكر حوليات "آشور ناصر بال الثاني" (القرن التاسع قبل الميلاد)، وحوليات "تكلات بلسار الثالث" (القرن الثامن قبل الميلاد)، وحوليات "أسرحدون" (القرن السابع قبل الميلاد)، وحوليات "آشور بانيبال" (أواسط القرن السابع قبل الميلاد) [A.R.A.B, I, 179, A.R.A.B, II, 511-912, I.A.K.A, 275 ; ap. Moscati(S), L'épopée des Phéniciens, op. cit, p. 37, note 24, p. 43, note 52, p. 46, note 61]. أما إشارات التوراة التي ركزت على تجارة المعادن الفينيقية، فنجدها في سفر "الملوك الاول"، الاصحاح العاشر، آية 22، وفي سفر "إرمياء"، الاصحاح العاشر، آية 9، وفي سفر "حزقيال"، الاصحاح السابع والعشرون، آية 12. أما إشارات المؤلفين الاغريق التي تحدثت عن تصدير الفينيقيين لمعادن أقصى الغرب المتوسطي، فقد وردت عند "ديودور الصقلي" (Diodore de Sicile, V, 35)، وعند "تيمايوس" (Pseudo Aristote, 135). وأخيرا نشير الى امتداح "بلينيوس" لمعادن اسبانيا (Pline, Histoire Naturelle, XXXIV).

[2] من هذه الاواني نذكر الباطيات الفضية، التي أورد في شأنها "هوميروس" أن « ***الصيدونيين المهرة قد صنعوها بعناية*** » (Homère, Iliade, XXIII, 740)، ونذكر كذلك الاواني النحاسية والبرونزية. ويبدو أن الاواني المصنوعة من النحاس كانت تغزو الاسواق الشرقية، كما نفهم ذلك من خلال النبي العبري حزقيال، عندما خاطب صور قائلا: « ***بآنية النحاس أقاموا أسواقك*** » (سفر "حزقيال"، الاصحاح السابع والعشرون، آية 13).

[3] من هذه الملبوسات نذكر الاقمشة الصوفية الارجوانية والاقمشة المطرزة والملابس المصنوعة من الكتان. وقد أشارت الحوليات الآشورية الى هذه الالبسة ضمن مواد الجزية التي قدمتها المدن الفينيقية، حيث أوردها "آشور ناصر بال الثاني" و"أسرحدون" و"آشور بانيبال". كما يشير إليها حزقيال باعتبارها من أثرى الملابس الفينيقية (سفر "حزقيال"، الاصحاح السابع والعشرون، آية 7).

كما كانت تقوم على توزيع مواد البذخ ـــ التي يمكن تشبيهها حاليا "بمنتوجات باريز" ـــ كالزجاج الرفيع والعطر والحلي من أحجار كريمة ولآلئ ومجوهرات، وأيضا الخزف الرفيع سواء الفينيقي أو الإغريقي[5]. كما كان التجار الفينيقيون يعملون على نقل بعض المنتوجات غير الفينيقية من المناطق التي تتميز بفائض في إنتاجها، وتوزيعها على المناطق التي تعرف طلبا عليها[6].

أما السلع الفينيقية التي كانت ترد على المغرب القديم، والتي لا شك أن ليكسوس لعبت دورا ما في تحديدها، فإننا لا نستطيع أن نحصرها بدقة. غير أنه بالاستناد الى مجموعة من الإشارات المشتتة لدى بعض المؤلفين القدامى، وبتصنيف وإحصاء بعض المواد الفينيقية المكتشفة في جهات مختلفة من المغرب، يمكن أن نأخذ صورة تقريبية حول هذه السلع[7]. فمن بين أهم المواد التي جاء بها الفينيقيون إلى السواحل المغربية نذكر الحلي المعدنية أو المصنوعة من عجين الزجاج، والأواني الخزفية الرفيعة سواء الفينيقية أو الإغريقية، والعطر. أما الموارد المستجلبة من المغرب القديم، خصوصا عبر ساحله الاطلنطي، فإنها كانت تشتمل عموما على المواد المعدنية، وبعض المنتوجات الفلاحية، وبعض المواد ذات الاصل الحيواني.

I ـــ موقع ليكسوس الاستراتيجي في الطريق الفينيقية لاكتشاف الجنوب :

إذا كانت الامكانيات الفلاحية والغابوية والسمكية والمرفئية التي حظيت بها ليكسوس، قد وفرت لها مجالا محليا مهما للاستغلال الاقتصادي، فإن موقعها الاستراتيجي في الطريق الفينيقية لاكتشاف الجنوب الاطلنطي المغربي، قد مكّنها كذلك من مجال إقليمي ومنطقة نفوذ تحت مراقبتها. الامر الذي أهلها لكي تكون من أهم المنشآت التي سارع الفينيقيون الى تشييدها خلال عملية توسعهم. كما أن المحاولات التي قام بها البحارة الفينيقيون في الملاحة بأعالي البحار الاطلنطية بعد اكتشافهم للسواحل المغربية، جعل منها بدون شك محطة عبور ضرورية في هذه الطريق[8]. هذه المحاولات نستشفها من خلال "ديودور الصقلي" (Diodore de Sicile) عند حديثه عن اكتشاف الفينيقيين للجزيرة الفردوسية التي كانت توجد ما وراء المياه الاطلنطية

---

(4) فيما يخص المصادر الأشورية التي أوردت مادة العاج ضمن المواد الفينيقية التي تم تقديمها كجزية للملوك الأشوريين، نذكر حوليات "أشور ناصر بال الثاني" وحوليات "أسرحدون". كما تغنى "حزقيال" بتطور صناعة العاج في صور قائلا : « ***صنعوا مقاعدك من عاج مطعم في البقس*** » (سفر "حزقيال"، الاصحاح السابع والعشرون، آية 6).

(5) لعل أن لائحة المواد التي قدمتها المدن الفينيقية جزية للملك الآشوري "أشور ناصربال الثاني"، عند حملته على الساحل الفينيقي في حوالي عام 875 قبل الميلاد، تعكس فكرة عن مواد التجارة الفينيقية. فقد ورد في حولياته التي تصف هذه الحملة ما يلي :

« ***...إن جزية ملوك ساحل البحر، وهم ملوك صور وصيدا وجبيل، ...، وعمورو وأرواد التي توجد وسط البحر، تتألف من الفضة والذهب والقصدير والنحاس والاواني البرونزية والثياب الصوفية الملونة ومن الثياب المصنوعة من الكتان ومن القردة الكبيرة والصغيرة ومن خشب الآبنوس وخشب البقس ومن العاج...*** ». انظر :

A.R.A.B, I, 179 ; ap. Moscati(S), L'épopée des Phéniciens, op. cit, p. 37, note 24.

(6) من خلال التورارة نفهم مثلا أن الفينيقيين كانوا يقومون بتوزيع حصاد النيل على « ***مياه كثيرة*** »، كما يذكر "إشعياء" (سفر "إشعياء"، الاصحاح الثالث والعشرون، آية 3). كما كانوا يعملون على نقله الى البلدان التي تعرف خصاصا فيه، مثل بلاد الاغريق. انظر : غلاب(محمد السيد)، الساحل الفينيقي وظهيره في الجغرافيا والتاريخ، المرجع السابق، ص. 433.

(7) العزيفي (محمد رضوان)، السلع المتبادلة بين الفينيقيين والمغاربة القدماء، كأقدم نموذج عن علاقات المغرب التجارية مع العالم المتوسطي، المرجع السابق، ص. 211-236.

(8) مما ينم عن أهمية موقع ليكسوس كمحطة عبور نحو الجنوب، ما ورد عند ابن سعيد من كون "تشمس" كانت محطة تلجأ إليها المراكب "***حتى يستقيم لها الهواء في المحيط***". انظر : ابن سعيد(علي)، كتاب الجغرافيا، المصدر السابق.

المقابلة للسواحل المغربية. فقد أورد في هذا الصدد ما يلي : «***كانت هذه الجزيرة مجهولة من قبل بسبب مسافتها البعيدة عن اليابسة. وقد تم اكتشافها بهذه الطريقة : استكشف الفينيقيون السواحل الموجودة بالجهة الاخرى من العمودين وأبحروا على طول ليبيا. وقد دفعتهم رياح قوية في عمق كبير نحو داخل الاوقيانوس. وبعد عدة أيام من العواصف، وصلوا الى الجزيرة التي تم ذكرها. وبعد أن لمسوا خصبها وطبيعتها، نشروا الخبر للجميع***»[9].

صحيح أن هذا النص لا يعكس بالمعنى ولا بالمضمون أن ليكسوس كانت تمثل مرفأ ضروريا لتوقف المراكب الفينيقية المبحرة صوب أعالي البحار الاطلنطية. وصحيح أن المصادر القديمة لم تشر نصا الى حدوث نشاط تجاري لليكسوس داخل مجالها الاقليمي خلال المرحلة الفينيقية أو بعدها. ومع ذلك، فإن حضور ليكسوس في ذاكرة الايستوريوغرافيا القديمة، توحي حسب التأويل الذي اعتمدناه، بأنها كانت تمثل على ما يبدو القاعدة الرئيسية للوجود الفينيقي بالساحل الاطلنطي للمغرب. فقد تجلى من خلال هذه الذاكرة أن ليكسوس كانت تحظى بموقع استراتيجي مخطط، عندما تمت مقارنتها بقرطاجة وتم تناظرها مع قادس، مما يجعلنا نرجح أنها كانت تشكل القرن الجنوبي للمثلث الفينيقي قرطاجة–قادس–ليكسوس في تقسيم المجال بأقصى الغرب المتوسطي والساحل الاطلنطي الاوروبي والافريقي. كما عكست مجموعة من النصوص أن ليكسوس كانت على معرفة بالساحل الاطلنطي المغربي لغويا وجغرافيا وإثنوغرافيا وطوبونيميا وبيئيا[10]. أي أنها كانت تقوم بارتيادات ملاحية مستمرة لهذا الساحل، وأن زياراتها كانت لاغراض تجارية، سواء لتوزيع المواد الفينيقية المستجلبة من الشرق، أو للبحث عن الموارد التي يوفرها المجال الخاضع لنفوذها.

وبذلك تكون ليكسوس قد حظيت بموقع استراتيجي في الطريق الملاحية الفينيقية المتجهة صوب جنوب الساحل الاطلنطي انطلاقا من عمودي هرقليس، والتي كشفت عنها المعثورات الفينيقية في ناحية طنجة[11]، وفي شالة[12]، وفي جزيرة الصويرة[13]. وفي هذا الصدد، تعتبر المدرسة الاسبانية بمعية "ميكيل طراديل" أن ليكسوس كانت تقوم بدور مكمل لشقيقتها الفينيقية قادس، التي كان تشييدها مرتبطا بالتجارة الفينيقية مع طرطسوس ومع الحضارة البرونزية للعصر الاطلنطي الاوروبي[14]. من هنا يبدو أن تشييد ليكسوس

---

(9) Diodore de Sicile, V, 20 ; ap. Garcia y Bellido(A), Fenicios y Carthagineses en occidente, op. cit, p. 181.

(10) نستشف من خلال هذه النصوص مثلا أن ليكسوس كانت على علم بأسماء الخلجان الموجودة على طول الساحل الاطلنطي في اتجاه الجنوب من موقعها، مثل "قرن الغرب" و"قرن الجنوب" الواردين في رحلة حنون، و"خليج ساكيكي" الوارد في رحلة "بوليبيوس" (Polybe)، و"خليج الوكالات التجارية الفينيقية" الوارد لدى "استرابون" (Strabon). كما كانت تعرف أهم الانهار الاطلنطية مثل نهر سبو الوارد في رحلة حنون على صيغة "كريطيس" (Chrétès)، وأهم المرتفعات التي كان الفينيقيون يسترشدون بها في الاستدلال الملاحي، مثل "ركن الآلهة" الوارد في نفس الرحلة.

(11) العزيفي (محمد رضوان)، الفينيقيون بفحص طنجة وعلاقاتهم بالسكان "من خلال مقابر ناحية طنجة ومحتوياتها المؤرخة ما بين القرن السابع قبل الميلاد وأواسط القرن السادس قبل الميلاد"، المرجع السابق.

(12) Boube(J), Les origines phéniciennes de Sala de Maurétanie, **Bulletin archéologique du C.T.H.S**, n° 17, Année 1981, Fasc. B, 1984, p. 155-170.

(13) العزيفي (محمد رضوان)، الفينيقيون في جزيرة الصويرة، أعمال الايام الدراسية حول "الصويرة الذاكرة وبصمات الحاضر" (26–27–28 اكتوبر 1990)، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية اكادير، سلسلة الندوات والايام الدراسية، رقم 3، 1994.

(14) Aranegui(C), Belén(M), Fernández Miranda(M), Hernández(E), La recherche archéologique éspagnole à Lixus : Bilan et perspectives, op. cit, p. 9.

بالقرب من خليج واسع عند مصب واد اللكوس، له علاقة بهذه الطريق الملاحية والتجارية، ويمثل نموذجا لاستغلال المجال بالساحل الاطلنطي للمغرب خلال المرحلة الفينيقية. ويرى "فيرناندو لوبيز باردو" (Fernando Lopez Pardo) أن الموقع الاستراتيجي لليكسوس يكمن في كونه كان يوجد في الطريق "المجهولة للجنوب"، والتي كانت تتطلب تشييد منشأة لدعم التجارة الفينيقية، نظرا لكون المجال غير المراقب كان شاسعا [15]. وهذا يجعلنا نعتقد أن الموقع الشاذ لليكسوس خارجا عن الطرق الملاحية المعتادة في الحوض المتوسطي، لا يمكن تفسيره سوى بضمان مردودية اقتصادية مرتفعة [16]، واستغلال ثروات مهمة كانت تراقبها وتقوم بإعادة توزيعها وربما تستفيد منها.

فما هي هذه الثروات المحتملة ؟ وما هي علاقتها بليكسوس ؟

II ـ عصر البرونز في المغرب وفرضية تجارة المعادن :

إذا كان تأسيس قادس في طريق ملاحية صعبة الوصول لا يمكن تفسيره إلا بموقعها الاستراتيجي القريب من الثروات المعدنية لطرطسوس [17]، الذي تطلب مستوطنة دائمة تسهر على تنظيم تجارة هذه الثروات، فإن الغرض من تأسيس ليكسوس في العهد نفسه أو ربما قبله لا يمكن تفسيره دون شك إلا باستغلال مناجم المغرب [18].

صحيح أننا لا نتوفر على أي نص يذكر استغلال الفينيقيين للمناجم المغربية، باستثناء حديث "هيرودوت" (Hérodote) عن تجارة القرطاجيين في الذهب بمكان ما يوجد بعد اجتياز عمودي هرقليس [19]. لكن هذه الإشارة تجعلنا نعتقد أن الهدف الرئيسي من إبحار التجار الساميين بالساحل الاطلنطي للمغرب هو البحث عن المعادن الثمينة كالذهب وغيره. وتشاء الصدف أن تؤكد مكتشفات جزيرة الصويرة هذا الطرح، لما عثر "أندري جودان" في الطبقة الأركيولوجية الفينيقية على بعض شظايا المعادن المشتتة، علاوة على

---

(15) Lopez Pardo(F), Reflexiones sobre el origen de Lixus y su Delubrum Herculis en el contexto de la empresa comercial ..., op. cit, p. 94.

(16) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 247.

(17) مثلث قادس قرن المثلث الفينيقي غربا الذي يراقب مدخل المضيق وينظم جزءا مهما من الدائرة البحرية المتوسطية ويتحكم مباشرة في إحدى المناطق الغربية الأكثر غنى بالموارد المعدنية. الامر الذي يبين أن وظيفة قادس الأصلية تكمن في اعتبارها مكانا لمرور البضائع وبوابة للعبور نحو المعدن الأطلنطي. انظر :

Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 172.

(18) يرى "جيروم كاركوبينو" (J. Carcopino) في هذا الصدد أن الهدف من تأسيس ليكسوس هو استغلال مناجم فضة الأطلس وذهب إفريقيا. انظر :

Carcopino(J), Le Maroc antique, op. cit, p. 53.

(19) يقول هيرودوت (Hérodote) :

« يحكي القرطاجيون أيضا ما يلي : يوجد في ليبيا، فيما وراء عمودي هرقليس بلد يقطنه أناس. عندما يصل القرطاجيون عند هؤلاء الأقوام ينزلون بضائعهم ويرتبونها على طول الساحل، ثم يصعدون إلى مراكبهم ليكونوا الدخان. وعندما يرى الأهالي الدخان يقدمون إلى شاطئ البحر ويضعون الذهب أمام البضائع ويبتعدون. عندئذ ينزل القرطاجيون من مراكبهم ويقومون بالمراقبة : فإذا تبين لهم أن الذهب كان مساويا لثمن البضائع فإنهم يأخذونه وينصرفون، وإلا فإنهم يصعدون إلى مراكبهم وينتظرون. حينئذ يعود الأهالي مرة ثانية ويضيفون الذهب على ما وضعوه إلى أن يتفقوا. فلا هؤلاء ولا أولئك يتميزون بعدم الإستقامة، إذ لايلمس القرطاجيون الذهب ما دام لا يبدو لهم يؤدي ثمن بضائعهم ؛ كما أن الأهالي لا يلمسون البضائع قبل أن يكون القرطاجيون قد أخذوا الذهب ». انظر :

Hérodote, Histoire, IV, 196.

مجموعة من القوالب الفخارية تستخدم لصهر المعادن[20]. وتكمن أهمية هذه القوالب في تشابهها مع نماذج تم اكتشافها في إسبانيا بمركز "صيرّو سالومون" (Cerro Salomon) و"ريو تيـنتو" (RioTinto) و"إيل مورّو دي ميسكيتيا" (El Morro de Mezquitilla)[21]. وهي عبارة عن خراطيم تحتوي على ثقب واحد أو ثقبين تمثل فوهة زق الحداد، مما يدل على وجود الآثار الاولى للاستغلالات المنجمية المعروفة لحد الآن خلال المرحلة الفينيقية.

ونحن لا نستغرب من أن يكون الفينيقيون قد استغلوا معادن المغرب القديم، بعد أن تم التأكيد على وجود عصر البرونز في المغرب[22]. فمنذ العثور على أسلحة نحاسية في مقابر ميكاليثية[23]، وبعد اكتشاف أعداد هامة من نقوش صخرية في جبال الأطلس تصور تلك الأسلحة[24]، تبين أن السكان القدامى للمغرب كانوا على علم بصناعة المعادن واستعمالها قبل مجيئ الفينيقيين. ويبرهن "أندري جودان" (A.Jodin) على ذلك بوجود علاقة بين توزيع هذه النقوش وبين مواقع مناجم النحاس، خصوصا في كل من الاطلس الكبير وسوس[25]. بل توجد مجموعة من القرائن تتم حسب نفس المؤلف عن القيام باستغلالات قديمة لهذه المناجم، بعد العثور على بقايا الادوات التي كانت تستخدم لاستخراج المعدن، كان بعضها ينتمي الى المرحلة النيوليتية[26].

هذه المكتشفات الحديثة التي تمت بعد الستينات من القرن العشرين، جاءت لتفند كل الفرضيات التي ترى أن إفريقيا الشمالية كانت خالية تماما من المناجم التي بحث عنها الفينيقيون[27]. كما بيّنت هذه المكتشفات أن المغرب كان يتمتع بنفس التجربة الأوروبية في صناعة المعادن[28]. هذا لا يعني طبعا أن إمكانيات

---

(20) Jodin(A), Carthage et le Maroc phénicien, **B.A.M**, t. XI, 1977-78, p. 76 ; Idem, Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 49, pl. XXXVI.

(21) Schubart(H), El Asentamiento fenicio del s. VIII a. C. en El Morro de Mezquitilla (Algarrobo, Malaga), dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, op. cit, p. 63, pl. VI, p. 83 ; Jodin(A), Carthage et le Maroc phénicien, op. cit, p. 76.

(22) Camps(G), Bronze (âge du), dans Encyclopédie bérbère, t. XI, Aix-en-Provence, Edisud, 1992, B. 108, p. 1618-1622.

(23) Jodin(A), L'âge du bronze au Maroc : La nécropole mégalithique d'El Mriès, **B.A.M**, t. V, 1964, p. 1145, fig. 13.

(24) Camps(G), Aux origines de la Bérbéric, op. cit, chap.VII : Les origines du Bronze en Afrique du Nord : Les gravures rupestes du grand Atlas, fig. 161-162.

(25) Jodin(A), Les gisements de cuivre du Maroc et l'archéologie des métaux, **B.A.M VI**, 1966, p. 23-24, fig. 1, p. 16-17, fig. 2, p. 20.

(26) Idem, Ibid, p. 19.

(27) يقول "طراديل" مثلا في هذا المضمار : « *في الوقت الذي مثل فيه البحث عن المعادن واستخراجها إحدى الموارد غير المنقطعة للتجارة الفينيقية مع إسبانيا، فإن هذه التجارة كانت ثانوية في شمال إفريقيا نظرا لفقر أرضها من المعادن* ». انظر : Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 261

(28) حول المناجم القديمة بالمغرب انظر :

المغرب القديم كانت أهم من ثروات إسبانيا، لكن يبدو أن هيمنة الفينيقيين على مضيق جبل طارق، وإبحارهم في الساحل الاطلنطي المغربي كما في الساحل الاطلنطي الإسباني لتأسيس أقدم المحطات الفينيقية، وهما ليكسوس وقادس، على بعد مسافة واحدة من عمودي هرقل، لايمكن تفسيرهما إلا بتحديد مسار جيوسياسي موحد للساحلين معا. بمعنى أن الأهمية الاقتصادية والاستراتيجية للساحل الاطلنطي المغربي كانت بالنسبة للوجود الفينيقي بأقصى الغرب في نفس مستوى أهمية الساحل الاطلنطي الإيبيري.

انطلاقا من هذه المعطيات، يمكن اعتبار أن ليكسوس قامت على ما يبدو بدور المستودع الرئيسي الذي كانت تنزل فيه السلع الفينيقية القادمة من الشرق ليتم توزيعها بعد ذلك إلى مختلف السواحل المغربية التي تعامل معها التجار الفينيقيون، سواء نحو الشمال حيث ناحية طنجة، أو نحو الجنوب حيث محطة جزيرة الصويرة. أي أن وجود ليكسوس يفسَّر باعتبارها مركزا لاعادة التوزيع (redistribution) والتخزين التجاري، الذي تفرضه عملية التوسع الاقتصادي والاستيطاني بالمنطقة. وحسب هذا الطرح فإنها كانت تلعب دور المرفئ أو المخزن الكبير الذي يقوم بتحديد نوعية وعدد البضائع التي تطلبها الأسواق المحلية ويتكلف بتوزيعها. وفي الوقت نفسه تخزن بها المواد المحلية التي كان مصدرها من شتى الجهات، خصوصا المعادن الثمينة، لتعود إلى فينيقيا خلال مرحلة الرجوع[29].

انطلاقا من نفس الدور، حاول "جيروم كاركوبينو" (J.Carcopino) في كتابه "المغرب القديم " (Le Maroc antique)[30] أن يجد تفسيرا لمسألة ارتباط تأسيس ليكسوس بالتجارة الصامتة التي أشار إليها " هيرودوت ". وعلى ضوء الاهتمام الفينيقي بمناطق تصدير الذهب، حاول أيضا أن يجد لحقيقة وجود هذه التجارة في تلك الفترات المبكرة من تاريخ المغرب، علاقة بما أطلق عليه فيما بعد خلال العصور الوسطى "بتجارة القوافل وذهب السودان"[31]. وقد اعتمد في ذلك على كون المغرب كان خلال بعض عصوره الإسلامية محط رحال تجارة القوافل، وإليه تنتهي أغلب الطرق التجارية البرية من مناطق الإنتاج في السودان

Rosenberger(B), Les vieilles exploitations minières et les centres métallurgiques du Maroc . essai de carte historique (Première partie), **Revue de Géographie do Maroc**, n° 17 ; Gsell(S), Vieilles exploitations minières dans l'Afrique du Nord, **Hespéris**, t. VIII, 1er trimestre, 1928.

(29) صحيح أن الحفائر الاركيولوجية التي تم إنجازها في ليكسوس لم تكشف لحد الساعة عن المكان المفترض الذي كانت تخزن فيه البضائع. لكن، بعد العثور في العديد من المراكز الفينيقية على مستودعات مبنية كانت تستخدم للتخزين، يجعلنا نعتقد أن فكرة المخزن فكرة واردة وصحيحة. ففي حوالي سنة 700 قبل الميلاد، عرف مركز "لوس طوسكانوس" (Los Toscanos) قفزة نوعية هامة توجت بتشييد مبنى ضخم من ثلاثة أروقة وربما من طابقين، تجمعت به منذ ذلك التاريخ كل الانشطة الاقتصادية التي عرفتها المستوطنة. وكانت بجانبه مجموعة صغيرة من المساكن أو الاكواخ، خصصت: لا ريب للمستخدمين وللمصالح التابعة له. وكان هذا المبنى مشابها لبنايات أخرى طبق الاصل تم اكتشافها في "موتيا" بصقلية وفي "حازور" (Hazor) بفلسطين. الامر الذي مكن علماء الآثار من تصنيفه كمخزن أو مستودع للبضائع، خصوصا بعد العثور في داخله على كميات كبيرة من الامفورات والاواني المخصصة للنقل والتخزين، مما يؤكد على وظيفته كمنشأة مركزية لتجميع السلع. وعموما كان مخزن البضائع في الشرق الاوسط القديم المتضمن للحبوب والزيت والخمر، يمثل البناية المميزة لكل مركز تجاري أو مكان التجميع الجغرافي للصفقات التجارية، والذي كان سابقا لنظام السوق. وكانت أغلبية هذه المستودعات الكبيرة تابعة للقطاع الخاص، وفيها كانت تخزن كميات كبيرة من البضائع بغية المضاربة بها. انظر :

Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 266, fig. 64.

(30) Carcopino(J), Le Maroc antique, op. cit, p. 49-56.

(31) Carcopino(J), Le Maroc antique, op. cit, p. 105 et ss ; Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 262.

الغربي، مرورا عبر الصحراء ووصولا إلى مراكز الإيداع في انتظار تسويقها إلى الخارج. وتبعا لذلك استنتج "كاركوبينو"أن مكانة ليكسوس خلال العصر الفينيقي كانت مرتبطة برغبة الفينيقيين في التحكم في قنوات تجارة الذهب هذه[32]. فكانت حسب رأيه بمثابة المركز الكبير الذي يستقبل جميع الشحنات والكميات المستوردة من ذهب الجنوب التي تنزل في مستودعاتها. ومن تم رجح الباحث الفرنسي أن تكون ليكسوس قد قامت بدور الوساطة في هذه التجارة بنفس الطريقة التي زاولتها سجلماسة خلال العصور الوسطى[33].

كما اعتبر أيضا أن الغرض من تأسيس ليكسوس إلى جانب تصدير ذهب السودان هو استغلال مناجم الفضة التي عرفتها جبال الأطلس، وذلك بإيجاد محطة تجارية تنزل فيها معادن الفضة لتصديرها إلى الشرق الأوسط[34]. ومن المعلوم في هذا الصدد أن تجارة الفضة كانت ذات أهمية كبيرة بالنسبة للاقتصاد الفينيقي، نظرا للطلب المرتفع الذي كانت تحظى به الفضة في الأسواق الشرقية خلال القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد ؛ أي خلال أنشط مرحلة للتوسع الفينيقي. فمن خلال مواد الجزية التي أدتها مدينة صور للامبراطورية الآشورية خلال ضغطها المستمر على الساحل الفينيقي، يتبين أن أهم مادة كانت حاضرة في الحوليات الآشورية مثلتها سبائك الفضة، يليها في الاهمية الحديد والقصدير والرصاص[35]. وقد أصبحت الفضة مرتفعة القيمة، لانها كانت تعطي لمن يكتنزها، سواء على شكل سبائك أو على شكل مواد مصنّعة، مرتبة اجتماعية هامة. الامر الذي ينم عن وجود نظام شبيه بما قبل النظام النقدي، حيث أضحى معدن الفضة الى جانب الذهب يستعمل للتداول في العمليات التجارية على شكل عيار معدني[36]، كما كان الشأن في أوكاريت عندما كانت

---

[32] Carcopino(J), Le Maroc antique, op. cit, p. 52.

[33] ومع ذلك هناك من الباحثين من يشك في أهمية تجارة الذهب الافريقي بالنسبة للتوسعين الفينيقي والبونيقي بالسواحل المغربية. انظر :
Desanges(J), Remarques critiques sur l'hypothèse d'une importation de l'or africain dans le monde phénico-punique, **Actes du 2è congrès international d'étude des cultures de méditerranée occidentale** ; Mickwitz(G), Le problème de l'or dans le monde antique, **Annales d'Histoire économique et sociale**, t. VII, 1953.

[34] وفي هذا الصدد يعتقد "كاركوبينو" (Carcopino) أن ليكسوس ساهمت في رخاء عهد "حيرام" ملك صور خلال القرن العاشر قبل الميلاد، حيث كانت تزود عاصمته بالذهب والفضة. غير أن هذه الفرضية تعتبر مستبعدة حسب مستجدات الدراسات الفينيقية، التي أضحت تبين أن التجارة الفينيقية في عهد حيرام لم يكن مجالها يتعدى منطقة البحر الاحمر. انظر :
Carcopino(J), Le Maroc antique, op. cit, p. 53 et p. 55 ; Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 36-38.

[35] من هذه المعادن كانت صور تصنع أدوات الفلاحة والاسلحة وأدوات الصناعة التقليدية ومواد البذخ كالكؤوس وغيرها. وكانت فينيقيا تستورد هذه المعادن من مناجم الاناضول وسيناء وقبرص وأترووريا وطرطسوس. غير أن كميات الفضة الهائلة التي احتاجت اليها صور كان مصدرها من أقصى الغرب المتوسطي. انظر :
Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 62.

[36] ومما يرجح ذلك أن كلمة "كابسو" (capsu) الاكادية تعني "المعدن وقيمته" لشراء بضاعة ما. حول النظام ما قبل النقدي في الشرق الاوسط القديم انظر :
Jankowska(N.B), Some Problems of the Economy of the Assyrian Empire. in **Diakonoff(I.M) (ed.), Ancient Mesopotamia**, USSR Academy of Sciences, pp. 253-276, Moscu, 1969.

تقدر قيمة البضائع وقيمة العمل، أي الاجرة، بالفضة والذهب[37]. وبذلك أصبحت الفضة تعد أهم معدن يحظى بقيمة التداول، حيث كانت تُحَوّل الى سبائك أو دوائر أو أختام ذات وزن خاص، عرفت في المصادر البابلية باسم السيكل أو المن. وخلال العصر الآشوري الحديث كانت الفضة تتداول بعيار قار، أي أنها كانت تتداول باعتبارها نقدا. بل ربما أن تداول المعادن أو الادوات المعدنية من كؤوس وغيرها من المواد الفضية كانت تحظى بقيمة النقد قبل العصر الآشوري، كما نفهم ذلك من خلال لوائح أوكاريت أو رواية "ونامون"، أو من خلال مواد جزية صور المقدمة لآشور[38]. وهذا يعني أن الامبراطورية الآشورية عرفت بمعية صور تطوراً نحو نظام اقتصادي نقدي يعرف وحدات القيمة (المال)، وقيمة التبادل (الثمن)، وعيار الوزن، وحركات تضاربية[39]. ونستخلص من هذا كله أنه لا يمكن تفسير الكميات الهائلة من الفضة التي وصلت الى آشور مـــا بين عام 720 قبل الميلاد و650 قبل الميلاد، في الوقت الذي أغلقت فيه أسواق سيليقيا والاناضول والبحر الاحمر في وجه التجارة الفينيقية، سوى ببداية استغلال معادن أقصى الغرب المتوسطي بما فيها ترشيش[40] وربما معادن المغرب وخصوصا فضته. وهذا يعني أن صور – الى جانب مستوطناتها الغربية– كان لها دور أضخم مما يمكن تصوره في تداول المعادن.

استنادا الى هذه المعطيات، من الممكن ترجيح حسب فرضية "جيروم كاركوبينو" (J.Carcopino) أن تكون ليكسوس، باعتبارها واحدة من هذه المستوطنات، قد لعبت دورا ما في تجارة المعادن الفينيقية[41]، أو

---

(37) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 63-64 ; Heltzer(M), The Metal Trade of Ugarit and The Problem of Transportation of Comercial Goods, **Iraq 39**, 1977, p.203 - 211.

(38) بين أواخر القرن التاسع وأواخر القرن الثامن قبل الميلاد كانت آشور تعرف قلة في الفضة بسبب المعاهدة السورية–الاورارورتية التي حرمت صور من معادن الاناضول. غير أنه مع مطلع القرن السابع قبل الميلاد عرفت آشور تداولا مهما في الفضة كنقد، والتي بدأت تعرف تكنيزا متزايدا خلال عهد سرجون، مما يدل على أن الفينيقيين كانوا يصدرونها من مصادر جديدة في الغرب. وسينتج عن هذا التراكم المهم في عهد آشوربانيبال انخفاضا في ثمن الفضة وزيادة في الاثمنة وزيادة في قيمة الذهب مقارنة مع الفضة: أي اننا اتجاه ظاهرة التضخم. وستنتج بالطبع عن هذه الوضعية قلة في الطلب الآشوري للفضة التي تتاجر فيها صور، والتي أصبحت غير مرغوبة في تجارتها، مما دفع بالآشوريين الى العد ابتداء من اواسط القرن السابع قبل الميلاد للضربة القاضية على صور. انظر :

Garelli(P), Nikiprowetzky(V), Le proche-Orient Asiatique (Les empires mésopotamiens, Israël), Paris, Nouvelle Clio, 2bis, 1974, p. 274-275 ; Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 65-66.

(39) وهذا يعني أن الامر كان يتعلق بوجود نظام يعرف اقتصاد السوق بقوانين العرض والطلب. أي أن منطقة الشرق الاوسط القديم كانت قد جاوزت مرحلة المقايضة، وأصبحت قيمة السلعة تحدد حسب قيمة استعمالها. انظر :

Garelli(P), Nikiprowetzky(V), Le proche-Orient Asiatique (Les empires mésopotamiens, Israël), op. cit, p. 272 ; Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 64-65.

(40) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 66.

(41) هذا مع العلم أننا لانتوفر على دليل مقنع لتدعيم فرضية "جيروم كاركوبينو" (J. Carcopino)، التي يستند فيها ليس إلا على مجموعة من التأويلات المصدرية، التي قد يصيب في شأنها أو لا يصيب. فهو يرى مثلا أن سكوت حنون عن الهدف الرئيسي من رحلته لا يمكن تفسيره إلا بإخفاء متعمد للدوافع الحقيقية التي كانت من وراء الإبحار القرطاجي في الساحل الاطلنطي المغربي. تلك الدوافع التي تتمثل حسب "كاركوبينو" في استمرارية استغلال المعادن المغربية وربما معادن إفريقيا الغربية كالذهب ؛ وهي المعادن التي كان يتجر فيها الفينيقيون من قبل، وهم أجداد القرطاجيين، وتراقبها ليكسوس. الامر الذي أدى الى عدم ذكر ليكسوس في نص رحلة حنون، الذي اكتفى فقط بالإشارة إلى مكوثه لمدة طويلة مع اللكسوسيين. ولا يمكن لحنون أن يقضي كل هذا الوقت في ساحل يصل إليه القرطاجيون لأول مرة إلا داخل أو بالقرب من محطة لها من العلاقة الوطيدة مع العنصر السامي، ومن المعرفة الدقيقة بما تزخر به البلاد من ثروات، لدرجة تجعله يختارها

مثلت مركزا لتجميع المعادن المغربية[42]، وربما لتحويلها الى سبائك. وفي هذا الصدد، نذكّر بأن ليكسوس نفسها كشفت عن ما يوحي بتعاطي سكانها للانشطة المعدنية خلال العصر الفينيقي، بعد العثور على مجموعة من الصحون الخزفية الواسعة المتوفرة على قعر مثقوب في عدة جهات[43]. وكانت هذه الصحون – التي تتشابه مع نماذج تم اكتشافها في مستويات أركيولوجية فينيقية بمركزي "إيل مورّو دي ميسكيتيا" (El Morro de Mezquitilla) و"كاستيو دي دونيا بلانكا" (Castillo de Doña Blanca)–، تُستخدم في تقليص مادة النحاس من المعادن، حسب "دييكو رويز ماطا" (Diego Ruiz Mata)[44]. ومن جهة أخرى، يجدر الاخذ بعين الاعتبار أن تشييد أقدم المستوطنات الفينيقية بأقصى الغرب مثل قادس وليكسوس، كان مخططا من طرف صور ومؤسساتها السياسية والدينية، وأن الغرض من هذا التشييد كان واضحا، وهو تجارة المعادن[45].

وبذلك تكون ليكسوس قد توفرت على محيط إقليمي واسع خاضع لنفوذها، يعد الى جانب محيطها المحلي واحدا من مؤهلات تشييدها. وذلك تبعا للخطة التي رسمها الفينيقيون بإيجاد مستوطنة ثابتة تراقب وجودهم بالساحل الاطلنطي للمغرب، وتنظم استغلال موارده الاقتصادية وعلى رأسها المعادن. غير أن المجال الاقليمي لليكسوس لم يكن يوفر على ما يبدو الثروات المعدنية فقط، بل لعله أمّن موارد أخرى، نخص بالذكر منها العاج والخمور والجلود.

III – التجارة الفينيقية في الرحلة المنسوبة الى "سكيلاكس" : مجال محتمل لتجارة ليكسوس:

يجب أن نتصور أن الساكنة المستقرة في المستوطنات الفينيقية البعيدة عن الشرق الاوسط مثل ليكسوس، لم تكن دائما تظل معلقة بمدينة صور ومرتبطة بها في جميع العمليات التجارية، وفي جميع ما تحتاج إليه من مواد استهلاكية. بل كانت هذه الساكنة تبحث في مجالها المحلي أو الاقليمي عن بعض الاسواق

دون غيرها من المحطات الأخرى للنزول بها والتفاوض مع سكانها لتهيئ الخطة التي جاء من أجلها القرطاجيون. ولم يكن هذا الإخفاء لمكانة ليكسوس حسب "كاركوبينو" –وهو رأي لا يشاطره العديد من الباحثين– إلا ناتجا عن علم حنون بأن المبادرة التي كانت قرطاجة تنوي أخذها في مراقبة مدخل مضيق جبل طارق، واستيلام مفتاح التحكم في الملاحة البحرية على المحيط الاطلنطي المغربي من يد صور، كانت محط تجسس مستمر من لدن القوى المزاحمة الأخرى وعلى رأسها الإغريق. وكيفما كان الحال، وسواء كان "كاركوبينو" (Carcopino) صائبا أم لا في فرضيته عندما رجح أن ليكسوس قد لعبت دورا ما في تجارة المعادن الفينيقية، فإن أهمية هذه المستوطنة لا يمكن نكرانها. ومما يرجح ذلك، أن الأساطير العديدة التي حيكت حول المدينة كانت تحمل في طياتها إيحاءات بعظمتها ومكانتها خلال العصور السابقة للرومان.

(42) ترى الباحثة الاسبانية "ماريا إوخينيا أوبيت" (Maria Eugenia Aubet) أن معادن النحاس والحديد والرصاص التي كانت موجودة في مرتفعات الاطلس، كانت رهن إشارة ليكسوس، علاوة على الذهب. انظر :
Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 254.

(43) Bokbot(Y), Habitats et monuments funéraires du Maroc protohistorique, thèse de doctorat, 2 vol., Aix - en-Provence, Université d'Aix-Marseille I, 1991, p. 166.

(44) Ruiz Mata(D), Huelva : un foco temprano de actividad metalúrgica durante el Bronce final, **Tartessos. Aarqueología protohistórica del bajo Guadalquivir**, Aubet(M.E), coord., Sabadell, éd. Ausa, 1989, p. 237-238.

(45) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 243.

لتنشيط منتوجات هذه الاسواق اقتصاديا، سواء لتغطية احتياجاتها الاستهلاكية لبعض المواد التي ليس بالضرورة أن تلجها من صور، أو لترويج هذه المنتوجات تجاريا إما صوب صور أو صوب المحيط القريب أو البعيد[46]. والى جانب ما أوحت به مجموعة من النصوص حول منطقة النفوذ التي كانت تتحكم فيها ليكسوس، وحول معرفة الليكسوسيين بالمجال الموجود في اتجاه الجنوب، يمكن إضافة ما ورد في الرحلة المنسوبة الى "سكيلاكس" حول التجارة الفينيقية مع المحليين في جزيرة تدعى قرنّة (Cerné)، كمجال محتمل لتجارة ليكسوس. ذلك أنه من المنطقي أن يكون "**التجار الفينيقيون**" الذين تم وصفهم في هذه الرحلة، ينتمون الى إحدى المستوطنات التجارية الموجودة في أقصى الغرب، أفضل من اعتبارهم ينتمون الى صور أو قرطاجة كما كان يُعتقد فيما قبل. وفي هذا الصدد يرى "جيهان ديزانج" (J.Desanges) بأن الامر يتعلق إما بسكان قانس أو بسكان ليكسوس[47]. كما أن الظروف البيئية المحيطة بجزيرة "قرنة"، وطبيعة المواد التجارية المصدرة من عين المكان، تجعلنا نعتقد أن مكان المبادلات كان يحدث في جهة غير بعيدة عن ليكسوس.

فكيف تم تصوير هذا المظهر من مظاهر التجارة الفينيقية بالساحل الاطلنطي للمغرب[48]، التي كانت ليكسوس على ما يبدو تشارك في تنشيطها بشكل أو بآخر ؟

يورد "سكيلاكس" في هذا الصدد ما يلي[49] :

«.... وبعد رأس سولوييس يوجد نهر يدعى كسيون. حول هذا النهر يقطن الايثيوبيون المقدسون (؟). في هذه المنطقة، توجد جزيرة تدعى قرنة. ويتم الابحار بالمساحلة من عمودي هرقليس الى رأس هيرميس خلال يومين ؛ ومن رأس هيرميس الى رأس سولوييس خلال ثلاثة أيام ؛ ومن رأس سولوييس الى قرنة خلال سبعة أيام، أي أن مجموع الابحار يبلغ اثنى عشر يوما من عمودي هرقليس الى جزيرة قرنة. بعد جزيرة قرنة يتعذر الابحار بسبب قلة عمق البحر، وبسبب الوحل والطحالب. ويبلغ عرض هذه الطحالب شبرا واحدا، ويعتبر حرفها حادا للغاية لدرجة أنه يستطيع الاختراق. التجار هم الفينيقيون ؛ عندما يصلون الى جزيرة قرنة، فإنهم يرسون بسفنهم المستديرة وينصبون الخيام بقرنة. وأما الحمولة، فإنهم بعد سحبها من مراكبهم، يقومون بنقلها عبر زوارق صغيرة الى البر. في البر يوجد الايثيوبيون. وهم الايثيوبيون مع من تقام المبادلات. (الفينيقيون) يبيعون (سلعهم) مقابل جلود الغزلان، والاسود، والفهود، وجلود الفيلة وأنيابها، و(جلود) الحيوانات الاليفة. الايثيوبيون يستعملون جلودا مرقطة (؟) يتزينون بها، وعوضا عن الكؤوس، يستعملون قارورات من عاج ؛ وتستعمل نساؤهم للزينة حلقات من عاج ؛ بل حتى

---

(46) Cintas(P), Manuel d'Archéologie punique, t. 1, op. cit, p. 377.

(47) Desanges(J), Recherches sur l'activité des Méditerranéens aux confins de l'Afrique, op. cit, p. 116.

(48) من بين أهم التعاليق التي يمكن الرجوع إليها حول الفقرة الواردة في الرحلة المنسوبة الى "سكيلاكس" (Scylax) المتعلقة بوصف المبادلات التجارية بين الفينيقيين والسكان المحليين المجاورين لجزيرة قرنة، انظر :

Gsell(S), Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord, op. cit, t. IV, p. 141-142 ; Carcopino(J), Le Maroc antique, op. cit, p. 112-114 ; Desanges(J), Recherches sur l'activité des Méditérranéens aux confins de l'Afrique, op. cit, p. 116-120.

(49) Périple de Scylax, 112, ap. Desanges(J), Recherches sur l'activité des Méditérranéens aux confins de l'Afrique, op. cit, p. 412.

جيادهم تزين بالعاج. ويعتبر هؤلاء الايثيوبيون أطول الناس الذين نعرفهم : ذلك أنهم يفوقون أربعة ذراعا ؛ بل يوجد من بينهم من يبلغ طوله خمسة ذراعا. وهم ملتحون ولهم شعر طويل ؛ فهم أجمل الناس جميعهم. والذي يحكم عليهم، هو أطولهم. إنهم خيّالة، ورماة الرماح ونبّالة ويستعملون سهاما مصلبة في النار. التجار الفينيقيون يجلبون إليهم الزيت المعطرة، وحجر مصر (اليشب الاسمر ؟) والرّتّ (؟) ...، والخزف الآتيكي، والاقداح. وبالفعل فإن هذه الاواني الخزفية تباع في موسم الاقداح. هؤلاء الايثيوبيون يأكلون اللحم ويشربون الحليب ؛ ويصنعون خمرا كثيرا مستخرجا من كرماتهم ؛ هذا الخمر أيضا يصدره الفينيقيون. ويتوفرون أيضا على مدينة كبيرة يصل إليها التجار الفينيقيون عبر البحر...».

قبل تحليل مضامين هذا النص، الذي يعد أهم وثيقة حول التجارة الفينيقية بالساحل الاطلنطي للمغرب[50]، يجدر التذكير -كما سبقت الاشارة الى ذلك في الجزء الاول- أن المعلومات الواردة في الرحلة معلومات سابقة للقرن السادس قبل الميلاد، رغم أن تحرير النص حدث في القرن الرابع قبل الميلاد[51]. ومما يرجح ذلك أن الجغرافي الاغريقي "هيكاتيوس الميليتي" (Hécatée de Milet) الذي ألف مؤلفه "وصف الارض" في القرن السادس قبل الميلاد، قد أحال على "سكيلاكس"[52]. كما يُعتبر "سكيلاكس" المصدر الاساسي لهيرودوت على ما يبدو حسب "ديزانج" (Desanges)[53]، وأن بعض مقتطفاته ذات الاصول الفينيقية أو البونيقية تم اعتمادها دون شك من طرف حنون[54]. أضف الى ذلك أن الاوصاف التي أوردها "سكيلاكس" حول التجار الذين أبرموا علاقات مع السكان المحليين المجاورين لجزيرة قرنة، وحول طبيعة مواد تجارتهم، كانت أوصافا ترتبط بالحضارة الفينيقية أكثر من ارتباطها بالحضارة القرطاجية اللاحقة. فقد تم نعت هؤلاء التجار نصا بالفينيقيين وليس بالقرطاجيين، في الوقت الذي نجد إشارات حول القرطاجيين في سياقات أخرى من الرحلة. وهذا يعني أن هؤلاء التجار، إن لم يكونوا فينيقيي المقدم، فإنهم كانوا يمثلون السكان الفينيقيين لإحدى المستوطنات الغربية. كما أن سفنهم كانت سفنا فينيقية من نوع السفن المكورة المعروفة باسم "كاولوس" (Gaulos) بالاغريقية، والتي كانت تختلف في شكلها عن المراكب القرطاجية الحديثة[55]. بل حتى السلع المتبادلة مع المحليين كانت من نوع السلع الفينيقية التي شاع ترويجها على الاقل خلال القرن السابع قبل الميلاد، وليس بعده.

---

(50) العزيفي (محمد رضوان)، السواحل المغربية إبان المرحلة الفينيقية من خلال الرحلة المنسوبة الى "سكيلاكس"، **أعمال ندوة الرحلة بين الشرق والغرب : اتصال وانفصال** (1-2-3 نوفمبر 2001)، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 110، 2003، ص. 273-301.

(51) Roget(R), Le Maroc chez les auteurs anciens, op. cit, p. 11 ; Besnier(M), Géographie ancienne du Maroc, op. cit, p. 306 ; Gsell(S), Connaissances géographiques des Grecs sur les côtes africaines de l'océan, op. cit, p. 303 ; Baschmakoff(A), La synthèse des périples antiques, op. cit, p. 22-29 ; Peretti(A), Il Periplo di Scilace, op. cit, p. 453-484.

(52) Desanges(J), Recherches sur l'activité des Méditérranéens aux confins de l'Afrique, op. cit, p. 88.

(53) Idem, Ibid, p. 94.

(54) Idem, Ibid, p. 96.

(55) حول أنواع المراكب الفينيقية وأشكالها، انظر :
Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 152-157.

فما هي المقتطفات التي يمكن أن تفيدنا في أخذ فكرة حول بعض المظاهر الاخرى للتجارة الفينيقية بالساحل الاطلنطي للمغرب الى جانب تجارة المعادن، والتي لعبت فيها ليكسوس دورا ما ؟ وما هي العناصر التي توحي من خلال نفس المقتطفات بأن مكان المبادلات كان في منطقة غير بعيدة عن ليكسوس ؟

1) جزيرة "قرنة" وموقعها القريب من محيط ليكسوس :

قبل أن يبدأ "سكيلاكس" ، في وصفه للسواحل المغربية، كان قد أشار في رحلته الى عدد كبير من الجزر التي عرفها الحوض المتوسطي. وهي جزر ساحلية مثل جزيرة جربة وجزر قرقنة (Kerkinitis) وجزيرة "زمبرة" (Pontia) بالقرب من السواحل التونسية، وجزيرة "راشكون" بالساحل الجزائري. كما أشار الى جزر توجد في أعالي البحار مثل جزيرة "مالطا" (Melitè) أو "كوزو" (Gaulos)[56] أو "لامبيدوسا" (Lampedusa) أو "بانتيليريا" (Kosuros) أو "درينوبا" (Drinaupa)[57] . وهذا إن دل على شيئ فإنما يدل على أن "سكيلاكس" أحال على وثائق قديمة مصدرها التوسعات الفينيقية والاغريقية في الحوض المتوسطي، التي يمكن تأريخها على الاقل بالقرن السابع قبل الميلاد[58] .

الى جانب هذه الجزر، سيقدم "سكيلاكس" في المقتطفات المتعلقة بالمغرب القديم وصفا مستفيضا حول جزيرة تدعى "قرنة" (Cernè)[59] . غير أنه، خلافا للجزر الاخرى، يبدو أن المعطيات المحددة للمحيط الايثوغرافي والجغرافي المجاور لهذه الجزيرة، تنصب كلها في الاتجاه الذي يرى أنها لم تكن جزيرة بحرية، بل جزيرة نهرية أو بحيرية. فاستنادا لما ورد في الرحلة نصا، كانت قرنة توجد في المنطقة التي يقطنها **"الايثيوبيون المقدسون"**، الذين كانوا يستوطنون الاراضي المحيطة بواد ليكسوس الوارد على صيغة (Xion)، والذي لم يكن ينقصه سوى المقطع اللفظي الاول ليصبح "ليكسيون" (Lixion) القريب النطق من "ليكسوس" (Lixos)[60] . كما أن هؤلاء الايثيوبيين لا علاقة لهم بسكان "أيثيوبيا" أو بزنوج إفريقيا الغربية السوداء، كما كان يرى العديد من المؤلفين. بل لعلهم يمثلون إحدى المجموعات السكانية ذات البشرة السمراء التي كانت تقطن بالظهير الخلفي للساحل الاطلنطي، استنادا لكون الاشتقاق اللغوي لكلمة (Aethiopes) يعني بالاغريقية "ذوي الوجوه المحروقة"[61] . وفي هذا الصدد، يرى "بيير رويليارد" (P.Rouillard) أن "إيثيوبيي

---

(56) من الملاحظ أن التسمية الاغريقية لجزيرة "كوزو" ليست إلا النطق الاغريقي لكلمة (Golah) الفينيقية، التي تعني السفينة الفينيقية التجارية المكورة. انظر :

Aubet(Ma. E), Tiro y las coloniás fenicias de occidente, op. cit, p. 145.

(57) Desanges(J), Recherches sur l'activité des Méditérranéens aux confins de l'Afrique, op. cit, carte I, II

(58) Desanges(J), Recherches sur l'activité des Méditérranéens aux confins de l'Afrique, op. cit, p. 108-109.

(59) إن الاصل اللغوي للكلمة الاغريقية الواردة في الرحلة المنسوبة الى "سكيلاكس" (Scylax) على شكل "كرني" (κερνε) هو أصل فينيقي، ويعني قرن الحيوان. والقرن بالفينيقية يورد باستمرار بمعنى القمة أو الرأس، كما نستشف ذلك من اسم جبل "بوكرنين" (Bou Kornine) المطل على خليج قرطاج بتونس، حيث كان يعبد "بعل ذو القرنين" الذي ورد في المصادر اللاتينية باسم (Balcaranensis). وإذا كان إسم "قرنة" له ارتباط بما يوجد في الاعلى أو في الطرف كقرن الحيوان، فلا شك أن الاستعمال الوارد في الرحلة المنسوبة الى "سكيلاكس"، له علاقة بالجهات البعيدة أو بالنهاية أو بآخر مناطق العالم المعروف. انظر :

Carcopino(J), Le Maroc antique, op. cit, p. 131 ; Gsell(S), Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord, op. cit, t. I, p. 488, note n° 5.

(60) Blazquez(A), Las costas de Marruecos en la antigüedad, op. cit, p. 491.

(61) Camps(G), **Aethiopes**, Encyclopédie berbère, t. II, Aix-En-Provence, 1985, p. 176.

سكيلاكس" ليسوا إلا سكان ناحية ليكسوس[62]. ويقترح "جيهان بيزانج" أن كلمة (ιεροι)التي تعني "المقدسون"، يجدر تصحيحها بكلمة(εσπεριοι)،التي تعني "الغربيون"[63].

ونظرا لوجود جزيرة "قرنة" بمنطقة قريبة من نهر اللكوس حسب النص نفسه[64]، أو في جهة غير بعيدة عن حوض اللكوس، فهي إذن كانت قريبة من ليكسوس[65]، التي وردت في نفس النص باعتبارها مدينة فينيقية. بل يعتبر "فرانسوا فيلار" (F.Villard) أن "سكيلاكس" إنما حدد في قرنة علاقات تجارية كانت تحدث في الواقع في ليكسوس[66]. وحيث أنه يفهم ضمنيا من النص أن هؤلاء الايثيوبيين لم يكونوا منتشرين مباشرة على ساحل البحر، بل على ضفاف الانهار، فهذا يعني أن جزيرة قرنة كانت موجودة داخل الاراضي حسب "بلاسكيس" (Blazquez)[67]. ولم يكن الفينيقيون يستطيعون ولوج هذه الاراضي إلا عبر سفنهم بعد السير نحو عالية الانهار، واجتياز مصباتها، التي كانت على شكل أذرع بحرية أو بحيرات ساحلية شاسعة، لدرجة جعلت البحارة الفينيقيين لا يميزون بين البحر ومدخل النهر. هذا علاوة على أن وصف الجزر داخل مجال مائي من غير البحر أمر وارد، سواء عند "سكيلاكس" ، الذي تحدث عن الجزر الكثيرة التي كانت تتوسط بحيرة "كيفيسياس" (Kêphésias)[68]، أو عند حنون، الذي كانت الجزر التي زارها إما في "جوف خليج كجزيرة "قرنة"[69]، أي عند مصب نهر واسع على شكل ذراع بحرية، أو داخل البحيرات[70]. كما وردت نفس الاشارة الى الجزر الموجودة عند مصبات الانهار لدى "بلينيوس الشيخ" (Pline l'Ancien)، عند حديثه عن الجزيرة التي كانت تأوي معبد هرقل بجوار ليكسوس[71].

وحسب "موريس بيسنيي" (M. Besnier)، فإن المقصود بالاثيوبيين في الرحلة المنسوبة الى سكيلاكس (Scylax)، ليبيو الساحل الاطلنطي للمغرب، أو المغاربة ذوي البشرة السمراء حسب "جيروم كاركوبينو" (J. Carcopino). انظر :

Besnier(M), Géographie ancienne du Maroc, op. cit, p. 407 ; Carcopino(J), Le Maroc antique, op. cit, p. 20-21.

(62) Rouillard(P), Le commerce grec du Vè et du IVè siècle av. j. c. dans les régions de Lixus et Gadès, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), Collection de l'Ecole française de Rome, n° 166, Palais Farnèse, 1992, p. 213.

(63) Desanges(J), Recherches sur l'activité des Méditérranéens aux confins de l'Afrique, op. cit, p. 115.

(64) إذا تم التقيد حرفيا بالنص، فإن جزيرة قرنة توجد في المنطقة التي يوجد بها نهر ليكسوس الوارد على صيغة "كسيون" (Xion).

(65) Rebuffat(R), Recherches sur le bassin du Sebou II : Le périple d'Hannon, op. cit, p. 269.

(66) Villard(F), Céramique grecque du Maroc, op. cit, p. 22.

(67) Blazquez(A), Las costas de Marruecos en la antigüedad, op. cit, p. 492.

(68) أورد "سكيلاكس" (Périple de Scylax, 112) ما يلي في هذا الصدد :« ***لكل مبحر فيما وراء أعمدة هرقليس نحو الخارج، وعندما تكون ليبيا عن يساره، يجد خليجا كبيرا يمتد الى رأس هيرميس، لأن هناك يوجد أيضا رأس هيرميس. في وسط الخليج نجد بونتيون، وهو مكان ومدينة. بجوار المدينة توجد بحيرة كبيرة، وفي هذه البحيرة توجد عدة جزر***».

(69) رحلة حنون : الفقرة الثامنة.

(70) رحلة حنون : الفقرة التاسعة، الفقرة الرابعة عشرة.

(71) « ***ويحتوي هذا المصب على جزيرة التي وسط منطقة أكثر ارتفاعا بشكل ملموس، تظل وحدها في مأمن عن غمر المد. في الجزيرة ينتصب مذبح لهرقل ..***». انظر :

Pline, Histoire Naturelle, V, 2-4.

ومما يرجح أن جزيرة قرنة كانت تتوسط أحد الانهار، هو أن النص يذكر بوضوح أن « ***بعد جزيرة قرنة يتعذر الابحار بسبب قلة عمق البحر، وبسبب الوحل والطحالب. ويبلغ عرض هذه الطحالب شبرا واحدا، ويعتبر حرفها حادا للغاية لدرجة أنه يستطيع الاختراق*** ». فكيف يعقل أن تتوقف المراكب عن الابحار بسبب قلة عمق البحر، لأنه من الممكن أن تنحرف يمينا أو يسارا وتواصل إبحارها في المياه الكثيرة العمق. فتعذر الابحار هنا مرده النهاية، أي بلوغ الحد الذي لم تعد فيه المراكب تقدر على متابعة سيرها نحو عالية النهر، حيث تصبح مياه هذا النهر قليلة العمق. ثم كيف نتصور وجود الوحل في البحر، ووجود طحالب تعيق الملاحة البحرية. إنها إشارات لا يمكن أن تفهم، إلا إذا اعتبرنا، كما يلاحظ "روني روبيفا" (R.Rebuffat)، أن بعد جزيرة قرنة نجد بيئة المرجات التي تلجها المراكب الصاعدة مع النهر وليس المبحرة في البحر[72]. وهي البيئة التي تتميز بالمياه الوحلة والنباتات البحرية الكثيفة من قصب وسُعْدٍ وغيرهما، والتي تجعل إمكانية الابحار بها أمرا متعذرا أو صعبا[73].

غير أن "جيهان ديزانج"، الذي يستحضر البعد الميثولوجي عند قراءته للنص القديم، يرى أن "قرنة" مثلت نهاية الرحلة في "البحر الخارجي"، أي المحيط الاطلنطي، وأن فكرة العمق القليل والوحل والطحالب العملاقة، إنما تكرر صورة وردت في نصوص قديمة أخرى، يتم من خلالها تبرير متابعة الاستكشافات في البحار البعيدة، بانعدام العنصر المائي[74]. ومع ذلك، فإننا نعتبر أن الاوصاف الواردة في الفقرات الخاصة بتجارة الفينيقيين بجزيرة قرنة، تتوافق في الكثير من الحالات مع الحقائق المتعلقة بالمغرب القديم خلال المرحلة الفينيقية، ومع طبيعة التجارة الفينيقية، ونوعية المواد المتبادلة بين الفينيقيين والشعوب المتوسطية عموما، وبين الفينيقيين والسكان القدامى للمغرب على وجه الخصوص. وهذا يجعلنا نستبعد أن تكون جزيرة قرنة جزيرة شبه–ميثولوجية، كما يرجح ذلك "جيهان ديزانج"[75].

أين كانت توجد إذن هذه الجزيرة، التي عرف سكانها علاقات تجارية مع الفينيقيين ؟

من خلال مسافات الابحار المذكورة في الرحلة للوصول الى جزيرة قرنة انطلاقا من عمودي هرقليس، والتي اعتُمد فيها المعيار الزمني كوحدة قياسية، وانطلاقا من متوسط الابحار المعادل عند "سكيلاكس" لحوالي 92,5 كلم في اليوم[76]، فإن موقع هذه الجزيرة يتحدد في ناحية آسفي[77]. وحيث أن هذه

---

(72) Rebuffat(R), Recherches sur le bassin du Sebou II : Le périple d'Hannon, op. cit, p. 269.

(73) نذكر في هذا الصدد أن "سكيلاكس" نفسه تحدث عن بيئة المرجات المتوفرة على الجزر والطحالب المائية، عند وصفه لبحيرة "كيفيسياس" (Kêphésias) الوارد ذكرها في نفس الرحلة (Periple de Scylax, 112) :

« ***في وسط الخليج نجد بونتيون، وهو مكان ومدينة. بجوار المدينة توجد بحيرة كبيرة، وفي هذه البحيرة توجد عدة جزر. على ضفاف هذه البحيرة ينبت القصب، والسُّعد، والسَّوحر. الطيور التي نسميها ميلياكريديس تعيش هناك، وليس في أي مكان آخر، إلا إذا تم نقلها من هناك. هذه البحيرة تدعى كيفيسياس ...*** ».

كما نشير الى أن حنون أورد كذلك أوصافا عن البيئة البحيرية التي كان يتميز بها المغرب القديم، حيث ذكر في الفقرة الرابعة من رحلته ما يلي :

« ***وبعد أن أقمنا هناك معبدا لبوسيدون، أبحرنا في اتجاه مخالف صوب الشرق خلال نصف يوم، الى أن ولجنا بحيرة غير بعيدة عن البحر مكسوة بقصب كثير وطويل ؛ وكانت توجد هناك أعداد من الفيلة ومن الحيوانات المتوحشة الاخرى ترعى بأعداد كبيرة*** ».

(74) Desanges(J), Recherches sur l'activité des Méditérranéens aux confins de l'Afrique, op. cit, p. 115-116.

(75) Desanges(J), Recherches sur l'activité des Méditérranéens aux confins de l'Afrique, op. cit, p. 116.

(76) Gsell(S), Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord,op. cit, t. I, p. 480, note n° 5.

المنطقة لا تتوفر على أية جزيرة بحرية ولا نهرية، واعتمادا على أن مدة الابحار بالساحل الاطلنطي يمكن أن تراوح 100 كلم في اليوم، فيمكن كذلك تحديد جزيرة "قرنة" في ناحية الصويرة. وهذا ما ذهب إليه "جيهان ديزانج"[78]، معتبرا أن جزيرة قرنة عند "سكيلاكس" هي جزيرة موكادور[79]، استنادا لكونها تمثل المركز الفينيقي الوحيد الموجود في أقصى الجنوب المغربي، الذي كشف عنه الفحص الاركيولوجي[80].

غير أنه إذا اعتمدنا على رأي "روبيفا"[81]، الذي يعتقد أن معيار المسافات الوارد في نص الرحلة برمتها لا ينبغي السند إليه، نظرا لاعتماد "سكيلاكس" في وصفه للساحل الاطلنطي المغربي على مصدرين مختلفين[82]، فإن موقع هذه الجزيرة يمكن أن يتحدد في "جزيرة سيدي يوسف" بسهل الغرب. وبالتالي يمكن اعتبار أن موقع عاصمة السكان المحليين الذين كانوا يتقايضون مع الفينيقيين، كان في تل "تموسيدا" القريب من جزيرة سيدي يوسف[83]، أو في تل "بناصا" (Banasa) الموجود على بعد حوالي خمسين كيلوميترا من "تموسيدا" نحو عالية النهر، والذي كشف عن مواد أثرية تعرف تأثيرا فينيقيا واضحا[84].

وترجيحا لذلك، يرى "روبيفا" أن كل ما ورد عند "سكيلاكس" حول تجارة الفينيقيين في قرنة، يتوافق بشكل جيد مع موقع "جزيرة سيدي يوسف" التي تبعد عن مصب واد سبو بحالي 23 كلم، مذكرا ومصححا أن

---

(77) خرجت بهذه الاستنتاجات بعد إخضاع متوسط الابحار الوارد في رحلة "سكيلاكس" للمعالجة الحاسوبية، اعتمادا على الامكانيات التي يوفرها برنامج "مايكروسوفت" (Microsoft) في تحديد المسافات على الخريطة (Atlas du Monde Encarta). ومن غريب الصدف أن هذا التحديد جاء موافقا لما أورده "مارمول كربخال" في مؤلفه "إفريقيا"، حيث أشار الى وجود مدينة في ناحية أسفي تدعى "سرنو". انظر : مارمول كربخال، إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي، محمد زنيبر، محمد الاخضر، أحمد التوفيق، أحمد بنجلون، الرباط، دار النشر المعرفة، الجزء الثاني، 1989، ص. 99.

(78) Desanges(J), Recherches sur l'activité des Méditerranéens aux confins de l'Afrique, op. cit, p. 118.

(79) يعتبر "جيهان ديزانج" (J. Desanges) أن جزيرة قرنة كانت واحدة من الجزر الارجوانية التي تحدث عنها المؤرخ بلينيوس (Pline, Histoire Naturelle, VI, 201). انظر :

Desanges(J), Recherches sur l'activité des Méditerranéens aux confins de l'Afrique, op. cit, p. 119.

(80) تم العثور بجزيرة موكادور على بعض المواد المذكورة في نص رحلة "سكيلاكس" (Scylax)، كالامفورات الأتيكية المؤرخة بالقرن السابع قبل الميلاد، وبعض عظام الفيل في المستويات البونيقية، علاوة على مواد حديثة العهد، مثل البلسميات الرومانية، ومجموعة لا بأس بها من الادوات العاجية. انظر :

Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 61-64 ; Jodin(A), L'éléphant dans le Maroc antique, **Actes du XCII^{e} congrès national des Sociétés savantes**, section d'archéologie, Strasbourg et Colmar, 1967 (Paris, 1970), p. 56 ; Jodin(A), Les établissements du roi Juba II aux îles purpuraires (Mogador), Tanger, 1967, p. 185 et p. 205.

(81) Rebuffat(R), Recherches sur le bassin du Sebou II : Le périple d'Hannon, op. cit, p. 269, note n° 39.

(82) وقد نتج عن ذلك خلط في المواقع كما رأينا، حيث أورد النص الموقع الواحد باسمين مختلفين. فقد تمت الاشارة الى واد اللكوس باسم ليكسوس وباسم كسيون، ونعت رأس سبارتيل برأس هيرميس وبرأس سولوييس.

(83) لن يصدق هذا التأويل إلا باعتبار أن الفينيقيين قاموا بالابحار نحو عالية النهر، حيث كانت تختفي جزيرة قرنة. وذلك بعد عبور مصب واد سبو، الذي بدا للفينيقيين على شكل ذراع بحرية. فالنص يذكر بالحرف ما يلي : « ***يتوفرون أيضا*** (أي الايثيوبيون) ***على مدينة كبيرة يصل إليها التجار الفينيقيون عبر البحر...*** ».

(84) Girard(S), L'alluvionnement du Sebou et le premier Banasa, **Bulletin archéologique du C.T.H.S**, n° 17, Année 1981, Fasc. B, 1984, p. 152 ; Girard(S), Banasa préromaine, un état de la question, **Antiquités africaines**, t. 20, 1984, p. 92.

مصب النهر اعتبر في النص بمثابة ذراع بحرية (Bras de mer). ومما يرجح هذا الرأي أن الرحالة الفرنسي "روني كايي" (René Caillé)، الذي قام برحلة استكشافية لافريقيا خلال عامي 1827- 1829، أشار قائلا بعد عودته من مكناس عبر نهر سبو : « ***توقفنا بمخيم من العساكر كانوا سيلتحقون بالامبراطور ، وكانوا قد نشروا خيامهم بالقرب من ذراع بحرية، قال لي في شأنها مخبري بأنها تدعى سبو***». كما أنه اعتبر وادي أبي رقراق أيضا بمثابة ذراع بحرية، وذلك بحكم توغل مياه المحيط نحو الداخل بفعل عملية المد البحري [85]. ومن جهة أخرى، فإن الاوصاف المتعلقة بوجود جزيرة "قرنة" في منطقة تكثر فيها الكروم، يتطابق تماما حسب "روني روبيفا" [86] مع ما أوردته العديد من النصوص، التي أشارت الى العنب في رأس "سبارتيل"، وفي ناحية العرائش، وفي منطقة شمال غرب المغرب بصفة عامة [87].

أضف الى ذلك أن المسافة التي حددها النص للوصول الى هذه الجزيرة في سبعة أيام انطلاقا من رأس اسبارتيل، لاينبغي أن تثير اندهاشنا. ذلك أن الساحل المغربي الممتد من هذا الرأس الى حوض سبو، كان يتميز في الماضي بكثرة خلجانه الواسعة وبحيراته الساحلية الكبرى التي تتمد على عشرات الكيلومترات، الامر الذي كان يتطلب أياما بأكملها من الابحار لاستكشاف هذه المساحات المائية الهائلة منذ مداخلها عبر البحر الى الخروج منها. وفي هذه الحالة، يجدر التذكير أن البحّارة كانوا يستعملون المجاديف وليس الاشرعة، مما يزيد من مدة الابحار. لذلك لانستغرب عندما اضطر حنون قطع مسافة نصف يوم من الابحار لعبور مصب واد تهدارت، الذي كان على شكل ذراع بحرية، وولوج البحيرة التي كانت توجد بعد هذا المصب في اتجاه الشرق [88]. وإذا أخذنا بعين الاعتبار الفرضية التي ترى أن المراكز الخمسة الواردة في الفقرة الخامسة من رحلة حنون كانت توجد على ضفاف هذه البحيرة، فإن طواف المراكب القرطاجية بهذه البحيرة قد استغرق مدة يوم إضافي كامل من الابحار، قبل أن تعود الى عرض البحر.

وإذا كانت فرضية تحديد جزيرة "قرنة" في حوض سبو لها ما يبررها، فإنه من الممكن كذلك تحديد موقع هذه الجزيرة بكل بساطة في حوض اللكوس نفسه، انسجاما مع ما ورد في الرحلة نصا من كون "قرنة"

---

(85) Caillé (R), Journal d'un voyage à Tombouctou et à Jenné..., chapitre XXVII, 17 et 18 août 1828 ; ap. Rebuffat(R), Recherches sur le bassin du Sebou II : Le périple d'Hannon, op. cit, p. 261, note n° 15.

وفي هذا الصدد يذكر "لو كوز" في أطروحته حول سهل الغرب بأن تأثير المد البحري يبلغ مداه على طول نهر سبو الى حدود سيدي علال التازي. انظر :

Le Coze(J), Le Rharb, Paris, 1964, p. 192.

(86) وضع "روبيفا" (Rebuffat) في هذا الصدد جدولا جامعا للعديد من المصادر المتحدثة عن "العنب في المغرب". انظر :

Rebuffat(R), Recherches sur le bassin du Sebou II : Le périple d'Hannon, op. cit, Annexe 4.

(87) غير أن "جيهان ديزانج" (J. Desanges) يعتبر أن ما ورد عند "سكيلاكس" في شأن إنتاج إيثيوبيي قرنة للخمر، وتصديره من طرف الفينيقيين أمر يعتريه نوع من العبث، ويحيط الرواية بالشبهات. انظر :

Desanges(J), Recherches sur l'activité des Méditérranéens aux confins de l'Afrique, op. cit, p. 117.

(88) يورد حنون في الفقرتين الرابعة والخامسة من رحلته ما يلي :

4) وبعد أن أقمنا هناك معبدا لبوسيدون، أبحرنا في اتجاه مخالف صوب الشرق خلال نصف يوم، الى أن ولجنا بحيرة غير بعيدة عن البحر مكسوة بقصب كثير وطويل؛ وكانت توجد هناك أعداد من الفيلة ومن الحيوانات المتوحشة الاخرى ترعى بأعداد كبيرة.

5) وبعد أن تجاوزنا هذه البحيرة وأبحرنا لمدة يوم واحد، أسسنا (أحيينا) على البحر مدنا استيطانية تدعى الجدار القاري وكوطي وأكرا ومليطا وأرمبس.

كانت توجد في المنطقة التي وجد بها نهر اللكوس. ومما يمكن الاستناد إليه لترجيح هذا الطرح القابل للنقد طبعا، أن المجرى الاسفل لوادي اللكوس عرف خلال حكم محمد الشيخ الوطاسي جزيرة نهرية استراتيجية استخدمها البرتغال لتشييد قاعدة عسكرية في حربهم ضد المغاربة[89]. وهي الجزيرة التي تعرف في المصادر العربية باسم جزيرة "مليحة" أو باسم "الجزيرة"، وتعرف في المصادر البرتغالية باسم جزيرة "كراسيوسا" (Isla Graciosa)، وكانت توجد حسب نفس المصادر بين "تشمس" والقصر الكبير. وفي حالة الاخذ بهذا الرأي، فإنه من المنطقي أن نعتبر أن التجار الذين نعتهم سكيلاكس "بالفينيقيين" هم تجار ليكسوس، الذين اعتادوا القيام بالمبادلات التجارية مع محيطهم المحلي بالصعود نحو عالية نهر مدينتهم. وفي هذه الحالة يمكن اعتبار أن الزوارق الصغيرة التي كان التجار الفينيقيون ينقلون عبرها بضاعتهم الى اليابسة، لم تكن تمثل قوارب الفينيقيين المحمولة على ظهور مراكبهم، بل لعلها إشارة الى تلك الزوارق المحلية المصنوعة من القصب التي ما زالت تُستعمل الى يومنا هذا لنقل البضاعة بين ضفتي نهر اللكوس، باستعمال حبال خاصة للجر تثبت في اليابسة[90]. ونذكر في هذا الباب، أن الرحّالة الجزائري "ابن حمادوش"[91] الذي زار المغرب في عهد المولى اسماعيل، أورد أن سكان مرجات اللكوس كانوا يتنقلون عبر قوارب مصنوعة حسب قوله من "قصب البردي" باستعمال عود طويل لدفع القارب[92].

وأي ما كان الحال، فإن جزيرة "قرنة" كانت توجد في شمال غرب المغرب وليس في جنوبه، الامر الذي يرجح أن يكون موقعها في منطقة غير بعيدة عن ليكسوس، مما يجعلنا نعتقد أنها كانت معروفة من لدن

---

(89) أورد الحسن الوزان معلومات حول هذه الجزيرة قائلا :

« ***هذه جزيرة واقعة في مصب نهر اللكوس على نحو عشرة أميال من المحيط ومائة ميل من فاس. وكان بهذه الجزيرة مدينة صغيرة قديمة هجرت في بداية الحروب مع البرتغاليين...وفي عام 894 للهجرة أرسل إليها ملك البرتغال أسطولا عظيما دخل في النهر، وأخذ القائد البرتغالي في بناء قلعة في الجزيرة ظنا منه أنه يستطيع الدفاع عنها والاستيلاء على جميع البلاد المجاورة. ثم إن ملك فاس، وهو والد الملك الحالي، توقع الخطر الذي سيتعرض له بسهولة إذا ترك ذلك القائد يتمم البناء، فأرسل قوات كبيرة لمنع البرتغاليين من إتمام عملهم، لكن هذه القوات لم تتمكن من الاقتراب بأكثر من ميلين بسبب الرمي المستمر للمدفعية البرتغالية الكثيفة المرعبة. كادت حركة الملك أن تفشل، لكن بعضهم نصحه بأن يأمر بصنع تحصينات من الخشب في وسط النهر، على مسافة نحو ميلين من سافلة الجزيرة. وقطعت الاشجار المجاورة تحت حماية هذه التحصينات. وبعد قليل من الوقت وجد البرتغاليون أن مدخل النهر قد سد في وجودهم بجذوع أشجار ضخمة، بحيث لم يعد باستطاعتهم الخروج بأسطولهم....*** ». انظر :

الوزان(الحسن)، وصف إفريقيا، المصدر السابق، الجزء الاول، ص. 309-310.

(90) Ponsich(M), Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc : Région de Lixus, op. cit, p. 386, pl. VI.

(91) عاش ابن حمادوش (عبد الرزاق بن محمد، المعروف بابن حمادوش الجزائري) خلال القرن الثاني عشر الهجري الموافق للقرن الثامن عشر الميلادي. فقد ولد في الجزائر سنة 1107 هجرية (1696 م)، وتوفي بعد حوالي تسعين سنة في مكان وتاريخ مجهولين. وقد درس في وطنه وتزوج به وتقلد بعض الوظائف الدينية. ولكنه منذ العشرينيات من عمره أخذ يجوب العالم الاسلامي، حيث حملته قدماه الى المغرب الاقصى والمشرق في عدة مناسبات.

(92) أورد ابن حمادوش ما يلي عند وصفه لبيئة حوض اللكوس : « ***ومن غريب ما رأيت أن في هذا المرج قوارب يصطادون بها السمك والطير والبيض، ويتعدون عليها من ناحية الى الآخر، ويحملون عليها أحمال الزرع وغيره، وهي من حزم البردي : يعقدون حزمة بحبال الدوم الرقاق ويجعلونها وسطا، ويعقدون حزمتين من كل ناحية واحدة عالية يمينا وشمالا، ووسطها منخفض، ويحملون ذلك بالربط من مقدمها، ويشدون ربط الكل ويركب فيها ويمسك في يده عودا طويلا يكتد به ولا يقذف*** ». انظر :

بن حمادوش الجزائري(عبد الرزاق)، رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة : لسان المقال في النبا عن النسب والحسب والحال، تقديم وتحقيق وتعليق أبو القاسم سعد الله، إصدارات المكتبة الوطنية، الجزائر، 1983، ص. 74، رسم 1، ص. 43 من المخطوط.

سكانها الفينيقيين. وهم نفس السكان الذين كانوا على دراية جيدة بالجزر النهرية والبحيرية التي كانت موجودة بالساحل الاطلنطي للمغرب، وبظهيره. فقد دلّوا حنون على العديد من الجزر التي كانت تتوسط مصبات الانهار الاطلنطية بما فيها جزيرة قرنة[93]، والجزر الثلاثة التي كانت تتوسط مرجات نهر سبو[94]، والجزيرة الكبيرة التي كانت توجد في الخليج المدعو "قرن الغرب"[95]، والجزيرة الكبيرة التي كانت توجد في الخليج المدعو "قرن الجنوب"[96].

وإذا صح هذا التأويل، فإن السلع المتبادلة بين التجار الفينيقيين وبين السكان المحليين المجاورين لجزيرة "قرنة"، يمكن اعتمادها للتعرف على مظهر آخر من مظاهر التجارة الفينيقية بالساحل الاطلنطي للمغرب الى جانب تجارة المعادن، والتي كانت ليكسوس على علم بها. والحالة هذه أن النص يوحي بأن مكان المقايضة كان يقام في سوق موسمية معروفة من لدن الطرفين، تدعى "**سوق الاقداح**".

2) تجارة العاج والخمور والجلود :

أ- فيلة المغرب وتجارة العاج :

ركز "سكيلاكس" بشكل ملفت للنظر على مسألة وفرة العاج بين السكان المحليين الذين اتجروا مع الفينيقيين، لمّا أورد أنهم كانوا يشربون في كؤوس من عاج، وأن نساءهم كانت تتزين بحلي من عاج، وأن أسراج جيادهم كانت كذلك تزخرف على ما يبدو بأنواط مصنوعة من العاج. وهذا إن دل على شيئ، فإنما يدل من جهة على حضور الفيلة في منطقة شمال غرب المغرب خلال المرحلة الفينيقية. ومن جهة ثانية، ينم عن وجود أهم منتوج كان يمنحه هذا الحيوان وهو العاج. وبما أن التجار الفينيقيين اشتهروا بصناعة أدوات عاجية تعتبر من أروع ما خلفه منتوجهم الفني[97]، فإنهم كانوا يبحثون عن مصادر المادة الاولية لتطعيم صناعتهم أينما كانت متوفرة. كما كان العاج بشكله الخام يعتبر من أهم المواد المطلوبة في الشرق الاوسط القديم من لدن الامبراطوريات الكبرى، خصوصا مصر الفرعونية ودولة آشور.

وتعكس الرحلة المنسوبة الى "سكيلاكس" هذه الحقيقة التاريخية بشكل واضح، لما أوردت أن التجار الفينيقيين كانوا يصدرون "**أنياب الفيلة**" من المنطقة القريبة من جزيرة قرنة، الى جانب مجموعة من المواد الاخرى. ولاينبغي أن نستغرب من ذلك، لان الفيل كان يعد من بين أهم الحيوانات التي كانت موجودة خلال فترات متعددة من تاريخ المغرب القديم، ومنذ أقدم العصور، بعد الكشف عن عدة نقوش صخرية بالاطلس

---

(93) الفقرة الثامنة من رحلة حنون.

(94) الفقرة التاسعة من رحلة حنون.

(95) الفقرة الرابعة عشرة من رحلة حنون.

(96) الفقرة الثامنة عشرة من رحلة حنون.

(97) حول صناعة العاج الفينيقي وتجارته، انظر بالخصوص :

Barnett(R.D), A catalogue of the Nimrud Ivories in The British Museum, London, 1975 ; Idem, Ancient Ivories in The Middle East Adjacent Countries, Jerusalem, 1982 ; Idem, Phoenician and Ivory trade, **Archaeology 9**, 1956 ; Echt(R), Les ivoires figurés de Kamid el-Loz et l'art phénicien du II^{e} millénaire, **Studia Phoenicia III**, 1985 ; Aubet(M.E), Los marfiles orientalizantes de Praeneste, Barcelona, 1971 ; Gubel(E) et Baslez(Ma.F), **Ivoires**, Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique,op. cit, p. 233 - 237.

الكبير تنتمي الى المرحلة النيوليتية، تمثل حيوان الفيل[98]. ورغم أننا لا نتوفر على أي دليل ينم عن استغلال العاج منذ عصور ما قبل التاريخ، إلا أن "كابرييل كامبس" (G.Camps) يعتقد أن هذه المادة أصبحت من أهم المنتوجات الى جانب بيض النعام، التي وفرتها شمال إفريقيا لاستغلالها تجاريا ابتداء من عصر البرونز[99].

وإذا تأكد أن منطقة "ترشيش" الواردة في التوراة كان يقصد بها منطقة طرطسوس بإسبانيا، فيبدو أن عاج شمال المغرب كان يستغل منذ بداية التوسعات الفينيقية نحو أقصى الغرب. فمن خلال سفر الملوك الاول، نفهم أن السفن الفينيقية كانت تلج على مدينة صور محملة بالذهب والفضة وأيضا بالعاج، بعد عودتها من ترشيش[100]. وفي هذا الصدد نذكر أنه تم العثور على قطع من أنياب الفيل في بحيرة سيدي قاسم القريبة من رأس سبارتيل، و في مغاور رأس أشقار[101]. ومما يدل على أن الفيل كان موجودا في شمال المغرب خلال العصر الفينيقي، أن حنون شاهد خلال رحلته، قطعانا مهمة من هذا الحيوان على ضفاف بحيرة "تهدارت" بين ليكسوس وطنجة، حيث أورد قائلا : « ***ولجنا بحيرة غير بعيدة عن البحر مكسوة بقصب كثير وطويل ؛ وكانت توجد هناك أعداد من الفيلة*** »[102]. بل كان الفيل موجودا في العديد من جهات المغرب، ولم ينقرض على ما يبدو إلا في حدود القرن الرابع بعد الميلاد[103]. وقد أشار الى وجوده عدد كبير من المؤلفين الاغريق والرومان أمثال "هيرودوت"[104] و"أرسطو" (Aristote)[105] و"بوليبيوس" (Polybe)[106] و"استرابون" (Strabon)[107] و"بومبونيوس ميلا" (Pomponius Méla)[108] و"بلينيوس" (Pline)[109]، لدرجة أنه أضحى يمثل شعار شمال إفريقيا، كما يشير الى ذلك "ستيفان كسيل"[110].

ولعل أن اكتشاف "ميكيل طراديل" في ليكسوس نفسها لبقايا من عظام الفيل في المستويات الاركيولوجية الفينيقية[111]، لدليل على أن سكان ليكسوس الفينيقيين كانوا يزاولون تجارة العاج منذ القرن الثامن قبل الميلاد. وقد تم مؤخرا اكتشاف آخر لنفس العظام بفضل الحفائر الجديدة التي عرفتها ليكسوس عام 1999، الامر الذي يثير عدة تساؤلات حول الغرض من حضور الفيل في ليكسوس. ولعل أن مرد ذلك يتعلق باستخراج مادة العاج التي كانت تحتاجها المعامل المستشرقية بالغرب المتوسطي المتخصصة في

---

(98) Simoneau(A), Les gravures d'éléphants du Haut Atlas, **B.A.M**, t. VII, 1967, p. 569-578, pl. I, II, IV, fig. 2.

(99) Camps(G), Aux origines de La Bérbérie - Monuments et rites funéraires protohistoriques, op. cit, p. 447.

(100) سفر الملوك الاول، الاصحاح العاشر : 22.

(101) Ponsich(M), Recherches archéologiques à Tanger et dans sa région, op. cit, p. 74.

(102) الفقرة الرابعة من رحلة حنون.

(103) Gsell(S), Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord,op. cit, t. I, p. 79.

(104) Hérodote, III, 114.

(105) De Caelo, II, 14-15.

(106) Polybe, XII, 3, 5.

(107) Strabon, XVII, 3, 4-7-8.

(108) Pomponius Méla, III, 104.

(109) Pline, Histoire Naturelle, V, 5, et 18.

(110) Gsell(S), Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord,op. cit, t. I, p. 75.

(111) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 265.

صناعة الادوات العاجية[112]. وهذا يوحي بأن ليكسوس كانت تقوم بإعادة توزيع هذه المادة، سواء صوب الاسواق الاسبانية -إذا تأكد أن المنتوجات العاجية المكتشفة هناك صنعت محليا-، أو صوب الاسواق الفينيقية في الشرق، التي كانت تعرف طلبا كبيرا على مادة العاج.

وفي هذا الصدد، نذكر بأن العديد من حوليات الملوك الآشوريين أشارت الى العاج أو "أنياب الفيل" ضمن مواد الجزية التي كانت تؤديها المدن الفينيقية قبل رفع الحصارات المضروبة عليها. من هذه الحوليات نشير الى حولية "آشور ناصربال الثاني" المتحدثة عن حملته على فينيقيا لعام 875 قبل الميلاد[113]، وحولية "أسرحدون" المتحدثة عن تخريبه لمدينة صيدا عام 677 قبل الميلاد وقتل ملكها "عبدي ملكوتي"[114]. كما نشير الى انبهار النبي العبري "حزقيال" من تطور صناعة العاج في فينيقيا، عندما أورد في وُحيِّه ضد صور: « ***صنعوا مقاعدك من عاج مطعم في البقس*** »[115].

ب- كروم شمال غرب المغرب وتجارة الخمور :

لم يكن "سكيلاكس" مبالغا لما أورد أن السكان المحليين الذين تقايضوا مع التجار الفينيقيين كانو « ***يصنعون خمرا كثيرا مستخرجا من كرماتهم*** ». فالعنب كان يعد من المنتوجات المحلية الحاضرة في شمال إفريقيا حسب "استيفان كسيل" (S.Gsell)[116]. كما أن العديد من إشارات المؤلفين القدامى كانت تشيد بوفرة الداليات بالمغرب القديم[117]. فقد أورد "استرابون" قائلا فيما يتعلق بأعناب "موروزيا" (Maurusia) : « ***عن هذا البلد يُحكى أيضا ما يلي : تنبت فيه نوع من الدالية الكبيرة لدرجة لا يستطيع رجلان اثنان معانقة جذعها إلا بصعوبة، وهي تعطي عناقيد يبلغ طولها حوالي ذراعا واحدا*** »[118]. كما أورد "بوزانياس" (Pausanias) أن "النازامونيين" (Les Nasamons) « ***كانوا يعيشون من أعناب الداليات البرية*** »[119]. وتوجد إشارة "لديودور الصقلي" (Diodore de Sicile) مفادها أن أقصى غرب ليبيا « ***التي كانت تربتها خصبة، كانت تنتج العنب بوفرة*** »[120]. ولعل أن الشهرة التي حظي بها المغرب القديم في إنتاج الكروم،

---

(112) Grau Almero(I.E). Pérez Jordá(G), Iborra Eres(Mª.P), Rodrigo García(Mª.J), Rodriguez Santana(C.G), Carrasco Porras(V.Mª.S), Gestión de Recursos y economía, op. cit, p. 201, p. 229.

(113) أورد "آشور ناصربال الثاني"، ما يلي :

« ***...إن جزية ملوك ساحل البحر، وهم ملوك صور وصيدا وجبيل، ....، وعموزو وأرواد التي توجد وسط البحر، تتألف من الفضة والذهب والقصدير .....ومن العاج...*** ». انظر :

A.R.A.B, I, 179 ; ap. Moscati(S), L'épopée des Phéniciens, op. cit, p. 37, note 24.

(114) أورد "أسرحدون" ما يلي في هذا الصدد : « ***...أخذت زوجته وأبناءه وبناته....، كما أخذت الذهب والفضة ....، وجلود الفيلة وأنياب الفيل...*** ». انظر :

A.R.A.B, II, 511-912 ; I.A.K.A, 275 ; ap. Moscati(S), L'épopée des Phéniciens, op. cit, p. 43, note n° 52.

(115) سفر "حزقيال"، الاصحاح السابع والعشرون، آية 6.

(116) Gsell(S), Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord,op. cit, t. I, p. 238.

(117) انظر ملحق النصوص الذي أعده "روني روبيفا" (R. Rebuffat) حول الكروم بالمغرب :

Rebuffat(R), Recherches sur le bassin du Sebou II : Le périple d'Hannon, op. cit, Annexe 4, p. 277 - 278.

(118) Strabon, XVII, 3, 4.

(119) Pausanias, I, 33, 5-5.

(120) Diodore de Sicile, III, 68, 2 ; Rebuffat(R), Recherches sur le bassin du Sebou II : Le périple d'Hannon, op. cit, p. 278.

تعكسها الاسطورة الاغريقية التي ترى أن "ديونيسوس" (Dionysos)، إله الخمر، ولد في الجهة الغربية من ليبيا حسب "جيهان ديزانج" (J.Desanges)[121].

ويبدو أن أهم منطقة كانت تنتج العنب بكثرة في المغرب القديم مثلتها الواجهة الاطلنطية الممتدة من رأس اسبارتيل الى حوض أبي رقراق، حيث كانت عملات العديد من المراكز الحضرية تحمل شعار عناقيد العنب[122]، نذكر منها ليكسوس[123] وسلا[124]. كما أن الاشتقاقات اللغوية للعديد من أسماء الاماكن الموجودة في هذه المنطقة توحي بأنها كانت تعرف إنتاج الكروم. فرأس "أمبيلوسيا" (Ampelusia) الذي كان يُعرف به رأس اسبارتيل في القديم، ليس إلا ترجمة إغريقية للاسم المحلي الذي يعني رأس الاعناب[125]. كما أن "خليج الوكالات التجارية" الوارد لدى "بليـــنيوس"(Pline)[126] تحت اسم (SinusSaguti) أو (SinusSagigi) يتضمن ما معناه "خليج الكروم" حسب "موليير" (C.Müller)[127]. ويرى "روني روبيفا" (R.Rebuffat)، استنادا الى "بوشارت" (Bochart)[128]، أن اسم محطة "أرمبيس" (Arambys) التي أسسها حنون بعد اجتيازه لرأس اسبارتيل، يعد تحريفا لكلمة "عنبيس" الفينيقية التي تعني عنب الإله "بس"[129]. وفي منطقة ليكسوس، يجدر التذكير بأن معنى اسم العرائش له علاقة بما "عرّش للكَرْم"[130].

من خلال هذه المعطيات المصدرية، يتبين أن منطقة شمال غرب المغرب كانت غنية بكرماتها، الامر الذي يجعلنا نرجح أن سكان المنطقة كانوا يصنعون الخمر من هذه الكرمات منذ أقدم العصور[131]. وإذا كانت إشارة "سكيلاكس" تتحدث عن تصدير الفينيقيين لهذا الخمر، فإن هذه المعلومة تنسجم مع طبيعة التجارة الفينيقية، التي كانت تقوم على نقل المواد التي تعرف فيضا في الانتاج، الى المناطق التي تعرف خصاصا في

---

(121) Desanges(J), Recherches sur l'activité des Méditérranéens aux confins de l'Afrique, op. cit, p. 117, note n° 224.

(122) Mazard(J), Corpus nummorum Numidiae Mauretaniaeque, op. cit, p. 215.

(123) Idem, Ibid, p. 189-192.

(124) Idem, Ibid, p. 194-195.

(125) Besnier(M), Géographie ancienne du Maroc, op. cit, p. 351.
وفي هذا الصدد، نذكر بما أشار إليه "شارل تيسوت" (Ch. Tissot) حول عثوره على قطع ضخمة من الداليات المستحثة في أسس منارة رأس اسبارتيل. انظر :
Tissot(Ch), Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie tingitane, op. cit, p. 187.

(126) Pline, Histoire Naturelle, V, 9.

(127) Müller(C), Edition de Ptolémée, I, 2è partie, Coll. Didot, Paris, 1901, p. 575 ; ap. Besnier(M), Géographie ancienne du Maroc, op. cit, p. 277, note n° 8.

(128) Bochart, Geographia Sacra, 1651, p. 712 ; ap. Rebuffat(R), Recherches sur le bassin du Sebou II : Le périple d'Hannon, op. cit, p. 277.

(129) يبدو أن التركيبة اللغوية لهذه الصيغة تركيبة فينيقية، إذ من الملاحظ أنها لا تختلف عن تركيبة الاسم الذي أطلق على ميناء "روتوبيس" (Rutubis)، الذي يتألف من كلمة "رأس" ومن كلمة "بس" (Bès)، الاله المصري الذي عرف انتشارا كبيرا بين الفينيقيين. انظر :
Hermary(A), **Bès**, Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique, Brepols, 1992, p. 69.

(130) Rebuffat(R), Les nomades de Lixus, op. cit, p. 84.

(131) Rouillard(P), Le commerce grec du Vè et du IVè siècle av. j. c. dans les régions de Lixus et Gadès, op. cit, p. 213.

تلك المواد. كما أن وجود الخمر في جل الاقطار المتوسطية جعل الفينيقيين يحملون دنانه من إقليم الى آخر مستغلين أنواعه واختلاف طعمه لتنشيط المتاجرة فيه[132]. غير أن "التجار الفينيقيين" الذين تحدث عنهم "سكيلاكس" لم يكونوا ليتحملوا عناء الابحار من مدينة صور أو من الشرق الفينيقي خصيصا لتصدير خمر الاهالي المجاورين لجزيرة قرنة، لان منطقة الشرق الاوسط كانت تنتج ما يكفيها من النبيذ[133]. الامر الذي يرجح مرة أخرى فرضية أن يكون مقدم هؤلاء التجار من إحدى المستوطنات الفينيقية القريبة من قرنة، مما يجعل مسألة اقترانهم بسكان ليكسوس أمر وارد ومحتمل. وإذا هم قد صدروا هذا الخمر، فقد فعلوا ذلك إما لنقله الى بعض المناطق القريبة التي تعرف طلبا على هذا المنتوج، أو الى بعض الجهات المجاورة للمغرب مثل إسبانيا، التي كانت فضتها تقايض بالخمور الى جانب الزيوت[134]. هذا إذا لم يكن هذا الخمر يخصص للاستهلاك المحلي لمدينة ليكسوس نفسها، على علة أنها كانت تعرف إنتاجا مهما للكروم، كما يتجلى ذلك من خلال مسكوكاتها المصورة لعناقيد العنب[135]. مع أن الحفائر الجديدة التي قامت بها البعثة الاركيولوجية المغربية–الاسبانية في ليكسوس خلال عام 1999، لم تكشف عن بقايا العنب في عينة الاختبار المنتمية للمستويات الفينيقية التي خضعت للدراسة الكاربولوجية، في الوقت الذي كشفت فيه نفس الدراسة عن بقايا الشعير والقمح والجلبان واللوبياء والزيتون[136].

ت ـــ تجارة الجلود والفراء :

« ***وبعد قتلِهِنَّ قمنا بسلْخِهِنَّ وحملنا جلودَهُنَّ الى قرطاجة*** ».

هكذا تحدث حنون في الفقرة الثامنة عشرة من رحلته، عندما قام رجاله بمطاردة نساء "الغوريلات" اللواتي كن يقطن بإحدى الجزر الموجودة في الخليج المعروف باسم "قرن الجنوب". وعند مقارنة هذه المعلومة بما أورده "سكيلاكس" حول تصدير الفينيقيين لجلود الحيوانات من المنطقة القريبة من جزيرة قرنة، فإن ذلك يرجح أن تكون الجلود والفراء من بين المنتوجات التي كان يتجر فيها الفينيقيون[137]. ومما يرجح ذلك، أن الحوليات الآشورية أشارت الى وجود جلود الحيوانات ضمن المواد المكتنزة في القصور الفينيقية، عندما عثر "أسرحدون" على "جلود الفيلة" في قصر ملك صيدا "عبدي ملكوتي" بعد قتله وتخريب مدينته[138]. وإذا كان

---

(132) غلاب(محمد السيد)، الساحل الفينيقي وظهيره في الجغرافيا والتاريخ، المرجع السابق، ص. 435.

(133) من خلال سفر حزقيال (الاصحاح السابع والعشرون : 18)، يتبين أن خمر سوريا كان يعتبر من أرقى الخمور التي كانت تستوردها مدينة صور. يقول حزقيال في هذا الباب : « ***دمشق تاجرتك بكثرة صنائعك وكثرة كل غنى بخمر حلبون والصوف الابيض*** ».

(134) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 253 ; Blàzquez(J.M), Tartessos y los orígines de la colonización fenicia en occidente, op. cit, p. 44.

(135) Tarradell-Font(N), Las Monedas, **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4**, 2001, p. 247.

(136) Grau Almero(I.E), Pérez Jordá(G), Iborra Eres(Mª.P), Rodrigo García(Mª.J), Rodriguez Santana(C.G), Carrasco Porras(V.Mª.S), Gestión de Recursos y economía, op. cit, p. 198.

(137) إننا نندهش لاول وهلة عند تأملنا في نص الرحلة المنسوبة الى "سكيلاكس" (Scylax)، لمّا نلاحظ أن أهم مادة كان الفينيقيون يصدرونها من المنطقة المجاورة لجزيرة قرنة، تمثلها الجلود. غير أن ذلك ليس غريبا على طبيعة التجارة الفينيقية، التي كانت تقوم على نقل المواد التي تعرف فائضا في الانتاج لتوزيعها على المناطق التي تعرف طلبا عليها.

(138) أورد "أسرحدون" في حوليته التي تروي حدث تخريب صيدا لعام 671 قبل الميلاد ما يلي :

المغرب قد عرف شهرة على مر عصوره في تنوع بيئته الحيوانية، الى جانب شهرته في دباغة الجلود، وعلما بأن مكان المقايضة الذي أورده "سكيلاكس" لم يكن بعيدا عن ليكسوس، فمن المحتمل أن يكون تجار ليكسوس قد زاولوا تجارة الجلود الى جانب اتجارهم بالمنتوجات التي سلف ذكرها.

ومما يدفعنا الى ترجيح هذا الاحتمال، أن جل الحيوانات التي كانت مصدر الجلود الواردة في الرحلة المنسوبة الى "سكيلاكس" قد عرفها المغرب القديم قبل العصر الفينيقي وبعده [139]. يقول الرحالة الاغريقي في هذا الصدد : « ... ***(الفينيقيون) يبيعون (سلعهم) مقابل جلود الغزلان، والاسود، والفهود، وجلود الفيلة وأنيابها، و(جلود) الحيوانات الاليفة. الاثيوبيون يستعملون جلودا مرقطة (؟) يتزينون بها...*** » [140]. فإلى جانب الفيلة، التي أكدنا على وجودها بالمغرب خلال عهود مختلفة من تاريخه، فإن الاسود والفهود والغزلان كانت موجودة الى عهود متأخرة من العصر الروماني. بل منها من كان موجودا الى عهد حديث كأسد الاطلس، ومنها من يزال يعيش الى يومنا هذا في الغابات المغربية مثل الغزلان وبعض أنواع الفهود. كما أشار حنون الى مشاهدته لعدد كبير من الحيوانات المتوحشة، التي كانت ترعى الى جانب الفيلة بالقرب من بحيرات المغرب بعد اجتيازه لرأس اسبارتيل [141].

هذه المعطيات، تجعلنا نعتقد أن السكان القدامى للمغرب، الذين كانوا « ***يرتدون جلود الحيوانات*** » في عصر حنون [142]، والذين كانوا « ***يستعملون جلودا مرقطة يتزينون بها*** » في عهد "سكيلاكس"، كانوا على علم بصناعة الدباغة على الاقل منذ العصر الفينيقي. كما يبدو أنهم طوروا هذه الصناعة، سواء على شكل جلود مدبوغة أو على شكل فروات ناعمة، لترويجها تجاريا مع الفينيقيين حسب "سكيلاكس"، الذي يذكر بالحرف أنهم كانوا يصدرون منهم جلود الحيوانات. فلا يعقل أن يصدر الفينيقيون جلودا على حالتها الطبيعية، لانها ستكون معرضة للنتن ؛ بل من المنطقي الاعتقاد بأن الاهالي كانوا يقومون باستصلاح جلودهم بكل ما تحتاجه عملية الدباغة من غسل وتمليح وعرض في الشمس، وربما حتى الصّبغ. وفي حالة ترجيح أن يكون تجار ليكسوس قد عملوا على نقل هذه المنتوجات، فإنهم سيكونون قد زاولوا ذلك لاعادة توزيع الجلود الثمينة على الاسواق الشرقية بعد قدوم مراكب صور، وتخصيص الجلود الرخيصة للاستهلاك المحلي.

ومن خلال تعداد "سكيلاكس" لانواع الجلود التي تم تصديرها، نلاحظ أنها تنقسم الى نوعين : جلود الحيوانات المفترسة وجلود الحيوانات الاليفة.

« ***فككت صيدا عن آخرها، ....وبعون من آشور سيدي، اصطدت في البحر، مثل ما نصطاد سمكة، عبدي ملكوتي ملكها، الذي كان قد تراجع أمام أسلحتي هاربا صوب وسط البحر، فبترت له رأسه.. ثم أخذت زوجته، وأولاده وبناته، وجواريه، والذهب والفضة والمتاع والاسلحة والاحجار الكريمة والقماش المصنوعة من الصوف والكتان، وجلود الفيلة وأنياب الفيل...*** ». انظر :

A.R.A.B, II, 511-912 ; I.A.K.A, 275 ; ap. Moscati(S), L'épopée des Phéniciens, op. cit, p. 43, note n° 52.

(139) قد نندهش عندما نلاحظ أن الجلود التي أوردها "سكيلاكس" (Scylax) تنتمي على الاقل الى خمسة أنواع حيوانية.

(140) Periple de Scylax, 112.

(141) الفقرة الرابعة من رحلة حنون.

(142) أورد حنون في الفقرة التاسعة من رحلته ما يلي : « ***انطلاقا من هذه الجزر، وبعد يوم كامل من الابحار، وصلنا الى مؤخرة البحيرة التي تحيط بها سلسلة من الجبال الشاهقة المملوءة بالاقوام المتوحشة، المرتدين لجلود الحيوانات، الذين قاموا بمهاجمتنا رميا بالحجارة، مما حال دون رسونا*** ».

وأما جلود الحيوانات المفترسة، فيجدر التذكير أنها كانت تستعمل من لدن السكان القدامى للمغرب كألبسة حرب، حيث يشير "استرابون" (Strabon) أن مشاة "الموروزيين" كانوا « ***يتحفون بجلود الاسود والفهود والدببة وينامون عليها*** »، وأنهم كانوا يصنعون دروعهم من جلود الفيلة[143]. وقد أثبتت العديد من نقود موريطانيا هذه الحقيقة، عند تصويرها لهذه الالبسة[144]. من هنا يبدو أن جلود الاسود والفهود التي أوردها "سكيلاكس" ، إنما يُقصد بها الفراء الناعم لهذه الحيوانات، التي لقيت رواجا في الشرق الاوسط القديم، حيث كانت تستعمل كمادة بذخ في قصور الملوك، وكان يتزين بها الاثرياء.

وأما المقصود بجلود الحيوانات الإليفة، فلا ريب أنها إشارة الى جلود البقر والغنم والماعز التي تصلح لصناعة بعض الالبسة وصناعة الأحذية[145]. وفي هذه الحالة، من المحتمل أن يكون هذا النوع من الجلود مخصصا للاستهلاك المحلي لسكان ليكسوس، إذا تم اعتبار أن التجار الفينيقيين المشار إليهم في الرحلة المنسوبة الى "سكيلاكس" إنما هم تجار ليكسوس.

وهكذا نلاحظ أن المعطيات المصدرية التي تم اعتمادها، توحي بأن ليكسوس، التي حظيت بمجال محلي مهم للاستغلال الاقتصادي، كانت تتوفر أيضا على مجال إقليمي لتنشيط التجارة الفينيقية بالساحل الاطلنطي للمغرب. كما تمكننا نفس المعطيات من كشف النقاب عن بعض المظاهر المحتملة لمجالات الاستغلال التجاري، التي كانت على ما يبدو مهمة ومتنوعة، والتي ساهمت فيها ليكسوس بشكل أو بآخر، سواء في مسألة تجارة المعادن أو تجارة العاج والخمور والجلود. الامر الذي يقدم تبريرا إضافيا لتشييد ليكسوس في أحسن موقع يوفره الساحل الاطلنطي، وفقا للمتطلبات الملاحية والطوبوغرافية والاقتصادية للتوسع الفينيقي. كما أن الخطة التي رسمتها الآلة التجارية الفينيقية عند اكتشاف الامكانيات التي كان يوفرها المجال الاطلنطي للمغرب، دفع الفينيقيين منذ وقت مبكر الى تأسيس مستوطنة مهمة للاستقرار ولتنظيم التجارة الفينيقية بهذا الساحل. فمتى حدث هذا التأسيس ؟ وما هي العناصر الفاعلة فيه ؟

---

(143) Strabon, XVII, 3, 2.

(144) Besnier(M), La géographie économique du Maroc dans l'Antiquité, op. cit, p. 279, note n° 10.

(145) ونذكر في هذا الصدد، أن المؤرخ الاغريقي "بوليبيوس" (Polybe) أورد أن "ليبيا" تعرف وفرة لانظير لها في الجياد والثيران والخراف وحتى الماعز. انظر :

Polybe, XII, 3, 3-4.

الفصل الخامس عشر
مسألة التأسيس

من القضايا الأساسية التي تخبط فيها المهتمون بالدراسات الفينيقية لمدة طويلة، وما زالوا يتخبطـون، نذكر المسألة العويصة المتعلقة بمعرفة متى قام الفينيقيون بتوسعهم البحري[1]. فحسب المـؤلفين الاغريـق والرومان[2]، كانت مرحلة التوسع الفينيقي في الحوض المتوسطي سابقة للاستعمار الاغريقي، وأنها بدأت عند نهاية القرن الثاني عشر قبل الميلاد بتأسيس أولى المحطات الفينيقية. فمن خلال المؤرخ الروماني "فـايوس باتيركولوس" (VelleiusPaterculus)[3]، الذي عاش في القرن الاول الميلادي، فإن قادس قد تأسست في حدود سنة 1110 قبل الميلاد[4] أو في حدود 1104–1103 قبل الميلاد[5]. كما يمكن تحديد تـاريخ تـشييد "أوتيكا" في عام 1101 قبل الميلاد، حسب "بلينيوس الشيخ" (Pline)[6]، وأن تشييد ليكسوس حدث في وقـت سابق لتشييد قادس[7]. ومن خلال إشارة للمؤرخ "ديودور الصقلي" (Diodore de Sicile)، الذي عاش مـا بين 90 و20 قبل الميلاد، نفهم أن إفريقيا الشمالية كانت تتوفر على منشآت فينيقية سابقة لتشييد قادس[8]. كما يبين المؤرخ "تيوقيديديس" (Thucydides)[9]، الذي عاش في القرن الخامس قبـل المـيلاد، أن الفينيقيـين استقروا في جزيرة صقلية قبل قدوم الاغريق. إضافة الى ذلك، يؤكد "استرابون"، الذي عاش في القرن الاول الميلادي، أن الصوريين كانوا يملكون قبل عهد "هوميروس" (Homère)، أي قبل القرن التاسع قبل الميلاد، أحسن جهات "إيبيريا وليبيا"[10].

انطلاقا من هذه النصوص، كانت أولى الدراسات حول الحضارة الفينيقية التي ظهرت فـي القـرن التاسع عشر[11]، توافق ما جاء به المؤلفون القدامى. فقد اعتبرت هذه الدراسات أن التوسع الفينيقي بدأ فعلا في القرن الثاني عشر قبل الميلاد، وأن الفينيقيين كانوا يتوفرون خلال عصر حيرام الأول علـى مـستعمرات مزدهرة في شمال إفريقيا وفي إسبانيا، وبأنهم كانوا انطلاقا من قادس يبحرون في المحيط الأطلنطـي مـن بريطانيا الى النيجر. غير أنه مع مطلع القرن العشرين، بزغت موجة معاكسة للاتجاه السابق تزعمها العـالم

---

(1) Moscati(S), L'épopée des Phéniciens, op. cit, p. 137.

(2) Mazza(F), Ribichini(S), Xella(P), Fonti classiche per la civiltà fenicia e punica, t. 1, Fonti letterarie greche dalle origine alla fine dell'età classica, Publicacione del Instituto per la civiltà fenicia e punica, Roma, 1988 ; Bunnens(G), L'expansion phénicienne en Méditerranée (Essai d'interprétation fondé sur une analyse des traditions littéraires), op. cit ; Wagner(C.G), Los comienzos de la expansion fenicia en el Mediterraneo (document non daté téléchargé via Internet).

(3) Hist. Rom. 1: 2, 1-3.

(4) Moscati(S), L'épopée des Phéniciens, op. cit, p. 137.

(5) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 230.

(6) Pline, Histoire Naturelle, XVI, 216.

(7) Idem, Ibid, XIX, 63.

(8) Diodore de Sicile, V, 20.

(9) Thucydides, La Guerre du Péloponnèse, VI, 2, 6.

(10) Strabon, III, 2, 14.

(11) Movers(K), Die Phönizier, 3 tomes, Berlin, 1849-1856.

الالماني "بلوش" (Beloch)[12]، وبدأت تنقد نقدا جذريا جميع معطيات النصوص القديمة. فأصبح جل مؤلفي النصف الاول من القرن العشرين، وخصوصا علماء الآثار المتأثرين بهذا الاتجاه، يعتبرون أن التوسع الفينيقي في الحوض المتوسطي لم يكن له أي وجود قبل القرن الثامن قبل الميلاد ؛ بل اعتبروه لاحقا للاستعمار الاغريقي[13]. وكان هذا الطرح الجديد يعتمد في نظريته على انعدام آثار أركيولوجية تعود الى ما قبل القرن الثامن قبل الميلاد في كل النقط التي استقر بها الفينيقيون[14].

غير أن التطورات التي حدثت في علم الآثار الفينيقي بعد الستينيات من القرن العشرين، خصوصا في إيطاليا وإسبانيا وقبرص وتونس، جاءت لتعطي الحق من جديد الى التيار المدافع عن قدم التوسع الفينيقي، وبالتالي عملت على إبراز أن النصوص القديمة كانت لحد ما صادقة في إشاراتها[15].

وهكذا يلاحظ أن الفرضيات التي تم ترجيحها حول أصول وتأريخ المنشآت الفينيقية الأولى بالغرب المتوسطي لاحصر لها. كما أن الاختلافات الكبيرة الموجودة بين المعثورات الأركيولوجية وبين التواريخ القديمة التي أوردتها المصادر في شأن المستوطنات الفينيقية الغربية مثل قادس وليكسوس وأوتيكا، ساهمت لمدة طويلة في البحث عن حلول توفيقية بين معطيين لايتطابقان تقريبا. وقد تأرجحت هذه الآراء بين من يدافع عن وجود مرحلة من الارتيادات المبكرة بالغرب على شكل تجارة "صامتة" منعدمة الآثار تمتد من القرن 12 الى القرن 8 ق.م، وبين من يؤكد على تأريخ بعض المواد الأثرية بكرونولوجية عليا للبرهنة على وجود فينيقي بالغرب منذ بداية الألف الأولى، وبين من يرى أن الدينامية الداخلية للتاريخ الفينيقي لم تكن تسمح بحدوث ظاهرة التوسع قبل نهاية القرن 9 ق.م.

---

[12] Beloch(K.J), Griechische Geschichte, Strasbourg, 1913.

[13] ابتداء من مكتشفات "شليمان" (Schleimann) و"إيفانس" (Evans) في جزيرة كريت وموكيناي، وبفضل العثور على بقايا إغريقية في جميع أنحاء الحوض المتوسطي، بدأت الأوراق تتقلب، وبرز تيار معاكس لما هو فينيقي يعترض بشكل جذري للتواريخ العليا المتعلقة بتأسيس قادس وليكسوس وأوتيكا. وكان هذا التيار الفكري يندرج ضمن الحركة الأوروبية المعادية للنظرية التقليدية التي ترى في الشرق مهد الحضارة الأوروبية، معتبرة أنه ليس بالضرورة أن يكون كل شيئ بالمتوسط فينيقي الأصل. وهكذا استطاع بعض المؤرخين من أمثال "ريناخ" (Reinach) و"بيلوش" (Beloch) من "طرد الفينيقيين" بشكل نهائي من بحر إيجة ومن المتوسط، ناعتين التوسع الفينيقي بالأسطوري. بمعنى أن هذا الرأي كان ينكر تاريخية المصادر الكلاسيكية، ويلمح بأن مؤلفين مثل هيرودوت وتوقديديس كانوا "ضحايا الاغترار عند اعتقادهم بأن هوميروس كان مؤرخا". غير أن هذا الإتجاه المدافع عن مكانة الإغريق في الإستيطان بالمتوسط لم يكن ينتمي الى الإيديولوجيات المعادية للسامية أو الى التيارات الكلونيالية الأوروبية المعاصرة، التي كان من مؤسسيها "ليونارد وولي" (Leonard Woolley). ورغم حدوث اكتشافات بيبلوس وأوكاريت مابين 1920 و1930، ومواصلة تنقيبات مدافن قرطاجة وقادس، فإن المسألة الفينيقية لم تأخذ نفسا جديدا إلا مع حلول عام 1941 ابتداء من أعمال "ألبرايت" (Albright). حينذاك كان "كارسيا بييدو" (Garcia y Bellido) في إسبانيا يشرع في تحليل نقدي للنصوص الكلاسيكية، مستندا لأول مرة على الفحص الأركيولوجي.

حول أهم الدراسات التي تعرضت للتوسع الفينيقي قبل الستينيات من القرن العشرين، انظر :

Berard(V), Les Phéniciens et l'Odyssée, 2 vol, Paris, 1902-1903 ; Bosch-Gimpera(P), Fragen der Chronologie der Phonizischen Kolonisationin in Spanien, **Klio XXII**, 1928-29, pp. 345-388 ; Bosch - Gimpera(P), Phéniciens et Grecs dans l'Extrême Occident, **La Nouvelle Clio III**, 1951, pp. 269-296 ; Carpenter(R), Phoenicians in the West, **American Journal of Archaeology, 62**, 1958, pp. 35-53 ; Culican(W), Aspects of the Phoenician Settlement in the West Mediterranean, **Abr-Nahrain I**, 1959 - 1960 ; Garcia y Bellido(A), Fenicios y Carthagineses en occidente, Madrid, 1942 ; Garcia y Bellido(A), Una colonizacion mitica de España tras la guerra de Troya. El ciclo legendario de los "nostoi", **Cuadernos de Historia de España**, pp, 106-123, Buenos Aires, 1947 ; Garcia y Bellido(A), Los mas remotos nombres de España, **Arbor, 19**, pp. 5-27, Madrid, 1947 ; Harden(D), The Phoenicians on the West Coast of Africa, **Antiquity, XXII**, 1948 ; Herrmann(J.O), Die Erdkarte der Urhibel, Braunschweig, 1931 ; Reinach(S), Le mirage oriental, Paris, 1893.

[14] Moscati(S), L'épopée des Phéniciens, op. cit, p. 138.

[15] Idem, Ibid, p. 138.

ودون أن يتم الحسم في هذا الجدال، ينبغي أن نشير مع ذلك الى هشاشة العديد من الحجج التي يعتمد عليها حاليا المدافعون عن المرحلة ماقبل الإبستيطانية. كما يجدر بنا أيضا تحديد السياق الإيديولوجي والإجتماعي–السياسي الذي وردت فيه بعض التحاليل التاريخية المرتبطة بمسألة التأسيس، سواء لدى القدامى أو المحدثين. والحاصل، أن جميع المعايير المعتمدة للتأكيد على المصداقية التاريخية لما ورد مثلا عند "فايوس باتيركولوس" حول تأسيس قادس بعد حرب طروادة[16]، أو عند "استرابون" حول امتلاك الصوريين قبل عهد "هوميروس" لاحسن جهات إيبيريا وليبيا[17]، لا تستند الى صيت كبير لدى المختصين. ومع ذلك فإن أي اكتشاف أركيولوجي منعزل، يمكن أن يعمل على إحياء الجدال الذي بزغ منذ أواسط القرن التاسع عشر، وعلى الإستمرار في إحيائه في المستقبل، مما يدل على أن عمق الإشكال مرتبط بمسألة منهجية ناتجة عن قراءة ذاتية نوعا ما للمعطيات التاريخية والأركيولوجية. ذلك أن هذه المسألة تختلف بين من يعتبر أن المستوطنات الفينيقية الغربية كانت بمثابة الحصيلة النهائية لعملية طويلة المدى من الإتصالات و المقايضة الشبيهة بما أورده هيرودوت في شأن التجارة الصامتة[18]، وبين من يرى أن التوسع الفينيقي كظاهرة اجتماعية–اقتصادية، نتج عن متطلبات اقتصادية دقيقة ومحددة في مجال زمني معين. فكيف يمكن ربط مسألة تأسيس ليكسوس ضمن هذا الاختلاف ؟

I ـ تشييد ليكسوس في سياق مسببات الارتباط الفينيقي بالغرب ومساره :

لمعرفة متى قام الفينيقيون بتشييد ليكسوس، ينبغي تحديد العوامل التي أدت الى حدوث ظاهرة التوسع الفينيقي نحو الغرب المتوسطي، بالبحث عن مسبباتها في نطاق الشرق القديم. كما يتعين ضبط المرحلة التي عرفت الانطلاقة الاولى لعملية التوسع، مع تحليل العوامل السياسية والاقتصادية والاستراتيجية التي تحكمت في ذلك. ولايمكن الالمام بهذه الظاهرة إلا بدراسة موضوعية للمسار الذي اتخذه تاريخ فينيقا ابتداء من عصر الحديد، وبالخصوص تاريخ صور، باعتبارها المدينة المنشطة لهذا التوسع، والمدينة المسؤولة فرضيا عن تأسيس ليكسوس.

1) المرحلة "الغامضة" للقرنين الثاني عشر والحادي عشر :

في حدود سنة 1200 قبل الميلاد، سيعرف تاريخ الساحل الفينيقي مرحلة من التدهور مقارنة بعصر الازدهار السالف الذي لعبت خلاله بعض المدن دورا أساسيا في تنشيط التجارة البحرية[19]، نذكر منها على الخصوص مدينتي أوكاريت[20] وجبيل[21]. وكانت النكبة الاولى لهذا التدهور تتمثل في تخريب أوكاريت

---

(16) Hist. Rom. 1: 2, 1-3.

(17) Strabon, III, 2, 14.

(18) Herodote, 4 : 96.

(19) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 20.

(20) من بين المراجع التي يمكن الاحالة عليها في موضوع تاريخ "أوكاريت" خلال عصر البرونز، انظر :
Liverani(M), Storia di Ugarit nell'eta degli archivi politici, Roma, 1962 ; Saade(G), Ougarit. Métropole cananéenne, Beirut, 1979 ; Saidah(R), Ougarit et Sidon, **Les Annales Archéologiques Arabes Syriennes, vol. XXIX-XXX**, 1977-1980, pp. 89-103.

(21) حول جبيل خلال عصر البرونز، انظر :
Dunand(M), Fouilles de Byblos, **Direction Générale des Antiquitées de la République Libanaise**, Paris, 1937 ; Jidejian(N), Byblos through the Ages, Beirut, 1968 ; Montet(P), Byblos et l'Egypte. Quatre campagnes de fouilles a Gebel, 1921-1924, Paris, 1928-1929 ; Pettinato(G), Le città fenicie e Byblos in particolare nella documentazione epigrafica di Ebla, **Atti del I Congresso Internazionale di Studi Fenici e Punici**, pp. 107-118, Roma, 1983 ; Sachieh(M), Byblos in the Third Millennium B.C.A. Reconstruction of the Stratigraphy

ومغادرتها عام 1200 قبل الميلاد بسبب الغزو اليهودي وغزو شعوب البحر، خصوصا شـعوب الفلـست، الذين خربوا عدة مدن كنعانية واستولوا على الساحل الجنوبي لفينيقيا في حوالي 1180 قبل الميلاد[22]. نتيجة لهذه الاحداث بزغت مرحلة انتقالية غامضة امتدت الى حدود سنة 1050 قبل الميلاد، تميزت بضبابية فـي الاحداث السياسية وركود في النشاط التجاري، خصوصا وأن مدينة صور كانت قد خُرِّبت في هذه الغضون. غير أن أهم ما يمكن ملاحظته في هذه الحقبة، أن البحرية الفلسطينية تمكنت من تجميد النشاط التجاري للمدن الفينيقية بين عامي 1050 قبل الميلاد و975 قبل الميلاد، كما يتبيّن من خلال رواية "ونامون"[23]، التي تعتبر أهم وثيقة تسلط بعض الاضواء على هذه المرحلة. الامر الذي يدعو الى إعادة النظر في الفرضية التي ترجح أن انطلاقة التوسعات الفينيقية حدثت في هذه الاحقاب، حسب ما يستشف من النصوص القديمة المتحدثة عن التأسيسات الفينيقية الاولى بأقصى الغرب، بما فيها ليكسوس[24]. وإذا كانت بعض المدن الفينيقية مثل جبيـل وصيدا قد تمكنت من إعادة تنظيم عملها التجاري ما بين 1150 قبل الميلاد و900 قبل الميلاد، فإن صور – التي لم تلبث أن أعادت بناءها[25] – لم تكن قد وصلت بعد الى ازدهارها الذي حققته خـلال عهـد ملكهـا "حيرام"[26]. وبالتالي لا يمكن اعتبار أنها عرفت توسعا نحو الغرب عند نهاية القرن الثاني عشر قبل الميلاد. فعلاوة على مراقبة الفلست البحرية لساحل جنوب فينيقيا، فإن اسم صور لم يكن واردا في حوليـات الملـك الآشوري "تكلات بلسار الاول" (1112–1074 ق.م) التي تروي حملته الاولى على الساحل الفينيقي[27]. كما تمت الاشارة الى صور في مرتبة ثانية حسب رواية "ونامون" بعد صيدا ومدينة جبيل التي وصفت باعتبارها

---

and a Study of the cultural Connections, Warminster, 1983 ; Swiggers(P), Byblos dans les lettres d'El Amarna : Lumières sur des relations obscures, **Studia Phoenicia III**, pp. 45-58, leuuven, 1985.

(22) من المعلوم أن شعوب البحر كانوا سبّاقين لإدخال الحديد الى منطقة الشرق القديم. كما كانوا معاصرين للحضارة الآرامية في سوريا، التي برزت منذ ق 11 ق.م. انظر :

Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 21.

(23) تعتبر رواية "ونامون" رواية تاريخية حكاها أحد النبلاء المصريين بمناسبة بعثة رسمية لجلب الاخشاب من مدينة جبيل، جرت أحداثها في حدود سنة 1070 قبل الميلاد. وتزودنا هذه الوثيقة بمعلومات مفيدة حول وضعية الساحل الفينيقي نتيجة للغزو الفلسطيني، وحول نوعية علاقات هذا الساحل بمصر الفرعونية. انظر الترجمة العربية الكاملة لهذه الرواية عند : فخري(أحمد)، دراسات في تاريخ الشرق القديم، القاهرة، مكتبة الأنجلوالمصرية، الطبعة الثانية، 1990، ص. 91–99. وانظر أيضا :

Leclant(J), Les relations entre l'Egypte et la Phénicie du voyage d'Ounamon a l'expédition d'Alexandre, in : Ward(W.A). (ed.), **The Role of the Phoenicians in the Interaction of Mediterranean Civilizations**, pp. 9-22, Beirut,1968 ; Idem, Les Phéniciens et l'Egypte, in : **Dossiers Histoire et Archéologie, n° 132**, Novembre, 1988, pp. 14-19 ; Bunnens(G), La mission d'Ounamon en Phénicie. Point de vue d'un non égyptologue, **Rivista di Studi Fenici, VI**, 1978, pp. 1-16.

(24) يعتبر "أندري جودان" (A. Jodin) مثلا أن بداية التوسع الفينيقي بالحوض المتوسطي الغربي حدثت مع أوائل عصر الحديد، أي في حدود سنة 1200 قبل الميلاد. انظر :

Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 120.

(25) وقد تمكنت من ذلك بفضل مساعدة مدينة صيداء، التي كانت إذاك تعد أهم مدينة في جنوب فينيقيا. انظر :

Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 27.

(26) Idem, Ibid, p. 27.

(27) ترجع بداية الاهتمام الآشوري بفينيقيا الى أواخر القرن الثاني عشر وبداية القرن الحادي عشر قبل الميلاد، حيث تخبرنا حوليات الملك الآشوري "تكلات بليسار الاول" (1112–1074 ق.م) عن حملة قام بها هذا الملك على الساحل الفينيقي. كما تتحدث هذه الحوليات عن أخذه الجزية من مدن جبيل وأرواد وصيدا، باستثناء مدينة صور. انظر نص الحملة عند :

Moscati(S), L'épopée des Phéniciens, op. cit, p. 30, note n° 3.

أشهر ميناء فينيقي في تجارة الخشب وقصب البردي[28]. ولم تبرز مدينة صور كقوة بحرية إلا مع حلـول القرن العاشر قبل الميلاد، الذي سيتميز في المقابل باضمحلال تدريجي لمكانة جبيل وصيدا وأرواد.

2) صور ونطاق تجارتها في عهد حيرام الاول :

خلال القرن العاشر قبل الميلاد، ستقوم صور بمجموعة من التطلعات التجارية والتوسعية، نتيجة لعدة عوامل سياسية، نذكر منها تدهر مصر، واندحار الفلسطينيين على يد داوود عام 975 قبل الميلاد، وتوحيـد مملكة إسرائيل، وزوال القوة الآرامية، وركود الضغط الآشوري على فينيقيا. غير أن هذه التطلعات لم تكـن لتخرج على نطاق الشرق القديم، حيث أضحت صور تمثل أقوى قوة بحرية في المنطقة[29].

وكان أول من أسس امبراطورية صور التجارية ملكها حيرام الاول، الذي تميز عهده بربط علاقات سياسية وتجارية مع سليمان، وباحتكار للنقل البحري، وهيمنة على الساحل الفينيقي. ولتحقيق ذلـك، مـرت سياسته التجارية بمرحلتين[30] : مرحلة أولى تميزت بمراقبة الطرق التجارية البرية للشرق القديم في اتجـاه الفرات وسوريا وبلاد العرب، وذلك بغية التزود بالحبوب التي كانت تحتاجها صور، وإيجاد منفـذ لتـسويق السلع المصنعة الفينيقية. أما المرحلة الثانية، فتميزت بتنظيم مؤسسة بحرية بالاشتراك مع اسرائيل للبحث عن سوق جديدة في البحر الاحمر (الصومال) وبلاد العرب (اليمن) وربما المحيط الهندي. هذا الى جانب التدخل في قبرص كمحاولة لتأمين المحيط القريب من صور[31]. وهذا يعني أن مجال التجارة الفينيقية الذي أوردتـه التوراة بشكل مستفيض في سفر الملوك، كان يتحدد في سوق شرقية وليس في الغرب المتوسطي كما كـان يعتقد، وبالتالي يبدو حسب "ماريا إوخينيا أوبيت" (MariaEugeniaAubet) أن التوسعات الفينيقيـة نحـو الغرب لم تكن خلال القرن العاشر قبل الميلاد قد انطلقت بعد[32].

3) استراتيجية صور التجارية خلال القرن التاسع وبداية الاتجاه نحو الغرب :

بعد حكم حيرام الاول، سوف تتغير الظروف في الشرق القديم بسبب تقسيم مملكة سليمان وظهـور الاوج الآرامي، مما سيؤدي بصور الى تغيير سياستها التجارية مع حلول حكم "إيتو بعل الاول" (887-856 ق.م). خلال هذه المرحلة، شرعت صور بتوسعها البري في فينيقيا، حيث تم تأسيس مملكة تجمـع مـدينتي صور وصيدا. كما تحدثت المصادر الشرقية لاول مرة عن تأسيس مـستوطنات صـورية، وهـي "أوزة" (Auza) و"بطرس" قرب جبيل، مما يدل على هيمنة صور على شمال فينيقيا[33]. وبحثا عـن مـصادر جديدة للمواد الاولية، أصبحت صور في عهد "إيتوبعل" تعرف وجودا في إسرائيل للتزود بالواد الغذائية وإيجاد منفذ للطرق الداخلية[34]. كما عرفت وجودا مماثلا في شمال سوريا وسيليقيا، للسيطرة على خليج الاسكندرونة

---

(28) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 28.

(29) Idem, Ibid, p. 36-37.

(30) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 37.

(31) هذه التجارة المربحة سوف تنعكس أرباحها على تجميل مملكة صور، بتشييد ميناء صور ومصانع تشييد السفن، وبالجمع بين الجزيرتين المكونتين لصور، وبتشييد القصر الملكي وسوق المدينة ومعبد ملقارت. ويمكن نعت هذه المرحلة بالعهد الذهبي الاول بفينيقيا.

(32) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 37.

(33) Idem, Ibid, p. 38.

(34) مما لا شك فيه أن الوجود الفينيقي في مملكة إسرائيل يفسر بالتأثير على المؤسسات اليهودية الدينية، حيث انتشار عبادة بعل، والنفوذ في المؤسسات الحضارية، حيث وجود مهندسين وصناع فينيقيين في المدن اليهودية. وهذا ماأكدته المعطيات الاركيولوجية، بعد الكشف في السامرة، العاصمة اليهودية الجديدة، عن عدة مواد فينيقية، خصوصا الادوات العاجية التي تم العثور عليها في القصر الملكي، الذي ورد في التوراة تحت اسم "بيت العاج". انظر :

Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 39-40.

بغية استغلال مناجم جنوب شرق الاناضول[35]. بهذا الوجود استطاعت صور أن تستحوذ على تجارة المعادن والعبيد بسيليقيا، وأن تهيمن على جبال طاوروس وعلى الفرات، وأن تراقب الطرق التجارية المتجهة نحو قبرص وكريت.

ولم تعرف صور اتجاها واضحا نحو الغرب إلا مع نهاية القرن التاسع قبل الميلاد، عندما أشارت مصادر الشرق القديم لاول مرة الى تأسيس قرطاجة، باعتبارها ثاني مرحلة تقوم بها صور لتشييد محطات لها. ويعزى هذا الاتجاه الى السيطرة الآشورية على شمال سوريا وظهور قوة الآراميين. وسيؤدي خروج سوق سوريا من يد الفينيقيين الى مجيء الأوبيين الى محطة المينا على مصب نهر العاصي[36]، مما سيدفع الفينيقيين الى الاتجاه الفعلي نحو الغرب بتأسيس كيتيون في قبرص في حوالي عام 820 قبل الميلاد[37]، بهدف السيطرة على مناجم النحاس[38]. ولم يكتف الفينيقيون بتأسيس هذه المحطة، بل قاموا بزيارات متكررة للبحر الإيجي، أي لبلاد الاغريق، وجزيرة كريت، مما يدل على أنهم شرعوا في عملية توسعهم نحو الغرب[39].

4) دينامية آشور خلال القرن الثامن والتأصل الفينيقي بالغرب :

مع نهاية القرن التاسع قبل الميلاد وبداية القرن الثامن قبل الميلاد، وبعد تأسيس قرطاجة وكيتيون، لم يبق في يد صور من الاسواق الدولية سوى قبرص والحوض المتوسطي. فالامبراطورية الآشورية التي كانت تفرض على صور سياسة الجزية منذ مدة[40] لم تعد تطالب بمواد البذخ الموجهة الى طبقة معينة، بل أصبحت

[35] مما يدل على السيطرة الفينيقية على هذه المنطقة، وجود محطة فينيقية قرب مدينة الاسكندرونة، ووجود محطة أخرى على ضفاف نهر الفرات حسب ما ورد في المصادر الآشورية. وقد تأكد ذلك من جرّاء العثور على خزف فينيقي في شمال سوريا وكتابات فينيقية في حلب وفي الاناضول. الامر الذي ينم عن تأثير ثقافي وسياسي فينيقي واضح في شمال سوريا وسيليقيا خلال القرن التاسع قبل الميلاد.

[36] من العوامل المسببة للتوسع الفينيقي نحو الغرب، والتي يجدر أخذها بعين الاعتبار، تشير الى عامل الاستعمار الاغريقي للحوض المتوسطي. فقد شمل التوسع البحري الاغريقي في بدايته الحوض الشرقي للبحر الابيض المتوسط، حيث أصبح ناقوس الخطر الاغريقي يهدد الفينيقيين في عقر دارهم عندما وصلت الافواج الاولى من الجاليات اليونانية الى أبواب السواحل الفينيقية. هناك، ومع بداية القرن الثامن قبل الميلاد، أسست بعض المحطات الاغريقية الهامة في "طرسوس" بإقليم سيليقيا وفي "المينا" على مصب نهر العاصي وفي "تل سوقاس" جنوب "أوكاريت". فنتج عن ذلك، علاوة على خطر الزحف الآشوري والانتشار الاغريقي في بحر إيجة، انغلاق جميع الاسواق الشرقية التي كان يعتمد عليها الفينيقيون، مما دفع بالفينيقيين الى نقل مركز تجارتهم من الشرق الى الغرب. غير أن الغرب المتوسطي لم يخل بدوره من المزاحمة الاغريقية التي ظهرت منذ القرن الثامن قبل الميلاد، بعد أن أصبح الاغريق يستقرون في المناطق التي كانت فيما مضى مجالا قاصرا على التجارة الفينيقية. وكان هدف الاغريق من وراء توسعاتهم هذه لايكمن فقط في البحث عن أراض فلاحية يستقر فيها العدد المتزايد من سكانهم، بل يكمن أيضا في إيجاد منافذ تجارية لصناعاتهم المتطورة وخصوصا الخزف الرفيع. أما هدفهم من توغلهم نحو أقصى الغرب المتوسطي، فيتمثل في طمعهم في استغلال ثروات طرطسوس الطائلة، ولاسيما الفضة التي كانت تتوقف عليها مصانع سكّ العملة الاغريقية الناشئة في صقلية وأيونيا. وهكذا نلاحظ أن الاغريق مثلوا خطرا حقيقيا على مصالح الفينيقيين الاقتصادية، خصوصا عندما حاولوا قطع طريق المعادن الفينيقية التي أصبحت منبع الربح الوحيد التي بقيت في يد الفينيقيين التي يعتمدون عليها بالدرجة الاولى لمواجهة فاتورة الجزية المتصاعدة التي بدأ الآشوريون يفرضونها عليهم في الشرق. فكان رد فعل الفينيقيين اتجاه هذا الخطر يتمثل في تدعيم بقائهم في بعض النقط الاستراتيجية، حيث قاموا بدورهم بما فعله الاغريق. أي بانزال عائلات من المعمرين الفينيقيين في المراكز التي رأوها تراقب وتحافظ على الدائرة التي كان لا بد أن تبقى من نصيبهم. فنتيجة لذلك برزت ابتداء من أواخر القرن التاسع قبل الميلاد وبداية القرن الثامن قبل الميلاد مجموعة من المستوطنات، خصوصا في الحوض المتوسطي الغربي، والتي تعتبر ليكسوس واحدة منها.

[37] Karageorghis(V), Excavations at Kition, Department of Antiquities, vol. I : The Tombs, Nicosia, 1974 ; Idem, Kition, Mycenean and Phoenician Discoveries in Cyprus, Londres, 1976.

[38] Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 42.

[39] Idem, Ibid, p. 44.

[40] الى غاية حكم "آشور ناصر بال الثاني" لم تعرف صور مواجهة مباشرة مع الآشوريين واكتفت بدفع الجزية خوفا على مصالحها الاقتصادية وحريتها التجارية، في الوقت الذي مثل فيه الآشوريون أهم زبون لها. وتعطينا النصوص المتحدثة عن هذه الجزية فكرة عن نوعية السلع الفينيقية، وصورة عن رخاء صور، حيث كانت أهم المواد المؤداة تمثلها المعادن والعاجيات. وكان سبب إهتمام الآشوريين بفينيقيا

تستوجب المعادن ضمن مواد الجزية المفروضة، خصوصا الفضة التي كانت تحتاجها آشـور فـي التـداول النقدي[41]، والحديد والرصاص المستلزمين لتطوير عتادها العسكري. كما أن السيطرة الآشورية على شـمال سوريا وأورارتو ما بين سنة 743 قبل الميلاد و738 قبل الميلاد، واحتلال دمشق في عام 732 قبل الميلاد جعل صور محاطة بحدود آشورية من جميع الجهات. أضف الى ذلك أن احتلال "سرجون الثاني" لـسيليقيا وخلـيج الاسكندرونة، أدى الى حرمان الفينيقيين نهائيا من آخر المعاقل التجارية بالشرق الاوسط التي كانت ما زالت في يد صور. هذه العوامل تبيّن أن الانتقال الفينيقي الفعلي الى أقصى الغرب المتوسطي، المتجسد باستقرار الصوريين النهائي في شمال إفريقيا وإسبانيا لم يحدث سوى ابتداء من هذه المرحلة[42].

ويبدو أن الغرض الاساسي من التوجه الفينيقي الى الغرب يكمن في البحث عن مناطق جديدة لاشـباع الرغبة الآشورية المتزايدة من الفضة. ذلك أنه لايمكن تفسير التداول المهم من الفضة كنقد في السوق الآشورية مع مطلع القرن السابع قبل الميلاد، سوى بتصديرها من أقصى الغرب المتوسطي، تبعا لاستغلال مسبق خلال القرن الثامن قبل الميلاد، بتنظيم محكم بين صور ومستوطناتها في الغرب مثل قادس وليكسوس. ومما يدل على ذلك، أن الامبراطورية الآشورية كانت خلال القرن الثامن قبل الميلاد تعرف ندرة في تداول الفضة، بسبب المعاهـدة السورية–الاورارورتية[43].

من هنا يتبيّن أن تأسيس مستوطنات الغرب بما فيها ليكسوس، لم يحدث الا عند توفر ضمانات فـي طلب المعادن وإيجاد سوق للسلع المصنعة بعد تحويل هذه المعادن. أي أن التأسيس كان يحدث فـي عهـود الانتعاش الاقتصادي، وليس في مراحل الازمات. وفي هذا الصدد، تحدد "ماريا إوخينيا أوبيت" تاريخ تـشييد هذه المستوطنات، التي كانت تتطلب سياسة ترابية وفلاحية واستيطانية وتجارية وديمغرافية وتدخلية، بين نهاية القرن التاسع قبل الميلاد وسنة 720 قبل الميلاد. وترتكز في ذلك على عدة عناصر نذكر منهـا : إغـراق السوق الآشورية بالفضة، وإشارة المصادر الشرقية الى تواريخ محددة وهي تأسيس كيتيون عام 820 قبـل الميلاد وتأسيس قرطاجة عام 814 قبل الميلاد، وتحديد "أوسيبيوس" (Eusèbe) للتلاسوقراطية الفينيقية فـي 45 سنة من السيطرة على البحر، أي من حوالي 850 قبل الميلاد الى 810 قبل الميلاد[44].

وهكذا يتبين أن تأسيس ليكسوس لم يحدث في التواريخ القديمة التي تلمح إليها بعض النصوص، لأن مسار التاريخ الفينيقي لم يكن يسمح قبل القرن التاسع قبل الميلاد بحدوث عملية الانتقال من الشرق القديم الى الغرب بكل التبعات الاقتصادية والاجتماعية والديمغرافية التي من المفروض أن تتطلبها هذه العملية.

اعتبارها أهم منطقة تهيمن على التجارة الدولية، مما جعلهم لايتدخلون في شؤونها الى حدود أواسط القرن الثامن قبل الميلاد، مفضلين الاستفادة من مواد الجزية. حول فينيقيا والآشوريين، انظر :

Elayi(J), Les cités phéniciennes et l'empire Assyrien à l'époque d'Assurbanipal, **Revue d'Assyriologie et d'Archéologie Orientale, LXXVII**, 1, 1983, pp. 45-58 ; Kestemont(G), Tyr et les Assyriens, **Studia Phoenicia III**, 1985, pp. 53-78 ; Oded(B), The Phoenician Cities and the Assyrian Empire in the Time of Tiglath-pileser III, **Zeitschrift des Deutschen Palastina-Vereins**, 90, 1974, pp. 38-49 ; Pettinato(G), I rapporti politici di Tiro con l'Assiria alla luce del trattato tra Asarhaddon e Baal, **Rivista di Studi Fenici III**, 1975, pp. 145-160.

(41) أصبحت الفضة خلال العصر الفينيقي مرتفعة القيمة، لانها كانت تعطي لمن يكتنزها مرتبة اجتماعية مرموقة، مما يدل على وجود نظام شبيه بما قبل النظام النقدي. وأصبحت الفضة تمثل أهم معدن يحظى بقيمة التداول، حيث كانت تحوّل الى سبائك أو دوائر أو أختام ذات وزن خاص (السيكل او المن). كما كانت تتداول بمعيار قار، أي بالمفهوم الحديث للنقد. انظر :

Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 64-65.

(42) Idem, Ibid, p. 70.

(43) Idem, Ibid, p. 65-66.

(44) Idem, Ibid, p. 76-77.

فكيف تعاملت الايستوريوغرافية القديمة والحديثة مع مسألة هذا التأسيس ؟ وكيف يمكن التوفيق بين التواريخ القديمة لتأسيس ليكسوس وبين بداهة الفحص الاركيولوجي ؟

II ـ تشييد ليكسوس بين تأويل النص والواقع الاركيولوجي :

1) فرضية التشييد في القرن الثاني عشر أو الاسقاط الايستوريوغرافي:

في الواقع لا نتوفر على أي نص قديم يتحدث عن تاريخ تأسيس ليكسوس، ولا عن وجود أسطورة مرتبطة بهذا التأسيس، كما هو الشأن بالنسبة لبعض المنشآت الفينيقية الكبرى مثل قرطاجة وقادس [45]. الامر الذي يجعلنا نطرح علامة استفهام حول مسألة التأسيس الرسمي لليكسوس على يد صور [46]. فالنص الوحيد الذي يمكن أن نستشف منه أن ليكسوس تأسست في عهودة قديمة، لم يورد سوى في غضون القرن الاول للميلاد من لدن "بلينيوس". والحالة هذه، أن المؤرخ الروماني لم يشر بأي شكل من الاشكال الى تاريخ التأسيس، ولم يستند لأي حدث مهم من شأنه أن يساعد على تحديد هذا التاريخ، كما جرت العادة عند تحقيب بعض المدن الهامة. كل ما هناك، أن "بلينيوس" تحدث عن توفر ليكسوس على معبد للاله "ملقارت"، كان يعتبر أقدم من معبد نفس الاله الموجود بقادس. يقول "بلينيوس" في هذا الصدد [47] : «***نتوفر على نوع من الخبازى الشجرانية بموريطانيا، في المصب النهري الذي توجد به مدينة ليكسوس، حيث كانت حسب ما يحكى حدائق الهيسبيريديس، على بعد مائتي قدم من المحيط، بالقرب من معبد هرقل يعتبر أقدم من معبد قادس***».

انطلاقا من هذا النص، تم الاعتماد على تاريخ تشييد معبد قادس –الذي حدث في نفس تاريخ تأسيس المستوطنة حسب رواية "استرابون" [48]– لتحديد تاريخ تشييد ليكسوس. ولتحقيب ذلك، استندت الايستوريوغرافيا الحديثة على المؤرخ الروماني "فايوس باتركولوس" [49]، الذي حدد تأسيس قادس ثمانين سنة بعد حرب طروادة، التي حدثت في حوالي 1184 ق.م [50]. الامر الذي يجعل تاريخ تأسيس قادس في حوالي 1104 ق.م، ويجعل بالقياس حدث تشييد ليكسوس في وقت سابق لهذا التاريخ.

---

(45) كانت معظم المنشآت الفينيقية الرئيسية ترتبط برواية للتأسيس، يتم نسجها عموما في عصور لاحقة لعصر التشييد الفعلي، تتداخل فيها الآلهة بالبشر وتمتزج بها الحقيقة بالخيال. ومن أمثلة ذلك رواية التأسيس التي أوردها "جوستنيوس" حول تأسيس قرطاجة، ورواية التأسيس التي أوردها "استرابون" حول تأسيس قادس. انظر :
Justin, XVIII, 4-6 ; Strabon, III, 5, 5.

(46) Gsell(S), Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord, op. cit, t. I, p. 370.

(47) Pline, Histoire Naturelle, XIX, 63 ; ap. Desanges(J), Sources littéraires antiques sur Lixos, op. cit, p. 407 ; Roget(R), Le Maroc chez les auteurs anciens, op. cit, p. 35.

(48) أورد "استرابون" (Strabon, 3 : 5, 5) ما يلي، نقلا عن الرواية التي سمعها المؤلف الاغريقي "بوسيدونيوس" (Posidonios) بمدينة كادر في حوالي سنة 100 قبل الميلاد :
« حول تأسيس كاديرا هذا ما يتذكره القادسيون : أن وحيا الاهيا أمر الصوريين بتشييد منشأة بأعمدة هرقليس ؛ وعندما قام المبعوثون بالاستكشاف، وصلوا الى المضيق الموجود بالقرب من "كالبي" (Calpe) واعتقدوا أن الرؤوس التي تكون المضيق تمثل تخوم العالم المسكون، والحد الاقصى لمشاريع هرقليس ؛ وباعتقادهم إذاك بأن الاعمدة التي تحدث عنها الوحي كانت توجد هناك، أرسوا في مكان قريب من الاعمدة حيث توجد مدينة "الإكسيطانيين". وبما أنهم قدموا قربانا للآلهة في ذاك المكان من الساحل، ولم تكن الاضحيات مناسبة، فإنهم رجعوا من حيث أتوا. وبعد مدة قام المبعوثون باجتياز المضيق حيث وصلوا الى جزيرة مهداة لهرقليس توجد بالقرب من "أونابا" (Onaba)، وهي مدينة إيبيرية تبعد عن المضيق بحوالي ألف وخمس مائة عقدة ؛ وبما أنهم اعتقدوا بوجود الاعمدة هناك قاموا من جديد بتقديم القرابين للآلهة ؛ ومرة أخرى كانت الاضحيات مخالفة فعادوا الى الوطن. وخلال الحملة الثالثة أسسوا "كاديرا"، وشيدوا المعبد في الجهة الشرقية للجزيرة، والمدينة في الجهة الغربية ».

(49) Hist. Rom. 1: 2, 1-3.

(50) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 26.

وقد أفضى هذا الاعتقاد بالعديد من المحدثين الى اعتبار أن ليكسوس تأسست فعلا في تلــك العهــود الغابرة التي أوردتها المصادر القديمة ؛ أي أنها تأسست في القرن الثاني عشر قبل الميلاد. فاســـتنادا الـــى نص أورده "استرابون" (Strabon)[51]، يرجح "جيهان ديزانج" (J.Desanges)[52] أن ليكسوس مثلت واحدة من المدن التي أسسها الفينيقيون على الساحل الإطلنطي للمغرب، بعد مرور وقت وجيز على حرب طروادة. كما يرى "سباتينو موسكاتي" (S.Moscati)[53] أن الفينيقيين الذين خلفوا الموكينيين في التجارة المتوســطية منذ سنة 1100 قبل الميلاد، كانوا يحتاجون الى محطات تجارية في أقصى الغرب لتــدعيم هــذه التجــارة، ومراقبة الطرق المتجهة صوب الحوض المتوسطي، وفتح الطريق الاطلنطية. ومن تم اعتبر الباحث الايطالي أن تأسيس قادس وليكسوس خلال هذه المرحلة يندرج في هذا الاطار، دون أن يتطلب الامر بالضرورة توفر عدة محطات تجارية أخرى. وفي سياق آخر، واستنادا لكون ليكسوس كانت أقدم من قادس حــسب إشــارة "بـــلينيوس"، استنتج "موسكاتي"[54] أن ليكسوس تعد أقدم المستوطنات الفينيقية على الاطلاق. وفي نفــس الاتجاه، يرى "جيروم كاركوبينو" (J.Carcopino) أن ليكسوس كانت أقدم من قرطاجة، وأنها تأسست فـــي نفس العهد الذي شيدت فيه كل من قادس وأوتيكا[55]. وقد اعتمد في ذلك على كون الرحلة المنــسوبة الـــى "سكيلاكس" نعتت ليكسوس حرفيا بالمدينة الفينيقية[56]. كما يومن "ميشيل كرا" (M.Gras) بوجود ارتباط بين ليكسوس وقادس وأوتيكا، ويعتقد بأن الإستناد الى حرب طروادة لتحقيب تأسيس قادس، يعني ضمنيا أن هذه المراكز الثلاثة كانت أقدم من قرطاجة[57].

غير أن ما يمكن التذكير به في هذا الشأن، أن أغلبية الكتابات التي أوردها الاقــدمون حــول بدايــة التوسعات الفينيقية نحو الغرب، لم تتم صياغتها إلا ابتداء من العصر الهيلينستي. أي بعد مرور أكثر من خمس مائة سنة على حدوث هذه التوسعات ؛ مما يجعل منها مصادر متأخرة وبعيدة جدا عن الأحداث، وذاتية وغير موثوق بها[58]. كما أن تاريخيّة (historicité) مسألة تأسيس ليكسوس لاأساس لها لولا وجود إشارة "قايوس باتركولوس"[59] الشهيرة، التي تَحَدَّدَ بموجبها تأسيس قادس ثمانين سنة بعد حرب طروادة. والحالة هذه أن مصدر المؤلف الروماني هو المؤرخ الصقلي "تيمايوس" (Timée)[60]، الذي لم يكشف عن معرفــة دقيقــة بايبيريا، مما يثير مبدئيا مسألة مصداقية المصادر الأصلية.

ومن جهة أخرى، نشير الى أن المحيط الفكري الذي صيغت فيه الإشارات الأولـــى حــول قــدوم الفينيقيين الى الغرب، كان يتميز بالخلط فيما يتعلق بتاريخ التوسع الفينيقي ومكانه[61]. كما أن اتجاه مــؤرخي الحقبة، النابع ربما من الجو الاسكندري أوالآثيني، كان يميل الى تاريخية ملحمة "هوميروس"، وبالتالي كــان يصبو الى استعمال الأسماء الكثيرة الواردة في حرب طروادة، خصوصا فيما يتعلق منها بعودة الأبطال. وذلك

---

(51) Strabon, I, 3, 2.

(52) Desanges(J), Recherches sur l'activité des Méditérranéens aux confins de l'Afrique, op. cit, p. 36-37, note n°9.

(53) Moscati(S), L'épopée des Phéniciens, op. cit, p. 308.

(54) Idem, Ibid, p. 144.

(55) Carcopino(J), Le Maroc antique, op. cit, p. 50-51.

(56) Idem, Ibid, p. 50.

(57) Gras(M), La mémoire de Lixus, op. cit, p. 30.

(58) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 176.

(59) Hist. Rom. I: 2, 1-3.

(60) مؤرخ إغريقي عاش في "سرقوسة" (Syracuse) بصقلية ما بين سنة 356 ق.م و260 ق.م. ألف موسوعة تاريخية من 38 جزء تتضمن أخبارا حول أصول إيطاليا وصقلية.

(61) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 177.

في محاولة ساذجة، يمتزج فيها الخيال بالإفتخار الباطل، لنقل أهم أبطال حرب طروادة الى الغرب. وبـذلك تفسر الأسفار الأسطورية للبطل "إينياس" (Eneas) الى سهل لاتيـوم، وأسـفار "أوديـسوس" (Odessos) و"أنطينور" (Antênor) الى ايبيريا[62]، دون أن تستند هذه الملاحم -التي حررت خلال القرن الرابع قبـل الميلاد- الى حقائق تاريخية.

فالنزعة الهيلينستية الى تشريف وتعظيم أصول بعض المدن الغربية، وإصرارها على الاستناد الـى التواريخ الثابتة كتاريخ سقوط طروادة، ومبالغتها في اعتبار "هوميروس" مرجعا تاريخيا، جعلت العديد مـن المصادر المتحدثة عن أقصى الغرب تجتمع في مصدر واحد، وأدت الى مطابقة تواريخ التأسيس مع عصر أبطال "هوميروس". وبمزج الحقيقة التاريخية بالخيال، أدت رغبة الايستوريوغرافيا الهيلينستية في تمجيد أسفار أقصى الغرب، الى البحث عن أبطال يؤسسون المدن ويهبون أسماءهم لها. وهكذا أصبحت أسفار هـرقليس وعودة الهرقليين بعد حرب طروادة[63] ترتبط بقادس وبإسبانيا، مما دفع بعض المؤلفين القدامى الى اعتبار أن هرقليس وافته المنية بإسبانيا[64]. كما أن أسطورة ارتباط قادس بالفينيقيين وبحرب طروادة وبهرقليس، التـي تعتبر أيضا تدبيرا هلينيستيا نموذجيا، بزغت في زمن[65] أثر خلاله كل من ازدهار قادس وسمعة معبدها على الفكر الهيلينستي[66]. وقد أدى ذلك لاريب الى صياغة أسطورة امتزجت فيها شخصية هـرقليس-ملقـارت بالتأسيس الفينيقي لقادس.

ويبدو أن أسطورة هرقليس في الغرب ظهرت في أثينا خلال القرن الرابع قبل الميلاد، عندما بـدأت مطابقة هرقليس بملقارت إلاه صور[67]. وحيث أن معبد هرقل بقادس كان يعتبر معبدا "قديما جدا"[68]، فقـد أدى ذلك الى ارتباط هرقليس-ملقارت بأسفار قديمة نحو الغرب. ولكي يتم نقل أسفار هرقليس الـى إسـبانيا وربطها بتأسيس معبد قادس الذي كان يعرف خلال العصر الهيلينستي بالهرقليون القادسي، فقد كـان مـن الضروري وضع الأحداث في إطار أسطورة عودة الهرقليين الى اليونان بعد حرب طروادة ؛ أي بتقريـب عهد تأسيس مستوطنات الغرب من تاريخ حرب طروادة. وهكذا امتزج كل من تـاريخ قـادس والفينيقيـين وهرقليس وملقارت وليكسوس وأوتيكا في نفس المجموعة الأسطورية، التي أضيفت إليها مع الوقت أساطير أخرى مرتبطة بأقصى الغرب مثل أسطورة حدائق الهسبيريديس[69] التي ترمز الى نهاية المحيط الأطلنطي. كما أضيفت لها كذلك أسطورة "أعمدة هرقل" التي كان يقصد بها الحد الأقصى للأسفار الفينيقية والإغريقيـة، وأصبحت ترمز في النهاية الى مضيق جبل طارق[70].

من هنا نلاحظ أن تأريخ معبدي قادس وليكسوس بالقرن الثاني عشر ق.م، وتأريخ قدوم الفينيقيين الى الغرب في نفس العهد، لايمكن تفسيرهما إلا بالإقحام الهلينستي لأسطورة هرقليس فـي إيبيريـا، وبالنزعـة الهيلينستية لتعظيم أصول بعض المدن من مستوى سمعة قادس، وربما ليكسوس. هذا مع العلـم أن عبـادة

---

(62) Strabon, 3 : 2, 13 ; Pausanias, 1 : 28, 11

(63) Strabon, 1 : 1, 4 ; 3 : 2, 13

(64) Salluste, Guerre de Jugurtha, 1, 8, 3 ; Mela, 3 : 46

(65) أي خلال القرنين الثاني والاول قبل الميلاد.

(66) تجدر الإشارة الى أن معبد هرقليس بقادش تمت زيارته من لدن شخصيات مرموقة في الحياة السياسية والثقافية للعصر، أمثال حنبعل وبوليبيوس وفابيوس ماكسيموس ويوليوس قيصر.

(67) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 178.

(68) Diod. 5 : 20, 1-4

(69) Hésiode, Teog. 215-216 ; 274-275

(70) Pindare, Néméennes, 3. 20 ; Strabon, 4 : 5, 5-6

ملقارت لم تُعرف في فينيقيا ولا في صور قبل القرنين التاسع والثامن ق.م[71]. ولو افترضنا أن ليكسوس تأسست في مرحلة تمتد من القرن الثاني عشر ق.م حسب النصوص، الى نهاية القرن التاسع ق.م حيث تأسيس قرطاجة، فإننا سنصطدم بصمت الاركيولوجيا، كما يقول "ميشيل كرا"[72]. لذا فلا يمكن الاعتماد على هذه الكرونولوجية كمرجعية تاريخية موضوعية، نظرا لعدم مصداقية المصادر الكلاسيكية في الموضوع، ونظرا لكون الايستوريوغرافيا القديمة المتعلقة بتأسيس ليكسوس صدرت في وقت متأخر جدا عن الأحداث التي تعرضت لها. وفي هذا الصدد، يرى "ميشيل كرا"[73] أن الاعتماد على حرب طروادة للتحقيب لا أساس له، وبالتالي لا يمكن اعتماده لتأريخ ليكسوس قبل 1104 ق.م، لان الاستناد على هذا المعيار الزمني-الذي كان من نسج المدرسة الاسكندرية- يعزى الى انعدام وجود أحداث بارزة للتأريخ خلال القرنين 9 و8 ق.م.

ومع ذلك، ولملء الفراغ الكرونولوجي بين التواريخ العليا التي تُستشف من المصادر القديمة في مسألة بداية التوسعات الفينيقية، وبين المعطيات الاركيولوجية المتوفرة، والتي لم تكشف بعد عن مستويات استراتيغرافية فينيقية سابقة للقرن الثامن قبل الميلاد، تم اقتراح حل توفيقي يفترض وجود مرحلة من التوسعات تدعى بماقبل الاستيطان الفينيقي. فما هي خصوصيات هذه المرحلة، وهل يمكن تطبيقها على ليكسوس ؟

2) مرحلة ما قبل الاستيطان : الحل التوفيقي :

إن اقتراح حدوث إبحار فينيقي في الغرب ماقبل الإستيطان، كان بمثابة محاولة جديدة للتوفيق بين تأريخ منشآت الغرب بالقرن الثاني عشر قبل الميلاد، وبين البراهين الأركيولوجية التي لم تكشف بعد عن مستوطنات ثابتة قبل القرن الثامن قبل الميلاد[74]. وكان الغرض من هذه الفرضية، ملء فراغ غير صريح يزيد على ثلاثة قرون، وإدخال نموذج نظري استعمل بشكل ناجح بالنسبة لدراسة التوسع الإغريقي[75]. حقا إن الدراسات النقدية الحديثة تنفي فكرة الإستيطان الفينيقي في القرن الثاني عشر قبل الميلاد[76]، لكنها في المقابل تعتبر أن المعطيات الكرونولوجية التي تفرزها التنقيبات الأركيولوجية لاتعني أن المكان المكتشَف كان يَجهل مجيء الفينيقيين من قبل. ومع ذلك فإن جل التنقيبات التي جرت في الحوض المتوسطي الغربي، لم تستطع لحد الآن الكشف عن مظاهر هذا الوجود، ولا إثبات المستوطنات الشبه الثابتة أو السابقة لمرحلة الإستيطان خلال القرون الثلاثة الاولى للتوسع الفينيقي.

ويُقصد بمرحلة ما قبل الإستيطان، تلك الحركة من التوسع البحري والتجاري بحثا عن المواد الأولية، بدون تأسيس مستوطنات ثابتة. وقد اتضحت هذه المرحلة بفضل الكشف عن وجود تأثيرات شرقية لدى المجتمعات المحلية المتصلة بالفينيقيين أمثال السردينيين والصيقوليين والطرطيسيين، الناتجة لاريب عن استقرار مجموعات صغيرة من الحرفيين والخزفيين والمعدنيين. وعموما فإن أية مرحلة سابقة للإستيطان،

---

(71) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 232.

(72) Gras(M), La mémoire de Lixus, op. cit, p. 32.

(73) Idem, Ibid, p. 31.

(74) يعد الباحث الايطالي "سباتينو موسكاتي" (S. Moscati) من أشهر المؤلفين المدافعين على وجود مرحلة ما قبل استيطانية في عملية التوسع الفينيقي. انظر :

Moscat(S), Precolonizzazione greca e precolonizzazione fenicia, **Rivista di Studi Fenici, XI**, 1983, pp. 1-7 ; Idem, I fenici e il mondo mediterraneo al tempo di Omero, **Rivista di Studi Fenici XII**, 1985, pp. 179-187.

(75) تم تفسير هذا "الفراغ الاركيولوجي" بتأويلين اثنين : التأويل الاول ينفي بشكل قاطع التأسيس القديم للمستوطنات الفينيقية الغربية مثل قادس وليكسوس وأوتيكا، في حين يأخذ بعين الاعتبار التأويل الثاني وجود مرحلة "ما قبل-استيطانية" توجد ما بين عصر التأسيسات وبين مرحلة إنشاء المستوطنات الحقيقية. انظر :

Gras(M), La mémoire de Lixus, op. cit, p. 31-32

(76) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit.

المتميزة بتداول مواد البذخ والهدايا النفيسة والهبات، تقتضي وجود مقايضة بسيطة لاتكاد تخلف بقايا أركيولوجية تذكر. وقد تراوحت هذه المرحلة في إيطاليا وإسبانيا ما بين نهاية القرن العاشر قبل الميلاد وبداية القرن الثامن قبل الميلاد. وهي عبارة عن ملاحة فينيقية ذات أهداف تجارية محضة، تتميز بإنشاء محطات ملاحية منعزلة. وهي الحالة التي يمكن أن تطبق على ما أوردته التوراة في شأن مراكب "حيرام" و"سليمان"، التي تسافر كل ثلاث سنوات بحثا عن المواد الثمينة[77]. غير أنه بعد تأسيس قرطاجة عند نهاية القرن التاسع قبل الميلاد، بدأ العد العكسي لبداية مرحلة جديدة من التوسع، تميز بتحديد واضح لمشروع غربي[78].

وقد مكّن نموذج ماقبل الإستيطان من دحض بعض الآراء المغالية، كالتي اعتبرت أن أوج التوسع الفينيقي كان في عهد حيرام الأول، أو التي لمّحت الى وجود استغلال فينيقي مبكر لمناجم الفضة بجنوب شرق إيبيريا خلال عصر ثقافة "إيل أركار" (ElArgar)[79]. ومع ذلك فليس من الهين استقصاء المعايير المعتمدة من لدن المدافعين عن هذا النموذج، حيث نلاحظ استمرار حدوث خلط بين التحاليل النقدية وبين الأمل في تأكيد التواريخ المتداولة لدى المؤرخين الكلاسيكيين فيما يتعلق بتأسيس قادس أو أوتيكا أو ليكسوس. فالإقرار بوجود مرحلة من التجارة بالمقايضة ذات المدة الطويلة أو القصيرة السابقة للمنشآت الثابتة الأولى في الغرب، أو نفي هذه المرحلة، يعتبر أساسيا عند تحديد مدلول هذه المنشآت. وحسب إقرارنا أم لا بهذه النظرية، فإن التحليل المتبع في مسألة التوسع الفينيقي من المنطقي أن يتغير. فإما أن نعتبر أن هذا التوسع كان بمثابة نسق معقد من التطور الإجتماعي-الإقتصادي الداخلي الذي انتقل من مرحلة الوكالات التجارية الى مرحلة تشييد مستوطنات حضرية محضة ؛ وإما أن نرى فيه استراتيجية حقيقية للإستيطان بدون مراحل مسبقة، بجميع تبعاتها الديمغرافية والإستعمارية[80]. فهل نشأت ليكسوس تبعا لانتقالها من مرحلة المحطة التجارية -التي لم يعثر لها عن أي أثر بعد- الى مرحلة المستوطنة الثابتة، أم أن تشييدها كان مخططا منذ الوهلة الاولى بأبعاده الاستيطانية، دون وجود مرحلة ماقبل الاستيطان ؟

فيما يتعلق بالفرضية الاولى، يرى بعض المؤلفين أن ليكسوس عرفت بالفعل مرحلة ماقبل-استيطانية[81]. وقد أفرزتها من الناحية الاركيولوجية حسب هذا الطرح، بعض المعثورات الفريدة، مثل الخنفساء المصرية التي اكتشفها "طراديل" عام 1951[82]، والتي تم تأريخها تبعا لذلك بالقرن العاشر قبل الميلاد. وقد أدى كل من التشكك الكرونولوجي وانعدام القرائن الدالة على العهود القديمة، الى اعتبار هذا المعثور كدليل موثوق به على قدم تأسيس ليكسوس. وفي هذا الصدد يعتقد "فيرناندو لوبيز باردو" أن الفينيقيين كانوا قد أقاموا منشأة تجارية سابقة بليكسوس، قبل تشييد المستوطنة الثابتة التي أملتها المؤهلات المثلى للاستغلال الفلاحي والبحري بالمنطقة[83]. وقد تم اختيار الموقع حسب نفس المؤلف ليمثل همزة الوصل

---

(77) يورد ما يلي في سفر الملوك الاول، الاصحاح العاشر، آية 22 :

« لأنه كان للملك [سليمان] في البحر سفن ترشيش مع سفن حيرام. فكانت سفن ترشيش تأتي مرة في كل ثلاث سنوات أتت سفن ترشيش حاملة ذهبا وفضة وعاجا وقرودا وطواويس».

(78) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 181.

(79) توجد حضارة "إيل أركار" (El Argar) المعدنية في الليفانتي الإسباني. وهي تؤرخ بعصر البرونز القديم والأوسط (1700-1300 قبل الميلاد) وكان مركزها يوجد بالقرب من مدينة ألميرية.

(80) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 281.

(81) Lopez Pardo(F), Reflexiones sobre el origen de Lixus y su Delubrum Herculis en el contexto de la empresa comercial ..., op. cit, p. 91.

(82) Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 174.

(83) Lopez Pardo(F), Reflexiones sobre el origen de Lixus y su Delubrum Herculis en el contexto de la empresa comercial ..., op. cit, p. 91.

خلال مراحل الارتيادات ما قبل الاستيطانية، بتوفر المنشأة على معبد ملقارت قبل تحويلها الى المستوطنة التي تم الكشف عنها. ويستند الباحث الاسباني في رأيه الى كون تشييد التجار الفينيقيين لمستوطنة مهمة للاستقرار، في منطقة خارجة عن الطرق التجارية المتوسطية الموجودة في طريق العودة الى صور، يعني ضمنيا ترددا تجاريا سابقا للمنطقة، ووجود منشآت تجارية[84].

غير أن المواد الخزفية الفينيقية المكتشفة مباشرة فوق الصخر الام بليكسوس، والتي تعود الى مخلفات المستوطنة الفينيقية، لم تكن تتعدى القرن الثامن قبل الميلاد. وهذا يعني أن الفارق الزمني الحاصل بين "التأسيس الادبي" وبين ما كان يعتقده البعض كحقيقة أركيولوجية، يظل قائما، الامر الذي يجعل مسألة التشييد القديم للمستوطنة الفينيقية ولمعبدها المفترض، مسألة صعبة التصديق[85]. وهذا يعني أن مرحلة ما قبل-الاستيطان كما صوّرتها الايستوريوغرافيا الحديثة كحل توفيقي، لا يمكن تطبيقها على ليكسوس، لأنها برزت لاول وهلة على شكل مدينة واسعة الذات[86]. وهي الظاهرة التي انفردت بها ليكسوس مقارنة بالعديد من المنشآت الفينيقية الاخرى في الغرب المتوسطي، والتي جعلت منها نموذجا للتأسيس المباشر بدون وجود مراحل سابقة كما يرى "سباتينو موسكاتي"[87]. فإذا كانت المنشآت الفينيقية بإسبانيا مثلا قد عرفت ظاهرة التدرج الوظيفي من درجة المحطة التي كانت عليها خلال القرن الثامن قبل الميلاد الى درجة المستوطنة التي ولجتها في القرن السابع قبل الميلاد[88]، فإن ليكسوس قد ظهرت لاول وهلة على شكل مستوطنة واسعة الرقعة. والحالة هذه أن الامر لم يتطلب مرحلة ماقبل-الاستيطان بتشييد محطة صغيرة في جهة ما بعين المكان[89]. وفي هذا الصدد، تتبرّر الفرضية التي ترجحها "ماريا أوخينيا أوبيت" القائلة بأن التوسع الفينيقي كان يحدث في وقت وجيز، ويخضع لخطة محكمة، ويتميز باستراتيجة استيطانية وديمغرافية واجتماعية وثقافية واضحة[90].

ومع ذلك، لا يمكن نفي وجود مرحلة ما قبل-استيطانية سابقة للتشييد بليكسوس، لأنه من المنطقي أن يسبق التأسيس النهائي طور من جس النبض ومن الارتيادات الاستكشافية، كما حدث قبيل تأسيس الفينيقيين لمستوطنة قادس. فحسب رواية التأسيس الواردة لدى "استرابون"[91]، تتراءى بعض ملامح هذه المرحلة، التي تميزت بإرسال عدة بعثات استكشافية قبل الاستقرار النهائي في المكان الذي حدده الفينيقيون للاستيطان، حيث لم تؤسس المدينة إلا بعد المحاولة الثالثة[92]. وهذا يعني أن مرحلة ماقبل-الاستيطان التي عرفتها فرضيا ليكسوس، كانت مرحلة قصيرة زمنية، ولم تكن بالمرحلة الطويلة الممتدة من القرن الثاني عشر قبل الميلاد الى القرن الثامن قبل الميلاد، كما كان يعتقد العديد من الباحثين المحدثين. وعلى سبيل المقارنة، يرى "مانويل

---

(84) Idem, Ibid, p. 91.

(85) يعتبر "بيير سانتاس" (P. Cintas) أن المعطيات الاركيولوجية المتوفرة لا تؤكد ما أورده الاقدمون من كون ليكسوس كانت أقدم من قادس وأوتيكا. انظر :
Cintas(P), Manuel d'Archéologie punique, t. I, op. cit, p. 248.

(86) من الملاحظ أن هذه الظاهرة لم تقتصر على ليكسوس، بل تتجلى كذلك في المنشأة الفينيقية بجزيرة الصويرة، التي بزغت فجأة على شكل وكالة تجارية قائمة الذات ابتداء من أوائل القرن السابع قبل الميلاد، بدون وجود أية مرحلة سابقة.

(87) Moscati(S), L'épopée des Phéniciens, op. cit, p. 139.

(88) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 286-287.

(89) Cintas(P), Manuel d'Archéologie punique, t. I, op. cit, p. 225.

(90) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 176 y 281.

(91) Strabon, III, 5, 5.

(92) انظر تحليل "أنطونيو كارسيا بييدو" (A. Garcia y Bellido) لنص "استرابون" (Strabon) حول مراحل تأسيس قادس :
Garcia y Bellido(A), Fenicios y Carthagineses en occidente, op. cit, p. 11.

بيسير كاطلان"[93] أن مرحلة ما قبل-الاستيطان التي عرفتها المنشآت الفينيقية بإيبيريا، كانت عبارة عن اتصالات واستكشافات سريعة الزوال وقصيرة الامد[94]. كما يرجح[95] أن هذه المرحلة -المتميزة عموما بالاكتشافات الاولى وبالاستعداد للمراحل اللاحقة- قد حدثت بالفعل، رغم الإفتقار للدلائل التاريخية والاركيولوجية التي تحدد مداها الحقيقي. غير أنه يُستحسن، حسب نفس المؤلف[96]، عدم إعطاء تواريخ قديمة جدا لبداية هذه الاتصالات المجهولة، أو اعتبار مدتها مدة مستديمة وطويلة[97].

من خلال هذه المعطيات، فإن المدة التي استغرقتها مرحلة "التثبيت التجاري" السابقة لتشييد المستوطنة الفينيقية بليكسوس، من المرجح أن تكون قد حدثت إما خلال السنوات العشر السابقة لحلول القرن الثامن قبل الميلاد، وإما أنها حدثت خلال مرحلة الارتيادات التجارية الفينيقية الاولى على المغرب الاطلنطي، والتي يصعب ضبطها بدقة. وفي هذه الحالة، يتساءل الباحث الاسباني "فيرناندو لوبيز باردو" (Fernando Lopez Pardo)[98] ما إذا كانت مجموعة الفينيقيين الاوائل، تعيش في محطة منعزلة في جهة ما بهضبة الشمس، متجمعة حول معبدها، قبل ظهور المنشأة الاستيطانية.

3) المعطيات الاركيولوجية وتأسيس ليكسوس في القرن الثامن ق.م :

بعد الكشف عن الخزف الاحمر الفينيقي في جزيرة الصويرة، صرّح "أندري جودان" (A.Jodin) قائلا[99] : ***«لقد أضحى من الاعتباط الاصرار على تبني التواريخ الاسطورية حول تأسيس قادس أو ليكسوس، التي تم تحديدها حسب المتداول في القرن الحادي عشر قبل الميلاد. وهذا يعني أن البحارة الفينيقيين، بعد قيامهم بعدة توقفات في العديد من المحطات البحرية بما فيها قرطاجة، عملوا على جلب***

---

(93) Pellicer Catalan(M), Distribución y función de los asentamientos fenicios en Iberia, op. cit, p. 298.

(94) من المؤلفين الاسبان الذين يدافعون عن وجود مرحلة ماقبل-استيطانية سابقة لتشييد المنشآت الفينيقية بإسبانيا، نذكر "ألماكرو كوربيا" و"خ. ألبار". انظر :

Almagro Gorbea(M), Eléments de l'Orient méditerranéen dans le Bronze final de la péninsule ibérique, XI. C. I. **UISPP**, 1987 ; Alvar(J), La precolonización y el tráfico marítimo por el Estrecho, **I Congreso Internacional *El Estrecho de Gibraltr***, Madrid, 1988, p. 429-443.

(95) Pellicer Catalan(M), Distribución y función de los asentamientos fenicios en Iberia, op. cit, p. 298.

(96) Pellicer Catalan(M), Distribución y función de los asentamientos fenicios en Iberia, op. cit, p. 298, note n° 12..

(97) يعتبر "مانويل بيسير كاطلان" (M. Pellicer Catalan) أن تطور المنشآت الفينيقية بإيبيريا عرف ثلاث مراحل محددة، تسبقها مرحلة ماقبل-الاستيطان. ففيما يتعلق بالمرحلة الاولى، فقد حدثت ابتداء من الربع الثاني من القرن الثامن قبل الميلاد، مع تشييد "إيل مورّو دي ميسكيتيا" (El Morro de Mezquitilla)، و"شورّيراس" (Chorrearas)، و"المونييكار" (Almuñécar)، و"لوس طوسكانوس" (Los Toscanos)، و"صيرّو ديل فييار" (Cerro del Villar)، و"لامونتييا ديل ريو كواديارو" (La Montilla del Río Guadiaro)، و"قادس"، و"كاستييو دي دونيا بلانكا" (Castillo de Doña Blanca)، و"أدرا" (Adra)، و"ولبة" (Huelva). أما المرحلة الثانية، التي مثلت مرحلة ازدهار، فقد شملت القرن السابع قبل الميلاد، وتميزت بتدعيم المستوطنات القديمة بتشييد منشآت أخرى مثل "كابيصو دي بارّا" (Cabezo de Parra)، و"لافونطيطا" (La Fonteta)، و"لا لوما" (La Loma)، و"كافيلانيص" (Gavilanes)، و"صيرّو ديل برادو" (Cerro del Prado)، و"بينيون" (Peñón) و"ألاركون" (Alarcón) في "لوس طوسكانوس" (Los Toscanos) نفسها، و"بينيون دي صالوبرينيا" (Peñón de Salobreña). وتتميز المرحلة الثالثة التي امتدت على طول القرن السادس قبل الميلاد، بانتشار شامل لظاهرة الاستشراق، مع مساهمة للتجارة الاغريقية. خلال هذه المرحلة سيتم تشييد "فيياريكوس" (Villaricos-Baria)، و"كارّوشا" (Garrucha)، و"فوينخيرولا" (Fuengirola)، و"كاستيل دي فيرّو" (Castell de Ferro)، و"طورّوكس" (Torrox)، وجبل طارق، و"بويرطو دي سانتا ماريا" (Puerto de Santa María)، و"طورّيون دي إيصطيبونا" (Torreón de Estepona)، و"مالقة"، و"الخراكي" (Aljaraque).

انظر : Pellicer Catalan(M), Distribución y función de los asentamientos fenicios en Iberia, op. cit, p. 298.

(98) Lopez Pardo(F), Reflexiones sobre el origen de Lixus y su Delubrum Herculis en el contexto de la empresa comercial ..., op. cit, p. 91.

(99) Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 118-119.

أدواتهم المنزلية مباشرة من المتوسط الشرقي وإنزالها بسواحل المحيط الاطلنطي، وكذا طقوسهم الدينيـة وعاداتهم الجنائزية ».

من هنا نلاحظ أن الاسهام الاركيولوجي يعد أساسيا وربما حاسما للفصل في مسألة تاريخ تأسـيس ليكسوس، خصوصا بعد التأكيد القاطع على انعدام أي أثر بارز بالمركز سابق للقرن الثامن قبل الميلاد. فمن خلال الدراسة التي قام بها محمد حبيبي حول الصحون الفينيقية ذات البرنيق الاحمر المكتشفة في ليكـسوس، يتبين بوضوح أن ليكسوس عرفت استقرارا فينيقيا[100] خلال الثلث الاول من القرن الثامن قبل المـيلاد[101] (انظر لوحة XLIII). وهو تاريخ يعتبره الباحث المغربي سابقا لأقدم المراكز الفينيقية بإسبانيا المؤرخة بنهاية النصف الاول من القرن الثامن قبل الميلاد، وهي مركز "إيـــل مــورّو دي ميــسكيتيا" (El Morro de Mezquitilla)، و"شوريّراس" (Chorrearas) و"لوس طـوسكانوس" (LosToscanos)[102]. وهذا يعني أن بداية التوسعات الفينيقية نحو الساحل الاطلنطي للمغرب حدثت مع نهاية القرن التاسع قبل الميلاد ومطلـع القرن الثامن، المتزامنة مع بدء تسويق الصحون الفينيقية ذات البرنيق الاحمر نحو المراكز الفينيقية بـالغرب المتوسطي والساحل الاطلنطي، حسب "بيكاي" (P.M.Bikai)[103]. كما يتوافق هذا التاريخ مع المسار العام لعملية التوسع الفينيقي بالحوض المتوسطي، الذي استهل في الشرق وتوج بتأسيس قرطاجة فـي موسـطة الحوض في سنة 813/814 قبل الميلاد، لتكون قاعدة للتوجه الفينيقي نحو أقصى الغرب.

ولم تكن الصحون الفينيقية تمثل النوع الخزفي الوحيد الذي أكد على تشييد ليكسوس في القرن الثامن قبل الميلاد، بل أكدت على ذلك أيضا أنواع خزفية أخرى تنتمي الى هذه الحقبة. ومن بين الكسرات الواضحة المعالم في هذا الشأن، نذكر الجزء العلوي لابريق ذي القرص، الذي اكتشفه "ميكيل طراديل" في المـستوى الاستراتيغرافي رقم V باستبار الخروب، والذي يمكن تأريخه بكل دقة بالقرن الثامن قبل الميلاد[104]. كمـا نضيف العروة المزدوجة التي تنتمي الى الابارق ذات القرص التي اكتشفها "بونسيك" في حنية معبد H[105]. كما نذكر أيضا تأريخ "فيرناندو لوبيز باردو" (Fernando Lopez Pardo) لاعناق الامفورات التي اكتشفها "بونسيك" في مبنى A بالقرن الثامن قبل الميلاد[106]. علاوة على تأريخه للطاسات أو الـصحون القاربيـة الشكل المكتشفة في نفس المبنى بالقرن الثامن قبل الميلاد وبداية القرن السابع قبل الميلاد[107]. أضف الى ذلك الصحون ذات الحاشية الضيقة المطلية بالبرنيق الاحمر، المكتشفة من طرف "بونسيك" في ردم خزان معبـد F، والتي يمكن تأريخها حسب "فيرناندو لوبيز باردو" بمرحلة سابقة لسنة 700 قبل المـيلاد[108]. وكــذلك

---

(100) لا ريب أن الكشف عن الصحون ذات البرنيق الاحمر الفينيقي بأعداد كثيرة جدا، التي لاتستعمل سوى في متطلبات المطبخ، يعني وجود ساكنة فينيقية استقرت في مستوطنة ثابتة الى الابد.

(101) وقد تم الاستناد في ذلك الى توفر ليكسوس على نوع الصحون التي يبلغ عرض حاشيتها 11 مم، والتي تؤرخ بهذه الفترة. انظر :
Habibi(M), La céramique à engobe rouge phénicien de Lixus, op. cit, p. 151.

(102) Aubet(M. E), Los Fenicios en España : Estado de la cuestion y perspectivas, op. cit, p. 17.

(103) Bikai(P.M), The Pottery of Tyre, op. cit.

(104) Tarradell(M), Nuevos datos sobre la ceramica pre-romana de barniz rojo, op. cit, fig. 2, p. 246 ; Idem, Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, fig. 36, p. 149 ; Aranegui(C), Tarradell-Font(N), Lixus colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Apuntes para una Historia de la investigación arqueológica, op. cit, fig. 20, p. 24.

(105) Habibi(M), A propos du temple H et du temple de Melkart-Héraclès à Lixus, op. cit, p. 237.

(106) Lopez Pardo(F), Reflexiones sobre el origen de Lixus y su Delubrum Herculis en el contexto de la empresa comercial ..., op. cit, p. 89.

(107) Idem, Ibid, p. 89.

(108) Idem, Ibid, p. 89.

الامر فيما يتعلق بقارورات العطر الفينيقية التي تم العثور عليها في نفس الردم، والتي تؤرخ انطلاقا من تصنيف "رامون" (J.Ramon)[109] بالقرن الثامن قبل الميلاد.

ومن خلال الدراسة التي قامت بها "ماريا بيلين وآخرون" لمواد استبار الخروب المحفوظة في المتحف الاركيولوجي بتطوان، يتجلى أن آفاق القرن الثامن قبل الميلاد بليكسوس كانت أوضح مما يمكن تصوره[110]. فقد مكنت الصحون ذات البرنيق الاحمر، التي تميزت بحاشية يقل عرضها عن 30 ملمتر في الطبقات الاركيولوجية جميعها، من تأريخ تسلسل المستوى الاستراتيغرافي رقم V خلال كل القرن الثامن قبل الميلاد. وبذلك يمكن تأريخ العصر الفينيقي الاول بليكسوس حسب الباحثين الاسبان ما بين أقدم مرحلة بمركز "إيل مورّو دي ميسكيتيا" ، وبداية تشييد "شورّيراس"[111] ؛ أي من ما قبل سنة 750 قبل الميلاد بقليل الى الربع الاخير من القرن الثامن قبل الميلاد. كما أثبتت الاباريق ذات القرص نفس الكرونولوجية، وكذلك الامفورات، التي كانت شبه منعدمة في المستويات الاستراتيغرافية العميقة.

هذه الآفاق الواضحة للقرن الثامن قبل الميلاد، التي أضحت تدحض يوما بعد يوم الفرضية التي تعطي لتاريخ تأسيس ليكسوس عهودا غابرة[112]، ما فتئت أن أكدتها مؤخرا التنقيبات الحديثة التي أنجزتها البعثة المغربية-الاسبانية خلال عام 1999 في استبار الخروب. فقد كانت معظم الاواني الخزفية الفينيقية التي تم العثور عليها، تنتمي الى القرن الثامن قبل الميلاد، وخصوصا الصحون ذات البرنيق الاحمر، التي لا تتجاوز حواشيها 2,8 سنتمتر، وتتراوح أعداد كبيرة منها ما بين 2 سنتمتر و2,2 سنتمتر[113]. بل يوجد ضمن هذه الاواني من يحظى بتاريخ أقدم، نذكر منها الخزف المنقوش المصنوع باليد، الذي يؤرخ في إسبانيا مرارا بالقرن التاسع قبل الميلاد[114]. أما المواد الحديثة، فهي تؤرخ عموما بالقرن السابع قبل الميلاد، كالصحون التي تتميز بحاشية واسعة ومخدّدة. وهذا يعني أن المستويات الاستراتيغرافية لاستبار الخروب تناهز حوالي قرنا من الزمن، وأن الطبقات السفلى تعد سابقة لسنة 750 قبل الميلاد، وتقارب سنة 800 قبل الميلاد، كما كان قد توصل الى ذلك كل من محمد حبيبي و"ماريا بيلين " (M.Belén) بعد دراستهما لبعض الاواني الخزفية المكتشفة في الاستبارات السابقة.

---

(109) Ramon(J), Cuestiones de comercio arcaico : frascos fenicios de aceite perfumado en el Mediterraneo central y occidental, op. cit.

(110) Belén(M), Escacena(J.L.), Rodero(A), López Roa(C), Materiales de época fenicia de las excavaciones de Tarradell conservados en el museo de Tetuán, p. 94.

(111) Barceló(J.A), Curií(E), Montero(M), Párraga(M), Análisis estadístico de la variabilidad de los platos fenicios en el sur de la Península Ibérica, **IV congreso internacional de Estudios fenicios y púnicos, t. IV, Cádiz, 2000**, vol. IV, p. 1460, fig. 2.

(112) من المؤرخين الذين كانوا يشكون في قدم تأسيس ليكسوس، نذكر "كرسيا بييدو"(Antonio Garcia y Bellido)، رغم أن كتاباته صدرت في عصر كانت خلاله إيستوريوغرافية النصف الاول من القرن العشرين توافق ما جاءت به النصوص القديمة في موضوع تاريخ تشييد المستوطنات الفينيقية القديمة. انظر :

Garcia y Bellido(A), Fenicios y Carthagineses en occidente, op. cit, p. 23.

(113) Alvarez(N), Gómez Bellard(C), Habibi(M), De Madaria(J.L), La ocupación fenicia, op. cit, p. 82.

(114) نذكر في هذا الصدد أن الخزف الفينيقي المكتشف في إسبانيا، أضحى يؤرخ استنادا الى طريقة كاربون 14، ببداية القرن التاسع قبل الميلاد، وليس بالربع الاول من القرن الثامن قبل الميلاد. انظر :

Wagner(C.G), Los comienzos de la expansion fenicia en el Mediterraneo, p. 6-7 (document non daté téléchargé via Internet).

ومن المستجدات التي أفرزتها كذلك التنقيبات المنجزة في استبار الخروب خلال عام 1999، والتي يمكن توظيفها كرونولوجيا، نشير الى الانعدام التام للمستوردات الاغريقية الاستشراقية والعتيقة[115]. وإذا كانت هذه الملاحظة تعزى حسب ما يبدو الى عامل الصدفة فقط، فإن الخزف الاغريقي كان منعدما كذلك في جل الاستبارات السابقة التي وصلت الى الصخر الام بليكسوس. ولعل أن هذا الانعدام يُفسَّر بأن تشييد ليكسوس كان سابقا لبداية التوسعات الاغريقية في الحوض المتوسطي. الامر الذي يمكن أن يعني أن التجار الفينيقيين الوافدين على ليكسوس، لم يكونوا قد دخلوا بعد في علاقة تجارية مع الاغريق، كما فعل أحفادهم قرن بعد ذلك، عندما قاموا بتوزيع الخزف الاغريقي الرفيع الى تخوم جزيرة الصويرة[116].

وهكذا نلاحظ أن دراسة مواد استبار الخروب أضحت تؤكد على أن تاريخ تأسيس ليكسوس كان أحدث من التاريخ الذي اقترحه "ميشيل كرا" (M.Gras) في القرن التاسع قبل الميلاد[117]، وأقدم من التاريخ الذي اقترحته "ماريا إوخينيا أوبيت"[118]، أو "ميشيل بونسيك" في القرن السابع قبل الميلاد[119]. وبذلك تعد ليكسوس واحدة من أقدم المستوطنات الفينيقية بالغرب[120].

أما هل كانت ليكسوس سابقة لتأسيس قرطاجة أم لاحقة لها، فهذا أمر يصعب تأكيده، لانه مرتبط بمعرفة هل اتجاه التوسع الفينيقي كان يتبع خطا أحاديا من الشرق الى الغرب، أم أنه ابتدأ في الغرب بتحقيق

---

(115) Alvarez(N), Gómez Bellard(C), Habibi(M), De Madaria(J.L), La ocupación fenicia, op. cit, p. 82.

(116) أهم ظاهرة أثارتها مخلفات جزيرة الصويرة الأثرية هي العثور لأول مرة في المغرب على كسرات من الخزف الإغريقي العتيق، مما استدعى إذاك على المناداة على أحد المتخصصين لدراسته (Villard(F), Céramique gecque du Maroc, **Bulletin d'archéologie marocaine**, T. IV, 1960, p. 1-26). ويتكون الخزف الإغريقي المكتشف في جزيرة الصويرة من نوعين مختلفين، وهما الأمفورات الأيونية بما مجموعه أربع كسرات تعود إلى نوع واحد مصدره بلاد أيونيا بآسيا الصغرى، والأمفورات الأتيكية بحوالي عشرين شقفة من أصل ثمان أوان مختلفة مصدرها من أثينا (Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, chapitre II : La céramique grecque, p. 53 - 64 ; pl. XVII, XVIII, XIX ; fig . 12 - 13). فهل يمكن اعتبار أن العثور على الخزف الإغريقي في أبعد نقطة كانت تعرف في العالم القديم، يدل على وصول الإغريق أنفسهم إلى جزيرة الصويرة ؟ إنه الاعتقاد الذي خالج العديد من المؤرخين الأجانب المبالغين في مكانة التوسع الهليني في البحر الأبيض المتوسط، مما زادهم تكريسا لإديولوجيتهم المعادية إذاك للسامية. غير أن التطور السريع الذي عرفته الأركيولوجيا الفينيقية في السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين ساهم في رد الاعتبار للدور الحقيقي الذي لعبه الفينيقيون الساميون في الحوض المتوسطي. فقد أظهرت جل المكتشفات الأثرية أن التلاسقراطية الفينيقية كانت هي المهيمنة على الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط، وعلى مدخل مضيق جبَلْ طارق، وعلى الساحل الأطلنطي المغربي والإيبيري. فالخزف الإغريقي المكتشف في جزيرة الصويرة بأعداد قليلة –إذ لم تمثل نسبته بالمقارنة مع الخزف الفينيقي سوى خمسة بالمئة– لم يصل إلى المنطقة بواسطة الإغريق، بل بفضل التجار الفينيقيين الذين قاموا بمقايضته من عند الإغريق أنفسهم. ولا ينبغي أن نستغرب من ذلك، لأن الفينيقيين لم يقتصروا على الاتجار بالمواد المصنوعة خصيصا في فينيقيا، بل كانوا يقومون أيضا بتوزيع منتوجات بعض الشعوب المتوسطية الأخرى. فعند عبورهم بلاد مصر مثلا، كانوا يقومون بنقل القمح المصري ويوزعونه على بلاد الإغريق التي كانت تعرف نقصا في هذه المادة. ومن بلاد الإغريق كانوا ينقلون الخزف الآتيكي ليتقايضون به في سواحل إفريقيا الشمالية، التي يأخذون منها مادتي بيض النعام والعاج لنقلهما إلى أوروبا.

(117) Gras(M), La mémoire de Lixus, op. cit, p. 32.

(118) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, Barcelona, 1994, p. 257.

(119) يرى "ميشيل بونسيك" (M. Ponsich) أن تأسيس ليكسوس تأكد أركيولوجيا بفضل اكتشافه لبقايا معبد H الذي تم تشييده في القرن السابع قبل الميلاد. انظر :

Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 132.

(120) غير أن الباحثين الاسبان يرون أن ليكسوس تأسست في نفس مرحلة تأسيس مركز "إيل مورّو دي ميسكيتيا" (El Morro de Mezquitilla)، وأنها كانت معاصرة لمركز "كاستييو دي دونيا بلانكا" (Castillo de Doña Blanca). انظر :

Belèn(M), Escacena(J.L.), Rodero(A), López Roa(C), Materiales de época fenicia de las excavaciones de Tarradell conservados en el museo de Tetuán, p. 94.

من موارد طرطسوس[121]. واستنادا لكون قرطاجة قد تأسست حسب النصوص في نهاية القرن التاسع قبل الميلاد، وكانت أقدم الآثار الاركيولوجية المكتشفة في مدافنها القديمة تؤرخ بالقرن الثامن قبل الميلاد، يـرى "ميشيل بونسيك"[122] أنه من المنطقي أن تكون ليكسوس قد تأسست خلال مرحلة معاصرة، إن لم تكن في عهد لاحق. الامر الذي جعله يرجح أن يكون أهل صور قد أسسوا أول الامر قرطاجة، ثم ليكسوس بعد ذلك، تبعا للمسار الاحادي الاتجاه الذي كان يتبعه التوسع الفينيقي، اعتمادا على الفكرة التي ترى أن أقدم المستوطنات الفينيقية كانت في الشرق وليس في الغرب[123]. ويستدل "ميشيل بونسيك" لترجيح هـذا الـرأي علـى أن المحتويات المكتشفة في مدافن ناحية طنجة[124]، التي لم تكن تتعدى القرن الثامن قبل الميلاد، كانت محتويات تعرف تأثيرا لثقافة عصر البرونز وليس تأثيرا لحضارة الفينيقيين[125]. وهذا يعني أنه قبل القرن الثامن قبـل الميلاد، لم يكن الفينيقيون قد دخلوا بعد في علاقات تجارية مع سكان هذه المدافن، وإلا لكانت عملية المثاقفة قد أدت مفعولها. وهي الملاحظة التي يمكن تطبيقها على المنتوج المحلي بليكسوس المعاصر للمنتوج الفينيقـي الذي لم يكن يتميز بأي تأثير فينيقي واضح.

ونظرا لتوفر ليكسوس على مستويات أركيولوجية فينيقية تؤرخ ابتداء من سنة 800 قبـل المـيلاد، تخلص "كرمين أرانيكي" (C.Aranegui)[126] الى كون الفرضية التي اعتبرت أن وجود الفينيقيين بالسواحل الاندلسية كان سابقا لوجودهم بالسواحل المغربية، أضحت فرضية متجاوزة. بمعنى أن التوسع الفينيقي نحـو الجنوب كان مخططا من طرف صور منذ أوائل القرن الثامن قبل الميلاد، وليكسوس تقدم معلومات دامغة في هذا الصدد.

ومن جهة أخرى يتبين أيضا أن ليكسوس حافظت على علاقات تجارية متينة مع فينيقيا خلال القرن الثامن قبل الميلاد برمته، الى حدود حوالي عام 690 قبل الميلاد. ذلك أنه ابتداء من العقد الاول من القـرن السابع قبل الميلاد، يلاحظ أن الصحون ذات البرنيق الاحمر الفينيقي أصبحت نادرة جدا في ليكسوس. كما أن الاشكال المتأخرة للقرن السادس قبل الميلاد، والتي يبلغ عرض حاشيتها 80 مم، أضحت بدورها شبه منعدمة. وهي الاشكال التي كانت حاضرة في مركز موكادور الفينيقي[127]، الذي عرف توافدا فينيقيا منذ نهاية القرن الثامن قبل الميلاد وبداية القرن السابع قبل الميلاد، واستمر الى أواسط القرن السادس قبل الميلاد (انظر لوحة XLIII). وتطرح ندرة هذه الصحون بليكسوس خلال القرن السابع قبل الميلاد مسألة تجارة هذا النوع مـن الاواني الخزفية مع فينيقيا. كما يطرح الانعدام الشبه الكلي للمنتوجات المتأخرة لهذا النوع قضية العلاقات بين

---

(121) Alvarez(N), Gómez Bellard(C), Habibi(M), De Madaria(J.L), La ocupación fenicia, op. cit, p. 82.

(122) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p.131.

(123) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit.

(124) العزيفي (محمد رضوان)، الفينيقيون بفحص طنجة وعلاقاتهم بالسكان "من خلال مقابر ناحية طنجة ومحتوياتها المؤرخة ما بين القرن السابع قبل الميلاد وأواسط القرن السادس قبل الميلاد"، المرجع السابق.

(125) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 132.

(126) تجدر الاشارة أنني لم أقم بالترجمة الحرفية لما خلصت إليه عالمة الآثار الاسبانية "كرمين أرانيكي" (C. Aranegui)، وذلك بغية تقريب القارئ من المعنى المقصود. انظر :

Aranegui(C), Conclusiones, **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico- mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra** 4, 2001, cap. XVII, p. 254.

(127) يعتبر موكادور المركز الفينيقي الوحيد المكتشف بالمغرب الذي يوفر إمكانيات لمقارنة الصحون ذات البرنيق الاحمر الفينيقي بنماذج ليكسوس. وكان عرض حاشية صحون موكادور يتراوح بين 32 مم و80 مم (Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 72-81). وهذا يعني أن توافد الفينيقيين على هذا المركز حدث في وقت لاحق بكثير لاستقرارهم بليكسوس.

ليكسوس وفينيقيا، خصوصا وأننا نعلم أن تسويق الصحون ذات البرنيق الاحمر الفينيقي صوب موكادور استمر خلال كل القرن السابع قبل الميلاد الى بداية القرن السادس قبل الميلاد.

ولعل أن أهم استنتاج نخرج به من خلال المعطيات الاركيولوجية، أن أقدم وجود فينيقي بالساحل الاطلنطي للمغرب كان بليكسوس، وأن تشييد الفينيقيين لمحطة لهم بجزيرة الصويرة حدث حوالي قرن من ذلك، لان المنتوج الاركيولوجي الفينيقي المكتشف هناك كان أحدث[128]. كما يمكن اعتبار أن بداية الوجود التاريخي لليكسوس، لا يمكن تحديده ـ على العكس مما توحي به المصادر القديمة ـ سوى ابتداء من أواخر القرن التاسع قبل الميلاد وأوائل القرن الثامن قبل الميلاد، مع اعتماد سنة 800 قبل الميلاد كتاريخ مفترض للتأسيس.

---

(128) Aranegui(C), Belén(M), Fernández Miranda(M), Hernández(E), La recherche archéologique éspagnole à Lixus : Bilan et perspectives, op. cit, p. 11.

الفصل السادس عشر
ليكسوس ومعبد ملقـــارت

حسب الروايات القديمة، يلاحظ أن تأسيس ليكسوس، كما كان الشأن بالنسبة لقادس، سبقه تشييد معبد مهدى للإله الفينيقي "ملقارت" (Melqart). والجدير بالتذكير في هذا الصدد أن الإيستوريوغرافيا الاغريقية-اللاتينية، سواء في حالة ليكسوس أو قادس أو غيرهما من الحالات، كانت دائما تورد الاله ملقارت على الصيغة الاغريقية "هرقليس" أو على الصيغة اللاتينية "هرقل"[1]. وقد أثار ارتباط تأسيس ليكسوس بمعبد ملقارت جدالا واسعا بين المتخصصين، سواء فيما يتعلق بوجود المعبد أو عدمه، أو بموقعه المفترض، أو بهوية هرقليس-ملقارت، أو بالمكانة الحقيقية لمعبد ملقارت في عملية التوسع الفينيقي، إن في الحوض المتوسطي أو بالساحل الاطلنطي للمغرب.

I – وجود معبد ملقارت بليكسوس بين التأكيد المصدري والاستنتاج الاركيولوجي :

1) المصادر القديمة :

حسب المصادر القديمة، وردت مسألة معبد ليكسوس في ثلاث حالات، سواء على صيغة مذبح لهرقليس، أو على صيغة معبد لنفس الإله[2]. ونجد الحالة الاولى لدى "استرابون" (Strabon) حيث أورد أن خليج الوكالات التجارية الفينيقية الموجود مباشرة جنوب ليكسوس، كان يتوفر على ذراع بحرية يقابلها مذبح لهرقليس. يقول "استرابون" في هذا الصدد[3] :

« ... يحكى أن خليج الوكالات التجارية يتوفر على تجويف يلجه البحر عند المد على مسافة طولها سبع غلوات ؛ وأمام هذا التجويف، تمتد أرض منخفضة ومتماسكة، يعلوها مذبح لهرقليس لا تغمره المياه أبدا... ».

أما الحالتان الثانية والثالثة، فنجدهما حاضرتين لدى "بلينيوس" (Pline)، حيث أورد في نصين مختلفين ما يلي :

« ... ويحتوي هذا المصب على جزيرة التي وسط منطقة أكثر ارتفاعا بشكل ملموس، تظل وحدها في مأمن عن غمر المد. في الجزيرة ينتصب مذبح لهرقل ...»[4].

«... في المصب النهري الذي توجد به مدينة ليكسوس، ...، على بعد مائتي قدم من المحيط، بالقرب من معبد هرقل يعتبر أقدم من معبد قادس...»[5].

---

(1) حول مطابقة هرقليس-هرقل للاله ملقارت الفينيقي، انظر :
Picard(C) et Picard(G.Ch), Hercule et Melqart, Hommages à Jean Bayet, Coll. Latomus, LXX, Bruxelles-Berchem, 1964, p. 569-578 ; Piganiol(A), Les origines d'Hercule, Hommages à A. Grenier, III, Bruxelles, 1962, p. 1261-1264 ; Van Berchem(D), Hercule-Melqart à l'Ara Maxima, Rendioonti della Pontilicia Accademia Romana di Archeologia, Serie III, vol. XXXII, 1959-1960, p. 61-68 ; Idem, Sanctuaires d'Hercule-Melqart. Contribution à l'étude de l'expantion phénicienne en Mediterranée, **Syria XLIV**, 1967, p. 72-109.

(2) Gras(M), La mémoire de Lixus, op. cit, p. 28 ss.

(3) Strabon, XVII, 3, 3.

(4) Pline, Histoire Naturelle, V, 2-4 ; ap. Desanges(J), Sources littéraires antiques sur Lixos, op. cit, p. 407.

(5) Idem, Ibid, XIX, 63 ; ap. Desanges(J), Sources littéraires antiques sur Lixos, op. cit, p. 407 ; Roget(R), Le Maroc chez les auteurs anciens, op. cit, p. 35.

من خلال هذه الاشارات، نستشف أن المصادر القديمة، عند ذكرها لليكسوس كمنشأة ذات ماض عريق، لم تتوان في التذكير بحضور مذبح أو معبد ملقارت الى جانبها. الامر الذي يجعلنا نرجح وجود علاقة وطيدة بين حضور المعلمة الدينية وبين تأسيس المستوطنة، بنفس الشكل تقريبا الذي عرفته قادس حيث كان تشييد المعبد سابقا لتأسيس المدينة، وعرفته كذلك أوتيكا. ومن المعلوم أن هاتين المستوطنتين تعدان الى جانب ليكسوس، من أقدم المنشآت التي أسسها الفينيقيون خلال توسعاتهم البحرية. من هنا يبدو أن تشييد الفينيقيين لمذبح أو معبد ملقارت بليكسوس خلال قدومهم لاول مرة الى الساحل الاطلنطي المغربي، يدخل ضمن نفس السياسة التي نهجتها صور ومعبدها عند تأسيسهم للمستوطنات التي ستأخذ بعدا استيطانيا وتجاريا.

وحول الفرق الظاهري الذي يبدو بين المذبح والمعبد الوارد في هذه النصوص، يوضح "ميشيل كرا" أن الامر لا يدعو الى الاستغراب أو الى الاعتقاد بوجود معلمتين مختلفتين، لان المعبد والمذبح يعتبران عنصرين متلازمين ومتكاملين في الديانة الفينيقية[6]. وفي هذا الصدد، يجدر التذكير أن المؤلف والفيلسوف "فلافيوس فيلوسترات" (Flavius Philostrate)، المعروف بالأثيني، أورد أن معبد قادس كان يضم بداخله ثلاثة مذابح[7]. كما أشار الفيلسوف الاغريقي "بورفير" (Porphyre) أن أعمدة معبد قادس كانت منتصبة أمام مذبح الرب[8]. وكيفما كان الحال، فإن عبارة مذبح كانت تستعمل عموما في السياق الطوبوغرافي، بينما استعملت عبارة معبد في السياق الكرونولوجي ؛ الامر الذي لا يدعو الى الاستغراب، لأن المعبد مثّل مكانا للذاكرة بفضل أرشيفاته وكهنته[9].

فهل كانت ليكسوس تتوفر فعلا خلال مرحلتها الفينيقية على معبد للاله ملقارت ؟ إذا كان الامر كذلك، فأين كان موقع هذا المعبد المفترض، وكيف كان شكله ؟

2) الفحص الاركيولوجي :

من العناصر البارزة في ليكسوس التي توحي بأن المدينة كانت تمثل على طول مراحل تاريخها مركزا دينيا هاما، هو الكشف عن حي ضخم للمعابد في أعلى ربوة المدينة[10]. فابتداء من سنة 1958، والى غاية 1967، استطاع "ميشيل بونسيك" بمعية "ميكيل طراديل"، أن يكشف عن مجموعة من المعابد وبعض الملحقات التابعة لها، تنتمي حسب مكتشفها الى مرحلة تمتد من العصر الفينيقي الى عصر يوبا الثاني[11]. وقد عُرف كل معبد من هذه المعابد بحروف لاتينية، وهي حرف D و F و G و H، والمباني التابعة لها بحروف A و B و C و E و I. وبذلك تعتبر ليكسوس المركز الوحيد بالمغرب الذي كشف عن حي مهم للمعابد، مما ينم عن أهمية مؤسسة المعبد في المدينة. وهي المؤسسة التي ظهرت للوجود منذ العصر الفينيقي، واستمرت

---

(6) Gras(M), La mémoire de Lixus, op. cit, p. 28.

(7) Philostrate, Vie d'Apollonios de Tyane, V, 5.

(8) Porphyre, De abst. I, 25.

(9) مما لاشك فيه أن "بوسيدونيوس" (Poseidonios)، الذي اعتمد عليه "استرابون" (Strabon)، والذي قام بزيارة الى قادس في حوالي سنة 100 ق.م، يعد من أهم المصادر حول المعابد الفينيقية الاصل في الغرب. فهو يورد معلومات في غاية الدقة، من بينها أن مؤسسي معبد قادس كانوا من صور، وأن المعبد كان يوجد في الطرف الآخر من المدينة، وله عمودان. وهذا يعني أن مصدر معلوماته مثله كهنة المعبد، الذين اشتهروا في حضارة الشرق القديم بتوثيقهم. وفي هذا الصدد، يعتبر "ميشيل كرا" (M. Gras) أن مصدر الاشارة الى معبد ليكسوس، التي تعكس فكرة الارشفة لتأسيس المدينة، يجدر البحث عنها لدى كهنة قادس. انظر :
Gras(M), La mémoire de Lixus, op. cit, p. 30.

(10) وهذا ينم حسب "ميشيل بونسيك" (M. Ponsich) عن وجود حي ديني حقيقي في أعلى أكروبول المركز. انظر :
Ponsich(M), Fouilles puniques et romaines à Lixus, op. cit, p. 18.

(11) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit ; Idem, Fouilles puniques et romaines à Lixus, op. cit, p. 18-21.

منشآتها بشكل شامخ خلال العصور اللاحقة. وهذا ينم عن الدور الذي كان يقوم به المعبد كقطب أساسي في اقتصاد المدينة، باعتباره ربما النواة الاولى المسؤولة عن تأسيس المستوطنة على يد الفينيقيين، والراعية لمصالح الفينيقيين بالمنطقة وبالساحل الاطلنطي للمغرب. الامر الذي يفسر لماذا كان علماء الآثار يكشفون عن العديد من العناصر الاركيولوجية الدالة عن أهمية الدين في ليكسوس، نذكر منها منحوتة تمثل أباهول مجنح فينيقية الاصل [12]، ورأس تمثال حجري من الطراز العتيق [13]، وقدم تمثال نذري صغير [14]، وقناع تزييني برونزي له علاقة بإله بحري فينيقي الاصل [15].

---

[12] في المنطقة الموجودة بين السفح الجنوبي لمركز ليكسوس وبين هضبة الشميس، عثر "ميكيل طراديل" عام 1950 في سطح الاستبار المعروف باستبار "البازيليك" على منحوتة تمثل سفنكس مجنحا فينيقي الاصل. وهي قطعة تعود الى جزء من عرش إلاهي، مصنوعة من المرمر الابيض الوردي، يبلغ طولها 28,5 سم وعلوها 32 سم وعرضها 10 سم. وتستوي الصورة المجسدة لأبي الهول فوق قاعدة رخامية ملساء علوها 5,5 سم تتألف من عدة شرائط أفقية متماثلة. وعندما أورد "ميكيل طراديل" هذه القطعة الاثرية في مؤلفه "المغرب البونيقي"، فإنه لم يكن متيقنا من تصنيفها ضمن المعثورات الفينيقية البونيقية. غير أنه انتبه بحق الى الطابع الشرقي المحض لقطعة ليكسوس، التي تنتمي الى عروش الارباب التي تكون محفوفة بتمثالين لابي الهول. ومن خلال الدراسة القيمة التي أنجزتها الباحثة التونسية زهرة الشريف حول صورة أبي الهول بالمخلفات الاركيولوجية المكتشفة بقرطاجة، تبيّن أن سفنكس ليكسوس، بالرغم من مسألة صعوبة تأريخه، يتصف بجل المميزات الفنية الواردة في نظائره الفينيقية-البونيقية، سواء في شكل الجسد السنوري، أو في الجناح أو في شكل الرأس. ومما يدل على الاصول الفينيقية لابي هول ليكسوس، أنه كان شبيها في شكله العام بنموذج سوسة المؤرخ بالقرن الخامس قبل الميلاد، ويحظى ببعض الشبه مع النموذج المرافق للعرش الالهي المنحوت على تابوت "أحيرام" (Ahiram) ملك جبيل، المؤرخ عموما خلال القرنين الثالث عشر والثاني عشر قبل الميلاد، أو خلال القرن العاشر قبل الميلاد. كما تعتبر قطعة ليكسوس من المنتوجات المرتبطة بالمعتقدات الفينيقية، لأنها كانت تمثل جزءا من العروش الالهية التي كانت حاضرة بشكل كبير ضمن المنتوج الحضاري ذي الجذور الفينيقية، سواء في الشرق الفينيقي أو في المستوطنات الغربية ذات العلاقة الوطيدة بصور. وفيما يتعلق بتاريخ صنع هذه القطعة، فإن هذه المسألة كانت حاضرة منذ الاشارة إليها لاول مرة من لدن "ميكيل طراديل"، لما كان يتأرجح بين اعتبارها منتوجا رومانيا لا يتعدى القرن الثاني للميلاد، وبين ميوله لاعتبارها منتوجا بونيقيا. غير أن "بيير سانتاس" يرجح أن سفنكس ليكسوس يتصف بتأثيرات العصر الهيلينيستي للقرنين الرابع والثالث قبل الميلاد، وأن تاريخ الصنع لم يكن يتعدى القرن الثاني قبل الميلاد. ومع أن الباحث الاسباني "خوسي ماريا بلاسكيس" (J.M. Blazquez)، يورد أن سفنكس ليكسوس صنع خلال عصر الامبراطور الروماني "هدريانوس" (Hadrianus)، يبدو أن رأي "سانتاس" هو الاقرب للصواب. وذلك إذا أخذنا بعين الاعتبار ملاحظة "إيريك كوبيل" (Eric Gubel) في كون أغلبية العروش الفينيقية المحفوفة بسفنكسين التي تم الكشف عنها، تعود الى العصر الهيلينيستي. كما نجد نفس الرأي واردا كذلك لدى الباحثة البلجيكية "كورين بونيط" (C. Bonnet) التي تعتبر أن المظهر الهيلينيستي لقطعة ليكسوس تجعله يؤرخ في حدود القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد. وفيما يتعلق بمصدر قطعة ليكسوس، فالغالب على الظن أنها كانت مستوردة من إحدى المصانع الشرقية المتخصصة في إنتاج المواد الرفيعة، خصوصا إذا علمنا أن فينيقيا عرفت مصانع كثيرة لتحويل مادة المرمر الى تحف فنية. الامر الذي ينم عن العلاقات المتينة والمستمرة التي كانت تجمع ليكسوس بمؤسسيها الفينيقيين الاوائل. ومن ناحية ثانية، يدل ارتباط القطعة بالعروش الفينيقية الالهية، أن مؤسسة المعبد كانت حاضرة بقوة إبان ورود هذه القطعة على ليكسوس. كما ينم العرش الالهي الذي يعود إليه السفنكس، عن وجود معبد محتفظ بممارسة الطقوس الدينية الفينيقية، ومحتفظ على إحدى الاثاث الطقسية الحاضرة منذ القدم في جل المراكز المتشبعة بالحضارة الفينيقية. كما يوحي الحجم الكبير للعرش الالهي المفترض، بضخامة المعبد وأهميته، وينم صنع القطعة من مادة الرخام الرفيع عن غنى هذا المعبد. انظر:

العزيفي (محمد رضوان)، سفنكس ليكسوس والعروش الإلهية الفينيقية، المرجع السابق. وانظر أيضا :

Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 153 et p.172 ; Idem, Guía arqueológica del Marruecos español, op. cit, pl. n° 4 et n° 18 ; Cintas(P), Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc, op. cit, p. 65 ; Idem, Le sanctuaire punique de Sousse, **Revue Africaine**, 91 (1947), p. 1-80 ; Cherif(Z), L'image du sphinx sur les monuments carthaginois, **R.E.P.P.A.L, IV**, 1988, p. 171-203 ; Delcor(M), Les trônes d'Astarté, **Atti del I Congresso internazionale di studi Fenici e Punici, Roma, 5-10 nov. 1979**, Rome, 1983, p. 777-787, pl. CXLVI-CL ; Fantar(Mh), La religion phénicienne et punique de Lixus : témoignages de l'archéologie et de l'épigraphie, op. cit, p. 116-117 ; Bonnet(C), Les divinités de Lixus, op. cit, p. 126 ; Blàzquez(J.M), Tartessos y los orígines de la colonización fenicia en Occidente, op. cit, p. 191 ; Gubel(E), **Trône**, Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique, op. cit, p. 472.

فكيف تعامل الفحص الاركيولوجي في البحث عن موقع معبد ملقارت بليكسوس، باعتباره أحد المعابد التي ارتبطت ارتباطا وثيقا بالمدينة حسب الايستوريوغرافيا القديمة والحديثة ؟

قبل التعرض الى ذلك، تجدر الاشارة أن التأكيد الاركيولوجي على وجود معبد ملقارت، لم يكن بالامر المتوخى، سواء في ليكسوس أو في غيرها من المدن والمنشآت الفينيقية التي اشتهرت بتوفرها على معبد هام لملقارت، مثل صور وقرطاجة وقادس. وإذا كان المؤلفون الكلاسيكيون قد عرفوا مثلا معبد قادس

---

(13) في نهاية القرن التاسع عشر، تم العثور بليكسوس على رأس حجرية تمثل شخصا ذكرا من الطراز العتيق كانت مصنوعة حسب "هنري دي لامارتينيير" (Henri de la Martinière) من "الحث الايوسيني يوجد في حالة نخرة، حالت دون إعطائه طابعا محددا. غير أن طريقة تسريحة الشعر تنم عن طابع عتيق بارز". وقد اعتبر "ستيفان كسيل" في عصره أن هذه المنحوتة كانت تمثل إحدى المخلفات الوحيدة عن الماضي الفينيقي لليكسوس، الى جانب "كتابة لامارتينيير" وبقايا سور المدينة. انظر :

De La Martinière(H), Recherches sur l'emplacement de la ville de Lixus, op. cit, p. 141 et pl. VIII ; Gsell(S), Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord, op. cit, t. II, p. 173.

(14) ذكر "ميشيل بونسيك" أنه عثر بالمستويات القديمة خلال الاستبارات التي أجراها في المبنى A، خصوصا في الاستبار رقم 8، على قدم صغير مصنوع من الطين النضج، مصدره تمثال نذري صغير. انظر :

Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 32, fig. 6, p. 31.

(15) خلال الكشف عن الساحة العمومية لمدينة ليكسوس، تم العثور على قناع برونزي (antéfixe) كان يمثل عنصرا تزيينيا لحجب فجوات القرميد، يعود تاريخه الى القرن الاول قبل الميلاد. وقد صنع القناع من مادة البرونز المنصهر، الملآن الجوف، والناعم من الجهة الخارجية. ويبلغ محوره الافقي 25 ستم، ومحوره العمودي أقل من ذلك بقليل. ويقدم "ميكيل طراديل" بعض الاوصاف حول القناع، من بينها أنه يمثل وجها تتكون لحيته من قشور القشريات، وأن شعر الرأس يمتزج باللحية ممثلا إكليلا من الشعر. وتتأ من الوجه المختلط بالرأس ملقطتا سرطان البحر، وعدة رؤوس أسماك من نوع الدلافين على ما يبدو. ويعتبر "طراديل" أن القطعة تعد روعة في الجمال، وتعطي للوجه قوة تعبيرية، تمتزج فيها قساوة النظرة الرشيقة، بالغيض والغضب. أما العينان فيما عبارة عن بؤبؤين تم تشكيلهما بدائرتين متمركزتين منحوتتين بشكل بارز. من خلال هذه الاوصاف، يتبين أن طابع الاله البحري في هذا القناع لا يمكن نكرانه. وهذا ما اتفق عليه كل المؤلفين الذين سبقوا "طراديل" في دراسة القطعة، مثل "بيلايو كينطيرو" (Pelayo Quintero) و"أنطونيو كرسيا بييدو" (Antonio Garcia y Bellido) و"لويس شاطلان" (L. Chatelain). فقد اعتبروا جميعا أن الوجه المصور في القناع يمثل الاله "أوقيانوس"، وصنفوه ضمن المنتوجات الهيلينيستية أو الرومانية. غير أن "شارل بيكارد" (Charles Picard) الذي قام بعد ذلك بدراسة هذا القناع، استبعد أن يقرنه بالاله "أوقيانوس"، واقترح قراءة جديدة لمسألة مصدره. فقد اعتبر أن الصورة الفظة المعبر عنها في القناع، والمتميزة بوجه عريض ومفلطح، وبنظرة قاسية وأنوفة بعض الشيء، وبفم مفتوح، لا علاقة لها بما هو إغريقي. ونظرا لكون هذه الصفات كانت غريبة عن الملامح المميزة للمنتوج الفني الهيليني، فقد اقترح "بيكارد" أن تكون صورة القناع تجسيدا للاله "هدد" (Hadad)، الذي يعتبره الباحث الفرنسي معبودا فينيقيا. ومهما كان الاسم الحقيقي للإله الذي تم تشخيصه من خلال قناع ليكسوس، فإن طبيعته البحرية لا يمكن نكرانها، كما يؤكد على ذلك "شارل بيكارد". كما لاريب أنه كان يعكس صورة معبود بحري ذي الاصول الفينيقية-البونيقية، حسب محمد فنطر، الامر الذي ينم عن ارتباط ليكسوس بالبحر. وذلك سواء باعتبارها مناء ملاحيا هاما على المحيط الاطلنطي، أو ميناء متخصصا في استغلال الثروات البحرية للاقليم. كما يُرَجح أن يكون القناع، الذي يعتبر عنصرا تزيينيا لحجب فجوات القرميد، من مكونات إحدى المباني الضخمة التي عرفتها ليكسوس خلال القرن الاول قبل الميلاد. والغالب على الظن أن هذه المباني، التي خلفت للوجود إحدى الاثاث المرتبطة بالمعتقدات ذات الاصول الفينيقية الحاضرة في ليكسوس مثل السفنكس السالف ذكره، لا يمكن أن تمثلها سوى المعابد. الامر الذي يرجح أهمية ليكسوس كمكان بارز للعبادة والتعبد، وينم عن دور مؤسسة المعبد في المركز منذ قدوم الفينيقيين. انظر :

Tarradell(M), Marruecos púnico, op. cit, p. 170 ; Marion(J), Les monnaies de Shemesh et des villes autonomes de Maurétanie tingitane au musée Louis Chatelain à Rabat, op. cit, p. 64 ; Quintero(P), Principales objetos que se conservan en el Museo arqueológico de Tetuán, Tetuán, 1942, p. 19 ss ; Garcia y Bellido(A), Máscara de bronce de Oceanus hallada en Lixus, **Archivo Esp. Arqueol. XIV** (1940-1941), p. 175 ; Chatelain(L), Le Maroc des Romains, Paris, 1944, p. 60 ; Picard(Ch), A travers les Musées et les sites archéologiques de l'Afrique du Nord, I. Le Maroc, **Revue Archéologique**, 1947, p. 173 ; Fantar(Mh), La religion phénicienne et punique de Lixus : témoignages de l'archéologie et de l'épigraphie, op. cit, p. 117.

وزاروه ووصفوه[16]، فإن الابحاث الاركيولوجية لم تتمكن من العثور على بقاياه، باستثناء الكشف عن الطريق المعبدة التي كانت تؤدي من قادس الى المعبد، والتي كانت تدعى "Via Heraclea". وهذا يعني أن معبد ملقارت لم يشيد داخل المستوطنة الفينيقية، بل خارجها، بعيدا عنها بحوالي 18 كلم[17]. أما في أمر ليكسوس، فإن الاشارة التي أوردها "بلينيوس الشيخ" (Pline l'Ancien)[18] حول توفر المدينة على معبد لملقارت أقدم من معبد قادس[19]، أكسبتها الصعود الى مرتبة تجعل منها واحدة من أقدم المستوطنات الفينيقية بالغرب المتوسطي. واستنادا لذلك، اعتبر "ميشيل بونسيك" أن معبد H الذي اكتشفه في حي المعابد يعتبر معبدا فينيقيا، وأنه لا يمكن أن يكون سوى معبد ملقارت نفسه الذي تحدثت عنه المصادر القديمة، مما حدى به الى مضاهاته بمعبد قادس[20].

فهل كان معبد ملقارت بليكسوس يوجد بالفعل داخل المدينة، أم أنه كان مثل معبد قادس يوجد خارج أسوارها ؟

أ- معبد H بحي المعابد وعلاقته بمعبد ملقارت :

يعتبر "ميشيل بونسيك" أن معبد H، الذي نقبه عام 1964، يعد أقدم المعابد التي عرفتها ليكسوس، وأكبرها حجما[21]. ونظرا لضخامة هذا المعبد المفترض، لم يتوان في اقترانه بالمعبد المهدى للاله "ملقارت" الذي تحدث عنه المؤرخ الروماني "بلينيوس" على صيغة "معبد هرقل"[22]. ويوجد هذا المعبد في أقصى شمال حي المعابد (انظر لوحة XXIX)، ويعتقد مكتشفه أن مساحته كانت تغطي الجزء الاكبر لهضبة ليكسوس، التي تمثل المساحة المنبسطة الوحيدة بالمركز[23]. ولم يبق ظاهرا للعيان عن هذا الصرح حسب نفس المؤلف سوى بعض الجدران الجانبية، وحَنِيَّة المعبد (abside) الشمالية النصف الدائرية الشكل، والتي تعطينا صورة عن ضخامة المبنى بحكم أبعادها الكبيرة (انظر لوحة LXXVI و LXXVII). وقد شيدت هذه الحنية تبعا للتقنية المعروفة باسم "ترتيب الحجارة بالتدعيم" (Appareil à crochet) ذات النوع الميكاليتي أو "السيكلوبي" حسب تعبير "ميشيل بونسيك"[24]، حيث تعدى حجم بعض الكتل الحجرية متران مكعبان. ويبلغ حجم هذه الحنية من الداخل 19,40م، وعرض سورها 1,40م[25]. وهي تتوفر في محورها الشمالي على نتوء مستطيل الشكل،

---

(16) Pomponius Mela, III, 46 ; Philostrate, Vie d'Appollonios de Tyane, V, 5 ; Strabon, III, 5, 5-8 ; Silius Italicus, Punica, III, 29 et III, 32-44 ; Diodore de Sicile, V, 35, 5 et V, 20 ; Pausanias, X, 4, 5.

وانظر أيضا النصوص المتعلقة بالموضوع الواردة عند :

Bunnens(G), L'expansion phénicienne en Méditerranée (Essai d'interprétation fondé sur une analyse des traditions littéraires), Institut historique belge de Rome, t. XVII, 1979, p. 388-389.

(17) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 234

(18) Pline, Histoire Naturelle, V, 3.

(19) غير أن الباحث الاسباني "فيرناندو لوبيز باردو" يعتبر أن المقارنة بمعبد قادس التي أوردها "بلينيوس الشيخ"، لا تعني بالضرورة أن معبد ليكسوس كان أقدم. انظر :

Lopez Pardo(F), Reflexiones sobre el origen de Lixus y su Delubrum Herculis en el contexto de la empresa comercial fenicia, op. cit, p. 85.

(20) Ponsich(M), Fouilles puniques et romaines à Lixus op. cit, p. 17.

(21) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 97.

(22) Ponsich(M), Fouilles puniques et romaines à Lixus op. cit, p. 17.

(23) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 97 ; Niemeyer(H.G), Lixus : Fondation de la première expantion phénicienne, vue de Carthage, op. cit, fig. 3, p. 48.

(24) Ponsich(M), Fouilles puniques et romaines à Lixus op. cit, p. 17.

(25) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, pl. XXXII, p. 99.

يبلغ عرضه 3,50م وعمقه 1,60م، كان بدون شك يمثل مكانا لاقامة الشعائر. ونظرا لتوغل أسس بناء الحنية في عمق يبلغ 1,20م تحت مستوى سطح الارض، فإن "بونسيك" يعتقد أن مرد ذلك يعود الى تحمل وزن بناية مرتفعة للغاية[26].

وفي موسطة هذه المنشأة، تم تشييد بناية مربعة بحجارة مرتبة تبلغ مساحتها ثلاثة أمتار مربعة، كانت تستخدم كقاعدة لمذبح تم تخريبه عن آخره، الى حدود 0,40م من سطح الارض. وحول الجدران الخارجية لهذا المبنى، وجدت وطيدة بالملاط يبلغ متوسط عرضها 0,15 م، تحتوي على بقايا طلاء من المغرة الحمراء.

وجنوب هذه الحنية يوجد سور عرضاني ذو واجهة واحدة من جهة الجنوب كان يمثل لا ريب قرص الدَّرَج، الذي كان يفصل الحنية عن فناء المعبد. وهذا يعني أن هذه الحنية كانت تمثل نوعا من الحرم المقدس، لا يلجه سوى الكهان، مما يجعلها أقل استقطابا لعامة المصلين، الذين كانوا لا يترددون سوى الى الفناء. ويوجد هذا الفناء حاليا مطمورا تحت أنقاض معبد F، الذي شيد بالضبط في نفس محور معبد H (انظر لوحة XXIX). وقد عثر "بونسيك" على أجزاء أعمدة مطلية ومصبوغة ذات قطر عريض يبلغ 0,65م، استعملت في أسس بناء معبد F، وفي مستويات ردمه. وهذا ما حدى به الى اعتبارها من بقايا باحة معمدة تعود الى معبد H[27]. وحسب "بونسيك" (M. Ponsich) كان هذا الفناء مستطيل الشكل بعض الشيء، مقارنة بمعبد F الذي استنبط شكله لا ريب من تصميم معبد H[28] (انظر لوحة XXIX وLXXVIII). وقد خضع التصميم العام لهذا المعبد للموقع الذي تم تشييده فيه بأعلى منطقة بليكسوس وأكثرها انبساطا واتساعا، حيث كان بإمكان المرء مشاهدته على زاوية تساوي 360°، وعلى بعد كبير من جهة البحر.

واستنادا الى المعطيات الهندسية السالفة الذكر، يستنتج "بونسيك" في خاتمة كتابه "حي المعابد بليكسوس"، أن معبد H –الذي يعد أقدم معبد تم الكشف عنه– كان يرمز الى قوة المدينة ونجاحها الاقتصادي، نظرا لعظمة حجمه غير المألوف[29]. كما ينم عن استيعاب تام لتقنية خاصة في البناء، اعتبرها مكتشف المعبد من أصل شرقي، نظرا لانعدام نماذج مشابهة لها في المغرب. وفي هذا الصدد، يرى المؤلف نفسه[30] أن الذين شيدوا هذا المعبد ابتغوه معبدا مهيبا، نظرا للتأثير البسيكولوجي الذي كان يحدثه على سكان الضواحي وعلى الوافدين من البحر. كما اعتبر[31] أنه نفس المعبد الذي عمل المؤلفون القدامى على استحضار صورته[32]، عندما وصفوه بأنه كان أكبر من معبد قادس وأقدم. ولتفسير مسألة الجزيرة التي شيد فوقها المعبد حسب النصوص القديمة، يرى "بونسيك" أن الامر يتعلق بليكسوس نفسها، التي تبدو للقادم من البحر خلال الفصول المطيرة على شكل جزيرة وسط أراض منخفضة مغمورة بالمياه[33] (انظر لوحة IV وV ولوحة أ رقم 1). وهو الرأي الذي يشاطره "فيرناندو لوبيز باردو" (Fernando Lopez Pardo)، معتبرا أن البحث

---

(26) Idem, Ibid, p. 100.

(27) Idem, Ibid, p. 100.

(28) Idem, Ibid, p. 100.

(29) Idem, Ibid, p. 129.

(30) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 129.

(31) Idem, Ibid, p. 131.

(32) Pline, Histoire Naturelle, V, 3.

(33) Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 12 ; Aranegui(C), Presentación, Lixus. **Colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4**, 2001, fig. 1, p. 1.

عن مكان معبد ملقارت يجدر أن يكون تحت معبد H أو F أو G أفضل من أن يكون في إحدى المصطبات الرملية لمصب وادي اللكوس[34]. كما تشاطر نفس الرأي الباحثة البلجيكية "كورين بونيط" (C. Bonnet)، التي اعتبرت أن معبد ملقارت كان يوجد في مركز مدينة ليكسوس[35].

وقد اعتمد "بونسيك" على هذا الاكتشاف كنموذج يحتدى به في التوفيق بين المعطيات الاركيولوجية والنصوص المكتوبة، بالرغم من الفارق الزمني بينهما[36]. ومنذ ذلك الحين، أضحى معبد H مرجعا يستند إليه في مجمل الدراسات المتعلقة بالتوسع الفينيقي بالغرب، وأدمج ضمن قائمة المباني الفينيقية الاكثر قدما بالغرب المتوسطي. وبذلك أصبح يمثل بالنسبة لعلماء الآثار والمؤرخين المبنى الوحيد الدال على الاستقرار الفينيقي بليكسوس، والمجسد الحقيقي لأقوال المؤلفين القدامى.

ب- معبد ملقارت خارج ليكسوس :

غير أن الدراسة التي أنجزها "هانس نيميير" (H. Niemeyer) حول مسألة معبد H الذي يعتبره "ميشيل بونسيك" معبدا فينيقيا[37]، أفضت الى أن الحنية الكبرى للمعبد، التي يتوافق محورها بالضبط مع المحور الرئيسي لمعبد F، تعتبر من بقايا معبد سابق أوسع من معبد H. وبناء على طريقة الاتجاه وشكل التصميم، خصوصا فيما يتعلق بالمشكاة المستطيلة، وحيث أن الحنية شيدت بمواد بنائية تم استعمالها من جديد، يرى الباحث الالماني أن المعبد الفينيقي المفترض، لايمكن تأريخه في أقصى الحالات إلا بالعصر الموريطاني.

وفي نفس الاتجاه، جاءت دراسة محمد حبيبي حول معبد H وعلاقته بمعبد ملقارت بليكسوس[38]، لتثير بعض الملاحظات الكرونولوجية والهندسية التي من شأنها أن تعيد النظر في مسألة الانتماء الفينيقي لهذا المعبد. من هذه الملاحظات ما يلي :

– أن الجدار المشيد بكتل منحوتة مستطيلة، الذي تم استعماله لتدعيم الحنية النصف الدائرية لمعبد H في محورها الشمالي (انظر لوحة LXXVI ولوحة LXXVII)، يطرح مشكلا كرونولوجيا، لأن طريقة نحت الحجارة استعملت نفس التقنية التي تم استخدامها في السور المعروفة "بالسور الهيلينيستية"، والتي يؤرخها "طراديل" بالقرن الثاني قبل الميلاد[39].

– أن فناء معبد H الذي وضع "بونسيك" تصميما محتملا عنه (انظر لوحة LXXVIII)، لم يثبته أي دليل مادي[40]. كما أن وجوده المحتمل يطرح تناقضا مع وجود مبنى A السالف الذكر، الذي تم اعتباره كذلك

---

(34) Lopez Pardo(F), Reflexiones sobre el origen de Lixus y su Delubrum Herculis en el contexto de la empresa comercial ..., op. cit, p. 95.

(35) Bonnet(C), Les divinités de Lixus, op. cit, p. 129.

(36) إذا كانت المصادر القديمة تجمع على مرجعية تاريخ 1100 قبل الميلاد كبداية لقدوم البحارة الاوائل من مدينة صور الى سواحل شمال إفريقيا، مع تأسيس معبد لهم كأول عمل طقسي، فإن الفحص الاركيولوجي لم يثبت ما أوردته هذه المصادر من الناحية الكرونولوجية. لكن "بونسيك" (M. Ponsich)، يصر على أن العناصر الخزفية المكتشفة في أقدم الطبقات الاستراتيغرافية بليكسوس، بما فيها المكتشفة في أسس بناء معبد H، تؤكد على أن الفينيقيين أسسوا فعلا معبدا لملقارت بهذه المستوطنة خلال القرن السابع قبل الميلاد، اعتمادا حينذاك على الكرونولوجية الدقيقة لجزيرة موكادور. انظر :

Ponsich(M), Lixus, Le quartier des temples, op. cit, p. 131.

(37) Niemeyer(H.G), Lixus : Fondation de la première expantion phénicienne, vue de Carthage, op. cit, p. 56 - 57.

(38) Habibi(M), A propos du temple H et du temple de Melkart-Héraclès à Lixus, **L'Africa Romana**, t. X, (11-13 déc. 1992), 1994.

(39) Idem, Ibid, p. 233-234.

(40) Idem, Ibid, p. 234.

من طرف المنقب الفرنسي واحدا من البنايات الاولى بأكروبول ليكسوس، حيث أرخه بالقرن السادس قبل الميلاد. ويكمن التناقض في كون موقعه كان يتحدد في نفس المجال المحتمل الذي تحدد فيه فناء معبد H[41].

– أن المعثورات الفينيقية التي أشار "بونسيك" الى اكتشافها في أسس بناء معبد H، والتي اعتمدت كأساس لتأريخ المعبد بالقرن السابع قبل الميلاد، لم تكن الوحيدة من نوعها، بل وجدت ضمنها معثورات أركيولوجية أحدث من الناحية الكرونولوجية. وقد توصل محمد حبيبي الى هذه النتيجة بعد دراسة جديدة لهذه المواد المحفوظة في مستودعات متحف القصبة بطنجة[42]. من هذه الدراسة تبيَّن أن "بونسيك" أشار في سجل الصناديق التي كانت تحوي هذه المعثورات[43]، الى منتوجات خزفية مميزة للدائرة التجارية الرومانية، نذكر منها الخزف الكامباني "ب" والخزف ذا البرنيق الاحمر المستورد من مدينة بومبيا. وهذا ما حدى بالباحث المغربي الى إعادة النظر في الكرونولوجيا العليا التي قدمها "بونسيك" لمعبد H "بشكل نهائي" حسب تعبيره[44]، محددا تاريخ تشييد المعبد بنهاية القرن الاول قبل الميلاد، واعتباره بالتالي مبنى موريطانيا شيد خلال حكم الملك "يوبا الثاني".

وبذلك يخلص محمد حبيبي الى أن معبد ملقارت–هرقليس لم يتم الكشف عنه، كما هو الحال بالنسبة لجميع المباني التي تعود الى الحقبة الفينيقية بليكسوس[45]. وهذا ما دفعه الى محاولة البحث عن هذا المعبد في مكان آخر، قد يكون خارج المدينة[46]، اعتمادا على العديد من المصادر الادبية، التي نستشف منها هذه الظاهرة سواء تعلق الامر بمعبد ملقارت في ليكسوس أو في قادس.

ففيما يتعلق بتأسيس قادس ومعبد ملقارت بها، يقول الجغرافي الاغريقي "استرابون"[47]: « ***... وخلال الحملة الثالثة أسسوا "كاديرا"، وشيدوا المعبد في الجهة الشرقية للجزيرة، والمدينة في الجهة الغربية*** ». أما فيما يخص معبد ملقارت بليكسوس، فيتبين من خلال النصوص التي أوردها كل من "استرابون" و"بلينيوس"[48]، أن موقعه كان كذلك –كما هو الشأن بالنسبة لمثيله بقادس– خارج الدائرة الحضرية للمدينة، بالقرب من المحيط، فوق جزيرة توجد وسط مصب واد اللكوس، لا تغمرها المياه رغم أنها كانت "أكثر انخفاضا من الاراضي المجاورة لها". كما يرى "ميشيل كرا" أن الاشارة الى معبد ملقارت لا تفيد إطلاقا بما ينم عن وجوده داخل المدينة، بل خارجها[49]، الامر الذي حدى به الى نقد فرضية "ميشيل بونسيك" التي ترى أن معبد H هو معبد ملقارت.

---

(41) Idem, Ibid, p. 234.

(42) Habibi(M), A propos du temple H et du temple de Melkart-Héraclès à Lixus, op. cit, p. 235-238.

(43) Idem, Ibid, p. 235-237.

(44) Idem, Ibid, p. 238.

(45) Idem, Ibid, p. 239.

وإن سلمنا بأن معبد H لم يكن بالفعل معبدا فينيقيا، وحيث أنه كان يعتبر الدليل المادي الوحيد عن الحقبة الفينيقية بليكسوس، فهذا لا يعني أن أغوار المدينة لا تكتنز البتة آثارا مبنية دالة عن استقرار الفينيقيين في المكان. ومما يرجح ذلك أن المعثورات الفينيقية كانت تكتشف، بغزارة في المستويات الاستراتيغرافية القديمة، وفي نقط متعددة من المركز وداخل نطاق واسع. بمعنى أن الامر يتوقف فقط على القيام بحفائر جديدة ومركزة بمدينة ليكسوس. وهذا ما تأكد بالفعل بعد العثور على آثار المساكن الفينيقية الاولى بفضل تنقيبات البعثة الاركيولوجية المغربية–الاسبانية في استبار الخروب خلال عام 1999.

(46) يعتبر "ميشيل كرا" (M. Gras) كذلك أن النصوص التي تحدثت عن معبد ملقارت بليكسوس، ترجح أن موقعه لم يكن داخل المدينة. انظر : Gras(M), La mémoire de Lixus, op. cit, p. 28 ss.

(47) Strabon, III, 5, 5.

(48) Strabon, XVII, 3, 3 ; Pline, Histoire Naturelle, V, 2-4 ; XIX, 63.

(49) Gras(M), La mémoire de Lixus, op. cit, p. 28-29.

ومما يضفي بعض المصداقية على ما أوردته الايستوريوغرافيا الاغريقية-الرومانية حسب محمد حبيبي، أن المصادر العربية خلال القرون الوسطى قدمت نفس الوصف لمصب واد اللكوس. وفي هذا الصدد تم الاستناد الى النص الوارد في "كتاب الاستبصار"[50] السالف ذكره، الذي يشير الى بحيرة "أمسنا" القريبة من ليكسوس، وظاهرة المد والجزر التي يتميز بها المصب الاسفل لوادي اللكوس، والجزر الكثيرة التي تتوسط المصب، والمسجد والنساك الزهاد. وهو نفس الوصف الذي نجده تقريبا عند الحميري في الروض المعطار، حيث ذكر ما يلي في خبر "تشومس"[51] : « ***بقربها بحيرة كبيرة تسمى أمسنا، يصب فيها ماء البحر سبعة أعوام، وتصب هي في البحر سبعة أعوام، وينقطع البحر، فتظهر فيها جزائر بينها غدران يتصيد فيها أنواع السمك. وبين البحر والبحيرة مسجد مقصود معظم من يسكن حوله النساك وأهل الخير، وأمرهم مشهور بتلك الناحية معروف*** ».

وهكذا يستنتج محمد حبيبي[52] أن البحث عن معبد هرقليس-ملقارت يجب أن يكون في ضواحي ليكسوس، وبالضبط عند مصب نهر اللكوس وسط السهول المستنقعية، التي كان منظرها في الماضي على شكل بحيرة كبيرة. فهل يمكن اعتبار أن "المسجد المقصود والمعظم" الموجود "بين البحر والبحيرة" الذي أوردته المصادر العربية، تم تشييده في نفس مكان المعبد الاسطوري الوارد لدى المؤلفين القدامى؟ هل هذا يعني أن ذاكرة هذا المعبد كمكان مقدس للتعبد استطاعت أن تظل حية راسخة في أذهان سكان المنطقة و"النساك" منهم خلال كل العصر القديم والوسيط، لدرجة جعلتهم يشيدون مسجدا في مكانه ؟

ت- شكل المعبد :

أي ما كان الامر، وسواء كان موقع معبد هرقليس-ملقارت فوق جزيرة عند مصب واد اللكوس، أو كان موقعه بأعلى ربوة الشميس في ليكسوس نفسها، فإن ذاكرته التي تناقلتها الاجيال تدل على وجوده، وأنه كان لا ريب معاصرا للارتيادات الفينيقية الاولى على المنطقة. وأما شكل المعبد، فعلى العكس من "ميشيل بونسيك" ، الذي يرى أنه كان معبدا ضخما، فإن "فيرناندو لوبيز باردو" يحتمل أنه كان شبيها نوعا ما بما تم الكشف عنه في المحطة الفينيقية بموكادور[53] . أي أنه كان عبارة عن عمود من حجر بدون وجود أية بنايات ثابتة من حوله[54] . ونذكر في هذا الصدد، أن "شارل تيسوت" (Ch. Tissot) أشار الى العثور بالقرب من مكان المدفن المعروف باسم "القنطرة"، الذي كان يعتقده منشأة دينية، على كتلة حجرية مخروطية الشكل منحوتة في صخر كثير الصلابة غريب عن البلاد[55] . كما أورد أن هذه القطعة الاثرية ضاعت من نيابة القنصلية الايطالية بالعرائش، بعد أن تم إيداعها هناك. ومن خلال الاوصاف التي توصل بها، اعتبر الدبيلوماسي الفرنسي أن الحجر المخروطي كان مشابها شكلا وحجما الى حجر مماثل كان مازال يوجد في

---

[50] كتاب الاستبصار في عجائب الامصار (مجهول)، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، الدار البيضاء، دار النشر المغربية، 1985، ص. 140.

[51] الحميري (محمد بن عبد المنعم)، الروض المعطار في خبر الاقطار، مرجع سابق، ص. 141.

[52] Habibi(M), A propos du temple H et du temple de Melkart-Héraclès à Lixus, op. cit, p. 241.

[53] Lopez Pardo(F), Reflexiones sobre el origen de Lixus y su Delubrum Herculis en el contexto de la empresa comercial …, op. cit, p. 95.

[54] وهذا ما يفسر لماذا لم تكن إشارات بعض المؤلفين القدامى حول قدم قادس وأوتيكا وليكسوس تتحدث عن تشييد هذه المستوطنات، بل تشير بالدرجة الاولى الى معابدها. وهي المعابد التي تعطي الانطباع بأنها كانت سابقة لتشييد المستوطنات نفسها، اعتمادا على كرونولوجية المعثورات الاثرية. انظر :

Bunnens(G.), L'expansion phénicienne en mediterranée, op. cit, p. 186.

[55] Tissot(Ch), Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie tingitane, op. cit, p. 210, note n° 1.

عصره بجزيرة مالطا في المكان المعروف باسم "برج العمالقة". وبذلك رجح "شارل تيسوت" أنه كان واحدا من تلك الانصاب المعروفة باسم "بيت إيل"، وأن مصدره كان من أحد المعابد القديمة لليكسوس الفينيقية[56].

ونحن لا نستغرب من أن تكون بيوت إيل من العلامات البارزة في المعابد الفينيقية، إن لم تكن تمثل في حد ذاتها العلامة الاساسية للمعبد الى جانب المذبح، لأن المؤرخ اللاتيني "تاسيتوس" (Tacite) يورد في هذا الصدد، أن الامبراطور الروماني "فيسباسيانوس" (Vespasien) (69-79 ميلادية)، عندما أراد استشارة الكهنة بجبل الكرمل، لم يجد بالمكان معبدا ولا تماثيل، بل وجد فقط مجرد مذبح مقام في الهواء الطلق[57]. والحالة هذه أن المعابد الفينيقية كانت بالفعل تنتمي الى النوعين السالفين، أي الى النوع المكشوف والنوع المغطى. وأما النوع المكشوف، فكان عبارة عن حرم مسوّر في الهواء الطلق، يتضمن ممرات معمدة مكشوفة الوجه، يتوسطها في الغالب إما مصلى صغير وإما بيت إيل، يقابله من الجهة الامامية مذبح للأضحيات[58]. كما كان النوع المكشوف يتوفر في غالب الحالات على حوض مائي أو عين، علاوة على غابة مقدسة. ومن بين المعابد التي تنتمي الى هذا النوع، نذكر معبد عمريت بفينيقيا (انظر لوحة LXXIX)[59]، ومعبد "إشمون" بمدينة صيدا، ومعبد أرواد[60]. أما المعابد المغطاة، فتعكسها حالة معبد سليمان الذي تم تشييده باليد العاملة الفينيقية، وكذلك حالة معبد جبيل الذي تصوره مسكوكة تنتمي الى العصر الروماني (انظر لوحة LXXX)[61].

فهل كان معبد ليكسوس ينتمي إلى إحدى هذه النماذج ؟ لانستطيع معرفة ذلك، باستثناء الشكل المحتمل الذي كان عليه المذبح، كما يتبيّن من خلال مسكوكات ليكسوس المنتمية للقرن الاول قبل الميلاد (انظر لوحة LXXXI)[62]. فحسب هذه المسكوكات، يبدو أن المذابح التي كان يُقيمها سكان ليكسوس خلال العصر البونيقي-الموريطاني، كانت مشابهة للنماذج التي كانت على العموم تتوسط المعابد الفينيقية، سواء المكشوفة منها أو المغطاة، أو التي تمثل العلامة الوحيدة عن وجود المعبد[63] (لوحة LXXXII) .

ومن خلال الشكل المنمنم الذي حوته هذه النقود[64]، يتبين أن هذه المذابح، كانت تتوفر على جبهة بناء (fronton) مزخرفة[65]. ووصفا لهذه المذابح التي كانت تعج بها فينيقيا، يورد "جورج كونتنو" (G.

---

(56) هل يمكن اعتبار ما أورده "تيسوت" (Tissot) إشارة أخرى تدعم العناصر المرتبطة بحضور الديانة الفينيقية بليكسوس ؟ في الحقيقة لا نستطيع أن نؤكد ذلك، ما دامت المادة الاثرية تعتبر مفقودة. لكن إذا كانت المقارنة التي قام بها الباحث الفرنسي بين قطعة ليكسوس وبين نموذج مشابه لها في مالطا مقارنة صحيحة، فلعل أن الامر يتعلق بالانصاب الميداة لبعل حمون المؤرخة بالقرن السابع قبل الميلاد، والتي تم العثور عليها بكثرة في الجزيرة. انظر :

Ciasca(A), **Malte**, Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique,op. cit, p. 272.

(57) Tacite, Histoire, II, 78.

(58) Moscati(S), L'épopée des Phéniciens, op. cit, p. 69 ; Contenau(G), La civilisation phénicienne, op. cit, p. 128 et 162-163.

(59) Baurain(C) et Bonnet(C), Les Phéniciens, Marins des trios continents, Paris, Armand Colin, 1992, p. 90; Contenau(G), La civilisation phénicienne, op. cit, fig. 133, p. 364.

(60) Contenau(G), La civilisation phénicienne, op. cit, p. 128.

(61) Moscati(S), L'épopée des Phéniciens, op. cit, fig. 4, p. 80.

(62) Marion(J), Les monnaies de Shemesh et des villes autonomes de Maurétanie tingitane au musée Louis Chatelain à Rabat, op. cit, p. 114 ; El Harif(F.Z) et Giard(J.B), Préliminaires à l'établissement d'un corpus des monnaies de Lixus, op. cit, p. 268, n° 3.

(63) Contenau(G), La civilisation phénicienne, op. cit, fig. 133, p. 364.

(64) بلغ مجموع نقود ليكسوس التي نقشت بها هذه المعابد ثلاثة نقود. انظر :

Marion(J), Les monnaies de Shemesh et des villes autonomes de Maurétanie tingitane au musée Louis Chatelain à Rabat, op. cit , p. 114.

Contenau)[66] أنها كانت عبارة عن كتل حجرية مربعة، وأن وجهها الاعلى كان مسطحا، فيما عدا حفرة وقناة تم نحتهما لتلقي ما يهرق للآلهة من سوائل أو ضحايا محروقة. وكانت هذه المذابح في الغالب متوجة في أطراف مسطحها الاعلى ببروز ناتئ يسمى بقرون المذبح[67].

وهكذا يتبين من خلال المعطيات المصدرية والاركيولوجية التي تم ذكرها، أن ليكسوس تندرج ضمن سائر المنشآت الفينيقية التي عرفت حضورا لمؤسسة المعبد. والحالة هذه، واستنادا للعديد من المصادر القديمة، فإن عادة إقامة المذابح والمعابد كانت من العادات التي مارسها الفينيقيون باستمرار، سواء في المنشآت الفينيقية، أو في أوساط التجمعات المحلية، أو في الأراضي الخلاء. وهذا يعني أن المعابد الفينيقية، وخصوصا معابد ملقارت، التي ارتبط وجودها ارتباطا وثيقا بالتوسع الفينيقي[68]، كانت تقوم بأدوار أهم مما يمكن تصوره، سواء على المستوى الديني أو الاقتصادي.

II ـ تشييد المعبد في عملية التوسع الفينيقي :

حول المهمة الحقيقية التي كانت تقوم بها المعابد الفينيقية، انكبت مؤخرا مجموعة من الدراسات على إبراز أن هذه المعابد كانت تلعب أدوارا اقتصادية في عملية التوسع الفينيقي بالحوض المتوسطي[69]. وبذلك أضحت هذه الدراسات تعتبر يوما بعد يوم أن المعابد الفينيقية، وخصوصا معابد ملقارت، سواء المشيدة بصور أو بقادس أو غيرها من المنشآت الفينيقية، أو المشيدة في الاوساط الاجنبية، كانت عبارة عن مراكز كبيرة لتنشيط العمليات التجارية بالغرب[70].

1) المعابد المشيدة بالمنشآت الفينيقية :

كانت من عادة التجار الفينيقيين إقامة مكان مقدس أينما حلوا وارتحلوا. وحسب العديد من الدلائل، فإن هذه العادة كانت تمثل إحدى الطقوس العادية التي مورست على مر العصور. ولاريب أن أحسن مثال يعرف عن هذه الممارسة ذاك المتعلق برواية تأسيس قادس الواردة لدى "استرابون" (Strabon)، حيث يروى أن كل محاولة للاستقرار كانت تعقبها مباشرة إقامة المذابح وتقديم الاضحيات قربانا لملقارت، الاله الرئيسي للوطن الام. يقول "استرابون" في هذا الصدد :

« حول تأسيس كاديرا هذا ما يتذكره القادسيون : أن وحيا إلاهيا أمر الصوريين بتشييد منشأة بأعمدة هرقليس ؛ وعندما قام المبعوثون بالاستكشاف، وصلوا الى المضيق الموجود بالقرب من "كالبي"

---

(65) Idem, Ibid, p. 74, note n° 1.

وتكون جبهة البناء المزخرفة هذه أو "الناصية" (fronton) على أشكال، منها المثلثة والمستطيلة والمدورة. انظر : الشهابي (يحيى)، معجم المصطلحات الأثرية، المرجع السابق، ص. 194.

(66) Contenau(G), La civilisation phénicienne, op. cit, p. 177-178.

(67) Idem, Ibid, fig. 32, p. 110.

(68) حول ارتباط تشييد المعابد بعملية التوسع الفينيقي، انظر :

Baurain(C) et Bonnet(C), Les Phéniciens, Marins des trios continents, Paris, Armand Colin, 1992 , pp. 188-190.

(69) لم تكن الادوار التي لعبتها المعابد الفينيقية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية تختلف كثيرا عن الادوار التي قامت بها معابد معظم حضارات الشرق القديم. حول أدوار تلك المعابد، انظر : سيدا (عبد الباسط)، الدور الشمولي للمعبد الشرقي، **مجلة الفكر العربي**، العدد 52، السنة التاسعة 2، 1988.

(70) من بين الدراسات التي ركزت على هذا الموضوع نذكر ما يلي :

Bunnens(G.), L'expansion phénicienne en mediterranée, op. cit, p. 284-285 ; Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 137 y 241-242 ; Ribichini(S), Temple et sacerdoce dans l'économie de Carthage, **B.C.T.H**, 1985, p. 29-37.

واعتقدوا أن الرؤوس التي تكون المضيق تمثل تخوم العالم المسكون، والحد الاقصى لمشاريع هرقليس ؛ وباعتقادهم إذك بأن الاعمدة التي تحدث عنها الوحي كانت توجد هنك، أرسوا في مكان قريب من الاعمدة حيث توجد مدينة "الإكسيطانيين". وبما أنهم قدموا قربانا للآلهة في ذاك المكان من الساحل، ولم تكن الاضحيات مناسبة، فإنهم رجعوا من حيث أتوا. وبعد مدة قام المبعوثون باجتياز المضيق حيث وصلوا الى جزيرة مهداة لهرقليس توجد بالقرب من "أونابا"، وهي مدينة إيبيرية تبعد عن المضيق بحوالي ألف وخمس مائة عقدة ؛ وبما أنهم اعتقدوا بوجود الاعمدة هنك قاموا من جديد بتقديم القرابين للآلهة ؛ ومرة أخرى كانت الاضحيات مخالفة فعادوا الى الوطن. وخلال الحملة الثالثة أسسوا "كاديرا"، وشيدوا المعبد في الجهة الشرقية للجزيرة، والمدينة في الجهة الغربية »[71].

الى جانب هذا المثال المصدري، يمكن الاستدلال بوثيقة أركيولوجية تنم هي أيضا عن الاولوية التي خصصها التجار والملاحون الفينيقيون لتشييد المعابد عند نزولهم لاول مرة بالمكان الذي يريدون الاستقرار به. هذه الوثيقة تتعلق بالكتابة الفينيقية المنقوشة على النصب الشهير المكتشف "بنورا" (Nora) بسردينيا عام 1773، حيث يلاحظ من خلال مضمون النص المنقوش، تلك المحاولة الاولى لاقامة مكان مقدس كلما قام الفينيقيون بتوسعاتهم التجارية. وبالرغم من الاختلافات المتباينة الحاصلة بين معظم المتخصصين حول مضمون النص[72]، فالغالب على الظن أن الامر يتعلق بتشييد منشأة مهداة للاله "بوماي"[73]، كما يتجلى ذلك من خلال ورود كلمة "ب ن" بالفينيقية، أي "بني". وبناء المعبد يعتبر إشارة الى قدوم بعض الفينيقيين للمكان (b s r d n)، بعد أن يكون الرب الممتزج بالسلطة الملكية قد وافق على اختيار المنطقة، التي في حالة سردينيا، كانت منطقة غنية بالرصاص الفضي والحديد، وصادق على الاستيطان بها[74]. وبذلك تصبح الكتابة التذكارية، علامة عن البحارة القادمين الى سواحل سردينيا، بنفس المعنى الذي يشمل معبد ملقارت كعلامة لقدوم البحارة الفينيقيين الى قادس أو ليكسوس[75].

---

(71) Strabon, III, 5, 5.

(72) يكمن هذا الاختلاف في ترجمة السطر الاول من الكتابة، بين من يترجمه بصيغة "بيت رأس" (أجار) –الامر الذي يزكي فرضية ارتباط النصب بفكرة المعبد–، وبين من يترجمه بصيغة "بترشيش". وفيما يلي الترجمة الاولى والثانية لنص نصب نورا، كما وردت لدى الباحث البلجيكي "كوي بونينس" :

<u>الترجمة الاولى</u> :

« بيت رأس أجار، الذي يوجد بسردينيا، سلام عليه، سلام على الجيش الملكي، المبنى الذي بناه القائد لبوماي ».

<u>الترجمة الثانية</u> :

« بترشيش تعرج عن اتجاهه، بسردينيا لقي السلام. سالم هو الجيش الملكي. المبنى الذي بناه القائد لبوماي ». انظر :

Bunnens(G.), L'expansion phénicienne en mediterranée, op. cit, p. 30-41.

(73) ارتبط عادة الإله "بوماي" بقبرص وخاصة بمستوطنة "كيتيون"، حيث تبين وجود أسماء ملوك من سلالة فينيقية خلال القرن الرابع قبل الميلاد يدعون "بوماي يعطون"، مثل اسم "بوماي عليون" (Pygmalion) ملك صور الذي يشتق اسمه من معبودين اثنين هما بوماي وعليون، والذي له علاقة بتأسيس قرطاجة. ورغم أن بعض الباحثين يرون أن هذا المعبود كان أصله من قبرص، إلا أنه من المنطقي اعتباره أحد الارباب الفينيقية، كما يبرز ذلك توفر معبد ملقارت بقادس على "الزيتون المقدس لبوماي عليون"، الذي يثمر الزمرد. فهل هذا يعني أن الإاه "بوماي"، الذي نشأ في المجال القبرصي، ارتبط هو أيضا بالتوسع الفينيقي نحو الغرب، شأنه في ذلك شأن "ملقارت" ؟ حول الإله "بوماي" (Pumay)، انظر :

Bisi(A.M), **Pumay**, Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique,op. cit, p. 364.

(74) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 186.

(75) غير أن الباحث البلجيكي "إدوارد ليبينسكي"، يرى أن الغرض من تشييد نصب "نورا" هو طلب الغفران، لان الكتابة المنقوشة على النصب كانت، حسب الترجمة التي يرجحها نفس الباحث، تروي إنقاذ شحنة سفينة ملك "كيتيون" (Kition)، بعد أن انساقت عن طريقها المتجهة نحو ترشيش، ورست بأمان في سردينيا. انظر :

وأما هل كان المعبد الذي خلده النصب التذكاري بنورا معبدا مبنيا ومشيدا على الطريقة الفينيقية المعروفة، أم أن النصب كان يرمز هو نفسه الى المعبد، فهذا أمر لا نستطيع الفصل فيه، مع أن الاحتمال الثاني أمر وارد. فتشييد الفينيقيين لانصاب أو "بيوت إيل" كرمز لمكان التعبد، نجده حاضرا في المحطة الموسمية التي تردد عليها الفينيقيون بجزيرة الصويرة للاتجار مع المحليين. هناك، لم تفرز الابحاث الاركيولوجية التي قام بها "أندري جودان" (A. Jodin) أية منشأة مبنية، باستثناء نصب حجري أو "بيت إيل" يبلغ طوله 1,47م ويتراوح عرضه ما بين 0,46م و 0,50م (76)، كان شبيها بنصب تم العثور عليه بمركز "مونطي سيراي" (Monte Sirai) بسردينيا (77). وهذا إن دل على شيئ فإنما يدل على أن الفينيقيين الوافدين على موكادور، الذين لم يكونوا يقيمون سوى في الخيام أو النوالات خلال مقامهم المؤقت أو الموسمي بالجزيرة، لم يكونوا ليتخلوا عن تشييد بيت للرب (بيت إيل). وهذا يعني أن من الاهتمامات الاولى للتجار الفينيقيين عند وصولهم لاية جهة، هي إقامة مكان مقدس تقام فيه الصلوات وتقدم الذبائح قربانا للآلهة.

إن هذه الامثلة التي تم استحضارها من قادس ونورا وموكادور، تنم عن إصرار الفينيقيين على إقامة مكان للتعبد. والظاهر أن هذا الاصرار يمكن تفسيره بكون المجموعة الصغيرة من الفينيقيين النائين عن موطنهم، كانوا بحاجة الى توفرهم على مكان يزاولون فيه عبادة آلهتهم (78). وفي هذا المضمار، يعتقد "بيير سانتاس" (P. Cintas) أن الغرض من إقامة هذه المعابد هو تحديد المكان الذي قدّم فيه الفينيقيون أول قربان لهم بمجرد رسوهم (79).

غير أنه من خلال قراءة متأنية للنصوص المتحدثة عن تشييد بعض المعابد الفينيقية، يمكن استقراء أن أدوار هذه المعابد لم تكن تنحصر في مجال العبادات. فمن خلال نص "استرابون" المتعلق بتأسيس قادس، نلاحظ أن المُوافق على مشروع التأسيس والآمر بتنفيذه في مكان معروف مسبقا، هو معبد ملقارت نفسه. من هنا يُدرك أن دوره لم يكن يقتصر فقط على إقامة الشعائر الدينية الفينيقية، بل كانت مهمته أيضا تنشيط التجارة في أقصى الغرب المتوسطي.

ومما يزكي فكرة مساهمة بعض معابد المنشآت الفينيقية في المشاريع التجارية، هي الضخامة والشهرة المقترنتان بهذه المعابد، واللتان كانتا تفوقان بكثير شهرة وضخامة المعابد الحضرية العادية. كما أن هذه المعابد لم تكن مشهورة بقدمها فحسب، بل أيضا بمواقعها وأحجامها، سواء تم تشييدها داخل المستوطنة المرتبطة بها أو خارجها. ففي جزيرة سردينيا مثلا، كان أقدم معبد مستوطنة "طاروس" (Tharros) الموجودة برأس "سان ماركو" (San Marco)، يتميز بحجمه الكبير. وكذلك الشأن بالنسبة لمعابد جزيرة "موتيا" (Motya) بصقلية،

Lipinski(E), Tartessos et la stèle de Nora, **Segundo Congresso Internacional de estudios sobre las culturas del Mediteráneo Occidental**, Barcelona, sept-oct. 1975, Barcelona, 1978, p. 73.

(76) حول "بيت إيل" المكتشف في موكادور، انظر :

Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 52 et pl. XVI, p. 50.

(77) Lopez Pardo(F), Reflexiones sobre el origen de Lixus y su Delubrum Herculis en el contexto de la empresa comercial fenicia, op. cit, p. 96.

وفي هذا الصدد نشير الى أن مقاسات نصب "نورا" لم تكن تختلف كثيرا عن مقاسات "بيت إيل" موكادور، حيث كان طوله يبلغ حوالي 1,20م. انظر :

Bunnens(G.), L'expansion phénicienne en mediterranée, op. cit, p. 31.

(78) Idem, Ibid, p. 283.

(79) Cintas(P), Céramique punique, op. cit, p. 582-583 ; Idem, Manuel d'Archéologie punique, t. I, op. cit, p. 312.

سواء المعبد المعروف باسم "كابيدازو" (Cappidazzu)، أو المعابد الموجودة خارج الباب الشمالية. كما كانت المعابد البونيقية بمركز "مونطي أدرانوني" (Monte Adranone) بصقلية ذات أحجام ضخمة[80].

وأما قادس، فبالرغم من توفرها على الاقل على معبدين مهمين آخرين، وهما معبد "عشتروت" ومعبد "بعل"، فإن معبد ملقارت بها كان الاكبر والاضخم، وكان معروفا ومزارا من طرف الفينيقيين وغير الفينيقيين[81]. وحسب "أنطونيو كرسيا بيبدو"(Antonio Garcia y Bellido)[82]، واعتمادا على الرواية التي سمعها المؤلف الاغريقي "بوسيدونيوس" (Posidonios) بمدينة قادس نفسها في حوالي سنة 100 قبل الميلاد، والتي نقلها "استرابون"[83]، فإن النواة الرئيسية القديمة لمعبد ملقارت كانت عبارة عن مكان مسوّر كبير الحجم على شكل رواق مفتوح، متوفر بداخله على غرفة توجد إما في موسطة المعبد أو في مقدمته (Naos)، تأوي تمثال الاله. ولم يقتصر معبد ملقارت على تنظيم الحياة الدينية في قادس، بل لعله قام بدور فعال أيضا في تنظيم التجارة والملاحة البحرية للفينيقيين، كما نستشف ذلك من خلال إشارة المصادر القديمة الى الكنز الوافر الذي كان يتوفر عليه المعبد[84].

بعد أن استعرضنا أدوار ومكانة المعابد المشيدة بالمنشآت الفينيقية، نتساءل فيما يلي هل قامت المعابد المشيدة في الاوساط المحلية بنفس الادوار، وهل حظيت بنفس المكانة الاقتصادية ؟

2) المعابد الفينيقية المشيدة في الاوساط الاجنبية :

عند وصول الفينيقيين الى مكان مأهول، فإنهم لم يكونوا يتخلون عن إقامة صرح مقدس مهدى لاحد الارباب الذي أمر بالقيام بالحملة تحت حمايته. كما أن تشييد مذبح في إحدى الجزر التي قصدها الفينيقيون لبدء الاتصالات التجارية مع المحليين، كان مفيدا لخلق مناخ ملائم، كسبا لثقة متبادلة بين الطرفين. علاوة على أن تأمين استقرار الفينيقيين في موقع مأهول، تطلّب الترخيص لفتح مكان مقدس لاقامة الاضحيات، الامر الذي كان يُستقبل بالرضى من لدن المحليين. ومما لا شك فيه، فإن مثل هذا السلوك كان يشجع على فتح المبادلات التجارية في المجتمعات المنظمة بشكل أسرع. ومن المحتمل أن كلا من المذبح، والفناء العادي المبني (téménos)، أو المعبد المحلي الذي أصبح مقاما للمعبود الفينيقي، كان يمثل المكان الانسب الذي تبرم فيه الصفقات التجارية المطبوعة بالضمانة الالهية. وفي هذا الصدد، يعتبر "كوي بونينس" (G. Bunnens) أن

---

(80) Bondi(S.E), L'Urbanistica e l'architettura, **I Fenici**, Milan, 1988, p. 281, 266, 271 ; Isserlin(B.S.J) et Du Plat Taylor(J), Motya. A Phoenician and Carthaginian City in Sicily, Vol I, Leida, 1974, p. 64-75, 77, 78, pl. II et XII ; Whittaker(J. I.S), Motya. A Phonician Colony in Sicily, London, 1921.

(81) كان معبد عشتروت يوجد بدون شك في "رأس ناو" (Punta del Nao)، حيث تم العثور في قعر البحر المجاور على مبخرة "مستشرقية" من نوع "تيمياتيريون" (Thymiaterion)، وعلى دمى خزفية نذرية، ومبخرات فينيقية ذات طابقين. أما معبد بعل، فالغالب على الظن أنه كان يوجد في جزيرة "سان سيباستيان" (San Sebastián)، كما يزكي ذلك اكتشاف تاج عمود من الطراز ما قبل-الايولي المصنوع من حجر الكلس في قاع البحر، بجوار المنحدر الجنوبي للجزيرة. وفيما يخص موقع معبد ملقارت، فجميع المعطيات ترجح أنه كان موجودا في الجزيرة الصغيرة "سانتي بيتري" (Sancti Petri)، حيث تم العثور على ثلاثة تماثيل صغيرة مصنوعة من البرونز، يمثل أولهما الاله ملقارت، والثاني الاله بعل، والثالث المعبود المعروف باسم "smiting god" الشرقي. انظر :

Escaena(J.L), Gadir, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, vol. I, op. cit, p. 46.

(82) Garcia y Bellido(A), Hercules Gaditanus, in **AEA**, 36, 1963, p. 102-103.

(83) Strabon, III, 5, 9.

(84) أشار كل من المؤلف الاسباني "بومبونيوس ميلا" (Pomponius Méla) الذي عاش في القرن الاول الميلادي، ورجل القانون الروماني ذو الاصل الصوري "دوميتيوس أولبيانوس" (Domitius Ulpianus) الذي عاش في القرن الثالث الميلادي، الى الثروات الوافرة لمعبد ملقارت بقادس، والى كنزه المهم. انظر :

Pomponius Mela, III, 6 ; Domitius Ulpianus, 22, 6.

III – ملقارت ومعبده في الحضارة الفينيقية :

1) ملقارت الاله الجديد :

اعتبارا للاقدمية التاريخية للفينيقيين بالساحل الاطلنطي للمغرب، فإن "هرقليس–هرقل" المرتبط بمعبد ليكسوس، يمثل إما استعادة إغريقية للاله الفينيقي "ملقارت"، أو يمثل التصور الاغريقي للاله الفينيقي[116]. بمعنى أنه يعكس قراءة جديدة لمفهوم قديم، حيث إغناء العناصر السامية بإسهامات إغريقية لا نستطيع تقييم وزنها الحقيقي[117]. وعلى العموم، تعد مطابقة الآلهة الاجنبية مع آلهة الاغريق والرومان اعتمادا على وظيفة الاله، من الامور المعهودة في المصادر الاغريقية–اللاتينية، نذكر منها مثلا ما ورد لدى "بوليبيوس" (Polybe)، في شأن القسم الشهير لحنبعل القرطاجي في سنة 215 قبل الميلاد[118]. فقد كانت الآلهة الاثنى عشر التي أقسم بها القائد القرطاجي ضمانا للمعاهدة التي أبرمها مع الملك "فيليب المقدوني" أمام الوفد المبعوث الى قرطاجة لتوقيع العقد، كلها آلهة فينيقية، رغم أنها وردت على شكل آلهة إغريقية. فالغالب على الظن أن الإله "زيوس" (Zeus) إنما هو "إيل" أو "بعل"، والربة "هيرا" (Héra) هي "عشتروت"، والإله "أبولون" (Apollon) هو "إشمون"، والإله "هرقليس" (Héraclès) هو ملقارت، والإله "هيليوس" (Hélios) هو "شمش". كما أن إله المعبد الذي علّق به تقرير رحلة حنون الوارد على صيغة "كرونوس" (Kronos)، إنما هو بعل حمون أكبر آلهة قرطاجة[119].

---

(116) Idem, Ibid ; Ribichini(S), Hercule à Lixus et le gardin des Hespérides, op. cit, p. 132.

(117) ومع ذلك يرى محمد فنطر أن هناك زاوية أخرى يمكن أن تثير انتباه مؤرخ الاديان في هذا الموضوع، تتعلق بالعلاقة الممكن وجودها بين ملقارت ومعبود محلي أطلق عليه المؤلفون القدامى اسم "هرقل". وحول الاسم الليبي لهذا الاله، يقترح الباحث التونسي أن يكون واحدا من أسماء المعبودات الليبية التي عُرفت باسم "الآلهة المورية" (Dii Mauri)، التي نتوفر في شأنها على مجموعة من الصور والاسماء. فقد وردت لدى المؤلفين القدامى، وفي الكتابات البونيقية والبونيقية–الحديثة واللاتينية، مجموعة من أسماء الآلهة تعود بعضها بدون شك الى معبودات ليبية. ومازالت صور هذه الآلهة ذات الاشكال الآدمية أو الحيوانية ظاهرة للعيان على الانصاب أو على جذران الصخور بجهات مختلفة من شمال إفريقيا، كما نلاحظ ذلك من خلال أحد الانصاب الذي تم العثور عليه بمركز بوسالم بتونس. هناك قام النحات المحلي بنحت الانصاف العلوية لثمانية تماثيل تعود الى معبودات محلية، سبعة منها تمثل معبودات ذكور وواحدة تمثل ربة أنثى. كما أن نصبا آخر اكتشف بيبجة مثّل مجمعا للآلهة وللإلهات، حيث تمت الاشارة الى أسماء هذه الآلهة التي وردت على الشكل التالي : "ماكورطام، إيبونام، ماكوركوم، ماتيلام، بونشور، فيهينام، فارسيسيما. انطلاقا من هذه المعطيات، يتساءل محمد فنطر عن الاسم الذي يمثل المعبود الليبـــي المفترض، والمعروف لدى المؤلفين القدامى باسم هرقل. وفي هذا الصدد، تم الاعتماد على الايستوريوغرافيا القديمة التي أوردت أن الجد الاعلى الواهب اسمه لسكان شمال إفريقيا الذي هو "آفر" كان ابنا لهرقل، وأن هرقل الليبـــي هذا كان مؤسسا للمدن حسب نفس الايستوريوغرافيا، حيث ينسب له تأسيس "طنجي" و"إيكوزيوم" و"قفصة". من هنا يعتبر محمد فنطر أنه من الممكن الاخذ بعين الاعتبار فرضية وجود إله محلي أطلق عليه المؤلفون القدامى اللاتان اسم هرقل. وهذا ما يفسر ربما الحظوة الخاصة التي تمتع بها هرقل لدى ملوك شمال إفريقيا وخصوصا ملوك موريطانيا. ويبدو حسب نفس الباحث أن عبادة هذا المعبود الليبـــي تم دمجها بين المحليين عبر عبادة ملقارت، الذي يعتبر هو أيضا منشئا ومؤسسا للمدن. وطبقا لعادة الأساطيريين الاغريق في هيلنة أسماء الاماكن وأسماء الاشخاص وأسماء الآلهة، فقد تم تحويل اسم هذا الاله الى هرقليس. انظر :

Fantar(Mh), La religion phénicienne et punique de Lixus : témoignages de l'archéologie et de l'épigraphie, op. cit, p. 115-116.

(118) Polybe, VII, 9.

(119) Fantar(M), Baal Hammon, **R.E.P.P.A.L, V**, 1990, p. 67-105 ; Idem, **Baal**, Encyclopédie berbère, t. IX, Aix-En-Provence, 1991, p. 1289-1291.

ويعد ملقارت أهم آلهة مدينة صور[120]. غير أنه لم يكن يحظى بسابقة معروفة خلال الالف الثانية في الشرق الفينيقي ؛ كما لم تظهر عبادته إلا مع هيمنة صور على باقي المدن الفينيقية منذ القرن العاشر قبل الميلاد خلال حكم حيرام الاول[121]. وهذا يعني أن ملقارت، أي "ملك القرية"، أو "ملك المدينة"، حظي في مدينة صور بوظائف أخرى في الديانة الفينيقية، قد تكون مثلت أحسن وسيلة للسياسة التجارية والاستيطانية للفينيقيين[122]. هذا الاله الذي يعني اسمه "سيد صور"، والمعروف من لدن الصوريين "بعل صور"، رمز الى السلطة الملكية[123]، ومثل الشكل المؤله لملك صور أو التعظيم الإلهي له[124]. وفي هذا الصدد، يُعهد الى حيرام إقامة موسم سنوي خلال شهري فبراير ومارس، احتفاء ببعث الإلاه عن طريق الحرق الجنائزي، بنفس الطريقة التي تقام لآلهة شرقية أخرى مثل أدونيس، الذي يموت ثم يبعث من جديد. وتتميز الاحتفالات بأن يقوم ملك صور بزواج طقسي بإحدى الكاهنات أو بالملكة نفسها، كما هي العادة في ديانات الشرق الاوسط القديم (hieros gamos)، حيث يقوم خلالها الزوجان بدور الزوجين الإلاهيين ملقارت وعشتروت، مما كان يثير غضب الانبياء اليهود[125].

غير أن الطبيعة الفلاحية لملقارت[126] الذي يموت ويحيى خلال فصل الربيع من كل سنة، حجبتها مآثره البحرية، حيث نجد مسكوكات صور تمثله كإلاه بحّار يمتطي فرسا بحريا، مما يجعل منه سيد الملاحة والتجارة[127] (انظر لوحة LXXXIII). كما نجد في أسطورة أخرى أن ملقارت كان مكتشف صناعة الارجوان، مما يجعل منه الى جانب حامي المدينة وضامن عزها، المسؤول عن غناها وازدهارها[128].

من هنا نلمس أن تاريخ ملقارت ومصيره هو نفس تاريخ صور ومصيرها هي وبناتها المستوطنات الغربية، حيث نجد في القسم الشهير لحنبعل القرطاجي في سنة 215 ق.م أن الإشارة لمجمع صور الالاهي

---

(120) من بين أهم المراجع الحديثة وبعض المراجع القديمة التي يمكن اعتمادها في موضوع ملقارت، نذكر :
Bonnet(C), Melqart. Cultes et mythes de l'Héraclès tyrien en Méditerranée, Leuven, 1988 ; Idem, **Melqart**, Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique,op. cit, p. 285-287 ; Idem, Le culte de Melqart à Carthage : Un cas de conservatisme religieux, **Studia Phoenicia IV**, p. 209-222, Namur, 1986 ; Bonnet-Tzavellas(C), Le dieux Melqart en Phénicie et dans le bassin méditerranéen : culte national et officiel, **Studia Phoenicia II**, p. 195-207, Leuven, 1983 ; Xella(P), Le polythéisme phénicien, **Studia Phoenicia IV**, p. 29-39, Namur, 1986 ; Dussaud(R), Melqart, **Syria XXV**, 1946-48, p. 205-230.

(121) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 133.

(122) Van Berchem(D) Sanctuaires d'Hercules-Melqart. Contribution à l'étude de l'expantion phénicienne en Méditerranée, **Syria XLIV**, 1967.

(123) مما يدل على الرمز الملكي لملقارت، أن عبادته كانت مرتبطة بالاتجاهات الملكية لقرطاجة مع عائلة آل بركة (حامي القار وحنبعل وصدر بعل)، في حين نلاحظ تراجعا لعبادته مع وصول العائلات الاوليكارشية الى الحكم (أشفات آل ماكون)، حيث بزغت شعبية تانيت وبعل حامون. انظر :
Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 137.

(124) بتأليه ملك صور، نلاحظ أن ملقارت يرمز الى الملك نفسه، مما يجعل من هذه الظاهرة ظاهرة غريبة عن العالم الكنعاني ودون سابقة في المدن الفينيقية، مما كان يثير غيظ الانبياء اليهود، وعلى رأسهم النبي حزقيال. انظر :
Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 135.

(125) Idem, Ibid, p. 135.

(126) تتحدث بعض الاساطير عن مزاولة ملقارت لنشاط القنص. انظر :
Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 133.

(127) Idem, Ibid, p. 134.

(128) Idem, Ibid, p. 135.

مازالت مستعملة، بذكر ملقارت وعشتروت وإشمون. كما أن ملقارت-إشمون الذي يرمز الى العائلة المالكة بصور، برز في تاريخ قبرص باعتباره مؤسس مملكة كيتيون، التي كانت ماتزال تسك عملتها بصورة ملقارت الى حدود القرن الخامس ق.م. بل إن الاسكندر المقدوني عبّر عن رغبته في تقديم قربان في معبد ملقارت عند محاصرته لصور خلال سنة 333-332 ق.م، مما دفع أهل صور الى الاعتراض على ذلك، اعتبارا لقدسية المكان ولكون ملقارت كان يمثل بالنسبة لهم رمزا للاستقلال وللهوية الوطنية[129]. كما أن قرطاجة كانت في عز عبادتها لبعل، تلجأ الى الاستنجاد بملقارت. وهذا ما يفهم من خلال "ديودور الصقلي" عندما أورد أن القرطاجيين برروا الهزائم التي ألحقها بهم "أكاطوكليس" (Agathoklès) صاحب "سرقوسة" (Syracuse) بغضب ملقارت[130]. وهذا ما دفعهم، حسب نفس المؤلف[131]، الى بعث مجموعة كبيرة من الثروات والهدايا الفاخرة الى معبد ملقارت بصور. ولا يمكن تفسير هذه المبادرة، وتلك الرغبة في طلب المغفرة من ملقارت سيد صور، وليس من بعل حامي قرطاجة، إلا لكون ملقارت كان يعتبر في نظر كل أولئك الذين هاجروا الى الديار البعيدة، الساهر الاول على كل منشأة فينيقية جديدة، وبالتالي الاله المسؤول عن المشاريع البحرية الكبرى.

2) معبد ملقارت المركز الحامي للتجارة :

اعتبارا لكون ملك صور كان يمتزج بالاله ملقارت (ملك القرية) كما رأينا، وحيث أن الملك كان يسخر الدين لأهداف سياسية ودعائية، فمن المرجح أن كهنة المعبد -الذين يتم انتقاؤهم من العائلات ذات النفوذ بالمدينة أو من العائلة المالكة نفسها- كانوا يلعبون دورا سياسيا أساسيا في تاريخ المدينة، حيث كانوا مسؤولين من بين المهام المنوطة بهم عن الطقوس وإدارة المعبد[132]. فعليشا أخت الملك "يوماي يعطون" (Pygmalion) كانت متزوجة بكاهن ملقارت، و الملكان "إشمون عازار" و"تابنيت" كانا في نفس الوقت كاهني عشتروت بصيدا. كما أن "إيتوبعل" أو "عطاء بعل"، الذي استولى على العرش بصور إثر عملية انقلابية سنة 887 قبل الميلاد، كان كاهنا لعشتروت[133].

لذا فإن مهمة معابد ملقارت التي تم تشييدها في المناطق البعيدة كانت مهمة محددة، إذ تمثلت في توطيد وصاية كل من معبد صور وكهنته، ووصاية الملكية على المشروع التجاري، وضمان تدخل الملكية في كل نشاط تجاري بعيد المدى، وإضفاء الشرعية على المنشأة. وبذلك تتحول المستوطنة الى امتداد لصور، ويتم ضمان حق اللجوء والضيافة، الذي يعتبر في الاراضي البعيدة بمثابة موافقة ضمنية على العقود في المبادلات التجارية[134].

وهذا ما يفسر لماذا كانت جل المستوطنات العتيقة لصور مرتبطة بمعبد ما وخصوصا معبد ملقارت، مما يجعلنا نعتقد أن توسع صور نحو الغرب تزامن مع النشر التدريجي لعبادة ملقارت في قبرص وطاسوس ومالطا وقرطاجة وقادر وربما روما[135]. هذا الارتباط بملقارت نجده بشكل واضح في قرطاجة، حيث ارتبطت أسطورة تأسيس المدينة بملقارت، وأيضا في قادس حيث كان تشييد المعبد سابقا لتأسيس المدينة،

---

(129) Idem, Ibid, p. 135.

(130) Diodore de Sicile, XX, 14, 1.

(131) Idem, Ibid, XX, 14, 1.

(132) Idem, Ibid, p. 135.

(133) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 136.

(134) Idem, Ibid, p. 241.

(135) Idem, Ibid, p. 136.

وحيث كان يقام الاحتفال السنوي ببعث الإلاه. كما نجد هذا الارتباط في الغرب المتوسطي من خلال تشييد معبدين قديمين خلال نفس تاريخ تشييد معبد قادس، وهما معبد ليكسوس وأوتيكا. كما أن الدلائل الوحيدة عن مرور الفينيقيين بكل من مدينة "بافوس" (Paphos) بجزيرة قبرص وجزيرة "كيطيرا" (Cythère) ببحر إيجة خلال العصر العتيق، تعود الى معبد عشتروت حسب "هيرودوت"، كما سبقت الاشارة الى ذلك. هذا الى جانب إشارة "هيرودوت" أيضا الى تأسيس الفينيقيين لمعبد ملقارت بجزيرة "طاسوس" ببحر إيجة عند استخراجهم لمعدن الذهب من هناك، وتأسيسهم لمعبد عشتروت بممفس.

الى جانب ذلك، استعمل المعبد باعتباره همزة وصل بين المستوطنة والمدينة الام، محدثا رابطة سياسية واقتصادية حظي الكهنة من خلالها بدور متميز. فمن المعلوم أن حماية زوار أحد الاسواق أو إحدى أمكنة التبادل في التجارة القديمة كانت تتم تحت ضمانة أحد المعابد المشيدة في المناطق المجاورة، الذي كان يقوم في بعض الاحيان بمهمة الوسيط المالي الفعال، أو البنك[(136)]. وهكذا مثلت المعابد في العصر القديم الامكنة الاولى للمبادلات التجارية في البلد الاجنبي. ذلك أن أول شرط لإقامة السوق أو لتشييد مستوطنة تجارية بالقرب من الحدود أو في البلدان البعيدة، مثله توفر الضمانة الكافية لعدم مضايقة الزوار أو سلبهم. هذه الضمانة لم يكن في وسع أي كان أن يقدمها بصفة عامة سوى الإله، حيث كانت الصفقات تراقب تحت رعايته وحمايته، ويتم القسم باسمه عند المصادقة على العقود[(137)]. وهذا ما قام به "حنبعل"، عندما أقسم باسم إثنى عشر إلاها فينيقيا ضمانا للمعاهدة التي أبرمها مع الملك "فيليب المقدوني"، وذلك أمام الوفد المبعوث الى قرطاجة لتوقيع العقد[(138)].

بالطبع، نحن نعلم أن الشعوب المتطورة كانت تعقد بعض الاتفاقيات والمعاهدات التجارية، كما فعل حيرام ملك صور وسليمان ملك العبريين. غير أن الضمانة الوحيدة التي كانت موجودة بين المجتمعات غير المتساوية أو الاستعمارية مثلتها السيادة المعترف بها لإله في معبده أو في مكانه المقدس. ذلك أن كل وجود فوق طبيعي أو إلاهي كان يدنس تلقائيا كل محاولة غش أو عنف، ويطبع بالتالي علاقات الثقة المتبادلة بين الطرفين بمقتضى قواعد الضيافة واللجوء. وقد أطلق العالم الاغريقي على هذه الضمانة اسم *asyle*، مما دفع "روني روبيفا" (René Rebuffat)[(139)] مثلا الى اعتبار أن المعابد الفينيقية كانت تضمن ما يسمى في العرف القديم بحق الالتجاء.

وكانت جودة البضاعة ومعادلات التبادل والاوزان تحت حماية الاله كذلك، مما جعل "هرقليس–ملقارت" يعرف أيضا باسم *Heracles ponderum*[(140)]. كما أن المعبد كان يحل محل الخزينة والبنك[(141)]، ويمكن أن يتوفر على سجل الصفقات، مما يجعل الإله في هذه الحالة يقوم مرة أخرى مقام السلطة السياسية. علاوة على ذلك كان الاله يتسلم بعض الرسوم والضرائب على شكل أعْطِيَات وحلي ونقود يقوم الكهان

(136) Idem, Ibid, p. 241.

(137) Bunnens(G.), L'expansion phénicienne en mediterranée, op. cit, p. 284 ; Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 241.

(138) Polybe, VII, 9.

(139) Rebuffat(R), Hélène en Egypte et le Romain égaré, in **REA**, t. LXVIII, 1966, p. 245-263.

(140) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 242.

(141) كان المعبد يلعب دورا ماليا مهما بقرض الذهب والفضة مقابل الفائدة، وبإعطاء القروض للتجار الذين كانوا يؤدون أحيانا فوائد هامة لكسب امتيازات تجارية ولمزاحمة القصر. انظر :

Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 120.

بتدبيرها، كما نفهم ذلك من بعض المصادر المتأخرة التي تشير الى وجود كنز مهم داخل معبد قادس [(142)]. كما ثبت أن نفس المعبد كان يتمتع بحظوة تلقي التركات [(143)]، مما يجعلنا نعتبر مثلا أن تشييد معبد قادس مثل استثمارا مربحا للفينيقيين.

ومن المحتمل أن المستوطنات الصورية الاولى بالبحر الابيض المتوسط مثل قادس أو ليكسوس كانت في بدايتها عبارة عن معابد صرفة تسيرها مجموعة كهنوتية مرتبطة مباشرة بمصالح صور. وفي هذه الحالة لم يكن ملقارت يقوم ببسط رعايته على المشاريع التجارية فحسب، بل استقر بصفته حام للمستوطنين في البلاد الاجنبية، حيث كان البحارة الفينيقيون يترددون على معبده لتقديم الأضحيات بعد إنهاء أهدافهم بالمنطقة [(144)]. ففي مكان تقام فيه السوق لأول مرة، ولكي يتم الانتقال من مرحلة التأسيس أو مرحلة المقايضة البسيطة الى مرحلة المبادلات المنتظمة مع المحليين، يبدو حسب الباحثة الاسبانية "ماريا إوخينيا أوبيت" (Maria Eugenia Aubet) [(145)] أن أحسن الوسائل فعالية بالنسبة للمجتمعات القديمة، تكمن في اللجوء الى حماية أحد الآلهة يحظى بتقدير الاهالي، نظرا لكون احترام الاجنبي يتوقف على احترام آلهته.

ومهما كان الحال، يجدر القول بأن تشييد معبد ملقارت المرتبط بتأسيس المستوطنة، حدث في إطار استراتيجية سياســـــية واقتصادية محددة. وإذا كان المعبد وتأسيس المسنوطنة يمتزجان، والحالة أن المصادر المتحدثة عن معبد ملقارت بليكسوس لم تكن تشير الى المستوطنة بل الى المعبد، فذلك راجع الى وجود رغبة سياسية في بدء تجارة مضبوطة ومنتظمة. وفي هذه الحالة لم يقتصر المعبد على وظيفته الاقتصادية، بل كان يحافظ على سلامة المكونات الثقافية الاصلية للمستوطنين [(146)] باعتباره محورا للتوسع التجاري الفينيقي وحاميا له، وبالتالي يمكن الى حد ما أن يكون قد مارس كذلك نوعا من المراقبة الاجتماعية من خلال الدين [(147)].

ومما يدل على المشاركة الفعالة لمعبد ملقارت في المشروع التوسعي الفينيقي، وعلى المكانة التي كان دائما يحظى بها لدى جل المستوطنات الفينيقية، باعتباره الساهر على هذا المشروع والمسؤول عن تنفيذه وربما مموله الرئيسي، هو أن القرطاجيين كانوا خلال العهود الاولى من استقرارهم بشمال إفريقيا، يبعثون الى معبد ملقارت بصور بعُشر مواردهم العمومية [(148)]. وهنا يجدر بنا أن نتسائل لماذا كان ملقارت الاله الوحيد الذي حظي بهذا التشريف الكبير على حساب أرباب أخرى لها مكانتها في مجمع الآلهة الفينيقية، مثل بعل أو عشتروت. فهل يعزى ذلك الى كون ملقارت يعتبر الاله الرئيسي لصور ؟ أم لانه يعد المسؤول عن المشاريع البحرية الكبرى؟

والواقع أن الدافعين لا يعترضان، إذ أن الاله الرئيسي لصور يعتبر المؤهل أكثر من غيره للاشراف على مشاريع ذات أهمية مثل الابحارات البعيدة، وبالتالي يحق طرح مسألة ما إذا كان معبد ملقارت يشارك في تمويل التجارة البحرية. وفي هذه الحالة، فإن عشر المداخيل التي كان يبعث بها القرطاجيون الاوائل الى

---

(142) Tite-Live, 28 : 36, 2.

(143) Ulpien, 22, 6.

(144) Avienus, Ora Maritima, 358.

(145) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 242.

(146) الى جانب الدور الديني والاقتصادي لمعبد ملقارت، يضاف بفضل موقعه بالقرب من التجمعات المحلية دوره الايديولوجي كعنصر للتثاقف.
وفي هذا الصدد، اعتبر محمد حبيبي أن موقع معبد ملقارت بليكسوس خارج المدينة، لعب دورا في تثاقف سكان المنطقة بالحضارة الفينيقية.
انظر :
Habibi(M), A propos du temple H et du temple de Melkart-Héraclès à Lixus, op. cit, p. 241.

(147) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 243.

(148) Diodore de Sicile, XX, 14, 2.

معبد ملقارت بصور، لم تكن تمثل قربانا للاله فحسب، بل لعلها تعتبر حصة الارباح المستحقة للمعبد. وبذلك يمكن اعتبار، كما يرى الباحث البلجيكي "كوي بونينس" (G. Bunnens)، أن معابد ملقارت التي تم إنشاؤها بالقرب من المستوطنات والمحطات الفينيقية، كانت من بين مهامها، القيام بهمزة الوصل بين معبد ملقارت الرئيسي بصور، وبين هذه المنشآت[149].

فهل كان معبد ملقارت بليكسوس يقوم بإحدى الادوار السالفة الذكر ؟ هل كان يقوم بها جميعا باعتباره مكانا للتعبد، والضامن للعمليات التجارية، والممول لها ؟

IV ـ الدور الاقتصادي لمؤسسة المعبد في ليكسوس من خلال المسكوكات :

في الواقع، تعتبر المعطيات المصدرية والاركيولوجية المتوفرة[150]، غير كافية للتمكن من الالمام بالدور الحقيقي الذي لعبه معبد ملقارت بليكسوس في التجارة الفينيقية، رغم أن "فيرناندو لوبيز باردو" يخلص الى أن الاستنتاجات السالف ذكرها يمكن تطبيقها كذلك على هذا المعبد[151]. بل هناك من الباحثين من يعتبر أن فكرة وجود المعبد لا تستند الى قواعد تاريخية صلبة، وأنه لا يوجد ما يدل على أن معبد ليكسوس المفترض كان أصله فينيقيا، اعتبارا لكون المصادر التي أشارت إليه لم تورد نصا أنه معبد فينيقي[152].

ومع ذلك فهناك مجموعة من العناصر التي توحي ليس فحسب بتوفر ليكسوس في ماضيها على معبد ملقارت، بل تسلط بعض الاضواء على الدور المحتمل الذي لعبه هذا المعبد. ومن أبرز هذه العناصر ما ساهمت به مسكوكات ليكسوس في الكشف عن المهام التي كانت تتولاها مؤسسة المعبد في تنشيط التجارة الفينيقية بالمغرب الاطلنطي، رغم أن هذ المسكوكات ضربت خلال عهد لاحق للحقبة الفينيقية. فاستنادا لفرضية سك بعض هذه المسكوكات في المعبد، ونظرا لذكرها لاسماء معبودات فينيقية، أو لتصويرها لهذه المعبودات بما فيها ملقارت، أو لبعض رموز المعبد كالمذبح، يتبين على ما يبدو أن مؤسسة المعبد كان لها حضور على طول المراحل التاريخية التي مرت منها ليكسوس.

وعموما، يجدر التمييز في المسكوكات التي تم ربطها بليكسوس بين مجموعتين مختلفتين :

– المجموعة الاولى تحمل عبارة "مَقَام شَمَش" (MQM ŠMŠ)[153] عوض الاسم الاعتيادي للمدينة.

---

(149) Bunnens(G.), L'expansion phénicienne en mediterranée, op. cit, p. 285.

(150) ترى "كرمين أرانيكي" أن الكلمة التي تمت خربشتها فوق القطعة الخزفية التي اكتشفها "بونسيك" في مبنى A، يمكن أن تمثل عبارة "ملقارت" حسب قراءة "باولو كزيلا" لشكل الحروف (لوحة XXXI). لكن ذلك لايعني أن الامر يتعلق بعبادة ملقارت أو بوجود معبد في عين المكان، بقدر ما يمكن أن يفسَّر باسم مُركب من كلمتي "عبد" و"ملقارت"، كما هو الشأن في جزيرة الصويرة، التي خلفت المآت من الكسرات الخزفية المخربشة بأسماء أشخاص فينيقيين، نذكر منها "عبد لبنان" و "عبد تانيت". انظر :

Aranegui(C), Tarradell-Font(N), Lixus colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Apuntes para una Historia de la investigación arqueológica, op. cit, p. 28 ; Xella(P), La religion phénico-punique au Maroc : Les apports de l'épigraphie, op. cit, p. 140 ; Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 177-178.

(151) Lopez Pardo(F), Reflexiones sobre el origen de Lixus y su Delubrum Herculis en el contexto de la empresa comercial fenicia, op. cit, p. 96.

وبذلك يجد تفسيرا لتشييد هذا المعبد، سواء داخل المستوطنة أو خارجها، باعتباره رمزا لتأسيس المستوطنة من طرف صور، وأداة لسياسة فينيقية للتوسع التجاري بالغرب المتوسطي، كما يرى ذلك الباحث البلجيكي "كوي بونينس" (G. Bunnens). انظر :

Bunnens(G.), L'expansion phénicienne en mediterranée, op. cit, p. 241.

(152) Idem, Ibid, p. 210.

(153) Mazard(J), Corpus nummorum Numidiae Mauretaniaeque, op. cit, n° 643-648.

– المجموعة الثانية تحمل اسم المدينة تحت شكلها العادي، الذي ورد سواء على صيغة "ليكس" (LIX) أو "ليكس" (LIXS) باللاتينية، وعلى صيغة "لكش" (LKŠ) بالبونيقية[154].

1) نقود "مقام شمش" وارتباطها بالمعبد :

إن الكشف عن نقود برونزية تؤرخ بالقرن الاول قبل الميلاد، كُتبت عليها عبارة "مقام شمش" (MQM ŠMŠ) بالبونيقية الحديثة، يجعلنا نعتقد أنها سكت في إحدى معابد ليكسوس. ولعل هذا الدليل يعتبر الوحيد من نوعه في هذه المدينة، وإن كان يهم عصورا متأخرة، حول إمكانية مشاركة مؤسسة المعبد في التجارة الفينيقية عبر الساحل الاطلنطي للمغرب. كما يعد من الشواهد النادرة في الحوض المتوسطي حول مساهمة المعابد الفينيقية في النشاط التجاري. ولتوضيح هذه الفكرة، يمكن الاستناد الى العناصر التالية :

أ– مصطلح "مقام" بالفينيقية وعلاقته بالمعبد :

بعد أن كان "جان مازارد" (J. Mazard) يترجم عبارة "مقام شمش" الواردة في هذه النقود بعبارة "مدينة الشمس"[155]، جاء التفكير في أن تكون نفس العبارة تعني شيئا آخر دون المدينة، نظرا لكون هذه الحالة تنم عن حضور غير معقول لهيئتين بلديتين لسك العملة في مدينة واحدة. حقا إن كلمة "مقام" تعني "المكان" باللغة العبرية، مما يجعلها ترتبط نوعا ما بمدلول المدينة[156]، غير أن هذه الكلمة تتضمن معنى أدق في اللغة الفينيقية، حيث تعني مرارا "المكان المقدس"، سواء كان قبرا[157] أو معبدا. وفي هذا الصدد، يرى الباحث في الدراسات السامية "جامس–جيرمان فيفريي" (James-Germain Février) أن كلمة "مقام" لم تكن تطلق فقط على البناية الرئيسية للمعبد الذي أقامه الفينيقيون أو البونيقيون، بل كانت تهم أيضا مجموعة الاراضي والمباني التابعة له[158]. كما نجد أن الباحث الايطالي "ميلاني" (C. Milani) يعتمد كذلك ترجمة كلمة "مقام" بالمكان المقدس[159]. ويذكر محمد فنطر، المتخصص في الحضارة الفينيقية–البونيقية، أن الكلمة الفينيقية "مقام"، تعني عدة مفاهيم من بينها المعبد أو الحرم[160]. ومن غريب الصدف أن كلمة "مقام" في اللغة العربية، الى جانب تضمنها معنى الموضع أو الاقامة في المكان[161]، فهي تتضمن كذلك معاني أخرى من بينها المكان المقدس، أو الحرم، الذي تقام فيه الصلوات[162].

---

(154) Idem, Ibid, n° 630-642.

(155) Idem, Ibid, p. 189.

(156) يرى "موريس زنيسير" (Maurice Sznycer) أن المجموعة الثانية من أسماء الاماكن الفينيقية بالحوض المتوسطي الغربي كانت تتركب من كلمة "مقام" مثل "مقام حدشت" التي وردت في ساحل السرت وفي نوميديا وفي سردينيا على صيغة *Macomada* أو *Macomades* أو *Magomadas*. وهو يرجح أن يكون مدلول كلمة "مقام" في هذه الحالة يتضمن معنى المكان أو الموضع، وليس مدلول الحرم أو المعبد. انظر :

Sznycer(M), Toponymes phéniciens en Méditerranée occidentale, Leyde, 1977, p. 172.

(157) Bonnet(C), Melqart. Cultes et mythes de l'Héraclès tyrien en Méditerranée, op. cit, p. 199-200.

(158) Février(J.G), Le mot Mâqôm en phénicien-punique. Cahiers de Byrsa, t. 9, 1960-1961, p. 33.

(159) Milani(C), Lat. Locus sanctus, loca sancta. Ebr. Meqôm Haqqodes, maqôm qadôs, in **Sanctuari e politica nel mondo antico (Contributi dell'Istituto di storia antica 9)**, Milano, 1983, p. 38.

(160) Fantar(Mh), Kerkouane, cité punique du Cap Bon (Tunisie), III, Tunis, 1986, p. 28-29.

(161) ابن منظور، لسان العرب، كلمة "قوم"، المجلد 12.

(162) يقول تعالى في سورة آل عمران (آية 97) : « *فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا* ». كما يقول عز وجل في سورة البقرة (آية 125) : « *وإذا جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى* ».

انطلاقا من هذه المعطيات، يعتقد "جان ماريون"[163] أن عبارة "مقام شمش" لها علاقة بمعبد يدعى "معبد الشمس"، وأن النقود التي كانت تحمل نفس العبارة، تم سكها إما من لدن ملوك موريطانيا لاستعمالات المعبد، أو من طرف كهان المعبد نفسه[164].

وهكذا يخلص "جان ماريون" الى أن مسألة نقود "مقام شمش" أفرزت ظاهرة غريبة تطرحها دراسة المسكوكات الموريطانية، وهي أن مدينة ليكسوس عرفت دارين مختلفتين لضرب العملة، مستقلتين الواحدة عن الاخرى بشكل كلي. فالمدينة كانت تتوفر على مجموعتها النقدية الخاصة بها، كما أن المعبد توفر هو أيضا على مجموعته الخاصة به، والتي كانت مختلفة تمام الاختلاف عن مجموعة المدينة. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن مؤسسة المعبد كانت مؤسسة قائمة الذات داخل المدينة، مما ينم عن الدور الاقتصادي والبنكي للمعابد ذات الاصول الفينيقية، كما يرى ذلك بحق محمد فنطر[165].

فقد كانت مسكوكات "مقام شمش" أو معبد شمش" تتميز بإصداراتها غير المنتظمة، وتعطي الانطباع، خصوصا فيما يتعلق بتلك التي ضربت في عهد "بوكوس"، بأنها سكت بشكل مستعجل ومهمل وفوضوي إن صح التعبير، خارجا عن مراقبة سلطة مركزية على السك، بحيث كان كل شيئ فيها مختلفا عما كان يحدث في جهات أخرى[166]. كما تميزت هذه النقود بكثرة الاصدارات، حيث بلغ مجموع المسكوكات التي تحمل عبارة "مقام شمش" الموجودة في متحف الرباط 238 نقدا، مقابل 137 نقدا لباقي نقود موريطانيا الطنجية ؛ أي أن نسبة الاصدار بلغت 63,5%[167].

فهل هذا يعني أن معبد ليكسوس كان يحظى بحضور قوي في تنشيط التجارة بالجزء الشمالي الغربي للمغرب القديم، علما أن هذه النقود اكتشفت في أهم حواضر المغرب إذاك مثل وليلي وتمودا وبناصا وتموسيدا وسلا وزيليل (الدشر الجديد) ؟ إذا كان الامر كذلك، فيجدر الاخذ بعين الاعتبار رأي الباحث الاسباني "فيرناندو لوبيز باردو" (Fernando Lopez Pardo)، الذي لا يعتقد بأن نقود "مقام شمش" كانت تستخدم فقط في الاستعمال المقصور على معبد ليكسوس، لتغطية أداء الصدقات والاعطيات والقرابين[168]. لأن ذلك ينفي بشكل واضح إشراك معبد ليكسوس في التجارة الفينيقية قبل العصر الموريطاني. والحاصل أن نقود "مقام

(163) Marion(J), Les monnaies de Shemesh et des villes autonomes de Maurétanie tingitane au musée Louis Chatelain à Rabat, op. cit , p. 73.

(164) غير أنه اعتبر أن هذه النقود كانت مخصصة لاستخدامها في الاعطيات الدينية، أو لتغطية أجور الكهان المكلفين بالقرابين. وبنفس الطريقة التي يؤدي بها كل يهودي إتاوته السنوية لخزينة معبد سليمان، والتي لم يكن بالامكان تسديدها سوى عن طريق نقد خاص كان يدعى "نقد المعبد"، تساءل "جان ماريون" عما إذا كان معبد الشمس بليكسوس قد استعمل نقدا خاصا، نقشت أحيانا بظهره صورة الملك الحاكم إذاك، مراعاة لشخصه. انظر:
Idem, Ibid, p. 73-74.

(165) Fantar(Mh), La religion phénicienne et punique de Lixus : témoignages de l'archéologie et de l'épigraphie, op. cit, p. 119.

(166) Marion(J), Les monnaies de Shemesh et des villes autonomes de Maurétanie tingitane au musée Louis Chatelain à Rabat, op. cit , p. 71.

(167) بلغ مجموع مسكوكات طنجة 27 نقدا، وليكسوس 78 نقدا، وسلا 12 نقدا، وزيلي نقدا واحدا، و19 نقدا مجهول المصدر. انظر :
Idem, Ibid, p. 72.

(168) Lopez Pardo(F), Reflexiones sobre el origen de Lixus y su Delubrum Herculis en el contexto de la empresa comercial fenicia, op. cit, p. 101.

شمش" كانت تتعدى الدائرة التجارية الاطلنطية لليكسوس، وتستطيع ولوج الاراضي الداخلية للمغرب القديم، نظرا لتوزيعها بشكل كبير في مدينة وليلي[169].

وهكذا، إذا أضفنا نقود "مقام شمش" التي سكها المعبد، على نقود "لكش" كما سنرى، فسنلاحظ أن مدينة ليكسوس كانت تمثل الممون التجاري الاول للاسواق الداخلية لموريطانيا الغربية، مما يعكس القوة الاقتصادية التي حظيت بها المدينة حينذاك. كما أن سك العملة من طرف المعابد الفينيقية الاصل لم يقتصر على ليكسوس وحدها، بل نجده حاضرا كذلك حسب الباحث الايطالي "أكوارو" (E. Acquaro) بجزيرة صقلية في مرحلة تاريخية أقدم من المرحلة التي ضُربت خلالها مسكوكات ليكسوس. فقد ذكر هذا الباحث[170] أن إدارة معبد ملقارت كانت تقوم بسك العملة في القرن الرابع قبل الميلاد، اعتمادا على ما خلص إليه الباحث الايطالي "مانفريدي" (I. Manfredi)[171]. وهذا ما حدى به الى طرح نفس التساؤل الذي يفرض نفسه في هذا الصدد، حول ما إذا كانت إدارة المعبد تمثل بالفعل المصدر الرئيسي للظاهرة الاستيطانية لمدينة صور[172].

ب- الاله "شمش" في العالم الفينيقي-البونيقي :

إذا كانت كلمة "مقام" الواردة في هذه المسكوكات تعني المعبد، فإن الكلمة الموالية الواردة على شكل "شَمَش" لا يجدر ترجمتها حسب "مازارد" (J. Mazard) و"ماريون" بكلمة "الشمش" كدلالة عن النجم، بل بكلمة "شَمَش" كدلالة عن المعبود الفينيقي المعروف بهذه التسمية، حيث يصبح معنى الكلمتين "معبد الاله شمش". ومن المعلوم أن هذا المعبود ذا الطبيعة الشمسية[173] معبود سامي قديم كان يكرم في بلاد بابل وأشور وعيلام ومثّاني وبلاد كنعان والجزيرة العربية[174]. كما كان حاضرا ضمن المعبودات الفينيقية[175] منذ القرن الثامن قبل الميلاد، بعد الكشف عن عبادته من خلال كتابات فينيقية تم العثور عليها في مركز "كاراطيب" (Karatepe)[176] بإقليم "سيليقيا" بالاناضول[177]. كما أن عبادته بالعالم الفينيقي-البونيقي أثبتها وجود شهر

---

(169) Lopez Pardo(F), Mauritania Tingitana : de mercado colonial púnico a provincia periférica romana, Madrid, 1987, p. 312-324.

(170) Acquaro(E), Il tempio nella precolonizzacione fenicia, en momenti precoloniali nel Mediterraneo antico, édition E. Aquaro et autres, Roma, 1988, p. 187-189.

(171) Manfredi(I), R'smlqrt : nota sulla numismatica punica di Sicilia, **Revista italiana di numismatica**, 87, 1985, p. 3-8.

(172) غير أن "جاك أليكساندروبولوس" يعتبر أنه، بالرغم من كون الحضارات الشرقية أفرزت وجود مجموعة من المعابد تمثل مراكز اقتصادية هامة، فإن المسكوكات الفينيقية-البونيقية بالغرب المتوسطي، لا تشتمل على أية إشارة تنم عن قيام المعبد بضرب العملة، رغم أن هذه المسكوكات كانت تصور أحيانا بعض النماذج من المعابد الفينيقية الاصل. انظر : Alexandropoulos(J), Le Monnayage de Lixus : Un état de la question, op. cit, p. 250.

(173) مما يؤكد ذلك أن هذا الاله يطابقه في العالم الاغريقي الاله "هيليوس" (Hélios)، ذو الطبيعة الشمسية. انظر :

Briquel Chatonnet(F), Quelques remarques sur l'onomastique des Phéniciens d'après les inscriptions grecques, **Actes du IIIe congrès International des études phéniciennes et puniques**, op. cit, Volume I, Tunis, 1995, p. 206.

(174) نشير في هذا الصدد أن جد بني أمية يدعى عبد شمس بن أسد بن عبد مناف. انظر شجرة نسب قريش في :

ابراهيم (حسن)، تاريخ الاسلام، الجزء الاول، بيروت، دار الاندلس، الطبعة السابعة، 1964، ص. 18.

وحول عبادة "شمش" في العالم السامي القديم، انظر :

عبودي (هنري)، معجم الحضارات السامية، طرابلس-لبنان، 1988، ص. 536.

(175) حول عبادة الاله "شمش" في العالم الفينيقي-البونيقي، انظر :

Bonnet(C), Le dieu solaire Shamash dans le monde phénico-punique, **S.E.L**, 6, 1989, p. 97-115.

(176) Lipinski(E), **Karatepe**, Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique, op. cit, p. 243.

تقدم فيه الإضحيات لشمش[178]، وأفرزتها كذلك عبارة "عبد معبد شمش" في إحدى الكتابات المكتشفة في قرطاجة[179]، مما يدل على وجود معبد له في العاصمة البونيقية[180]. فضلا عن ذلك، تم الكشف عن كتابة فينيقية على كأس برونزية تؤرخ بالقرن الرابع قبل الميلاد تشير الى "مرزب شمش"، أي زاوية موهوبة للاله شمش[181]. كما أن نقود "مالقة" البونيقية-الحديثة التي تم إصدارها في مرحلة ما من القرن الاول قبل الميلاد، كانت تشتمل في وجهها الاول على عبارة "شمش"، وصورة واجهة معبد رباعي الاعمدة يمكن اعتباره معبد "شمش"[182]. وقد ورد اسم "شمش" في تركيبة العديد من أسماء الاشخاص الفينيقية والطوبونيميات الفينيقية، نذكر منها مدينة "هيليوبوليس" (Héliopolis) التي عرفت "بقرط شمش"[183] من خلال إحدى الكتابات الفينيقية المكتشفة بمصر[184]، و"ببيت شمس" من خلال التوراة[185].

من هنا يبدو لاول وهلة أن المعبد الذي سك العملة في ليكسوس خلال القرن الاول قبل الميلاد لم يكن معبد ملقارت، بل لعله معبد شَمَشْ. فهل هذا يعني أن شمش استطاع أن يأخذ مكانة ملقارت التي حظي بها خلال العصر الفينيقي، خصوصا أن الاله شمش يعد من المعبودات الفينيقية الواضحة الحضور في مجمع الآلهة الفينيقي[186]، وهذا أمر طبيعي الحدوث، لان مكانة الارباب كانت تتغير باستمرار خلال العصر القديم ؟ أم أن الامر يتعلق بملقارت نفسه الذي يتميز من بين ما يتميز به بطبيعته الشمسية، كما يرى محمد فنطر[187] ؟

ت- صورة الشخص الملتحي بنقود "مقام شمش" وعلاقتها بالإله المسؤول عن السك :

عكست جل نقود "مقام شمش" صورا مختلفة لوجه شخص ملتح ذي شعر كثيف، أحيانا على شكل طويل، وأحيانا أخرى على شكل قصير، سواء في تلك التي ضربت في عهد "بوكوس" أو في عهد "يوبا الثاني"[188] (انظرلوحة LXXXIV). وكانت هذه الصورة تتميز حسب "جان مازارد"[189] « ***تارة بشعر مجعد***

---

(177) Bonnet(C), Les divinités de Lixus, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), Collection de l'Ecole française de Rome, n° 166, Palais Farnèse, 1992, p. 125.

(178) وقد تأكد ذلك من خلال كتابات تم العثور عليها في "بيرجي" (Pyrgi) بايطاليا وفي "كيتيون" (Kition) وربما "لارناكا" (Larnaka) بقبرص. انظر :

Bonnet(C) et Lipinski(E), **Shamash**, Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique, op. cit, p. 409.

(179) Idem, Ibid, p. 409.

(180) Bonnet(C), Les divinités de Lixus, op. cit, p. 125.

(181) Bonnet(C) et Lipinski(E), **Shamash**, Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique, op. cit, p. 409.

(182) Rodriguez Oliva(P), Sobre el culto de La Dea Luna en Malaca, **Jábega** 21 (1978), p. 49-54.

(183) بمعنى مدينة "شمش" أو مدينة الشمس. وجدير بالتذكير في هذا الصدد أن قرطاجة تعني "قرط حدشت"، أي المدينة الحديثة وليس القرية الحديثة، اعتبارا لكون تأسيسها إنما كان لتعويض مدينة صور في الغرب المتوسطي.

(184) Bonnet(C) et Lipinski(E), **Shamash**, Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique, op. cit, p. 409.

(185) **Héliopolis (Ancienne Egypte)**, Encyclopédie Electronique Encarta 1997.

(186) Bonnet(C), Les divinités de Lixus, op. cit, p. 125.

(187) Fantar(Mh), La religion phénicienne et punique de Lixus : témoignages de l'archéologie et de l'épigraphie, op. cit, p. 119.

(188) حول هذا الشخص يعتبر "مازارد" (Mazard(J), Corpus nummorum Numidiae Mauretaniaeque, op. cit, p. 193) أن الامر يتعلق بصورة الملك "بوكوس"، لان نقود "شمش" كانت دائما تصور نفس الرأس مع ذكر اسم الملك. لكن "ماريون" يرد على هذا الرأي بكون نقود شمش سكت نماذج عديدة ومختلفة من هذا النوع، ومختلفة لدرجة تنم عن انعدام أي عنصر مشترك بين النقد والنقد، الامر الذي يتعارض مع فكرة صورة الملك الواحد. كما وجد اختلاف في السك بين النقود التي تمثل الوجه الايمن والتي تمثل الوجه الايسر للشخص.

بانسجام، وتارة أخرى بشعر أشعث. أما اللحية، فهي إما مدورة أو مُسرَّحة ومجعدة. وفي بعض الحـــالات يشطر الشعر الى كتلتين بواسطة مفرق، بينما أعدت اللحية على شكل خُصْلات طويلة مفصولة عن بعضها البعض، أو على شكل خصلات صغيرة متجاورة».

وإذا كانت هذه الصورة تمثل بدون شك أحد المعبودات، غير أن التحقق من هويته يعدو أمرا صعبا كما يرى محمد فنطر [190]، مما أدى الى طرح العديد من الفرضيات في الموضوع. وفي هذا الصدد يعتبر "ماريون" [191] أن هذا الشخص لا يمكن أن يمثل سوى صورة إله مرتبط بالمدينة أو البوليس، أو حام لها كما يرى "كابرييل كامبس" (G. Camps) [192]. وإذا كان "موليز" (L. Muller) ثم "مازارد" يعتبران أنه يمثل الاله بعل أو بعل–ملقارت نظرا لتشابه صورته مع صور بعل أو بعل–ملقارت بنقود طنجة، فإن "ماريون" يرى أن هذه الصورة تقترب من صورة "أوقيانوس" الهلينيستي أكثر من تشابهها مع بعل البونيقي، نظرا للتشابه الحاصل بينه وبين القناع البرونزي المكتشف بليكسوس والمؤرخ بالقرن الاول ق.م [193]. وهو القناع الذي يرى فيه المتخصصون حسب "ماريون" طابع الاله البحري (أوقيانوس أو حدد) وليس طابع الاله الشمسي [194]. كما كانت صورة الشخص الملتحي شبيهة أيضا بالفسيفساء المكتشفة في مدينة ليكسوس التي تمثل الاله أوقيانوس، والتي يعود تاريخها الى القرن الثاني أوالثالث الميلاديين [195]. وترجيحا لنفس الرأي، يعتبر "جاك أليكساندروبولوس" (J. Alexandropoulos) أن صورة نقود "مقام شمش" التي تبين وجه الاله "أوقيانوس"، تنم كذلك عن نفس المواضيع المرتبطة بالمحيط المميزة للمنطقة الجنوبية لمضيق جبل طارق [196].

غير أن التشابه الممكن تسجيله بين صورة نقود "مقام شمش" وبين القناع البرونزي والفسيفساء السالف ذكرها، لا يلاحظ سوى في طريقة معالجة الشعر واللحية، وفي الوضعية الامامية للوجه. بينما يكمن الاختلاف في كون رأس الشخص الملتحي الوارد في نقود "مقام شمش" كان خاليا من الاسماك والدلافين

بل وجدت اختلافات حتى داخل النقود ذات الوجه الايمن وذات الوجه الايسر. أما النقود التي تمثل الوجه الكامل لهذا الشخص الملتحي، والتي ظهرت في عهد "يوبا الثاني"، فقد أصبحت تتميز بانتظام في سكها. وهي تبين في وجهها الاول صورة رذيئة ليوبا الثاني مع كتابة اسمه، وفي الوجه الآخر صورة للشخص الملتحي، تعد من أجمل ما أنتجته مسكوكات موريطانيا، حيث عبارة مقام في اليسار وشمش في اليمين، أو مقام في الاعلى وشمش في الاسفل. انظر :

Marion(J), Les monnaies de Shemesh et des villes autonomes de Maurétanie tingitane au musée Louis Chatelain à Rabat, op. cit , p.62- 63 ; fig. 2, 10, 11.

(189) Mazard(J), Corpus nummorum Numidiae Mauretaniaeque, op. ct, p.193-194, n° 643-647.

(190) Fantar(MF), La religion phénicienne et punique de Lixus : témoignages de l'archéologie et de l'épigraphie, op. cit, p. 118.

(191) Marion(J), Les monnaies de Shemesh et des villes autonomes de Maurétanie tingitane au musée Louis Chatelain à Rabat, op. cit , p. 63 .

(192) وفي هذا الباب، يرى "كابرييل كامبس" (G. Camps) أن هذه الآلهة المرتبطة بالمدن أخذت في الظهور مع تطور الحياة الحضرية في شمال إفريقيا، باعتبارها حامية للمدن. انظر :

Camps(G), Aux origines de La Bérbérie, op. cit, p. 260.

(193) Marion(J), Les monnaies de Shemesh et des villes autonomes de Maurétanie tingitane au musée Louis Chatelain à Rabat, op. cit , p. 63 ; fig. 1.

(194) Idem, Ibid, p. 63-64.

(195) Idem, Ibid, p. 65.

(196) Alexandropoulos(J), Le Monnayage de Lixus : Un état de la question, op. cit, p. 254.

والقشريات، التي كانت تعكس الطابع البحري للقناع والفسيفساء. كما أن الوجه الثاني لهذه المجموعة من النقود كانت تتميز كذلك بغياب كل صورة للحيوانات البحرية، حسب ما كشفت عنه النميات التي نشرها "مازارد".

انطلاقا من هذه الملاحظات، يمكن اعتبار أن الامر لا يتعلق بإله بحري، مما يجعل فرضية الاله المسؤول عن الخصوبة والواهب لخيرات الارض فرضية واردة، بدليل حضور صورة السنبلة وعنقود العنب في هذه النقود. ومع ذلك فإن التحقق من هوية صورة الرأس الملتحي والشعر الكثيف الذي توفرت عليه نقود "مقام شمش" يعتبر أمرا صعبا للغاية، خصوصا وأن محمد فنطر نفسه، حاول أن يقرنه كذلك بالاله "بعل حامون"[197]. ومما لا شك فيه، أن ما حدى به الى ذلك، هو البحث عن علاقة هذه الصورة بالموضوع الشمسي الذي يُستنبط من عبارة "شمش" الواردة في النقود، وبالاوصاف الشمسية التي كان يتمتع بها إله قرطاجة[198].

غير أنه إذا كنا نلاحظ على جل الباحثين السالف ذكرهم أن استنتاجاتهم لا تخرج عموما عن نطاق الفرضيات، فبإمكاننا كذلك الاجتهاد في هذه المسألة، مقترحين أن هذا المعبود يمكن أن يمثل بكل بساطة الاله "شمش" الفينيقي الاصل. ولترجيح هذا الرأي، يمكن الاستناد من جهة الى ورود كلمة "شمش" في النقود كإسم لهذا المعبود، ومن جهة ثانية، يمكن الاعتماد على صورة النجم ذي الاشعة الستة التي كانت توجد في الوجه الثاني لجل هذه النقود[199]، والتي كانت ترمز في آن واحد الى كوكب الشمس، والى "شمش" إله الشمس. وهو أول إله يتبادر الى ذهننا في مدينة ذات أصول فينيقية تحمل اسم هذا الاله، كما يشير الى ذلك بحق الباحث "جان ماريون"[200]. هذا مع العلم أن الخلاصة التي يصل إليها محمد فنطر[201] في كون هذا المعبود كان مرتبطا بالسماء، حيث الشمس، وبالارض حيث السنابل وعناقيد العنب والخصب، تعتبر خلاصة جديرة بالمتابعة، الامر الذي يجعل من هذا المعبود إلها يحظى كذلك بمواصفات ملقارت وبعل.

وكيفما كان الحال، وحتى لو اعتبرنا أن المعبد الذي سك عملة "مقام شمش" هو معبد "شمش" وليس ملقارت، فهذا لا يقلل في شيء من مكانة معبد ملقارت سابقا. بل ربما يفيدنا هذا المعطى في إبراز الاستمرارية التي عرفتها معابد ليكسوس في السيطرة على الاقتصاد على مر العصور التاريخية التي مرت منها. فإذا كان الاله الشهير الذي عبدته ليكسوس في القرن الاول قبل الميلاد هو "شمش"، فهذا لايعني أن ملقارت لم تكن له مكانة من قبل، علما أن عبادة الارباب في العصر القديم كانت تتغير باستمرار لاعتبارات سياسية أو إديولوجية[202].

---

(197) Fantar(Mh), La religion phénicienne et punique de Lixus : témoignages de l'archéologie et de l'épigraphie, op. cit, p. 121.

(198) Ferron(J), Le caractère solaire du dieu de Carthage, **Africa**, 1, 1966, p. 41-63.

(199) انطلاقا من دراسة لعينة نقدية صغيرة حصرتها بين النقود المرقمة من 1 الى 44 من تصنيف "جان ماريون" (J. Marion)، التي ضربت في عهد "بوكوس"، نلاحظ أن عدد النقود التي تحمل صورة هذا النجم بلغ 38 نقدا، مما يدل على الحضور الكبير للرموز الشمسية في نقود "مقام شمش". انظر :

Marion(J), Les monnaies de Shemesh et des villes autonomes de Maurétanie tingitane, op. cit , p. 75-81.

(200) Idem, Ibid, p. 66.

(201) Fantar(Mh), La religion phénicienne et punique de Lixus : témoignages de l'archéologie et de l'épigraphie, op. cit, p. 121.

(202) نستحضر في هذا الصدد مثالا من مصر الفرعونية، التي عرفت عبادة الاله الشمش "اتون" خلال حكم الفرعون "أخناتون"، ثم عودة عبادة الاله "آمون" بسرعة على يد الفرعون "توت عنك آمون"، بضغط من مؤسسة المعبد.

ث- الحروف الفينيقية المستعملة في كتابة شروح نقود "مقام شمش" :

إذا كانت نقود قادس تحتفظ باستعمال الكتابة الفينيقية التقليدية القديمة التي كانت تستخدمها قبل وصول البركيين الى اسبانيا[203]، فإن الكتابة الواردة في نقود "مقام شمش" عرفت بدورها، حسب "جان ماريون"[204] و"جامس ــ جيرمان فيفريي" (James-Germain Février)[205]، إصرارا على استعمال بعض الحروف البونيقية، إن لم نقل الفينيقية، الى جانب الحروف البونيقية ــ الحديثة. وتمثل هذه الظاهرة استثناء مقتصرا على ليكسوس وحدها، لأن جل الكتابات الواردة في النقود التي تم سكها في سائر المدن الموريطانية الاخرى، كانت تستعمل الحروف البونيقية الحديثة دون غيرها[206]. وقد أحصى "جان ماريون"[207] بعض هذه الحروف التي تميزت بطابعها العتيق، والتي يمكن أن تكون حروفا فينيقية، منها حرف الهاء ╕ (Hé)، وخصوصا حرف القاف ϙ (Qoph)، التي كانت تجانب بطبيعة الحال العديد من حروف الهاء والقاف البونيقية-الحديثة. كما أن العديد من حروف الشين W (Shin) كانت من النوع العتيق، الذي يمكن اعتباره شينا فينيقا أكثر من أن يكون بونيقيا-حديثا (انظرلوحة LXXXV)[208]. ومما يزكي الاصول الفينيقية لحروف الشين الواردة في مسكوكات "مقام شمش"، أن العديد منها كان مشابها للخربشات المنقوشة على الخزف المكتشفة في بناصا[209]، ومشابها بالخصوص للخربشات الفينيقية المكتشفة على خزف جزيرة موكادور[210].

فهل يمكن الاعتماد على هذا المعطى لترجيح الرأي الذي يرى أن نقود "مقام شمش" إنما ضربت في المعبد المحافظ أكثر من غيره على التقاليد القديمة، والذي يفرز دور الكهنة في ذلك ؟ أم أن الامر يعزى، كما يرى "جان ماريون"[211] الى ظاهرة تميز بها المغرب عبر عصوره التاريخية باعتباره قطبا محافظا أكثر من غيره على القديم بحكم البعد الجغرافي ؟

الغالب على الظن أن الصواب يكمن في الرأي الاول، لان المراكز الاخرى المغربية التي أصدرت مسكوكات معاصرة لمسكوكات ليكسوس، كانت كلها بدون استثناء تستعمل الكتابة البونيقية-الحديثة، وبالتالي لم

---

(203) Alexandropoulos(J), L'influence de Carthage sur les monnayages phénico-puniques d'Espagne, **MCV**, 23, 1987, p. 27.

(204) Marion(J), Les monnaies de Shemesh et des villes autonomes de Maurétanie tingitane au musée Louis Chatelain a Rabat, op. cit , p. 68.

(205) Galand(L), Février(J), Vajda(G), Inscriptions antiques du Maroc, Paris, C.N.R.S, 1966 : Février(J), Inscriptions puniques et néo-puniques, p. 94.

(206) Marion(J), Les monnaies de Shemesh et des villes autonomes de Maurétanie tingitane au musée Louis Chatelain a Rabat, op. cit , p. 68.

(207) Idem, Ibid, p. 68.

(208) Idem, Ibid, p. 69, fig. 3.

(209) Galand(L), Février(J), Vajda(G), Inscriptions antiques du Maroc, op. cit. : Février(J), Inscriptions puniques et néo-puniques, pl. IV.

(210) تم الكشف في المستوى الفينيقي بموكادور المؤرخ بالقرن السابع ق.م والنصف الاول من القرن السادس ق.م على 125 كسرة خزفية كتبت عليها كتابات فينيقية. وهي عبارة عن خربشات كتبت فوق إحدى أطراف الآنية قبل شوائها بأبجدية صورية أو صيدونية، لا تتعدى بعض الاسماء، عادة ما تكون على شكل فلان ابن فلان. انظر :

Jodin(A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, op. cit, p. 177-178 ; Galand(L), Février(J), Vajda(G), Inscriptions antiques du Maroc, op. cit.: Février(J), Inscriptions puniques et néo-puniques, pl.V à X.

(211) Marion(J), Les monnaies de Shemesh et des villes autonomes de Maurétanie tingitane au musée Louis Chatelain a Rabat, op. cit , p. 68.

تفرز عما يمكن أن يدل على الحفاظ على ما هو قديم. ومن المعلوم أن هذه المراكز لم تكن تحظى بنفس الجذور الفينيقية القديمة التي حظيت بها ليكسوس.

2) نقود "لكش" والعناصر التي تجعل بعضها يرتبط بالمعبد :

تتوفر نقود "لكش" على عدة علامات مرتبطة سواء بالمعبودات الفينيقية الشهيرة بما فيها ملقارت، أو بأهم الرموز المميزة للمعابد ذات الاصول الفينيقية. من هذه العلامات نذكر ما يلي :

أ- مسألة الاله بعل ومعبده من خلال كتابات النقود :

في النقود التي كتبت عليها شروح باللغة البونيقية، نجد أن اسم "لكش" تتقدمه أربعة حروف يمكن قراءتها إما "م ف ع ل" (MP^cL) أو "م ب ع ل" (MB^cL) أو "ش ب ع ل" (Š B^cL)[212]. غير أن القراءات الثلاث لا يمكن إلا أن تخلص الى التأويلات المحتملة التالية حسب "جاك أليكساندروبولوس"[213] :

- "م ف ع ل ل ك ش" : أي "فعل ليكسوس" أو "من صنع ليكسوس". وهي القراءة التي يرجحها "جاك أليكساندروبولوس"[214]، نظرا للكشف عن نفس الكتابة بعدة مسكوكات تم ضربها بمنطقة مضيق جبل طارق، نذكر منها نقود قادس[215]، ونقود طنجة[216].

- "م ب ع ل ل ك ش" : أي "بعول ليكسوس" أو "صادر عن بعول ليكسوس"، أي مواطنو ليكسوس[217]. كما يمكن أن تتضمن هذه العبارة ما معناه "خاص ببعول لكش"، أي "ملك لاسياد ليكسوس"[218].

- "ش ب ع ل ل ك ش" : أي "خاص لبعل" أو "تابع لبعل". وهي الترجمة التي يرجحها محمد فنطر[219]، اعتمادا على كون حرف "ش" يعبر في اللغة البونيقية عن مفهوم الانتماء، بنفس المعنى الذي يعبر عنه حرف "ل" في اللغة الفينيقية والعربية أيضا. ومن تم يكون المقصود من هذه العبارة هو : " تابع لبعل ليكسوس"[220]، أو "لإله ليكسوس"[221].

وإذا كان هذا التأويل الاخير المقترح لقراءة شروح نقود "لكش" تأويلا له مبرراته ضمن السياق الحضاري لليكسوس كمركز ديني، فيبدو حسب ما يرد نصا في هذه النقود، أنها كانت مرتبطة بالاله. وهذا ما يجعلنا نعتقد أنها سكت مثل نقود "مقام شمش" في المعبد، وفي هذه الحالة في معبد بعل، إن لم يكن المقصود

---

(212) Alexandropoulos(J), Le Monnayage de Lixus : Un état de la question, op, cit, p. 249, note n° 2.

(213) Idem, Ibid, p. 249.

(214) Idem, Ibid, p. 249.

(215) Alfaro Asins(C), Las monedas de Gadir/Gadès, Madrid, 1988, p. 54.

(216) نجد في كتابة نقود طنجة حسب "جان بوب" (J. Boube) العبارة التالية باللغة البونيقية : "ف ع ل ت ط ن ج" أو " م ف ع ل ط ن ج". انظر :

Boube(J), La circulation monétaire à Sala à l'époque préromaine, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), Collection de l'Ecole française de Rome, n° 166, Palais Farnèse, 1992, p. 257.

(217) Alexandropoulos(J), Le Monnayage de Lixus : Un état de la question, op. cit, p. 249.

(218) Fantar(Mh), La religion phénicienne et punique de Lixus : témoignages de l'archéologie et de l'épigraphie, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), Collection de l'Ecole française de Rome, n° 166, Palais Farnèse, 1992, p. 120.

(219) Idem, Ibid, p. 119.

(220) Idem, Ibid, p. 119.

(221) Alexandropoulos(J), Le Monnayage de Lixus : Un état de la question, op. cit, p. 249.

بعبارة "بعل" الإله بصفة عامة[222]. وبذلك، نكون أمام نموذج يمكن الاستناد إليه لتدعيم ملف الدور الاقتصادي والبنكي للمعبد الفينيقي، الذي تم توضيحه سالفا.

ب- صورة المذبح في نقود "لكش" :

مما ينم عن حضور المعبد في ليكسوس، أن نقود "لكش" تتضمن عدة أشكال لاحد الرموز الاساسية في المعابد ذات الاصول الفينيقية، ألا وهو المذبح[223]. وقد اعتبر العديد من الباحثين أن هذه الصورة تمثل تجسيدا لمذبح ملقارت الذي أورده كل من "سترابون" (Strabon)[224] و"بلينيوس الشيخ" (Pline l'Ancien)[225]. ورغم أن هذه الفرضية تبدو مقبولة، غير أنها ليست مطلقة في نظر محمد فنطر، الذي يرى أن المصورات النباتية والحيوانية للوجه الثاني لهذه النقود -المتمثلة في السنابل وعناقيد العنب والاسماك (التنة)- لا تتوافق مع ملقارت الذي يصوره العالم الاغريقي[226]. وهذا ما حدى بالباحث التونسي الى اعتبار أن صورة المذبح المزخرف التي أحلت محل صورة المعبود، كانت بمثابة استحضار كنائي للاله بعل، أو لمعبده وعبادته[227]. غير أن عالم النميات "جان ماريون" (J. Marion) يرجح أن تكون صورة المذبح قد سكت تقديرا لمعبد الاله "شمش"[228]. ويبدو أن عبادة إله ذي طبيعة شمسية بليكسوس تعكسها كذلك صور

---

(222) تتوفر على عدة دلائل مصدرية تبين أن عبارة "بعل" كانت تعني الإله. فقد كان العديد من ملوك صور يدعون "بعل"، الامر الذي كان يثير غضب الانبياء العبريين، مما يدل على أن اتخاذ هذا الاسم ينم عن مسألة تأليه الملكية الفينيقية، التي كانت ترفضها الديانة اليهودية. ويعكس "سفر حزقيال" هذا الغضب بشكل واضح في "وحي حزقيال ضد ملك صور" الوارد في الاصحاح الثامن والعشرين (آية 1-19). ومما يدل كذلك على أن بعل يعني الإله بصفة عامة، هو أن ملقارت الإله الرئيسي لصور كان يعرف من لدن الصوريين باسم "بعل صور"، أي إله صور. انظر :

Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 133.

(223) وهي من العناصر المهمة التي تعكس شهرة المدينة حسب "فيرناندو لوبيز باردو". انظر :

Lopez Pardo(F), Reflexiones sobre el orígen de Lixus y su Delubrum Herculis en el contexto de la empresa comercial fenicia, op. cit, p. 100, note n° 70.

(224) « *.. وأمام هذا التجويف، تمتد أرض منخفضة ومتماسكة، يعلوها مذبح لهرقليس لا تغمره المياه أبدا* ». انظر :

Strabon, XVII, 3.

(225) « ***ويحتوي هذا المصب على جزيرة ؛ ورغم أنها معزولة وأكثر انخفاضا من الاراضي المجاورة لها فهي لا تغمر بمياه المد. ويظل قائما بها مذبح لهرقل...*** ». انظر :

Pline, Histoire Naturelle, V, 3.

(226) Fantar(Mh), La religion phénicienne et punique de Lixus : témoignages de l'archéologie et de l'épigraphie, op. cit, p. 119.

(227) Idem, Ibid, p. 120.

(228) Marion(J), Les monnaies de Shemesh et des villes autonomes de Maurétanie tingitane au musée Louis Chatelain à Rabat, op. cit , p. 74.

أخرى لمذبحه في بعض نقود "الكش"[229]، التي تبرز صورة مذبح يتألف من عمودين اثنين تعلوه كرة شمسية مجنحة[230].

ت- المعبود ذو القلنسوة المخروطة الجذع وعلاقته بالاله ملقارت :

في جل إصدارات مسكوكات "الكش"، تمت نمنمة صورة معبود، كان ملتحيا تارة، وتارة أخرى أمرداً، مرتديا قلنسوة عالية مخروطة الجذع تتدلى منها جديلة طويلة تنتهي بتزيين مزخرف (انظر لوحة LXXXVI)[231]. ويرى بعض علماء النميات مثل "جان مازارد"[232] و"جان ماريون"[233] أن الامر يتعلق بالاله "كوزور-بتاح" (Chusor-Ptah)، شأنهم في ذلك شأن "ميكيل طراديل"[234]. وهو الرأي الذي يرجحه كذلك "جاك أليكساندروبولوس"[235]، بعد أن لاحظ أن صورة معبود ليكسوس كانت مشابهة لصورة مماثلة عرفتها نقود مالقة[236].

وحيث أن صورة النموذج الاسباني كانت مصاحبة لكُلاّبات الحداد، فقد اعتقد بأنها تمثل الاله "هيفايستوس-فولكان" (Héphaïstos-Vulcain). ومن المعلوم أن هذا الاله كان يقرن حسب "أوسيبيوس" (Eusèbe de Césarée)[237] بالاله "كوزور" (Chusor)، الاله الفينيقي مكتشف الصيد البحري والصنارة والاسفار البحرية[238]. انطلاقا من ذلك، يرى عالم النميات الفرنسي[239] أن صورة هذا الاله كانت تمثل رمزا مناسبا بالنسبة للمواطن الليكسوسي، الذي يريد أن يصور الاله الحامي لواحدة من أهم الانشطة الاقتصادية للمدينة. وإذا كانت صورة الكُلاّبات تنعدم في نقود ليكسوس، في حين تم تصويرها في نقود مالقة،

---

(229) Mazard(J), Corpus nummorum Numidiae Mauretaniaeque, op. cit, n° 639-640 ; Marion(J), Les monnaies de Shemesh et des villes autonomes de Maurétanie tingitane au musée Louis Chatelain à Rabat, op. cit , p. 74, note n°1 ; El Harif(F-Z) et Giard(J-B), Préliminaires à l'établissement d'un corpus des monnaies de Lixus, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), Collection de l'Ecole française de Rome, n° 166, Palais Farnèse, 1992, p. 268, fig. 3.

(230) ومع ذلك فإن الكرة المجنحة لا تمثل دائما المعبودات الشمسية، حيث نجد هذه الكرة في نحت بحجر كريم اكتشف في صيدا يمثل الالهة عشتروت، ونجده كذلك في نقش ناتئ يشبه المشهد السابق، تم نحته بين سفنكس مكون لعرش إلهي لعشتروت اكتشف في مدينة جبيل. انظر: H.Chihab(M) Parrot(A), et Moscati(S), Les Phéniciens, L'expansion phénicienne, Carthage, Paris, 1975, p. 109, ill. n° 115, p. 110.

(231) على سبيل المثال، وردت صورة هذا الاله في النقود التي درسها "جان ماريون" (J. Marion) المعروضة بالمتحف الاركيولوجي بالرباط، أكثر من عشرين مرة. ومن أوضح النقود التي تصور هذا المعبود، انظر : Boube(J), La circulation monétaire à Sala à l'époque préromaine, op. cit, pl. 4, fig. 3.

(232) Mazard(J), Création et diffusion des types monétaires maurétaniens, **B.A.M**, t. IV, 1960, p. 112-114

(233) Marion(J), Les monnaies de Shemesh et des villes autonomes de Maurétanie tingitane au musée Louis Chatelain à Rabat, op. cit , p. 61.

(234) Tarradell(M), Lixus. Historia de la ciudad. Guia de las ruinas y de la seccion de lixus del museo arqueologico de Tetuεn, op. cit, p. 37.

(235) Alexandropoulos(J), Le Monnayage de Lixus : Un état de la question, op. cit, p. 254.

(236) Vives y Escudero(A), La moneda hispanica, Madrid, 1926, pl. LXXXV, LXXXVII ; Marion(J), Les monnaies de Shemesh et des villes autonomes de Maurétanie tingitane au musée Louis Chatelain à Rabat, op. cit , p. 66.

(237) Eusèbe de Césarée, Préparation évangélique, I, 10, 11.

(238) للمزيد من المعلومات حول هذا الاله الفينيقي ذي الجذور الكنعانية، انظر : Lipinski(E), **Chousor**, Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique,op. cit, p, 105.

(239) Alexandropoulos(J), Le Monnayage de Lixus : Un état de la question, op. cit, p. 254.

فلكون ذلك يعزى، حسب نفس الباحث[240]، الى أن هذا النوع من الادوات المرتبطة بالحدادة وربما بالتعدين، لا علاقة له بالصيد البحري.

لكن محمد فنطر يتساءل في مقالته حول "الديانة الفينيقية والبونيقية بليكسوس"[241] لماذا تم ربط هذه الصورة دائما بالاله الفينيقي "كوزور-بتاح" ؟ خصوصا وأن الباحثين السالف ذكرهم لم يحاولوا تعليل تفسيراتهم حول هذا الار تباط. فإذا كان الامر لا يقتضي نفي أن تكون الصورة تتعلق بإله، ففي المقابل لا تتوفر مكونات هذه الصورة على ما يوحي بأن الاله المفترض هو فعلا "كوزور-بتاح" (Chusor-Ptah)، الذي يعتبر من المعبودات الفينيقية المغمورة نوعا ما.

لهذه الاعتبارات، واعتمادا على الموضوعات الاخرى التي تم تصويرها في الوجه الثاني لهذه النقود، مثل السنبلة وعنقود العنب وسمك التنة والمذبح، حاول الباحث التونسي[242] أن يبحث عن العناصر التي يمكن أن تقربه أكثر من معرفة صفات المعبود ذي القلنسوة المخروطة الجذع. فرجح أن الامر يتعلق بملقارت، لان إله صور كان يعتبر في الميثولوجية الفينيقية، مصدرا للرخاء البري والبحري في آن واحد، حيث يبرز بمظهر الاله المسؤول عن خصوبة الارض، حيث السنابل وعناقيد العنب، والمسؤول أيضا عن السيطرة على أمواج البحر، حيث الاسماك[243]. وفي هذا الصدد، ترجح "كورين بونيط" (C. Bonnet) بدورها فكرة ملقارت، "نظرا للمكانة المحتملة التي حظي بها هذا الاله في عبادات ليكسوس، ونظرا لاختصاصاته في مجال الخصوبة"[244]. ويعتبر هذا المعطى، إذا كان صحيحا، من البراهين التي يمكن الاستناد إليها لتدعيم مكانة ملقارت ومعبده في تاريخ ليكسوس[245].

---

(240) Idem, Ibid, p. 254.

(241) Fantar(Mh), La religion phénicienne et punique de Lixus : témoignages de l'archéologie et de l'épigraphie, op. cit, p. 117.

(242) Idem, Ibid, p. 118.

(243) Idem, Ibid, p. 118.

(244) Bonnet(C), Melqart. Cultes et mythes de l'Héraclès tyrien en Méditerranée, op. cit, note n° 11, p. 200.

(245) غير أن "كورين بونيط" (C. Bonnet) تضيف في نفس السياق، أنه من الممكن الاعتقاد أيضا بالاله الفينيقي "كوزور-بتاح" (Chusor-Ptah)، أو ببعل حامون، الذي كان يصور غالبا حاملا لسنبلة في يده (Bonnet(C), Melqart. Cultes et mythes de l'Héraclès tyrien en Méditerranée, op. cit, note n° 11, p. 200). وتستند في ذلك على بعض المشاهد التصويرية لهذا الاله، مثل نصب سوسة، حيث صُوِّرَ "بعل حامون" رافعا لصولجان ينتهي من الاعلى بمصوَّرة نباتية، الغالب على الظن أنها كانت تمثل صورة لسنبلة (Cintas(P), Le sanctuaire punique de Souse, **Revue Afriqaine**, 1947, p. 13-16, fig. 19). كما تستند كذلك على حضور صورة السنبلة، كناية ببعل، في مجموعة من الانصاب البونيقية بمقبرة القرابين البشرية الموجودة بحي "سلامبو" بقرطاجة والمعروفة باسم "توفة" [Tophet] (Picard(C), Les représentations du sacrifice Molk sur les stèles de Carthage, **Carthago**, 18, 1978, p. 49)، وفي أحد بيوت إيل المكتشفة بسوسة (Cintas(P), Le sanctuaire punique de Souse, **Revue Afriqaine,** 1947, p. 65 et fig. 128)، وفي نقود سردينيا (Moscati(S), I Fenici e Cartagine : Società e Costume, Torino, 1972, p. 72 ; Acquaro(E), Le monete puniche della Collezione Don Armeni, **RSF**, 4, 2, 1976, p. 71-84).

ومن الملاحظ أن فرضية ربط صورة المعبود ذي القلنسوة المخروطة الواردة في نقود ليكسوس بالاله بعل حامون أو بعل، لا يستبعدها كذلك محمد فنطر. وفي هذا الصدد، ونظرا لترجمته للكتابة المصاحبة لصورة ليكسوس بما معناه " تابع لبعل ليكسوس"، كما سلفت الاشارة الى ذلك، فإنه يرى أن هذا المعبود يمكن أن يمثل كذلك الاله بعل. انظر :

Fantar(Mh), La religion phénicienne et punique de Lixus : témoignages de l'archéologie et de l'épigraphie, op. cit, p. 119-120.

من هنا نلاحظ أن إسهام نقود "مقام شمش" ونقود "لكش" في التعرف على بعض مظاهر الديانة الفينيقية، وفي إبراز دور مؤسسة المعبد في تنشيط تجارة ليكسوس، يعد إسهاما يجدر أخذه بعين الاعتبار[246]. وبإضافة هذا المعطى الى مكانة تشييد المعابد الفينيقية في عملية التوسع الفينيقي، والى منزلة معبد ملقارت في الحضارة الفينيقية، يمكن الاقرار بأن ليكسوس كانت تتوفر خلال مرحلتها الفينيقية على معبد لنفس الاله. هذا بالرغم مما أبداه الاستنتاج الاركيولوجي من اختلاف، بين مجسد لهذا المعبد في معبد H الموجود داخل ليكسوس، وبين داع للبحث عن هذا المعبد خارج ليكسوس.

وكيفما كان الحال، فإن ذاكرة هذا المعبد في ليكسوس نفسها، التي تتجسد في توفر المدينة على حي كبير للمعابد، وتعكسها دراسة المسكوكات، وتنص عليها المصادر القديمة، كفيلة بالتسليم بأن معبد ملقارت كان بالفعل موجودا. فالمصادر التي أشارت الى هذا المعبد بليكسوس كانت تخص بالذكر معبد "ملقارت"، الذي ورد على الصيغة الاغريقية "هرقليس" لدى "استرابون" [.***يعلوها منبح لهرقليس لا تغمره المياه أبدا***][247]، وعلى الصيغة اللاتينية "هرقل" لدى "بلينيوس" [..***في الجزيرة ينتصب منبح لهرقل..***][248] ؛ [***... بالقرب من معبد هرقل يعتبر أقدم من معبد قادس...***][249]. ومن المعلوم أن معبد ملقارت كان أهم المعابد التي أسسها الفينيقيون خلال توسعاتهم البحرية، مما يوحي بأن تشييد الفينيقيين لمعبد ملقارت بليكسوس خلال قدومهم لاول مرة الى الساحل الاطلنطي للمغرب، يدخل ضمن السياسة التي نهجتها صور ومعبدها في التوسع التجاري الفينيقي. ذلك لان صورة ملقارت كانت مرتبطة بالمصالح الاقتصادية والسياسية لصور، مما جعله يتحول الى الإلاه الضامن لمشاريعها البحرية[250].

والحالة هذه، أن النصوص التي أوردت وجود معبد لملقارت بليكسوس، قدمته على شكل معلمة بارزة في المنطقة المحيطة به، ومتميزة بموقع تم اختياره ليكون بمأمن عن الكوارث الطبيعية التي يمكن أن تهدد كيانه. فالمياه التي يمكن أن تغمر الاراضي المنخفضة المحيطة بليكسوس حسب "استرابون"[251]، الناتجة عن الفياضانات الكثيرة التي تعرفها المنطقة، كانت تستثني مكان معبد ملقارت. وهذا يعني أنه شيد في منطقة مرتفعة بالنسبة للأراضي المنخفضة التي كان المعبد "يعلوها" حسب عبارة "استرابون"، وفوزه بأحسن موقع في الجزء الاسفل من وادي اللكوس، نظرا لوقاره وقدسيته وجلاله، بغض النظر عن وجوده في ليكسوس نفسها أوخارجها. ونحن نعلم أن المعابد الفينيقية كانت تشيد دائما في المناطق المرتفعة. ولم يكن هذا المعبد ليحظى بكل هذه الامتيازات إلا لكونه شيد هناك ليظل الى الابد، مما يعني أن صورة المعبد كانت في ذاكرة مشيديه الفينيقيين أهم وأقدس من صورة المستوطنة. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على المكانة التي حظي بها هذا المعبد باعتباره طرفا أساسيا في عملية الوجود الفينيقي بالمنطقة، وربما المحرك الاساسي لهذا الوجود.

---

(246) هذا بالرغم من أن مسألة تحديد أسماء المعبودات المصورة، وكذا مسألة تفسير طبيعة هذه المعبودات وأوصافها، تتميز بغلبة حصة الفرضيات والاحتمالات.

(247) Strabon, XVII, 3, 3.

(248) Pline, Histoire Naturelle, V, 4.

(249) Idem, Ibid, XIX, 63.

(250) لذلك لا نستغرب عندما حملت "عليشا" معها المواد الخاصة بملقارت عند تفكيرها في تأسيس قرطاجة، مما يؤكد على حضور القصر والمعبد في أسطورة التأسيس. ويجدر التذكير في هذا الصدد أن "عليشا" كانت زوجة "عاشربس" أو "زكربعل" الكاهن الاعظم لمعبد ملقارت بصور، أي الشخصية الاولى في الهرم الاجتماعي للمدينة بعد الملك.

(251) Strabon, XVII, 3, 3.

وفي هذا الصدد، يعتبر "ميشيل كرا" (M.Gras) أن تركيز المصادر القديمة على وجود معبد ملقارت في مصب واد اللكوس، إنما يعكس البعد الامبوريكي (emporique) والتجاري لليكسوس[252].

ومن جهة أخرى ركزت النصوص المتحدثة عن معبد ملقارت بليكسوس على مسألة قدم المعبد، وربما سبقه لتشييد المستوطنة، بغض النظر عن قدمه مقارنة بمعبد ملقارت الشهير بقادس. وهذا المعطى كاف لوحده لاعتبار أن المقارنة بمعبد قادس، تعكس أن المقصود بمعبد هرقليس بليكسوس، هو معبد ملقارت الفينيقي. فعندما ذكر "بلينيوس" أن معبد ملقارت كان ما يزال قائما بليكسوس في عصره[253]، فإننا نلمس من خلال كلامه فكرة التعجب والانبهار لصمود معبد استطاع مقاومة الدهر. فكيف يستطيع معبد ذو جذور فينيقية أن يعمر زهاء ثمانية قرون، لولا تمتعه ببنية معمارية صلبة قادرة على الصمود، ولولا توفره على طاقم كهنوتي كفء، وإدارة منظمة تدبر شؤونه الدينية والدنيوية، وتقوم بالاستصلاح اللازمة لترميمه، وإن اقتضى الحال لتشييد معبد جديد بدله.

ومما يرجح أيضا أن معبد ملقارت كان يلعب دورا أساسيا في المنطقة، أن النصوص التي أشارت إليه لم تقدم أي وصف يذكر حول ماضي ليكسوس وحول قِدَمِها كمستوطنة فينيقية، لدرجة جعلته يحجبها تماما عن الأنظار، وكأن المعبد كان يرمز الى تأسيس المستوطنة نفسها، أو كان وصيا عن شؤونها، أو وجد من أجلها. وهذا يعني أن معبد ملقارت تميز هو نفسه بخاصية فريدة مختلفة عن سائر المعابد الفينيقية، مما جعله يلعب دورا حاسما في حياة الفينيقيين بليكسوس وناحيتها وتوسعهم بالمنطقة.

---

[252] Gras(M), La mémoire de Lixus -De la fondation de Lixus aux premiers rapports entre Grecs et Phéniciens en Afrique du Nord-, op. cit, p. 29.

[253] Pline, Histoire Naturelle, V, 4.

خــاتمة عــامة

يتجلى من خلال المعطيات المصدرية والاركيولوجية التي تم تحليلها في فصول هذه الدراسة، أن ليكسوس كانت تتوفر على جميع المقومات والخصوصيات التي تميزت بها المستوطنات التي قام الفينيقيون بتشييدها في بعض المناطق الاستراتيجية بالسواحل التي أقاموا بها.

فالاشارات والتلميحات الى أصولها الفينيقية كانت حاضرة بشكل أو بآخر في ذاكرة الايستوريوغرافيا الاغريقية ـــ الرومانية[1]، على العكس من العديد من المنشآت الفينيقية المكتشفة، التي لم يكن لها أي ذكر بين المؤلفين القدامى[2]. فقد وردت أولى المعلومات حول منطقة ليكسوس منذ القرن السادس قبل الميلاد مع "هيكاتيوس الميليتي" (Hécatée de Milet). وأورد "سكيلاكس" (Scylax) حرفيا أن ليكسوس كانت مدينة فينيقية. ورغم أن حنون لم يشر الى مدينة ليكسوس في رحلته، فإن الاوصاف التي ذكرها حول الليكسيين ذوي المعرفة الملاحية والتجارية واللغوية والاثنوغرافية بالساحل الاطلنطي للمغرب، تدفع الى اعتبار أن المقصود بهم سكان ليكسوس الفينيقيين. كما يتبيّن أن ليكسوس كانت تتوفر على منطقة نفوذ خاضعة لها من خلال إشارة "بوليبيوس" (Polybe) الى "خليج ساكيكي"، وإشارة "استرابون" (Strabon) الى "خليج الوكالات التجارية الفينيقية". وبتنصيص هذا الاخير على مسألة تناظر ليكسوس مع توأمتها الفينيقية قادس، وبالاشارة الى مذبح ملقارت الذي يرمز الى وجودها خلال الاحقاب الماضية، تتكشف جذورها الفينيقية.

ومن خلال الماضي الميثولوجي لليكسوس الذي عكسه "بلينيوس" (Pline) عبر أسطورة هرقل وأسطورة حدائق الهيسبيريديس، ومن خلال ذاكرة قِدَم تأسيس ليكسوس وربطه بتاريخ تأسيس معبد ملقارت في قادس، ومن خلال مماثلتها بأهم المنشآت الفينيقية، كمضاهاتها لقرطاجة في قوتها الاقتصادية وتوسعها العمراني وموقعها الاستراتيجي، ومضاهاتها لقادس في قدم معبدها، تتبين الجذور القديمة لليكسوس وبالتالي أصولها الفينيقية. هذه الاصول، ترمز إليها كذلك عبادة ملقارت وحضور مؤسسة المعبد، كما كان الشأن في سائر المستوطنات الفينيقية الهامة.

وإذا كانت المصادر القديمة تتضمن العديد من الاشارات والرموز حول الجذور الفينيقية لليكسوس، فإن مخلفات الفينيقيين بها، التي كشفت عنها حفائر "ميكيل طراديل" و" ميشيل بونسيك" ، وحفائر البعثة المغربية-الاسبانية، جاءت لتؤكد على قابلية تصديق هذه المصادر. كما اسطاعت هذه المخلفات أن تُبرز بجلاء أن ليكسوس كانت تتوفر على جميع المظاهر الحضارية المميزة لسائر المستوطنات الفينيقية الاخرى، وذلك بالكشف عن أهم مُعبِّرٍ ماديّ لهذه الحضارة، المتمثل في المنتوج الخزفي، الذي يعتبر المرشد الرئيسي لدراسة عملية التوسع والاستيطان الفينيقيين.

فالخزف الفينيقي ذو البرنيق الاحمر كان موجودا في ليكسوس بجميع أصنافه، كالصحون والجفنات التي تصلح للاكل، والأباريق ذات القرص التي تستعمل لحمل السوائل كزيت الزيتون، والقناديل التي تصلح

---

(1) هذا بالرغم من أن الاشارات الواردة حول ليكسوس في المصادر الادبية القديمة، ليست بالقدر الذي كنا نتوخاه اعتبارا لشهرتها وصيتها، ورغم أن الحصة المتعلقة بالماضي الفينيقي لليكسوس تعد نادرة. انظر :

Desanges(J), Lixos dans les sources littéraires grecques et latines, op. cit, p. 1 ; Bunnens(G), L'expansion phénicienne en Méditerranée (Essai d'interprétation fondé sur une analyse des traditions littéraires), op. cit, p. 376-377.

(2) نشير في هذا الصدد الى أن الحفائر الاركيولوجية التي شملت السواحل الاسبانية والبرتغالية استطاعت أن تكشف عما يقارب ثلاثين منشأة جديدة لم يكن لها أي ذكر في المصادر القديمة. ونفس الملاحظة يمكن تسجيلها على المنشأة الفينيقية في جزيرة الصويرة، ومؤخرا على منشأة سيدي ادريس بناحية الناظور.

للانارة. ومن المعلوم أن العثور في ليكسوس على أعداد وافرة ومتنوعة من هذه الاواني في نقط متعددة من المركز، سواء في السفح الجنوبي أو في هضبة "الهري" بحي المعابد أو في قطاع المنازل، إنما يدل من جهة على امتداد رقعة المركز، ومن جهة ثانية يؤكد على أن الفينيقيين قد أسسوا فعلا مستوطنة واسعة لهم بتل الشميس للاستقرار بها. ذلك أن وجود هذا المنتوج، الذي يعد من الاخزاف الرفيعة، والتي عمل الفينيقيون على استيرادها من موطنهم الاصلي، والتي لا تستخدم سوى في المائدة الفينيقية، يؤكد على أن الجالية السامية كانت مستقرة بالمكان بشكل دائم.

كما أن الجرار المصبوغة المتعددة الالوان من نوع "كروز ديل نيكرو" (Cruz del Negro) ومن نوع *pithoi*، والتي كانت تستخدم لتخزين البضائع وأيضا لحملها، توضح البعد الاستيطاني والتجاري لليكسوس. وهو البعد الذي كشفت عنه كذلك الامفورات الفينيقية والثلاثيات الارجل وقارورات العطر الفينيقية.

هذا الحضور القوي للمنتوج الخزفي الكلاسيكي، الذي ينم عن تأصل الوجود الفينيقي، جاء ليفند فرضية ليكسوس المحلية، التي تستند على مجموعة من المخلفات المحلية اعتُبرت خطأً سابقة لقدوم الفينيقيين أو معاصرة لهم، كالمدافن والبنايات الميكاليتية والخزف المصنوع باليد. فالمستجدات التي حصلت في الاركيولوجيا الفينيقية، خصوصا بعد نتائج تنقيبات البعثة المغربية-الاسبانية في ليكسوس، أضحت تبين أن الخزف المصنوع باليد أو المقولب (céramique modelée) لم يكن كله محليا، وأن جزءا مهما منه كان فينيقيا. بل ساهمت هذه المستجدات في التأكيد على طابع المستوطنة الفينيقية بليكسوس، لمّا أثبتت أن الاواني المصنوعة من هذا الخزف، والمتمثلة بالخصوص في الجفنات والاواني على شكل حرف S ، والقدور والطنجرات، والتي لم تكن تحتاج الى صنعها بالمخرطة، إنما كانت تستعمل في المطبخ الفينيقي، بدليل توفرها على علامات الطهي بالنار. ومما يؤكد على أن هذه الاواني صنعها المستوطنون الفينيقيون، أنها كانت طبق الاصل للانواع المقولبة التي تم العثور عليها في العديد من المستوطنات الفينيقية الاخرى، وخصوصا الاسبانية منها.

ولمعرفة الطابع الحقيقي لنموذج المنشأة الاستيطانية التي أسسها الفينيقيون بليكسوس، وبعد دراسة أنواع المنشآت الفينيقية فيما وراء البحار بارتباطٍ مع طبيعة التوسع الفينيقي، الذي كان يتطلب توسعا ترابيا وفلاحيا واستعماريا وتجاريا وديمغرافيا، تبيَّن أن ليكسوس كانت تجمع بين عناصر مستوطنة الاستقرار والاستغلال الفلاحي والسمكي والغابوي، وعناصر "الامبوريوم" التجاري.

وفيما يتعلق بالطابع الاستيطاني، فقد جسده الكشف عن مساكن الفينيقيين الاوائل، ومثلته ظاهرة اتساع رقعة المستوطنة التي بلغت حسب المعطيات المتوفرة حوالي 12 هكتار، وظاهرة عدد سكانها الذي ناهز 2400 نسمة. كما خضعت مستوطنة ليكسوس لمميزات المواقع التي كان يفضلها الفينيقيون للاستقرار، أي بتشييدها في الجهة العليا لتل مرتفع محصّن مطل على بحيرة شاسعة تصلح لرسو المراكب. ويعد اختيار ربوة الشميس الشاسعة الاطراف عوض الرؤوس البحرية ذات المساحة الضيقة، علامة على رغبة الفينيقيين في إقامة مستوطنة كبيرة منذ نشأتها الاولى. الامر الذي يعطي شيئا من المصداقية لما أوردته بعض النصوص حول القوة الاقتصادية لليكسوس واتساع رقعته[3].

كما يتمثل الطابع الاستيطاني بليكسوس في توفرها على مجال محلي غني من الناحية الفلاحية والسمكية والغابوية، موفرا الموارد الضرورية التي تحتاجها الساكنة الفينيقية في الاستهلاك والاستغلال. وقد مكنت التخصصات العلمية الحديثة التي اعتُمِدت في الحفائر الجديدة بليكسوس، من التعرف على هذا المجال، وعلى

(3) Pline, Histoire Naturelle, V, 4.

كيفية تغييره لاستغلاله اقتصاديا. فمن خلال الدراسة الكاربولوجية (carpologie)، تبيّن أن السكان الفينيقيين لليكسوس كانوا يمارسون زراعة بورية خفيفة، تعتمد على زراعة نوعين رئيسيين من الحبوب، وهما الشعير والقمح. كما كانوا يزرعون العدس واللوبياء والزيتون رغم نسبته الضعيفة، مما يوحي بإمكانية استخراج زيته. وبفضل الاركيولوجيا ــ الحيوانية (archéozoologie)، برزت مكانة تربية الابقار، باعتبارها أهم المواشي التي كانت تزود سكان المستوطنة الفينيقية باللحوم، وخصوصا لحوم العجول. علاوة على استهلاك مهم للحم الخنازير، وبشكل أقل للحم الغنم والماعز. واستنادا لعلم الاسماك الاركيولوجي (Ichtylogie archéologique) وعلم الرّخويات (Malacologie)، بدا أن الاسماك التي تم استهلاكها بكثرة في ليكسوس خلال المرحلة الفينيقية، كانت تنتمي الى فصيلة الأسبوريات (Sparidés) مثل القجّاج (pagre) والفريديّ (pagel) والمرجان (daurade)، وفصيلة البوريّات والأسقمريّات والأنقليسيّات. أما الرّخويات، فمثلتها بالخصوص الصّحنية (patelle) وبلح البحر (moule). وهذا يعني أن الصيد البحري الممارس خلال هذه المرحلة كان مخصصا للاستهلاك المحلي، ويوحي بأن الصناعات السمكية التي تعتمد خصيصا على التمليح، مثل صناعة الكاروم التي اشتهرت بها ليكسوس، لم تكن قد تطورت بعد على ضوء بقايا الاسماك المدروسة. ومن خلال علم "الأنطراكولوجيا" (anthracologie)، تبيّن أن جوار ليكسوس عرف غابة قوامها البلّوط والفلّين والصنوبريات، علاوة على الدّرْدَار والحوَر والطّرْفاء، كانت في العصر الفينيقي أوسع وأغزر من حالتها الراهنة، مما ينم عن إتلافها وتراجع نطاقها. وقد وفرت هذه الغابة للساكنة الفينيقية أنواعا مختلفة من الاخشاب، للاستعمال في البناء والفلاحة والوقود، وربما في صناعة السفن، نظرا للتجربة الملاحية لليكسيين، والتي تتطلب توفر أسطول بحري، وتوفر مرسى قريب من مجال غابوي يؤمّن الاخشاب الضرورية لتشييد المراكب واستصلاحها.

أما العناصر التي تجعل من ليكسوس مستوطنة تجارية، فتتمثل في الامكانيات الهامة التي كان يوفرها الموقع كميناء بحري ونهري وبحيري صالح للتنشيط الاقتصادي. وتعكسها كذلك مجموعة من الاشارات المصدرية التي توحي بتوفر ليكسوس على دائرة نفوذ تجاري بالساحل الاطلنطي للمغرب، بنفس المعنى الذي كان لمستوطنة قادس بالساحل الاطلنطي الايبيري. كما أن تنصيص المصادر القديمة على حضور مؤسسة المعبد في ليكسوس، المتجسدة في معبد ملقارت الذي يرمز الى المؤسسة المسؤولة في صور عن تنشيط تجارة أعالي البحار، يوحي بأن ليكسوس كانت واحدة من المستوطنات ذات البعد التجاري والاستراتيجي التي أسستها مدينة صور. وينسجم هذا المعطى مع ما أورده "استرابون" في كون المنشآت الفينيقية التي كانت توجد بالساحل الاطلنطي للمغرب، كانت من تأسيس مدينة صور[4]، ويفسر الاصل الصوري لعدد كبير من المنتوجات الخزفية المكتشفة بليكسوس. ومن جهة أخرى يعكس الارتباط الذي كان يقترن بليكسوس وقادس في ذاكرة المصادر الادبية القديمة، فكرة اقتسام المجال الاقليمي بينهما في التصور الفينيقي للاستغلال الاقتصادي بأقصى الغرب المتوسطي، وليس الانضواء تحت النفوذ التجاري لقادس كما كان يُعتقد. كما يفسّر البعد التجاري لليكسوس كذلك بموقعها الاستراتيجي في الطريق الملاحية والتجارية التي أراد الفينيقيون فتحها في اتجاه الجنوب بحثا عن الموارد التي كان يتوفر عليها المغرب القديم، لتقوم نيابة عن صور بمهمة تحديد الاسواق الجديدة والعمل على إعادة التوزيع. الامر الذي أهل ليكسوس لتمثل المركز الرئيسي لتنشيط التجارة الفينيقية بالساحل الاطلنطي للمغرب، كتجارة المعادن وتجارة العاج وغيرهما.

---

(4) Strabon, XVII, 3, 3 ; ap. Roget(R), Le Maroc chez les auteurs anciens, op. cit, p. 23.

واستنادا للدينامية الداخلية للتاريخ الفينيقي، التي لم تكن تسمح قبل القرن التاسع قبل الميلاد بحدوث ظاهرة التوسع بتبعاتها الاقتصادية والاجتماعية والديمغرافية، واعتمادا على قراءة جديدة في النصوص المتحدثة عن تشييد المستوطنات الفينيقية القديمة، وتبعا للفحص الاركيولوجي الذي شمل هذه المستوطنات، يتضح أن ليكسوس خضعت بدورها لنفس الدينامية. الامر الذي يحث على تحديد تاريخ تأسيسها في نهاية القرن التاسع قبل الميلاد أو بداية القرن الثامن قبل الميلاد، وليس في القرن الثاني عشر قبل الميلاد أو بداية الالف الاولى، كما كان يُعتقد من قبل. وعند تأسيسها، يبدو أن ليكسوس نشأت منذ الوهلة الاولى كمستوطنة ثابتة شاسعة الاطراف، دون أن تعرف ظاهرة التدرج الوظيفي التي عرفها العديد من المنشآت الاخرى، بعد أن مرّت من مرحلة المحطة الى مرحلة المستوطنة. الامر الذي يجعل من ليكسوس واحدة من أقدم المستوطنات الفينيقية في الغرب، وأقدم منشأة فينيقية تُشيَّد على الساحل الاطلنطي للمغرب، حيث تم تشييدها بقرن من الزمن قبل ثاني منشأة فينيقية هامة تعرف لحد الآن، وهي جزيرة الصويرة. كما يبدو أن تشييدها لم يكن لاحقا للوجود الفينيقي في الاندلس، بل معاصرا له، إن لم نقل أقدم منه.

ومن الخصوصيات التي انفردت بها ليكسوس الى جانب مجموعة من المستوطنات الفينيقية الشهيرة والقديمة مثل قادس وأوتيكا وقرطاجة، هي حضور مؤسسة معبد ملقارت، وارتباط هذه المؤسسة بتأسيس المستوطنة. وسواء كان هذا المعبد موجودا داخل ليكسوس، ويجد تأكيدا أركيولوجيا له في معبد H بحي المعابد حسب فرضية "ميشيل بونسيك" ، أو كان يوجد خارج المدينة، كما هو الحال في قادس، فإن المعلومات المتوفرة حاليا حول المكانة التي كانت تلعبها معابد ملقارت في التوسع الفينيقي، باعتبارها مراكز منشطة لتجارة صور، تجعلنا نعتقد أن ليكسوس كانت واحدة من المستوطنات التي قام المعبد فيها بدور اقتصادي الى جانب دوره الديني. وترجح المسكوكات التي أصدرتها ليكسوس خلال العصر الموريطاني، أن تكون من بين مهام مؤسسة المعبد، الاشراف على تنشيط التجارة الفينيقية بالمغرب الاطلنطي. وذلك استنادا لفرضية سك بعض هذه النقود في المعبد، واعتمادا على ذكرها لاسماء معبودات فينيقية، أو تصويرها لهذه المعبودات بما فيها ملقارت، أو لبعض رموز المعبد كالمذبح.

هذه الوضعية الحضارية التي عرفتها ليكسوس خلال المرحلة الفينيقية، استمرت زهاء قرنين من الزمن، ومثلت أول عصر مزدهر مرت منه المدينة[5]، كما أفرز ذلك آخر استبار شمل ليكسوس لحد الساعة وهو استبار الزيتونة[6]. وذلك بالتأكيد على ماتمت ملاحظته منذ عهد "ميكيل طراديل" في كون المستوطنة الفينيقية كانت تتميز برقعة شاسعة، حيث كانت تمتد من أعلى قمة هضبة "الشميس" الى سفحها الجنوبي. وبعد الازدهار الذي نعمت به ليكسوس خلال القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد، تميزت المرحلة الموالية الممتدة من القرن السادس قبل الميلاد الى القرن الثالث قبل الميلاد، بفقر واضح في المخلفات الاركيولوجية. الامر الذي يمكن تفسيره بحدوث أزمة مّا مرّ منها المركز، ودخل بموجبها في عهد يمكن نعته بالعصور الغامضة[7]. ويبدو أن هذه الازمة لها علاقة بإعادة تنظيم مجموعة من المراسي والمسالك التجارية بالساحل

---

(5) أما المرحلة الثانية من الاوج، فقد حدثت خلال العصر البونيقي الموريطاني، ابتداء من 150/175 قبل الميلاد. ولا شك أن هذا التاريخ له علاقة بالسيطرة الرومانية على قادس سنة 206 قبل الميلاد، وبتخريب قرطاجة سنة 146 قبل الميلاد، وببروز المملكة الموريطانية. في هذه المرحلة، ستعرف ليكسوس تحولا معماريا مهما بتوفرها على سور ضخمة ومعابد كبيرة، وعودة الى دورها كميناء هام في الطريق الاطلنطية التي تربطها بالعالم المتوسطي.

(6) Aranegui(C), La campaña de Excavaciones de 1999, op. cit, p. 111.

(7) لا شك أن المرحلة الفاصلة بين العصر الفينيقي والعصر الموريطاني، والتي عرفت في استبار الزيتونة فراغا في المستويات الاركيولوجية التي تنتمي الى العصر الكلاسيكي والهيلينيستي، لاتعزى الى قصور في الحفريات، بل الى تراجع في رقعة المدينة. انظر :
Aranegui(C), La campaña de Excavaciones de 1999, op. cit, p. 111.

الاطلنطي، مثل مركز الاقواس والدشر الجديد وبناصا وسلا، والتي أدت الى تقليص النشاط الذي طورته ليكسوس خلال مرحلتها الفينيقية. كما تعزى هذه الازمة كذلك الى القطيعة التي عرفتها ليكسوس مع فينيقيا، من جراء بروز خريطة سياسية جديدة بأقصى الغرب المتوسطي، والتي ساهمت على ما يبدو في تهميش ليكسوس، دون أن ينتج عن ذلك هجر المكان، كما حدث في مستوطنات فينيقية قديمة بالضفة الشمالية للمضيق. وقد كشفت الحفائر الجديدة التي قامت بها البعثة المغربية-الاسبانية عن بعض مظاهر هذه الحالة التي آلت إليها ليكسوس بعد المرحلة الفينيقية، حيث تبين مثلا أن جزءا من قطاع ليكسوس عرف تدهورا في ساكنته ابتداء من القرن السادس قبل الميلاد، إذ لم تكتشف أية بناية تنتمي الى هذه المرحلة[8].

ويمكن تفسير هذه الوضعية كذلك ببداية العد العكسي لتوقف التوسع الفينيقي نحو الغرب، نتيجة للتغيرات الاقتصادية التي مرّ منها الشرق القديم. فمن المعلوم أن تجارة الفضة، التي كانت تمثل العمود الفقري لاقتصاد صور في علاقتها مع الامبراطورية الآشورية، عرفت خللا في توازنات العرض والطلب ابتداء من مطلع القرن السابع قبل الميلاد. ذلك أن التداول المهم للفضة كنقد، والتكنيز المتزايد لها، آل الى حدوث ظاهرة تضخم في الاقتصاد الآشوري خلال عهد أشور بانيبال، مما أدّى الى انخفاض في ثمن الفضة وارتفاع في الاثمنة وزيادة في قيمة الذهب[9]. الامر الذي ستنجم عنه قلة في الطلب الآشوري على الفضة التي تتاجر فيها صور، وبالتالي تخطيط الآشوريين ابتداء من أواسط القرن السابع قبل الميلاد للقضاء على صور. غير أن الضربة القاضية التي تلقتها صور ستكون على يد الدولة الكلدانية، التي قامت بمحاصرة جل المدن الفينيقية في الربع الاول من القرن السادس قبل الميلاد خلال حكم "نبوخذ نصر" (605-562 ق.م). ورغم مقاومة صور، أقوى المدن الفينيقية، للحصار الشديد الذي ضرب عليها لمدة 13 سنة (586-573 ق.م)، إلا أنها ما فتئت أن سقطت في عهد ملكها "بعل". ويمثل هذا الحدث نهاية عهد التوسع الفينيقي نحو الغرب، وظهور قرطاجة كقوة بحرية وارثة من مؤسسيها الفينيقيين مفتاح السيطرة على التجارة البحرية في الحوض المتوسطي لمدة أربعة قرون أخرى.

كما أن التقدم الذي تميز به التداول بالعملة في اليونان وإيطاليا وإيبيريا ابتداء من القرن السادس قبل الميلاد، سيؤدي كذلك الى تراجع للنظام التجاري العتيق الفينيقي الشبيه بأشكال عصر البرونز المتأخر، مما أدى الى التوقف التدريجي للتوسع الفينيقي، وبالتالي تضرّر ليكسوس باعتبارها واحدة من المنشآت المرتبطة بهذا التوسع.

---

(8) ومع ذلك، تم العثور على مخلفات من الخزف الآتيكي، وعلى أثاث منزلية غزيرة مصنوعة من البرونز. انظر :
Aranegui(C), Conclusiones, **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4**, 2001, cap. XVII, p. 254.

(9) Aubet(Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, op. cit, p. 274-275.

البيبليوغرافيا

أولا ـ المصادر :

ابن أبي زرع(علي)، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور، الرباط، 1972.

ابن حوقل (أبو القاسم)، كتاب صورة الارض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1979.

ابن سعيد(علي)، كتاب الجغرافيا، تحقيق، اسماعيل العربي، المكتب التجاري، بيروت، 1970.

ابن منظور، لسان العرب.

الادريسي(محمد)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، بدون تاريخ، مجلدان.

البكري(عبد الله)، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، الجزائر، مطبعة الحكومة، 1857.

بن حمادوش الجزائري(عبد الرزاق)، رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة : لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال، تقديم وتحقيق وتعليق أبو القاسم سعد الله، إصدارات المكتبة الوطنية، الجزائر، 1983.

الحموي (ياقوت)، معجم البلدان، دار صادر ودار بيروت، بيروت، 1979.

الحميري (محمد بن عبد المنعم)، الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق إحسان عباس، بيروت، مكتبة لبنان، 1984.

كتاب الاستبصار في عجائب الامصار (مجهول)، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، الدار البيضاء، دار النشر المغربية، 1985.

الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس في العالم العربي، كوريا، 1976.

مارمول كربخال، إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي، محمد زنيبر، محمد الاخضر، أحمد التوفيق، أحمد بنجلون، الرباط، دار النشر المعرفة، الجزء الثاني، 1989.

الوزان(الحسن)، وصف إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الاخضر، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1983، الجزء الاول.

Alexandre Polyhistor.
Avienus, Ora maritima.
Cicéron, Action contre Verrès.
Diodore de Sicile.
Domitius Ulpianus.
El Bekri, Description de l'Afrique septentrionale, trad. de Slane.
Ephore.
Etienne de Byzance.
Eusèbe de Césarée, Préparation évangélique.
Hécatée de Milet.
Hérodote.
Julius Honorius, Cosmographia
Julius Solinus.
Justin.
Périple d'Hannon.
Périple de Scylax.

Pline, Histoire Naturelle.
Plutarque, Sertorius.
Polybe.
Pomponius Méla.
PseudoAristote, De mirabilibus auscultationibus.
Ptolémée.
Salluste, Guerre de Jugurtha.
Silius Italicus.
Solin.
Stéphane de Byzance.
Strabon.
Thucydide, La guerre du Péloponnèse.
Velleius Paterculus.
Vitruve.

ثانيا – المراجع :

حسن (ابراهيم حسن)، تاريخ الاسلام، الجزء الاول، بيروت، دار الاندلس، الطبعة السابعة، 1964.

الحوراني (يوسف)، نظرية التكوين الفينيقية وآثارها في حضارة الاغريق، بيروت، دار النهار للنشر، 1980.

سيدا(عبد الباسط)، الدور الشمولي للمعبد الشرقي، **مجلة الفكر العربي**، العدد 52، السنة التاسعة 2، 1988.

الشهابي (يحيى)، معجم المصطلحات الأثرية، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دمشق، 1967.

صفر (أحمد)، مدنية المغرب العربي في التاريخ، تونس، دار النشر بوسلامة، 1959.

عبد الستار (لبيب)، الحضارات، بيروت، دار المشرق، الطبعة الحادية عشرة، 1986.

عبودي (هنري)، معجم الحضارات السامية، طرابلس–لبنان، 1988.

العزيفي (محمد رضوان)، التعمير القديم لوادي مرتيل، أعمال ندوة " جبال الريف : المجال و الإنسان" المنظمة من طرف كلية الآداب بتطوان أيام 3 –4–5 أبريل 1989، مجلة كلية الآداب بتطوان، السنة الرابعة، العدد 4، 1990.

العزيفي (محمد رضوان)، السلع المتبادلة بين الفينيقيين والمغاربة القدماء، كأقدم نموذج عن علاقات المغرب التجارية مع العالم المتوسطي، أعمال ندوة "**التجارة في علاقاتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب**" المنظمة بكلية الآداب عين الشق بالدار البيضاء ما بين 21 و23 فبراير 1989، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، عين الشق، الدار البيضاء، 1992، الجزء الثاني، ص. 207–236.

العزيفي (محمد رضوان)، السواحل المغربية إبان المرحلة الفينيقية من خلال الرحلة المنسوبة الى "سكيلاكس"، **أعمال ندوة الرحلة بين الشرق والغرب : اتصال وانفصال** (1–2–3 نوفمبر 2001)، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 110، 2003، ص. 273-301.

العزيفي (محمد رضوان)، الفينيقيون بالساحل الاطلنطي للمغرب من خلال رحلة حنون، **المصباحية**، مجلة تصدرها كلية الآداب والعلوم الانسانية سايس–فاس، سلسلة العلوم الانسانية، العدد الرابع، 2000.

العزيفي (محمد رضوان)، الفينيقيون بفحص طنجة وعلاقاتهم بالسكان "من خلال مقابر ناحية طنجة ومحتوياتها المؤرخة ما بين القرن السابع قبل الميلاد وأواسط القرن السادس قبل الميلاد"، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية بفاس، العدد 11، 1990، ص. 195–210.

العزيفي (محمد رضوان)، الفينيقيون بفحص طنجة وعلاقاتهم بالسكان، مجلة الدراسات الفينيقية البونية والآثار اللوبية (**R.E.P.P.A.L**)، العدد 6، مركز دراسة الحضارة الفينيقية البونية وآثار اللوبيين، المعهد القومي للآثار والفنون، تونس، 1991، ص. 1–18.

العزيفي (محمد رضوان)، الفينيقيون في جزيرة الصويرة، أعمال الايام الدراسية حول "الصويرة الذاكرة وبصمات الحاضر" (26-27-28 اكتوبر 1990)، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية أكادير، سلسلة الندوات والايام الدراسية، رقم 3، 1994.

العزيفي (محمد رضوان)، القرابين البشرية بالعالم الفينيقي-البونيقي من خلال التراث الادبي والاركيولوجي، **المائدة المستديرة حول آداب الشرق القديم وتلاقح الحضارات**، من تنظيم كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط بتعاون مع مؤسسة كونراد أديناور الالمانية، مراكش 25-28 ماي 2000، (تحت الطبع).

العزيفي (محمد رضوان)، مستوطنة ليكسوس الفينيقية في الكتابات القديمة والحديثة "محاولة لرد الاعتبار"، **المصباحية**، مجلة تصدرها كلية الآداب والعلوم الانسانية سايس-فاس، سلسلة العلوم الانسانية، العدد الاول، 1995.

العزيفي (محمد رضوان)، هل مدافن ناحية طنجة فينيقية الاصل ؟ قراءة جديدة للابحاث الاركيولوجية الفرنسية بالمغرب، **المصباحية**، مجلة تصدرها كلية الآداب والعلوم الانسانية سايس-فاس، سلسلة العلوم الانسانية، العدد الثاني، 1996.

العزيفي (محمد رضوان)، وادي مرتيل خلال العصور القديمة ومسألة عزل جبال الريف للمغرب عن العالم المتوسطي، أشغال الايام الوطنية الثانية للجمعية المغربية للبحث التاريخي في موضوع "**الجبل في تاريخ المغرب**" المنظمة بكلية الآداب والعلوم الانسانية سايس-فاس ما بين 20 و22 اكتوبر 1994، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية سايس-فاس، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 3.

عصفور (محمد أبو المحاسن)، المدن الفينيقية، بيروت، دار النهضة العربية، 1981.

عكاشة (ثروت)، الفن العراقي القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1972.

غلاب (محمد السيد)، الساحل الفينيقي وظهيره في الجغرافيا والتاريخ، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الاولى، 1969.

فخري (أحمد)، دراسات في تاريخ الشرق القديم، القاهرة، مكتبة الأنجلوالمصرية، الطبعة الثانية، 1990.

كونتنو (ج)، الحضارة الفينيقية، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة الالف كتاب الثاني رقم 263، القاهرة، 1997.

المصطفى (مولاي رشيد)، حانون والمغرب، **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط**، العدد 10، 1984.

المكناسي (احمد)، مدينة ليكسوس الاثرية، تطوان، 1961.

Acquaro (E), Il tempio nella precolonizzacione fenicia, en momenti precoloniali nel Mediterraneo antico, édition E. Acquaro et autres, Roma, 1988.

Acquaro (E), L'espansione fenicia in Africa, in **Convegno sul tema : Fenice e Arabe nel Mediterraneo**, (Roma, 1982), Roma, 1983.

Acquaro (E), Le monete puniche della Collezione Don Armeni, **Rivista di Studi Fenici IV**, 2, 1976, p. 71-84.

Acquaro (E), Tharros-VI : La scavo del 1979, **Rivista di Studi Fenici VIII**, 1980.

Acquaro (E), La Sardegna fenicia e punica : fra storia e archeologia, **Bolletino d'Arte 31-32**, (Roma, 1985).

Aguayo (P), Carrilero(M), Martinez(G), La presencia fenicia y el proceso de aculturación de las comunidades del Bronce Final de la depresión de Ronda (Málaga), **Actes du second congrès international des études phéniciennes et puniques**, Rome, 1991, t. II.

Akerraz (A), El Khatib-Boujibar(N), Hesnard(A), Kermorvant(A), Lenoir(E), Lenoir(M), Fouilles de Dchar Jdid 1977-1980, **B.A.M,** t. XIV, 1981-1982.

Akerraz (A) et autres, Recherches archéologiques récentes à Dchar Jdid (Zilil) : Les découvertes monétaires, in **Bulletin de la société française de numismatique**, février, 1989.

Alexandropoulos (J), L'influence de Carthage sur les monnayages phénico-puniques d'Espagne, **MCV**, 23, 1987.

Alexandropoulos (J), Le Monnayage de Lixus : Un état de la question, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), Collection de l'Ecole française de Rome, n° 166, Palais Farnèse, 1992.

Alexandropoulos (J), **Numismatique**, Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique, Brepols, 1992.

Alfaro Asins (C), Las monedas de Gadir/Gadès, Madrid, 1988.

Almagro Bach(M), El problema de Tartessos sgún los documentos arqueológicos, **Aspetti archeologici dell' Occidente mediterraneo (Quaderni del Centro di Studio per l'archeologia etrusco-italica, 2)**, Roma, 1978.

Almagro Gorbea (M), Eléments de l'Orient méditerranéen dans le Bronze final de la péninsule ibérique, XI. C. I. **UISPP**, 1987.

Alvar(J), La precolonización y el tráfico marítimo por el Estrecho, **I Congreso Internacional *El Estrecho de Gibraltr***, Madrid, 1988.

Alvarez (N), Gómez Bellard(C), de Madaria(J.L), La ocupación fenicia, **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4**, 2001.

Alvarez (N), Gómez Bellard(C), Habibi(M), De Madaria(J.L), La ocupación fenicia, **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4**, 2001, p. 73-82.

Amadasi Guzzo(M.G), **Tas Silg**, Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique, Brepols, 1992.

Amiran (R), Ancient Pottery of the Holy Land, New Brunswick, 1970.

Anderson (W), A stratigraphic and ceramic analysis of the late Bronze and Iron Age strata of Sounding Y at Sarepta (Sarafand, Lebanon), **Dis. Pennsylvania Univ**, 1979.

Antoine (M), La préhistoire du Maroc atlantique et ses incertitudes, **Bulletin de la société d'Histoire naturelle du Maroc**, 1945.

Aranegui (C), Belèn(M), Fernández Miranda(M), Hernández(E), La recherche archéologique éspagnole à Lixus : Bilan et perspectives, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), Collection de l'Ecole française de Rome, n° 166, Palais Farnèse, 1992.

Aranegui (C), Conclusiones, **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4**, 2001, cap. XVII, p. 253-255.

Aranegui (C), La campaña de Excavaciones de 1999, **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4**, 2001, p. 109-112.

Aranegui (C), Las campañas de excavación de 1995 y 1999, **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4**, 2001, 37-43.

Aranegui (C), Presentación, **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4**, 2001, p. 1-5.

Aranegui(C), Tarradell-Font(N), Lixus colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Apuntes para una Historia de la investigación arqueológica, **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4**, 2001, p. 15-34.

Arques(A), Huellas de la historia fabulosa en la Libia mauritana, **Alta comisaria de España en Marruecos**, Tetuán, 1950.

Arribas (A), Artega(O), "Guadalhorce", **MM 17** (1976).

Arribas (A), Artega(O), El yacimiento fenicio de la desembucadura del río Guadalhorce (Malaga) : **CPUG**, serie Monogr. II (1975).

Artega (S), Los Saladares 71, **Noticiario arqueológico Hispánico 3**, 1975.

Astruc (M), La necrpolis de Villaricos, Informe y Memorias, n° 25, Madrid, 1951.

Atlas du Monde Encarta, **Microsoft**, version 1997.

Aubet (M. E), Los Fenicios en España : Estado de la cuestion y perspectivas, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, Sabadell, Editorial Ausa, 1986.

Aubet (M.E), Los marfiles orientalizantes de Praeneste, Barcelona, 1971.

Aubet (M.E), Notas sobre las colonias del sur de España y su foncíon en el marco territorial : El ejemplo del Cerro del Villar (Málaga), **Atti del II Congresso internazionale di studiu Fenici e Punici, Roma 1987**, Vol. II, Roma, 1991, p. 617-626.

Aubet (Ma. E), Maass-Lindemann(G), Schubart(H), Chorreras, un establecimiento fenicio al E. de la desembocadura del Algorrobo, **Noticiario arqueológico Hispánico 6**, 1979.

Aubet(Ma. E), Cádiz y el comercio atlántico, IV congreso internacional de Estudios fenicios y púnicos, t. IV, Cádiz, 2000, vol. I, p. 31-41.

Aubet(Ma. E), Cerro del Villar-I. El asentamiento fenicio en la desembocadura del río Guadalhorce y su interacción con el hinterland, Sevilla, 1999.

Aubet (Ma. E), Excavaciones en Las Chorreras (Mezquetilla, Málaga), **Pyrenae 10**, 1974.

Aubet (Ma. E), Maass-Lindemann(G), Schubart(H), Chorreras, **MM 16** (1975).

Aubet (Ma. E), Nueva necrópolis fenicia de incineración en Lagos (Málaga), dans Actes du **IIIè congrès international des études phéniciennes et puniques** (Tunis, 11 - 16 Novembre 1991), Institut national du patrimoine, volume I, Tunis, 1995.

Aubet (Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, Barcelona, Editorial Bellaterra, 1987.

Aubet (Ma. E), Tiro y las colonias fenicias de occidente, Barcelona, 1994.

Aubet (Ma.A), La cerámica, a torno de La Cruz del Negro (Carmona, Sevilla), **Simposi Internacional : Els Orígens del món ibèric**, Barcelona-Empúries, 1977, **Ampurias 38-40** (1976-78).

Ballouche (A), Lefevre(D), Carruesco(C), Raynal(J.P), Texier(J.P), Holocene environnements of coastal and continental Morocco, **Quaternary climate in Western Mediterranean**, (F. López-Vera, ed), Madrid, Universidad Autónoma, 1986, p. 517-531.

Barceló (J.A), Curiá(E), Montero(M), Párraga(M), Análisis estadístico de la variabilidad de los platos fenicios en el sur de la Península Ibérica, **IV congreso internacional de Estudios fenicios y púnicos, t. IV, Cádiz, 2000**, vol. IV, p. 1459-1466.

Barnett (R.D), A catalogue of the Nimrud Ivories in The British Museum, London, 1975.

Barnett (R.D), Ancient Ivories in The Middle East Adjacent Countries, Jerusalem, 1982.

Barnett (R.D), Ezekiel and Tyre, **Eretz-Israel, IX**, pp. 6-13 (Jerusalem, 1969).

Barnett (R.D), Phoenician and Ivory trade, **Archaeology 9**, 1956.

Barreca (F), La Sardegna fenicia e punica, Sassari, 1974.

Barreca (F), Le fortificazioni fenicio-puniche in Sardegna, **Atti del I Convegno Italiano sul Vicino Oriente Antico**, Roma, 1978.

Barreca(F), Nuove scoperte sulla colonizzazione fenicio-punica in Sardegna, **H.G. Niemeyer (ed.)**, 1982.

Barro s (L), Introduçao à Pré e Proto-História de Almada, Câmara Municipal, Almada, 1998.
Bartoloni(P), Recension. à Di Sandro(N), Le anfore arcaiche dallo scarico Gosetti, Pithecusa, **R.S.F**, 15, 1987.
Baschmakoff (A), La synthèse des périples antiques, Paris, 1948.
Basset (H), **Revue Afriquaine**, 1921.
Baurain (C) et Bonnet(C), Les Phéniciens, Marins des trios continents, Paris, Armand Colin, 1992.
Behel (M), Fortifications pré-romaines au Maroc : Lixus et Volubilis, Essai de comparaison, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), Collection de l'Ecole française de Rome, n° 166, Palais Farnèse, 1992, p.239-247.
Bekkari (M), L'archéologie marocaine en 1966-1967, **B.A.M**, t. VII, 1967.
Belén (M), Anglada(R), Escacena(J.L), Jiménez(A), Lineros(R), Rodríguez(I), Arqueología en Carmona (Sevilla). Excavaciones en la Casa-Palacio del Marqués de Saltillo. Consejería de Cultura de la Junta de Andalucía, Sevilla, 1997.
Belèn (M), Escacena(J.L), López Roa(C), Rodero(A), Fenicios en el Atlántico. Excavaciones españolas en Lixus : Los conjuntos "C. Montalbán" y "cata basílica", **Homenaje a M. Fernández Miranda, Complutum extra 6, 1**, 1996, p. 339-357.
Belèn (M), Escacena (J.L.), Rodero(A), López Roa(C), Materiales de época fenicia de las excavaciones de Tarradell conservados en el museo de Tetuán, **In Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4**, 2001, p. 83-105.
Belèn (M), Pereir a(J), Cerámicas a torno con decoración pintada en Andalucía, **Huelva Arqueológica VII**, 1985, p. 307-360.González Prats(A), La Fonteta. El Asentamiento fenicio de la desembocadura del Río Segura (Guardamar, Alicante, España). Resultados de las excavaciones 1996-97, **R.S.F XXVI, 2**, 1998.
Beloch (K.J), Griechische Geschichte, Strasbourg, 1913.
Belshaw (C.S), Comercio tradicional y mercados modernos, Barcelona, 1973.
Benet (F), La columna de Hercules en Libia, **B.A.M**, t. XVI, 1985-1986, p. 409-419.
Benoit (F), Recherches sur l'hellinisation du Midi de la Gaule, Aix-En-Provence - Gap, 1965.
Benoit (F), Relations commerciales de Marseille grecque avec le monde occidental, **Rev. Et. Lig. XXII**, 1956.
Berard (V), Les Phéniciens et l'Odyssée, 2 vol, Paris, 1902-1903.
Berger (Ph), **B. A. C**, 1892.
Besnier (M), Géographie ancienne du Maroc, Archives marocaines, t. I, n° III, Paris, 1904.
Besnier(M), La géographie économique du Maroc dans l'Antiquité, Archives marocaines, 1906.
Besnier (M), Recueil des inscriptions antiques du Maroc, **Archives marocaines**, t. I, n° III, 1904.
Bevilacqua (F), Mozia VII, Roma, 1972.
Bibliorom Larousse électronique, version 1.0, 1996.
Bikai (P.M), The Pottery of Tyre, Warminster, 1978.
Bisi(A.M), **"Smiting God"**, Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique, Brepols, 1992.
Bisi (A.M), Ceramica punica. Aspetti e problemi, Napoli, 1970.
Bisi (A.M), L'espensione fenicia in Spagna, dans **Convegno Fenici e Arabi nel Mediterraneo**, Roma, 1983.
Bisi (A.M), La diffusion du "Smiting God" Syro-palestinien dans les milieux d'Occident, in **Kharthago**, 19, 1980.

Bisi (A.M), Le componenti mediterranee e le costani tipologiche della ceramica punica, in **Simposio de colonizaciones (Barcelona-Ampurias 1971)**, Barcelona, 1974.

Bisi (A.M), **Pumay**, Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique, Brepols, 1992.

Blàzquez (A), Las costas de Marruecos en la antigüedad, **Boletin de la real academia de la Historia**, t. LXXIX, Julio, 1921, Cuaderno 1.

Blàzquez (J.M), Ruiz Mata(D), Excavaciones en El Cabezo de San Pedro (Huelva). Campaña de 1977 **(Excavaciones Arqueológicas en España 102)**, Madrid, 1979.

Blàzquez (J.M), Tartessos y los orígines de la colonización fenicia en Occidente, Universidad de Salamanca,1968.

Bokbot (Y), Habitats et monuments funéraires du Maroc protohistorique, thèse de doctorat, 2 vol., Aix-en-Provence, Université d'Aix-Marseille I, 1991.

Bokbot (Y) et Onrubia-Pintado(J), La basse vallée de l'oued Loukkos à la fin des temps préhistoriques, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), Collection de l'Ecole française de Rome, n° 166, Palais Farnèse, 1992.

Bokbot (Y) et Onrubia-Pintado(J), Substrat autochtone et colonisation phénicienne au Maroc, dans : **L'Afrique du Nord antique et médiévale. VI^{è} Colloque international sur l'histoire et l'archéologie de l'Afrique du Nord** (Pau, 1993), Productions et exportations africaines-Actualités archéologiques, Paris, 1995.

Bondi (S.F), I Fenici in Occidente, in **Forme di contatto e processi di transformazione nelle società antiche,** Pisa-Roma, 1983, p. 380-381.

Bondi (S.F), L'espansione fenicia in Italia, in **Convegno sultema : Fenice e Arabe nel Mediterraneo**, (Roma, 1982), Roma, 1983.

Bondi (S.F), L'Urbanistica e l'architettura, **I Fenici**, Milan, 1988.

Bondi (S.F), Monte Sirai nel quadro della cultura fenicio punica di Sardegna, **Egitto e Vicino Oriente, VIII**, 1985.

Bondi (S.F), Note sull'economia fenicia - I : Impresa privata e ruolo dello stato, **Egitto e Vicino Oriente I** (1978).

Bonnet(C), Le culte de Melqart à Carthage : Un cas de conservatisme religieux, **Studia Phoenicia IV**, p. 209-222, Namur, 1986.

Bonnet (C), Le dieu solaire Shamash dans le monde phénico-punique, **S.E.L**, 6, 1989.

Bonnet (C), Les divinités de Lixus, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), Collection de l'Ecole française de Rome, n° 166, Palais Farnèse, 1992.

Bonnet (C), **Melqart,** Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique, Brepols, 1992.

Bonnet (C), Melqart. Cultes et mythes de l'Héraclès tyrien en Méditerranée, Leuven, 1988.

Bonnet (C) et Lipinski(E), **Poséidon**, Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique, Brepols, 1992.

Bonnet (C) et Lipinski(E), **Pyrgi**, Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique, Brepols, 1992.

Bonnet (C) et Lipinski(E), **Shamash**, Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique, Brepols, 1992.

Bonnet-Tzavellas(C), Le dieux Melqart en Phénicie et dans le bassin méditerranéen : culte national et officiel, **Studia Phoenicia II**, p. 195-207, Leuven, 1983.

Bonsor (G), Les colonies agricoles préromaines de la vallée du Bétis, **Revue Archéologique**, t. XXXV, 1899.
Bordreuil (P), **Eléphantine**, Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique, Brepols, 1992.
Bosch-Gimpera(P), Fragen der Chronologie der Phonizischen Kolonisationin in Spanien, **Klio XXII**, 1928-29, pp. 345-388.
Bosch-Gimpera(P), Phéniciens et Grecs dans l'Extrème Occident, **La Nouvelle Clio III**, 1951, pp. 269-296.
Boube (J), Documents d'architecture maurétanienne au Maroc, **B.A.M,** t. VII, 1967.
Boube (J), La circulation monétaire à Sala à l'époque préromaine, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), Collection de l'Ecole française de Rome, n° 166, Palais Farnèse, 1992.
Boube (J), Les origines phéniciennes de Sala de Maurétanie, **Bulletin archéologique du C.T.H.S**, n° 17, Année 1981, Fasc. B, 1984, p. 155-170.
Boube-Piccot(Chr), Un puisoir chypriote d'époque archaïque à Lixus (Maroc), **RA 1**, p. 3-18.
Bouhmadi (B), Benavente(J), Cruz-Sanjulián, San-Romá(A), Caracterización hidrodinámica e hidroquímica de los aquíferos de la cuenca baja del río Loukkos (Marruecos), **Boletín Geológico y Minero 106-2**, 1995, p. 161-177.
Bound (M), Vallintine(R), A wreck of possible etruscan origin of Giglio Island, **IJNA 12,** 1983.
Braidwood (R.J), Report on twoo sondages on the coast of Syria, south of Tartous, **Syria XXI**, 1940.
Briend (J), et Humbert(J.B), Tell Keisan (1971-1976). Une cité phénicienne en Galilée **(Orbis Biblicus et Orientalis, Série Archaeologica I)**, Freiburg (Schw.)/Gttingen, 1980.
Brinkhuizen (D.C), Ichtyo-Archeologisch Onderzoek : Methoden En Toepassing Aan De Hand Van Romeins Vismaterial Uit Velsen (Nederland), Rijksuniversiteit, Groningen, 1989.
Briquel Chatonnet (F), Quelques remarques sur l'onomastique des Phéniciens d'après les inscriptions grecques, **Actes du IIIe congrès International des études phéniciennes et puniques**, Tunis, 11-16 Novembre 1991, Volume I, Tunis, 1995, p. 203-210.
Buchner (G), Die Beziehungen zwischen der eubischen Kolonie Pithekoussai auf der Insel Ischia und dem nordwest-semitischen Mittelmeerraum in der zweiten Hälften des 8. Jhs. v. Chr. , en Niemeyer(H) (ed.), 1982.
Bueno Serrano (P), Tartessos y fenicios : protagonistas de un acercamiento entre culturas, **CNA XXIV**, vol. 3, p. 45-55.
Buhl (M.L), Sukas VII, Copenhague, 1983.
Bunnens (G), Commerce et diplomatie phéniciens au temps de Hiram I de Tyr, **Journal of the Economic and Social History of the Orient**, XIX, 1976, pp. 1-31.
Bunnens(G), L'expansion phénicienne en Méditerranée (Essai d'interprétation fondé sur une analyse des traditions littéraires), Institut historique belge de Rome, t. XVII, 1979.
Bunnens (G), La mission d'Ounamon en Phénicie. Point de vue d'un non égyptologue, **Rivista di Studi Fenici, VI**, 1978, pp. 1-16.
Bunnens (G), le rôle de Gadès dans l'implantation phénicienne en Espagne, dans : Aubet(M.E) y Del Olmo Lete(G), **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, Sabadell, Editorial Ausa, 1986.
Caf Taht el Gar, cueva neolítica en la región de Tetuàn (Marruecos), **Ampurias, 19-20**, 1957-1958, p. 137-166.
Caillé (R), Journal d'un voyage à Tombouctou et à Jenné..., chapitre XXVII, 17 et 18 août 1828.
Callu(J.P), Morel(J.P), Rebuffat(R), Hallier(J), Thamusida. Fouilles du Service des Antiquités du Maroc, I, Paris, 1965 (**Collection de l'Ecole française de Rome**), vol. 2.

Camps (G), **Aethiopes**, Encyclopédie berbère, t. II, Aix-En-Provence, 1985.

Camps (G), **Antée**, Encyclopédie berbère, t. V, Aix-En-Provence, 1988.

Camps (G), Aux origines de La Bérbérie - Monuments et rites funéraires protohistoriques, Arts et métiers graphiques, Paris, 1961.

Camps (G), **Bronze (âge du)**, Encyclopédie bérbère, t. XI, Aix-en-Provence, Edisud, 1992, B. 108, p. 1618-1622.

Camps (G), Les traces d'un âge du bronze en Afrique du Nord, **Revue Afriquaine 104**, Alger, 1960.

Camps (G), Un mausolée marocain : La Grande bazina de Souk-el-Gour, **B.A.M**, t. IV, 1960.

Camps-Fabrer(H), Matière et art mobilier dans la préhistoire nord-africaine, 1966, Paris (Mémoire du C.R.A.P.E., 5).

Caquot (A), Sznycer(M), Herdner(A), Textes ougaritiques: mythes et légendes, Paris, 1974.

Carcopino (J), Le Maroc antique, Paris, Gallimard, 1943.

Carmona González(P), El estuario del Oued Loukkos y la evolución reciente del litoral de Lixus (Marruecos), **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4**, 2001, p. 9-13.

Carpenter (R), Phoenicians in the West, **American Journal of Archaeology, 62**, 1958, pp. 35-53.

Carriazo (J. de M), Tartessos y El Carambolo, Madrid, 1973.

Carte topographique 1/100.000 (Feuille NI - 29 - XXIV - 2).

Caruana Clemente (I), Izquierdo peraile(I), Varia. Objetos diversos hallados en las excavaciones recientes, **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico- mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4**, 2001, cap. XV, p. 231-246.

Casteel (R.W), Fish Remains in Archaeology and Paleoenvironmental Studies, London Academie Press, London, 1976.

Catalá (M), La agricultura : Los recursos vegetales a partir de las semillas y frutos, en Aubet(M.E), Carmona (P), Curiá(E), Delgado(A), Párraga(M), **Cerro del Villar-I. El asentamiento fenicio en la desembucadura del Río Guadalhorce y su interacción con el hinterland**, Sevilla, 1999.

Chabot (J.B), Recueil des inscriptions libyques, Paris, 1940.

Chamorro (J), Flotation strategy : Method and sampling plant dietary resourses of Tartessian times at Doña Blanca, in **E. Roselló y A. Morales (eds) : Castillo de Doña Blanca. Archaeo-environmental investigations in the Bay of Cádiz, Spain (750-500 B.C)**, BAR. International Series, 593, 1994, p. 21-35.

Chatelain (L), Le Maroc des Romains, Paris, 1944.

Chelbi (F), A propos des amphores archaïques de Carthage, **Actes du second congrès international des études phéniciennes et puniques**, Rome, 1991.

Chelbi (F), Découverte d'un tombeau archaïque à Junon, **R.E.P.P.A.l, I**, 1985.

Chelbi (F), Oenochoés "à bobèche de Carthage" : Typologie et chronologie, **R.E.P.P.A.L, II**, 1986.

Chelbi (F), Recension. à Di Sandro(N), Le anfore arcaiche dallo scarico Gosetti, Pithecusa, **R.E.P.P.A.L III**, 1987.

Cherif (Z), L'image du sphinx sur les monuments carthaginois, **R.E.P.P.A.L, IV**, 1988, p. 171-203.

Chifman (Ch), Naissance de la puissance carthaginoise, Moscou, 1963.

Chourtois(Ch), Les vandales et l'Afrique, Paris, 1955.

Ciasca (A), A. Insediamenti e cultura dei Fenici a Malta, en H. G. Niemeyer (ed.), Die Phnizier im Westen, pp. 133-151 (Maguncia, 1982).

Ciasca (A), **Malte**, Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique, Brepols, 1992.

Ciasca (A), Mozia IX, Roma, 1978.
Ciasca (A), Mozia VIII, Roma, 1970.
Cinta (P), Amulettes puniques, Institut des Hautes études de Tunis, Vol. I, 1946.
Cintas (P), Céramique punique, Tunis, Publications de l'institut des hautes études tunisiennes, 1950.
Cintas (P), Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc, Paris, Arts et métiers graphiques, 1954.
Cintas (P), Deux campagnes de recherches à Utique, **Karthago II**, 1951.
Cintas(P), Le sanctuaire punique de Sousse, **Revue Africaine**, 91 (1947).
Cintas (P), Les Carthaginois dans leurs cité, **Archéologie vivante**, Vol. 1, n° 2, Décembre / Février 1969.
Cintas (P), Manuel d'Archéologie punique, t. I : Histoire et Archéologie comparée -Chronologie des temps archaïques de Carthage et des villes phéniciennes de l'Ouest-, Paris, Picard, 1970.
Cintas (P), Manuel d'Archéologie punique, T. II : La civilisation carthaginoise - Les réalisations matérielles, Paris, Picard, 1976.
Cintas (P), Le sanctuaire punique de Souse, **Revue Afriqaine**, 1947.
Contenau (G), La civilisation phénicienne, Paris, Payot, 1926.
Contenau (G), Manuel d'Archéologie orientale, I/IV, Paris, 1927-1947.
Contenau (G), Mission archéologique à Sidon (1914), Syria II, 1920.
Corzo (R), Cadiz y la arqueologia fenicia, **Anales de La Real Academia de Bellas Artes de Cadiz 1**, 1983.
Corzo (R), Paleotopografia de la bahia gaditana, **Cades 5**, 1986.
Corzo (R), Panorama arqueologico de la ciudad de Cadiz, **Primeras Jornadas de Arqueologia de las Ciudades Actuales**, Zaragoza, 1983.
Costa Arthur(Ma), Necrópolis de Alcacer-do-Sal, **II Congreso Nacional de Arqueología**, Madrid, 1951 (Zaragoza, 1952).
Covey-Crump(W.W), The situation of Tarshish, dans **Journal of Theological studies**, T.XVII, 1916.
Cuadrado (E), El problema iberico en la ceramica exotica de bariz rojo, **1er Congreso arqueológico del Marruecos Español**, 1954.
Culican (W), Almuñécar, Assur and Phoenician Penetration of the Western Mediterranean, **Levant II**, 1970.
Culican (W), Aspects of the Phoenician Settlement in the West Mediterranean, **Abr-Nahrain 1**, 1959-1960.
Culican(W), Phoenicians oil bottles and tripod bowls, **Berytus 19**, 1970.
Culican(W), The first Merchant venturers : The Ancient Levant in History and Commerce, London, 1966.
Curtin (P.D), Cross-cultural Trade in World History, Cambridge, 1984.
De Cuevas (T), Estudio general sobre geografía, usos agrícolas, historia plítica y mercantil, administracíon, estadística, comercio y navigacíon del Bajalato de Larache y descripcíon crítica de las ruinas del Lixus romano, **Boletin de la Sociedad geografía de Madrid**, 15, 1883.
De Cuevas (T), Estudio general sobre geografía, usos agrícolas, historia plítica y mercantil, administracíon, estadística, comercio y navigacíon del Bajalato de Larache y descripcíon crítica de las ruinas del Lixus romano, **Boletin de la Sociedad geografía de Madrid**, 16, 1884.
De Hoz (J), **Graffiti**, Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique, Brepols, 1992.

De Jauregui (J.J), Las islas Canarias y la carrera de oro y la purpura en el periplo de Hannon, **I congreso arqueologico del Marruecos español**, (Tetuan, 22-26 junio 1953), Tetuan 1954, p.271-276.

De La Martinière (H), Notice sur le Maroc, fasc. tiré de **La Grande Encyclopédie**, Paris, 1897.

De La Martinière (H), Recherches sur l'emplacement de la ville de Lixus, **B.C.T.H**, 1890.

De La Martinière (H), Souvenirs du Maroc, Paris, 1919.

De Wailly (A), Le site de Kef El Baroud (Région de Ben Slimane), **B.AM**, t. IX, 1973-1975.

Decret (F) et Fantar(Mh), L'Afrique du Nord dans l'Antiquité, Paris, 1981.

Delattre (A.L), Les tombeaux puniques de Carthage, Les tombeaux de la colline de Saint-Louis, Lyon, 1880.

Delattre (R.P), La nécropole punique de Douïmès, fouilles de 1985-1896.

Delattre (R.P), Musée Lavigerie de S[t] Louis de Carthage, Paris, 1900.

Delcor (M), Les trônes d'Astarté, **Atti del I Congresso Internazionale di Studi Fenici e Punici, Roma, 5-10 nov. 1979**, Rome, 1983.

Deonna (W), Exploration archéologique de Délos, fasc. XVIII, Le mobilier délien, Paris, 1938.

Desanges (J), Catalogue des tribus africaines de l'antiquité classique à l'ouest du Nil (Publ. de la sect. d'Hist. de l'Univ. de Dacar, 4), Dacar, 1962.

Desanges (J), Des interprètes chez les "Gorilles" : Réflexions sur un artifice dans le périple d'Hannon, **Atti del I Congresso Internazionale di Studi Fenici e Punici**, Rome, 1983.

Desanges (J), Lixos dans les sources littéraires grecques et latines, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), Collection de l'Ecole française de Rome, n° 166, Palais Farnèse, 1992.

Desanges (J), Recherches sur l'activité des Méditérranéens aux confins de l'Afrique, Ecole française de Rome, Palais Farnèse, 1978.

Desanges (J), Remarques critiques sur l'hypothèse d'une importation de l'or africain dans le monde phénico-punique, **Actes du 2è congrès international d'étude des cultures de méditerranée occidentale**.

Desanges (J), Sources littéraires antiques sur Lixos, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), Collection de l'Ecole française de Rome, n° 166, Palais Farnèse, 1992.

Dils (P), **Thinissut**, Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique, Brepols, 1992.

Docter (R.F), Des amphores carthaginoises archïques au site de Toscanos, dans Actes du **IIIè congrès international des études phéniciennes et puniques** (Tunis, 11 - 16 Novembre 1991), Institut national du patrimoine, volume I, Tunis, 1995.

Dothan (M), Porath(Y), Ashdod IV, Excavations of Area M, **The fortifications of the lower city**, 1982.

Doumet (C) et Kawkabani(I), Les tombes de Rachidieh : Remarques sur les contacts internationaux et le commerce phénicien au VIII[è] siècle av. J. C, dans Actes du IIIè congrès international des études phéniciennes et puniques (Tunis, 11 - 16 Novembre 1991), Institut national du patrimoine, volume I, Tunis, 1995.

Doumet (C), Les tombes IV et V de Rachidieh, dans **Annales d'histoire et d'archéologie**, Beyrouth, 1982.

Du Plat Taylor (J), The cypriot and syrian pottery from Al Mina, **Iraq XXI**, 1959.

Dunand (M), Fouilles de Byblos, **Direction Générale des Antiquitées de la République Libanaise**, Paris, 1937.

Dussaud (R), L'art phénicien du II ^{e} millénaire, Paris, Librairie orientale Paul Geuthner, 1949.
Dussaud (R), Melqart, **Syria XXV**, 1946-1948.
Echt (R), Les ivoires figurés de Kamid el-Loz et l'art phénicien du II^{è} millénaire, **Studia Phoenicia III**, 1985.
Efren (L), Suarez(J), Mayorga(J), Un poblado indígena del Siglo VIII a.c. en la bahía de Málaga. La intervención de urgencia en la plaza de San Pablo, in **M.E. Aubet (coord) : Los Fenicios en Málaga**, Universidad de Málaga, Thema n° 6, Málaga, 1997, p. 215-251.
El Azifi (M.R), Les nécropoles de la région de Tanger sont - elles phéniciennes ? Actes du **IIIè congrès international des études phéniciennes et puniques** (Tunis, 11 - 16 Novembre 1991), Institut national du patrimoine, volume I, Tunis, 1995, p. 401-414.
El Harrif (F.Z) et Giard(J.B) Préliminaires à l'établissement d'un corpus des monnaies de Lixus, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), Collection de l'Ecole française de Rome, n° 166, Palais Farnèse, 1992, p. 267-269.
Elayi (J), Les cités phéniciennes et l'empire Assyrien à l'époque d'Assurbanipal, **Revue d'Assyriologie et d'Arché ologie Orientale, LXXVII**, 1, 1983, pp. 45-58.
Encyclopédie Electronique Encarta 1997.
Encyclopédie Universalis électronique, version 1995.
Escacena (J.L), Del Río(A), Luna(M^{a}.A), Cerámica tartéssica con decoración grabada. Nuevos testimonios, **Anales de Arqueología cordobesa, 9**, 1998, p. 9-23.
Escacena (J.L), Gadir, **Aula Orientalis 3**, 1985.
Escaena (J.L), Gadir, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica,** vol. I Sabadell, Editorial Ausa, 1986.
Euzennat(M), l'archéologie marocaine de 1958 à 1960, **B.A.M**, t. IV, 1960.
Euzennat (M), Remarques sur la description de La Maurétanie Tingitane dans Pline, Histoire Naturelle, V, 2-18, **Antiquités Afriquaines**, t. XXV, 1989, p.
Falsone (G), **Solonte**, Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique, Brepols, 1992.
Fantar (Mh), Kerkouane, cité punique du Cap Bon (Tunisie), III, Tunis, 1986.
Fantar (Mh), La religion phénicienne et punique de Lixus : témoignages de l'archéologie et de l'épigraphie, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), Collection de l'Ecole française de Rome, n° 166, Palais Farnèse, 1992.
Fantar (Mh), Le Bardo, un palais, un musée, Tunis, 1989.
Fantar (Mh), Une tombe punique sur le versant Est de la coline dite de Junon, **Antiquités Afriquaines**, t. 6, 1972.
Fernandez de Aviles(A), Vaso oriental de Torre del Mar (Malaga), **arqueolígia-Historia, VIII**, 1948 (1959).
Ferron (J), Borne indicative à Lixus, **Latomus**, 26, 1967.
Ferron (J), Le caractère solaire du dieu de Carthage, **Africa**, 1, 1966.
Février (J.G), Le mot Mâqôm en phénicien-punique. Cahiers de Byrsa, t. 9, 1960-1961.
Florido Navarro (C), Anforas preromanas sudibericas, **Habis 15**, 1984.
Foucher (L), Les représentations de Baal Hammon, **Archéologie vivante**, Vol. 1, n° 2, Décembre / Février 1969.

Frankenstein (S), The Phoenicians in the Far West : a Function of Neo-Assyrian imperialism, dans : Larsen (M.G) (ed.), **Power and Propaganda. A Symposium in Ancient Empires. Mesopotamia 7**,(Copenague, 1979).

Frezouls (E), Une nouvelle hypothèse sur la fondation de Carthage, **Bulletin de Carrespondance Héllénique, LXXIX**, 1955.

Fuentes Estañol (M.J), Corpus de las inscripciones fenicias de España, **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, Sabadell, Editorial Ausa, 1986, vol. II, p. 5-30.

Gómez Bellard (C), **Céramique**, Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique,Brepols, 1992.

Gómez Bellard (C), Costa(C), Gómez Bellard(F), Grau(E), Gurrea(R), Martinez Valle(R), La colonización fenicia de la isla de Ibiza, **Excavaciones arqueológicas en España,** 157, Madrid, 1990.

Gómez Bellard (C), La cerámica fenicia de Ibiza, in Bartoloni(P), Campanella(L) (eds) : La ceramica fenicia di Sardegna. Dati, problematiche, confronti, **Coll. di Studi Fenici, 40**, Roma, 2000.

Galand (L), Février(J), Vajda(G), Inscriptions antiques du Maroc, Paris, C.N.R.S, 1966.

Garbini (G), Considerazione sull'iscrizione punica di Pyrgi. Con un contributo di G. Levi Della Vida, in **OA**, 4, 1965.

Garbini (G), Venti anni di epigrafia punica nel Magreb (1965-1985), Roma, 1986 (Suppl. à la **RSF**, XIV).

Garcia y Bellido (A), Das Artemision von Sagunt, **Madrider Mitteilungen**, t. 4, Heidelberg, 1963.

Garcia y Bellido (A), Fenicios y Carthagineses en occidente, Madrid, 1942.

Garcia y Bellido (A), Hercules Gaditanus, in **AEA**, 36, 1963.

Garcia y Bellido (A), Los bronzes tartessicos, **V Simposio Internacional de Prehistoria peninsular** (Jerez, 1968), Barcelona, 1969.

Garcia y Bellido (A), Los mas remotos nombres de España, **Arbor, 19**, pp. 5-27, Madrid, 1947.

Garcia y Bellido (A), Máscara de bronce de Oceanus hallada en Lixus, **Archivo Esp. Arqueol. XIV** (1940-1941).

Garcia y Bellido (A), Una colonizacion mitica de España tras la guerra de Troya. El ciclo legendario de los "nostoi", **Cuadernos de Historia de España**, pp, 106-123, Buenos Aires, 1947.

Garelli (P), Nikiprowetzky(V), Le proche-Orient Asiatique (Les empires mésopotamiens, Israël), Paris, Nouvelle Clio, 2bis, 1974.

Garrido Roiz (J.P), Orta Garcia(E.M), Excavaciones en la necropolis de la "joya" (Huelva) II : **(Excavaciones Arqueológicas en España 96)**, Madrid, 1978.

Gauckler (P), Fouilles de Carthage, **Revue archéologique II**, 1902.

Gauckler (P), Nécropoles puniques de Carthage, 1ère partie, Carnets de fouilles, Paris, 1915.

Gautier (E.F), Le passé de l'Afrique du Nord, Paris, Payot, 1952.

Gavala Laborde (J), El origen de las islas gaditanas, Cadiz, 1971.

Germain (G), Qu'est-que le périple d'Hannon ? document, amplification littéraire ou faux intégral ? **Hésperis**, t. XLIV, 1957, p. 205-248.

Geus (K), **Himilcon**, Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique, Brepols, 1992.

Gilman (A), The Later prehistory of Tangier, Morocco, Cambridge, Peabody Museum-Harvard University (American School of Prehistoric Research, bul. 29), 1975.

Girard (S), Banasa préromaine, un état de la question, **Antiquités africaines**, t. 20, 1984, p. 11-93.

Girard (S), L'alluvionnement du Sebou et le premier Banasa, **Bulletin archéologique du C.T.H.S**, n° 17, Année 1981, Fasc. B, 1984, p. 145-154.

Gjerstad (E), Swedish Cyprus expedition, t. IV, 1948.

González-Prats (A), Estudio arqueológico del poblamiento antiguo de la Sierra de Crevillente (Alicante), (Anejo I de la Revista **Lucentum**), Alicante 1983.

González-Prats, Las importaciones y la presencia fenicia en la sierra de Crevillente (Alicante) : **AuOr, 4** (1986).

Gozalbez-Gravioto (E), Las edades del cobre y del bronce en el N.O. de Marruecos, **Cuadernos de la biblioteca española de Tetuan**, 12, 1975.

Gran Aimerich (J.M), Excavaciones arqueolígicas en la región de Velez-Málaga. Campaña de 1973, **Noticiario arqueológico Hispánico**, n° 12, Madrid, 1981.

Gran-Aymerich(J et E), Les grands archéologues : Ernest Renan fondateur de l'archéologie phénicienne, **Archéologia**, n° 224, Mai 1987.

Gran-Aymerich (J. M), Malaga fenicia y púnica, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, vol. I, Sabadell, Editorial Ausa, 1986.

Gras (M), La mémoire de Lixus -De la fondation de Lixus aux premiers rapports entre Grecs et Phéniciens en Afrique du Nord, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), Collection de l'Ecole française de Rome, n° 166, Palais Farnèse, 1992.

Gras (M), Rouillard(P), Teixidor(J), L'univers phénicien, Paris, Arthaud, 1989.

Grau Almero(I.E), Pérez Jordá(G), Iborra Eres(Mª.P), Bonnet(H), Mata(C), La explotación agraria del territorio en época ibérica : los casos de Edeta y Kelin. **Museu d'Arqueologia de Catalunya, Sèrie Monografica 18**, Girona, 2000, p. 151-167.

Grau Almero (I.E), Pérez Jordá(G), Iborra Eres(Mª.P), Rodrigo García(Mª.J), Rodriguez Santana (C.G), Carrasco Porras(V.Mª.S), Gestión de Recursos y economía, **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico- mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra** 4, 2001, cap. XIV, p. 191-230.

Gsell (S), Connaissances géographiques des Grecs sur les côtes africaines de l'océan, **Mémorial Henri Basset**, t. I, 1928, p. 295-296.

Gsell (S), Hérodote, Alger, 1915.

Gsell (S), Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord, réimpression de l'édition Hachette de Paris 1920-1928.

Gsell (S), Vieilles exploitations minières dans l'Afrique du Nord, **Hespéris**, t. VIII, 1er trimestre, 1928.

Gubel (E) et Baslez(Ma.F), **Ivoires**, Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique, Brepols, 1992.

Gubel (E), Phoenician furniture, **Studia Phoenica VII**, Louvain, 1987, p. 37-75.

Gubel (E), **Sphinx**, Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique, Brepols, 1992.

Gubel (E), **Trône**, Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique, Brepols, 1992.

H.Chihab (M) Parrot(A), et Moscati(S), Les Phéniciens, L'expansion phénicienne, Carthage, Paris, 1975.

Habibi (M), A propos du temple H et du temple de Melkart-Héraclès à Lixus, **L'Africa Romana**, t. X, (11-13 déc. 1992), 1994.

Habibi(M), La céramique à engobe rouge phénicien de Lixus, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), Collection de l'Ecole française de Rome, n° 166, Palais Farnèse, 1992, p. 145-153.

Haddachi (A), Dictionnaire de Tamazight. Parler des Ayt Merghad (Ayt Yaflman), Imprimerie Beni Snasen, Salé, 2000.

Harden (D), The Phoenicians on the West Coast of Africa, **Antiquity, XXII**, 1948.
Harden (D.B), The pottery from the precinct of Tanit at Salambo, Carthage, **Iraq IV**, I, 1937.
Hassini (H) et Mlilou(B), Une pendeloque à boisseau trouvée à Lixus, **Nouvelles archéologiques et patrimoniales**, n° 1, Avril 1997, Publications de l' **I.N.S.A.P**, Rabat, 1997.
Heltzer (M), The Metal Trade of Ugarit and The Problem of Transportation of Comercial Goods, **Iraq 39**, 1977.
Hermary (A), **Bès**, Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique, Brepols, 1992.
Herrmann (J.O), Die Erdkarte der Urhibel, Braunschweig, 1931.
Isserli (B.S.J), Phoenician and punic rural settlement and agriculture : some archaeological considerations, **I Congresso Internazionale di Studi Fenici e Punici,** (1970), 1983.
Isserlin (B.S.J) et Du Plat Taylor(J), Motya. A Phoenician and Carthaginian City in Sicily, Vol I, Leida, 1974
Jacob (C), Géographie et ethnographie en Grèce ancienne, Paris, Armand Colin, 1991.
Jaeger (B), Essai de classification et datation des Scarabées Menkheperre, **Orbis Biblicus et Orientalis**, Séries Archaeologica 2, Editions Universitaires, Fribourg, Suisse, 1982.
Jankowska (N.B), Some Problems of the Economy of the Assyrian Empire. in **Diakonoff(I.M) (ed.), Ancient Mesopotamia**, USSR Academy of Sciences, pp. 253-276, Moscu, 1969.
Jidejian (N), Byblos through the Ages, Beirut, 1968.
Jodin (A), Bijoux et amulettes du Maroc punique, **B.A.M,** t. VI, 1966.
Jodin (A), Carthage et le Maroc phénicien, **B.A.M**, t. XI, 1977-78.
Jodin (A), L'âge du bronze au Maroc : La nécropole mégalithique d'El Mriès ,**B.A.M**, t. V, 1964, p.11-45, fig. 13.
Jodin (A), l'archéologie phénicienne au Maroc : Ses problèmes et ses résultats, **Hespéris-Tamuda,** Vol. V, Fasc. II, 1966.
Jodin (A), L'éléphant dans le Maroc antique, **Actes du XCII^e^ congrès national des Sociétés savantes**, section d'archéologie, Strasbourg et Colmar, 1967 (Paris, 1970).
Jodin (A), La datation du mausolée de Souk-el-Gour, **B.A.M,** t. VII, 1967.
Jodin (A), Les établissements du roi Juba II aux îles purpuraires (Mogador), Tanger, 1967.
Jodin (A), Les gisements de cuivre du Maroc et l'archéologie des métaux, **B.A.M VI**, 1966.
Jodin (A), Les grottes d'El Khil à Achakar, **B.A.M**, t. III, 1958-1959.
Jodin (A), Mogador, comptoir phénicien du Maroc atlantique, **Etudes et travaux d'archéologie marocaine**, vol.II, Tanger, 1966.
Jodin (A), Note préliminaire sur l'établissement pré-romain de Mogador, **B.A.M**, t. II, 1957.
Jodin (A), Statuettes de tradition phénicienne trouvées au Maroc, **B.A.M**, t. IV, 1960.
Karageorghis (V), Chronique des fouilles et découvertes archéologiques à Chypre en 1959, **B.C.H**, t. LXXXIV, 1960-1961.
Karageorghis (V), Excavations at Kition, Department of Antiquities, vol. I : The Tombs, Nicosia, 1974.
Karageorghis (V), Excavations in the necropolis of Salamis II, Nicosia 1970.
Karageorghis (V), Kition. Mycenaean and Phoenician Discoveries in Cyprus, London, 1976.
Karageorghis (V), La grande Déesse de Chypre et son culte, Paris, 1977.
Katzenstein (H.J), The Phoenician term habūr in the Report of Wen-Amon, in **Atti del I Congresso internazionale di studiu Fenici e Punici,** Roma 1983, Vol. II.
Kestemont (G), Tyr et les Assyriens, **Studia Phoenicia III**, 1985, pp. 53-78.
Khatib (N), Chroniques du **B.A.M**, t. V, 1961-1964.

Khatib-Boujibar (N), Chroniques du **B.A.M**, t. VI, 1964-1965.

López Gonzalez (G), La guía de INCAFO de los árboles y arbustos de la Península Ibérica, INCAFO, Madrid, 1982.

Ladrón de Guevara Sánchez (I), Aportación al estudio de la cerámica con impresiones digitales en Andalucía, Servicio de publicaciones, Universidad de Cádiz, Cádiz, 1994.

Lancel (S), Byrsa I/II (Collection de l'Ecole Française de Rome, n° 41), Rome, 1979-1982.

Laoust (E), Contribution à une étude de la toponymie du Haut Atlas, Paris, Librairie orientaliste Paul Geuthner, 1942.

Le Coze (J), Le Rharb, Paris, 1964.

Le Page(R), Were was Tarshish ? dans **Proceeding of the society of biblical archeology**, T.XVI, 1893.

Le Petit Robert électronique, version 1.1, 1996.

Leclant (J), Les Phéniciens et l'Egypte, in : **Dossiers Histoire et Archéologie, n° 132,** Novembre, 1988, pp. 14-19.

Leclant (J), Les relations entre l'Egypte et la Phénicie du voyage d'Ounamon à l'expédition d'Alexandre, in : Ward(W.A). (ed.), **The Role of the Phoenicians in the Interaction of Mediterranean Civilizations**, pp. 9-22, Beirut,1968.

Leclant (J), Les talismans égyptiens dans les nécropoles, **Archéologie vivante**, Vol. 1, n° 2, Décembre / Février 1969.

Leclant (J), Tanis. L'or des Pharaons, Paris, 1987.

Lenermant (F), Tarshish, étude d'ethnographie et de géographie biblique, dans **Revue des questions historiques**, T. XXXII, 1882.

Lenoir M), L'architecture de terre dans le Maroc antique (VIIIe s.av. J-C - Ve s.ap. J-C), **L'architecture de terre en Mediterranée,** Publications de La Faculté des Lettres de Rabat, Série Colloques et Séminaires, n° 80, 1999.

Lipinski (E), **Castillo de Doña Blanca**, Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique, Brepols, 1992.

Lipinski (E), **Chousor**, Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique, Brepols, 1992.

Lipinski (E), **Hamilcar**, Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique, Brepols, 1992.

Lipinski (E), **Kadmos**, Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique, Brepols, 1992.

Lipinski (E), **Karatepe**, Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique, Brepols, 1992.

Lipinski (E), **Musocoras**, Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique, Brepols, 19

Lipinski (E), **Solo**, Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique, Brepols, 1992.

Lipinsk i(E), **Tútugi**, in Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique, Brepols, 1992.

Lipinski (E), Tartessos et la stèle de Nora, **Segundo Congresso Internacional de estudios sobre las culturas del Mediteráneo Occidental**, Barcelona, sept-oct. 1975, Barcelona, 1978.

Lipinski (E), Vestiges phéniciens d'Andalousie, **Orientalia Lovaniensia Periodica 15** (1984).

Lipinski (E), Products and brokers of Tyre according to Ezekiel 27, **Studia Phoenicia III**, pp. 213-220, (Leuven, 1985).

Liverani (M), La dotazione dei mercanti di Ugarit, **Annali dell'Instituto di Numismatica 26** (1979).

Liverani (M), Storia di Ugarit nell'eta degli archivi politici, Roma, 1962.

Lopez Pardo (F), Los enclaves fenicios en el Africa noroccidental : del modelo de las escalas náuticas al de colonización con implicaciones productivas, **Gerion 14**, 1996, p. 251-288.

Lopez Pardo (F), Informe preliminar sobre el estudio del material cerámico de la factoría de Essaouira (antigua Mogador), **Complutum Extra 6, I**, 1996.

Lopez Pardo (F), Mauritania Tingitana : de mercado colonial púnico a provincia periférica romana, Madrid, 1987.

Lopez Pardo (F), Reflexiones sobre el origen de Lixus y su Delubrum Herculis en el contexto de la empresa comercial fenicia, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), Collection de l'Ecole française de Rome, n° 166, Palais Farnèse, 1992, p. 85-101.

Luquet (A), Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc : Le Maroc punique, **B.A.M**, t. IX, 1973-1975.

Luquet (A), Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc : Région du Rharb, **B.A.M,** t. VI, 1966.

Luquet (A), La céramique préromaine de Banasa, **B.A.M,** t. V, 1964.

Luquet (A), Prospection punique de la côte atlantique du Maroc, **Hespéris**, 1956.

Luzón (J.M), Ruiz Mata(D), Las raíces de Córdoba. Estratigrafía en La colina de Los Quemados, Cordoba, 1973.

Maña (J.M), Sobre tipología de ánforas púnicas, Crónica del VI Congreso Arqueológico del Sudeste Español, Alcoy, 1950 (1951).

Maass-Lindemann (G), Vasos fenicios de los siglos VIII-VI en España. Su procedencia y posición dentro del mundo fenicio occidental, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica,** Sabadell, Editorial Ausa, 1986.

Maass-Lindemann (G), A comparison of the phoenician pottery of Lixus with the west phoenician pottery of Spain, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), Collection de l'Ecole française de Rome, n° 166, Palais Farnèse, 1992.

Maass-Lindemann (G), Cerámica fenicia en la metrópolis y en las colonias fenicias del siglo VIII según la forma de los platos. **IV congreso internacional de Estudios fenicios y púnicos, t. IV, Cádiz, 2000.**

Maass-Lindemann (G), *Toscanos 1971* (Madrider Forschungen VI 3), Berlin, 1982.

Manfredi (I), R'smlqrt : nota sulla numismatica punica di Sicilia, **Revista italiana di numismatica**, 87, 1985.

Mansel (K), Verzierte handgemachte Keramik des 8 und 7. Jhs. v.Chr. aus Karthago. Ein Beitrag zur Keramik nichtpunischer tradition, **in R.Rolle-K.Schmidt (eds) : *Archalogische Studien in Kontaktzonen der Antiken Welt***, Verff.Joachim Jungius-Ges. Wiss., 87, 1998.

Marcy (G), Les inscriptions libyques bilingues de l'Afrique du Nord, Paris, 1936.

Marcy (G), Notes linguistiques autour du périple d'Hannon, **Hespéris**, t.XX, fasc. I-II, 1935.

Marion (J), Les monnaies de Shemesh et des villes autonomes de Maurétanie tingitane au musée Louis Chatelain a Rabat, **Antiqités afriquaines**, t. 6, 1972.

Marion (J), Notes sur les séries monétaires de la Mauritanie tingitane, **B.A.M**, t. IV, 1960.

Martín Cordoba (E), Aportación a la documentación arqueológica del Cerro de Capellanía, **Mainake XV-XVI**, 1995.

Martín Ruiz (J.A), Indicadores arquelógicos de la presencia indígena en las comunidades fenicias de Andalucía, **Mainake XVII-XVIII**, 1996, p. 73-90.

Martín Ruiz (J.M), Cerámicas a mano en los yacimientos fenicios de Andalucía, **IV congreso internacional de Estudios fenicios y púnicos, t. IV, Cádiz, 2000**.

Mayet (F), Tavares Da Silva(C), Le site phénicien d'Abul (Portugal). Comptoir et sanctuaire, Paris, De Boccard, 2000.

Mazard (J), Corpus nummorum Numidiae Mauretaniaeque, Paris, 1955.

Mazard (J), Création et diffusion des types monétaires maurétaniens, **B.A.M**, t. IV, 1960.

Mesado (N), Vinarragell (Buriana, Castellón), **SIP 46**, Valencia, 1974.

Mickwitz (G), Le problème de l'or dans le monde antique, **Annales d'Histoire économique et sociale**, t. VII, 1953.

Milani(C), Lat. Locus sanctus, loca sancta. Ebr. Meqôm Haqqodes, maqôm qadôs, in **Sanctuari e politica nel mondo antico (Contributi dell'Istituto di storia antica 9)**, Milano, 1983.

Molina Fajardo (F) y Otros, Almuñecar. Arqueología e Historia, Granada, 1983.

Molina Fajardo (F), Almuñecar a la luz de los nuevos hallazgos fenicios, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, vol. I, Sabadell, Editorial Ausa, 1986.

Molina Fajardo (F), Huertas Jimenez(C), Tipologia de las ánforas fenicio-púnics : Almuñecar. arqueologia e Historia, VIII.

Montet (P), Byblos et l'Egypte. Quatre campagnes de fouilles a Gebel, 1921-1924, Paris, 1928-1929.

Moscati (S), I fenici e il mondo mediterraneo al tempo di Omero, **Rivista di Studi Fenici XII**, 1985, pp. 179-187.

Moscati (S), Precolonizzazione greca e precolonizzazione fenicia, **Rivista di Studi Fenici, XI**, 1983, pp. 1-7.

Moscati (S) et Napoli(M), Phéniciens et Grecs en Méditerranée, Editions Atlas, Paris, 1978.

Moscati(S), I Fenici e Cartagine : Società e Costume, Torino, 1972.

Moscati(S), L'épopée des Phéniciens, Paris, Fayard, 1971.

Movers (K), Die Phnizier, t. II, Berlin, 1849-1856.

Mrlin (A), Le sanctuaire de Baal et de Tanit à Siagu, **Notes et Documents**, IV.

Muller (W.M), Tarshish, dans **J.Hastings (éd), A dictionary of the bible**, T. IV, 1902.

Negueruela (I), Jarros de boca de seta y de boca trilobulada de ceramica de engobe rojo en la peninsula iberica, dans **Homenaje al Prof. M. Almagro Basch**, 2, Madrid, 1983, p. 259-279.

Niemeyer(H), El yacimiento fenicio de Toscanos. Urbanística y función, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, t. I, Sabadell, Editorial Ausa, 1986.

Niemeyer (H.G) - Schubart(H), Toscanos, Die altpunische Factorei an der Mündung des Rio de Velez (Madrider Forschungen 6, I), Berlin, 1969.

Niemeyer (H.G) y Schubart(H), La factoria paleopúnica de Toscanos, **Tartessos, V Symposium de prhistoria peninsular**, (Jerez, 1968).

Niemeyer (H.G) y Schubart(H), Toscanos, Berlin, 1969, p. 92-93.

Niemeyer(H.G), Die Phönizier und die Mittelmeerwelt im Zeitalter Homers, **Jahrbuch des Römisch Germanischen Zentralmuseums, 31**, 1984.

Niemeyer (H.G), Lixus : Fondation de la première expantion phénicienne, vue de Carthage, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), Collection de l'Ecole française de Rome, n° 166, Palais Farnèse, 1992, p. 45-57.

Niemeyer (H.G), Pellicer Catalan(M), Schubart(H), Eine Alpunische Kolonie der Mundung des Rio Velez, Berlin, 1964.

Niemeyer (H.G), Schubart(H), Trayamar. Die phönizischen Kammergräber und die Niederlassung an der Algarrobo-Mündung, **Madrider Beiträge, Bd 4**, Mainz, 1975.

Oded (B), The Phoenician Cities and the Assyrian Empire in the Time of Tiglath-pileser III, **Zeitschrift des Deutschen Palastina-Vereins**, 90, 1974, pp. 38-49.

Oldenburg (E), Rohweder(J), The excavations at Tall Darûk (Usnu ?) and Arab al-Mulk (Platos), Copenhague, 1981.

Onrubia Pintado (J), Les tessons peints de Ghar Cahal (Maroc septentrional). Encore des recherches sur l'antiquité de la céramique modelée et peinte en Afrique du Nord, **L'homme méditerranéen, mélanges offerts au professeur G. Camps**, Aix-en-Provence, Presse de l'université de Provence, 1995.

Onrubia Pintado (J), Modalidades, implicaciones y significación de las relaciones prehistóricas ibero-magrebíes. Problemas y perspectivas, Actas del Congreso internacional **"El Estrecho de Gibraltar"** (Ceuta, Noviembre 1987), vol. 1, Madrid, UNED, 1988, p. 147-171.

Oppert (G), Tharshish und ophir, dans **Zeitschrift für Ethnologie**, T.XXXV, 1903.

Pallary (P), Recherches préhistoriques effectuées au Maroc, **L'Anthropologie 18**, 1907.

Pallary (P), Recherches préhistoriques effectuées au Maroc, **L'Anthropologie 25**, 1915.

Pallotino (M), Scavi nel Santuario etrusco di Pyrgi, in **Archaeologia classica**, 16, 1964.

Pascual (I), De Madaria(J.L), La Arquitectura, **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4**, 2001, p. 45-49.

Pellicer Catalan(M) y De Amores Carredano(F), Protohistoria de Carmona. Los cortes estratigráficos CA. 80/A y CA. 80/B, en **N.A.H**, 22, 1985, p. 156-157, fig. 61 d, e, f, g.

Pellicer Catalan (M), Distribución y función de los asentamientos fenicios en Iberia, dans Actes du **IIIè congrès international des études phéniciennes et puniques** (Tunis, 11 - 16 Novembre 1991), Institut national du patrimoine, volume II, Tunis, 1995.

Pellicer Catalan (M), El bronce reciente y los inicios del Hierro en Andalucía occidental, **Tartessos. Arqueología protohistórica del bajo Guadalquivir**, Aubet(M.E), coord., Sabadell, éd. Ausa, 1989.

Pellicer Catalan (M), El Cerro Macareno, (Excavaciones Arqueológicas en España 124), Madrid, 1983.

Pellicer Catalan (M), Excavaciones en la necropolis punica "Laurita" del Cerro de San Cristobal (Almuñécar, Granada), Excavaciones Arqueologicas en España (Madrid, 1962).

Pellicer Catalan (M), Las ceramicas del mundo fenicio en el Bajo Guadalquivir : evolucion y cronologia segun el Cerro Macareno (Sevilla) : **PIW**.

Pellicer Catalan (M), Salobreña : Prehistoria y Antigüedad, Granada, 1992.

Pellicer Catalan (M), Sexi fenicia y púnica, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, Sabadell, Editorial Ausa, 1986.

Pellicer Catalan (M), Typologia y cronologia de las anforas preromanas del Guadalquivir segun el Cerro Macareno (Sevilla) : **Habis, 9** (1978).

Peretti (A), Eforo e Pseudo-Scilace, **Studi class. e orient.** , X, 1961.

Peretti (A), Il Periplo di Scilace, Pise, 1979.

Pesce (G), Sardegna punica, Cagliari, 1961.

Pettinato(G), I rapporti politici di Tiro con l'Assiria alla luce del trattato tra Asarhaddon e Baal, **Rivista di Studi Fenici III**, 1975, pp. 145-160.

Pettinato (G), Le città fenicie e Byblos in particolare nella documentazione epigrafica di Ebla, **Atti del I Congresso Internazionale di Studi Fenici e Punici**, pp. 107-118, Roma, 1983.

Picard (C) et Picard(G.Ch), Hercule et Melqart, Hommages à Jean Bayet, Coll. Latomus, LXX, Bruxelles-Berchem, 1964.

Picard (C), Les représentations du sacrifice Molk sur les stèles de Carthage, **Carthago**, 18, 1978.

Picard (Ch), A travers les Musées et les sites archéologiques de l'Afrique du Nord, I. Le Maroc, **Revue Archéologique**, 1947.

Picard (G), Le monde de Carthage, Paris, Editions Corrêa, 1956.

Picard (G-Ch), Les religions de l'Afrique du Nord, Paris, 1954.
Picard (G. et C), La vie quotidienne à Carthage au temps d'Hannibal, Paris, Hachette, 1958.
Pierret (P), **Scarabée**, Dictionnaire d'Archéologie égyptienne.
Piganiol (A), Les origines d'Hercule, Hommages à A. Grenier, III, Bruxelles, 1962.
Poëte (M), Introduction à l'urbanism, Paris, Editions anthropos, 1974.
Ponsich (M) et Tarradell(M), Garum et industries antiques de salaison dans la Méditerranée occidentale, Paris, 1965.
Ponsich (M), Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc : Région de Lixus, **B.A.M,** t. VI, 1966.
Ponsich (M), Fouilles puniques et romaines à Lixus, **Hesperis-Tamuda,** vol. VII, Rabat, 1966, p. 17-22.
Ponsich (M), Implantation rurale du Maroc phénicien, **Dossiers Histoire et Archéologie (Les Phéniciens à la conquête de la Mediterranée),** n° 132, Novembre, 1988, p. 84-87.
Ponsich (M), Kouass, port antique et carrefour des voies de la Tingitane, **B.A.M,** t. VII, 1967.
Ponsich (M), La navigation antique dans le détroit de Gibraltar, **Littérature greco-romaine,** Caesradonum, IX bis, Mélange R. Dion, publiés par Chevalier, Paris, A et J. Picard, 1974.
Ponsich (M), Le théatre-amphithéatre de Lixus, Homenaje a Garcia y Bellido, t. IV, **Revista de la Universidad Complutense**, Madrid, 1981.
Ponsich (M), Lixus 1963, Communication au comité des travaux historiques et scientifiques. Années 1963-64, séance du 16 mars 1964, Paris, 1966.
Ponsich (M), Lixus, Le quartier des temples, **Etudes et Travaux d'Archéologie marocaine**, t. IX, Rabat, 1981.
Ponsich (M), Recherches archéologiques à Tanger et dans sa région, C.N.R.S, Paris, 1970.
Ponsich (M), Un théatre grec au Maroc ? **B.A.M**, t. VI, 1966, p. 317-322.
Ponsich (M), Une tombe pré-romaine aux environs de Lixus, **B.A.M**, t. V, 1964.
Ponsich, Nécropoles phéniciennes de la région de Tanger, **Etudes et travaux d'Archéologie marocaine**, T. III (Villes et sites du Maroc antique), Tanger, 1967.
Posadas Sanchez (J.L), Amuletos y divinidades egipcias en el Estrecho de Gibraltar preromano. Nueva valoración de su influencia religiosa en el mundo colonial, **Actas del congreso internacional "El Estrecho de Gibraltar"**, Ceuta, Nov. 1987, Vol. I, Madrid, 1988, p. 517-527.
Poyato (C), Hernando(A), Relaciones entre la Península Ibérica y el Norte de Africa : marfil y campaniforme. **Congreso Internacional "El Estrecho de Gibraltar"**, 1988, p. 317-329.
Prada Junquera (M), Un nuevo yacimiento del Bronce Final tartésico : el Cortijo Vaina (Cádiz), Boletín de la Asociación Española de Amigos de la Arqueología 35, 1995, p. 123-135.
Pugliese (B), Mozia I, Roma, 1964.
Quattrochi Pisano (G), A proposito dell'Astarte di Siviglia,in **RSF**. 2, 1974.
Quintero (P), Principales objetos que se conservan en el Museo arqueológico de Tetuán, Tetuán, 1942.
Rachet (G), **Dynasties des rois d'Egypte**, Dictionnaire de la civilisation égyptienne, Larousse, 1992.
Rachet (G), **Scarabée**, Dictionnaire de la civilisation égyptienne, Larousse, 1992.
Ramin (J), Le périple d'Hannon, **B.A.R**, Supplementary serie 3, 1976.
Ramón (J), Cuestiones de comercio arcaico : frascos fenicios de aceite perfumado en el Mediterráneo central y occidental, **Ampurias 44**, 1982, p. 17-41.
Ramón (J), Ibiza y la circulación de ánforas fenicias y púnicas en el Mediterráneo occidental, **TMAI**, 5, 1981.

Ramón (J), Las ánforas fenicias y púnicas del Mediterráneo central y occidental, Barcelona, 1995.

Rebuffat (R), « D'un portulant grec du VXI[e] siècle au périple d'Hannon », **Karthago**, XVI, 1976, p. 139-151.

Rebuffat (R), Hélène en Egypte et le Romain égaré, in **REA**, t. LXVIII, 1966.

Rebuffat (R), Les nomades de Lixus, **Bulletin archéologique du comité des traveaux historiques et scientifiques,** n° 18, 1988.

Rebuffat (R), Recherches sur le bassin du Sebou II : Le périple d'Hannon, **B.A.M**, t. XVI, 1985-1986, p. 257-284.

Reinach (S), Le mirage oriental, Paris, 1893.

Revere (R.B), Tierra de nadie : Los puertos comerciales del Mediterraneo oriental, in Polanyi(K), Arensberg(C.M), Pearson(H.W), **Comercio y mercado en los Imperios antiguos**, Barcelona, 1973.

Ribera Lacomba (A), Las ánforas prerromanas valencianas, Valencia, 1982.

Ribichini (S), Hercule à Lixus et le gardin des Hespérides, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), Collection de l'Ecole française de Rome, n° 166, Palais Farnèse, 1992.

Ribichini (S), Temple et sacerdoce dans l'économie de Carthage, **B.C.T.H**, 1985.

Rodero(A), Las anforas preromanas en Andalucía, **Epigrafia e Antichità. 13. Fratelli Lega.** Faenza, 1995.

Rodriguez Oliva (P), Sobre el culto de La Dea Luna en Malaca, **Jábega** 21 (1978).

Roget (R), Index de topographie antique du Maroc, Publications du Service des Antiquitées du Maroc, fascicule 4, Paris, 1938.

Roget(R), Le Maroc chez les auteurs anciens, Paris, Les Belles Lettres, 1924.

Roos(A.M[a]), Acerca de la antigua cerámica gris a torno en la Península Ibérica, **Ampurias 44**, 1982, p. 43-70.

Ros (M), Burjachs(F), Paleovegetación del Cerro del Villar. en Aubet(M.E), Carmona(P), Curiá(E), Delgado(A), Párraga(M), **Cerro del Villar-I. El asentamiento fenicio en la desembucadura del Río Guadalhorce y su interacción con el hinterland**, Sevilla, 1999.

Rosenberger (B), Les vieilles exploitations minières et les centres métallurgiques du Maroc . essai de carte historique (Première partie), **Revue de Géographie du Maroc**, n° 17.

Rouillard (P), Le commerce grec du V[è] et du IV[è] siècle av. j. c. dans les régions de Lixus et Gadès, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), Collection de l'Ecole française de Rome, n° 166, Palais Farnèse, 1992.

Rousseaux (M), Hannon au Maroc, **Revue afriquaine**, 1949, p. 161-232.

Rufete (P), Las cerámicas con engobe rojo de Huelva, **Huelva arqueológica X-XI 3**, 1988-1989, p. 9-40.

Rufete (P), Las primeras cerámicas fenicias en los poblados tartésicos de Huelva, **La cerámica fenicia en Occidente. Centros de producción y áreas de comercio**, Alicante, 1999.

Ruhlmann (A), La grotte préhistorique de Dar Es-Soltan, **Hespéris** t. XI, 1951.

Ruiz Gálvez (M), Espada procedente de la ría del Lucus en el Museo de Berlín Occidental, **Homenaje al Prof. M. Almagro Basch II**, Madrid, 1983, p. 63-68.

Ruiz Mata (D), Aportacíon al análisis de la presencia fenicia en Andalucia sudoccidental, según las excavaciones del Cabezo de San Pedro (Huelva), S. Bartolomé (Almonte, Huelva), Castillo de Doña Blanca (Puerto de Santa Mría, Cádiz) y El Carambolo (Camas, Sevilla), dans

Homenaje a L. Siret. Cuevas del Almanzora, Junio, 1984, Sevilla, consejería de Cultura de la Junta de Andalucía, 1986.

Ruiz Mata (D), Huelva : un foco temprano de actividad metalúrgica durante el Bronce final, **Tartessos. Arqueología protohistórica del bajo Guadalquivir**, Aubet(M.E), coord., Sabadell, éd. Ausa, 1989.

Ruiz Mata (D), La fundación de Gadir y el Castillo de Doña Blanca : contrastación textual y arqueológica, **Complutum 10**, p. 279-317.

Ruiz Mata (D), Las ceramicas fenicias del Castillo de Doña Blanca, dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, Sabadell, Editorial Ausa, 1986.

Ruiz Mata(D), Pérez(C), El poblado fenicio del Castillo de Doña Blanca, Puerto de Santa María (Cádiz), Puerto de Santa María, 1995.

Saade (G), Ougarit. Métropole cananéenne, Beirut, 1979.

Sachieh (M), Byblos in the Third Millennium B.C.A. Reconstruction of the Stratigraphy and a Study of the cultural Connections, Warminster, 1983.

Sagona (A.G), Levantine storage jars of the 13 th to 4 th Century B.C, **OpAth 14**, 1982.

Saidah (K), Fouilles de Khaldè. Rapport préliminaire sur la première et deuxième campagne (1961-1962), **B.M.B 19** (1966).

Saidah (R), Ougarit et Sidon, **Les Annales Archéologiques Arabes Syriennes, vol. XXIX-XXX**, 1977-1980, pp. 89-103.

Sanmartín Ascaso (J), Inscripciones fenicio-púnicas del sureste hispánico, **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, Sabadell, Editorial Ausa, 1986, vol. II, p. 89-103.

Saumagne (Ch), Note sur des tombeaux puniques découverts sur le flanc Sud-Ouest de la coline de Saint-Louit, **B.A.C** 1932-1933.

Schaeffer (F.A), Rapport sur les fouilles de Ras-Shamra, **Syria**, XII, 1931.

Schmidt (J), **Hespérides**, Dictionnaire de la mythologie grecque et romaine, Larousse, 1984.

Schmitt (P), La plus ancienne carte géographique du Maroc, **B.A.M**, t. XI, 1977-1978.

Schmitt (P), Le cap Soloeis, article dactylographié, Mai 1962.

Schmitt (P), Le Maroc d'après la "Géographie de Ptolémée", (Thèse de Doctorat de troisième cycle), Centre de Recherche A. Piganiol, Tours, 1973, p. 161-163.

Schubart (H) et Maass-Lindemann(G), Toscanos. El asentamiento fenicio occidental en la desembocadura del río de Vélez, **Noticiario arqueológico Hispánico 18** (1984).

Schubart (H) et Niemeyer(H.G), Trayamar. Los hipogeos fenicios y el asentamiento en la desembocadura del Río Algarrobo **(Excavaciones Arqueológicas en España 90)** , Madrid, 1976.

Schubart (H) Morro de Mezquitilla, Informe preliminar sobre la campaña de excavaciones 1976, **Noticiario Arqueológico Hispánico 6**, 1979.

Schubart (H), Asentamientos fenicios en la costa meridional de la peninsuma iberica, **Huelva arqueologica VI**, 1982.

Schubart (H), El Asentamiento fenicio del s. VIII a. C. en el Morro de Mezquitilla (Algarrobo, Malaga), dans **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, Sabadell, Editorial Ausa, 1986.

Schubart (H), Excavaciones en El Morro de Mezquitilla, 1976, dans **Ampurias 38-40**, Barcelona, 1976-1978, p. 559-566.

Schubart (H), Hallazgos fenicios y del bronce final en la desembocadura del Río Guadiaro (Cádiz), Anuario arqueológico de Andalucía, II, Sevilla, 1987.

Schubart (H), Informe preliminar sobre la campaña de excavaciones de 1982 realizadas en el asentamiento fenicio de la desembocadura del río Algarrobo, **Noticiario arqueológico Hispánico 23**, Madrid,1985, p. 155.

Schubart (H), Investigaciones geológicas y arqueológicas sobre la relacíon costera de los asentamientos Fenicios en la Andalucia mediterranea, **Atti del II Congresso internazionale di studiu Fenici e Punici, Roma 1987**, Vol. III, Roma, 1991, p. 1245-1251.

Schubart (H), Morro de Mezquitilla. Informe preliminar sobre la campaña de excavaciones de 1981 en El Morro de Mezquitilla cerca de la desembocadura del río Algarrobo, **Noticiario arqueológico Hispánico**, n° 19, 1984, p. 87-101.

Schubart (H), Niemeyer(H.G), Pellicer Catalan(M), Toscanos, La factoria paleopúnica en la desembocadura del Río Vélez. Excavaciones de 1964 **(Excavaciones Arqueológicas en España 66)**, 1969.

Schubart (H), Westphnizische Teller, dans, **RSF** 4, 1976.

Schulten (A), Tartessos, 2è éd, Hambourg, 1950.

Senac (R), Le périple du carthaginois Hannon, **B.A.G.B**, n° 4, t. XXV, 1960.

Simoneau (A), Les gravures d'éléphants du Haut Atlas, **B.A.M,** t. VII, 1967.

Siret (L), Villaricos y Herrerias, Antigüedades púnicas, Visigodos y árabes, Madrid, 1908.

Sola- Solé (J.Ma), Tarshish y los comienzos de la colonizacion fenicia en occidente, dans **Sefarad**, T.XVII, 1957.

Souville (G), Atlas préhistorique du Maroc, 1. Le Maroc atlantique, Paris, 1973.

Souville (G), Influences de la péninsule ibérique sur les civilisations postnéolithiques du Maroc, dans **Miscelania en homenaje al abate Henri Breuil**, 1965.

Souville (G), Recherches sur l'existence d'un âge du bronze au Maroc, **Atti del VI congr. intern. sci. prehist. e protost.** (Roma, 1962), t. II, Florence, 1965.

Souville (G), Témoignages sur l'âge du bronze au Maghreb occidental, **C.R.A.I.**, 1986.

Stern (E), Material Culture of the Land of the Bible in the Persian Period 538-332 B. C, 1984.

Swiggers (P), Byblos dans les lettres d'El Amarna : Lumières sur des relations obscures, **Studia Phoenicia III**, pp. 45-58, leuuven, 1985.

Sznycer (M), Les Phéniciens et la mer, **Dossiers Histoire et Archéologie (Les Phéniciens à la conquête de la Mediterranée)**, n° 132, Novembre, 1988.

Sznycer (M), Recherches sur les toponymes phéniciens en Méditerranée occidentale, Leyde, 1977.

Tarradell (M), Aportación a la cronologia de la cerámica de barniz rojo, **V Congreso nacional de Arqueologia** (Zaragoza, 1957), Zaragoza, 1959.

Tarradell (M), Avance de la primera campaña de excavaciones en Caf Taht El Gar, **Tamuda**, Vol. III, Semestre II, 1955.

Tarradell (M), Dos sepulturas púnicas en Lixus, **Bol. de la Sociedad Científica Hispano-Marroquí de Alcazarquivir, 2,** 1950.

Tarradell (M), El periplo de Hannon y los Lixitas, **Mauritaña**, 1950.

Tarradell (M), Excavaciones en Lixus, **FA**, 7, 1952.

Tarradell (M), Guía arqueológico del Marruecos español, Tetuan, 1953.

Tarradell (M), Hipogeos de tipo púnico en Lixus, **Ampurias XII**, 1950.

Tarradell (M), Investigaciones sobre los Romanos en el Marruecos español, Arbor 69-70, 1951.

Tarradell (M), Las últimas investigaciones sobre los Romanos en el Norte de Marruecos, **Africa**, 109 (1951).

Tarradell (M), Las campañas de excavaciones de 1954 y 1955 en Lixus (Marruecos), **IV Congreso nacional de Arqueologia** (Burgos, 1955), Zaragoza, 1956.

Tarradell (M), Las excavaciones de Lixus y su aporatación a la cronología de los inícios de la expansión fenicio-púnia en occidente, "Crónica del IV Congreso internacional de ciencias prehistoricas y protohistoricas" (Madrid, 1954)", Zaragoza, 1956.

Tarradell(M), Las excavaciones de Lixus, **Ampurias XIII**, 1951.

Tarradell(M), Lixus. Historia de la ciudad. Guia de las ruinas y de la seccion de lixus del museo arqueologico de Tetuan, Tetuan, 1959.

Tarradell (M), Marruecos antiguo : nuevas perspectivas, **Zephyrus V**, 1954.

Tarradell (M), Notas acerca de la primera época de los Fenicios en Marruecos, **Tamuda**, t. VI, Simestre 1, Tetuan, 1958.

Tarradell (M), Noticia sobre la excavacion de Gar Cahal, **Tamuda**, t. II, Simestre II, 1954.

Tarradell (M), Nuevos datos sobre la ceramica pre-romana de barniz rojo, **Hespéris-Tamuda**, Vol. II, Fasc. II, 1960.

Tarradell(M), Sobre el presente de la arqueologia púnica, **Zephyrus III**, 1952.

Tarradell(M), Tres años de investigaciones arqueologicas en Marruecos, **II Congreso nacional de Arqueologia, (Madrid, 1951)**, Zaragoza, 1952.

Tarradell (M), Tres notas sobre arqueologia punica del norte de Africa. Sobre un tipo de ceramica practicamente inédito, **Arch. Esp.** t. XXVI, 1953

Tarradell (M), Marruecos púnico, Publicaciones de la Facultad de Letras (Universidad de Rabat) Instituto Mulay El Hasan, Editorial Cremades, Tetùan, 1960.

Tarradell-Font (N), Las Monedas, **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4**, 2001, p. 247-251.

Tauxier (H), Les deux rédactions du périple d'Hannon, **Revue afriquaine**, 1882, p. 15-37.

Thalmann (J.P), Les niveaux de l'âge du bronze et de l'âge du fer à Tell Arqa (Liban), **Actes du premier congrès international des études phéniciennes et puniques**, Rome, 1983.

Thouvenot (R), La côte méditerranéenne du Maroc d'après le géographe Ptolémée (II^e siècle après J. C), **R.G.M**, n° 4, 1944.

Thouvenot (R), Les antiquités pré-islamiques dans la zone espagnole de l'empire chérifien, **Bulletin de l'enseignement publique**, 1934.

Tissot (Ch), Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie tingitane, Mémoires des savants étrangers, 1^ere série, t. IX, Paris, 1878, p. 242, n° 1.

Tsirkin (Y.B), Economy of the Phoenicians Settlements in Spain, in Lipinski(E), **State and Temple Economy in the Ancient Near East II**, Leuven, 1979.

Tackholm (U), el concepto de Tarshish en el antiguo testamento y sus problemas, dans **Tartessos y sus problemas**, Barcelona, 1969.

Uriel (F), Algunas consideraciones sobre la miel y la sal en el extremo del Mediterranéo occidental, **1^er Congreso arqueológico del Marruecos Español**, 1954, p. 325-336.

Valenti (V), Notas sobre la antigua produccion y comercio de la sal en el Mediterranéo occidental, **1^er Congreso arqueológico del Marruecos Español**, 1954, p. 225-234.

Van Berchem (D) Sanctuaires d'Hercules-Melqart. Contribution à l'étude de l'expantion phénicienne en Méditerranée, **Syria**, XLIV, 1967.

Van Berchem (D), Hercule-Melqart à l'Ara Maxima, Rendioonti della Pontilicia Accademia Romana di Archeologia, Serie III, vol. XXXII, 1959-1960.

Vazquez Hoys (A.M), Lixus en el panorama religioso fenicio de occidente, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), Collection de l'Ecole française de Rome, n° 166, Palais Farnèse, 1992, p. 103-113.

Vegas (M), La cerámica fenicia del siglo VIII en Cartago, **Actas del IV congreso internacional de Estudios fenicios y púnicos**, t. III, Cádiz, 2000, p. 1237-1246.

Vercoutter (J), Les objets égyptiens et égyptisants du mobilier funéraire carthaginois, Paris, 1945.

Vibert Chapman (S), A Catalogue of Iron Age pottery from the Cemeteries of Khirbet Silm, Joya, Qrayé and Qasmieh of South Lebanon, **Berytus 21**, 1972.

Vilar (J.A), Mapas, planos y fortificaciones hispánicas de Marruecos (S. XVI-XX), Ministerio de Asuntos Exteriores, Madrid, 1992.

Villard (F), Céramique grecque du Maroc, **B.A.M**, t. IV, 1960.

Vives y Escudero (A), Estudio de arqueología cartaginesa. La necrópolis de Ibiza, Madrid, 1917.

Vives y Escudero (A), La moneda hispanica, Madrid, 1926.

Vuillemot (G), Fouilles puniques à Mersa Madakh, **Libyca II**, 1954.

Vuillemot (G), La nécropole punique du Phare de l'île de Rachgoun, **Libyca III**, 1955.

Vuillemot (G), Reconnaissances aux échelles puniques d' Oranie, Autun, 1965.

Wagner (C.G), El Comercio púnico en el Mediterraneo a la luz de una nueva interpretacíon de los tratados concluidos entre Cartago y Roma, in **M.H.A**, 6, 1984.

Wagner (C.G), Los comienzos de la expansion fenicia en el Mediterraneo (document non daté téléchargé via Internet).

Warmington (B.H), Histoire et civilisation de Carthage, Payot, Paris, 1961.

Warning Treumann (B), The Ancient Word I, 1978.

Wheeler (A), Jones(A.K), Fishes, Cambridge University Press, Cambridge, 1989.

Whittaker (C.R), Carthaginian Imperialism in the Fifth and Fourth Centuries, in **Imperialism in the Ancient World**, Ed. Garnsey(P.D.A) and Whittaker(C.R), Cambridge, 1978.

Whittaker (C.R), The Western Phoenicians : Colonisation and Assimilation, in **Proceedings of the Cambridge Philological Society 200** (1974).

Whittaker (J. I.S), Motya. A Phonician Colony in Sicily, London, 1921.

Wooley (L), **J.H.S**, vol. LVIII, 1938, partie I.

Xella (P), La religion phénico-punique au Maroc : Les apports de l'épigraphie, **Lixus** (Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P de Rabat avec le concours de l'Ecole française de Rome, Larache, 8-11 Novembre 1989), Collection de l'Ecole française de Rome, n° 166, Palais Farnèse, 1992, p. 137-143.

Xella (P), Le polythéisme phénicien, **Studia Phoenicia IV**, p. 29-39, Namur, 1986.

Yadin (Y), **Hazor I**. I An Account of the first season of excavations 1955, Jerusalem 1958.

Yadin (Y), **Hazor II**, Jerusalem 1960.

Zemer (A), Storage jars in Ancient sea trade, 1977.

المحتويات

الإهداء 3
كلمة شكر 5
تصدير بقلم الدكتور محمد التازي سعود 7
مقدمة : المنهج والبيبليوغرافيا 9
الجزء الاول : الجذور الفينيقية لليكسوس من خلال المصادر القديمة 21
مقدمة 22
الفصل الاول : المصادر البونيقية الاصل : رحلة حنون Hannon 24
I – إحياء حنون للمستوطنات الفينيقية على الساحل الاطلنطي للمغرب 28
II – ليكسوس الفينيقية والليكسيون الفينيقيون 31
الفصل الثاني : المصادر الاغريقية 35
I –"هيكاتيوس الميليتي" Hécatée de Milet 35
II – الرحلة المنسوبة الى سكيلاكس Scylax 37
III – رحلة بوليبيوس Polybe 42
IV – استرابون Strabon 44
1) ليكسوس وقادس 44
2) ليكسوس و"خليج الوكالات التجارية الفينيقية" 46
3) ليكسوس ومذبح هرقليس–ملقارت 48
الفصل الثالث : المصادر اللاتينية : بلينيوس Pline 51
I – الماضي الميثولوجي لليكسوس في المصادر الاغريقية والبحث عن الجذور الفينيقية 53
1) هرقل في ليكسوس وتجسيد عبادة ملقارت 54
2) أنطيوس يصارع هرقل 54
3) حدائق الهيسبيريديس في ليكسوس 56
أ– الرموز الميثولوجية وجذورها الشرقية 56
ب– التنين الحارس للحديقة وتخويف الفينيقيين للاجانب 58
II – مصب وادي اللكوس في عصر بلينيوس والمنشآت ذات الجذور الفينيقية 59
1) جزيرة بلينيوس 60
أ– ربوة تشميس 60
ب– الربوة الصغيرة القريبة من العرائش 61
ت– ربوة رقادة 61
ث– ربوة "الجزيرة" 63
2) معبد هرقل–ملقارت 63
III – ماضي ليكسوس في ذاكرة الايستوريوغرافيا الرومانية 65
خاتمة 67
الجزء الثاني : مخلفات الفينيقيين بليكسوس 69
مقدمة 70

الفصل الرابع : تاريخ الحفائر والمكتشفات الفينيقية 73
I – الاستكشافات الاولى 73
II – حفائر "طراديل" M. Tarradell والبحث عن كرونولوجية المنشأة الفينيقية 75
1) تصميم الاستبارات 76
2) استبارات الجزء الاسفل والسفح الجنوبي (من رقم 1 الى رقم 11) 77
استبار الخروب 78
3) استبارات سهل الهري أو الهضبة العليا (من رقم 12 الى رقم 15) 81
4) حفائر ما بعد 1957 (استبار قطاع المنازل "cata Montalban") 83
III – حفائر "بونسيك" M. Ponsich في حي المعابد والمكتشفات الفينيقية 84
1) المكتشفات الفينيقية من خلال الاستبارات المنجزة في مبنى A 85
2) المكتشفات الفينيقية من خلال الاستبارات المنجزة في مبنى B 86
3) المكتشفات الفينيقية من خلال الاستبارات المنجزة في معبد F 87
4) المكتشفات الفينيقية من خلال الاستبارات المنجزة في معبد H 88
IV – مستجدات حفائر البعثة المغربية-الاسبانية 90
1) حفائر 1995 (استبار الخروب) 90
2) حفائر 1999 (استبار الخروب) 91
3) حفائر 1999 (استبار الزيتونة) 93
الفصل الخامس : الخزف الفينيقي ذو البرنيق الاحمر 95
I – الاباريق ذات القرص 100
1) المميزات المرفلوجية 100
2) التوزيع في الحوض المتوسطي 101
3) نماذج ليكسوس وتأريخها الجديد 104
أ– نماذج القرن الثامن قبل الميلاد 107
ب– نماذج القرن السابع قبل الميلاد 110
II – الصحون 111
1) المميزات المرفلوجية 111
2) التوزيع في الحوض المتوسطي 112
3) نماذج ليكسوس وتأريخها الجديد 113
أ– مكان الاكتشاف 113
ب– الكرونولوجيا 115
III – القناديل 118
1) المميزات المرفلوجية 118
2) التوزيع في الحوض المتوسطي 120
3) نماذج ليكسوس 121
أ– القناديل ذات المشعل الواحد 122
ب– القناديل ذات المشعلين 122
IV – الجفنات 125
1) المميزات المرفلوجية 125

2) التوزيع ومحاولة التصنيف 126
3) نماذج ليكسوس 131
أ- الجفنات القاربية الشكل 132
ب- الجفنات ذات الحاشية المستقيمة 136
ت- الجفنات النصف الدائرية 137
الفصل السادس : الخزف الفينيقي المصبوغ متعدد الالوان 140
I - المميزات المرفلوجية والتوزيع في الحوض المتوسطي 142
1) الصنف الاول : الجرار ذات العنق الضيقة 143
2) الصنف الثاني : الجرار ذات العنق الواسعة 145
II - تصنيف كسرات ليكسوس ومحاولة تأريخها 147
الفصل السابع : الخزف الفينيقي غير اللامع 151
I - الامفورات الفينيقية 151
1) محاولات التصنيف 151
تصنيف ماس-ليندمان" G. Maass-Lindemann 152
2) المميزات المرفلوجية 154
3) التوزيع في الحوض المتوسطي 157
4) نماذج ليكسوس 162
أ- مكان الاكتشاف 162
ب- المواصفات ومحاولات التأريخ 165
II - ثلاثيات الارجل 168
1) المميزات المرفلوجية ومسألة الاستعمال 168
2) التوزيع في الحوض المتوسطي 170
3) نموذج ليكسوس 172
III - القارورات الفينيقية 173
1) نماذج القرن السابع قبل الميلاد 174
أ- المواصفات المرفلوجية 174
ب- التوزيع في الحوض المتوسطي 175
2) نماذج القرن الثامن قبل الميلاد 177
أ- المواصفات المرفلوجية 177
ب- التوزيع في الحوض المتوسطي 178
3) نماذج ليكسوس 179
الفصل الثامن : المعثورات الاركيولوجية غير الخزفية ومسألة أصولها الفينيقية 183
I - المباني الفينيقية أو ذات التأثير الفينيقي 183
1) المساكن الفينيقية 183
2) أسوار ما قبل-الرومان ومسألة جذورها الفينيقية 185
II - الكتابات الفينيقية أو ذات الاصول الفينيقية 188
1) الخربشات على الاواني الخزفية 188
2) نقيشة "لامارتينير" La Martinière ومسألة كتابتها الفينيقية 190

III – مواد التجارة الفينيقية 193
1) الخنفساء المصرية 193
2) المغرفة البرونزية المستوردة من قبرص 201
خاتمة 203
الجزء الثالث : ليكسوس خلال الحقبة الفينيقية [الهوية-المجال-الاقتصاد-التأسيس والمعبد] 208
مقدمة 209
الفصل التاسع : الطوبونيميا 210
I – ليكسوس–أولوكس–ليكسا–لكس 210
II – الشميس–تشميس–مقام شمش 214
الفصل العاشر : مسألة ليكسوس المحلية 222
I – المخلفات المحلية المفترضة السابقة لقدوم الفينيقيين أو المعاصرة لهم 222
1) المدافن الميكاليتية 223
2) البنايات الميكاليتية 226
3) المواد المعدنية المنتمية لعصر البرونز 229
4) الخزف المصنوع باليد وفرضية الاصل المحلي 230
أ– مكان الاكتشاف 230
ب– صعوبة التصنيف والتشكيل المرفلوجي 233
ت– الخزف المحلي والخزف الفينيقي : النسبة المائوية المغلوطة 236
II – إسهامات البعثة المغربية–الاسبانية وحقيقة الخزف المصنوع باليد 240
1) الخزف المصنوع باليد في استبار الخروب 240
2) الخزف المصنوع باليد في استبار البازليك واستبار قطاع المنازل 246
3) الخزف المصنوع باليد المكتشف في استبار الخروب لعام 1999 248
أ– الخزف المصقول 248
ب– الخزف الخشن 248
ت– الخزف ذو الزخرفة المنقوشة 250
4) الخزف المصنوع باليد المكتشف في استبار الزيتونة 253
III – الرد على فرضيات كيان ماقبل–الفينيقي في ليكسوس 253
1) ليكسوس المنشأة الحضرية المحلية (فرضية "بوكبوط" و"بينطادو") 254
2) ليكسوس المدينة "الليبية–الفينيقية" (فرضية "بونسيك") 257
3) إسهام مركز كشكوش 258
الفصل الحادي عشر : المنشأة الفينيقية فيما وراء البحار وطبيعة التوسع الفينيقي 262
I – المدينة الفينيقية في الشرق 262
II – كَاتِشْ : نموذج الوكالة التجارية في الشرق القديم أو "القاروم" 265
III – طبيعة التوسع الفينيقي 266
IV – نماذج المنشآت الفينيقية 273
1) النموذج الارستقراطي لقرطاجة 275
2) النموذج التجاري لقادس 276
3) مستوطنات الاستغلال الفلاحي بالساحل الشرقي لاسبانيا 277

أ- لغز الكثافة 278
ب- التعريف 279
ت- الديمغرافية والمساحة 281
ث- الاهداف الاقتصادية 283
الفصل الثاني عشر : طبيعة المنشأة الفينيقية بليكسوس ووظيفتها 286
I - البحث عن التعريف 288
1) ليكسوس : مستوطنة للاستقرار السكاني 289
2) ليكسوس : الأمبوريوم التجاري 297
II - البعد المؤسساتي والتجاري 301
1) ليكسوس وصور 302
2) ليكسوس في تماثل مع قرطاجة 307
3) ليكسوس وقادس : مسألة التبعية 308
الفصل الثالث عشر : مؤهلات التشييد : الموقع والمجال الاقتصادي 317
I - الطوبوغرافيا 317
1) المجرى الاسفل لوادي اللكوس 318
أ- مصب اللكوس عند قدوم الفينيقيين 318
ب- المرسى الفينيقي 324
2) موقع المنشأة الفينيقية 327
أ- ليكسوس "العليا" أم ليكسوس "السفلى" ؟ 327
ب- التحصين الطبيعي 332
II - المجال الاقتصادي واستغلاله 334
1) الظهير الفلاحي 334
أ- الدراسة الكاربولوجية 339
ب- الدراسة الحيوانية 341
2) الموارد البحرية ومسألة الجذور الفينيقية للصناعات السمكية 343
أ- علم الأسماك الاركيولوجي 346
ب- علم الرخويات 352
3) الموارد الغابوية 354
الفصل الرابع عشر : ليكسوس والتجارة الفينيقية بالساحل الاطلنطي للمغرب 359
I - موقع ليكسوس الاستراتيجي في الطريق الفينيقية لاكتشاف الجنوب 360
II - عصر البرونز في المغرب وفرضية تجارة المعادن 362
III - التجارة الفينيقية في الرحلة المنسوبة الى "سكيلاكس" : مجال محتمل لتجارة ليكسوس 367
1) جزيرة "قرنة" وموقعها القريب من محيط ليكسوس 370
2) تجارة العاج والخمور والجلود 376
أ- فيلة المغرب وتجارة العاج 376
ب- كروم شمال غرب المغرب وتجارة الخمور 378
ت- تجارة الجلود والفراء 380
الفصل الخامس عشر : مسألة التأسيس 383

I – تشييد ليكسوس في سياق مسببات الارتباط الفينيقي بالغرب ومساره 385
1) المرحلة "الغامضة" للقرنين الثاني عشر والحادي عشر 385
2) صور ونطاق تجارتها في عهد حيرام الاول 387
3) استراتيجية صور التجارية خلال القرن التاسع وبداية الاتجاه نحو الغرب 387
4) دينامية آشور خلال القرن الثامن والتأصل الفينيقي بالغرب 388
II – تشييد ليكسوس بين تأويل النص والواقع الاركيولوجي 390
1) فرضية التشييد في القرن الثاني عشر أو الاسقاط الايستوريوغرافي 390
2) مرحلة ما قبل الاستيطان : الحل التوفيقي 393
3) المعطيات الاركيولوجية وتأسيس ليكسوس في القرن الثامن قبل الميلاد 396
الفصل السادس عشر : ليكسوس ومعبد ملقارت 402
I – وجود معبد ملقارت بليكسوس بين التأكيد المصدري والاستنتاج الاركيولوجي 402
1) المصادر القديمة 402
2) الفحص الاركيولوجي 403
أ – معبد H بحي المعابد وعلاقته بمعبد ملقارت 406
ب – معبد ملقارت خارج ليكسوس 408
ت – شكل المعبد 410
II – تشييد المعبد في عملية التوسع الفينيقي 412
1) المعابد المشيدة بالمنشآت الفينيقية 412
2) المعابد الفينيقية المشيدة في الاوساط الاجنبية 415
III – ملقارت ومعبده في الحضارة الفينيقية 420
1) ملقارت الإله الجديد 420
2) معبد ملقارت المركز الحامي للتجارة 422
IV – الدور الاقتصادي لمؤسسة المعبد في ليكسوس من خلال المسكوكات 425
1) نقود "مقام شمش" وارتباطها بالمعبد 426
أ – مصطلح "مقام" بالفينيقية وعلاقته بالمعبد 426
ب – الاله "شمش" في العالم الفينيقي–البونيقي 428
ت – صورة الشخص الملتحي بنقود "مقام شمش" وعلاقتها بالإله المسؤول عن السك 429
ث – الحروف الفينيقية المستعملة في كتابة شروح نقود "مقام شمش" 432
2) نقود "لكش" والعناصر التي تجعل بعضها يرتبط بالمعبد 433
أ – مسألة الاله بعل ومعبده من خلال كتابات النقود 433
ب – صورة المذبح في نقود لكش 434
ت – المعبود ذو القلنسوة المخروطة الجذع وعلاقته بالاله ملقارت 435
خاتمة عامة 439
البيبليوغرافيا 444
المحتويات 469
قائمة الجداول واللوحات 475
الجداول 476
اللوحات 480

قائمة الجداول واللوحات

الجــــداول

جدول I مصنف الخزف الفينيقي ذو البرنيق الاحمر ....
جدول II مصنف الخزف الفينيقي المصبوغ المتعدد الالوان والخزف غير اللامع ....
جدول III نماذج من الخزف المصنوع باليد ....

اللوحــــات

I المراكب الفينيقية على شكل رؤوس الفرس ....
II ليكسوس : تمثال برونزي يمثل صراع هرقل ضد أنطيوس ....
III صورة على إناء إغريقي تمثل صراع هرقليس مع الاله النهري "أكيلووس" ....
IV ربوة الشميس وحدود المجرى القديم لواد اللكوس ....
V موقع ليكسوس بين منعطفات النهر وسهل اللكوس ....
VI موقع مجموعة من المراكز الفينيقية باسبانيا بالنسبة للساحل الحديث ....
VII موقع مركز Cerro Del Villar الفينيقي بالنسبة للساحل الحديث ....
VIII موقع ليكسوس ....
IX تصميم ليكسوس ومواقع الاستبارات ....
X المقطع الاستراتيغرافي لاستبار الخروب ....
XI الكسرات الخزفية المكتشفة في استبار الخروب (المستوى الاستراتيغرافي 24) ....
XII الكسرات الخزفية المكتشفة في حملة 1951 باستبار الخروب (العمق الاقصى للاستبار) ....
XIII الكسرات الخزفية المكتشفة في حملة 1957 باستبار الخروب (المستويات الاستراتيغرافية 22-25)
XIV الكسرات الخزفية المكتشفة في حملة 1957 باستبار الخروب (المستوى الاستراتيغرافي 23......
XV الكسرات الخزفية المكتشفة في حملة 1957 باستبار الخروب (المستوى الاستراتيغرافي 2........
XVI الكسرات الخزفية المكتشفة في حملة 1957 باستبار الخروب (المستوى الاستراتيغرافي 25) ...
XVII الكسرات الخزفية المكتشفة في حملة 1957 باستبار الخروب (المستوى الاستراتيغرافي 26)....
XVIII الكسرات الخزفية المكتشفة في حملة 1957 باستبار الخروب (المستوى الاستراتيغرافي 22 و2.
XIX الكسرات الخزفية المكتشفة في حملة 1957 باستبار الخروب (المستوى الاستراتيغرافي 24.....
XX الكسرات الخزفية المكتشفة في حملة 1957 باستبار الخروب (المستوى الاستراتيغرافي 24 و2..
XXI الكسرات الخزفية المكتشفة في حملة 1957 باستبار الخروب (المستوى الاستراتيغرافي 24 و25
XXII الكسرات الخزفية المكتشفة في استبار البازيليك ....
XXIII الكسرات الخزفية المكتشفة في استبار قطاع المنازل (المستوى الاستراتيغرافي................
XXIV الكسرات الخزفية المكتشفة في استبار قطاع المنازل (المستوى الاستراتيغرافي 3)...........
XXV الكسرات الخزفية المكتشفة في استبار قطاع المنازل (المستوى الاستراتيغرافي 4) ....
XXVI الكسرات الخزفية المكتشفة في استبار قطاع المنازل (المستوى الاستراتيغرافي 4) ....
XXVII الكسرات الخزفية المكتشفة في استبار قطاع المنازل (المستوى الاستراتيغرافي 5) ....
XXVIII الكسرات الخزفية المكتشفة في استبار قطاع المنازل (المستوى الاستراتيغرافي 5) ....
XXIX موقع معبد H في حي المعابد ....

XXX منشآت الأكروبول ....

XXXI المواد الخزفية الفينيقية المكتشفة في مبنى A ....

XXXII المواد الخزفية الفينيقية المكتشفة في المستوى الاستراتيغرافي رقم V بحنية معبد H ....

XXXIII صحون وقصعات مكتشفة في حنية معبد H (برنيق أحمر) ....

XXXIV جرار مكتشفة في استبار الخروب (حملة 1995 و1999) ....

XXXV كسرات مكتشفة في معبد F (قارورات-صحون-قناديل-أباريق ذات القرص) ....

XXXVI كسرات مكتشفة في معبد F (صحون-أباريق ذات القرص-أمفورات-ثلاثيات الارجل) ....

XXXVII نماذج من الاباريق ذات القرص ....

XXXVIII خزف أحمر مكتشف في استبار الخروب (حملة 1995 و1999) ....

XXXIX مواد فينيقية مكتشفة في ردم خزان معبد F (قارورات-صحون) ....

XL صحون فينيقية مكتشفة بردم خزان معبد F ....

XLI صحون وجفنات مكتشفة بمعبد H ....

XLII تصنيف مرفلوجي للصحون ذات البرنيق الاحمر المحفوظ..........

XLIII رسم بياني حول تأريخ صحون ليكسوس استنادا لعرض حواشيها..........

XLIV مواد خزفية مكتشفة بردم خزان معبد F ....

XLV نماذج من الجفنات الفينيقية المكتشفة بالحوض المتوسطي ....

XLVI جفنات فينيقية مكتشفة في ردم خزان معبد F ....

XLVII جفنات وطاسات فينيقية مكتشفة في ردم خزان معبد F ....

XLVIII أصناف الامفورات الفينيقية المؤرخة بالقرنين الثامن والسابع ق.م ....

XLIX نماذج من الامفورات الفينيقية ومن ثلاثيات الارجل ....

L أمفورات فينيقية مكتشفة في ردم خزان معبد F ....

LI أمفورات فينيقية مكتشفة في استبار الخروب (حملة 1995-1999) ....

LII نماذج من القارورات الفينيقية المكتشفة بالحوض المتوسطي ....

LIII جدران المساكن الفينيقية بليكسوس المكتشفة عام 1999 باستبار الخروب ....

LIV نقيشة ليكسوس ....

LV نقيشة نورا المكتشفة بسردينيا (القرن التاسع ق.م) ....

LVI الكتابة المزدوجة اللغة البونيقية-الليبية بليكسوس (القرن الثالث ق.م) ....

LVII نموذج من الكتابة البونيقية الانيقة والممشوقة (قرطاجة) ....

LVIII صور مختلفة لخنفساء ليكسوس ....

LIX رسم لخنفساء ليكسوس ....

LX خراطيش الفراعنة ....

LXI الخنافس الفينيقية ....

LXII الخنافس المصرية..........

LXIII الخنفساءتان المكتشفتان بالرباط ....

LXIV الانواع الخزفية الفينيقية الكلاسيكية ....

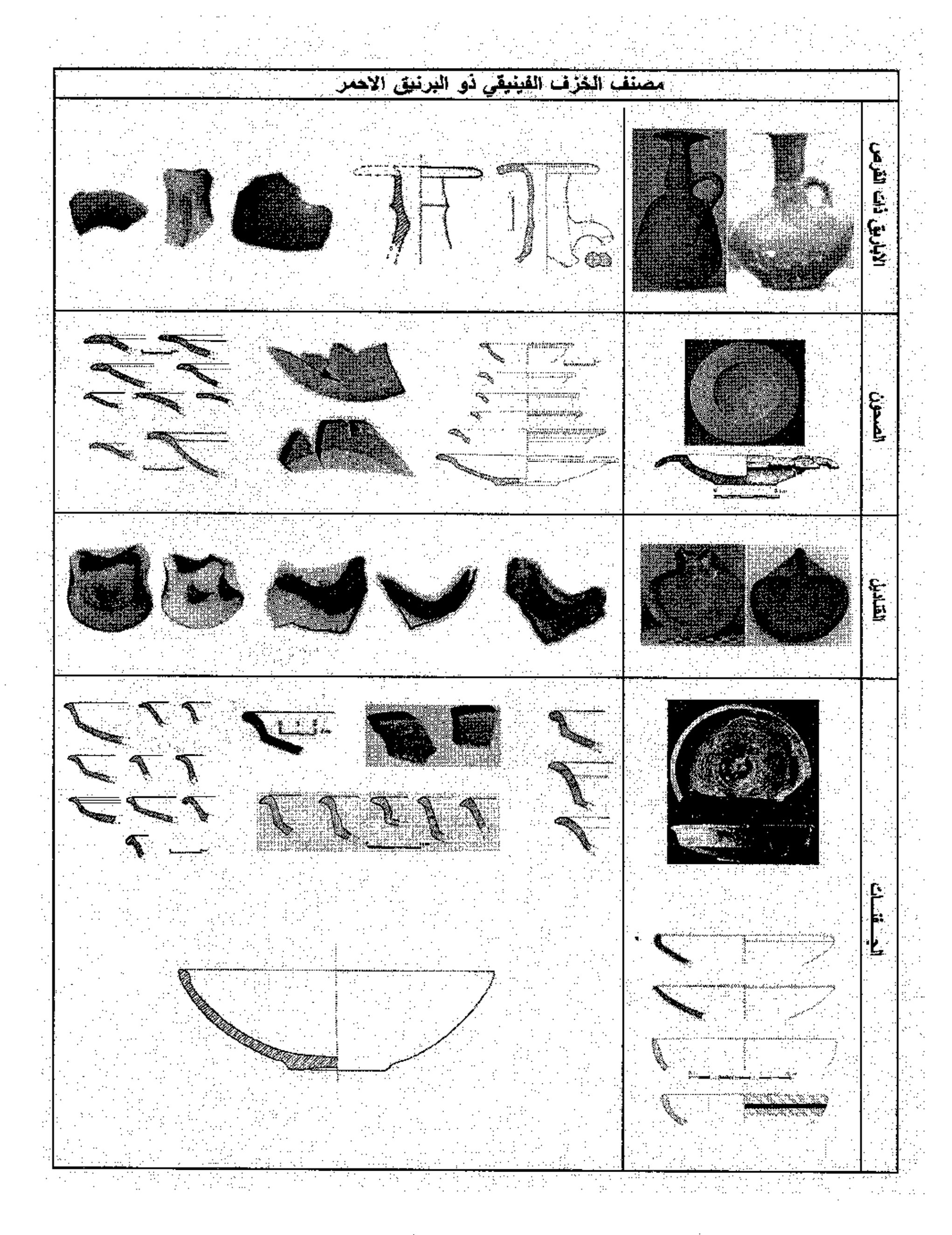
LXV المدفن من نوع "دولمن" بليكسوس ....

LXVI السور المدعو "الميكاليتي" بليكسوس ....

LXVII الخزف ذو الزخرفة الهندسية المكتشف في ردم خزان معبد F بليكسوس ....

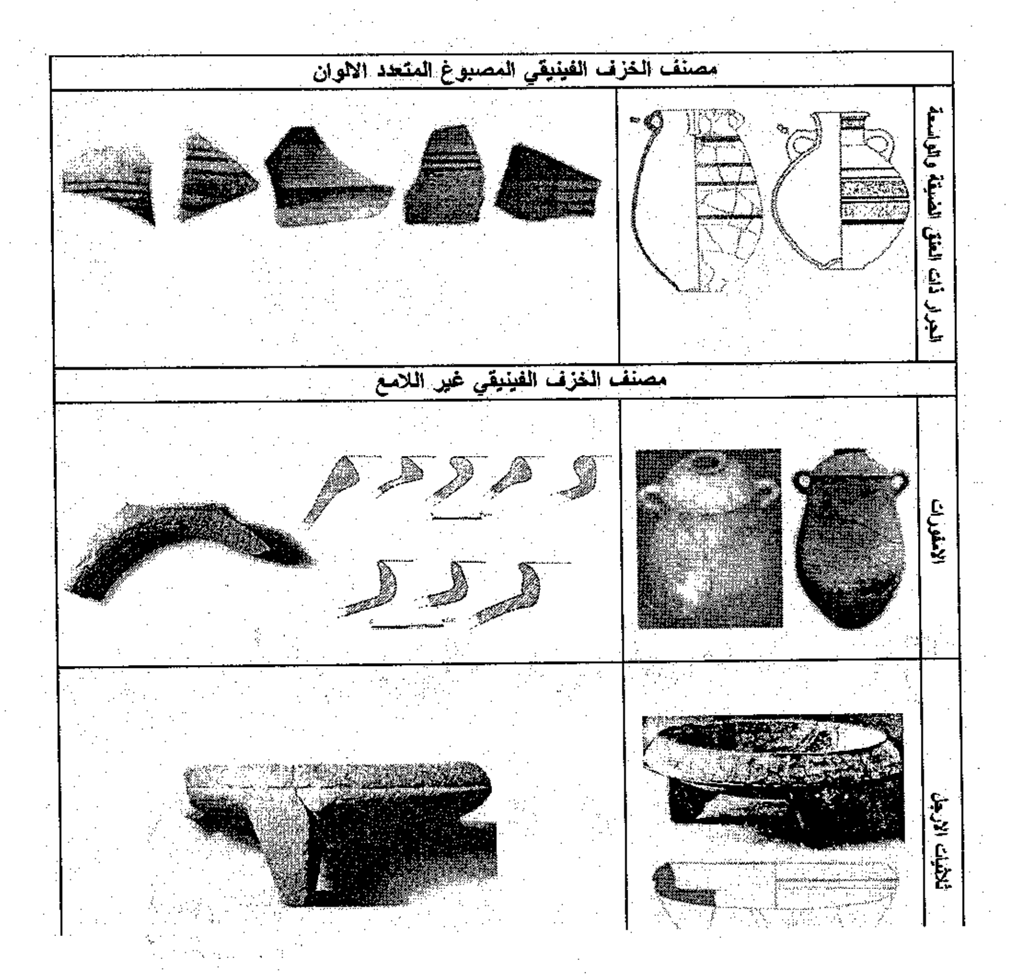
LXVIII الخزف المحلي المكتشف في الطبقة الفينيقية بموكادور ....
LXIX الخزف المصقول المصنوع باليد المكتشف في استبار الخروب (حملة 1995 و1999) ....
LXX طنجرة من نوع الخزف ذو الخربشات المكتشفة في استبار الخروب (حملة 1995 و1999) .
LXXI المجال الفلاحي لليكسوس ومواقع العصر النيوليتي ....
LXXII التوسع الفينيقي بالحوض المتوسطي ....
LXXIII الموقع القديم لليكسوس حسب فرضية "تيسمير" و"سانتاس" ....
LXXIV عينات من نقود ليكسوس...
LXXV المجال الفلاحي لليكسوس والطريق ليكسوس–زيليس ....
LXXVI رسم تشكيلي للحنية النصف الدائرية لمعبد H ....
LXXVII صورة الحنية النصف الدائرية لمعبد H ....
LXXVIII التصميم المحتمل لمعبد H...
LXXIX معبد عمريت (نموذج من المعابد الفينيقية المكشوفة) ....
LXXX معبد جبيل (نموذج من المعابد الفينيقية المغطاة) ....
LXXXI شكل المذبح الفينيقي (مسكوكات ليكسوس) ....
LXXXII نموذج من مذبح فينيقي (عمريت) ....
LXXXIII ملقارت بحّار (مسكوكات صور) ....
LXXXIV الإله المسؤول عن السك (نقود ليكسوس) ....
LXXXV نماذج من الحروف الفينيقية القديمة في مسكوكات ليكسوس ....
LXXXVI المعبود ذو القلنسوة (مسكوكات ليكسوس) ....
لوحة أ رقم 1 ربوة تشميس كما يمكن مشاهدتها من جهة النهر ....
لوحة أ رقم 2 تنقيبات البعثة المغربية-الاسبانية في استبار الخروب ....
لوحة أ رقم 3 صورة جوية لحي المعابد ....
لوحة أ رقم 4 الحفائر الجديدة في استبار الخروب (حملة 1999) ....
لوحة أ رقم 5 موقع استبار الزيتونة لعام 1999 ....
لوحة ب رقم 1 مرتفعات رقادة ....
لوحة ب رقم 2 مصب واد اللكوس بالقرب من العرائش ....
لوحة ت رقم 1 الجزء العلوي لإبريق ذي القرص اكتشفه "طراديل" في استبار الخروب ....
لوحة ت رقم 2 سور ليكسوس المعروفة بالسور الغربية أو السيكلوبية ....
لوحة ت رقم 3 المغرفة البرونزية المستوردة من قبرص (القرن السابع ق.م) ....
لوحة ت رقم 4 السيف البرونزية المنتمية لعصر البرونز (~ 1000 ق.م) ....
لوحة ت رقم 5 المدفن المعروف باسم "القنطرة" ....
لوحة ت رقم 6 القدور ذات الحلمات المصنوعة باليد المكتشفة في استبار الخروب (حملة 1999)............
لوحة ث رقم 1 الطنجرات المصنوعة باليد المزخرفة بالحزّات (استبار الخروب حملة 1999) ....
لوحة ث رقم2 كسرة من الخزف ذي الخربشات (استبار الخروب حملة 1995 و1999) ....
لوحة ث رقم 3 تصميم Juan Bautista Antonelli لمدينة العرائش وناحيتها عام 1611 ....

جدول I



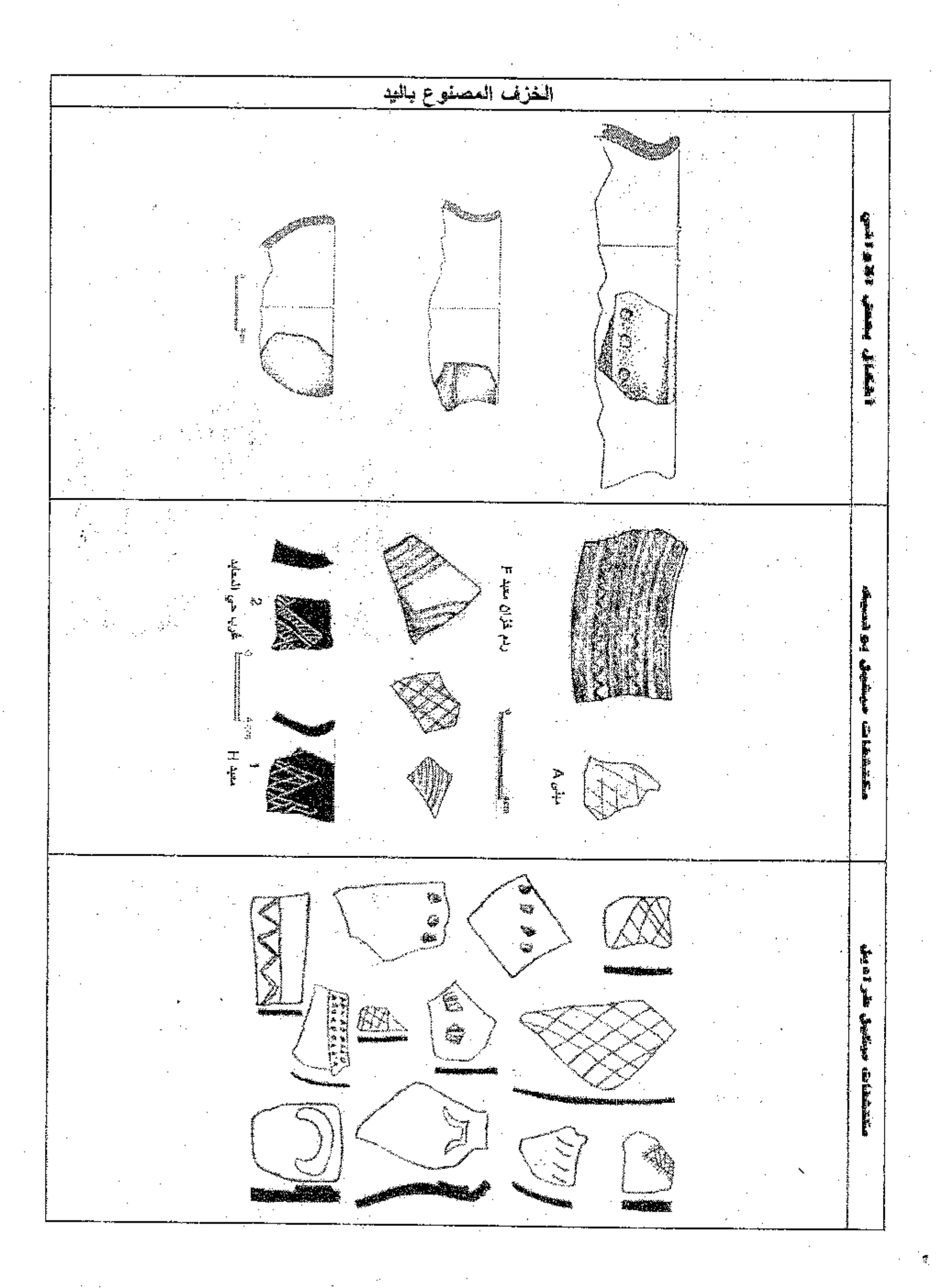
مصنف الخزف الفينيقي ذو البرنيق الاحمر
الأباريق ذات القرص
الصحون
القناديل
الجفنات

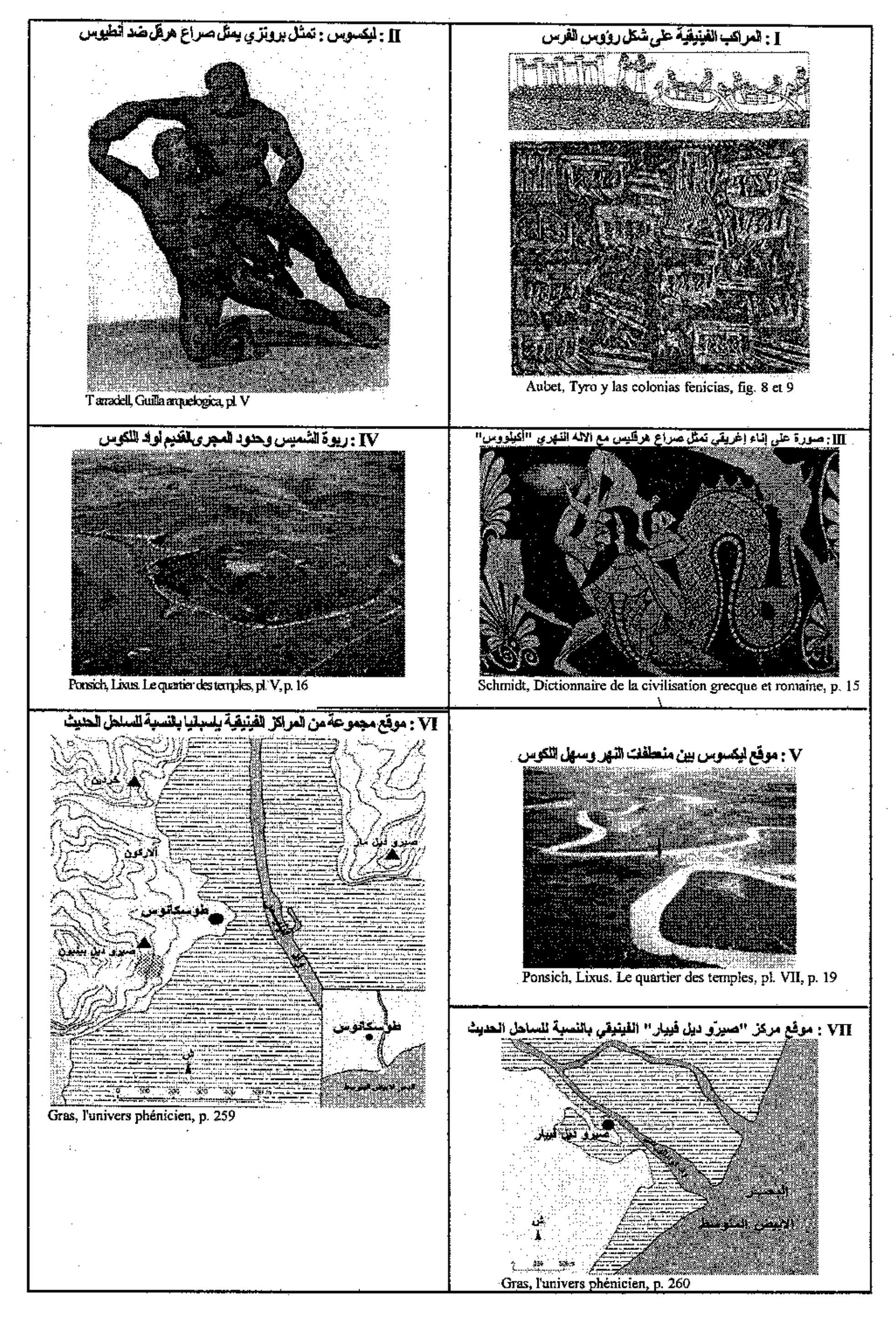
جدول II



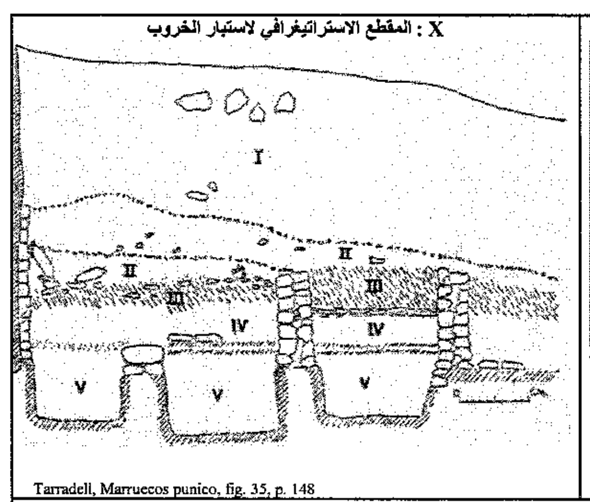
مصنف الخزف الفينيقي المصبوغ المتعدد الالوان
الجرار ذات العنق الضيقة والواسعة
مصنف الخزف الفينيقي غير اللامع
الأمفورات
ثلاثيات الأرجل

جدول III



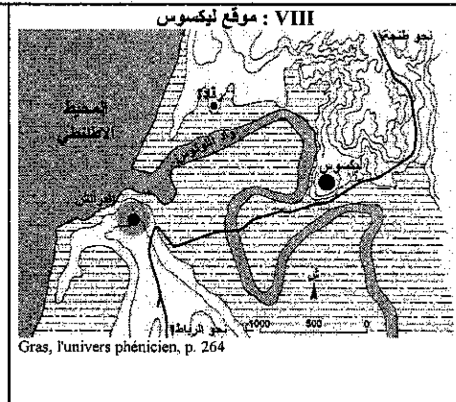

I : المراكب الفينيقية على شكل رؤوس الفرس
Aubet, Tyro y las colonias fenicias, fig. 8 et 9
II : ليكسوس : تمثال برونزي يمثل صراع هرقل ضد أنطيوس
Tarradell, Guilla arquelogica, pl. V
III : صورة على إناء إغريقي تمثل صراع هرقليس مع الاله النهري "أكيلووس"
Schmidt, Dictionnaire de la civilisation grecque et romaine, p. 15
IV : ربوة الشميس وحدود المجرى القديم لواد اللكوس
Ponsich, Lixus. Le quartier des temples, pl. V, p. 16
V : موقع ليكسوس بين منعطفات النهر وسهل اللكوس
Ponsich, Lixus. Le quartier des temples, pl. VII, p. 19
VI : موقع مجموعة من المراكز الفينيقية بإسبانيا بالنسبة للساحل الحديث
طوسكانوس
Gras, l'univers phénicien, p. 259
VII : موقع مركز "صيرّو ديل فيبار" الفينيقي بالنسبة للساحل الحديث
Gras, l'univers phénicien, p. 260

X : المقطع الاستراتيغرافي لاستبار الخروب



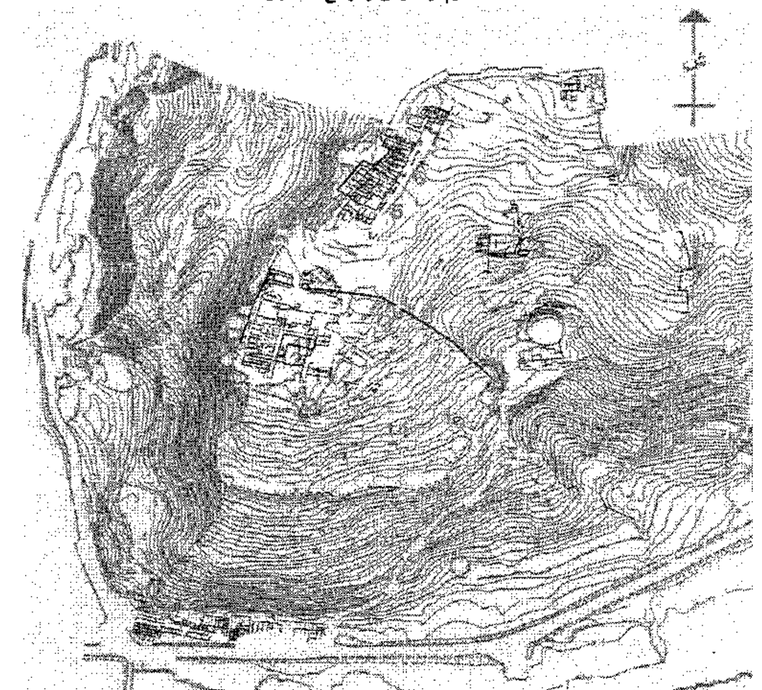
Tarradell, Marruecos punico, fig. 35, p. 148

VIII : موقع ليكسوس



Gras, l'univers phénicien, p. 264

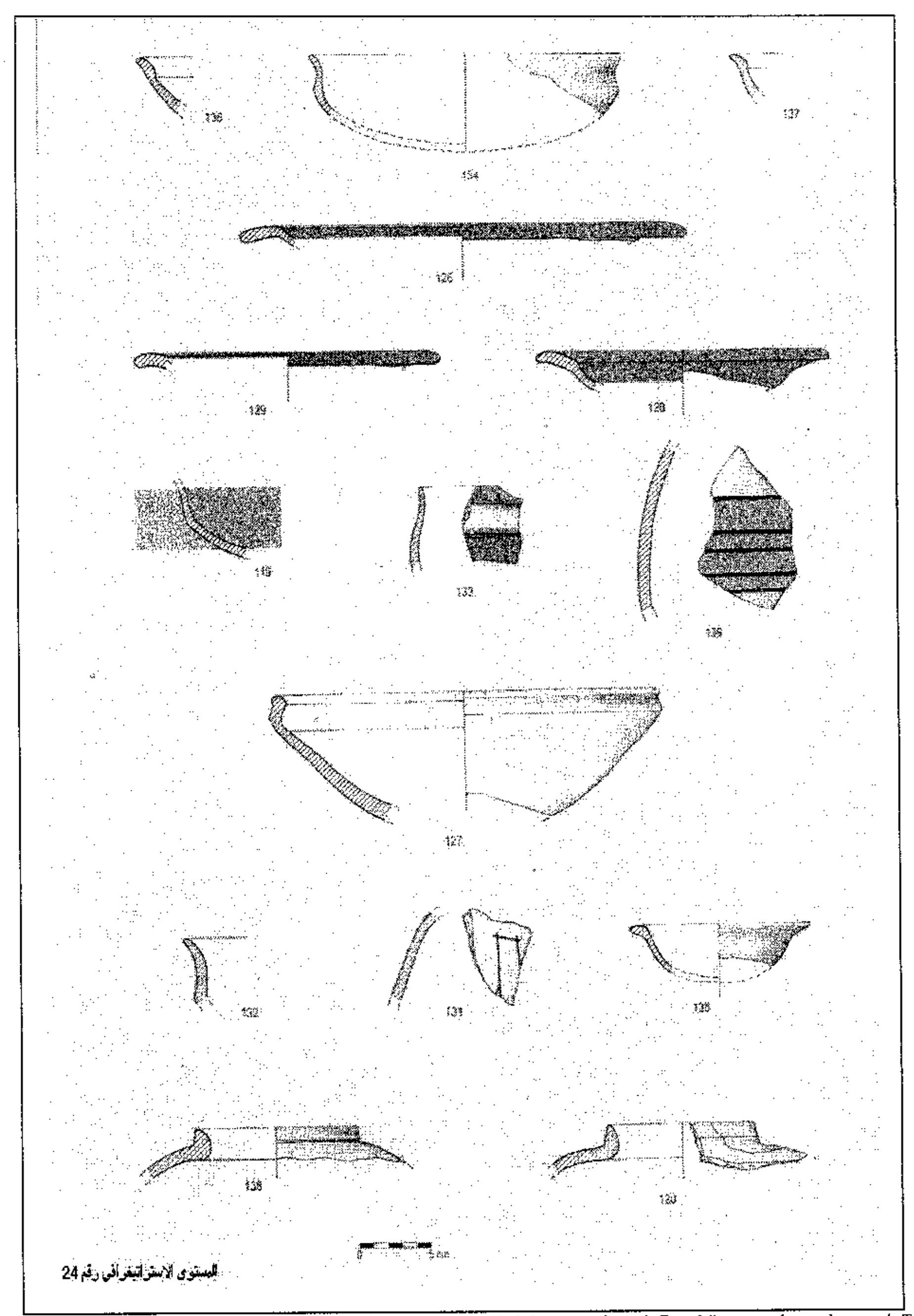
IX: تصميم ليكسوس ومواقع الاستبارات



1) استبار الخروب - 2) استبار المخيم - 3) استبار رقم 10 - 4) استبار البازيليك - 5) استبار دار مارس وريا - 6) استبار رقم 3
7) استبار دار هيليوس - 8) استبار رقم 15 - 9) استبار قطاع المنازل - 10) استبار مبنى A - 11) استبار مبنى B - 12) استبار
معبد F - 13) استبار معبد H - 14) استبار الزيتونة

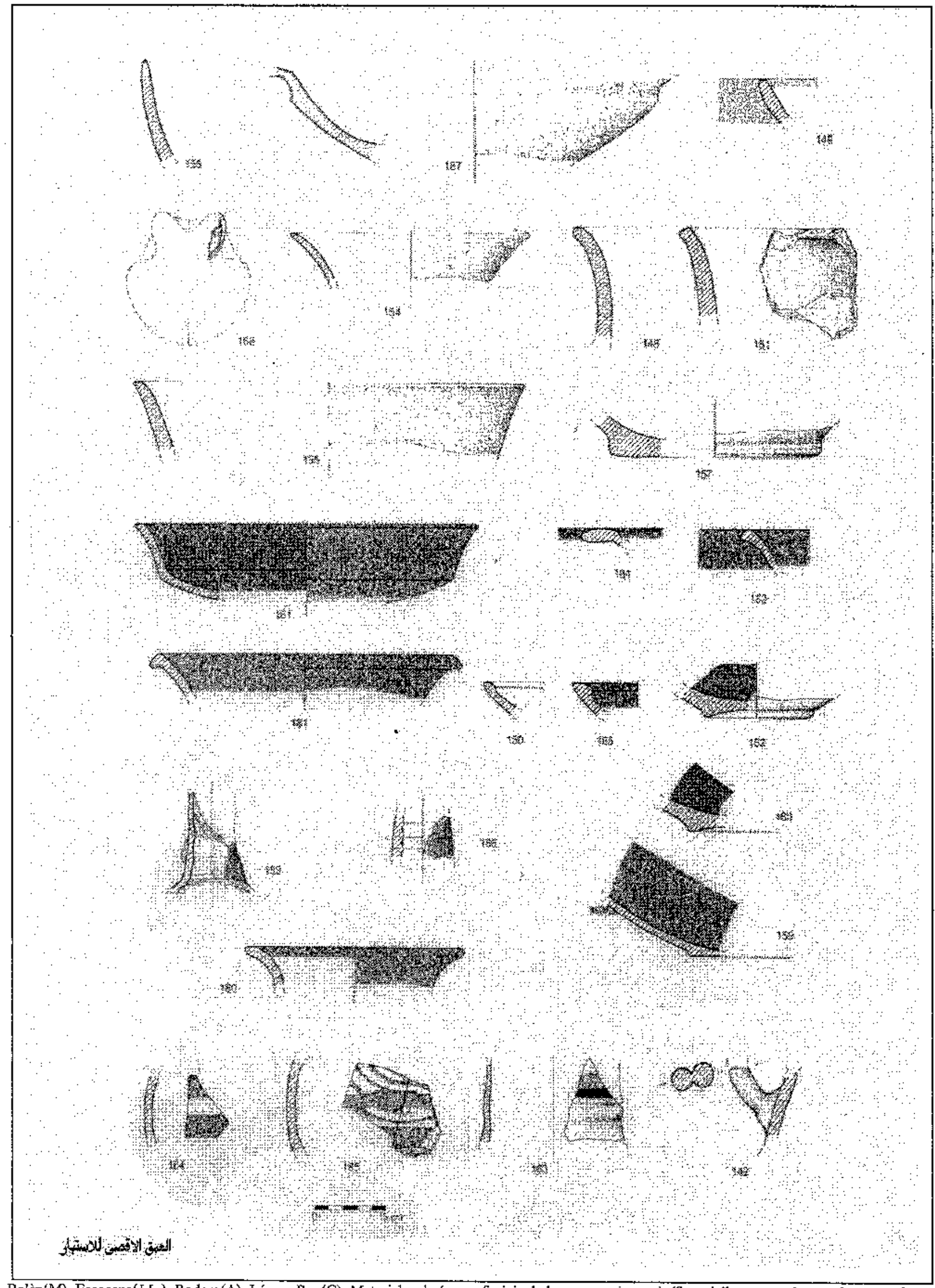
Ponsich, Lixus. Le quartier des temples, fig. 5, p. 23

XI : الكسرات الخزفية المكتشفة في استبار الخروب (حملة 1951)



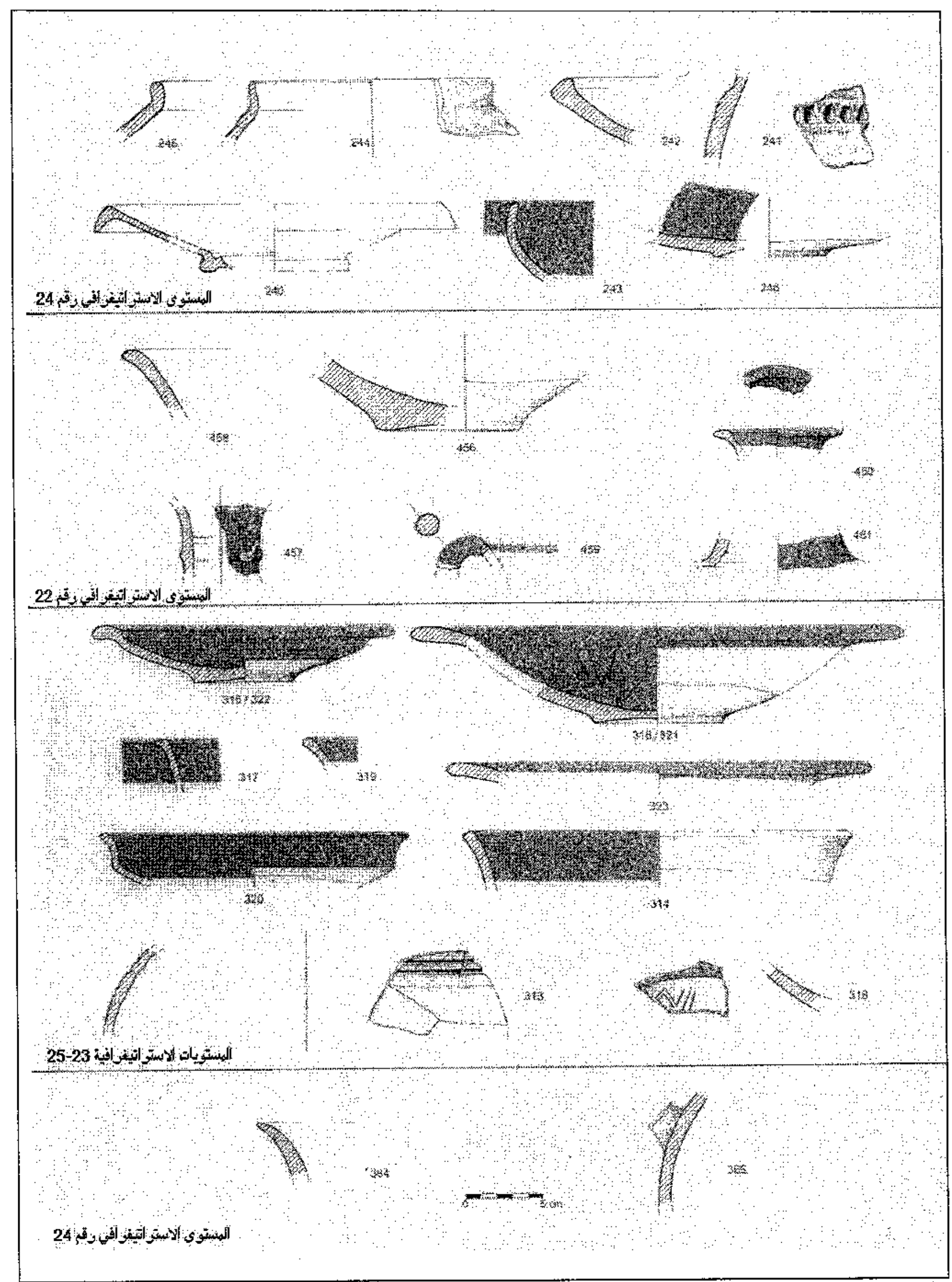
Belèn(M), Escacena(J.L.), Rodero(A), López Roa(C), Materiales de época fenicia de las excavaciones de Tarradell conservados en el museo de Tetuán, **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4**, 2001, fig. 4, p. 95.

XII : الكسرات الخزفية المكتشفة في استبار الخروب (حملة 1951)



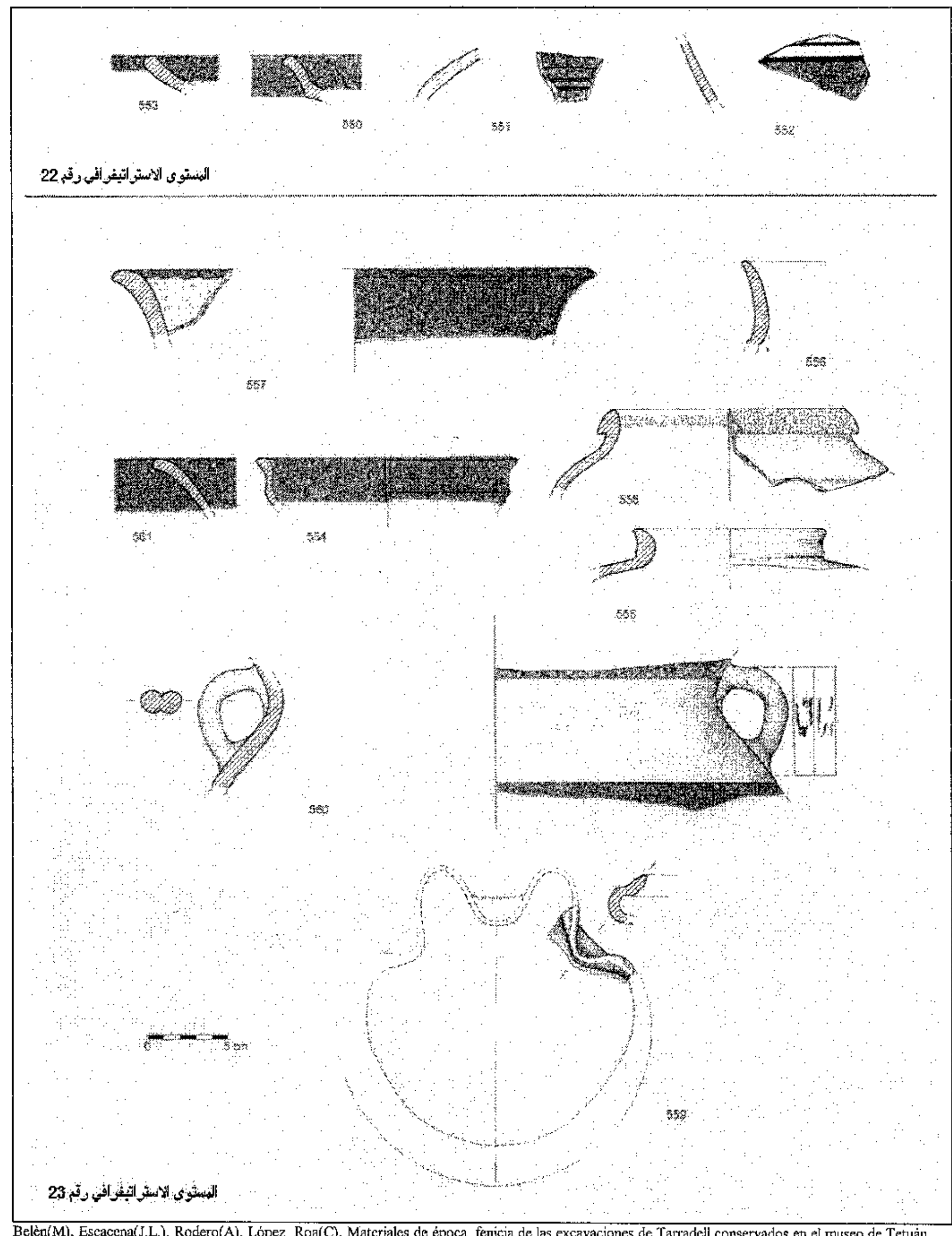
Belèn(M), Escacena(J.L.), Rodero(A), López Roa(C), Materiales de época fenicia de las excavaciones de Tarradell conservados en el museo de Tetuán, **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4**, 2001, fig. 5, p. 96.

XIII : الكسرات الخزفية المكتشفة في استبار الخروب (حملة 1957)



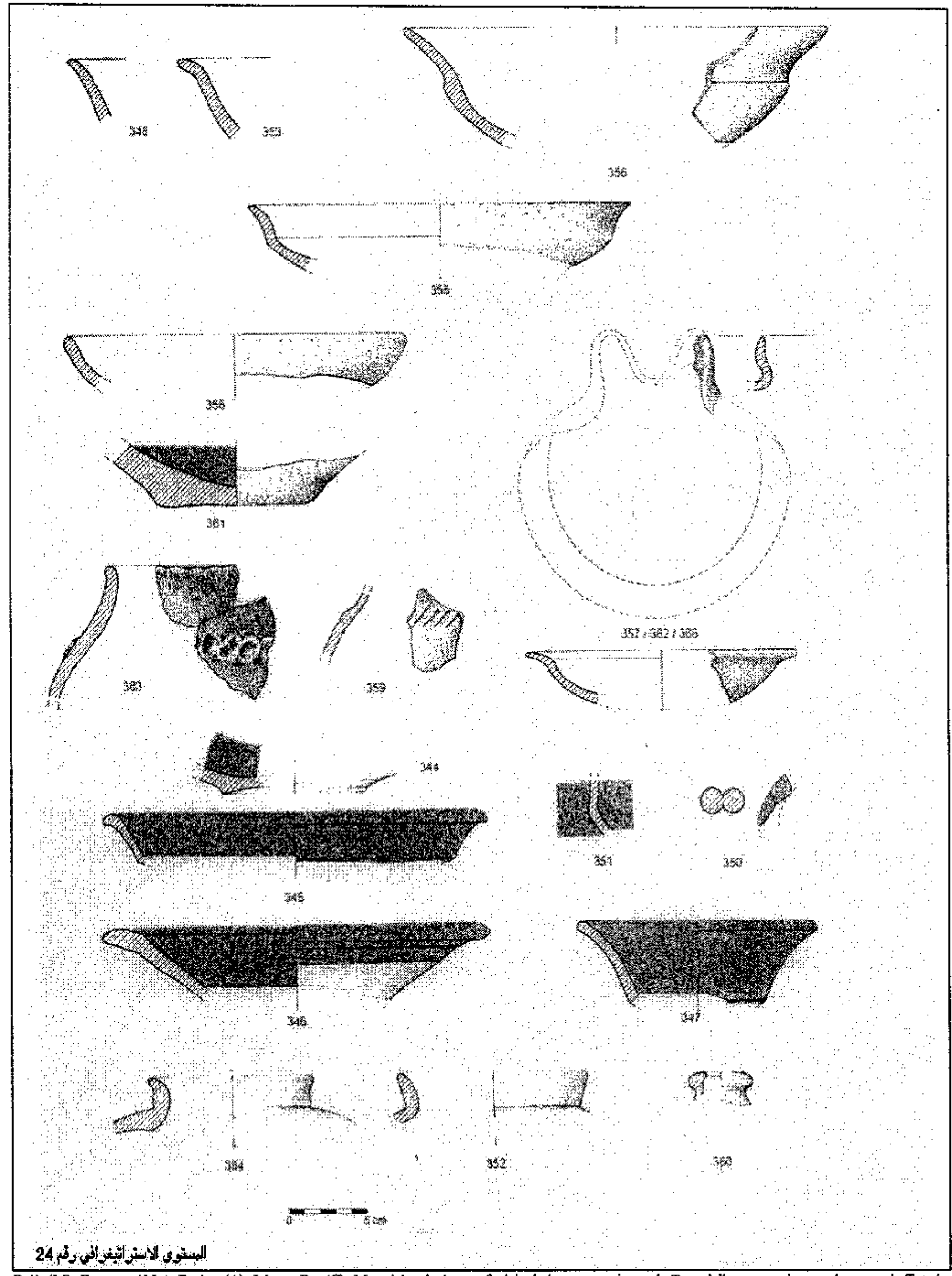
Belèn(M), Escacena(J.L.), Rodero(A), López Roa(C), Materiales de época fenicia de las excavaciones de Tarradell conservados en el museo de Tetuán, **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4**, 2001, fig. 6, p. 97.

XIV : الكسرات الخزفية المكتشفة في استبار الخروب (حملة 1957)



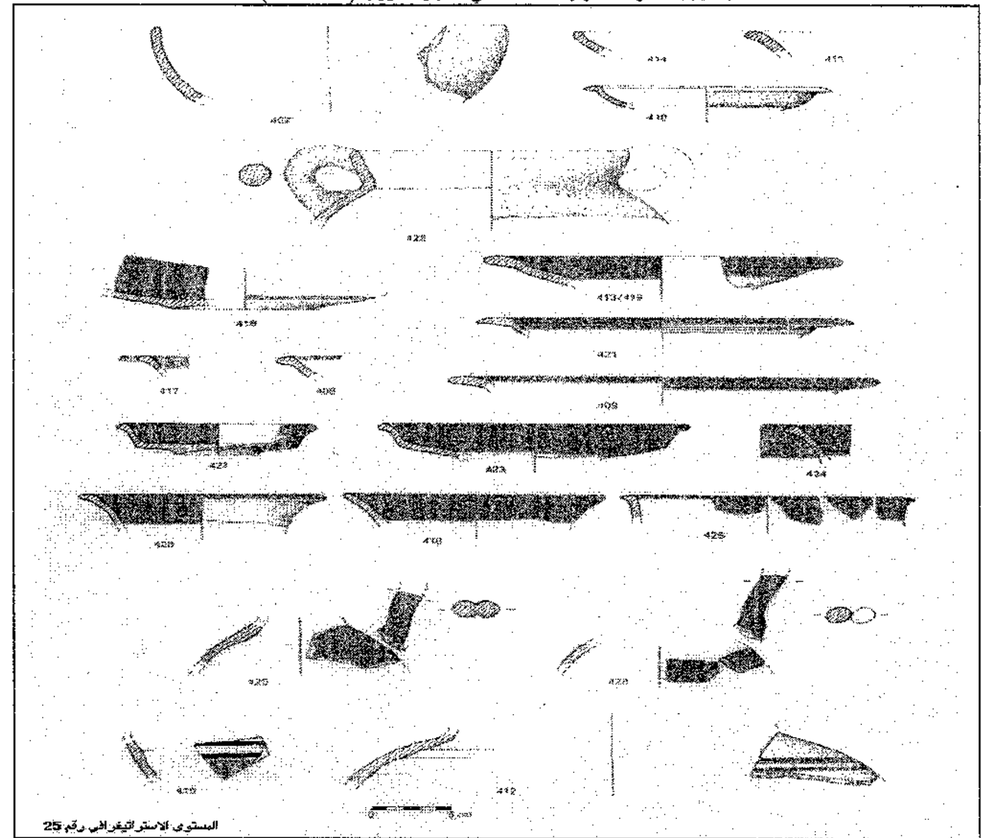
Belèn(M), Escacena(J.L.), Rodero(A), López Roa(C), Materiales de época fenicia de las excavaciones de Tarradell conservados en el museo de Tetuán, **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4,** 2001, fig. 7, p. 98.

XV : الكسرات الخزفية المكتشفة في استبار الخروب (حملة 1957)



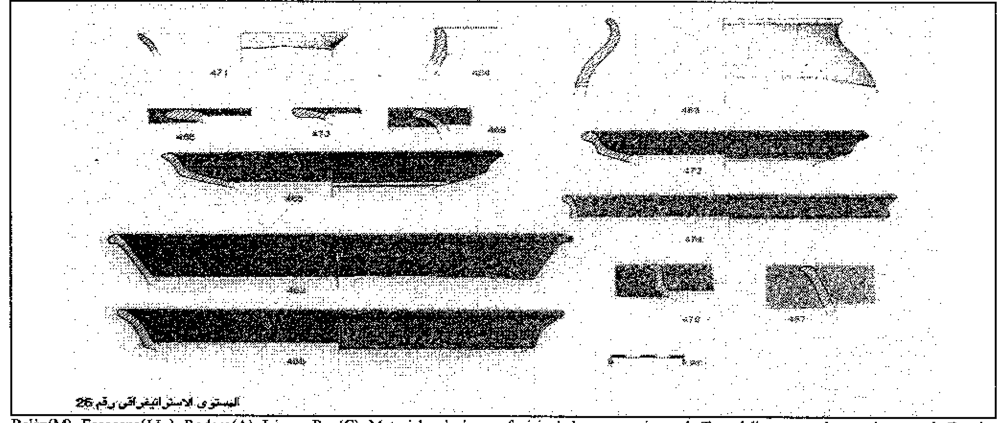
Belèn(M), Escacena(J.L.), Rodero(A), López Roa(C), Materiales de época fenicia de las excavaciones de Tarradell conservados en el museo de Tetuán, **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4**, 2001, fig. 8, p. 99.

XVI : الكسرات الخزفية المكتشفة في استبار الخروب (حملة 1957)



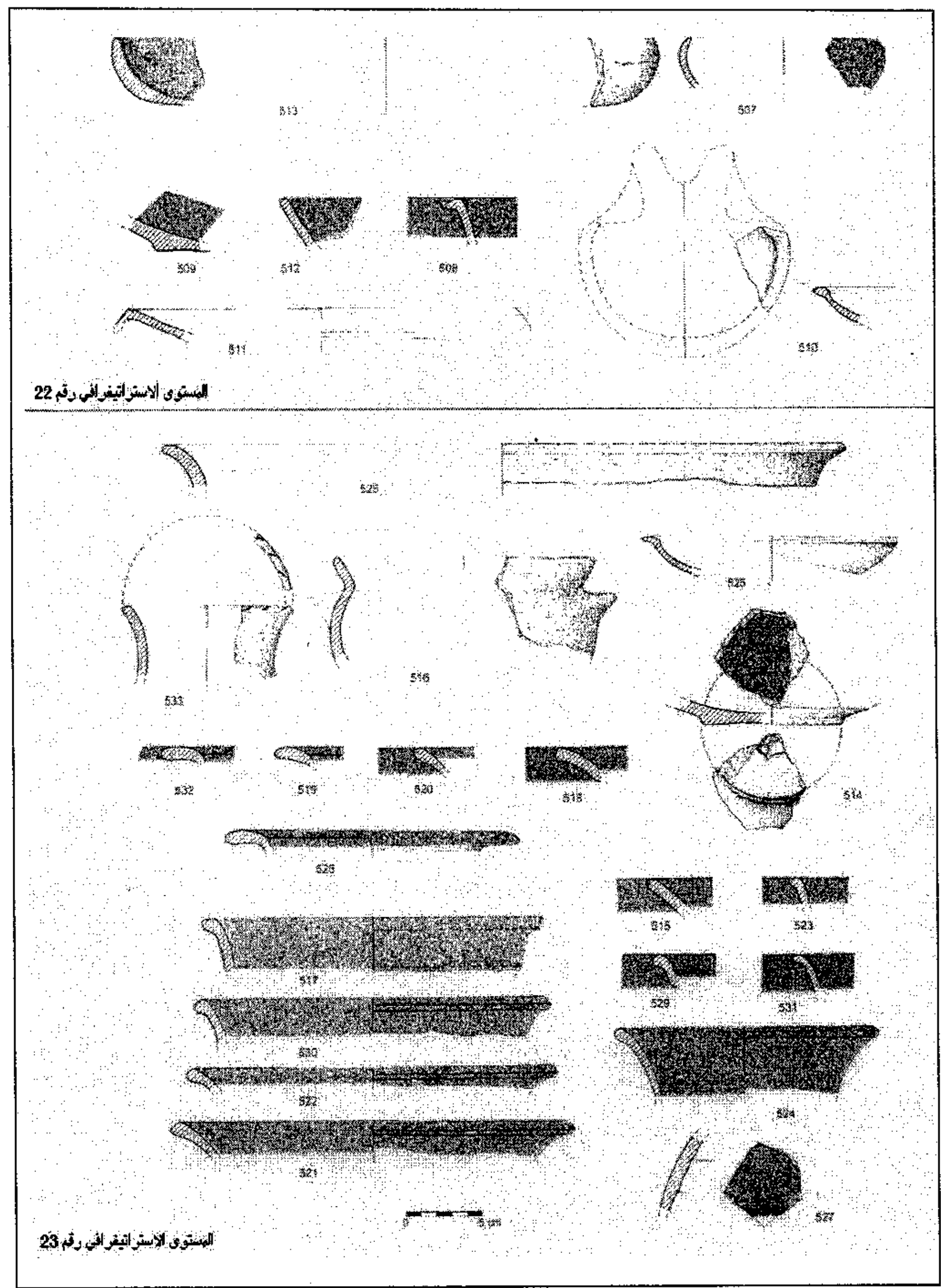
Belén(M), Escacena(J.L.), Rodero(A), López Roa(C), Materiales de época fenicia de las excavaciones de Tarradell conservados en el museo de Tetuán, **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4,** 2001, fig. 9, p. 100.

XVII : الكسرات الخزفية المكتشفة في استبار الخروب (حملة 1957)



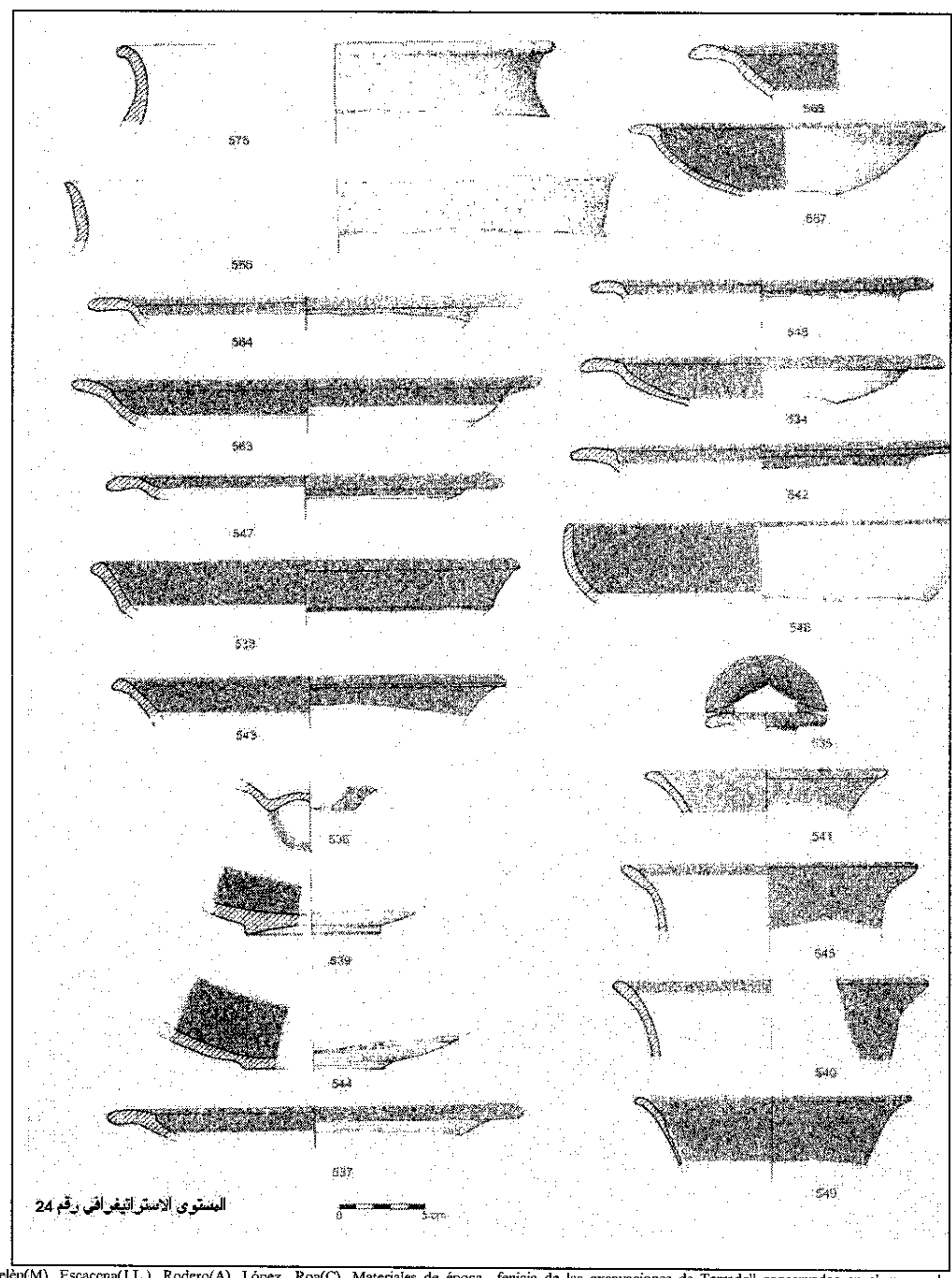
Belén(M), Escacena(J.L.), Rodero(A), López Roa(C), Materiales de época fenicia de las excavaciones de Tarradell conservados en el museo de Tetuán, **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4,** 2001, fig. 10, p. 101.

XVIII : الكسرات الخزفية المكتشفة في استبار الخروب (حملة 1957)



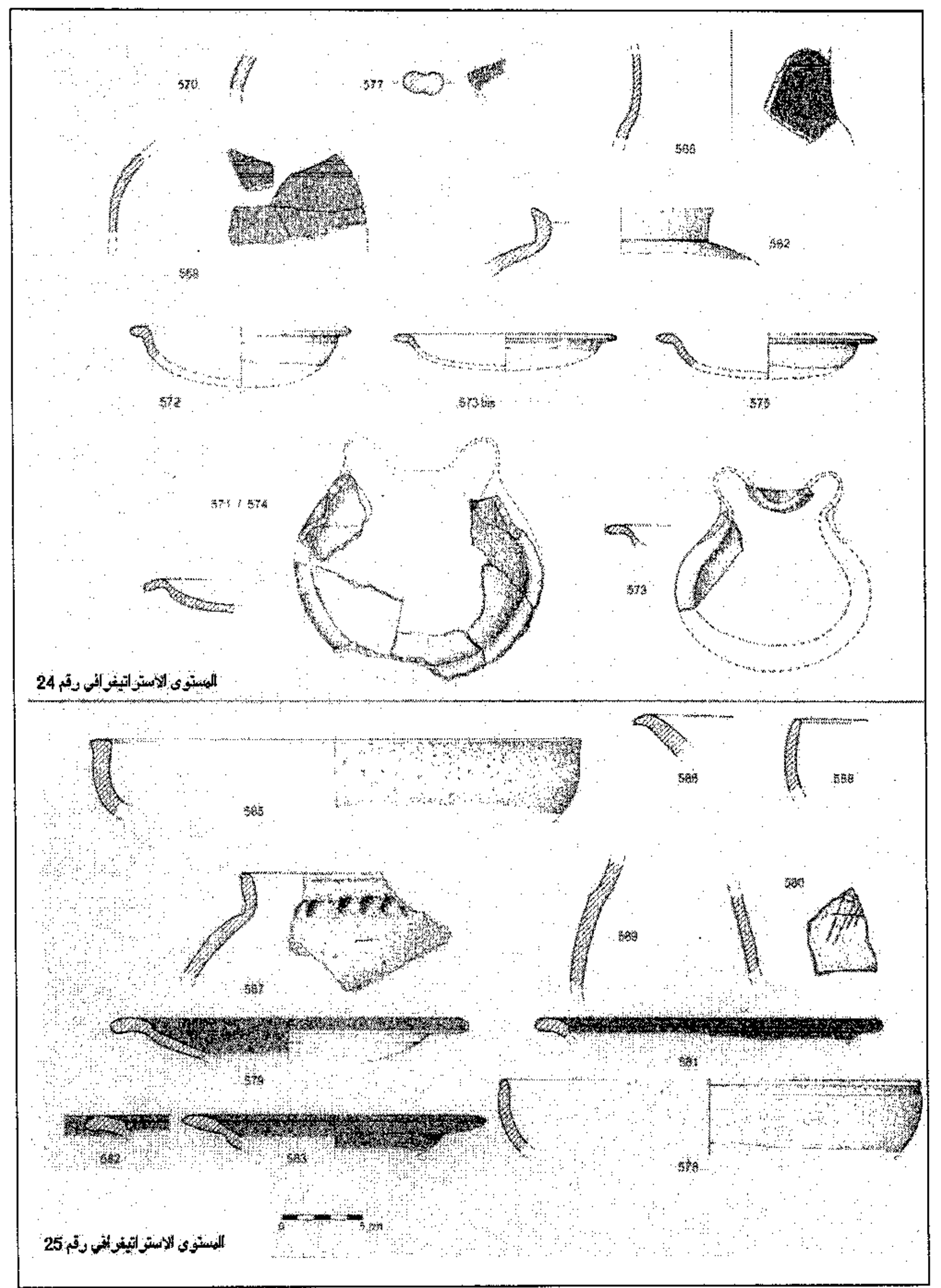
Belèn(M), Escacena(J.L.), Rodero(A), López Roa(C), Materiales de época fenicia de las excavaciones de Tarradell conservados en el museo de Tetuán, **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra** 4, 2001, fig. 11, p. 102.

XIX : الكسرات الخزفية المكتشفة في استبار الخروب (حملة 1957)



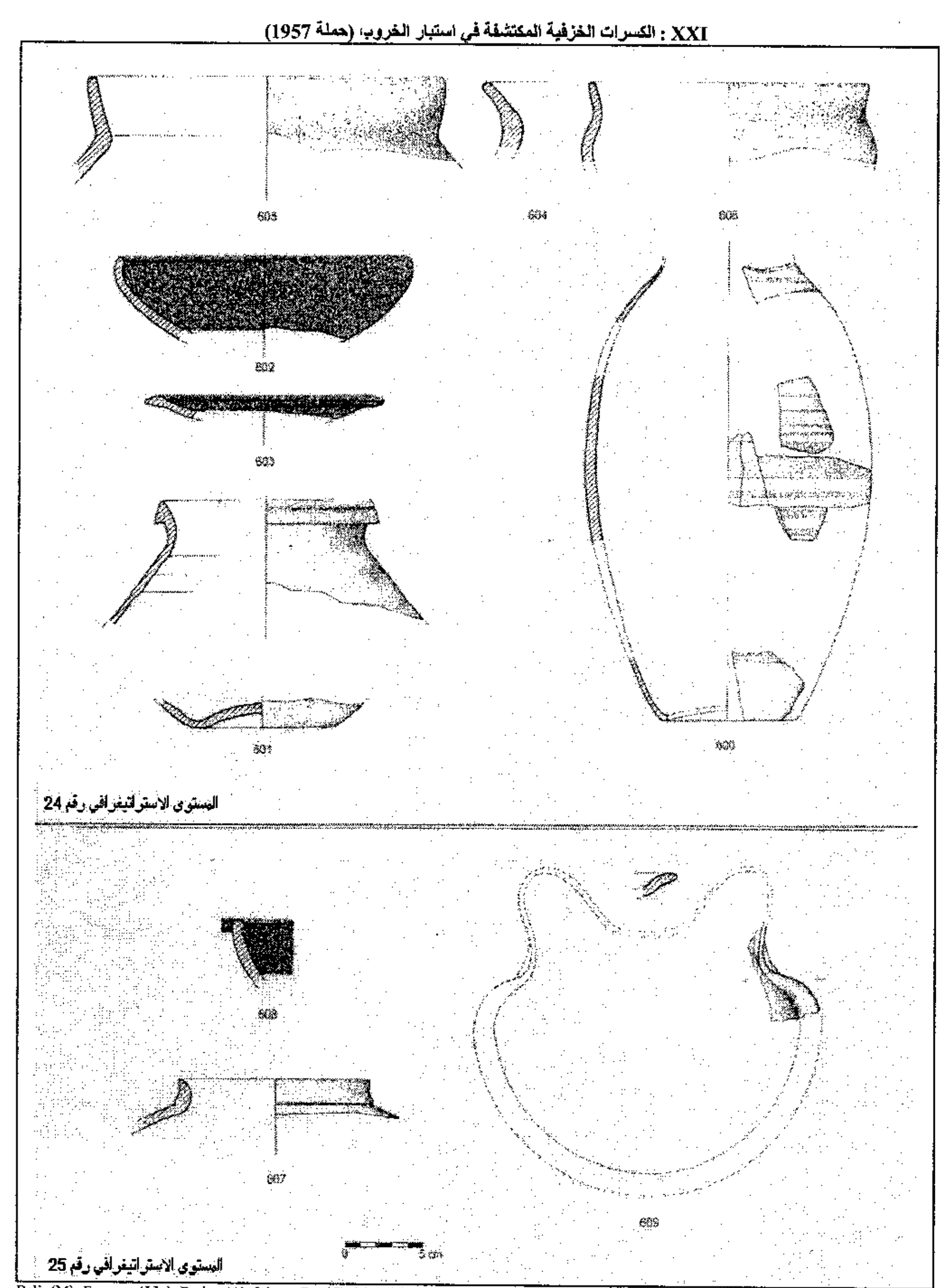
Belèn(M), Escacena(J.L.), Rodero(A), López Roa(C), Materiales de época fenicia de las excavaciones de Tarradell conservados en el museo de Tetuán, **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4**, 2001, fig. 12, p. 103.

XX : الكسرات الجزفية المكتشفة في استبار الخروب (حملة 1957)



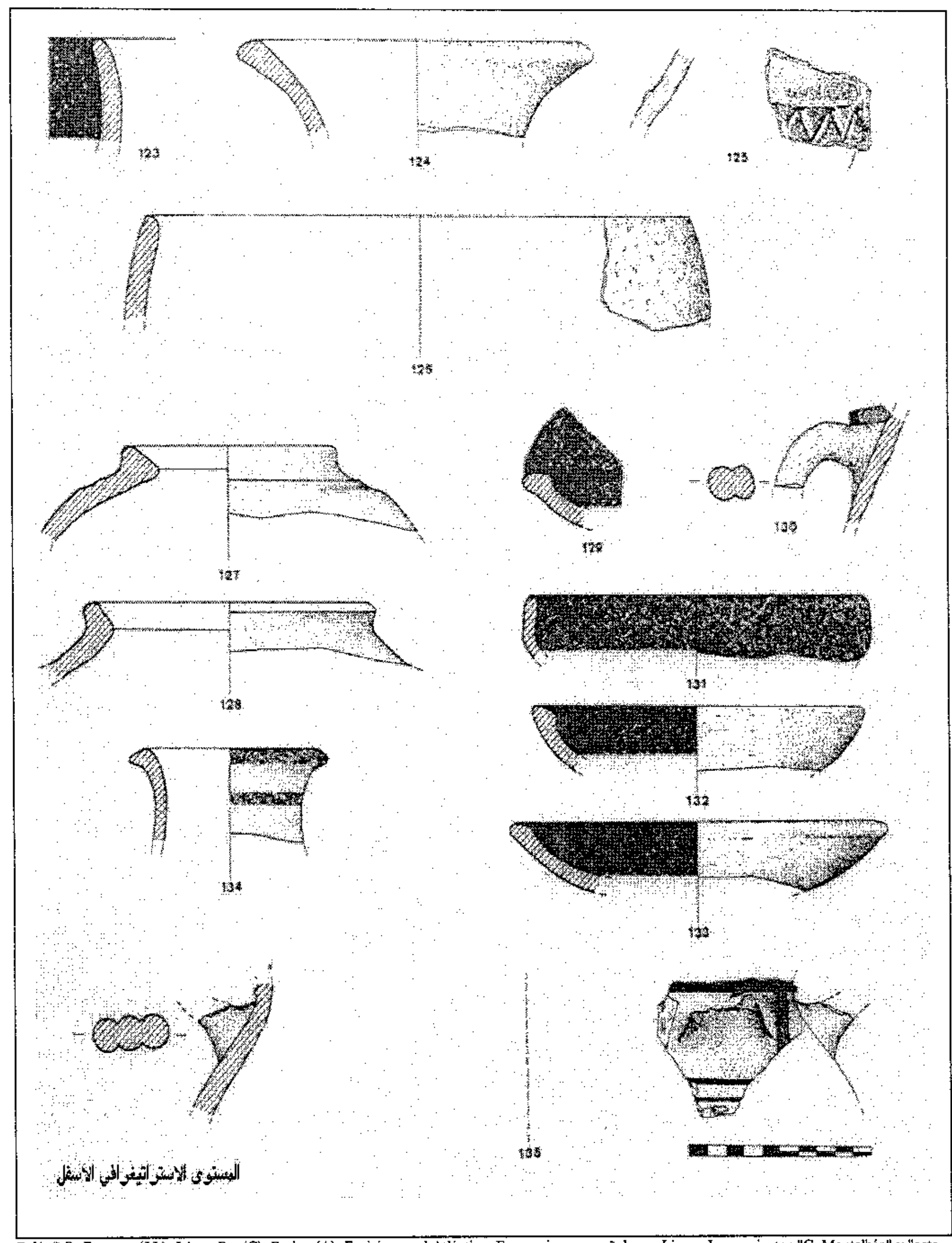
Belèn(M), Escacena(J.L.), Rodero(A), López Roa(C), Materiales de época fenicia de las excavaciones de Tarradell conservados en el museo de Tetuán, **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4**, 2001, fig. 13, p. 104.

XXI : الكسرات الخزفية المكتشفة في استبار الخروب، (حملة 1957)



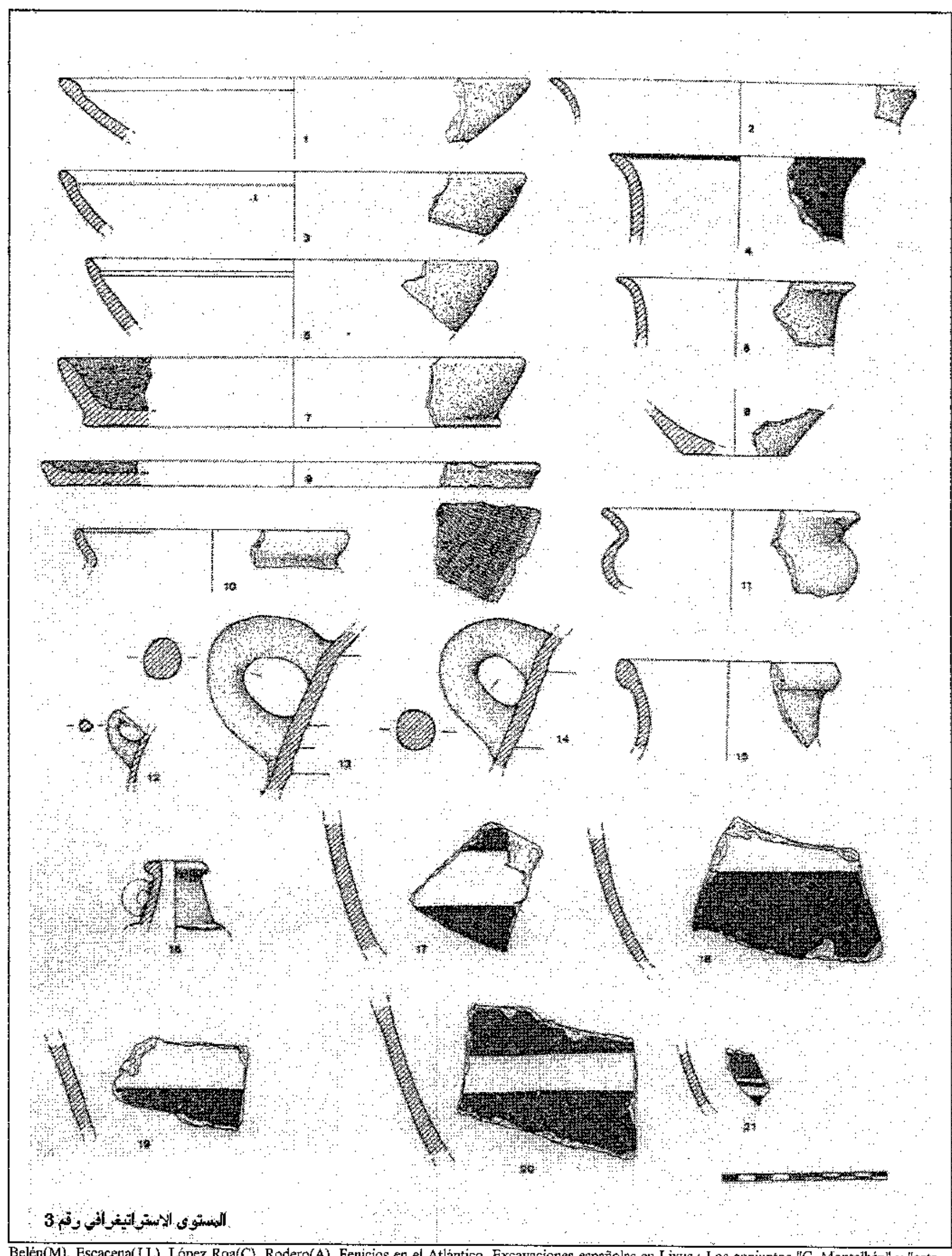
Belén(M), Escacena(J.L.), Rodero(A), López Roa(C), Materiales de época fenicia de las excavaciones de Tarradell conservados en el museo de Tetuán, **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra** 4, 2001, fig. 14, p. 105.

XXII : الكسرات الخزفية المكتشفة في استبار البازيليك



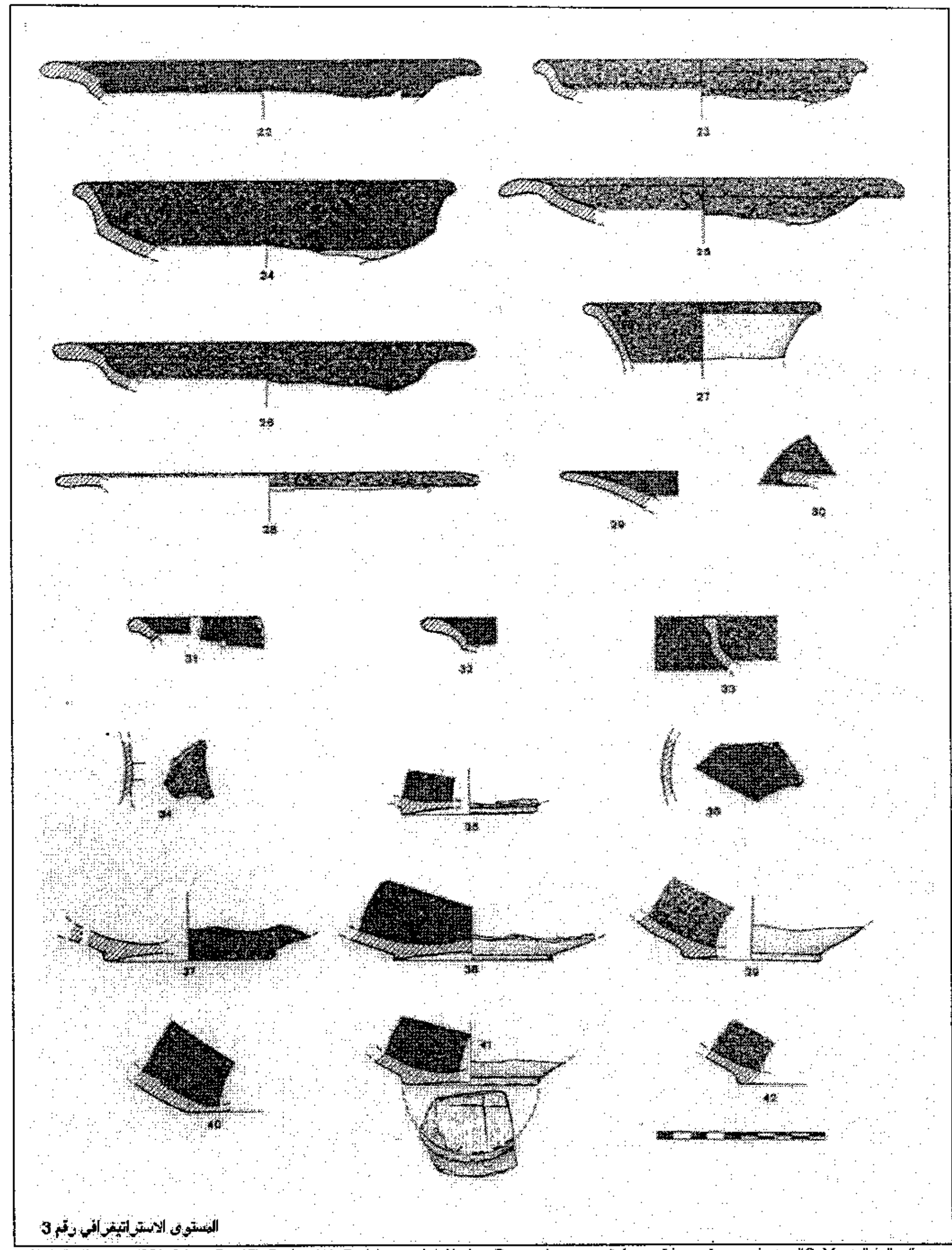
Belén(M), Escacena(J.L), López Roa(C), Rodero(A), Fenicios en el Atlántico. Excavaciones españolas en Lixus : Los conjuntos "C. Montalbán" y "cata basílica", **Homenaje a M. Fernández Miranda, Complutum extra 6, 1**, 1996, fig.9, p. 353.

XXIII : الكسرات الخزفية المكتشفة في استبار قطاع المنازل



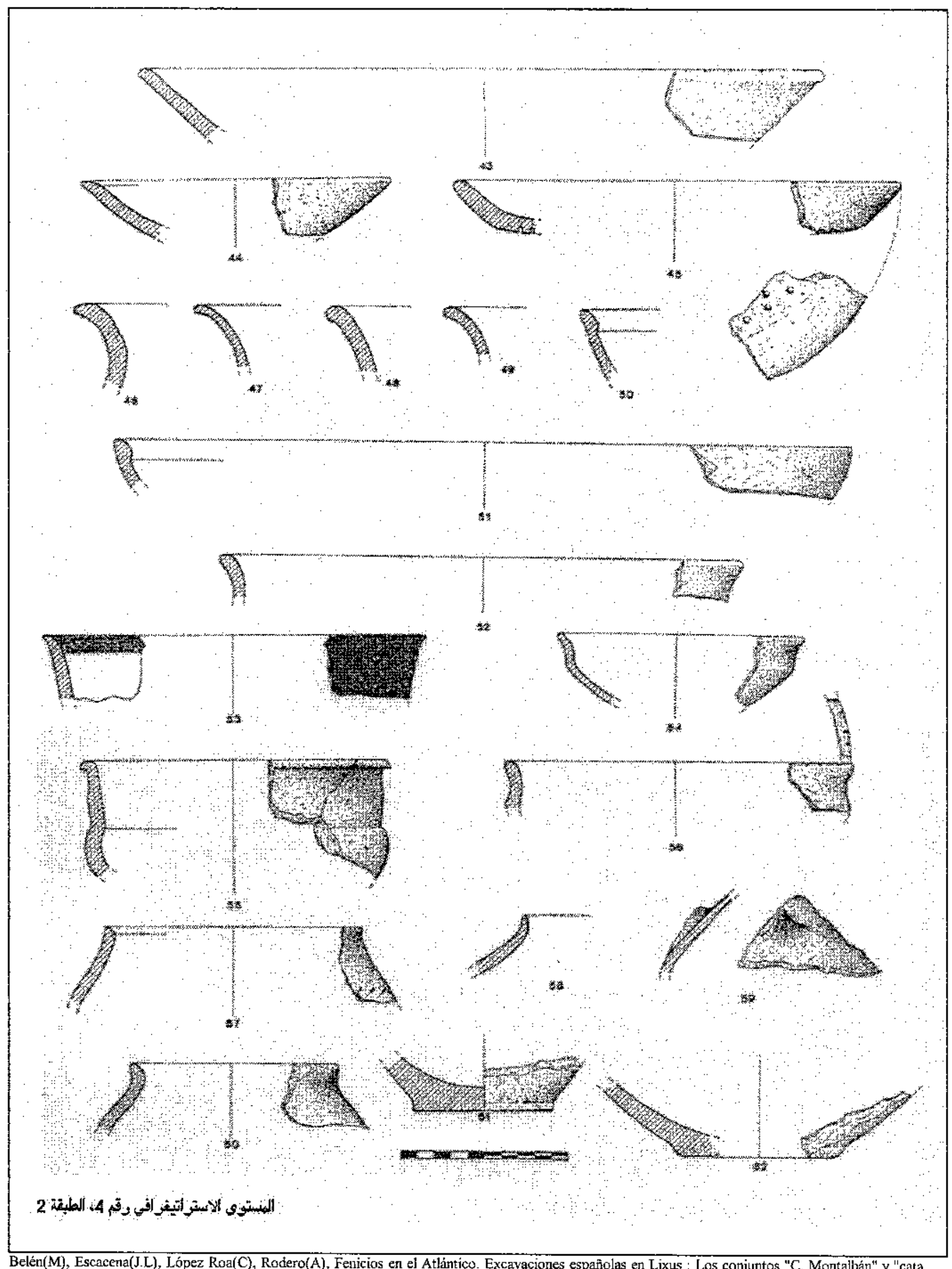
Belén(M), Escacena(J.L), López Roa(C), Rodero(A), Fenicios en el Atlántico. Excavaciones españolas en Lixus : Los conjuntos "C. Montalbán" y "cata basílica", **Homenaje a M. Fernández Miranda, Complutum extra 6, 1**, 1996, fig.3, p. 343.

XXIV : الكسرات الخزفية المكتشفة في استبار قطاع المنازل



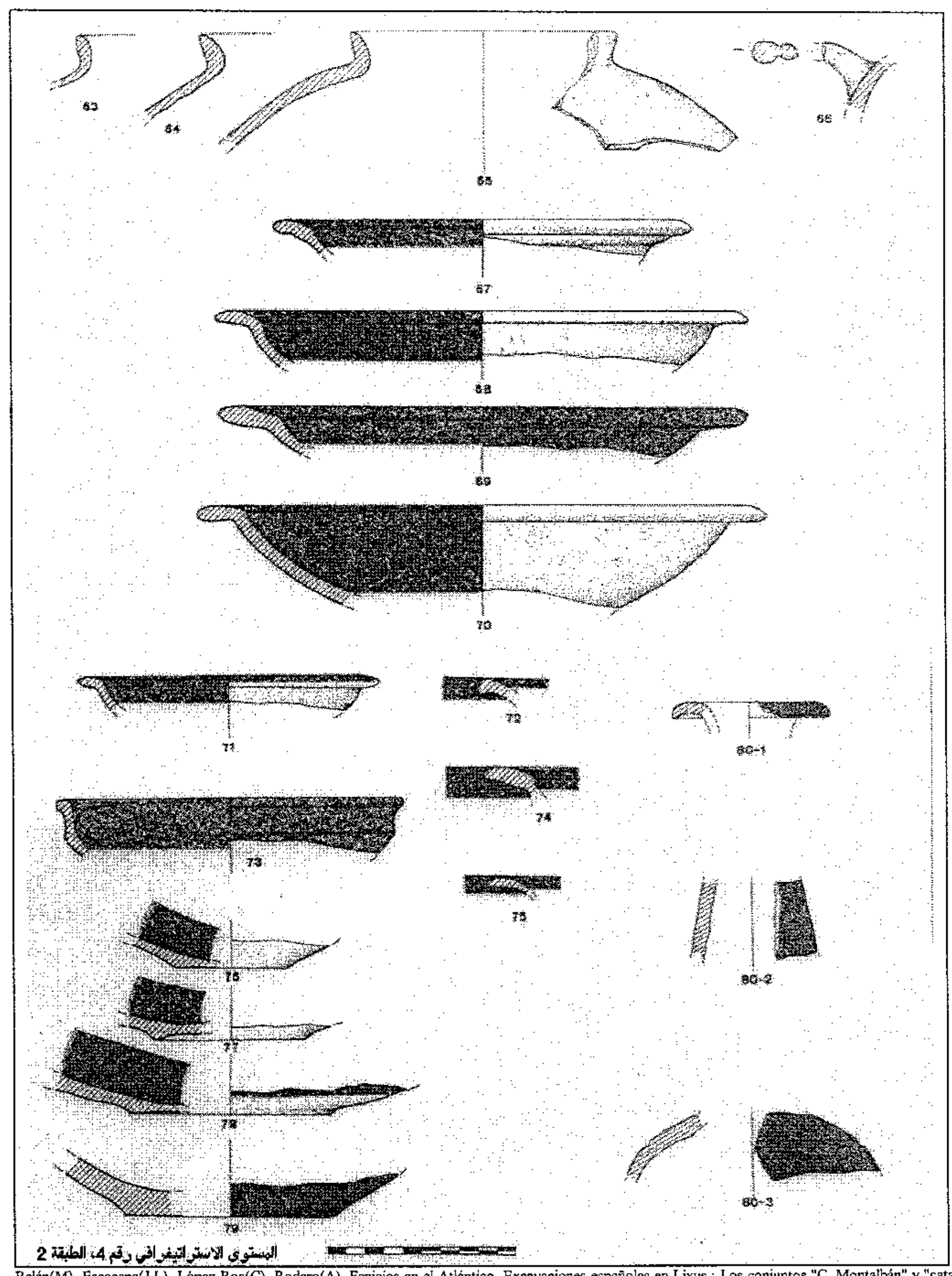
Belén(M), Escacena(J.L), López Roa(C), Rodero(A), Fenicios en el Atlántico. Excavaciones españolas en Lixus : Los conjuntos "C. Montalbán" y "cata basílica", **Homenaje a M. Fernández Miranda, Complutum extra 6, 1**, 1996fig.4, p. 344.

XXV : الكسرات الخزفية المكتشفة في اس تبار قطاع المنازل



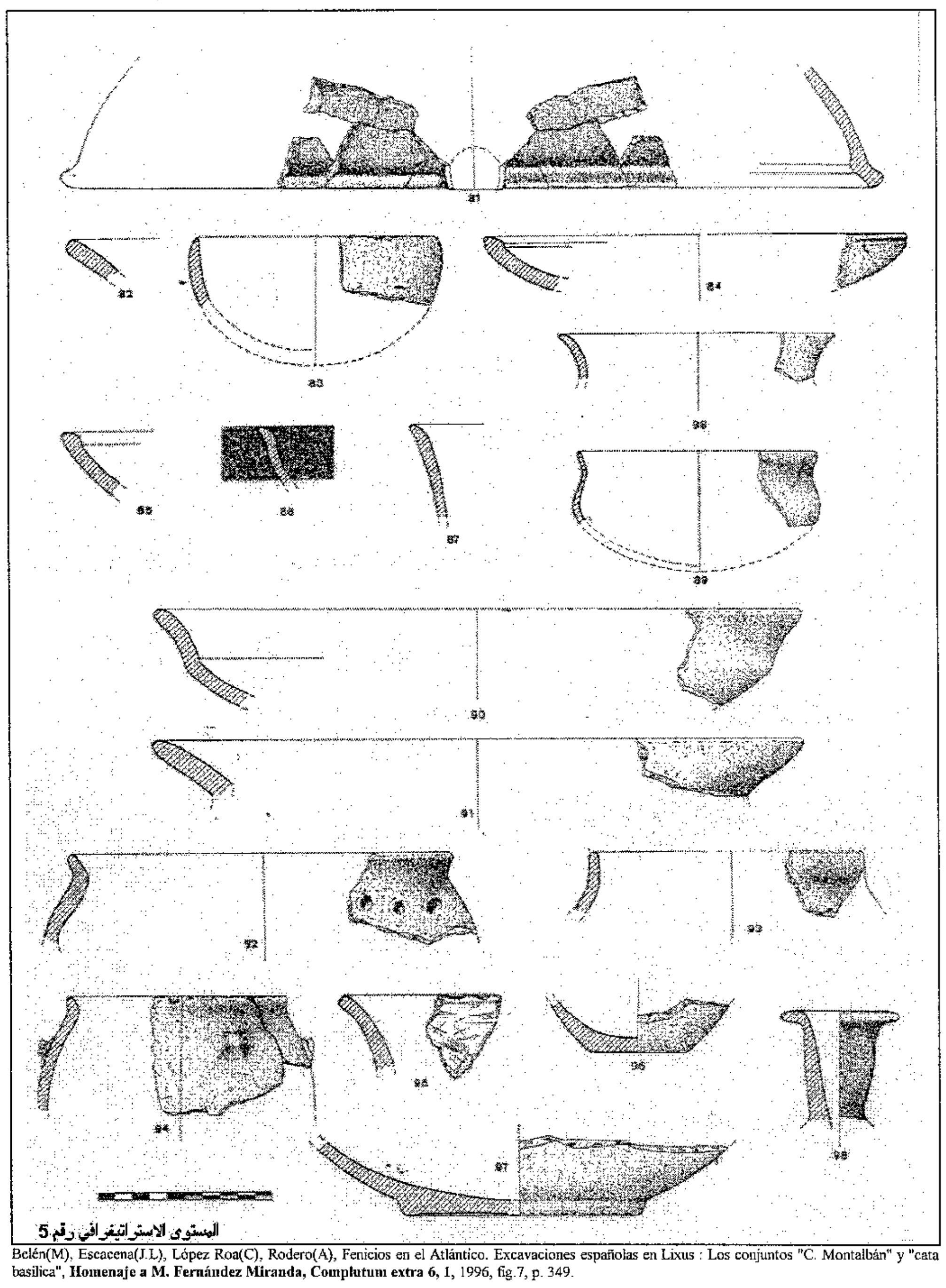
Belén(M), Escacena(J.L), López Roa(C), Rodero(A), Fenicios en el Atlántico. Excavaciones españolas en Lixus : Los conjuntos "C. Montalbán" y "cata basílica", **Homenaje a M. Fernández Miranda, Complutum extra 6**, 1, 1996, fig.5, p. 346.

XXVI : الكسرات الخزفية المكتشفة في استبار قطاع المنازل

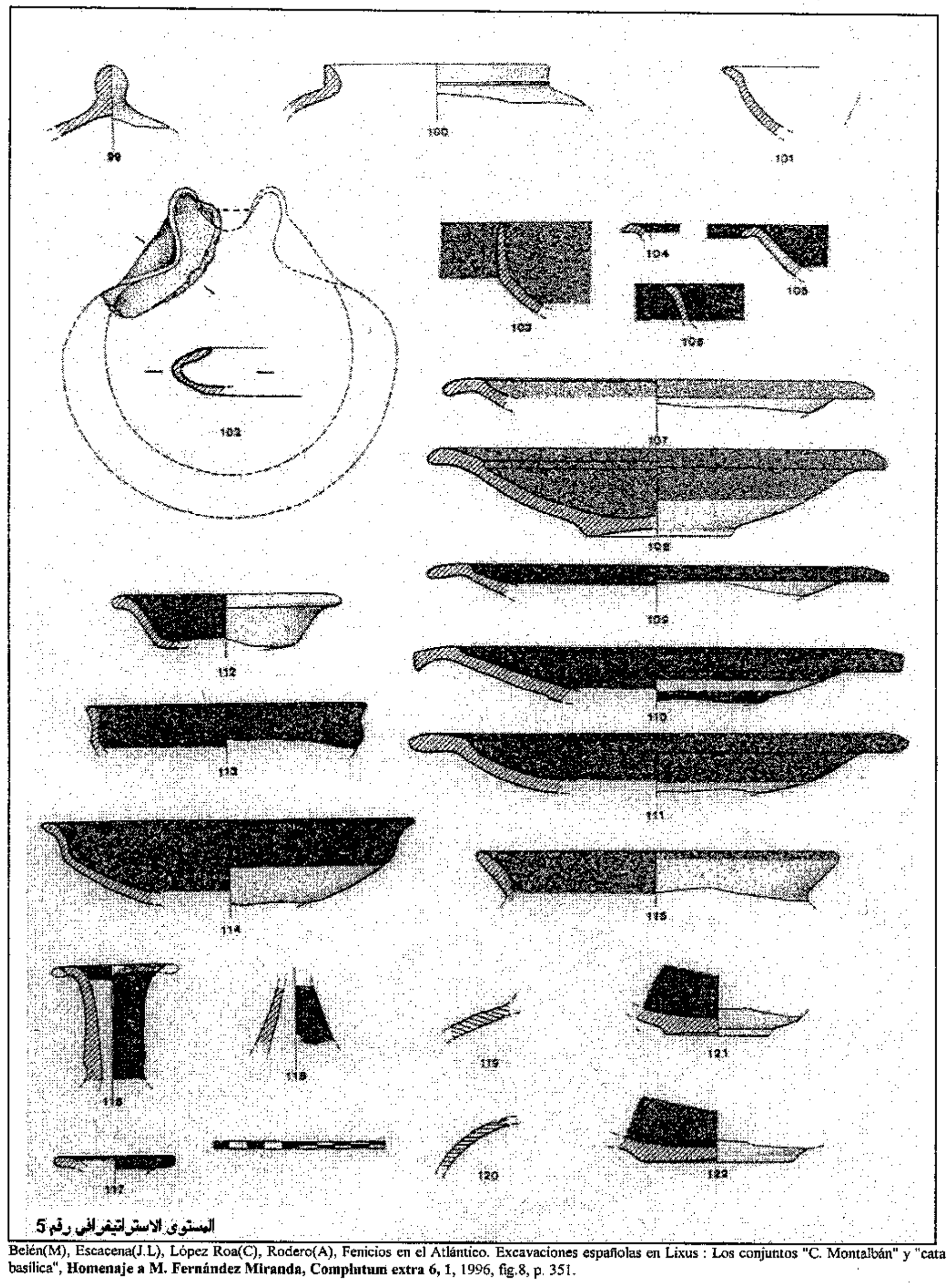


Belén(M), Escacena(J.L), López Roa(C), Rodero(A), Fenicios en el Atlántico. Excavaciones españolas en Lixus : Los conjuntos "C. Montalbán" y "cata basilica", **Homenaje a M. Fernández Miranda, Complutum extra 6,** 1, 1996, fig.6, p. 348.

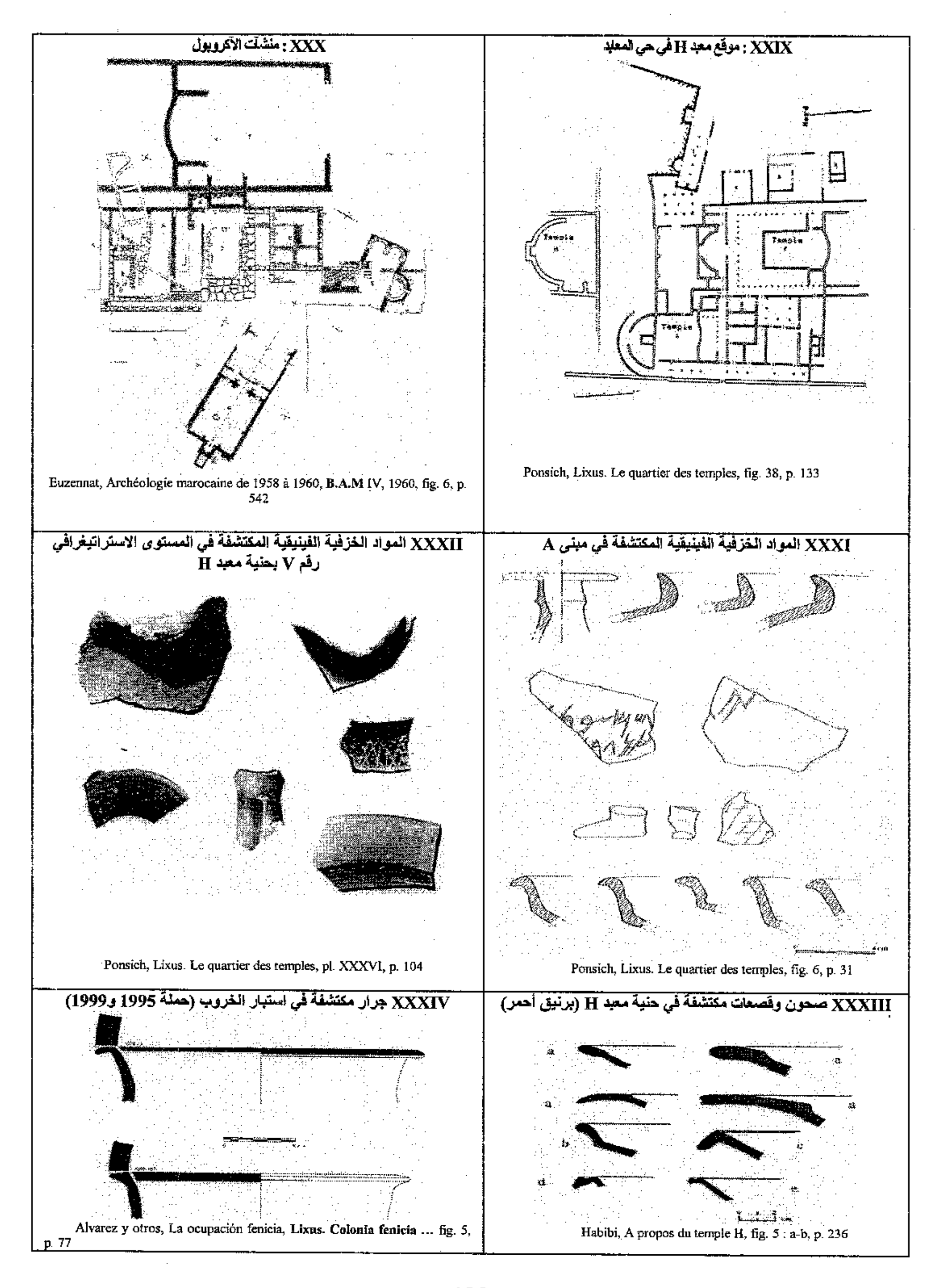
XXVII : الكسرات الخزفية المكتشفة في استبار قطاع المنازل



Belén(M), Escacena(J.L), López Roa(C), Rodero(A), Fenicios en el Atlántico. Excavaciones españolas en Lixus : Los conjuntos "C. Montalbán" y "cata basilica", **Homenaje a M. Fernández Miranda, Complutum extra 6,** 1, 1996, fig.7, p. 349.



Belén(M), Escacena(J.L), López Roa(C), Rodero(A), Fenicios en el Atlántico. Excavaciones españolas en Lixus : Los conjuntos "C. Montalbán" y "cata basílica", **Homenaje a M. Fernández Miranda, Complutum extra 6, 1, 1996,** fig.8, p. 351.



XXIX : موقع معبد H في حي المعابد

Ponsich, Lixus. Le quartier des temples, fig. 38, p. 133

XXX : منشآت الأكروبول

Euzennat, Archéologie marocaine de 1958 à 1960, **B.A.M** IV, 1960, fig. 6, p. 542

XXXI المواد الخزفية الفينيقية المكتشفة في مبنى A

Ponsich, Lixus. Le quartier des temples, fig. 6, p. 31

XXXII المواد الخزفية الفينيقية المكتشفة في المستوى الاستراتيغرافي رقم V بحنية معبد H

Ponsich, Lixus. Le quartier des temples, pl. XXXVI, p. 104

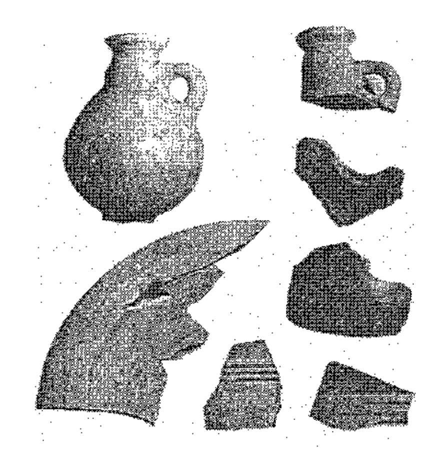
XXXIII صحون وقصعات مكتشفة في حنية معبد H (برنيق أحمر)

Habibi, A propos du temple H, fig. 5 : a-b, p. 236

XXXIV جرار مكتشفة في استبار الخروب (حملة 1995 و1999)

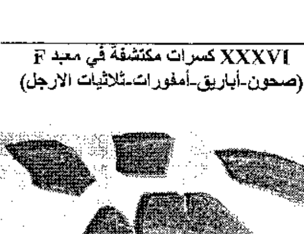
Alvarez y otros, La ocupación fenicia, **Lixus. Colonia fenicia** ... fig. 5, p. 77

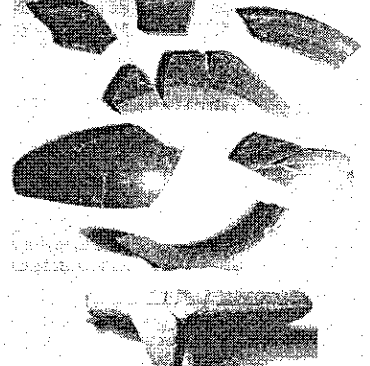
XXXV كسرات مكتشفة في معبد F (قارورات-صحون-قناديل-أباريق)



Ponsich, Lixus. Le quartier des temples, pl. XXIV, p. 68

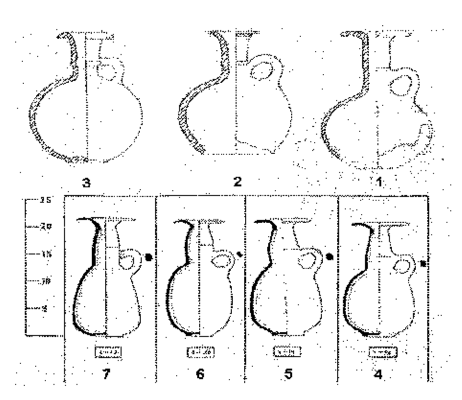
XXXVI كسرات مكتشفة في معبد F
(صحون-أباريق-أمفورات-ثلاثيات الارجل)





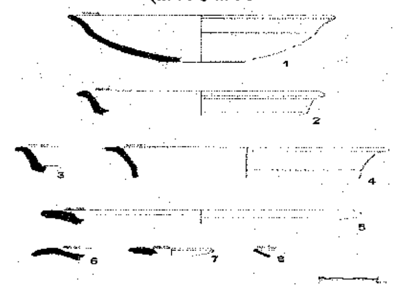
Ponsich, Lixus. Le quartier des temples, pl. XXV, p. 71

XXXVII نماذج من الاباريق ذات القرص



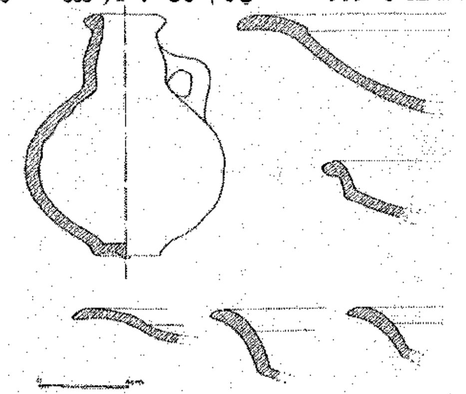
Aubet, Fenicios en España, **Los Fenicios en la peninsula ibérica**, t.1, fig. 9, p.26 ; Pellicer Catalan, sexi fenicia y punica, Idem, t.1, fig. 8, p. 104

XXXVIII خزف أحمر مكتشف في استبار الخروب (حملة 1995 و1999)



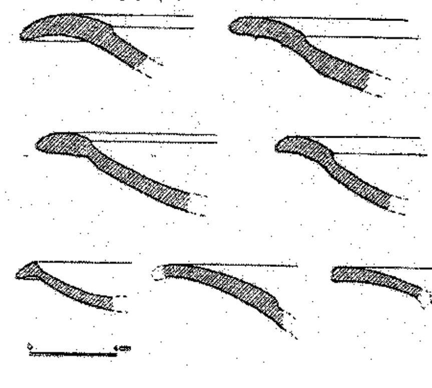
Alvarez y otros, La ocupación fenicia, **Lixus. Colonia fenicia ...** fig. 3, p. 75

XXXIX مواد فينيقية مكتشفة في ردم خزان معبد F (قارورات-صحون)

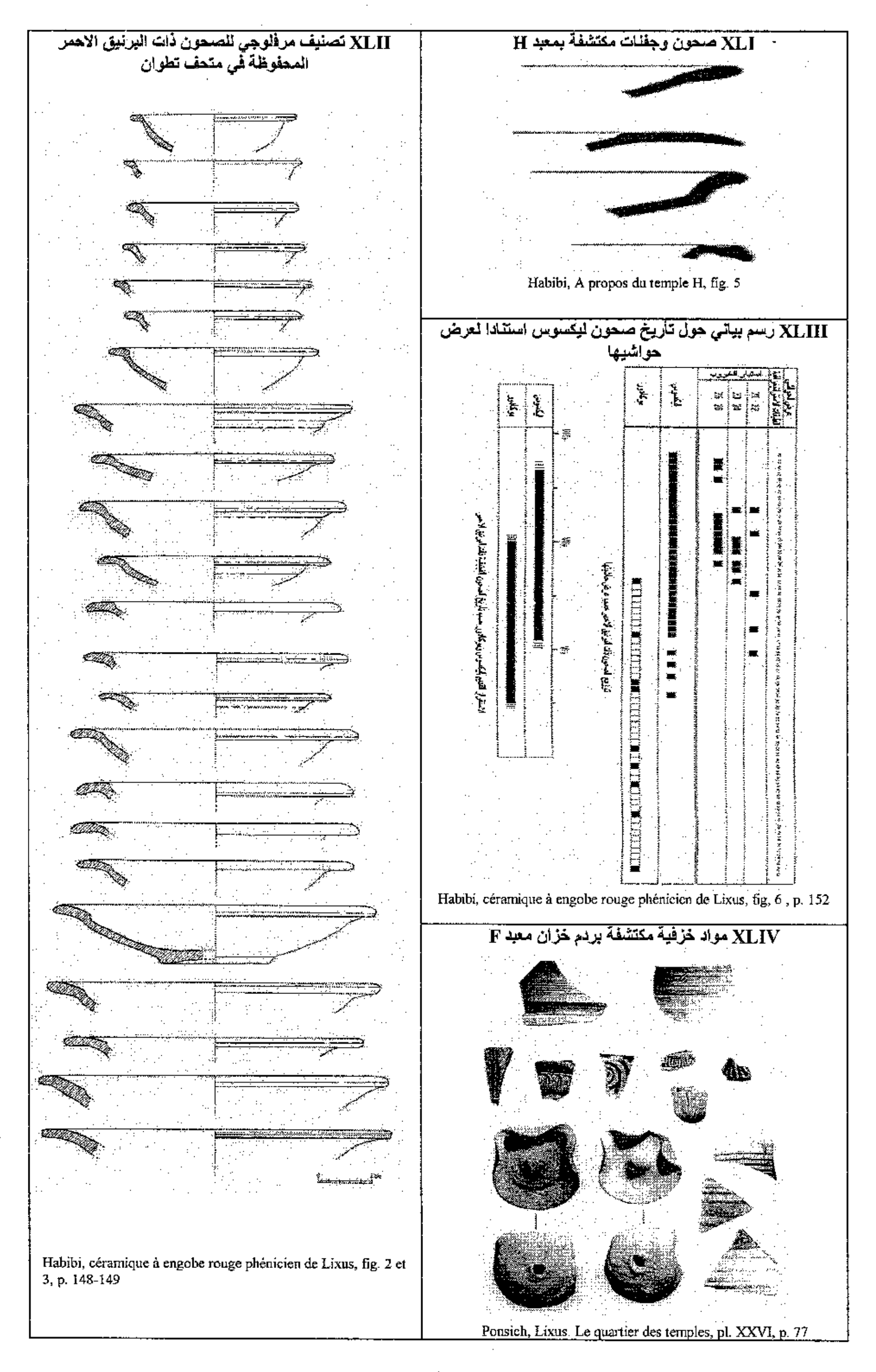


Fernando Lopez Pardo, El origen de Lixus, **Colloque de Lixus**, fig. 6

XL صحون فينيقية مكتشفة بردم خزان معبد F



Ponsich, Lixus. Le quartier des temples, fig. 20, p. 74



XLII تصنيف مرفلوجي للصحون ذات البرنيق الاحمر المحفوظة في متحف تطوان

Habibi, céramique à engobe rouge phénicien de Lixus, fig. 2 et 3, p. 148-149

XLI صحون وجفنات مكتشفة بمعبد H

Habibi, A propos du temple H, fig. 5

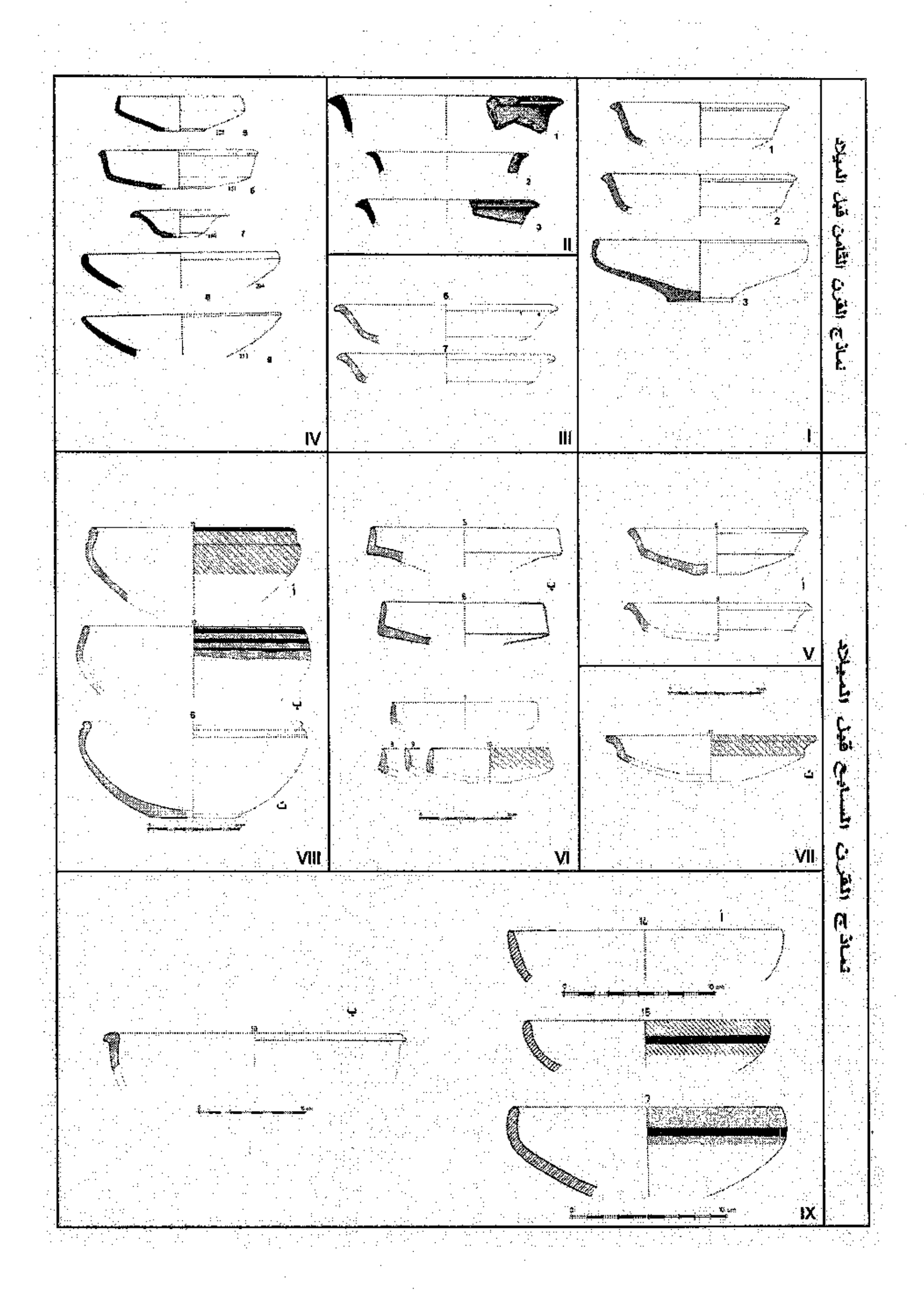
XLIII رسم بياني حول تأريخ صحون ليكسوس استنادا لعرض حواشيها

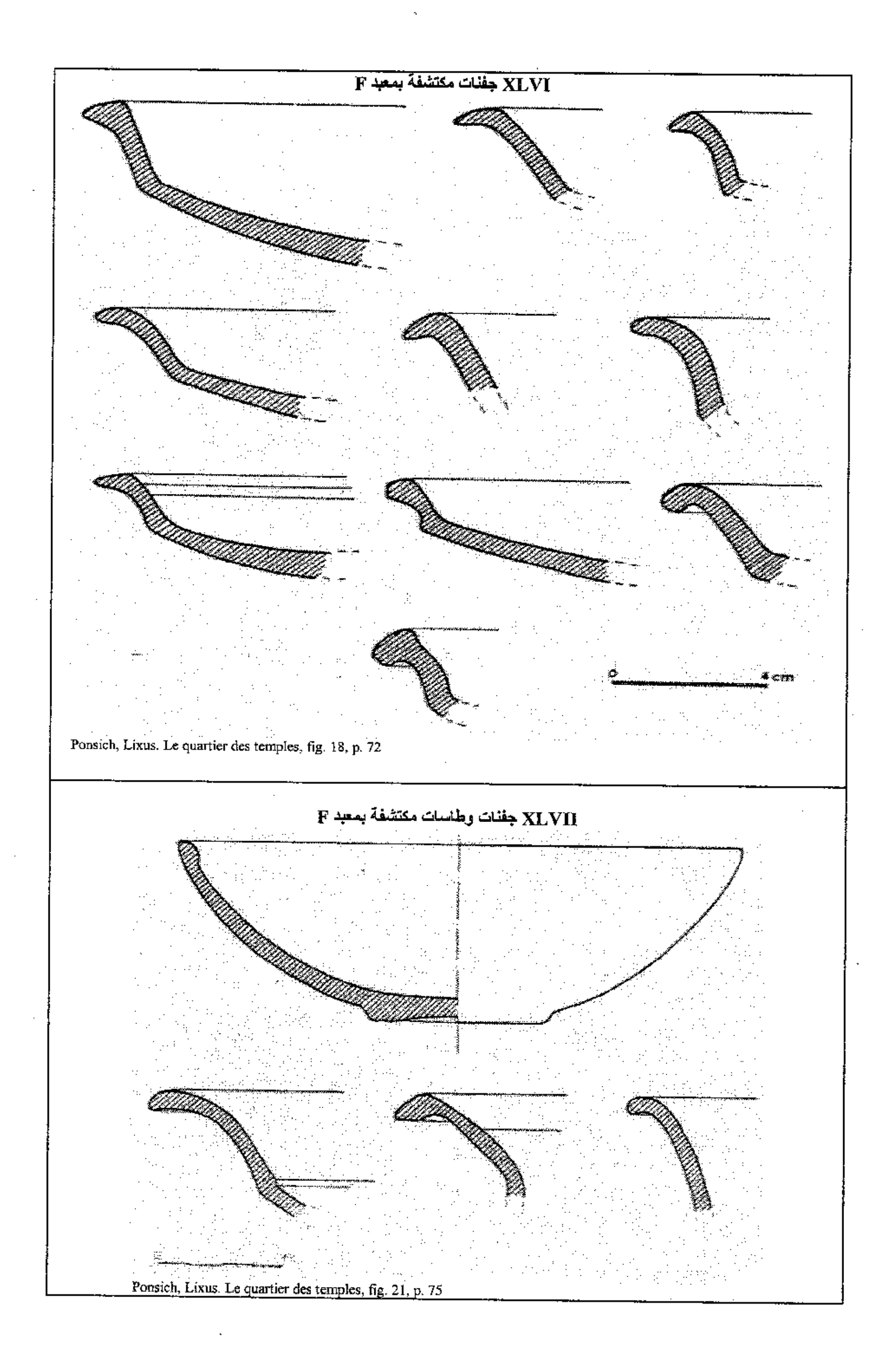
Habibi, céramique à engobe rouge phénicien de Lixus, fig, 6 , p. 152

XLIV مواد خزفية مكتشفة بردم خزان معبد F

Ponsich, Lixus. Le quartier des temples, pl. XXVI, p. 77

XLV نماذج من الجفنات الفينيقية المكتشفة بالحوض المتوسطي

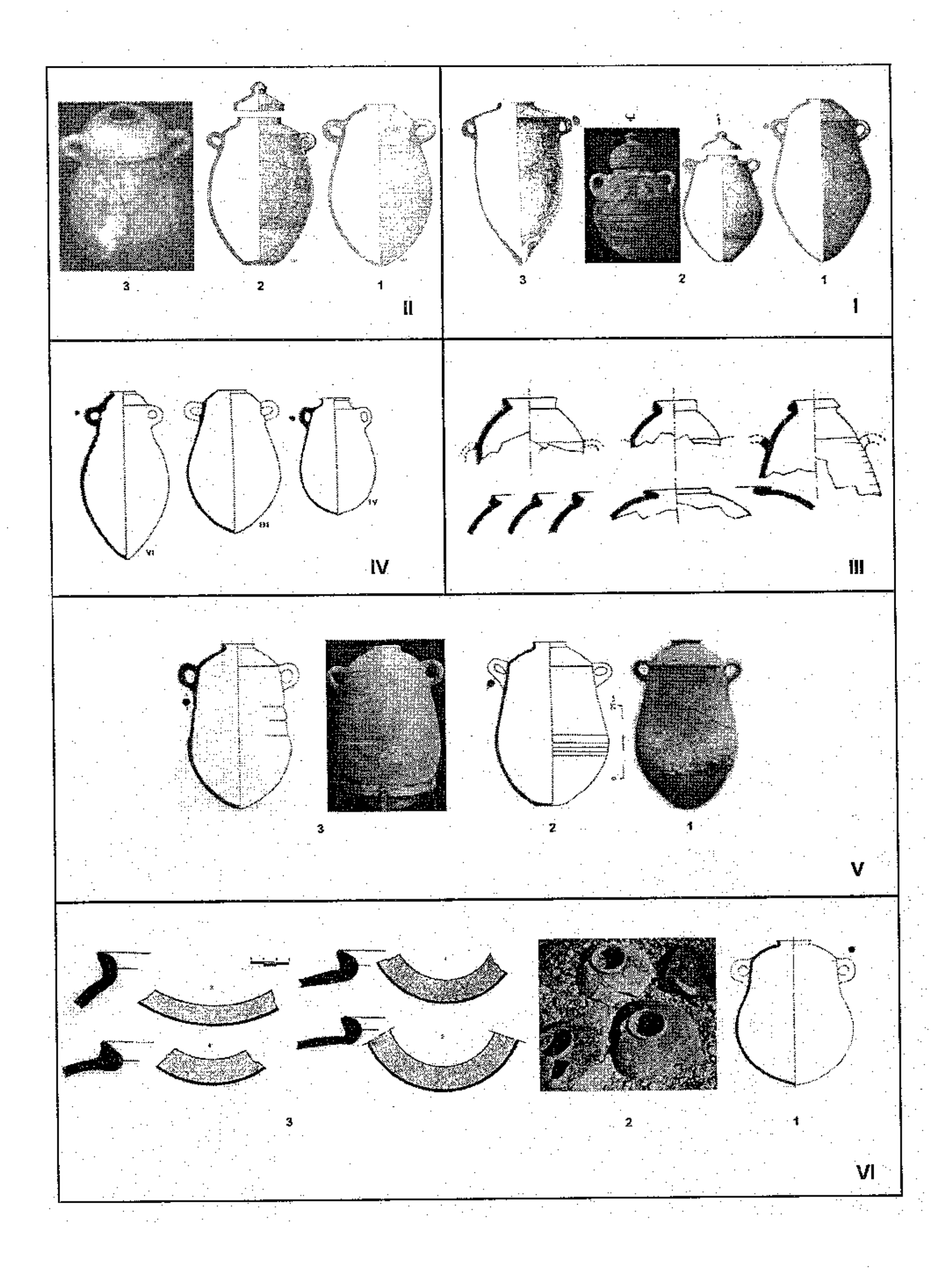




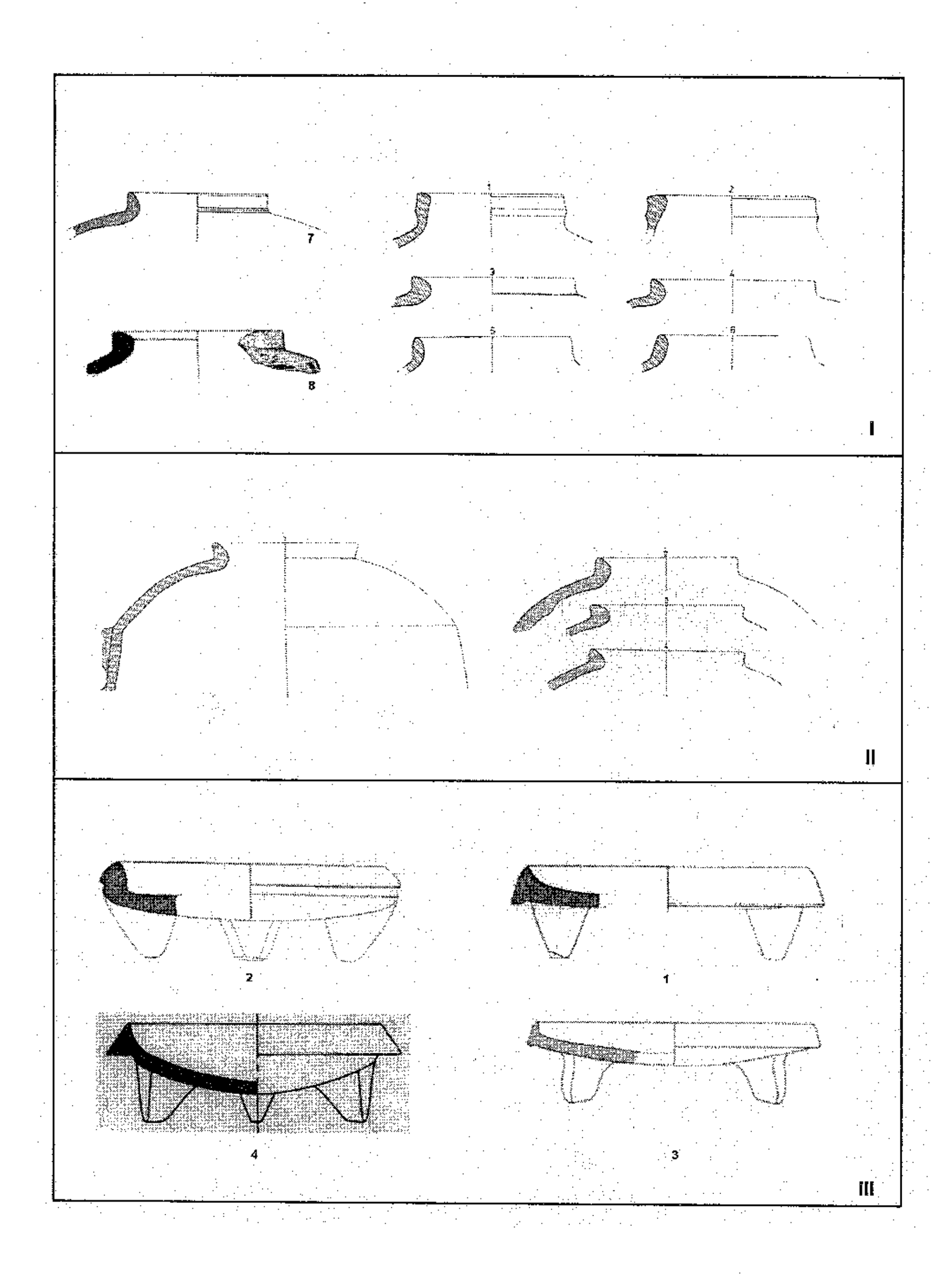
Ponsich, Lixus. Le quartier des temples, fig. 18, p. 72

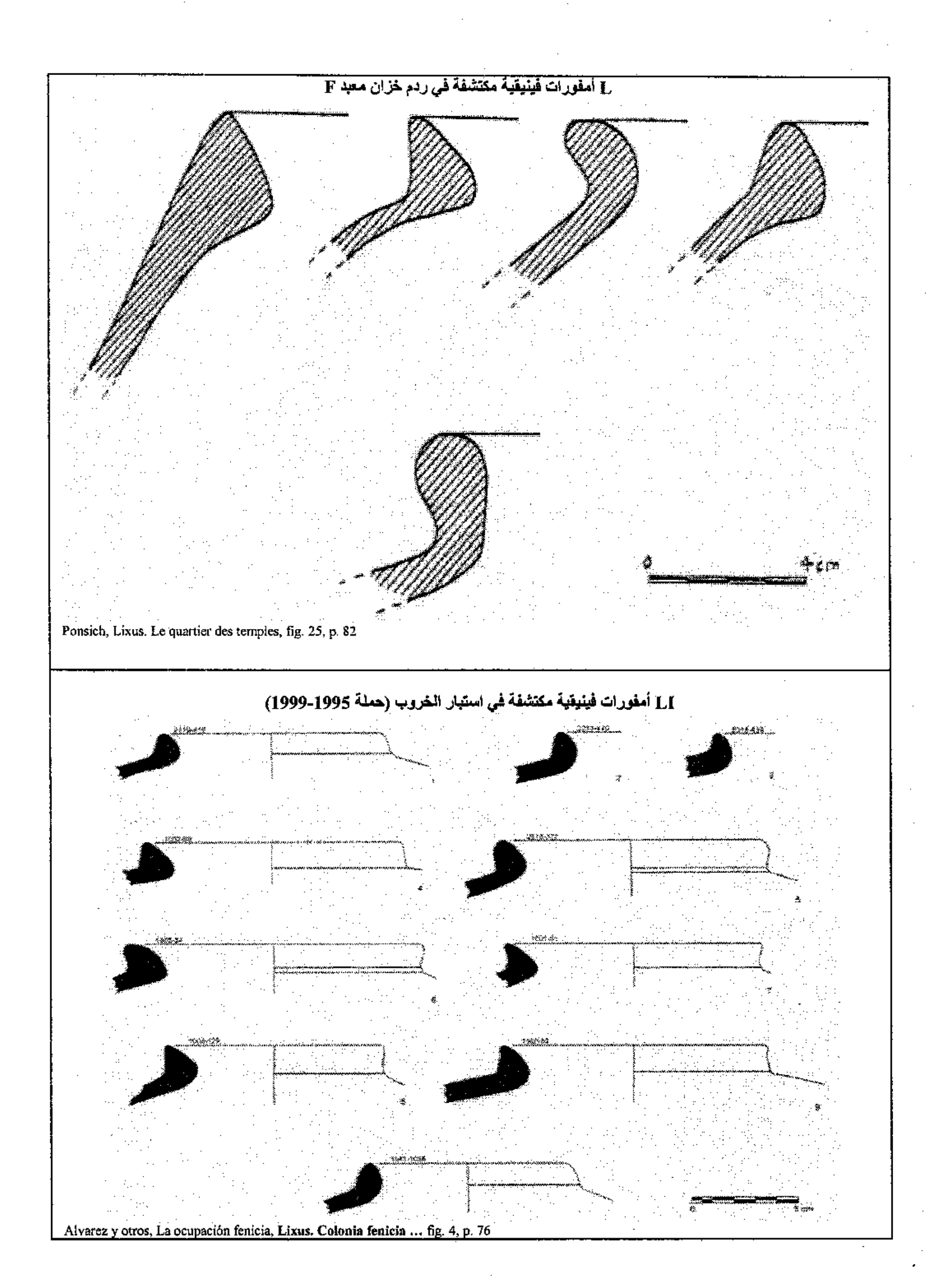
Ponsich, Lixus. Le quartier des temples, fig. 21, p. 75

XLVIII أصناف الأمفورات الفينيقية المؤرخة بالقرنين الثامن والسابع ق.م



XLIX نماذج من الأمفورات الفينيقية ومن ثلاثيات الأرجل





L أمفورات فينيقية مكتشفة في ردم خزان معبد F
Ponsich, Lixus. Le quartier des temples, fig. 25, p. 82
LI أمفورات فينيقية مكتشفة في استبار الخروب (حملة 1995-1999)
Alvarez y otros, La ocupación fenicia, **Lixus. Colonia fenicia ...** fig. 4, p. 76

LII نماذج من القارورات الفينيقية المكتشفة بالحوض المتوسطي

نماذج القرن السابع قبل الميلاد

أ ب ت

1 2 3

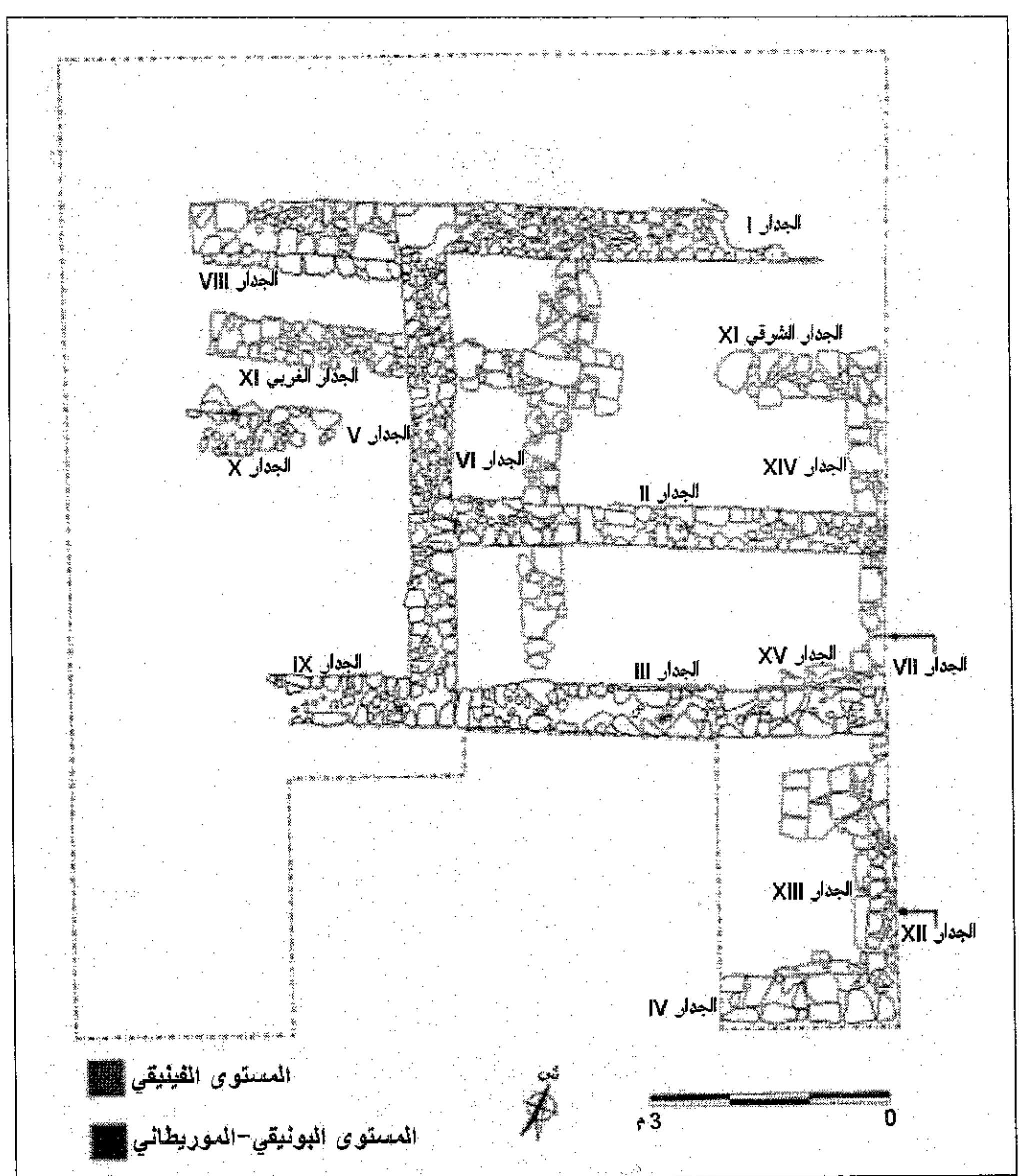
نماذج القرن الثامن قبل الميلاد

أ ب ت

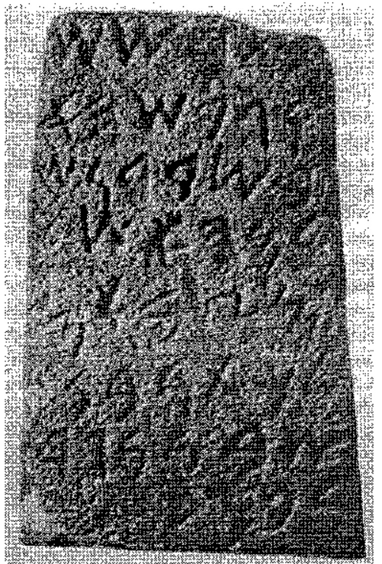
4 5 6

7 8 9

10



Pascual(I), De Madaria(J.L), La Arquitectura, **Lixus. Colonia fenicia y ciudad púnico-mauritana. Anotaciones sobre su ocupación medieval, Saguntum Extra 4**, 2001, pl. I, p. 46

LV نقيشة نورا	LIV نقيشة ليكسوس
 Aubet, Tiro y las colonias fenicias de Occidente, fig. 33, p. 187	 Besnier, Recueil des inscriptions antiques du Maroc, p. 366
LVII نموذج من الكتابة البونيقية الأنيقة والممشوقة	**LVI الكتابة المزدوجة اللغة بليكسوس**
 **Archéologie vivante**, Vol. 1, n° 2, Déc/ Févr 1969, photo n° 136, p. 140	 Marcy, Les inscriptions libyques bilingues, pl. 7, p. 95

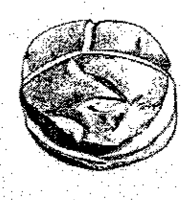
LVIII صور مختلفة لخنفساء ليكسوس





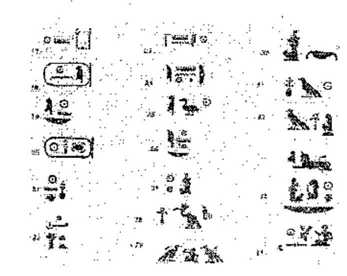
Tarradell, Marruecos punico, pl. XXI

LIX رسم لخنفساء ليكسوس

Blazquez, Tartessos y los comienzos de la colonizacion fenicia en Occidente, fig. 2, p. 25 ; Cintas, Bijoux et amulettes puniques, fig. 6, p. 87

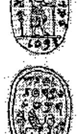
LX خراطيش الفراعنة



Cintas, Amulettes puniques, pl. IV, p. 16

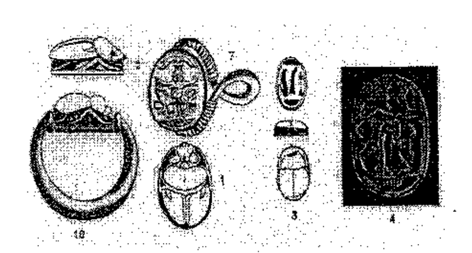
LXI الخنافس الفينيقية





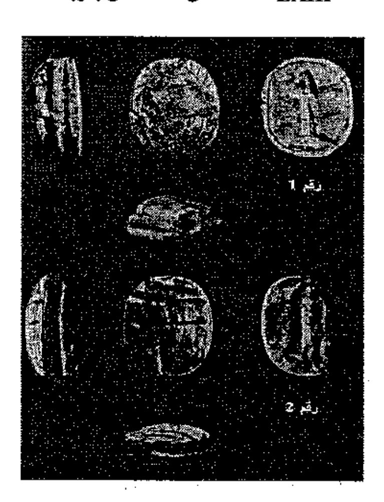
Moscati, l'Epopée des Phéniciens, fig. 24-26-25, p. 112-114-113 ; Doumet et Kawkabani, Les tombes de Rachidieh, pl. K, p. 390

LXII الخنافس المصرية



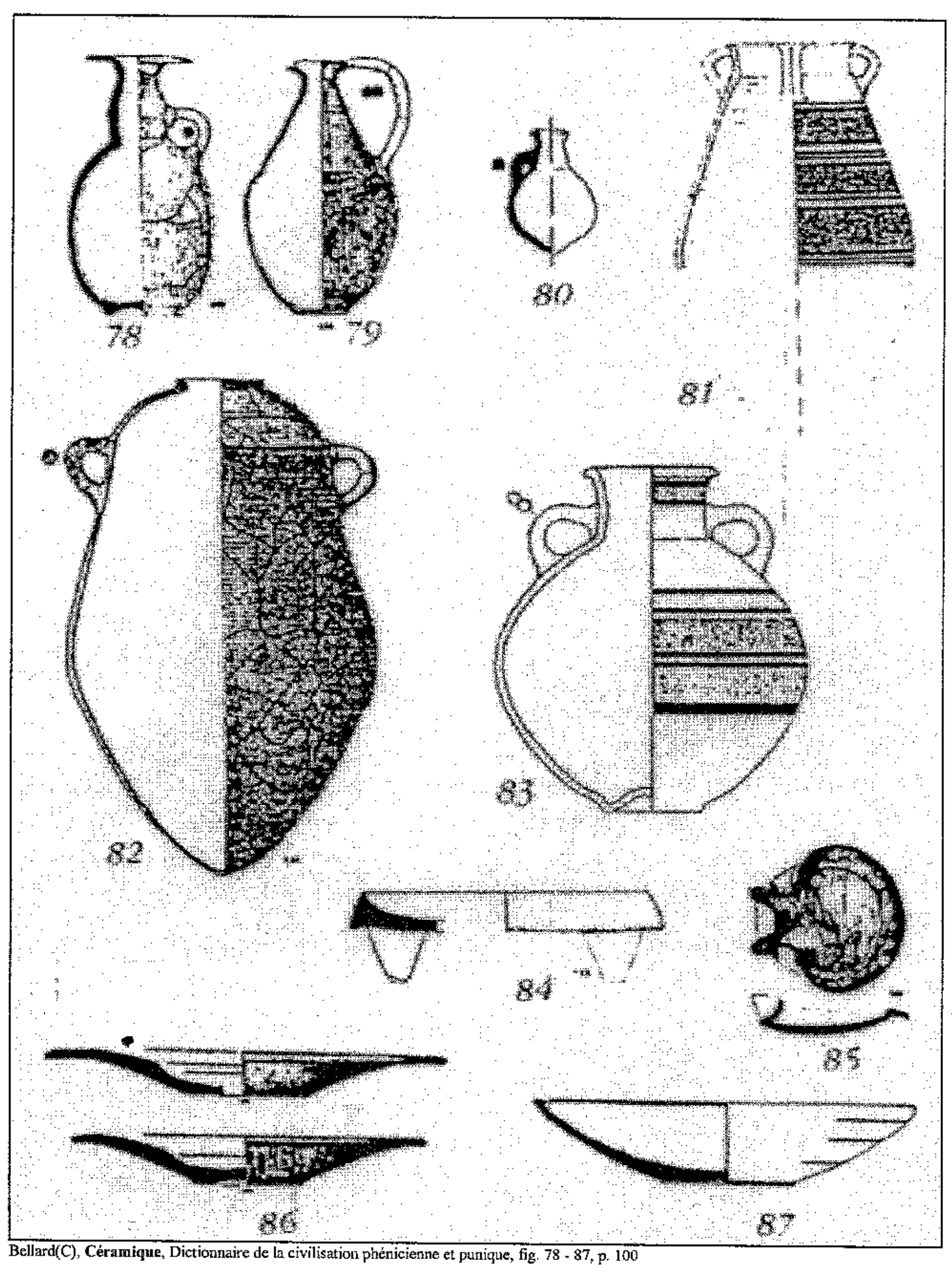
Cintas, Amulettes puniques, pl. II, p. 12 ; Jodin, Bijoux et amulettes du Maroc punique, fig. 7, p. 89 ; Leclant, talismans égyptiens dans les nécropoles, fig. 103, p. 110

LXIII الخنفساءتان المكتشفتان بالرباط



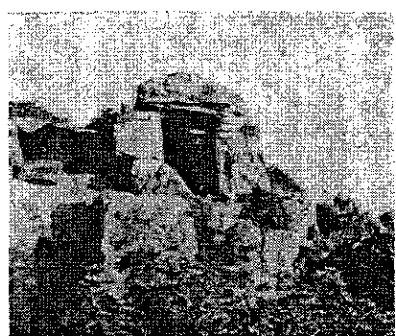
Jodin, Bijoux et amulettes du Maroc punique, pl. XII, p. 86 et pl XIII, p. 88

LXIV الأنواع الخزفية الفينيقية الكلاسيكية



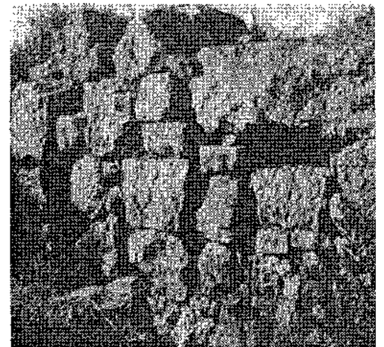
Bellard(C), **Céramique**, Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique, fig. 78 - 87, p. 100

LXV المدفن من نوع "دولمن" بليكسوس



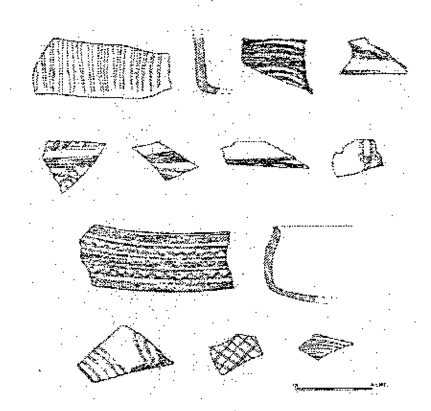
Tarradell, Marruecos punico, pl. XXVIII

LXVI السور المدعو "الميكاليتي" بليكسوس



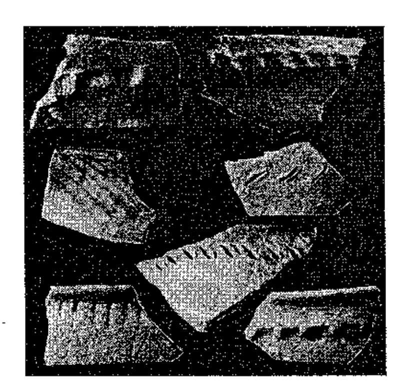
Ponsich, Implantation rurale du Maroc phénicien, pl. p. 87

LXVII الخزف ذو الزخرفة الهندسية المكتشف بليكسوس



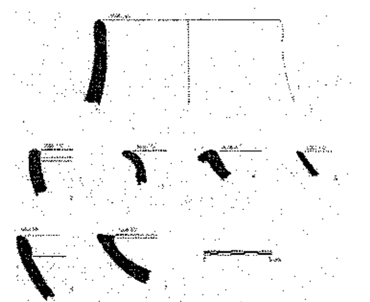
Ponsich, Lixus. Le quartier des temples, fig. 22, p. 76

LXVIII الخزف المحلي المكتشف بالطبقة الفينيقية بموكادور



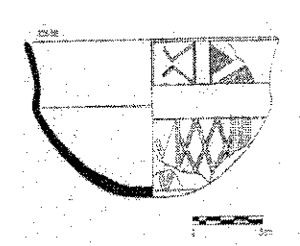
Jodin, Mogador comptoir phénicien…, pl. XLVI, p. 167, pl. XLVIII, p. 170

LXIX الخزف المصقول المصنوع باليد المكتشف في استبار الخروب
(حملة 1995 و 1999)



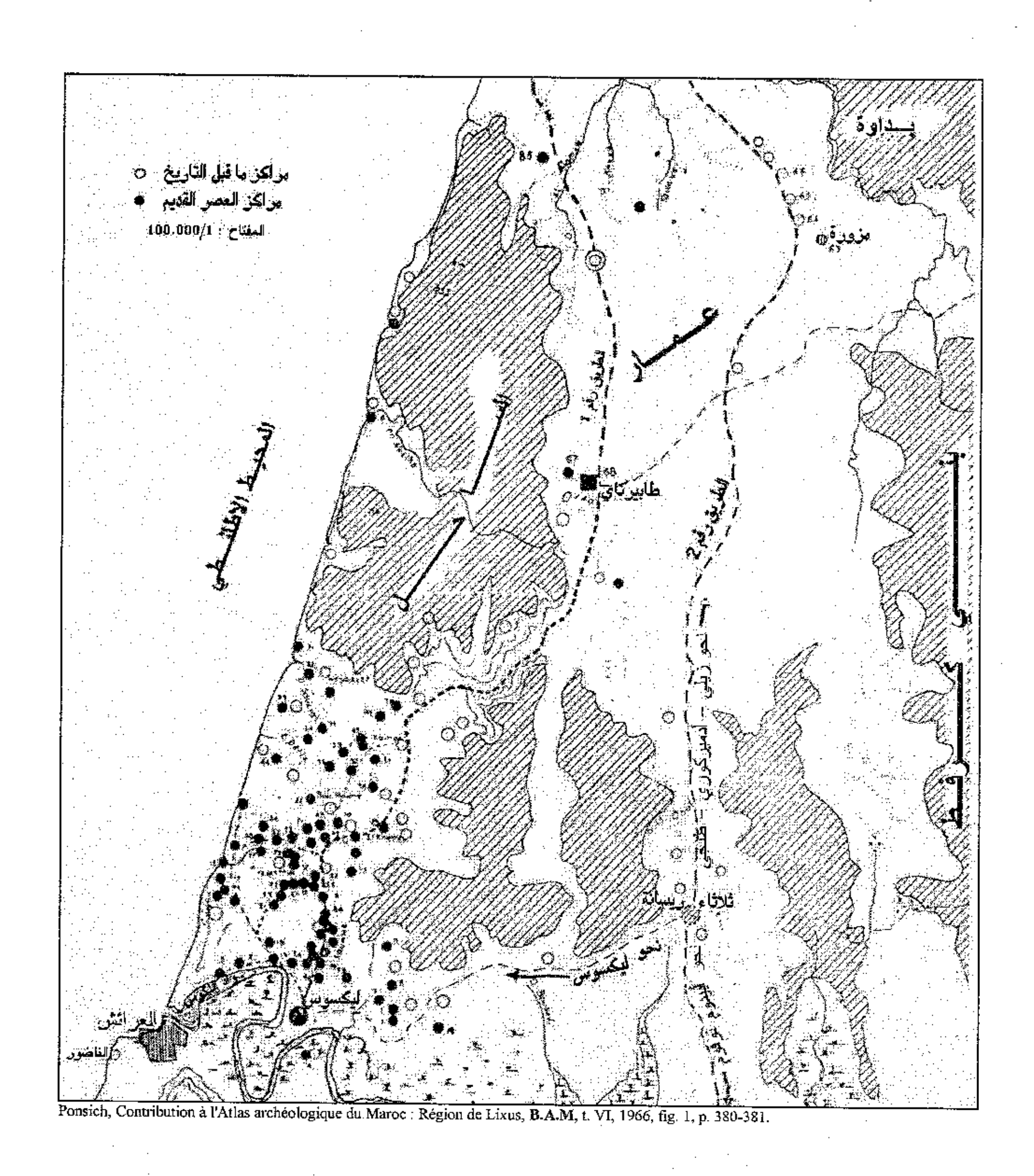
Alvarez y otros, La ocupación fenicia, **Lixus. Colonia fenicia**, fig. 7, p. 78

LXX طنجرة من نوع الخزف ذو الخربشات المكتشفة في استبار الخروب
(حملة 1995 و 1999)



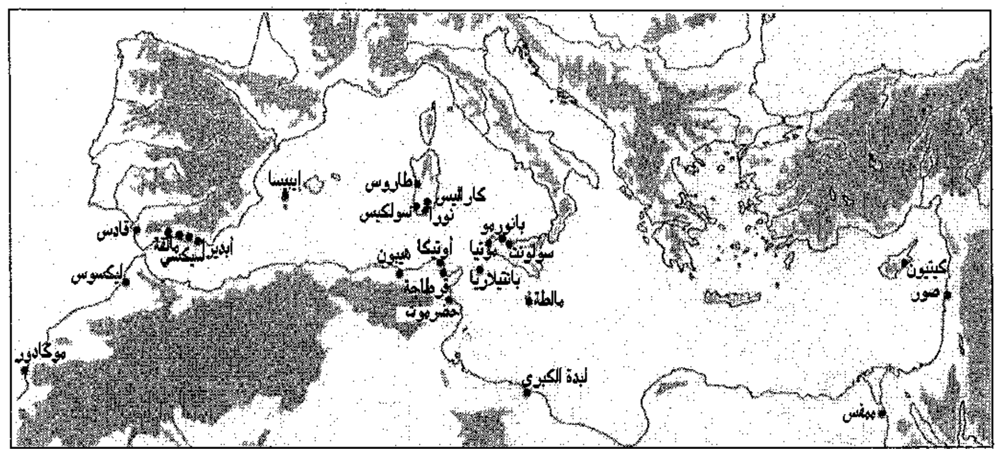
Alvarez y otros, La ocupación fenicia, **Lixus. Colonia fenicia**, fig. 9, p. 80

LXXI المجال الفلاحي لليكسوس ومواقع العصر النيوليتي



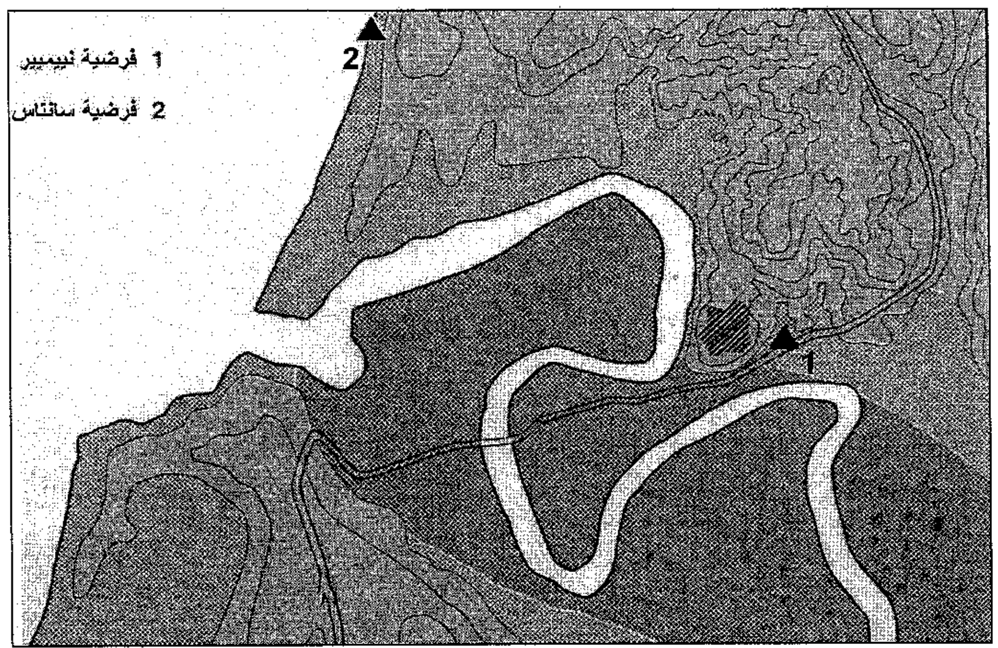
Ponsich, Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc : Région de Lixus, **B.A.M**, t. VI, 1966, fig. 1, p. 380-381.

LXXII التوسع الفينيقي بالحوض المتوسطي



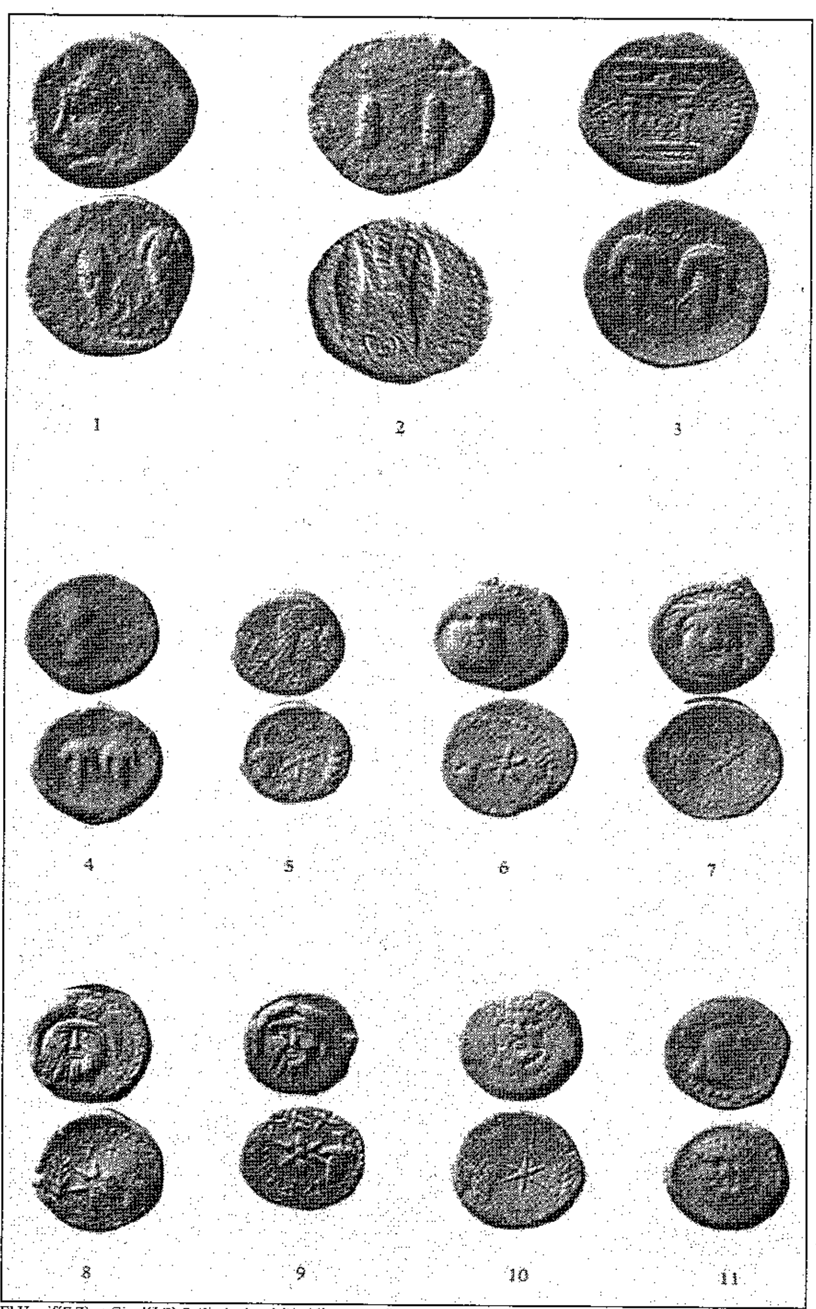
Aubet, Tiro y las colonias fenicias de Occidente, fig. 22, p. 141

LXXIII الموقع القديم لليكسوس حسب فرضية "نييميير" و"سانتاس"



Niemeyer, Lixus : Fondation de la première expantion phénicienne, fig. 2, p. 47

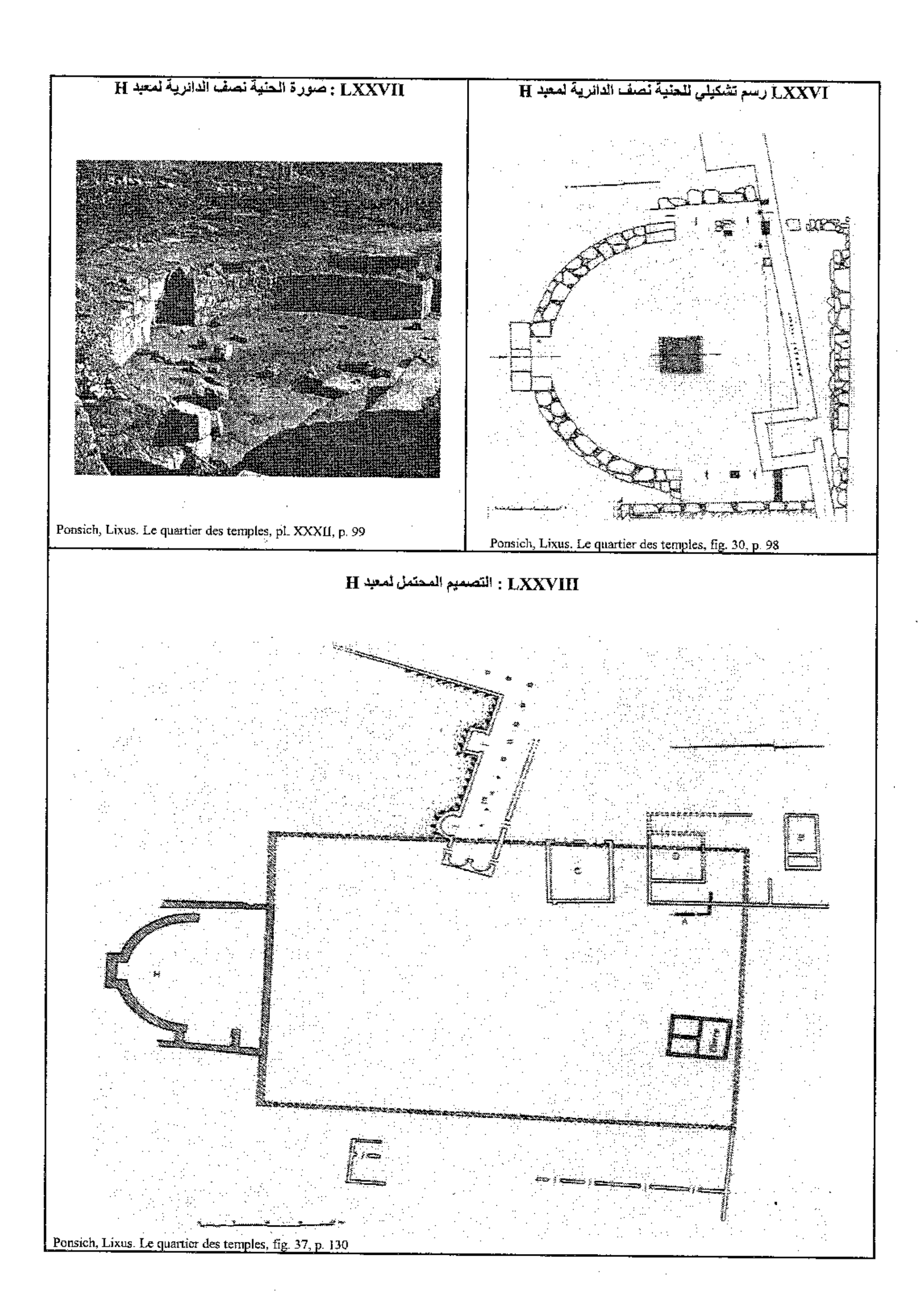
LXXIV عينات من نقود ليكسوس



El Harrif(F.Z) et Giard(J.B) Préliminaires à l'établissement d'un corpus des monnaies de Lixus, p. 268



Ponsich, Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc : Région de Lixus, **B.A.M**, t. VI, 1966, pl. VII, p. 390



LXXVI رسم تشكيلي للحنية نصف الدائرية لمعبد H

Ponsich, Lixus. Le quartier des temples, fig. 30, p. 98

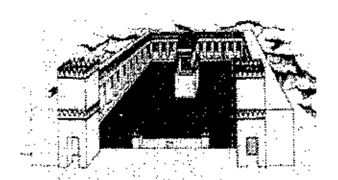
LXXVII : صورة الحنية نصف الدائرية لمعبد H

Ponsich, Lixus. Le quartier des temples, pl. XXXII, p. 99

LXXVIII : التصميم المحتمل لمعبد H

Ponsich, Lixus. Le quartier des temples, fig. 37, p. 130

LXXIX معبد عمريت (نموذج من المعابد الفينيقية المكشوفة)



Baurain et Bonnet, Les Phéniciens, Marins des trios continents, p. 90

LXXX معبد جبيل (نموذج من المعابد الفينيقية المغطاة)



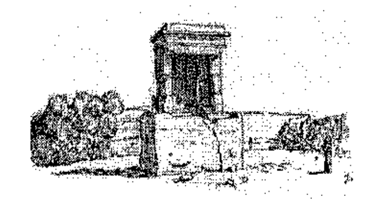
Moscati, Epopée des Phéniciens, fig. 4, p. 80

LXXXI شكل المذبح الفينيقي (مسكوكات ليكسوس)



Ponsich, Lixus. Le quartier des temples, fig. 22, p. 76

LXXXII نموذج من مذبح فينيقي (عمريت)



Contenau, Civilisation Phénicienne, fig. 133, p. 364

LXXXIII ملقارت بحار (مسكوكات صور)



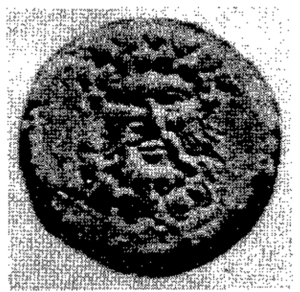
2



1

Moscati, Epopée des Phéniciens, fig. 27, p. 116 ; Alexandropoulos(J), **Numismatique**, dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique, p. 320, fig. 251 n° 3

LXXXIV الإله المسؤول عن السك (نقود ليكسوس)



Marion(J), Les monnaies de Shemesh et des villes autonomes de Maurétanie tingitane, p. 62, fig. 2

LXXXV نماذج من الحروف الفينيقية القديمة في مسكوكات ليكسوس

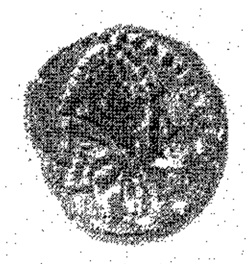
الميم

القاف

الشين

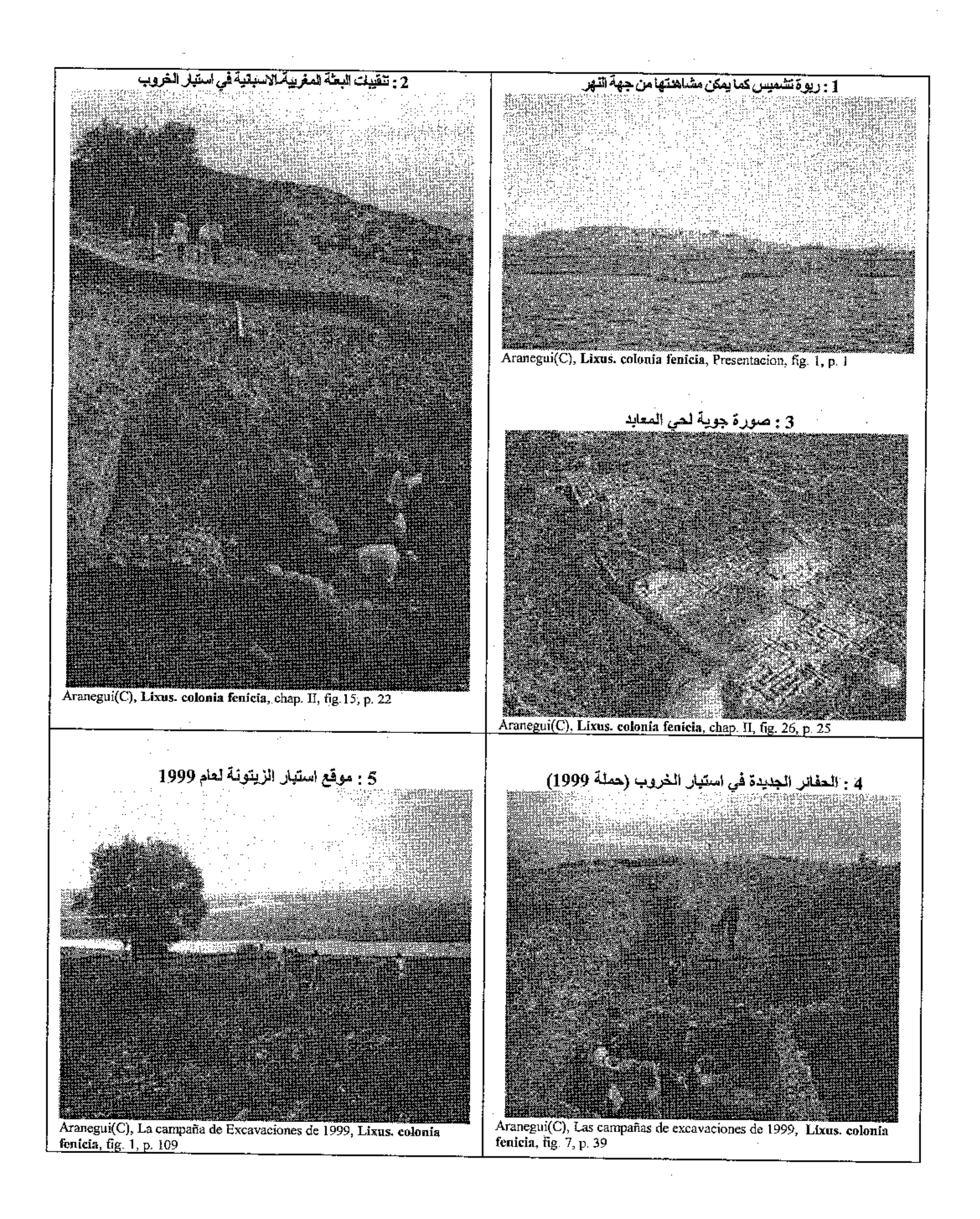
Marion(J), Les monnaies de Shemesh et des villes autonomes de Maurétanie tingitane, p. 69 , fig. 3

LXXXVI المعبود ذو القلنسوة (مسكوكات ليكسوس)



Boube(J), La circulation monétaire à Sala à l'époque préromaine, pl. 4, fig. 3, p. 264.

لوحة أ



1 : ربوة تشميس كما يمكن مشاهدتها من جهة النهر

Araneguí(C), **Lixus. colonia fenicia**, Presentacion, fig. 1, p. 1

2 : تنقيبات البعثة المغربية الاسبانية في استبار الخروب

Aranegui(C), **Lixus. colonia fenicia**, chap. II, fig.15, p. 22

3 : صورة جوية لحي المعابد

Aranegui(C), **Lixus. colonia fenicia**, chap. II, fig. 26, p. 25

4 : الحفائر الجديدة في استبار الخروب (حملة 1999)

Aranegui(C), Las campañas de excavaciones de 1999, **Lixus. colonia fenicia**, fig. 7, p. 39

5 : موقع استبار الزيتونة لعام 1999

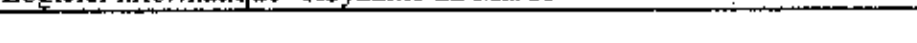
Aranegui(C), La campaña de Excavaciones de 1999, **Lixus. colonia fenicia**, fig. 1, p. 109

لوحة ب

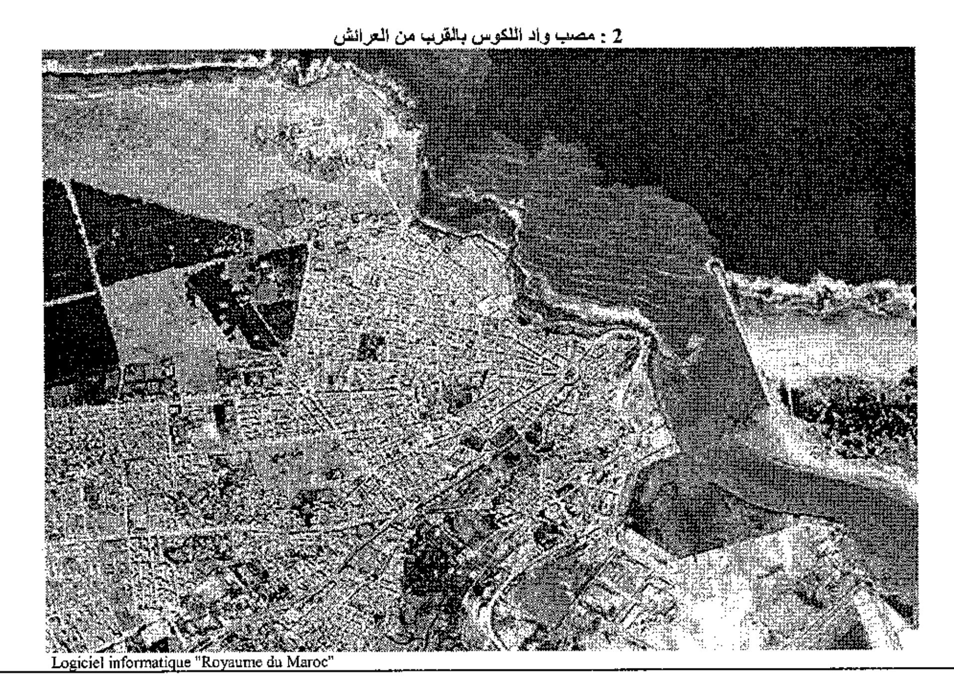
1 : مرتفعات رقادة



Logiciel informatique "Royaume du Maroc"

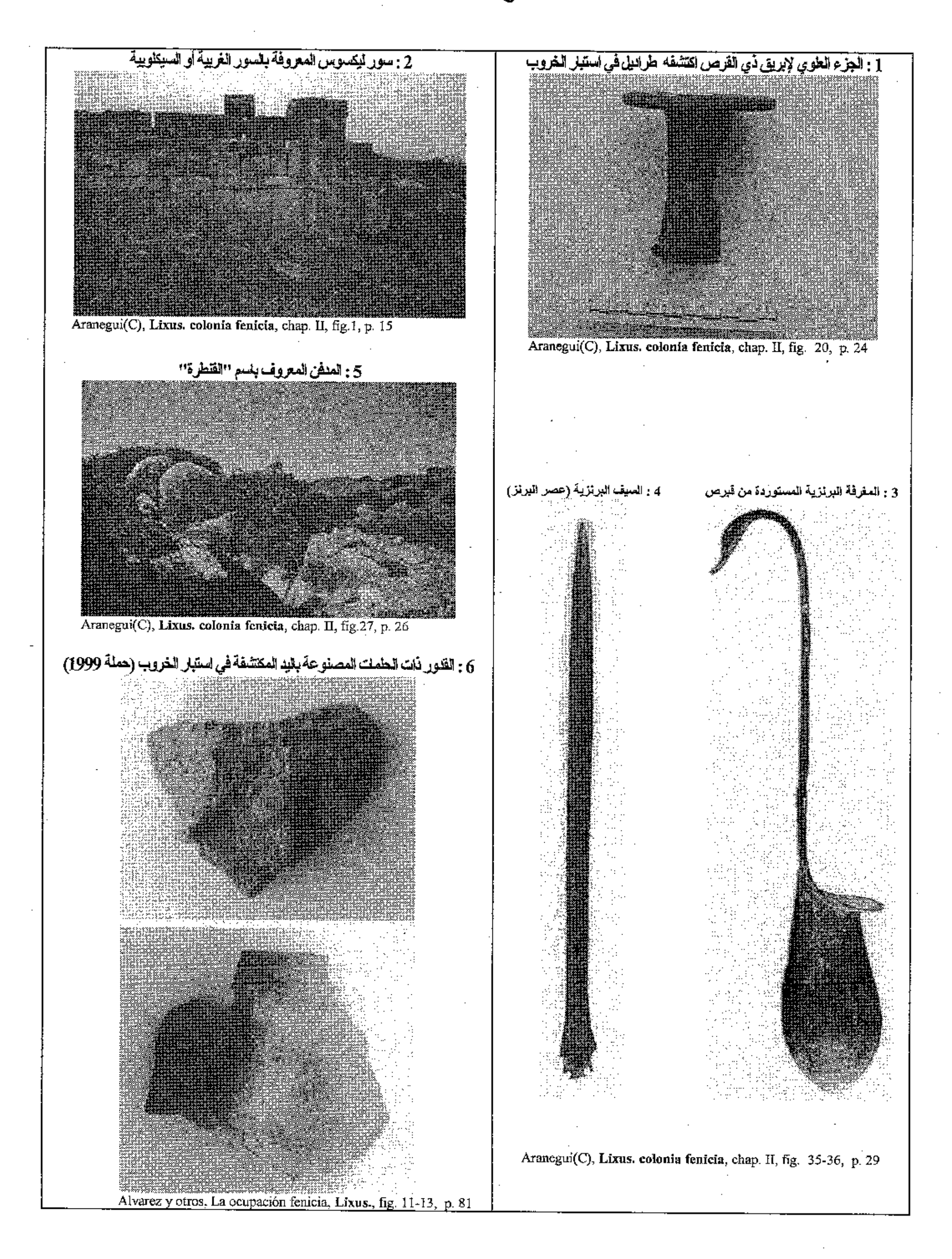


2 : مصب واد اللكوس بالقرب من العرائش



Logiciel informatique "Royaume du Maroc"

لوحة ت



1 : الجزء العلوي لإبريق ذي القرص اكتشفه طرابيل في استبار الخروب

Aranegui(C), **Lixus. colonia fenicia**, chap. II, fig. 20, p. 24

2 : سور ليكسوس المعروفة بالسور الغربية أو السيكلوبية

Aranegui(C), **Lixus. colonia fenicia**, chap. II, fig.1, p. 15

3 : المغرفة البرنزية المستوردة من قبرص

4 : السيف البرنزية (عصر البرنز)

Aranegui(C), **Lixus. colonia fenicia**, chap. II, fig. 35-36, p. 29

5 : المدفن المعروف باسم "القنطرة"

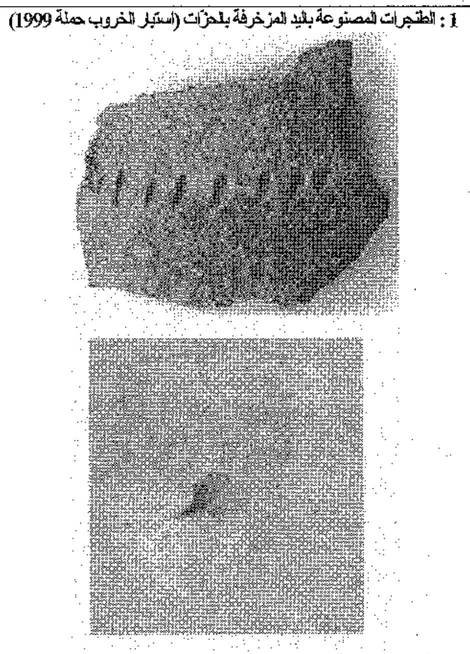
Aranegui(C), **Lixus. colonia fenicia**, chap. II, fig.27, p. 26

6 : القدور ذات الحلمات المصنوعة باليد المكتشفة في استبار الخروب (حملة 1999)

Alvarez y otros. La ocupación fenicia, **Lixus.**, fig. 11-13, p. 81

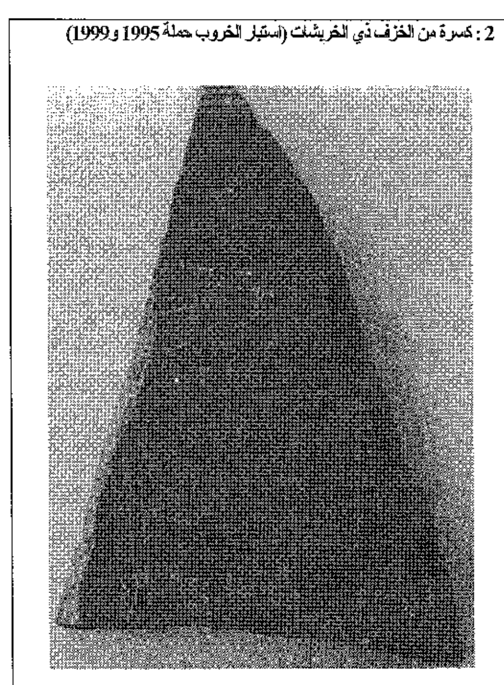
لوحة ث

1 : الطنجرات المصنوعة باليد المزخرفة بالحزات (استبار الخروب حملة 1999)



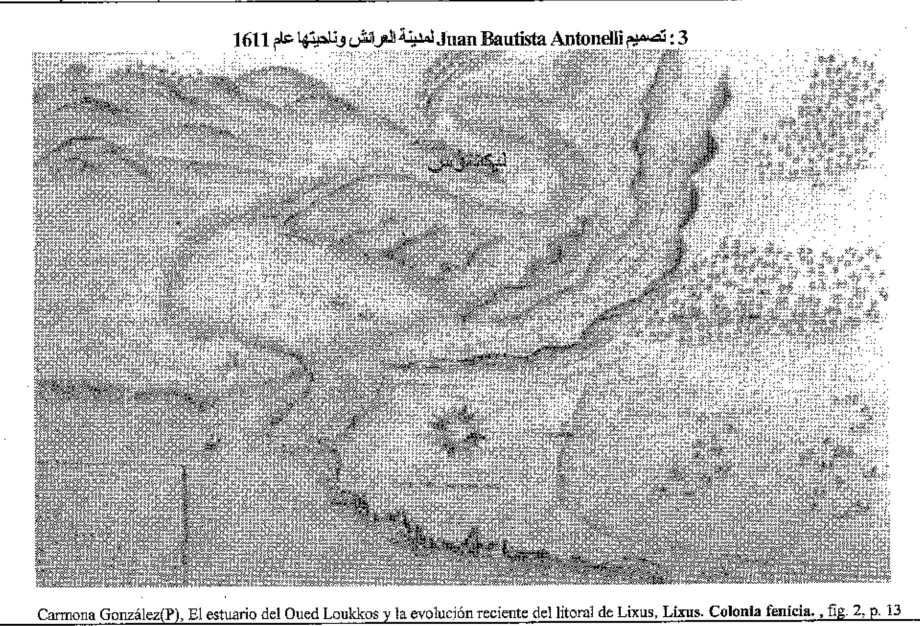
Alvarez y otros, La ocupación fenicia, **Lixus.**, fig. 10-12, p. 81

2 : كسرة من الخزف ذي الخريشات (استبار الخروب حملة 1995 و1999)



Alvarez y otros, La ocupación fenicia, **Lixus.**, fig. 14, p. 81

3 : تصميم Juan Bautista Antonelli لمدينة العرائش وناحيتها عام 1611



Carmona González(P), El estuario del Oued Loukkos y la evolución reciente del litoral de Lixus, **Lixus. Colonia fenicia.**, fig. 2, p. 13

رقم الإيداع القانوني 1867 2010/MO
الرقم الدولي 978-9954-8814-8-4
مطبعة الأفـــق 
39، شارع للا حسناء- فاس
الهاتف/ الفاكس: 37 31 62 0535